الإحاطة
في أخبار غرناطة

للسان الدين
أبي عبد الله محمد بن الخطيب

القسم الأول

مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني
لترقية الفنون والآداب

Cet ouvrage a été publié avec le soutien du Ministère de la Culture, dans le cadre du Fonds National pour la Promotion et le Développement des Arts et des Lettres.

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع
شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر
هاتف وفاكس: 29 78 35 21 0

الإيداع القانوني: 2349 ـ 2009
ردمك: 6 ـ 35 ـ 858 ـ 9961 ـ 978



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم: بوزياني الدراجي

﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً ﴾[1].

هذا العمل الثمين ـ الذي يشتمل على ألوان شتى من ثمرات الفكر والإبداع؛ في ميادين متنوعة من: تاريخ، وجغرافيا، وأدب، وتراجم، وعلوم ـ يستحق منا عناية جادة، والتفاتة صادقة؛ لأنه يسلط الضوء على تاريخنا

[1] سورة الكهف؛ الآية: 88.

المجيد، وماضينا التليد؛ الذي ـ مع الأسف الشديد ـ تعرض للإهمال وعدم الاكتراث من قبل هذا الجيل، وجيل مضى؛ خلال فترة عتماء؛ أظلتنا فيها سحابة دكناء جافة؛ عنوانها الاستعمار الظالم والمظلم.

وقد تفضلت **وزارة الثقافة الجزائرية** ـ مشكورة ـ بتبني وإبراز هذا العمل، ووضعه بين أيدي القراء؛ لكي يتعرفوا على ماضٍ ذهبيٍّ مشرقٍ؛ صنعه الآباء والأجداد. لعل الاطلاع عليه؛ يشحذ النفوس، ويحرك الهمم؛ للسّعي نحو مسك رأس حبل النجاة، والتسلق في اتجاه تلك القمم الشّماء. إذ لا سبيل أمام هذا الجيل سوى التسلق في شعاب العلم المتشعبة، والمتشبعة بالحكمة المنيرة، والمعرفة المفيدة، والفضيلة الرفيعة.

فمحتوى هذا العمل؛ سيساعد ـ حتماً ـ على الاستنارة بالعلم، والاستفادة من تجارب الغير، والاستثمار بالفكرة والعبرة؛ والتحفز والاستعداد لشحذ الهمم، وصقل العقول في سبيل استكمال ما وقفت عنده قاطرة التراث المغربي الزاهر.

وفائدة الاطلاع على هذا العمل؛ الذي خطه يراع لسان **الدين محمد بن الخطيب**؛ لا تكمن في الاقتصار على التعرف على إنتاجه الأدبي والتاريخي الخاص به فحسب؛ بل يتجاوز الأمر ذلك كله؛ إلى معرفة ما أنتجه عدد كبير من علماء وأدباء **المغرب والأندلس**.

لقد اشتمل كتاب الإحاطة ـ مثلاً ـ على تراجم جمة؛ وصلت إلى خمسمائة ترجمة؛ تخص علماء وأدباء **أندلسيين ومغاربة**. إذ تولى **لسان الدين بن الخطيب** التعريف بهم؛ وتسليط الضوء على إنتاجهم الأدبي والفكري؛ حيث سجل في كتابه هذا عينات ومختارات وافية من إنتاجهم الأدبي: الشعري والثري.

وهذا الأمر سيثري ـ لا محالة ـ الحصيلة الفكرية والعلمية للأسرة الثقافية **الجزائرية** ـ خصوصاً، **والمغربية** عموماً ـ وذلك بإضافة فيض من المنتخبات والمختارات الأدبية، والعينات الفكرية التي يمكن أن تفيد الأجيال الحالية والقادمة.

وعندها؛ سيكتشف الساهرون على تنمية المنظومة التربوية والتعليمية ـ في بلادنا ـ كنزاً ثرياً يمكنهم من الخوض في أمواجه، واستخراج ما فيه من الدر والمرجان. لأن منظومتنا التربوية في حاجة ماسة إلى صقل وبلورة التراث **المغربي**، وتقديمه ضمن الموائد الشهية لأبنائنا؛ كي يتعرفوا على عظماء وطنهم؛ وعلماء بلادهم.

إذ أن المنظومة التربوية في وطننا ـ للأسف ـ تعاني حالياً من عقدة مزمنة؛ تنقص من حقيقة الذات، وتهول من أوهام الغير.

فالذي يلاحظ المناهج التعليمية في بلادنا؛ سيكتشف أنها مصابة بحمى التيه والاغتراب؛ إذ تدرس آداب الأمم كلها؛ ما عدا آداب وتراث بلدنا **المغربي والأندلسي**. وقد يكون للساهرين على المنظومة التربوية عذرهم؛ إذا ما علمنا صعوبة الوصول إلى منابع الفكر **المغربي**.

وهذه العقدة ليست وليدة اليوم؛ بل ترجع بوادرها إلى أزمنة قديمة؛ حيث بالغ بعض أجدادنا في العناية بآداب وفنون **المشرق**، على حساب منتوجهم **المغربي**.

وحكاية **الصاحب بن عباد**؛ بخصوص كتاب العقد الفريد ـ **لابن عبد ربه** ـ معروفة وشهيرة. إذ يقال أنه سعى إلى التعرف على الأدب **المغربي**؛ ولما وصله كتاب العقد الفريد وقرأه؛ قال: **(** هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا **)**[1]**. ضننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم؛ وإنما هو يشتمل على أخبار بلادنا؛ لا حاجة لنا فيه**)).

علماً بأن **أهل المشرق**؛ كانوا وما زالوا؛ أكثر اعتناء بالتراث **المغربي** من **المغاربة** أنفسهم. كما أن معظم العلماء والأدباء **المغاربة** هاجروا **للمشرق**؛ حيث أثروا التراث الفكري **المشرقي** بما أنتجوه في ميادين علمية عديدة؛ مثل: اللغة، والنحو، والأدب، والفلسفة، والهندسة، والطب، والفلك..إلخ.

---

[1] إشارة وتمثيلا لقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ** ﴾. سورة يوسف؛ الآية: 65.

وقد أشار **المقري** ـ في كتابه نفح الطيب ـ إلى تلك العقدة المغربية؛ فقال عند حديثه عن كتاب الإحاطة: ((وأما كتاب الإحاطة؛ فهو الطائر الصيت **بالمشرق والمغرب**؛ **والمشارقة** أشد إعجاباً به من **المغاربة**، وأكثر لهجاً بذكره؛ مع قلته في هذه البلاد المشرقية. وقد اعتنى باختصاره الأديب الشهير **البدر البشتكي**[1]؛ وسماه: ((مركز الإحاطة في أدباء **غرناطة**)). وهو في مجلدين بخطه. رأيت الأخير منها **بمصر**))[2].

وبتقديم عمل كهذا؛ ووضعه بين أيدي القراء؛ سوف يمكن المهتمين، والخيرين من إبراز شخصيات **مغربية** شبه مغمورة، والتعريف بما أنتجه علماء وأدباء **مغاربة** في مجالات عديدة: شعراً ونثراً. كما يتسنى لهم تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية بكل سهولة ويسر. حيث

---

[1] هو أبو البقاء محمد بن إبراهيم بن محمد بدر الدين الأنصاري البشتكي؛ ولد في القاهرة سنة 748هـ/1347م وتوفي بها سنة 830هـ/1427م. شاعر وأديب؛ من المتصوفة؛ دمشقي الجذور؛ قاهري المنشأ والممات؛ من مؤلفاته: كتاب طبقات الشعراء؛ وهو ضخم. ثم ديوان شعر. وكتاب مركز الإحاطة؛ الذي اختصر به الإحاطة في مجلدين اثنين.

[2] نفح الطيب؛ ج: 7، ص: 102.

سيتمكن المربون من إدماج التراث **المغربي** في المنظومة التربوية بشكل سهل وسلس.

***

ـ محتوى هذا العمل:

تتضمن هذه المجموعة المسماة بأعمال **لسان الدين ابن الخطيب؛** معظم أعماله التاريخية والأدبية المتوفرة إلى الآن. وأهمها:

ـ **كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة**: وهو كتاب في غاية الأهمية؛ إذ يشتمل ـ ضمن عدد من المجلدات ـ على معلومات تاريخية، وجغرافية، وشعرية، ونثرية؛ تخص علماء وكتاب وشعراء **أندلسيين ومغاربة.**

ـ **وكتاب إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**: بأجزائه كلها. الجزء الخاص بتاريخ المشرق؛ بدءاً بالسيرة النبوية الشريفة. ثم الأجزاء الخاصة بتاريخ **الأندلس**، وتاريخ بلدان **شمال إفريقيا المغربية**.

ـ **كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية**: وهو خاص بمعالجة تاريخ دولة **بني نصر**؛ ملوك **غرناطة بالأندلس**؛ المعروفين أيضاً **ببني الأحمر**.

ـ **كتاب رقم الحلل في نظم الدول**: وهو تاريخ عام؛ تناول فيه ابن الخطيب تاريخ الدول الإسلامية ـ كلها ـ المعروفة في وقته؛ وقد نظمه في بحر الرجز.

ـ **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**: وهي مذكرات تخصه؛ يتناول فيها الأحداث التي عايشها في **المغرب**؛ أثناء إقامته فيه. كتبه في ثلاثة أجزاء. لم يبرز للوجود منها سوى الجزء الثاني.

ـ **خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف**: يتناول **ابن الخطيب** في هذا الكتيب وصف رحلة قام بها سنة 748هـ/1347م؛ مرافقاً للسلطان **أبي الحجاج**؛ في ديار **الأندلس** التابعة لمملكة **غرناطة**؛ بغرض التفقد والاطمئنان على المدن والثغور.

ـ **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**: ويشتمل على نصوص نثرية وشعرية رائعة في مخاطبات الملوك والرؤساء.

ـ **الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة:** ألف **ابن الخطيب** هذا الكتاب؛ أثناء إقامته **بتلمسان**؛ تحت رعاية السلطان **المريني أبي فارس عبد العزيز**؛ الذي احتل المدينة آنئذ. وكان **ابن الخطيب** حينها لاجئاً لدى **المرينيين**؛ بعد الجفوة الحاصلة بينه وبين سلطان **غرناطة النصري**.

ـ **الصيب والجهام والماضي والكهام**: الذي يشتمل على زبدة الإنتاج الشعري الخاص **بابن الخطيب**؛ إذ هو ديوانه الرئيس.

ـ **روضة التعريف بالحب الشريف**: في التصوف والحب الإلهي. عارض **ابن الخطيب** في هذا الكتاب **ديوان الصبابة لأبي العباس أحمد بن يحيى التلمساني** المعروف **بابن أبي حجلة التلمساني**.

ـ **مجموعة رسائل لابن الخطيب**: وهي أعمال متفرقة؛ ألفها **ابن الخطيب** في أغراض عديدة، إذ هي رسائل ومؤلفات متنوعة؛ وجهت للملوك والأعيان في زمنه.

***

ـ ابـن الخطيـب :

يسمى : **لسـان الديـن أبـو عبـد الله محمـد بـن عبـد الله ابـن سعيـد بـن عبـد الله بـن سعيـد بـن علـي بـن أحمـد السلمـاني** ؛ نسبـة إلى **سلمـان** أحـد أحيـاء **مـراد القحطانييـن**. دخـل جـده إلى **الأندلـس** بعـد الفتـح ضمـن **عـرب الشـام**. استقـر أسلافـه ـ في البدايـة ـ **بقرطبـة** ؛ حيـث عرفـوا باسـم **بـني الوزيـر** ؛ ولكنهـم اضطـروا إلى الهجـرة عنهـا إلى **طليطلـة** ؛ بعـد حادثـة **الربـض** الشهيـرة ؛ الـتي ثـار فيهـا سكـان تلـك الضاحيـة علـى الأميـر الأمـوي **الحكـم بـن هشـام** سنـة 202هـ/817م. فنكـل بهـم، وشردهـم في مختلـف الأصقـاع والبلـدان.

فمنهـم مـن اختـار الابتعـاد إلى **بـلاد المغـرب** ؛ حيـث استقـروا في **فـاس** ؛ بينمـا اكتفـى بعضهـم الآخـر بأماكـن آمنـة في **الأندلـس** ؛ ومـن هـؤلاء أسـرة **ابـن الخطيـب.**

ولمـا اشتـدت الأخطـار المحدقـة بالمسلميـن في **طليطلـة** ؛ بعـد زهـاء القـرن والنصـف تقريبـاً ؛ وذلـك نتيجـة لتحرشـات **النصـارى**، وضغوطاتهـم المتكـررة علـى تلـك المدينـة ؛ عمـل أسـلاف **ابـن الخطيـب** ـ للمـرة الثانيـة ـ علـى الهجـرة مـن جديـد

نحو جنوب **الأندلس**؛ حيث استقر جده الأعلى الفقيه العالم والأديب **سعيد بن علي بن أحمد السلماني** في مدينة **لوشة** القريبة من **غرناطة**؛ والتي تبعد عنها بنحو خمسين كلم؛ في اتجاه الغرب منها، وعلى الطريق الرابط بينها وبين مدينة **إشبيلية**. وتولى جده **سعيد** هذا في مدينة **لوشة** خطة القضاء والخطابة؛ وإليه نسبت العائلة؛ فأضحوا يسمون **أبناء الخطيب**.

ومدينة **لوشة** هي مسقط رأس **لسان الدين محمد بن الخطيب**، ومرتع صباه، ومهد تربيته، ومنهل وتعليمه؛ إذ كانت تلك المدينة ـ آنذاك ـ تحتل مركزاً حضارياً وثقافياً ممتازاً في **الأندلس**. وبقيت على في ازدهارها المعهود حتى سقوطها هي الأخرى في قبضة **القشتاليين** سنة 891هـ/1486م؛ أثنا الحرب المسلطة على **غرناطة**.

ويقول **عنان** أنه زار **لوشة Loja**؛ التي تقلص عمرانها عما كانت عليه في العهد الإسلامي؛ بحيث كان سكانها ـ زمن المسلمين ـ أضعاف ما هم عليه الآن؛ إذ لا يتجاوز عددهم اليوم عن العشرين ألف نسمة؛ بينما

غدت في عمرانها متوسطة الحال. وقال: ((وكان شبح ابن **لوشة** العظيم؛ وزيرها العبقري **ابن الخطيب**؛ يتراءى لي وأنا أجوس خلال دروبها الساحرة؛ ولكن لم أستطع ـ مع الأسف ـ أن أظفر بأية آثار أو معلومات تتعلق بحياته، أو موقع بيته القديم؛ وقد كان استقصاء هذه الآثار والذكريات جل مقصدي))[1].

وفي مدينة **لوشة** هذه ولد **محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب السلماني**؛ وذلك في الخامس والعشرين من رجب سنة 713 هجرية الموافق لـ 16 نوفمبر سنة 1313 ميلادية. نشأ في بيت علم وأدب وجاه؛ إذ كان والده **عبد الله** من أكابر علماء **لوشة**؛ وقد وردت له ترجمة في الإحاطة. وهو الذي انتقل إلى **غرناطة**؛ بعد أن حاول القدوم إليها لفترة في البداية؛ ثم عاد إلى منزل العائلة في **لوشة**؛ ولكنه قرر الاستقرار نهائياً في **غرناطة** بعد ذلك؛ حيث التحق بخدمة السلطان **أبي الوليد إسماعيل**؛ الذي تربع على عرش **غرناطة** سنة 713هـ/1313م؛ وهي

[1] الإحاطة، ج: 1، ص: 20.

السنة التي ولد فيها **لسان الدين محمد بن الخطيب**. ودام حكمه إلى سنة 725هـ/1325م؛ أين مات قتيلاً.

غير أن والد **لسان الدين** بقي في خدمة من خلفه من سلاطين **بني نصر**؛ إلى أن أصبح وزيراً في عهد **أبي الحجاج يوسف** المتولي سنة 733هـ/1332م. تولى **عبد الله** والد **لسان الدين** ـ آنئذ ـ خطة ديوان الإنشاء؛ إلى جانب الشاعر والكاتب الفذ الرئيس **أبي الحسن بن الجياب**.

وانتهت حياة **عبد الله** والد **لسان الدين** وابنه الأكبر أخي **لسان الدين**؛ خلال **موقعة طريف**؛ التي حدثت بين جيش **قشتالة**؛ وجيش **المسلمين** بقيادة السلطان **المريني أبي الحسن،** والسلطان **النصري أبي الحجاج يوسف؛** وهزم فيها **المسلمون**، وثقلت خسائرهم. حدث ذلك في سنة 741هـ/1340م.

لا يعرف بالضبط السنة التي انتقل فيها **لسان الدين محمد بن الخطيب** إلى **غرناطة**. المهم أنه انتقل في الوقت الذي كان ولده في خدمة البلاط **النصري**. وعرف تلك الحاضرة وهو صغير السن؛ فنشأ فيها ودرس على

مشائخها، وتردد على حلقات علمائها وأدبائها؛ الذين ازدانت بهم عاصمة **بني الأحمر**، وازدهرت بعلمهم ومعارفهم، وانتشت بشعرهم وفنونهم.

دُعيَ **لسان الدين** ـ بعد استشهاد والده ـ إلى الخدمة في البلاط السلطاني؛ وهو في ريعان الشباب؛ إذ لم يتجاوز سنه الثامنة والعشرين؛ فوجد رعاية خاصة من قبل الرئيس **أبي الحسن بن الجياب**؛ فتدرج في المناصب إلى أن أصبح في رتبة وزير.

ولما توفي **ابن الجياب** جراء وباء **الطاعون** الذي اجتاح البلاد في سنة 749هـ/1349م؛ خلفه **لسان الدين** في رياسة الكتاب؛ وكان قد أظهر ـ من قبل ـ براعة فائقة في الإنشاء وكتابة الرسائل. ولما تولى رئاسة الكتاب ازدادت روائعه، وتزايدت بدائعه، وانتشرت أعماله، وذاع ذكره بين الأقطار.

وانجر عن ذلك كله؛ أنه ارتقى إلى مرتبة وزير؛ في عهد السلطان **أبي الحجاج يوسف**. بينما كانت الرئاسة ـ آنئذ ـ في حوزة **أبي النعيم رضوان القشتالي؛** الذي كان

يكن تقديراً خاصاً **للسان الدين محمد بن الخطيب**؛ وهو الذي ترك المجال مفتوحاً له الخطيب كي يتألق ويشتهر؛ فاقترب من السلطان، واكتسب ثقته وإعجابه؛ فجعله كاتب سره، ولسان حاله. فصدرت عنه رسالة رائعة طارت بها أجنحة الشهرة في الآفاق.

ويصف **ابن الخطيب** حاله ووضعه الجيد وحظوظه السعيدة في مقام السلطان **أبي الحجاج** فيقول: ((فقلدني السلطان كتابة سره؛ ولَّما يجتمع الشباب، ويستكمل السن؛ معززة بالقيادة، ورسوم الوزارة؛ واستعملني في السفارة إلى الملوك، واستنابني بدار ملكه، ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه، وائتمنني على صِوان ذخيرته، وبيت ماله، وسجوف حُرَمه، ومعقل امتناعه))[1].

المهم أن **ابن الخطيب**؛ بقي في منصبه - بعد مقتل السلطان **أبي الحجاج** - مرعي الجانب محاطاً بالثقة، مقرباً من السلطان الجديد **أبي عبد الله محمد الغني بالله**. وبينما ظل الحاجب **رضوان** ممسكاً بالرئاسة؛ استمر **ابن الخطيب**

---

[1] الإحاطة، المجلد الرابع، ص: 443.

في سياق عمله الأول كمعاون له في شئون الكتابة والوصاية على أبناء السلطان.

وندبه السلطان **الغني بالله** سنة 755هـ/1354م. في سفارة إلى ملك **المغرب المريني أبي عنان**؛ فاستقبله ملك **المغرب** بحفاوة وتقدير؛ واهتز زهواً وطرباً للقصيدة التي أتحفه بها؛ والتي يقول فيها:

خليفة الله ساعد القدر
علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته
ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى
لنا في المحل كفك المطر
والناس طراً بأرض أندلس
لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وغاية الأمر أنه وطن
في غير علياك ما له وطر

ومن به مـــذ وصلــت حبلهــم
ما جحــدوا نعمـــة ولا كفــروا
وقـــد أهمتهــــم نفوسهـــــم
فوجهــوني إليــك وانتظــروا

وقال **ابن خلدون** يصف الحال: ((فاهتز السلطان لهذه الأبيات وأذن له بالجلوس. وقال له قبل أن يجلس: ما ترجع إليهم إلا بجميع ما طلبوه. وقال لي شيخنا القاضي **أبو القاسم الشريف**؛ وكان معه في ذلك الوفد: لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا))[1].

وازدادت حظوته لدى السلطان **الغني بالله**، فرفع منزلته، وعزز مرتبته؛ فأضفى عليه لقب **ذي الوزارتين**؛ أي وزارة السيف، ووزارة القلم. وبقي على ذلك الحال؛ إلى اليوم الذي انقلب على السلطان أخوه **إسماعيل** سنة 760هـ/1359م. وتربع على عرش **غرناطة**.

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 691.

ومع أن السلطان المخلوع **محمد الغني بالله** تمكن من الإفلات والنجاة بنفسه ـ بعد الانقلاب عليه ـ ثم التحق **بالمغرب**؛ فإن **ابن الخطيب** وقع في قبضة الأمير الثائر وشلته؛ فوضع في السجن. ولكن أسعفه السلطان **المريني أبي سالم**؛ الذي شفع فيه لدى السلطان **إسماعيل**؛ فلم يسع هذا الأخير إلا الاستجابة لطلبه؛ فأطلق سراح **ابن الخطيب**؛ فسارع للالتحاق **بمحمد الغني بالله**؛ حيث استقر الاثنان في ضيافة الملك **المريني أبي سالم**؛ الذي مدحه **ابن الخطيب** برائعته ومطلعها:

سـلا هل لديها من مخبـرة ذكـر
وهل أعشب الوادي ونـمَّ به الزهر

ثم يقول:

قصدناك يا خير الملوك على النوى
لتنصفنـا مما جنى عبـدك الدهـر
كففنـا بـك الأيـام من غلوائهـا
وقد رأينـا منها التعسـف والكبـر

وعذنـــا بذاك المجد فانصرم الردى

ولذنـــا بذاك العـــزم فانهزم الشـــر

ولما أتينـــا البحـــر يرهب موجـــه

ذكرنا نـــداك الغمر فاحتقر البحـــر

ونقل **ابن خلدون** هذه القصيدة كاملة في كتابه **ديوان العبر**؛ حيث أعجب بها وقال: ((فأنشد السلطان قصيدته الرائية؛ يستصرخه لسلطانه، ويستحثه لمظاهرته على أمره؛ واستعطف واسترحم؛ بما أبكى الناس شفقة ورحمة))[1].

وكان **ابن خلدون** حاضراً في هذا المجلس؛ إذ كانت هذه المناسبة هي فرصة التعارف المباشر بين **ابن الخطيب** والعلامة **عبد الرحمن بن خلدون**؛ أين كان الأخير ـ في تلك الفترة ـ يعمل في الديوان الملكي **المريني**؛ ويتميز بمركز ممتاز. ولما كانا يسمعان عن بعضهما بعضاً؛ فقد ازدادت

[1] العبر، مج: 7، ص: 638.

المعرفة توطدا ومتانة؛ ويشير إليها **ابن خلدون** بقوله: ((وما كان بيني وبينه من الصحابة))[1].

واختار **ابن الخطيب** الإقامة **بمدينة سلا**؛ بحثا عن الخلوة والتأمل والكتابة؛ فأسعفه **أبو سالم المريني** بما يرغب. ويقول أنه بقي فيها زهاء العامين؛ فدون فيها كتاب **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، وكتاب اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، وكتاب رقم الحلل في تاريخ الدول،** وغير ذلك من الرسائل والأشعار.

ولما استرد **محمد الغني بالله** ملكه في **غرناطة** سنة 763هـ/1361م؛ استدعى **ابن الخطيب** وأتحفه بالرئاسة والوزارتين: السيف والقلم؛ بعد أن تغلب على منافسه شيخ الغزاة **عثمان بن أبي يحيى**؛ فوضعت بين يديه السلطات كلها؛ فاستبد بكل صغيرة وكبيرة. وكانت كفاءته، وقدراته الفائقة تشفع له، وتزكيه.

واستمر على ذلك الحال من سنة 764هـ/1362م إلى عام 772هـ/1370م. العام الذي فرّ فيه من **غرناطة**؛ وعبر

---

[1] التعريف بابن **خلدون**ورحلته غربا ً وشرقا ً: ص: 79.

البحر إلى عدوة **المغرب**؛ لاجئاً، وطالباً الحماية من سخط سلطانه **الغني بالله**.

وقد تعلل بزيارة تفقدية للثغور الغربية. ولما وصل إلى **جبل الفتح**؛ التابع **لبني مرين**؛ صرح برغبته في العبور إلى **المغرب**؛ متخلياً عن منصبه في الدولة، ومتنصلاً من مهامه التي أثقلت كاهله، ونابذاً الصراعات والمؤامرات المبرمة ضده في بلاط الدولة؛ طالباً للسلم والأمان.

ومع ذلك؛ فقد حاول الاعتذار إلى سلطانه بتقديم مسوغات لم تؤدي غرضها؛ وذلك من خلال خطابه الذي بعثه **للغني بالله**؛ مرفوقاً بقصيدة قال فيها:

بانـــوا فمن كان باكياً يبـــكي
هذي ركاب السرى بلا شك
فمن ظهور الركاب مُعملـــة
إلى بطون الرُّبَى إلى الفلـــك
تصدع الشمل مثلما انحذرت
إلى صبوبٍ جواهر السلـــك

من النوى قبل لم أزل حذراً
هذي النوى جلّ مالك الملك

((مولاي؛ كان الله لكم؛ وتولى أمركم. أسلم عليكم سلام الوداع، وأدعو الله في تيسير اللقاء والاجتماع؛ من بعد التفرق والانصداع؛ وأقرر لديكم أن الإنسان أسير الأقدار؛ مسلوب الاختيار، متقلب في حكم الخواطر والأفكار؛ وأنه لابد لكل أول من آخر، وأن التفرق لما لزم كل اثنين بموت أو في حياة، ولم يكن منه بد؛ كان خير أنواعه الواقعة بين الأحباب؛ ما وقع على الوجوه الجميلة البريئة من الشرور.

ويعلم مولاي حال عبده منذ وصل إليكم من المغرب بولدكم، ومقامه لديكم بحال قلق وقلعة؛ ولولا تعليلكم، ووعدكم، وارتقاب اللطائف في تقليب قلبكم، وقطع مراحل الأيام حريصاً على استكمال سنكم، ونهوض ولدكم، واضطلاعكم بأمركم، وتمكن هدنة وطنكم؛ ما تحمَّل في ذلك من ترك غرضه لغرضكم، وما

استقر بيده من عهودكم. وأن العبد الآن لما تسبب لكم في الهدنة من بعد الظهور، والعز، ونجح السعي؛ وتأتى لسنين كثيرة الصلح؛ ومن بعد أن لم يبق لكم **بالأندلس** مُشَغِّب من القرابة، وتحرك لمطالعة الثغور الغربية، وقرب من فرضة المجاز، واتصال الأرض ببلاد المشرق؛ طرقته الأفكار، وزعزعت صبره رياح الخواطر، وتذكر إشراف العمر على التمام، وعواقب الاستغراق، وسيرة الفضلاء، عند شمول البياض؛ فغلبته حال شديدة هزمت التعشق[1] بالشمل الجميع، والوطن المليح، والجاه الكبير، والسلطان القليل النظير. وعمل بمقتضى قوله: ((**موتوا قبل أن تموتوا**))[2].

ثم أضاف:

((فإن كان تصرفي صواباً، وجارياً على السداد؛ فلا يلام من أصاب؛ وإن كان عن حمق وفساد عقل؛ فلا يلام من اختل عقله، وفسد مزاجه؛ بل يعذر، ويشفق

---

[1] أي لزوم الشيء دون الانفصال أو مفارقة.

[2] يردّد المتصوفة هذا القول؛ على أنه حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ والمقصود منه هو: موتوا اختياراً بترك الشهوات؛ قبل أن تموتوا اضطراراً.

عليه ويرحم. وإن لم يعط مولاي حقه في العدل؛ وجلبت الذنوب، ونشرت بعدي العيوب؛ فحياؤه، وتناصفه؛ ينكر ذلك، ويستحضر الحسنات؛ من التربية والتعليم، وخدمة السلف، وتخليد الآثار، وتسمية الولد، وتلقيب السلطان، والإرشاد إلى الأعمال الصالحة، والمداخلة والملابسة؛ لم يتخلل ذلك قط؛ خيانة في مال، ولا سر، ولا غش في تدبير، ولا تعلق به عار، ولا كدره نقص، ولا حمله عليه خوف منكم، ولا طمع فيما بيدكم. وإن لم تكن هذه دواعي الرعي والوصلة والإبقاء؛ ففيم تكون بين بني آدم. وأنا قد رحلت فلا أوصيكم بمال؛ فهو أهون متروك، ولا بولد؛ فهم رجالكم وخدامكم؛ وممن يحرص مثلكم؛ على الإكثار منهم، ولا بعيال؛ فهي من مزيات بيتكم وخواص داركم؛ وإنما أوصيكم بكم؛ فارعوني فيكم خاصة، وأوصيكم بتقوى الله....)).

ويكمل فيقول:

((واعلموا أيضاً على جهة النصيحة. أن **ابن الخطيب** مشهور في كل قطر، وعند كل ملك، واعتقاده، وبره،

والسؤال عنه، وذكره بالجميل، والإذن في زيارته؛ نجابة منكم وسعة ذرع ودهاء. فإنما كان **ابن الخطيب** بوطنكم سحابة رحمة نزلت، ثم أقشعت؛ وتركت الأزاهر تفوح، والمحاسن تلوح. ومثاله معكم مثال المرضعة أرضعت السياسة، التدبير الميمون؛ ثم رقدتكم في مهد الصلح والأمان، وغطتكم بقناع العافية، وانصرفت إلى الحمام تغسل اللبن والوضر، وتعود؛ فإن وجدت الرضيع نائماً فحسن؛ أو قد انتبه؛ فلم تتركه إلا في حد الفطام))[1].

هذا هو **ابن الخطيب**؛ في شموخه واعتزازه بنفسه، في ولائه ووفائه، في ومروءته ونزاهته، في دهائه وحنكته. قدم كل من يملك من مواهب وخبرة لدولته؛ ولم يبخل عليها بنفسه ونفيسه؛ سنوات وسنوات؛ فلم يمل أو يستكين. ولما شعر بأن التيار أصبح لا يمر بالشكل المطلوب بينه وبين السلطان، وأن الثقة المتبادلة بينهما انتابها فتور ما؛ نتيجة لكيد الحاقدين عليه، واستعداد السلطان لسماع ما يبثه أعداؤه ومنتقدوه؛ فقد حول وجهه نحو جهة أخرى؛

[1] التعريف **بابن**خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص ص: 147 ـ 152.

جهة وجد فيها الابتسامة الطلقة، والحب الصريح، والإعجاب النزيه، والثقة المطلقة. وهكذا؛ تمرد **ابن الخطيب**، وكسر الطوق؛ بحثاً عن هواء صالح للاستنشاق، وأجواء مساعدة على الإبداع والإنتاج. وواضح أن السبب في ذلك كله؛ يرجع بعض العوامل؛ أهمها:

ـ **أولا**: إلى أن **ابن الخطيب** بدأ يضيق بدواليب الحكم المزعجة، وصراعات الزوايا المظلمة في البلاط **الغرناطي**.

ـ **وثانياً**: أخذ الإحساس بالعجز ينتابه؛ في مواجهة مؤامرات خصومه؛ مثل: مساعده الطموح **محمد بن يوسف** المعروف **بابن زمرك،** وقاضي الجماعة **بغرناطة**؛ **علي بن عبد الله النباهي**.

ـ **وثالثاً**: بدأ يشعر بأن وضعه الصحي أصبح لا يسمح له بمواصلة الأعمال المضنية والمثيرة في البلاط؛ وقد اشتكى حالته الصحية؛ عندما قال: أنه مصاب بالأرق؛ كما

تعجب من نفسه؛ كونه طبيباً؛ ولكنه عاجز عن مداواة نفسه.

المهم أنه وصل إلى **المغرب** لاجئاً وخائفاً من نقمة سلطانه؛ مستغلاً فرصة الوضع السياسي المتدهور بين **فاس وغرناطة** آنذاك. واستقبل **ابن الخطيب** من قبل السلطان **المريني عبد العزيز** بحفاوة وتكرمة. وسعى لدى سلطان **غرناطة** في استقدام عائلته الباقية هناك؛ فكان له ذلك.

ومع ذلك كله؛ لم تنطفئ نار الحقد ضده من قبل خصومه؛ فلفقوا له تهم الزندقة والإلحاد؛ وأشعلوا في مؤلفاته النار فأحرقوها؛ رغبة منهم في محو أثره وطمس ذكره. بل وتابعوه بتهمهم إلى **بلاد المغرب** نفسها؛ طالبين تنفيذ حكم الشرع فيه؛ بصفته ملحداً وزنديقاً. فردهم السلطان **عبد العزيز** خائبين؛ قائلاً لهم: ((هلاَّ أنفذتم فيه حكم الشرع وهو عندكم؛ وأنتم عالمون بما كان عليه))[1].

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 697.

ولكن وشاح الحماية انزاح عن **ابن الخطيب**؛ بعد موت السلطان **عبد العزيز** سنة 774هـ/1372م، وبعد الثورة التي وقعت سنة 776هـ/1374م ضد وزيره **أبي بكر ابن غازي** المستبد؛ الذي رفض ـ بدوره ـ مجاراة **غرناطة** في الانتقام من **ابن الخطيب**.

ويبدو أنه شعر بالضيق والخوف على مصيره في ظل الأوضاع الجديدة **بفاس**. فحاول مسك حبل النجاة عن طريق **تلمسان**؛ ولكن الأحداث سبقته، ولم يمهله خصومه؛ كي يجد مخرجاً لمحنته.

وخلال هذه الظروف الحرجة؛ بعث إلى سلطان **بني زيان؛ أبي حمو بتلمسان؛** بقصيدتين؛ لا تتباعدان زمنياً. فالقصيدة الأولى سينية الروي رائعة النظم والمبنى؛ يتبعها سجع بليغ. بعثها في أواخر سنة 775هـ/1373م. وقد أشار إليهما **يحيى بن خلدون** في كتابه: **بغية الرواد** في جزئه الثاني؛ حيث قال: ((وردت على الخليفة ـ أيده الله ـ من الفقيه الوزير المرحوم **أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب** رحمه الله؛ عند استشعاره المخافة من أهل **المغرب**

قصيدة سينية غراء، يعقبها سجع بليغ))[1]. ومطلع هذه القصيدة هكذا:

أطلَعْـــنَ في سُـــدَفِ الظّـــلاَمِ شموسَـــا
ضحـــك الظـــلامُ لها وكـــان عبوسَـــا

إلى أن يقول:

مـــا للحـــمى بعـــدَ الأحبَّـــةِ موحشـــاً
ولَكَـــمْ تـــراءى آهـــلاً مأنوسَـــا
ولِسِرْبِـــهِ حـــولَ الخَميلَـــةِ نافـــراً
عَمَّـــنْ يَحُـــسُّ بـــهِ وكـــان أنيسَـــا

ثم يضيف:

وإذا طـــغى فرعونُـــه فأنـــا الـــذي
مـــن ضُـــرّهِ وأذَاهُ عُـــذْتُ بمـــوسى
بحمى أبي حمّـــو حططـــتُ ركائـــبي
لمّـــا اختبـــرتُ اللَّيـــثَ والعرِّيسَـــا

أما القصيدة الثانية فهي ميمية الروي؛ وصلت إلى بلاط **أبي حمو** في أوائل سنة 776هـ/1374م. يلتمس **ابن**

---

[1] بغية الرواد، ج: 2، ص: 509.ووردت هذه القصيدة أيضاً في نفح الطيب؛

الخطيب ـ من خلالها ـ الشفاعة له عند **الغني بالله بغرناطة**. وقد أشار إلى ذلك **أبو زكرياء يحيى بن خلدون**؛ في الجزء الثاني من كتاب **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**؛ حيث قال[1] : ((وهناك؛ وصله[2] ـ أيضاً ـ من الفقيه الوزير المرحوم **أبي عبد الله محمد بن الخطيب** ـ برد الله ثراه؛ عندما اشتدت مخافته من **بني مرين**، وعيل اصطباره، وقلبت له دنياه ظهر مجنها ـ قصيدة غراء ميمية؛ في غرض الاستصراخ والاستشفاع؛ بمولانا أمير المسلمين **أبي حمو**؛ عند مولاه السلطان **الغني بالله أبي عبد الله محمد بن نصر**؛ أعزه الله؛ ثم عاجله الحال، ومات رحمه الله كيف قدر، و﴿ **إلى الله تصير الأمور** ﴾[3]. وقوله[4]:

وأما لــو علمنــا أنه ينطــق الرســم

ولم يبــق يومــاً من مسماه إلا اســمُ

---

[1] أنظر كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 2، ص ص: 534 ـ 547.

[2] يقصد أبا حمو.

[3] الآية كاملة هكذا: ﴿ **صِرَاطِ اللَّهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ** ﴾. سورة الشورى؛ الآية: 53.

[4] هذه القصيدة طويلة؛ نقتطف منها بعض المختارات.

إلى أن يقـول :

حمى ساحة الطبع العفيــف كمثل مــا
حمى ساحة الملك المنيف أبــو حمـــو

ومـــا هـــنّ في التحقيـــق إلاَّ صفاتـــه
بهـــنّ إلى إطرائــــه استطـــرد النظـــم

ومن مثلـــه قد اعجـــز الدَّهـــرَ مثلـــه
إذا ذكر العـــزم الصريح أو الحـــزم

ويضيـف :

أجـــل الملـــوك الصيد ذاتـــاً ومحتـــداً
فما فوقه مسمى لمن شـــاء أن يسمـــو

وفخر بني زيـــان يحضر إن خطـــوا
ويسرع إن أبطـــوا ويمضي إذا همـــوا

ثـم يقـول :

أمـــوسى لقد أمسى حديثك في الورى
صحائـــف تتـــلا ما لشائعهـــا كتـــم

على قـــدر ما جئـــت قومـــك عندمـــا
تناهـــت بها البؤسى وأجهدهـــا الأزم

طلعت لها في الجنح شمســاً منيــرة

فأشرقــت الأرجــاء وانفــرج الغــم

وجــددت فيهــا دولــة موسويـــة

سجيتهــا عــدل وشيمتهـــا حِلْـــم

ثـم يخلـص إلى غرضـه بقولـه :

جعلتــك مــرمى همــتي ومؤمــلا

لنيــل التي ما هــام في غيرهــا هــمٌّ

فوضــت رحلي عن بــلاد نبــا بهــا

مهــادي إلى حيث السلامــة والسلــمُ

وما كنت أخشى الجور في حكم جيرة

أجرتهــم فاعْتُــــدَّ ذلــك لي جـــــرمُ

أتيتهــم بالصبــح لكنهــم عمـــوا

وآذنتهــم بالنصــح لكنهــم صمـــوا

سأذكرهم حيــث احتللــت وإن نســوا

وأمدحهــم مهمــا قــدرت وإن ذمــوا

وأنـــت لهــا من بغيــة مطلــب بهــا

صروف الزمان نــال أنفي لها رغــم

ويضيف:

وقد حـط كوري في جـوار مثابـة
بهـا تكتـب الزلفى ويغتفـر الإثـم
وكان بحـج البيـت بـدءي وبعـده
بقصد رسـول اللـه يسـر لي ختـم
ولـم لا ينال السـؤال عندك قاصـد
ومثلـك مـن يخـط قاصـده غنـمُ

ولما استولى الثوار ـ المدعومين من قبل **غرناطة** ـ على الحكم في **فاس**؛ سعوا لتنفيذ الأحكام الصادرة من **غرناطة** ضد **ابن الخطيب**. وبالفعل قبض السلطان **المريني أبو العباس أحمد بن أبي سالم** على **ابن الخطيب** وأودع السجن؛ وكان ذلك بضغط وتحريض من قبل وزيره **سليمان بن داود**؛ الكاره **لابن الخطيب** والحاقد عليه. فاتفق مع **الغني بالله** على القبض عليه عند نجاحهم في الاستيلاء على الحكم. فسارع هذا الأخير إلى إرسال **ابن زمرك** وبعض خصوم **ابن الخطيب** إلى **فاس**؛ بهدف

محاكمته. فأحضر أمام السلطان، وعزر وعذب أمام الناس؛ ثم أودع السجن. ولكن نار الحقد لم تنطفئ في صدور خصومه؛ حيث تسللوا إلى السجن، وخنقوه حتى مات. وتقول المصادر أن فئة من **الأندلسيين** الوافدين إلى **المغرب** بهدف قتله؛ تسللوا إلى السجن - بتواطئ مع أعوان السلطة **المرينية** آنذاك - وخنقوه في سجنه. ودفن - لما مات - في مقبرة **باب المحروق**؛ ولكن أعداءه لم يرتح لهم خاطر، ولم تكفهم موتته البئيسة؛ بل سعوا إلى نبش قبره، واستخراج جثته وحرقها؛ حتى اسودت، واحترق شعر رأسه. فأعاد بعض الخيرين الجثة - مرة أخرى - إلى القبر؛ قبل أن تحترق كلية. كل هذا حدث في ربيع الثاني من سنة 776هـ/1374م.

وفي ذلك يقول **ابن خلدون**[1]: ((وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها **سليمان**[2]، واعتدوها من هناته؛ وعظم النكير فيها عليه، وعلى قومه، وأهل دولته؛ والله

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 709 ـ 710.

[2] يقصد سليمان بن داود وزير السلطان المريني أنئذ؛ ينسبه ابن خلدون إلى أعراب بني عسكر.

الفعال لما يريد. وكان ـ عفا الله عنه ؛ أيام امتحانه بالسجن ـ يتوقع مصيبة الموت ؛ فتجيش هواتفه لشعر يبكي نفسه. ومما قال في ذلك:

بعدنـــا وإن جاورتنـــا البيــوت
وجئنـــا لوعـــد ونحن صمـــوت
وأنفاسنـــا سكنـــــت دفعـــــة
كجهـــر الصلاة تـــلاه القنـــوت
وكنا عظامـــا فصرنـــا عظامـــا
وكنـــا نقـــوت فهـــا نحن قـــوت
وكنـــا شمـــوس سمـــاء العـــلا
غربـــن فباحت علينا السمـــوت
فكـــم جدلت ذا الحســـام الظبـــا
وذو البخت كم خذلتـــه البخـــوت
وكم سيـــق للقبـــر مـــن خرقـــة
فتى ملئـــت من كساه التخـــوت
فقل للعـــدا ذهب ابن الخطيـــب
وفـــات فمن ذا الذي لا يفـــوت

ومن كـــان يفـــرح منهـــم لـــه
فقـــل يفرح اليوم من لا يمـــوت

وذكره **أبو العباس أحمد بن الحسين** الشهير **بابن القنفذ القسنطيني** في كتاب **الوفيات** فقال: ((توفي شهيداً بمدينة **فاس** شيخنا الفقيه الكاتب الشهير **أبو عبد الله لسان الدين محمد بن الخطيب الغرناطي**))[1].

***

ـ مكانة ابن الخطيب العلمية والأدبية:

وتتجلى شهرة **ابن الخطيب** وقدرته الفائقة في ميدان الكتابة ونظم الشعر من خلال روائعه وأعماله الفذة الذائعة الصيت. كما أن كبار العلماء والأدباء يقرون بتفوقه في ميادين النظم والنثر.

فهذا العلامة **عبد الرحمن بن خلدون** يقول فيه بكل صدق ونزاهة: ((وكان الوزير **ابن الخطيب** آية من آيات الله في: النظم، والنثر، والمعارف، والأدب؛ لا يُسَاجَلُ

[1] كتاب الوفيات: ص: 370.

مَدَاه، ولا يُهْتَدَى فيها بمثل مداه))[1]. وقال أيضاً: ((وكان له في اللسان ملكة لا تدرك))[2]. وأضاف: ((وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة))[3]. ثم قال: ((ونبغ في الشعر والترسل بحيث لا يجارى فيهما، وامتدح السلطان **أبا الحجاج** من ملوك **بني الأحمر** لعصره؛ وملأ الدولة بمدائحه، وانتشرت في الآفاق... وصدرت عنه غرائب من الترسل في مكاتبات جيرانهم من ملوك **العدوة**))[4].

وقال فيه **محمد بن أحمد المقري** صاحب كتاب **"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"**: ((إذ هو ـ أعني **لسان الدين** ـ فارس النظم والنثر في ذلك العصر، والمفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر؛ وكيف لا ؟ ونظمه لم تستول على مثله أيدي الهصر؛ ونثره تزري صورته بالخريدة ودمية القصر))[5]. وكما هو واضح من عنوان الكتاب؛ فقد كتب

---

[1] **التعريف** بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً: ص: 155.
[2] المقدمة، ج: 4، ص: 1404.
[3] نفسه، ص: 1425.
[4] العبر، مج: 7، ص ص: 689 ـ 690.
[5] نفح الطيب؛ مج: 1، ص: 70.

أساساً من أجل التعريف **بابن الخطيب**، وتقديم أدبه: نظماً ونثراً إلى العلماء والأدباء **بالمشرق**.

ويشيد به أيضاً صاحب كتاب **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**؛ الأمير **إسماعيل بن يوسف بن الأحمر**؛ فيقول: ((شاعر الدنيا، وعلم المفرد والثُّنيا، وكاتب الأرض إلى يوم العرض. لا يدافع مدحه في الكتب، ولا يجنح فيه إلى العتب، آخر من تقدم في الماضي... صاحب القصبة؛ للبراعة باليراعة. وبه أسكت صائلهم، وما حمدت بكرهم وأصائلهم؛ للجزالة المشربة بالحلاوة؛ المكنة من مفاصل الطلاوة. وهو نفيس العدوتين، ورئيس الدولتين؛ بالإطلاع على العلوم العقلية، والامتناع بالفهوم النقلية))[1].

كما أنه ترك أثراً محموداً في التراث الأدبي والفكري **الأندلسي** إلى يومنا هذا. فعرف الدنيا بذلك التراث، وأثرى معينه وحلاه بالصور الشعرية الخلابة، والمعاني النبيلة الفتانة، والأسلوب السلس الرفيع. **فابن الخطيب** لم يترك

[1] ص: 243.

غرضاً من أغراض الكتابة إلاّ وعالجه بمنتهى الجودة والإتقان. كتب النثر بأوجهه كلها، ونظم الشعر بشتى الأشكال. فتفوق في السجع كتفوقه في الترسل؛ لم يسقط في هنات السجع ورتابته الساذجة؛ ولم يفلت منه عنان الترسل عن سياق الجودة والفن الجميل. كتب الشعر بروح عصره؛ الذي امتد أثره إلى هذا العصر. جال وسبح في بحور الشعر كلها؛ من طويله إلى رجزه. وعالج الأغراض كلها؛ من نسيب وغزل، إلى المديح والإطراء، إلى الرثاء والبكاء، ثم العتاب والهجاء، فالحماسة وتمجيد اللقاء، وبعدها التصوف والزهد، والمدائح النبوية...إلخ من الأغراض الفنية. وإلى جانب ذلك فقد نظم في بحر الرجز مواضيع: تاريخية وعلمية والطبية وسياسية وغيره. ولم يتناسى ما ابتكره أهل بلده **الأندلس** من مخمسات، وأزجال، وتواشيح؛ إذ أبحر في بحار الزجل الشعبي المؤثر، ورمى بدلوه في المبتكرات المتنوعة؛ فاستخرج العجب العجاب. وعليه؛ فيمكن القول: أن **ابن الخطيب** احتل المركز الأول في المطولات والمقطوعات والأزجال

والموشحات؛ فقد تربع على عرش الجودة في ميادين الإبداع الأدبي؛ فهو صاحب الموشح الذائع الصيت القائل:

جادك الغيـــث إذا الغيث همـــا

يا زمـــان الوصـــل بالأندلـــس

لـــم يكـــن وصلـــك إلا حلمـــا

في الكرى أو خلسة المختلـــس

***

إذ يقود الدهـــر أشتات المـــنى

ينقل الخطـــو على مـــا يرســـم

زمـــراً بيـــن فـــــرادا وثنـــا

مثلما يدعـــو الوفـــود الموســـم

والحيـــا قد جلل الروض سنـــا

فثغـــور الزهـــر منـــه تبســـم

***

وروى النعمان عن ماء السمـــا

كيف يروي مالـــك عن أنـــس

فكســـاه الحسن ثوبـــا معلمـــا

يزدهي منـــه بأبـــهى ملبـــس

***

وهذا الموشح طويل؛ نقله **ابن خلدون** في مقدمته كاملاً؛ كما نقله بالكامل ـ أيضاً ـ **المقري** في كتاب نفح الطيب[1].

وأشار **محمد عبد الله عنان** ـ في تقديمه لكتاب الإحاطة ـ إلى الأثر الحميد الذي تركه أدب **لسان الدين محمد بن الخطيب** لدى النقاد **الغربيين**؛ واستشهد بآراء بعض المستشرقين؛ مثل: **مورينو نييتو Moreno Nieto** الذي قال عن **ابن الخطيب**: ((لا يوجد في تاريخ **غرناطة** الأدبي؛ ما يمكن أن يقارن بهذا الكاتب الخصب؛ فقد كانت معارفه العلمية عظيمة؛ وقلما حظي أسلوب كاتب مثله؛ بما حظي به أسلوبه؛ من البلاغة والرشاقة؛ حسبما يقول **ابن خلدون**. وقد برع بالأخص في علم السياسة وفي

---

[1] أنظر المقدمة، ج: 4، ص ص: 1456 ـ 1459. ونفح الطيب، مج: 7، ص ص: 11 ـ 14.

التاريخ. وقد شهد حوادث تاريخية ؛ لعب فيها دوراً كبيراً. وكان ـ مدى أعوام طويلة ـ أميناً ومستشاراً لملك ؛ قابل خدماته بجحود مطبق)). ((وإن تاريخ **غرناطة** ـ حتى عصره ـ ليعرف بالأخص من مؤلفاته ؛ بطريقة أتم وأكمل من أي عصر آخر من تاريخ **الأندلس**)). ((ويعتبر تاريخه للدولة **النصرية**، وكتابه الإحاطة ـ دائماً ـ بين أعجب آثار الأدب الإسلامي)). ((ومنذ وفاة **ابن الخطيب** ؛ يخبو وينهار صرح العلوم في **الأندلس**)).

أما المستشرق **سيمونيت** **Simonet** ؛ فيصف **ابن الخطيب** بكونه: ((أمير الأدب **الأندلسي الغرناطي**)) ؛ ويقول أنه عالم وفيلسوف ومستشار ملك **غرناطة** ؛ وأن شهرته وصلت إلى بلاط **قشتالة** ؛ حيث كان يعرف باسم **بابن خطين** **Benhatin**. ثم يضيف: ((أن **ابن الخطيب** قد ترك لنا آثاراً كثيرة ؛ في: النثر، والشعر، والتاريخ، والجغرافيا والرحلات، والبلاغة، والشريعة، والعلوم، والأخلاق، والدين، والنبات، والطب، والبيطرة،

والموسيقى، والفن الحربي، والسياسة؛ وكلها غنية في الابتكار والتعمق والرشاقة)).

وخص المستشرق **كونثالث بالنسيا G. Palencia ابن الخطيب** بترجمة جيدة في الكتاب الذي عنونه بتاريخ الأدب **العربي الإسباني**. قال في تلك الترجمة: ((إن تاريخ القرن الرابع عشر يبلغ الذروة بإسمين عظيمين؛ هما: **ابن الخطيب**؛ المؤرخ الأنيق، والسياسي والأديب، **وابن خلدون** منشئ فلسفة التاريخ)). ويضيف: ((إن سائر الكتب ـ في هذا القرن ـ تبهرها شخصية **لسان الدين ابن الخطيب** العظيمة وابن **لوشة**. وقد تعلم في **غرناطة**، وأبدى شغفاً كبيراً بالعلوم الطبية، والفلسفية؛ التي تلقاها عن الطبيب الشهير **يحيى بن هذيل**. وقد برع في الشعر، وتربع فوق دست الآداب العربية)).

***

ـ مؤلفات ابن الخطيب:

يمكن القول أن **لسان الدين** خلق للكتابة والكتابة خلقت له. فقليل هم الذين تميزوا بهذه العطية الإلهية؛ وليس كثيراً ـ بين الكتاب ـ من كانت لهم هذه الغزارة في الإنتاج مع الجودة والإتقان وفي الإبداع. فإن خاض في عباب النثر شق طريقة ببراعة متناهية، وسبق غيره في الوصول إلى الغرض المتوخى. وإن حلق في أجواء النظم توغل في فضائه واستحوذ على فنون الخيال والعاطفة المتناهية الروعة.

لقد احتل **ابن الخطيب** المركز الأول بين شعراء وكتاب **الأندلس** في عصره؛ ولم يجاريه أي كاتب، ولم يسبق قلمه قلم. فعلى الرغم من انشغالاته الوظيفية والسياسية، وأعباء الحكم، وتسيير شئون الدولة **النصرية**؛ فإنه تمكن من أنجاز عشرات الكتب والرسائل؛ يصل عددها ـ كما قال **المقري** ـ إلى الستين مؤلفاً[1]؛ وربما أكثر؛ عالج فيها شتى الأساليب الأدبية: نثراً ونظماً؛ كما تناول

[1] نفح الطيب، ج: 7، ص: 97.

فيها أيضاً مختلف ميادين العلم والمعرفة؛ مثل: الأدب، والتاريخ، والجغرافيا، والتصوف، والأخلاق، والسياسة، والطب، والصيدلة، والبيطرة، والبيزرة، وعلوم الدين والشريعة، والموسيقى، والفلاحة.. إلخ. ومن مؤلفاته التي وصلت إلينا، أو التي عرفت عناوينها وظلت مفقودة:

1 ـ كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة: ويعتبر ـ حتى الآن ـ هذا الكتاب أهم ما ألف **ابن الخطيب**؛ لما يشتمل عليه من معلومات حول **الأندلس** خصوصاً وبلاد **المغرب** عموماً. فهو عبارة عن موسوعة ضخمة تدرس جوانب عديدة في بلاد **الأندلس** ومدينة **غرناطة**.

ولكتاب الإحاطة عناوين عديدة؛ لا يعلم أحد إن كان تغيير العناوين تم بواسطة المؤلف نفسه، أو نتيجة لتصرف الناسخين؛ ومن تلك العناوين: ((الإحاطة في أخبار **غرناطة**))، و((الإحاطة في تاريخ **غرناطة**))، و((الإحاطة بتاريخ **غرناطة**))، و((الإحاطة بما تيسر من تاريخ **غرناطة**)). و((تاريخ **غرناطة**))، وربما ((الإماطة عن وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ **غرناطة**)). وقال مرة

أنه صنف الإحاطة في سبعة أسفار[1]، ومرة قال أنه صنفها في تسعة أسفار[2]. ومرة ثالثة قال أنها في اثني عشر سفراً[3]. كما وردت إشارات عديدة إلى أن ما وصل إلينا هو مختصر لكتاب الإحاطة ؛ وليس الكتاب بكامله.

ويبدو أن هذا الكتاب حظي بسعة الانتشار منذ القدم ؛ ويدل على ذلك تواجد نسخ مخطوطة منه في جهات عديدة من البلدان ؛ موزعين على مكتبات عامة وخاصة. ومع ذلك ؛ لم يجد من ينفض عنه غبار الزمن ـ في عصرنا ـ سوى الأستاذ الجليل، والباحث القدير **محمد عبد الله عنان**. لقد استخرج هذا الأستاذ الباحث العظيم كنوز هذا الكتاب، ولملمها بعد تفرقها، ونظمها في عقد واحد ؛ مرصع بدرر الماضي البهيج. لقد جمع شتات الكتاب من مكتبات عديدة في **تونس والمغرب الأقصى وإسبانيا** ؛ ثم نسق معلوماته ضمن مجموعة واحدة كاملة ؛ قدمها إلى القراء على طبق من ذهب.

---

[1] ريحانة الكتاب؛ الجزء الثاني.

[2] الإحاطة؛ المجلد الرابع.

[3] ريحانة الكتاب؛ الجزء الأول.

وقام ـ في **لبنان** ـ الدكتور **يوسف علي طويل** بمراجعة كتاب **عنان** وضبطه والتعليق عليه؛ ونشره دون أن يشير إلى سلفه بشيء يذكر.

وعليه؛ سينشر ـ بعون الله ـ هذا الكتاب برعاية وزارة الثقافة **الجزائرية**؛ في نسخة جديدة؛ بتعليق ومراجعة صاحب هذه المقدمة.

وقد اتضح أن هذا الكتاب؛ يحتاج إلى صقل وبلورة؛ حتى يقدم ـ من جديد ـ في ثوب مغاير ومشرق يساير الحداثة؛ بحيث يبعث في القارئ نفحة التشويق؛ كي يتغلب على ما يبدو فيه من صعوبة في الأسلوب الأدبي، وما قد يبدو فيه من غريب الألفاظ والصياغة. خاصة؛ وأن كتاباً كهذا لا يمكن الاستغناء عنه، ولا يمكن تجاهله في السعي لتربية وتعليم النشء الحالي.

وكتاب الإحاطة يتناول فيه **ابن الخطيب** وصف جغرافية **غرناطة**، والتعريف بمعالمها الطبيعية والعمرانية، ومواردها الفلاحية والاقتصادية، ومروجها الفياحة الغنية، وبساتينها المثمرة الخضراء، وأنهارها الفياضة، ومياهها

الرقراقة، وجبالها الثلجية الشاهقة، وخطط أحياء المدينة المتماسكة الجميلة، وقصبتها الحصينة الأمينة. ثم يتطرق لأخبارها السالفة وتاريخ نشأتها، ويشير إلى ماضيها، وحاضرها في زمنه، وأحوال سكانها منذ تأسيسها. وبعدها يتكلم عن المدن والقرى المحيطة **بغرناطة**؛ والمدن التابعة لتلك المملكة؛ مع قياسها بخط العرض جغرافياً، ومقابلتها بمدن العالم آنذاك. ولا يغفل عن أي كبيرة أو صغيرة إلا ويذكرها؛ حتى الحشائش والأعشاب البرية يتكلم عنها ويصفها. كما أنه وضع قائمة بأسماء القبائل **العربية والأمازيغية** المتواجدة في **غرناطة** ومحيطها.

كل هذا سجله **ابن الخطيب** في القسم الأول؛ ضمن باب سمّاه: ((**في حُلِي المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن**)). وهو مقسم إلى فصول عديدة.

أما القسم الثاني من الإحاطة؛ فعنوانه: ((**في حُلِي الزائر والقاطن والمتحرك والساكن**)). وفي هذا القسم يشرع **لسان الدين** في التعريف بعدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء والأعيان والأمراء والملوك الذين مروا **بغرناطة** أو

سكنوها. هذا ؛ وقد وصلت تراجم الشخصيات المذكورة في الإحاطة ؛ زهاء خمسمائة ترجمة ؛ مشتملة على معلومات بخصوص أصولهم وأولويتهم، وحالتهم، وشيوخهم وتلاميذهم، ومؤلفاتهم، وشعرهم، ونثرهم، وتاريخ دخولهم وتواجدهم **بغرناطة،** وحتى المحنة التي تعرضوا إليها إن حصلت.

ويشير **ابن الخطيب** في هذا الكتاب ـ أيضاً أثناء تراجم سلاطين **غرناطة** ـ إلى الملوك المعاصرين لهم في**: قشتالة وأراغون، وفاس وتلمسان وإفريقية.** وقد حاول أن يلتزم في ترتيب التراجم أبجدياً حسب ما يرتب عليه القاموس ؛ ولكنه لم يلتزم الدقة المطلوبة.

وقد استعان **لسان الدين** في تأليف الإحاطة بمجوعة كبيرة من المراجع التاريخية والأدبية ؛ التي ذَكَرَ بعضَها في بداية الكتاب، وأشار إلى بعضها الآخر الواردة في نصوص مختلفة. منها: كتاب افتتاح **الأندلس لأبي بكر محمد بن عمر** المعروف **بابن القوطية**، وكتابا **أحمد بن محمد بن موسى الرازي**: أخبار ملوك **الأندلس**، والاستيعاب في

أنساب أهل **الأندلس**، والمقتبس في أنباء أهل **الأندلس لأبي مروان حيان بن خلف** المعروف **بابن حيان**، وقلائد العقيان في محاسن الأعيان **للفتح بن محمد الإشبيلي** المعروف **بابن خاقان**، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة **لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني**، وتاريخ **مالقة لأبي عبد الله بن عسكر**، والبيان المغرب في أخبار **الأندلس والمغرب لابن عذاري محمد المراكشي**، والأنيس المطرب بروض القرطاس **لعلي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي**، والأنوار الجلية في تاريخ الدولة **المرابطية لأبي بكر الصيرفي** الشهير **بابن الصيرفي**، وتاريخ علماء **إلبيرة لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحي**، وتاريخ قومه وقرابته **لأبي جعفر أحمد بن مسعدة**، والقدح المُعلَّى في التاريخ المحلى، والطالع السعيد في تاريخ **بني سعيد لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي**، والحلة سيراء في أشعار الأمراء **لأبي عبد الله محمد بن الأبار**، وكتاب الصلة **لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال**، وكتاب صلة الصلة **لأبي جعفر أحمد بن الزبير**، وكتاب

الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة **لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي**.

على أن أهم محرك قد يكون أنهض همة **ابن الخطيب**، وأثار رغبته إلى تأليف كتاب الإحاطة؛ هو **أبو عبد الله محمد بن جزي الغرناطي**[1]؛ الذي شرع في كتابة كتاب عن تاريخ **غرناطة**؛ ولكنه لم يكمله إذ توفي قبل إكمال عمله. وقد ذكره **ابن الخطيب** في ترجمته؛ فقال: أنه اطلع على ما كتبه **ابن جزي**، وأعجبه: ((أخبرني عند لقائه إياي بمدينة **فاس** في غرض رسالة عام خمس وخمسين وسبعماية؛ أنه شرع في تأليف تاريخ **غرناطة**؛ ذاهباً هذا المذهب الذي انتدبت إليه؛ ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاعه. وقيد بخطه من الأجزاء الحديثة والفوايد والأشعار ما يفوت الوصف، ويفوق الحد))[2].

تلك هي مصادره ومراجعه كلها؛ بالإضافة إلى مؤلفاته الخاصة؛ مثل: عائد الصلة، وطرفة العصر في دولة **بني نصر**، واللمحة البدرية في الدولة **النصرية**،

---

[1] انظر نفح الطيب، ج: 7، ص: 107. نقلاً عن ابن الأحمر.
[2] الإحاطة؛ تحقيق عنان؛ مج: 2، ص: 257.

ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب، والكتيبة الكامنة في من لقيناه **بالأندلس** من شعراء المائة الثامنة، والتاج المحلى في مساجلة القدح المعلى، وغيره من الأعمال المختلفة التي يشير إليها بين الحين والآخر في صلب الكتاب.

أما تاريخ الشروع في تأليف الإحاطة؛ فيبدو أنه بدأه في أوائله قبل سنة 761هـ/1359م؛ السنة التي خلع فيها سلطانه **محمد الغني بالله**؛ حيث عزل بعده؛ وسجن؛ ثم أطلق سراحه بشفاعة السلطان **المريني أبي سالم**؛ أين التحق **بالمغرب**. وبعد عودته إلى الخدمة سنة 763هـ/1361م؛ حين استعاد السلطان الغني بالله الحكم في **غرناطة؛** شرع في استكمال مشروعه العلمي؛ المتمثل في كتاب الإحاطة؛ حيث ختمه ـ مبدئياً ـ في سنة 769هـ/1367م. وهذا ما أكده بنفسه في رسالة بعث بها لصديقه **ابن خلدون**؛ في 2 جمادى الأولى من عام 769هـ؛ حيث ذكر له أنه ألف كتاب روضة التعريف بالحب الشريف، وكتاب ((تاريخ **غرناطة**))؛ وأرسلهما إلى **المشرق** مع تآليف أخرى له[1].

---

[1] التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص: 121.

ومع هذا، فقد ظل **ابن الخطيب** يراجع وينقح الإحاطة بين الحين والآخر؛ إلى سنة 772هـ/1370م. وأول ما يستحق الملاحظة؛ أن العنوان لم يعد ((تاريخ **غرناطة**)) كما ذكر **لابن خلدون**؛ إذ أصبح ((الإحاطة بتاريخ **غرناطة**))، أو ((الإحاطة في أخبار **غرناطة**))، وغيره.

والأمر الثاني؛ أنه أورد تواريخ متقدمة عن التاريخ الأول المذكور في بعض التراجم؛ التي يبدو أنه أضافها أو نقحها. مثل قوله: ((وهو الآن بقيد الحياة؛ وذلك ثاني عشر شعبان سنة سبعين وسبعمائة))؛ وهذا في الترجمة الخاصة **بأحمد بن خاتمة**. كما يقول واصفاً الحالة التي عليها جيش **المسلمين** في عهد **الغني بالله**؛ قائلاً أنهم واصلوا زحفهم نحو **إشبيلية**؛ وذلك في ربيع الأول من سنة 771هـ/1369م.

2 ـ كتاب إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام: وله عنوان آخر هو: **كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام.**

والنسخ المخطوطة من هذا الكتاب موجودة في عدد من المكتبات ؛ **بالمغرب الأقصى، والجزائر، ومدريد.**

قام المستشرق **ليفي بروفنسال** بنشر الجزء الثاني ؛ المخصص **للأندلس**. كما تولى تحقيق ونشر الجزء الخاص بشمال إفريقيا: **أحمد العبادي ومحمد الكتاني في الدار البيضاء**؛ غير أنهما لم يطلعا على مخطوط المكتبة الوطنية **الجزائرية**، واكتفيا بمخطوط الخزانة العامة **بالرباط**. أما مخطوط **الجزائر** فقد حققه الدكتور **الشريف مريبعي؛** الأستاذ بالجامعة **الجزائرية** ؛ وسينشر ضمن هذه السلسلة.

أما الجزء الأول المخصص **للمشرق**؛ فقد بقي مدة طويلة ؛ على رفوف الإهمال ؛ إلى أن قام **السيد كسروي** بتحقيق الجزء الأول ؛ المتعلق بتاريخ المشرق الإسلامي، والجزء الثاني الخاص بتاريخ **إسبانية** ؛ وطبعهما في جزأين.

وقد تكفل ـ بعون الله ـ الدكتور **لَعْبَيْدي بوعبد الله** من جامعة **البليدة بالجزائر** بتحقيق الأقسام الخاصة **بالمشرق والأندلس** بالكامل؛ وستنشر ضمن هذه السلسلة؛ في ثلاثة أجزاء.

والغريب أن بعض دور النشر ـ في **المشرق** ـ قامت بطبع الجزأين الأولين: (الخاص **بالمشرق**، والخاص **بالأندلس**) من كتاب إعمال الأعلام؛ في طبعة تجارية: ونسبت تأليفه ـ خطأ ـ إلى **ابن سعيد الأندلسي.** حيث ذكر في صفحة العنوان ما يلي: ((أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام 2/1 جزء. المؤلف **ابن سعيد الغرناطي الأندلسي**. الناشر دار الكتب العلمية. سنة النشر 2003)). وهذا بعيد عن الصحة، ويفتقر للتحقيق والدقة.

يمكن اعتبار كتاب إعمال الأعلام في المرتبة الثانية ـ بعد كتاب الإحاطة ـ من سلسلة الكتب التاريخية **للسان الدين**. كما يعتبر آخر العنقود من مؤلفاته كلها. كتبه في **المغرب** في أخريات أيامه؛ عندما كان لاجئاً بتلك الديار.

وتأليف هذا الكتاب لم يكن نتيجة لدافع ذاتي من **ابن الخطيب**؛ بل تم ذلك بتكليف من الوزير المستبد بالدولة **المرينية أبي بكر بن غازي بن الكاس.**

حدث ذلك حين أراد الوزير المذكور تنصيب **أبي زيان محمد** ابن السلطان **عبد العزيز**؛ بعد وفاته؛ في سدة الحكم؛ وكان صبياً؛ لم يبلغ الحلم بعد؛ فاعترض أعيان الدولة على ذلك؛ بحجة أنه صغير السن. فسأل **ابن غازي ابن الخطيب**؛ إن كان ذلك قد حدث في دول الإسلام؛ فقال له؛ نعم حدث الكثير منه.

ومنذئذ؛ شرع في جمع المادة التاريخية المؤيدة لرأيه هذا. فوجد أنه أضحى كتاباً تاريخياً شاملاً؛ فاستمر في كتابته على ذلك المنوال؛ ولكنه توسع في سرد أحداث لا علاقة لها بالعنوان في بدايته؛ لذا عمل على إضافة عبارة ((**وما يتعلق بذلك من الكلام**))؛ ليصبح تاريخاً عاماً.

عندئذ؛ انساق إلى تصنيفه على فترات زمنية ومكانية معينة. فخصص الجزء الأول لأحداث **المشرق الإسلامي**؛ انطلاقاً من السيرة النبوية، ثم الجزء الثاني؛ الذي يتناول الأحداث التاريخية الجارية في **الأندلس**؛ بدءاً بقيام **الدولة الأموية** في تلك الديار؛ إلى عهد **الغني بالله** سلطان **الدولة النصرية بغرناطة**، أما الجزء الثالث؛ فيبحث في تاريخ

الدول القائمة **ببلاد إفريقيا الشمالية**؛ ولكنه لم يكتمل؛ بسبب ما حدث له، ووفاته؛ إذ انتهى به الحال؛ عند سقوط **دولة المرابطين** وظهور بوادر **الدولة الموحدية**.

3 ـ كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية: توجد نسخ مخطوطة من هذا الكتاب في خزائن **المغرب وإسبانيا وبريطانيا**. وهذا الكتاب عبارة عن ملخص لتاريخ **دولة بني الأحمر النصرية**. بدءاً بقيامها على يد **أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس ابن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري؛** وحتى عهد **محمد الغني بالله**؛ وبالتحديد إلى سنة 765هـ/1363م.

وجد هذا الكتاب ـ مؤخراً ـ بعض العناية من قبل المهتمين بتاريخ الأندلس؛ إذ نشر مرات عديدة في طبعات تجارية؛ كما وجد من يحققه وينشره؛ مثل: الأستاذ **محب الدين الخطيب**، والدكتور **محمد زينهم**، وغيرهما.

وأخيراً؛ قام الأستاذ **محمد شايب شريف** ـ من **الجزائر** ـ بضبط وتقديم ومراجعة كتاب اللمحة البدرية، وسينشر ـ إن شاء الله ـ ضمن هذه السلسلة.

والمهم؛ في هذا الكتاب أيضاً؛ أنه يؤرخ لمدينة **غرناطة**؛ إذ يتكلم عن أوليتها وتاريخ نشأتها، والملوك والأمراء الذين عاشوا فيها؛ والتنوع السكاني الذي تتميز به، ثم مواردها الاقتصادية والفلاحية، وسهولها الفياحة، ومروجها الخضراء، وجبالها وأنهارها وثرواتها وأرباضها.. إلخ.

4 ـ كتاب رقم الحلل في نظم الدول: النسخ المخطوطة لهذا الكتاب موزعة بين دول عديدة؛ منها: **المغرب الأقصى، وتونس، ومصر، وبريطانيا، وإسبانيا**. ولهذا الكتاب عناوين أخرى؛ منها: ((الحلل المرقومة))، ((قطع السلوك))؛ ولا يعرف من تصرف في هذه الأسماء.

وقد تم طبع قسم من هذا الكتاب ـ دون تحقيق ـ في **تونس** سنة 1316هـ/1898م. كما أعيد نشره ـ هكذا في طبعة تجارية ـ **بلبنان**. وتولى ـ في **الجزائر** ـ الأستاذ **مصطفى فرحات** بضبط وتقديم ومراجعة هذا الكتاب. وسينشر ـ بعون الله ضمن هذه العمل.

وهذا الكتاب عبارة عن تسجيل للأحداث التاريخية ؛ منظومة في بحر الزجل ؛ انطلاقاً بسيرة **رسول الله** صلى الله عليه وسلم، ثم الدولة **الأموية** فالدولة **العباسية**. وبعدها انتقل إلى ملوك **المغرب والأندلس**؛ بدءاً **ببني الأغلب**، ثم **الفاطميين**، **وبني أمية بالأندلس**، **فملوك الطوائف** بتلك الديار، ثم انتقل إلى **المرابطين**، **فالموحدين**، وبعدها تكلم عن **بني أبي حفص بإفريقية**، **فبني زيان بتلمسان**، ثم **بني مرين بفاس**، **فبني الأحمر بغرناطة**.

ولم يكتف **ابن الخطيب** بما قدمه من منظوم لتلك الأحداث ؛ بل قام بشرح كل فصل نثراً ؛ حتى يتسنى للناس كافة ؛ استيعاب محتوى الكتاب.

5 ـ نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: ألف ابن الخطيب

هذا الكتاب في أجزاء ثلاثة ؛ وربما أربعة حسب بعض الأقوال. ومع هذا ؛ لم يصلنا منه سوى جزأين: الثاني والثالث ؛ بينما ظل ما تبقى مفقوداً. لعل الأيام تكشف أحواله.

أما النسخ المعروفة؛ فتتواجد في **المغرب الأقصى وإسبانيا**؛ حيث تمتلك **مكتبة الإسكوريال** نسخة مخطوطة فريدة من الجزء الثاني؛ مسجلة تحت رقم: 1750 الغزيري (1775 ديرنبور). ومن حسن الحظ؛ أن الدكتور **أحمد مختار العبادي**؛ استخرج هذا الجزء، وحققه، ونشره في **القاهرة** سنة 1969م. وقد قام ـ من **الجزائر** ـ الأستاذ **عبد الرحمن حامادو** بضبط ومراجعة وتقديم هذا الكتاب؛ الذي سينشر ضمن هذا العمل.

ويمكن اعتبار كتاب نفاضة الجراب كمذكرات خاصة؛ كتبها **ابن الخطيب**؛ أثناء إقامته **بالمغرب الأقصى**؛ إذ يتناول الجزء الثاني من هذا الكتاب؛ معلومات حول الرحلة التي قام بها **ابن الخطيب** في بعض عمالات **المغرب الأقصى**، كما سجل فيه أخباره خلال إقامته في مدينة **سلا**؛ بالإضافة إلى بعض الرسائل التي بعثها **ابن الخطيب** إلى السلطان **أبي سالم المريني**؛ مع بعض القصائد والرسائل الأخرى متنوعة؛ كما أشار إلى ما ألفه من كتب في تلك الفترة.

ذلك هو الجزء الثاني ؛ أما الجزء الثالث ؛ فتوجد منه نسخة فريدة أيضاً في الخزانة العامة **بالرباط** ؛ مسجلة تحت رقم: 256 ك (المكتبة الكتانية). وهذا الجزء؛ يتناول فيه **ابن الخطيب** أخبار عودته إلى **الأندلس**؛ وما قام به السلطان **الغني بالله** ؛ في سبيل استرجاع ملكه انطلاقاً من مدينة **رندة**. كما أثبت **ابن الخطيب** ـ في الجزء الثالث هذا ـ بعض الرسائل التي كتبها على لسان السلطان **الغني بالله** ؛ موجهة إلى بعض السلاطين ؛ منها رسالة إلى سلطان **مصر المنصور بن الناصر قلاوون**؛ بالإضافة إلى رسائل أخر خاصة به. ورسالة من صديقه **ابن خاتمة**؛ ينصحه فيها بالصبر، وعدم ترك **غرناطة**.

6 ـ خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف: توجد من هذه الرسالة نسخة مخطوطة في **الإسكوريال** مع المخطوط رقم: 470 الغزيري. كما توجد نسخة أخرى في الخزانة العامة **بالرباط**. وهي عبارة عن معلومات حول رحلة تفقدية ؛ قام بها السلطان **أبي الحجاج** إلى بعض مدن المملكة ؛ سجلها **ابن الخطيب** سنة 748هـ/1347م ؛ بأسلوب السجع ؛ ولكنه

يتميز بالخفة والجزالة معاً. وهي موجودة ضمن كتاب "ريحانة الكتاب"؛ كما وردت قطعة منها في الإحاطة. وقد نشرها كاملة المستشرق **الألماني ميللر Muller**؛ **بميونخ** سنة 1866م ضمن كتاب له عنوانه: نخب من تاريخ **المغرب العربي**؛ جمع معه ـ من كتب **ابن الخطيب** ـ كتاب مفاخرة **مالقة وسلا**، وكتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار. وفي سنة 1958م أعاد **أحمد مختار العبادي** ـ في **الإسكندرية** ـ نشر رسالة خطرة الطيف ـ مع رسائل أخرى ـ ضمن كتاب عنوانه: مشاهدات **لسان الدين ابن الخطيب** في **بلاد المغرب والأندلس**. وستنشر هذه الرسالة ـ الآن ـ ضمن هذا العمل؛ في مجلد رسائل **ابن الخطيب**؛ بعناية الأستاذ **عبد الرحمن دويب.**

7 ـ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب: لهذا الكتاب نسخ مخطوطة عديدة في مكتبات مختلفة **بالمغرب الأقصى**، **والجزائر، وتونس، ومصر، وإسبانيا، والفاتيكان، والسويد.** وقد نشر المستشرق الإسباني **جسبار ريميرو** رسائل ثلاث؛ نقلها من ريحانة الكتاب؛ مقرونة بترجمة

إسبانية. وقام الأستاذ **محمد عبد الله عنان** بتحقيق هذا الكتاب سنة 1980م حيث نشره **بالقاهرة**. وقدمه للقراء في جزأين اثنين. وسينشر مرة أخرى؛ ضمن هذه السلسلة بعناية الأستاذ **عبد الرحمن دويب** من **الجزائر**. ويعالج هذا الكتاب جوانب عديدة؛ منها: رسائل وخطابات موجهة إلى الملوك والأعيان؛ منهم من المسلمين ومن النصارى، كما أشار **ابن الخطيب** في ريحانة الكتاب إلى بعض مؤلفاته؛ مع إثبات مقدمات منها؛ مثل: بستان الدول، وجيش التوشيح، والإكليل الزاهر، والإحاطة، وكتاب الطب، وروضة التعريف بالحب الشريف، واستنزال اللطف الموجود في أسرار الوجود؛ وبعدها ينتقل إلى أبواب في التحميدات، والفتوحات الواقعة، والمرافعات التابعة، وكتب الشكر على الهدايا، وكتب التهاني..إلخ. ثم مجموعة من رسائل الإخوانيات، وظهائر الأمراء، ومخاطبات الرعية والنواحي، ورسائل في الأصدقاء والقضاة، وكتب الدعابة والفكاهات، وبعد ذلك المقامات. ثم يخلص إلى الحديث عن بعض كتبه الأخرى؛ مثل:

كتاب خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف، وكتاب معيار الاختيار، ورسالة السياسة، وكتاب الإشارة في أدب الوزارة والسياسة، وكتاب مفاخرة بين **مالقة وسلا**.

8 ـ الكتيبة الكامنة فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: لهذا الكتاب نسخ عديدة مخطوطة في **المغرب الأقصى وإسبانيا، ومصر**. وله عناوين أخرى؛ منها: ((الكتيبة الكامنة في من لقيناه **بالأندلس** من شعراء المائة الثامنة)). و((الكتيبة الكامنة في أهل المائة الثامنة))، ((والكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة))، و((والكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة)). ولا يعرف من تصرف في تغيير العنوان. وقد قام الدكتور **إحسان عباس**؛ بتحقيق ونشر هذا الكتاب في **بيروت** سنة 1963م. وفي **الجزائر**؛ تولى الأستاذ **محمد شايب شريف** بالتقديم له وضبطه ومراجعته والتعليق عليه؛ وسينشر ضمن هذه السلسلة. يشتمل هذا الكتاب على تراجم متنوعة لعدد من الشعراء، والخطباء، والفقهاء، والمقربين، والكتاب الذين عاصروه؛ عاملاً على الاستشهاد بما أنتجوه من شعر ونثر. وكتب **ابن**

الخطيب تأليفه هذا؛ بينما كان مقيماً في **تلمسان**؛ لاجئاً، وفي ضيافة السلطان **أبي فارس عبد العزيز المريني؛** الذي استولى عليها في تلك الفترة. وبما أنه نوى التوجه إلى الديار المقدسة بغرض الحج؛ فقد بقي في انتظار مركب الحج؛ لكي يرافقه. وفي أثناء ذلك انكب على تأليف كتاب الكتيبة الكامنة؛ لكي يأخذه معه إلى **المشرق**؛ ليقدمه هدية لمن يستحقه. ومجمل التراجم المثبتة في كتاب الكتيبة الكامنة وصل إلى حدود المائة وثلاثة ترجمة. وقسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام؛ كل قسم بطبقة:

الأولى: طبقة الخطباء والمتصوفة.

والثانية: طبقة المقرئين والمدرسين.

والثالثة: الكتاب والشعراء.

والرابعة: طبقة القضاة.

9 ـ الصيب والجهام والماضي والكهام: هذا هو ديوان **ابن الخطيب**؛ ولكنه لا يتضمن شعره بالكامل. ويقول **ابن الخطيب** أن ديوانه صنف أساساً ضمن جزأين؛ ومع هذا فالنسخ المتواجدة هنا وهناك ليست متشابهة في المحتوى.

وكان ديوانه الأول الذي ضاع يسمى ((الحالي والعاطل والمسعف والماطل)). ويبدو أنه أضاع ديواناً آخر مع هذا. ولما عاد إلى **غرناطة** ـ عقب محنته الأولى ـ لملم ما وجد من شعره المتناثر؛ وجمعه في ديوان أعطاه اسم: ((الصيب والجهام والماضي والكهام))؛ الذي وقف به عند سنة 748هـ/1347م. ثم شاءت الظروف أن يستكمل مادته؛ بحيث وصل به إلى سنة 770هـ/1338م. قام الدكتور **محمد الشريف قاهر** بتحقيق ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام؛ ونشره عن طريق الشركة الوطنية للنشر والتوزيع **بالجزائر** سنة 1973م.

10 ـ روضة التعريف بالحب الشريف: هذا الكتاب يتناول موضوع التصوف؛ وقد برع **ابن الخطيب** في معالجة المحبة الإلهية؛ بشكل يذهل القارئ من قدرات مؤلفه وتمكنه في مختلف الميادين العلمية. فها هو يخوض في عباب التصوف المتلاطم وينجح في الإبحار والتجديف فيه؛ رغم بعده عن صلب اهتماماته. لقد تخيل موضوعه في شكل روضة بأرضها الخصبة، وأشجارها الباسقة، وأغصانها المتشابكة،

وثمارها الشهية. فالتربة الطيبة ينبت فيها كل طيب كريم، والأشجار اليانعة تخرج أغصاناً بهيجة، وعنها تولد الثمار الطيبة الزكية. أما وضع هذا الكتاب وتأليفه؛ فقد تم بطلب من السلطان **الغني بالله**. وحدث ذلك نتيجة لانتشار كتاب ديوان الصبابة للأديب الصوفي **أبي العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة التلمساني** (725ـ 776هـ)؛ وكان يناهض دعاة فكرة الوحدة؛ خاصة **ابن الفارض**. فالتزم **ابن الخطيب** بمعارضته والرد عله. ولهذا ألف **ابن الخطيب** كتابه الذي سماه: روضة التعريف بالحب الشريف. وفي هذا الموضوع كتب **ابن الخطيب** إلى صديقه **ابن خلدون** يقول: ((أن كتاباً رفع إلى السلطان في المحبة[1]؛ من تصنيف **ابن أبي حجلة**؛ من **الشارقة**؛ أشار الأصحاب بمعارضته؛ فعارضته؛ وجعلت الموضوع أشرف؛ وهو مَحَبَّةُ الله؛ فجاء كتاباً؛ ادعى الأصحاب غرابته؛ وقد وجه إلى **المشرق** صحبة كتاب ((تاريخ **غرناطة**))، وغيره من تآليفي. وتُعُرِّفَ تَحْبيسُه **بخنقاه سعيد**

[1] يقصد كتاب ديوان الصبابة.

السعداء[1] من **مصر**؛ وانثال الناس عليه؛ وهو في لطافة الأغراض؛ يتكلف أغراض **المشارقة**؛ من ملحه:

سلمت لمصر في الهوى من بلـــد
يهديـــه هـــواؤه لـــدى استنشاقـــه
من ينكر دعـــواي فقل عني لـــه
تكـــفي امرأة العزيـــز من عشاقـــه

والله يرزق الإعانة في انتساخه وتوجيهه[2].

ومن المضحكات المبكيات؛ أن يكون السلطان الذي أمر بكتابة روضة التعريف؛ هو نفسه الذي تبنى الحملة الجائرة التي اتهم فيها **ابن الخطيب** بالزندقة؛ بسبب ما ادعي: أنه تطرق فيه إلى الممنوعات والمحظورات. مع أن الكتاب ـ في الحقيقة ـ يخلو من أي شائبة؛ يمكن أن تلصق **بابن الخطيب**. ومع ذلك؛ لا سبيل للوقوف أمام تعسف

---

[1] الخانكاه، والخانكه: عبارة عن موضع يسكن فيه المتصوفة الذين يفضلون العزلة بغرض العبادة. وسعيد السعداء هو لقب للأستاذ عنبر أو قنبر؛ خادم من خدام الدولة الفاطمية؛ وكان الخانكه هذا داره سابقاً؛ ثم حولها صلاح الدين الأيوبي سنة 569هـ/ إلى ملجأ للفقراء من الصوفية الأغراب؛ ثم خصص له أوقافاً؛ ومنذئذ اصبح يعرف أيضاً بالخانقاه الصالحية.

[2] التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً؛ ص ص: 120 ـ 121.

الحكام والسلاطين. فإن أرادوا شيئاً وصلوا إليه؛ ولو بواسطة بالظلم والتعسف.

وقد قام أخيراً الأستاذ **عبد القادر عطا** بتحقيق روضة التعريف بالحب الشريف ونشره في **القاهرة** سنة 1968م. كما نشره الأستاذ **محمد الكتاني**؛ بشكل أكثر دقة وجودة، وأعمق من حيث المنهج العلمي؛ وذلك في سنة 1970م. وقد تولى ـ في **الجزائر** ـ الأستاذ **حسين سعدودي** بضبطه ومراجعته والتقديم له؛ وسينشر ـ بعو ن الله ـ ضمن هذا العمل.

11 ـ جيش التوشيح: هذا الكتاب عبارة عن عينات ونصوص مختارة من الموشحات **الأندلسية**؛ بلغ عددها مائة وخمسة وستون موشحاً 165، لعدد من أئمة التوشيح **بالأندلس**؛ **كبن بقي، وابن اللبانة، والأعمى التطللي، وابن لبون، وأبي بكر السرقسطي، وابن شرف**، وآخرين. توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة **بمكتبة الزيتونة بتونس**؛ تحولت ـ في الوقت الحاضر ـ إلى دار الكتب الوطنية **بتونس**؛ مسجلة تحت رقم: 4583. ثم نسخة أخرى

مخطوطة بمكتبة **حسن حسني عبد الوهاب**. وقام الأستاذ العراقي **هلال ناجي** بتحقيق هذا الكتاب وطبعه في **تونس** سنة : 1967م.

12 ـ الوصول لحفظ الصحة في الفصول: هذا الكتاب طبي في موضوعه؛ وأكمل **ابن الخطيب** تأليفه في أواسط سنة 771هـ1369م؛ بينا كان في **غرناطة**. توجد منه بعض النسخ المخطوطة **بالمغرب الأقصى**. **بالقرويين**، والخزانة العامة، والخزانة الملكية.

13 ـ استنزال اللطف الموجود في سر الوجود: وهي رسالة في التصوف. ذكر عنان أنه لم يعثر في المكتبات التي عرفها على هذه الرسالة؛ التي تدخل فيما أنتجه **ابن الخطيب**. إلا أن الدكتور **محمد الشريف قاهر** ذكر في مقدمة التحقيق الذي أعده للديوان **ابن الخطيب** الصيب والجهام والماضي والكهام: أنه عثر في المكتبة العامة **بتطوان** على مخطوط معنون هكذا: ((فصول من كتاب استنزال اللطف الموجود في سر الوجود))؛ **لابن الخطيب**، وهو مسجل تحت رقم: 353.

14 ـ مقنعة السائل عن المرض الهائل: وهذه الرسالة ؛ ذات طابع طبي وصحي ؛ تتناول موضوع وباء الطاعون الجارف الذي اجتاح **أوروبا والعالم الإسلامي** سنة 749هـ/1348م. يذكر **ابن الخطيب** في هذه الرسالة إلى ظروف ظهور هذا الوباء القاتل، وخطورته، وأعراضه، والاحتياطات الواجبة تجاهه، وسبل الوقاية من شره. توجد نسخة مخطوطة من هذه الرسالة الطبية في **الإسكوريال**، مسجلة تحت رقم: 1785 الغزيري. ونشرت هذه الرسالة ـ مع ترجمة لها بالألمانية ـ في مجلة أكادمية العلوم **البلفارية** Akademie Bayerische Wissenschaft سنة 1863م.

15 ـ معيار الاختيار في أحوال المعاهد والديار: وله اسم آخر هو: ((معيار الاختيار في ذكر المعاهد والآثار)). توجد له نسخ مخطوطة في **المغرب الأقصى**؛ واحدة بمكتبة **القرويين بفاس**، وأخرى بالمكتبة العامة **بالرباط**، وثالثة بمكتبة **الجلاوي**. ويتناول هذا الكتاب بعض المدن **الأندلسية ـ والغرناطية** على الأخص ـ بالوصف؛ بأسلوب مسجع جميل؛ ثم أضاف إليها ـ واصفاً ـ مدن **مغربية** مثل:

سبتة، **وسلا**، **ومراكش**، **وفاس**. وجد هذا الكتاب بعض العناية؛ إذ نشر المستشرق الإسباني **سيمونت Simonet**؛ قسمه الأول الخاص بمملكة **غرناطة**، مع ترجمة له للإسبانية بعنوان: Descripcion del Reino de Granada bajo las Nazaritas (Madrid 1861). ثم نشر **أحمد اليمني** هذا الكتاب بكامله **بفاس** سنة 1907م. وبعدها نشره **أحمد مختار العبادي** ضمن عمله المتضمن رسائل **ابن الخطيب**. والمعنون بـ: ((مشاهدات **لسان الدين ابن الخطيب** في بلاد **الأندلس والمغرب**)). وقد تكفل ـ في **الجزائر** ـ الأستاذ **عبد الرحمن دويب** بتقديم وضبط ومراجعة هذه الرسالة؛ التي ستنشر ـ بعون الله ـ ضمن هذه السلسلة.

16 ـ مفاضلة بين مالقة وسلا: أو المفاخرة بين **مالقة وسلا**. وموضوع هذه الرسالة؛ يدل عليه عنوان الكتاب: ويبدو أن **ابن الخطيب** كان يميل إلى وطنه الأصلي؛ إذ رجح كفة بلده **مالقة** التي هجرها؛ على **سلا** التي سكنها لاجئاً غريباً. كتب موضوعه بأسلوب مسجع ظريف. كما أنه فضل ضمّها إلى كتابه ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب؛ هي

ورسالة معيار الاختيار. ولا تعرف دوافعه في ذلك. المهم أن رسالة المفاضلة ـ هذه ـ اهتم بها المستشرق **الألماني مللر**؛ فنشرها ضمن كتابه السابق الذكر. وستنشر ـ بحول الله ـ ضمن مجلد رسائل **ابن الخطيب** من هذا العمل. وستنشر ضمن هذه السلسلة بعناية الأستاذ **عبد الرحمن دويب.**

17 ـ الحلل المرقومة في اللمع المنظومة: يشتمل هذا الكتاب على منظومة من ألف بيت؛ تعالج موضع أصول الفقه. وهي عبارة عن تلخيص لكتاب أصول الفقه **لأبي إسحاق الشيرازي** المتوفي سنة 476هـ/1083م. وقد تولى **عبد الرحمن ابن خلدون** بشرح هذه الأرجوزة؛ وهذا الشرح تحتفظ به خزانة **القرويين**.

18 ـ في فن العلاج في صنعة الطب: وهي أرجوزة مكونة من ألف وستمائة بيت؛ تعالج مواضيع طبية والأمراض المختلفة: الكلية منها، والجزئية؛ مع ذكر أسباب الأمراض، وأعراضها، والتدابير المطلوبة للعلاج منها، والوصول إلى العلاج حسب ما تقتضيه أحوالها. سماها **عنان**: أرجوزة في الطب. وقال: أنه لم يجد لها أثراً في

خزائن الكتب. بينما يقول الدكتور **محمد الشريف قاهر**: أنه وجد نسخة مخطوطة منها؛ في الخزانة العامة **بالرباط**؛ مسجلة تحت رقم: 322؛ وقد عد أبياتها فوجدها: 1531 بيتاً. أول أبياتها:

الحمـــد لله حق الحمد للذي خلـــق

من نطفـــة أجسامنا ومـــن علـــق

19 ـ مثلى الطريقة في ذم الوثيقة: وهي رسالة تتناول موضوع التوثيق؛ عارضاً مؤلفها فيها المناقشات التي جرت بينه وبين أهل تلك الطريقة بالنظم والنثر. كما يشير فيها إلى المعايب الموصفة لمهنة التوثيق. وتوجد نسخة مخطوطة من هذه الرسالة في الخزانة العامة **بالرباط**. وقد قام بنشرها ـ في **ألمانيا** ـ مع ترجمة لها إلى اللغة الألمانية. كما نشرها أيضاً الأستاذ **عبد الحميد تركي** سنة 1969م. وأخيراً؛ قام الأستاذ **عبد الرحمن دويب** بمراجعة هذاه الرسالة؛ التي ستنشر ضمن مجلد رسائل **ابن الخطيب** من هذه السلسلة.

20 ـ كتاب السحر والشعر: هذا الكتاب صنفه وجمعه **ابن الخطيب**؛ لغرض تعليمي تربوي. ومحتوياته ليست من إبداعه؛ بل هي مجموعة مختارات ومنتخبات أدبية شعرية؛ في أغراض عديدة كـ: المديح، والوصف، والحكم، والزهد، والأمثال. أختارها **ابن الخطيب** لولده **عبد الله**؛ كي يستوعبها. وهي لعدد من الأدباء: **المشارقة والمغاربة**؛ **كـ: ابن نباتة، وأبي إسحاق الصابي، ومهيار الديلمي، وأبي العتاهية، وابن الرومي، والشريف الرضي، والبحتري، والمعري، وسيف الدولة، وابن رشيق، وابن عباد، وابن سهل، وابن عمار، وابن حمدين، وابن صمادح، وابن اللبانة، وابن الجياب**، وآخرين. ثم أضاف إليها بعض قصائده هو. توجد من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان في **الإسكوريال**؛ الأولى تحت رقم: 456 الغزيري، والثانية تحت رقم: 455 الغزيري وهي ناقصة. كما توجد بالخزانة العامة **بالرباط** نسختان مخطوطتان أيضاً؛ الأولى تحت رقم: 121 د؛ والثانية تحت رقم:

1295 د؛ وفي خزانة **القرويين** نسخة مخطوطة أخرى؛ نسخت سنة 888هـ/1483م.

21 ـ رجز في الأغذية: وتسمى أيضاً: ((أرجوزة الأغذية))، أو ((المعتمدة في الأغذية المفردة)). وتتكون من ألف ومائتي بيت؛ رتبها **ابن الخطيب** على حروف المعجم. تتناول الأرجوزة موضوع الأغذية: طبائعها، فوائدها، مضارها، وإصلاح الخلل فيها..إلخ. ذكر عنان أن نسخة مخطوطة من أرجوزة الأغذية هذه يملكها الأستاذ **العابد الفاسي** محافظ خزانة **القرويين**؛ وانتهى ناسخها من كتابتها سنة 1133هـ/1720م.

22 ـ كناسة الدكان بعد انتقال السكان: يشتمل هذا الكتاب على مجموعة الوثائق السياسية والإدارية؛ كتبها **ابن الخطيب** نيابة عن السلطان **أبي الحجاج يوسف** إلى السلطان **أبي عنان فارس المريني** ملك **المغرب** ؛ كما تضمن الكتاب وثيقة زواج؛ تولى فيها السلطان **أبو الحجاج** الولاية على أخته؛ التي زوجها إلى القائد **أبي الحسن جعفر النصري**. وإذا كان هذا الكتاب قد ألف **بالأندلس** في حياة السلطان

أبي الحجاج؛ فإن **ابن الخطيب** اعتنى به وأخرجه إلى النور في **سلا**؛ أثناء إقامته بها لاجئاً. توجد نسخة مخطوطة فريدة من هذا الكتاب في **الإسكوريال**؛ مسجلة تحت رقم: 1712 الغزيري. وقد تولى تحقيق هذا الكتاب الدكتور **محمد كمال شبانة** ونشره **بالقاهرة** سنة 1966م. وقام ـ في **الجزائر** ـ الأستاذ **عبد الرحمن دويب** بالتقديم لهذه الرسالة والتعليق عليها؛ وستنشر ضمن مجلد رسائل **ابن الخطيب.**

23 ـ عمل من طب لمن حب: يعتبر هذا الكتاب؛ من أهم ما ألف **ابن الخطيب** في ميدان الطب. وهو مجلد ضخم؛ يعالج في موضوعه الطب وعلاج الأمراض؛ إذ يتناول أمراضاً متعددة؛ فيذكر: أسباب المرض، وأعراضه، وعلاجه، والنظام الغذائي المناسب لأي مرض، كما يذكر أعضاء الجسم على اختلافها، وكيفية العناية بها. ألف **ابن الخطيب** كتابه هذا بينما كان مقيماً **بفاس** سنة 761هـ/1359م. في عهد السلطان **المريني أبي سالم إبراهيم**؛ إذ يشيد به في ديباجة الكتاب. توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بخزانة **القرويين** تحت رقم 607/40؛ وهي النسخة

الأصلية التي أهداها **ابن الخطيب للسلطان أبي سالم**. كما توجد نسخة خطية أخرى بالخزانة الملكية **بالرباط**؛ تحت رقم: 4777؛ كما ذكر **عنان**، و3477 حسب قول **محمد الشريف قاهر**. ثم توجد نسخة مخطوطة ثالثة بالمكتبة الوطنية **بمدريد**؛ غير أنها ناقصة في آخرها.

24 ـ بستان الدول: موضوعه نظم الدولة؛ إذ يعالج القضايا السياسية والحربية والقضائية؛ كما يتكلم عن أهل الحرف والمهن المختلفة، والطوائف المتشكل منها الشُّعب وأصوله. وقد انتظم كل ذلك ضمن شجرات؛ لكل موضوع شجرة مفترضة. قال **ابن الخطيب** في الإحاطة أنه ألف منه ثلاثين سفراً؛ وتوقف بسبب ما اعترضه من حوادث. وذكره **المقري** في نفح الطيب فقال: ((وبستان الدول؛ موضوع غريب ما سمع بمثله؛ قل أن شذ عنه فن من الفنون؛ يشتمل على شجرات عشر: أولها شجرة السلطان، ثم شجرة الوزارة، ثم شجرة الكتابة، ثم شجرة القضاء والصلاة، ثم شجرة الشرطة والحسبة، ثم شجرة العمل، ثم شجرة الجهاد؛ وهي فرعان: أسطول،

وخيول، ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه؛ من: الأطباء، والمنجمين، والبيازرة [1]، والبياطرة، والفلاحين، والندماء، والشطرنجيين، والشعراء، والمغنين، ثم شجرة الرعايا؛ وتقسيم هذا كله غريب؛ يرجع إلى شعب، وأصول، وجراثيم، وعمد، وقشر، ولحاء، وغصون، وأوراق، وزهرات مثمرة، وغير مثمرة؛ مكتوب على كل جزء من هذه الجزاء بالصبغ اسم الفتن المراد به. وبرنامجه صورة بستان؛ كمل مكنه نحو ثلاثين سفراً))[2].

25 ـ **التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى**: كتب **ابن الخطيب** هذا الكتاب ـ كما قال ـ ضمن مجلد واحد؛ وأهداه للسلطان **أبي الحجاج يوسف**. تناول فيه تاريخ **مملكة غرناطة**؛ انطلاقاً من نشأتها، ثم أثبت فيه تراجم لأعيانها خلال القرن الثامن الهجري. كما ترجم في هذا الكتاب لنفسه ولوالده. ويبدو أن هذا الكتاب ضاع كما ضاع غيره؛ في الأحداث التي جرت في **غرناطة**؛ حين سجن، وهروب السلطان **الغني بالله**. ومن حسن الحظ

---
[1] البيازرة: هم الذين يعتنون ويهتمون بالجوارح.
[2] نفح الطيب، ج: 7، ص ص: 97 ـ 98.

أنه نقل منه في الإحاطة، والكتيبة الكامنة. كما يوجد قطعة منه في **الإسكوريال**؛ ضمن المخطوط المسجل تحت رقم: 554 الغزيري؛ المتضمن أيضاً لكتاب معيار الاختيار **لابن الخطيب**. كما توجد بعض تراجم التاج المحلى ضمن المخطوط رقم: 1102 بالخزانة العامة **بالرباط**؛ المعنون بـ: ((مجموع مراسلات وتراجم **ابن الخطيب**)).

26 ـ الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر: وسماه عنان ((الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر)). ويعتبر بمثابة التكملة لكتاب التاج المحلى؛ إذ يشتمل على تراجم بعض الأعلام من المعاصرين **لابن الخطيب**؛ صاغ الموضوع بالسجع. بعض تراجمه موجودة في **الإسكوريال** بعد التاج ضمن مخطوط رقم: 554 الغريزي. ولحسن الحظ أن **المقري** نقل منه تراجم عديدة في نفح الطيب.

27 ـ طرفة العصر في دولة بني نصر: هو تاريخ لدولة **بني نصر**؛ سبق كتاب اللمحة البدرية؛ لأن **ابن الخطيب** أشار مراراً إليه مراراً في طياتها. كما أشار إليه أيضاً في الإحاطة

مراراً عديدة. وقال **ابن الخطيب** أن هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء؛ أهداه إلى السلطان **أبي الحجاج**. غير أنه فقد مع غيره من الكتب التي تعرضت للحرق والإتلاف؛ خلال المحنة الأولى.

28 ـ الأرجوزة المعلومة: يقابل **ابن الخطيب** به كتاب الأرجوزة المجهولة **لابن سينا**؛ حيث يقول: ((إذ تقدم قبلي من نظم في مثل هذا الغرض، وسماها "الأرجوزة المجهولة" في العلاج من الرأس إلى القدم؛ وهذه الأخيرة للرئيس **أبي علي بن سينا**... وإذا أضيفت إلى رجز الرئيس **أبي علي**، كملت بها الصناعة؛ كمالاً لا يشينه نقص))[1]. ويسمى هذا الكتاب أيضاً: ((كتاب في علاج السموم)). كتب **ابن الخطيب** هذه الأرجوزة بينما كان مقيماً في **سلا**؛ وقال هذا بنفسه في كتاب نفاضة الجراب. ومع ذلك لم يعثر على هذه الأرجوزة إلى الآن.

---
[1] نفاضة الجراب، ج: 2، ص: 188.

29 ـ تخصيص الرياسة بتلخيص السياسة: وهي أرجوزة في فن السياسة وصل أبياتها إلى ستمائة بيت. كتبها **ابن الخطيب** أثناء إقامته **بسلا**.

30 ـ منظومة في سياسة الملوك: قال الدكتور **محمد شريف قاهر**: إنه اطلع في المكتبة العامة **بتطوان** على منظومة؛ ضمن مجموع؛ مسجل تحت رقم: 600؛ يرجح أنها هي المنظومة في سياسة الملوك؛ إذ اللوحة التي اطلع عليها تشتمل على 99 بيتاً؛ بدأت بـ:

يا أيهـــا الملـــك البـــاهي محيـــاه

أنت الذي تعرف الأظعان مغنـــاه

31 ـ المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبية: كتب هذا الكتاب؛ بينما كان في **تلمسان** في رعاية السلطان **المريني عبد العزيز**. وقد أهداه للسلطان المذكور. وموضوع الكتاب؛ ينحصر في الدفاع عن نفسه؛ أمام خصومه **الأندلسيين**؛ إذ ينوه فيه بنباهة حسبه، ونبالة نسبه.

32 ـ خلع الرسن في أمر القاضي أبي الحسن: كتب هذا الكتاب بينما كان في **المغرب** لاجئاً، خلال الفترة الأخيرة؛ التي ترك فيها **غرناطة** نهائياً. وهذا الكتاب ـ كما يدل عنوانه ـ كتب للرد على اتهامات عدوه القاضي **النباهي** له.

33 ـ اليوسفي في صناعة الطب: كل ما نعرف عنه أن **ابن الخطيب** قال عنه: أنه كتبه في جزأين. وأنه ممتع.

34 ـ عائد الصلة: يكثر **ابن الخطيب** من الاستشهاد بهذا الكتاب في الإحاطة. وهو عبارة عن ذيل لكتاب صلة الصلة **لأبي جعفر أحمد بن الزبير**. ويشتمل على تراجم عديدة. ويعتبر من بين الكتب المفقودة **للسان الدين ابن الخطيب**.

35 ـ تخصيص الذهب في اختيار الكتب الأدبيات الثلاثة أو (تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات)؛ وهو اختصار كتاب التاج: ذكر **ابن الخطيب** هذا الكتاب لصديقه **ابن خلدون**؛ قائلاً له: أنه منشغل في اختصار كتاب التاج **للجوهري**؛ بحيث سيرده إلى مقدار خمسه؛

على أن يحتفظ بالترتيب السهل المتبع[1]. وهذا الكتاب مفقود أيضاً.

36 ـ الإشارة: ذكر **ابن الخطيب** هذا الكتاب في الإحاطة ؛ كما ذكره **المقري** في نفح الطيب، وأزهار الرياض. توجد هذه الرسالة مع رسالة في السياسة ضمن **مجموع** في **الإسكوريال** تحت رقم: 554. قال **محمد الشريف قاهر**: أنه شاهد في الخزانة العامة **بالرباط** كتاباً سجل تحت رقم: 972 د؛ يحمل اسم: ((الإشارة في أدب السياسة في الوزارة)). ويعتقد أنه هو كتاب الإشارة المذكور.

37 ـ الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة: وهو عبارة عن مختارات شعرية جمعها ـ أثناء إقامته في **مالقة** ـ من نظم أستاذه وصديقه **أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن صفوان المالقي**. أشار **ابن الخطيب** إلى هذا الكتاب في الإحاطة. ولكنه مفقود الآن.

38 ـ مجموع من شعر أستاذه أبي الحسن ابن الجياب: فقد هذا المجموع أيضاً.

---

[1] التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص: 122.

39 ـ تافية من جم، ونقطة من يم: هذا الكتاب عبارة عن مختارات انتخبها **ابن الخطيب** من رسائل ونثر أستاذه **أبي الحسن بن الجياب.** ويعد هذا العمل أيضاً من بين ما فقد من مؤلفات **ابن الخطيب.**

40 ـ البيزرة: كتاب يتناول معلومات عن صناعة البيزرة التي تهتم بالجوارح. وهذا الكتاب في مجلد واحد. أشار إليه **ابن الخطيب** في الإحاطة، وذكره **المقري** في نفح الطيب، وأزهار الرياض. ولكنه مفقود أيضاً.

41 ـ البيطرة: ألفه **ابن الخطيب** في مجلد واحد. ويبحث في قضايا الخيل ؛ محاسنها وعيوبها. وهو مفقود أيضاً.

42 ـ النفاية بعد الكفاية: هذا الكتاب مفقود. اتبع **ابن الخطيب** في صياغتة النسق الذي سار عليه **الفتح بن خاقان** في كتابه قلائد العقيان.

43 ـ ميزان الاختبار: لا يعرف عنه إلا عنوانه. نقله **محمد شريف قاهر** عن كتاب جذوة الاقتباس **لابن القاضي.**

44 ـ الحلل الموشية في الأخبار المراكشية: يشكك بعض المحققين في نسبة هذا الكتاب **لابن الخطيب**؛ بينما يعتقد

آخرون أنه من تأليفه. وقد نشر في **تونس** سنة 1337هـ/1918م. ويقول **عنان**: أنه وجد نسخة منه في الخزانة الملكية **بالرباط**؛ مسجلة تحت رقم: 3674. ذكر فيها؛ أن هذا الكتاب من تأليف **أبي العلاء بن سماك العاملي المالقي**. غير **أن عبد القادر زمامة؛** الذي حقق الكتاب في **المغرب** مع أحد زملائه؛ نفيا هذا الأمر؛ حيث بقي موضوع المؤلف مجهولاً. وسينشر ـ بعون الله ـ كتاب الحلل الموشية ضمن هذه السلسلة؛ بعناية الأستاذ **محمد شايب شريف**.

45 ـ المنهل العذب في شرح أسماء الرب: وهو عبارة عن شرح لأسماء الله الحسنى؛ كما ذكر في عنوان الكتاب. توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب ـ مبتورة في أولها ـ بالخزانة العامة **بالرباط**. تحت رقم: 3074 د. شكك الدكتور **محمد الشريف قاهر** في انتماء هذا الكتاب **لابن الخطيب**.

46 ـ تأليف في الأدب: توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة مبتورة في أولها. ويشكك أيضاً **محمد الشريف قاهر** في صلتها **بابن الخطيب**. وحجته أنه لم يجد لها، ولا

للمنهل العذب أي إشارة بين أعمال **ابن الخطيب** في: الإحاطة، أو نفح الطيب، أو أزهار الرياض، أو غيره من المصادر.

***

ما ذكر من مؤلفات أعلاه؛ عرفت أحوالها، وحددت مصادرها، وعينت أماكن تواجدها. وأما الكتب الآتي ذكرها؛ فلا يعرف عنها شيء؛ سوى ما ذكر بخصوص عناوينها. وعليه سنسرد العناوين دون تعليق يذكر؛ ويترك أمرها إلى الزمن؛ لعله يفتح نافذة ينفذ منها ضوء يكشف حقيقة تلك الكتب.

1 ـ **الرجز في الترياق الفاروقي**: لا يعرف منه إلا عنوان الكتاب.

2 ـ **أرجوزة في السياسة المدنية**: سبق ذكر هذه الرسالة مع كتاب الإشارة.

3 ـ **قطع السلوك**:

4 ـ **رسالة تكوين الجنين**:

5 ـ **كتاب الوزارة**:

6 ـ مقامة السياسة :

7 ـ المسائل الطبية :

8 ـ الغيرة من أهل الحيرة :

9 ـ حمل الجمهور على سنن المشهور :

10 ـ الزبدة الممخوضة :

11 ـ الرد على أهل الإباحة :

12 ـ سد الذريعة في تفضيل الشريعة :

13 ـ تقرير الشبه وتحريم الشبه :

14 ـ أبيات الأبيات :

15 ـ فتات الخوان ولقط الصوان :

16 ـ طل الغمام المقتضب من الصيب والجهام :

17 ـ الحالي والعاطل والمسعف والماطل :

هذا ما سمح به المجال في تقديم معلومات تخص **لسان الدين ابن الخطيب** ومؤلفاته الرائعة الغزيرة. وسيتم ـ بحول الله ـ التوسع في عرض جل أعماله والأعمال التي اقترحها بنفسه لكتاب وأدباء وعلماء أندلسيين ومغاربة ؛

عبر الصفحات الثرية التي يشتمل عليها هذا العمل المتكامل. والله ولي التوفيق.

***

ـ منهج العمل:

للعلم؛ فإن كتاب الإحاطة وجد اهتماماً من بعض الأدباء؛ منذ عهد قديم؛ حيث قام ـ كما سبق ذكره ـ الشيخ الأديب الصوفي **بدر الدين البشتكي** بوضع كتاب اختصر فيه مواضيع الإحاطة؛ وسماه ((مركز الإحاطة)).

كما نشرت شركة طبع الكتب العربية **بالقاهرة** من كتاب الإحاطة جزأين؛ وذلك قبل أن يهتم به **محمد عبد الله عنان**؛ وذلك في سنة 1319هـ/ 1901م. وقد جمعت فيهما مقاطع متناثرة من مخطوط الإحاطة؛ تنتمي إلى مخطوطات مختلفة؛ مثل: مخطوط دار الكتب المصرية، ومخطوط جامع **الزيتونة**. وقد رصت معلوماته بشكل عشوائي، وغير دقيق؛ بحيث شوهت العمل الأصلي.

وقد نبه إلى تلك الأخطاء المستشرق الألماني **زايبولد** (**Seybold, C. F**)؛ في مقالة كتبها عن **ابن الخطيب**،

ونشرت في دائرة المعارف الإسلامية؛ وقد تمنى ـ في تلك المقالة ـ إصدار كتاب الإحاطة كاملاً ومحققاً؛ لما له من أهمية. ويبدو أن هذه النسخة المطبوعة المشوهة؛ هي التي نشرت في بعض مواقع الأنترنات. وقد اطلعت عليها؛ وقارنت ما ورد فيها بما نشره **عنان**.

والواضح أن معاودة السير في الطريق التي سلكها الأستاذ الكبير **محمد عبد الله عنان** من منطلقها الأول؛ سوف يكون عبثاً لا داعي له؛ لأن السالك في تلك الطريق الممهدة والمسبورة؛ لن تعترضه موبقات تذكر؛ ولن يضيف جديداً ملفتاً للأنظار.

ومع هذا؛ فقد سلك طريقه ـ قبلي ـ الدكتور **يوسف علي طويل** أستاذ الأدب الأندلسي بالجامعة **اللبنانية**؛ دون أن يشير إلى ذلك صراحة. وكل ما عمله هو أنه استغنى ـ تماماً ـ عن الهوامش التي أعدها **عنان**؛ مع أنها ضرورية للباحثين؛ إذ تحيلهم إلى أصل المخطوطات التي اعتمد عليها **عنان** في تحقيقه. وقد عوض الدكتور **يوسف علي طويل** هوامش **عنان** بهوامش فرعية؛ ولكنها لا يمكن أن

تقوم مقام الهوامش الأصلية؛ على الرغم من فوائدها الجمة. أضف إلى هذا؛ أنه تصرف بجرأة؛ فغير كلمات في النص الأصلي؛ فضاعت صورته الأولى. بينما كان الأجدر به أن يصحح ذلك في الهوامش.

وعليه؛ فما أنجزه الدكتور **طويل**؛ عبارة عن، إحالات؛ وردت في كتب أخرى **لابن الخطيب** وغيره؛ كرّرت فيها بعض الفصول، أو الفقرات من الإحاطة؛ وهذا مهم طبعاً. بالإضافة إلى ذلك؛ فقد قام بجهد ملحوظ في ضبط الكلمات وتشكيلها، وتصحيح أخطائها الإملائية والنحوية، وشرح الغامض منها، وضبط وتصويب الأبيات الشعرية. وهذا عمل عظيم ومحمود. لذا؛ فليس أمام صاحب هذه المقدمة والمراجعة؛ سوى النظر في إضافات وتحسينات تدعم العمل الأول والثاني معاً. إذ أن كل ما سمح به الأستاذ الكبير **محمد عبد الله عنان**؛ هو ترك المجال للمراجعة، والمسح بدقة وعمق، وتوضيح، وشرح ما هو غامض وغريب. كما أن التأليف بين ما قام به هذا الأستاذ الجليل؛ وبين ما أنجزه الدكتور **طويل** ـ مع إضافة

ما هو جديد ـ سيكون مفيداً حتماً. وكل تدخل مني سيكون ضمن الهوامش.

لذا؛ فكل ما يمكن عمله في هذا السياق هو الاستناد ـ أولاً ـ إلى ما أنجزه الأستاذ **محمد عبد الله عنان**؛ ومقارنته بنسخة الدكتور **طويل**؛ ثم النظر فيما بين الأيدي من إمكانات أخرى، وما تيسر من خطة عمل؛ يمكن بواسطتها إضافة شيء ما؛ إلى الذي سبق أن أنجزه هذان الأستاذان المحترمان؛ وذلك حسبما تسمح به المادة التاريخية المتوفرة.

وقد اضطررت إلى إعادة النظر في التقسيم الذي وضعه **عنان** لكتاب الإحاطة؛ حيث أعدت تصنيفه في خمسة مجلدات؛ بدلاً من أربعة؛ تبعاً لما تقتضيه ضرورة الطباعة، والحجم المطلوب لكل مجلد.

وبالنظر والتأمل؛ لم أجد أمامي سوى الخطة الثرية التي اتبعها الأستاذ الجليل **محمد عبد الله عنان**. لأن الدكتور **يوسف علي طويل**؛ لم يشر في نسخته إلى أي خطة، أو منهج يكون قد اتبعه في عمله؛ كما أنه لم

يذكر: إن كان قد استعان بخطة **عنان** أم لا؛ وكل ما ذكره؛ عبارة عن جدول سجل فيه عناوين المصادر والمراجع التي استعان بها في عمله؛ وتتضمن 156 عنواناً. مع أن سياق عمله؛ يدل ـ بوضوح ـ أنه استند إلى ما أنجزه **عنان** قبله.

وعلى هذا؛ لم أجد أمامي سوى سبيل **عنان** المهد؛ لأن هذا الأستاذ الجليل؛ أنجز عملاً عظيماً؛ وبذل جهداً معتبراً في عمله؛ إذ أنه قام بما يقوم به الخياط؛ الذي يخيط قطعاً من القماش المتناثرة؛ لكي يصنع منها ثوباً كاملاً؛ أو مثل الصائغ الذي يجمع حبيبات الجواهر؛ فيجعلها عقداً مؤتلفاً. فيأتي الآخرون؛ فيلبسون ما أخاطه، ويتحلون بما صاغه وجمعه.

ويمكن ـ هنا ـ شرح الخطة المتبعة من قبل الأستاذ **عنان** كما يلي:

كل ما وجده **عنان**، واعتمد عليه في عمله هي ثمانية مواقع رئيسة؛ تشتمل على أمثل المخطوطات من كتاب الإحاطة؛ تتفاوت في حجمها وفي ومدى فائدتها. تتبعها

أعداد أخرى من النسخ المبتورة، أو الصفحات المفردة؛ التي لا بقية لها تلحق بها، ولا رابط يواصلها بغيرها.. وهي:

ـ مخطوط جامع **الزيتونة بتونس**.

ـ ومخطوط مكتبة أكادمية التاريخ الملكية **بمدريد**. Academia de Historia B, de la Real.

ـ ومخطوط المستشرق الإسباني **بسكوال دي جاينجوس** Pascual de Gayangos الذي ترجم القسم التاريخي من نفح الطيب إلى الأنجليزية. ومخطوط **جاينجوس** هذه متواجد أيضاً بمكتبة أكادمية التاريخ الملكية **بمدريد**.

ـ ومخطوط مكتبة **سان لورنزو** الملكية **بالإسكوريال**.

ـ المخطوطات المصرية للإحاطة.

ـ مخطوطات **المغرب الأقصى** للإحاطة.

ـ قطعة من مخطوط الإحاطة بالمتحف البريطاني.

ـ قطعة مخطوط الإحاطة بمكتبة **ليدن بهولندة**.

المهم أن هذه المخطوطات الرئيسة؛ قد نسخ منها عدد من المخطوطات الفرعية؛ التي توالدت هي الأخرى

بفعل النسخ والنقل. غير أن **عنان** اكتفى بما توصل إليه منها. وفي ما يلي عرض ملخص لتلك المخطوطات. نبدؤها بـ:

1 ـ مخطوط جامع الزيتونة بتونس: وهو في مجلدات ثلاثة؛ وترقيمها في بداية الأمر ـ عندما كان في **جامع الزيتونة** ـ كالتالي: 3522 ـ 3523 ـ 3524. وبعد تحويلها إلى دار الكتب الوطنية (مكتبة **العطارين**) أعطيت الأرقام التالية: 8134 ـ 8135 ـ 8136.

وهذا المخطوط نسخ ـ كما هو مذكور في نهاية جزئه الثالث ـ في جمادى الثانية عام 1273(هـ). وكتب في بدية الأجزاء الثلاثة عبارة تدل أن المخطوط حبس ووقف؛ يخص **جامع الزيتونة**. فكتبت ـ مثلاً ـ صيغة في الجزء الأول؛ تشير إلى أن **علي باشا باي** ـ صاحب **مملكة تونس** ـ قد أوقف هذا الكتاب على الجامع الأعظم؛ لينتفع به المهتمون بالموضوع؛ داخل الجامع؛ ولا يجوز إخراج الكتاب منه. وتوجد في أول كل جزء منه صيغة للتحبيس.

أما أحجام أجزاء الكتاب فهي متفاوتة؛ فالجزء الأول مثلاً يتكون من 335 صفحة بحجم كبير. انتهى موضوعه

فجأة؛ في سياق الحديث عن ترجمة السلطان **محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر**. وقد بتر الكلام؛ دون رابط اتصال؛ يفيد أن الجزء انتهى.

أما الجزء الثاني فبه 299 صفحة بالحجم نفسه. ويبدأ ـ دون تمهيد أو ربط بما سبق ـ من البقية المبتورة من ترجمة السلطان ـ المذكور أعلاه ـ **محمد بن يوسف بن إسماعيل**. ثم يخلص بعده إلى الترجمة الموالية وهي للسلطان **محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي**. وينتهي هذا الجزء بترجمة **محمد بن علي بن عبد الله اللخمي**.

أما الجزء الثالث فيتألف من 302 صفحة كبيرة أيضاً. ومنطلقه يبدأ بترجمة **محمد بن علي بن فرج القربلياني؛** وينتهي بترجمة **يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطي**. ثم كتب بعده: ((كمل مختصر الإحاطة)). يلي ذلك ترجمة **للسان الدين بن الخطيب**؛ كتبها بنفسه.

ولابد من الإشارة هنا؛ إلى ما ذكره **عنان:** من أن جل المخطوطات التي اطلع عليها؛ تحمل عبارة ((مختصر

الإحاطة)). وهذا يدل أن ما وصل إلينا ـ حتى الآن ـ ليس سوى بعض المختصرات من كتاب الإحاطة؛ وليس كله. ولاحظ **عنان** كذلك أن الجزأين: الأول والثاني كتبا بخط واحد؛ بينما كتب الجزء الثالث بخط مخالف. غير أن جميعهم كتبوا بخط مغربي متقن وحسن. وقد لاحظ **عنان** أيضاً أن نسخة **جامع الزيتونة** هذه؛ ملئت بالتحريف والتصحيف. وربما عاد ذلك إلى الأصل المنقول عنه هذه النسخة. مع أن بعض التحريف والتصحيف يرجع إلى زلة قلم الناسخ. وقد ألمح الناسخ بنفسه في نهاية الجزء الثالث؛ حيث نبه إلى تلك الحال؛ مقدماً اعتذاره عن ذلك التقصير.

وقد اكتشف الأستاذ **محمد عبد الله عنان** أن مخطوط **الزيتونة** ليس هو المخطوط الكامل للإحاطة في العالم؛ كما كان شائعاً من قبل؛ إذ وجد أن مخطوط **الإسكوريال** المرقم بـ: 1673 ديرنبور ـ مثلاً ـ يحتوي على عدد من التراجم والأشعار؛ لم ترد تماماً في مخطوط **الزيتونة**؛ كما يشتمل على الأسفار الأخيرة من الإحاطة؛ بالإضافة إلى أن

مخطوط **الإسكوريال** يضم ـ بعد أن ترجم **ابن الخطيب** لنفسه ـ عدداً من الرسائل السلطانية التي لم تذكر في مخطوط **الزيتونة**؛ يصل عدد لوحاتها إلى 42 لوحة بحجم كبير؛ وهي كلها لم تذكر في نسخة **الزيتونة**.

2 ـ مخطوط مكتبة أكادمية التاريخ الملكية بمدريد. Academia de Historia B, de la Real: ولكن هذا المخطوط ـ كما يفهم مما أشير فيه ـ ليس في أهمية نسخة **الزيتونة**. إذ كتب في مذكرة ـ خاصة بهذه النسخة ـ معلومة تفيد أنها نسخت في **فاس**؛ نقلاً عن مخطوط **مسجد تونس**؛ الذي هو **الزيتونة**. ورأى **عنان** أنه يمكن تسمية هذا المخطوط باسم ((مخطوط **كوديرا**))؛ نسبة إلى **كوديرا** أستاذ اللغة العربية **بمدريد؛** الذي نسخ المخطوط، وجلبه إلى جامعته. وقد حفظ هذا المخطوط تحت رقم: XXXIV.

3 ـ مخطوط باسكال دي جاينجوس Pascual de Gayangos:

وهذا ـ بدوره ـ تابع لمكتبة أكادمية التاريخ الملكية **بمدريد** أيضاً. والنسخة المذكورة هنا؛ محفوظة تحت رقم: CXLII. وهي نسخة كاملة في أجزاء ثلاثة. وتشتمل كلها على 580

صفحة؛ وفي كل صفحة 21 سطراً؛ كتبت بخط أندلسي قديم؛ يتميز بالوضوح. وليس في صفحته الأولى أي عنوان يذكر؛ بل تبدأ مباشرة في الصفحة الثانية بالعبارات التالية: ((بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا **محمد** وآله وسلم. قال الشيخ الأديب البارع **أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الخطيب**)). ولم يرد في آخر المخطوط ـ كما جرت العادة ـ تارخ نسخه بوضوح؛ ومع هذا يبدو عليه أنه قديم؛ ربما يكون قد نسخ في أواخر القرن التاسع. وقدر المستشرق الإسباني **بونس بويجس** Pons Boigues, F. تاريخ نسخه بسنة 895هـ/1489م. ويمكن تقدير حجم مخطوط **جاينجوس** هذا؛ بحجم الجزأين: الأول والثاني من نسخة الإحاطة القديمة؛ المطبوعة **بالقاهرة**؛ يضاف إليهما 27 ورقة؛ تشتمل على بقية التراجم الموجودة في مخطوط **الزيتونة**. وعلى هذا فقد اعتمد **عنان** ـ في الأساس ـ على مخطوط **جاينجوس**؛ في تدوين النص الخاص بالجزأين: الأول والثاني.

4 ـ مخطوط الإسكوريال التابع لمكتبة لورنزو الملكية:
ويتشكل هذا المخطوط من قطعتين كبيرتين من كتاب الإحاطة ؛ حفظت إحداهما تحت رقم: 1668 ؛ في فهرس الغزيري (1673 ديرنبور). وتعتبر هذه القطعة ؛ هي الأكبر بين القطع المعروفة ـ من كتاب الإحاطة ـ إلى الآن ؛ إذ بها 5001 صفحة كبيرة الحجم. وهي مكتوبة بخط أندلسي. وقد ذكر على صفحة العنوان: ((السفر الثاني من مختصر الإحاطة)). بالإضافة إلى ذلك كتب أيضاً: ((الحمد لله ؛ تملكه عبد الله تعالى؛ **زيدان** أمير المؤمنين **ابن أحمد المنصور** أمير المؤمنين)). وطبعاً؛ يفهم من هذا؛ أن المخطوط المذكور والموجود **بالإسكوريال** هو مخطوط سلطان **المغرب زيدان بن أحمد المنصور**[1]؛ الذي كان ضمن المكتبة **المراكشية** ؛ التي اغتصبها **الإسبانيون** في عرض البحر.

5 ـ المخطوطات المصرية للإحاطة: وتتمثل في المخطوطات التابعة لدار الكتب المصرية. أهمها المخطوط الرئيس ؛ وهو

[1] زيدان بن أحمد المنصور (1012 – 1017هـ)؛ من الأشراف السعديين سلاطين المغرب الأقصى

عبارة عن الجزء الأول من الإحاطة؛ أو أكثره؛ على الأقل. وليس بهذه النسخة تاريخاً يفيد بزمن نسخها. ولكن يبدو عليها ـ بما انتابها من تآكل وخروم ـ أنها قديمة جداً. وقد حفظت تحت رقم 348 تاريخ. ويقول **عنان**: أنه اعتمد عليها في تحقيق الجزء الأول من كتاب الإحاطة. وإلى جانب هذه النسخة الأصلية لمخطوط دار الكتب المصرية؛ يوجد بهذه الدار أيضاً قطعتان أخريان مصورتان لمخطوط الإحاطة؛ نقلاً عن نسخة مغربية. كتبت كلها بخط مغربي جميل. وقد حفظت القطعتان تحت رقم: 1429 تاريخ. فأما القطعة الأولى فتتشكل من 101 لوحة مزدوجة؛ كتبت كلها بخط مغربي جميل؛ تضم تراجم من حرفي: الميم، والنون. أما النسخة الثانية فبها 111 لوحة مزدوجة؛ وتحتوي على تراجم تبدأ بحرف الصاد، ثم العين، فالغين، فالفاء، فالقاف، فالسين فالياء؛ رصت دون ترتيب. وفي القطعة الثانية هذه؛ إشارة تدل أنها ((مختصر الإحاطة))؛ وأنها قد نسخت في سنة 987هـ. وقد تبين أنهما متطابقتان مع نسخة **الزيتونة**؛ في المعلومات الموجودة

في الجزء الثالث من الإحاطة؛ ولكنهما يبدوان أقدم من نسخة **الزيتونة** نفسها؛ بحيث يتبادر إلى الذهن أن هذه الأخيرة منقولة عن واحدة منهما. كما أن محتويات هاتين القطعتين متطابقتين مع ما هو موجود في نسخة الخزانة العامة **بالرباط**؛ المحفوظة تحت رقم: 2704؛ التي سيأتي ذكرها. أضف إلى ذلك كله؛ القطع المتناثرة من كتاب الإحاطة الموجودة بمكتبة رواق المغاربة **بالأزهر**؛ وتتكون من 170 ورقة متوسطة الحجم؛ وكتبت بخط مغربي قديم؛ كتب في هوامشها تعليقات واستدراكات بخط **المقري** ـ صاحب نفح الطيب ـ وتوقيعه؛ ثم كتب إلى جانب التوقيع: ((سنة 1029هـ)). وعلى هذا يضن بعضهم أن هذه الأوراق؛ مما تبقى من النسخة التي أرسلها **ابن الخطيب** بنفسه إلى خانقاه **سعيد السعداء بالقاهرة**؛ ولكي تحبس على طلبة العلم. ثم إن مكتبة **الأزهر**؛ تمتلك نسخة مخطوطة من الجزء الأول لكتاب الإحاطة. ويبدو عليها أنها حديثة النسخ.

6 ـ مخطوطات المغرب الأقصى: تمتلك الخزانة الملكية **بالرباط** قطعة كبيرة من كتاب الإحاطة؛ محفوظة تحت رقم: 1840. ولكن يبدو عليها أنها قديمة جداً؛ لما يظهر عليها من بلى وخروم. وأوراقها من القطع الكبير؛ مكتوبة بخط أندلسي؛ وهي سليمة النص وصحيحة المحتوى. ويبدو أنها تمثل الجزء الأول من الإحاطة بحجمه الشائع؛ بالإضافة إلى قطعة كبيرة من الجزء الثاني؛ تصل أوراقها إلى خمسين ورقة؛ ولكنها مبتورة في بدايتها، ونهايتها؛ وليس بها ما يبين تاريخ نسخها. ومع هذا؛ يبدو أنها من أقدم النسخ المتواجدة من الإحاطة؛ وتنطلق ـ بعد تقليب بعض الأوراق المخرومة ـ بالفصل المعنون كالتالي: ((ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة؛ من الأقاليم التي نزل بها **العرب**؛ خارج **غرناطة**، وما يتصل بها من العمالة)). وآخر ما ورد فيها من التراجم؛ هي ترجمة (**محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد... بن القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه). تلك هي نسخة الخزانة الملكية

بالرباط. أما خزانة **القرويين** الكبرى **بفاس**؛ فهي الأخرى تمتلك عدداً من الأوراق المتناثرة لكتاب الإحاطة؛ يصل عددها إلى 48 ورقة؛ صغيرة الحجم؛ وقد حفظت تحت رقم: 2589/89. وتتضمن هذه المجموعة من الأوراق على 25 ترجمة؛ لأعلام يسمون باسم **محمد**. ولكنها تراجم موجزة في مجملها. كما تحتوي هذه الأوراق أيضاً على رسائل **لابن الخطيب**؛ ولكنها قديمة، وحروفها متآكلة؛ وقد كتبت في 769هـ؛ أي في حياة **ابن الخطيب**.

7 ـ قطعة مخطوطة بالمتحف البريطاني: توجد بهذا المتحف؛ قطعة من مخطوط الإحاطة؛ حفظت تحت رقم: 8674 .Or؛ كتب في عنوانها: أنها الجزء الثامن من كتاب الإحاطة. وتتكون هذه القطعة من 194 لوحة كبيرة؛ تشكل: 388 صفحة. وتبدو هذه القطعة من خلال خطها المغربي؛ أنها قديمة. وقد كتب في نهاية القطعة: (يوم الأربعاء الثامن والعشرين من صفر))؛ غير أن السنة يتعذر قراءتها بسبب التلف. وتبدأ هذه القطعة بترجمة **محمد بن علي بن فرج القربلياني**؛ وتنتهي بالترجمة التي كتبها **ابن**

الخطيب لنفسه؛ على أن آخر ترجمة ـ قبل ترجمة **ابن الخطيب** ـ هي **ليحيى بن إبراهيم البرغواطي**؛ وذلك في اللوحة 165؛ التي ختمت بالعبارة التالية: ((كمل كتاب الإحاطة)). وتضم هذه القطعة التراجم المستهلة بـ: حرف الميم، والنون، والصاد، والعين، والفاء، والسين، وأخيراً الياء. وهي كما يبدو من فهرس القطعة المذكورة: 62 ترجمة. وإذا ما دقق فيها؛ سيتضح أنها تمثل قسماً من مخطوط **الزيتونة**؛ لأن تراجم هذه القطعة موجودة كلها ضمن الجزء الثالث من مخطوط **الزيتونة**.

ويوجد بالمتحف البريطاني أيضاً قطعة كبيرة من كتاب ((مركز الإحاطة))؛ الذي ألفه الأديب الشاعر الصوفي **بدر الدين البشتكي**؛ وقد اختصر فيه كتاب الإحاطة **للسان الدين ابن الخطيب**. وتشكل هذه القطعة ـ من كتاب مركز الإحاطة ـ النصف الأخير منه؛ وتحتوي على مختصرات لتراجم مجموعة من الكتاب والشعراء والأدباء؛ سبق أن ورد ذكرها في كتاب الإحاطة.

8 ـ قطعة مخطوطة بمكتبة ليدن بهولندة: توجد في هذه المكتبة قطعة من كتاب الإحاطة؛ يقدر حجمها بما يحتويه الجزء الثاني من هذا الكتاب؛ وهي محفوظة تحت رقم: 1082.

***

تلك هي المصادر الرئيسة من كتاب الإحاطة؛ ولم يبق أمام الباحث سوى دعمها بما ورد في مصادر ومراجع مختلفة: حديثة، وقديمة؛ يمكن أن تقدم فائدة معتبرة؛ من خلال المقارنات، والتمحيص، والشروح. وقد استفاد منها ـ حتماً ـ **عنان**، كما استفدت منها بدوري بعده. وفي مقدمة تلك المصادر يأتي كتاب نفح الطيب من غصن **الأندلس** الرطيب وذكر وزيرها **لسان الدين بن الخطيب**؛ **للمقري**. وكتاب التعريف **بابن خلدون** ورحلته غرباً وشرقاً، ثم كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة **لمحمد بن عبد الملك المراكشي**.. تتبع ذلك سلسلة من المراجع التي أثبتت عناوين بعضها في فهرس الكتب المساعدة في التحقيق.

***

ـ حول بعض الاختصارات ورسم الكلمات:

سيلاحظ القارئ الكريم في الرسم الإملائي المستعمل في الإحاطة بعض الاختلاف عما هو معتاد الآن. وقد ارتأينا الحفاظ على أصل النص؛ دون تدخل لتغييره؛ لأنه ليس خطأ عندما يتعلق الأمر بالأسلوب المغربي القديم. حتى وإن اعتبر عكس ذلك في الأسلوب المشرقي. فمن ذلك على سبيل المثال:

ـ تخفيف الهمزة وجعلها ياء؛ مثل: ((مكايد)) بدل ((مكائد))، وموايد بدل ((موائد))، وموازرة بدل ((مؤازرة))... إلخ.

ـ إغفال الألف في بعض الكلمات؛ مثل: الله، إله، الرحمن، طه، يسين، عثمن، سليمن، إسحق، هرون، إسمعيل، لكن ((لاكن))، أوليك (أولائك)، هولاء (هؤلاء))، هذا، هذه، هذان، هذين، هكذا.. إلخ.

إلى جانب هذا فقد حدث اضطراب وتذبذب من قبل الناسخ؛ بحيث يثبت كلمة في رسم معين؛ ثم يغفله مرة أخرى؛ مثل كتابة كلمة ((لكن)) و((لاكن)). كما أنه

يغفل أحيانا ألف ((ابن)) بين الكنية واسم العلم؛ ثم يثبتها لاحقا؛ دون مسوغ. ولما كان هذا كثير التكرار؛ فقد اكتفينا بهذا التنويه؛ تاركين لذكاء القارئ الكريم اكتشاف ذلك تباعاً.

وقد اختصرت بعض الكلمات في الهوامش؛ نذكر أهمها؛ مثل:

- الإحاطة: بدل: الإحاطة في أخبار غرناطة.
- إعمال الأعلام: بدل؛ إعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام؛ أو (وما يجر ذلك من مجون الكلام).
- اللمحة: بدل؛ اللمحة البدرية في الدولة النصرية.
- الريحانة: بدل؛ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب.
- النفاضة: بدل؛ نفاضة الجراب في علالة الإغتراب.
- الكتيبة: بدل؛ الكتيبة الكامنة فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة.
- الجيش: بدل؛ جيش التوشيح.

والعبر: بدل العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .

ـ التعريف: بدل ؛ التعريف برحلة ابن خلدون غرباً وشرقاً.

ـ النفح: بدل نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب.

ـ الأزهار: بدل ؛ أزهار الرياض في أخبار عياض. والذيل: بدل الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.

ـ الذخيرة: بدل ؛ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.

ـ والمقتبس: بدل ؛ المقتبس من أنباء أهل الأندلس ؛ أو (في أخبار بلد الأندلس).

ـ النثير: بدل ؛ نثير فرائد الجمانفي نظم فحول الزمان.

ـ الصبح: بدل ؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء.

الوفيات: بدل ؛ وفيات الأعيان في أنباء أنباء الزمان.

ـ الفوات ؛ بدل فوات الوفيات.

ـ والبيان الغرب: بدل؛ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.

وبالجملة ؛ فقد اعتمدنا أسلوباً ؛ احترمنا فيه النص الأصلي ؛ فلم نشوهه ؛ واكتفينا بالتصحيح في الهوامش.

وعلى الله التوفيق.

***

ـ نهج الإحاطة في مجمله :

لقد أشرت في الصفحات السابقة ؛ خلال الحديث عن منهج من سبق في العمل على كتاب الإحاطة ؛ أنني اضطررت إلى تغيير مسلك **عنان** في تجزئة الكتاب وتصنيفه. كما أشرت أيضاً ـ في بداية المقدمة ـ إلى أن الغرض من مراجعة هذا العمل، وتصحيحة ؛ وتنقيحه ؛ هو الرغبة في تعميم فائدته، وتسهيل الاستفادة منه ؛ بحيث يغدو مرجعاً أساساً ؛ لدى الساهرين على الثقافة **المغربية** ؛ عبر عصورها السالفة. لأن هذا العمل الهام ؛ سيغدو ـ **لا محالة** ـ بمثابة المعين العذب الرقراق، والنبع الغزير الفياض ؛ ذي الطلاوة والإشراق والروعة والثراء. ويضحى في مقام السراج المنير بشعاع الفكر والإبداع **المغربي** ؛ بحيث يساعد

المربين والمعلمين على تقديمه لطلاب العلم في أشهى وجبة، وأغنى غذاء وأطيبه، وأروع صورة.

فهذا الكتاب ـ بدون شك ـ يشتمل على أعمال رائعة؛ صاغها الأجداد بسطور من عسجد مصفى.. أعمال تناولت مواضيع شتى ومتنوعة؛ في: الأدب والفلسفة، والدين، والطب، والصيدلة، والفلك، والرياضة، والتاريخ، والجغرافية... إلخ. بالإضافة إلى أنه يُعَرِّف بعدد كبير من العلماء، والفقهاء، والأدباء، والأديبات، والفنانين، والملوك، والساسة، والقادة العسكريين...إلخ.

وقد أوضح **ابن الخطيب** خطته، ومسار عمله بقوله: ((والتَّرتيب الذي انتهت إليه حيلتي، صرفتُ في اختياره مُخَيَّلَتي؛ هو أنِّي ذكرت البلدة حاطها الله؛ مُنبِّهاً منها على قَديمِها، وطيب هوائها وأديمِها، وإشْراقُ عُلاها، ومَحاسن حُلاها، ومن سَكَنَها وتَولاَّها، وأحْوال أناسها، ومن دال بها من ضُروب القبائل وأجناسها، وأعطيت صورتها، وأزحْت في الفَخْر ضرورتها، وذكرت الأسماء على الحروف الُمبَوَّبَة، وفصلت أجناسهم بالتّراجم الُمتَرَتِّبة.

فذَكَرْت: **الملوكَ والأمراءَ**، ثمّ **الأعْيان والكُبراء**، ثمّ **الفضلاء**، ثم **القُضاة**، ثمّ **المُقرِئين والعُلماء**، ثمّ **المُحَدِّثين والفُقَهاء**، وسائر **الطَّلبة النُّجباء**، ثمّ **الكُتَّاب والشُّعَراء**، ثمّ **العُمَّال** الأُثَراء، ثمَّ **الزهَّاد والصُّلحاء**، **والصُّوفية الفُقَراء**؛ ليكون الابتداء بالمُلْكِ، والإختِتام بالمِسْكِ، ولِيُنْظَم الجميع انتظام السِّلْك؛ وكلُّ طَبَقة تَنْقسِم إلى من سَكَنَ المدينة بحكم الأصالة والإسْتِقْرار، أو طَرَأ عليها ممّا يُجاوِرها من الأقطار، وخاض إليها وهو الغريب أثباج البحار)). وبهذا؛ يكون **ابن الخطيب** قد عالج في كتابه الأوجه كلها، وطبقات المجتمع كافة؛ صغيرها وكبيرها. لأن التاريخ لا يصنعه الملوك والأمراء فحسب. بل التاريخ الحقيقي تصنعه الشعوب؛ بعلمائها، وأدبائها، وفنانيها، وقادتها، وعمالها، وفلاحيها، وبناة اقتصادها ومحققي ثرائها.

لذلك؛ فكتاب الإحاطة غزير المحتوى غنيّ المادة؛ في هذا المجال؛ إذ يُعَرِّفُ بالفئات المذكورة جميعها؛ كبيرهم وصغيرهم، وغنيهم وعقيرهم.. فهذا الكتاب يُعَرِّفُ في البدء:

ـ **بلسان الدين محمد بن الخطيب**: الشاعر الفحل، والأديب الرائع، والعالم الفذ، والفيلسوف الحكيم، والطبيب الماهر، والصيدلي البارع، والموسيقي الموهوب، والفقيه المدقق، والفلكي النابغة، والصوفي النزيه.

وإلى جانب ذلك؛ يعرض الكتاب أيضاً نماذج رائعة من أعمال هذا النابغة؛ سواء الشعرية منها أم النثرية. وهذه الأعمال ـ طبعاً ـ تحتل مركزاً رفيعاً؛ في قمة الأعمال الأدبية، والعلمية العربية كلها.

ومع هذا؛ فلا تجد هذه الأعمال عناية لائقة من قبل الساهرين على تأليف الكتاب المدرسي في هذه الديار. وبالمقابل يسهل التأكد من أن هذه المناهج مليئة بالأعمال المتواضعة الغريبة؛ التي تقدم إلى أبناء هذا الوطن؛ مع أنها لا تشبع ولا تغني من جوع.

ثم أن هذا الكتاب يعرف أيضاً بعدد كبير من العلماء ورجال الفكر والإبداع في بلاد المغرب والأندلس؛ مثل:

ـ **ابن خلدون**؛ العلامة العظيم؛ صاحب الفكر النَّيِّر؛ الذي سبق عصره.

ـ **وأحمد بن جزي**؛ الشاعر، الناثر، صاحب القلم الرفيع.

ـ **ومحمد بن محمد بن جزي**؛ الشاعر البارع، والكاتب البديع، والمؤرخ الضليع.

ـ **ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم**؛ الوزير الكاتب، والشاعر المتفنن.

ـ **ومحمد بن يحيى البرجي**؛ الكاتب، والقاضي، والشاعر المجيد.

ـ **وأحمد بن الزبير**؛ الفقيه، المؤرخ؛ الضليع في علوم اللغة، والحديث، والتجويد.

ـ **وأحمد بن عبد الملك بن سعيد**؛ الشاعر، الأديب، الناقد.

ـ **وأحمد بن صفوان**: الشاعر الفحل، والناثر المتميز.

ـ **وأحمد بن أيوب اللمائي**؛ الوزير الكاتب، المتفنن، والشاعر المجيد.

ـ **وأحمد بن محمد بن طلحة**؛ شاعر الرقة والجمال، ومخترع الجديد من الألفاظ والمعاني.

- **وأحمد بن خاتمة الأنصاري**؛ أحد الصُّدُور في ميدان الأدب **بالأندلس**. شاعر فحل، متفنن، وكاتب رفيع الإنشاء.

- **وأحمد بن عطية**؛ كاتب الدولتين: **المرابطية**، **والموحدية**؛ نابغة في الكتابة، وشاعر لطيف المعاني.

- **وأحمد بن محمد الكرياني الفاسي**؛ شاعر مطبوع، وطبيب ماهر؛ اشتغل بالفلسفة والعلوم العقلية.

- **وأحمد بن عبد الله بن عرفة**؛ فقيه، وشاعر مجيد.

- **وأحمد بن علي الملياني**؛ الشاعر الجيد، والكاتب المتمكن.

- **وأحمد بن الحسين بن الزيات الكلاعي**؛ الفقيه المحقق، والخطيب البليغ.

- **وإبراهيم بن محمد الساحلي المعروف بالطويجن**؛ الأديب البارز، والشاعر الفحل.

- **وإبراهيم بن عبد الله المعروف بابن الحاج**، الأديب المتميز، والكاتب المتمكن، والشاعر المتفنن؛ صاحب التصانيف العديدة.

- **وإبراهيم بن محمد النفزي**؛ الشاعر المتصوف المتميز؛ صاحب الأعمال الجليلة والتآليف المفيدة.
- **وحفصة الركونية**؛ الشاعرة الرقيقة؛ ذات الفطنة واللوذعية.
- و**أم الحسن بنت القاضي الطنجالي**؛ العالمة الطبيبة، والشاعرة الرقيقة.
- **والخضر بن أحمد بن أبي العافية**؛ صدر من صدور القضاء، وعلماً من أعلام الكتابة شعراً ونثراً.
- **ومحمد بن عباد**؛ الملك الشهير، والشاعر الرقيق.
- **ومحمد بن محمد بن عياش المعروف بأبي البركات**؛ الشاعر المتميز، والكاتب النحرير.
- و**محمد بن أحمد بن حيُّون الحسني**؛ صاحب القصيدة الجيدة التي اشتهرت بالمقصورة.
- **ومحمد بن أحمد الفشتالي**؛ الأديب البارع؛ وهو أحد صدور التوثيق في بلاد **المغرب**.
- **ومحمد بن محمد المقري** الجد؛ أحد الأقطاب في الفقه والأدب والشعر والحكمة.

ـ **ومحمد بن أحمد بن عبد السلام**؛ الشاعر البارع، وصاحب التصانيف البديعة.

ـ **ومحمد بن أحمد بن شبرين**؛ الكاتب البارع، والشاعر المجيد.

ـ **ومحمد بن عبد الله بن خطاب الغافقي:** الفقيه المحقق؛ صاحب الفكر النير، والشاعر المجيد، والكاتب النابغة؛ كاتب دولة بني عبد الواد في عهد **يغمراسن بن زيان.**

ـ **ومحمد بن عمر المليكشي؛** الأديب الصوفي، والشاعر المتفنن.

ـ **ومحمد بن أحمد الهواري**؛ الشاعر البارع.

ـ وأعداد كبيرة أخرى؛ من عظماء هذه الأمة؛ مثل:

ـ **ابن طفيل، وابن باجة، وابن رشد،** وغيره من الفلاسفة، وصانعي الفكر؛ الذين زاروا **غرناطة** أو عاشوا فيها. بالإضافة إلى عدد من الملوك المتميزين في دول **المغرب والأندلس**؛ مثل:

ـ سلاطين **دولة بني نصر**، وبعض سلاطين **الدولة المرينية**، **ودولة بني زيان، والدولة الحفصية**؛ بالإضافة إلى بعض

ملوك **بني أمية** في **الأندلس**، وبعض الرؤساء المتغلبين على مقاطعات ومدن **بالأندلس**؛ عقب سقوط **الدولة الأموية**.

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الملوك والأمراء؛ المشاركين في ميادين الأدب؛ وهم كثيرون؛ ولا يتسع المجال لذكرهم هنا؛ وأخبارهم متواجدة في كتاب الإحاطة.

وهكذا؛ فالأمثلة كثيرة؛ لا مجال هنا لتعدادها؛ إذ يقارب عدد التراجم المعدة في الإحاطة خمسمائة ترجمة تقريباً؛ كلها لأعيان **الأندلس والمغرب**. منها ما هو معروف، ومنها ما لا يعرف عنه الكثير؛ إلى جانب من لا يعرف عنه تماماً.

وقد تناول **ابن الخطيب** كتابه بمنهج شامل؛ حتى وإن وصف بالاختصار؛ بحيث عرض جوانب متنوعة؛ عن كل شخصية ترجم لها: وقد شرح خطته بقوله: ((وذهبت إلى أن أذْكر الرَّجُل: ونسبه، وأصالته، وحسبه، ومولده، وبلده، ومذهبه، وأنْحالَه، والفَنَّ الذي دعَى إلى ذكره، وحِلْيَتِه، ومشيخته؛ إن كان ممن قَيَّدَ علماً أو كَتَبَه، ومَآثِره إن كان ممن وصل الفضل بسببه، وشعره إذا كان شاعراً،

وأدبه وتصانيفه، إن كان ممن ألَّفَ في فَن أو هَذَّبَه، ومحنته إن كان ممَّن بزَّه الدَّهْر شيئاً أو سَلَبَه، ثمّ وفاته ومُنْقلبه؛ إذ استرجع الله من منحه حياته ما وهبه)).

وعلى الرغم من ثراء المحتوى، وروعة المادة المعروضة في كتاب الإحاطة؛ إلاّ أنه قدم للقراء - في طبعاته السابقة - ضمن ثوب مهلهل بال؛ لا يستقطب بعيداً، ولا يغري قريباً. ولا يفتح شهية، ولا يثير حمية.

وعلى هذا؛ فقد ارتأينا إعادة النظر في شكل هذا الكتاب العظيم في محتواه؛ وإعادة عرضه ضمن ثوب ناصع براق؛ محلى بالوشي والزينة والوضوح. وهكذا؛ انصب الاهتمام - منذ البداية - على السماح للكمات المطبوعة بالتنفس والانفساح، والفقرات المخنوقة بالانعتاق والانشراح؛ ورفع الضغط على الجمل والعبارات المتراكمة. لأن محتوى هذا الكتاب - حتى وإن علت قيمته، وسمت معانيه - فلن يستسيغه الناس.. كل الناس؛ إلاّ في ثوب أنيق؛ يتماشى مع العصر الذي نعيش فيه.. عصر تطورت

فيه وسائل الطباعة وأشكالها، وتكاثفت خلاله الأعمال الجيدة الجذابة.

ومن هنا؛ أضحى هذا الكتاب؛ غير منسب في شكله الذي وضعه **عنان** من قبل؛ وسار على منواله الدكتور **علي طويل**. لذا وفقد غدا الحال يلح على التوسع والتمدد بعض الشيء؛ الأمر الذي اضطرنا إلى إعادة تصنيفه ضمن خمسة مجلدات؛ بدل الأربعة السابقة. خاصة وأن **عنان** نفسه ـ صاحب الأربعة مجلدات ـ لم يلتزم بالتصنيف الذي وضعه مؤلف الكتاب **ابن الخطيب**. لأن هذا الأخير صنف كتابه إلى أسفار؛ ربما وصل عددها إلى اثني عشر سفراً. كما أن صاحب طبعة سابقة اكتفى بمجلدين اثنين لا غير. وحتى المخطوطات المتواجدة في **تونس**، **وإسبانيا**، **والمغرب**؛ فقد تباينت في أعداد مجلداتها. فمخطوط **الزيتونة** على سبيل المثال؛ يتشكل من ثلاثة مجلدات، ومخطوط مكتبة أكادمية التاريخ الملكية **بمدريد** ضمن مجلدات ثلاثة أيضاً. بينما يقتصر مخطوط **جاينجوس بإسبانيا**، ومخطوط **الإسكوريال**؛ على مجلد واحد كبير

فقط. وعلى هذا؛ لا نجد حرجاً في اللجوء التحسين، والتصرف في الشكل، والسعي إلى التغيير.

***

ـ كتاب الإحاطة أمام ناقديه:

وقبل الاختتام؛ لابد من الاشارة هنا إلى النقد الذي تعرض له المجلد الأول من الإحاطة في طبعته الأولى (الصادرة في القاهرة سنة 1956م).

فأثناء كتابة هذه المقدمة تفضل الأستاذ **محمد شايب شريف** ـ مشكوراً ـ فأعارني المجلد الثاني من مجلة معهد المخطوطات العربية **بمصر** (الصادر في شوال 1375هـ/1956م). وهي السنة نفسها التي صدر فيها المجلد الأول للإحاطة. وكان قد نبهني ـ من قبل ـ إلى مقالة نقدية تخص الإحاطة؛ كتبها الدكتور **لطفي عبد البديع** سنة 1956م؛ في تلك المجلة. وبالاطلاع على المقالة المذكورة تبين عدم جدواها؛ لأسباب عديدة؛ منها:

ـ أنها كتبت بغرض نقد المجلد الأول من الإحاطة؛ الصادر ـ كما ذكر ـ في سنة 1956م. بينما مجلد الإحاطة المعتمد في هذا

العمل ؛ هو الصادر في الطبعة الثانية سنة 1393 هـ/1973.
وهذه الطبعة الأخيرة نقحها **عنان** وصحح أخطاءها ؛ وراجعها ـ كما قال ـ بعد الإطلاع على مخطوطات إضافية من خزائن الكتب **المغربية**.

ـ ملاحظات الناقد انحصرت في المواضيع الشكلية المبسطة ؛ دون الرجوع إلى المخطوطات التي اطلع عليها **عنان** في جهات مختلفة من بقاع الأرض كـ: **تونس والمغرب وإسبانيا، ومصر.**

وعليه فالناقد ـ هنا ـ لم يبذل جهداً ملحوظاً في إعادة صياغة ما كتبه **عنان** ؛ بالاستناد إلى المخطوطات الأصلية المعتمدة، أو اكتشاف مخطوطات غيرها. وبذلك يكون ما قام به الدكتور **لطفي عبد البديع** ؛ عبارة عن نقد نظري مرسل ؛ لا يرقى إلى النقد العلمي الدقيق. وكل ما قام به ؛ هو تسجيل ملاحظاته وانتقاداته بالصورة التالية :

ـ أولا : أنه أشار ـ بواسطة علامة استفهام ـ بجانب كلمة "أظَلَّ" الواردة في عبارة ؛ ((أظَلَّ [أي **أبو الخطار حسام بن**

ضرار] على **قرطبة** على حين غفلة))[1]. معتقداً أن كلمة "أظلَّ" غير صحيحة. بينما هي صحيحة ومفهومة. وقد تجرأ فعوضها بكلمة "أطَلَ" ؛ دون ذكر المصدر المعتمد في ذلك. وأشار ـ بالإستفهام أيضاً ـ إلى كلمة ((مُدينه)) الواردة ضمن عبارة: ((فانقاد إليه [أي إلى **أبي الخطار**] الجميع بحكم عهد مُدِينِه **حنظلة بن صفوان**))[2]. ولكن الناقد كتبها ((مدينة))؛ وهو تحريف ورد في مخطوطات ثلاث من الإحاطة؛ ذكرها **عنان** في الهامش[3]؛ بعد أن صحح النص. وكلمة (مُدينه)) تعني: أحسن إليه وملكه، وهي صحيحة، ولا غبار عليها.

المهم أن الدكتور **لطفي عبد البديع** أحال القارئ إلى نص اعتقد في صحته؛ وهو ـ كما قال ـ نقله عن طبعة قديمة للإحاطة. ولم يذكر أي طبعة قديمة للإحاطة يمكن الإعتماد عليها غير طبعة **عنان**؛ اللهم إلاّ إذا قصد بذلك الطبعة المشوهة المذكورة أعلاه؛ أي النسخة المطبوعة؛ في

---

[1] مجلة معهد المخطوطات العربية؛ مج: 2، ص: 199. أنظر في بالمقابل المجلد الأول من الإحاطة؛ القاهرة؛ الطبعة الثانية، سنة 1973؛ ص: 103.

[2] مجلة معهد المخطوطات العربية؛ مج: 2، ص: 199.

[3] الإحاطة ط: 2، 1973، مج: 1، ص: 103.

مجلدين **بالقاهرة** سنة 1901م؛ بواسطة شركة طبع الكتب العربية؛ وتمتلك دار الكتب **المصرية** نسخة منها. وهي التي ـ كما يبدو ـ اكتفى بها الدكتور **لطفي عبد البديع؛** نظراً للسهولة الوصول إليها. وقد ورد ـ فيما سبق ـ أن هذه النسخة القديمة رديئة ومشوهة؛ وقد نقدها وتأسف لأخطائها المستشرق **الألماني زايبولد؛** من خلال مقال كتبه في دائرة المعارف الإسلامية.

ـ ثانياً: نبه الناقد إلى بعض النصوص المضطربة الواردة في الطبعة الأولى من الإحاطة. واقترح تعديلها والتصرف فيها بالإطلاق، وبدون قيود. ثم قدم نموذجاً لمقترحه؛ وبعدها خلص إلى القول: ((وبذلك يكون سياق العبارة بعد تصحيح الخطأ، وإسقاط الزائد، وحذف المكرر على النحو التالي... وبهذا يرتفع الإشكال.))[1]. غير أن ما قاله هذا الناقذ الفاضل هنا مخالف لمنهج البحث العلمي التاريخي. إذ لا يجوز التصرف في النص الأصلي بالتعديل أو إسقاط الزائد أو حذف المكرر؛ كما قال. وكل ما يمكن

---

[1] مجلة معهد المخطوطات العربية؛ مج: 2، ص: 200.

للباحث فعله؛ هو التعليق على ذلك، وتصحيح الأخطاء في الهوامش.

ـ ثالثاً: أورد بعض الكلمات على أنها خاطئة؛ منها: اسم (**بَلْج بن بِشْر القشيريّ**) زاعماً أن **عنان** أخطأ بضبط اسم **بَلْج** (بضم الباء)؛ بالإضافة إلى اسم (**الرازي**)؛ الذي قال أن **عنان** كتبه (**العروسي**)؛ وكل هذا غير موجود في الطبعة الثانية. ثم أنه اعترض على عبارة ((المآزر المشفوعة))، واقترح ـ بجرأة ـ أن تكون (المآزر المشقوقة)؛ لأنه ـ حسبما يبدو ـ لم يفهم تلك الكلمة؛ بينما هي تعني: ((المآزر الطويلة))؛ كما ورد في معاجم اللغة. وزعم أيضاً أن **عنان** أخطأ ـ في فصل سِيَر أهل قطر **غرناطة** ـ حين كتب عبارة (أحوال سَنِيَّة) بدل عبارة ((أحوال سُنَّة))؛ التي نقلها الناقد من كتاب **الحلل السندسية لشكيب أرسلان** كما قال. وفي الواقع لم يفوت **عنان** فرصة التعليق على هذا؛ إذ سجل ذلك في الهامش على أنه تحريف وقع في مخطوطي: ك ، ج. والشيء نفسه ينطبق على عبارة ((وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية))؛ التي ذكر أن **عنان** كتبها:

((وأخلاقهم في احتمال المعاوز الجبائية)). غير أن كلمة (المعاوز) وردت محرفة في المخطوط: ك. وقد أشار إلى هذا **عنان** في الهامش. وزعم كذلك أن **عنان**؛ أخطأ حين كتب ((وألسنتهم فصيحة يتخللها غرب))؛ ورأى جازماً أن الكلمة الأخيرة هي ((إعراب)). بينما تبين أن التي كتبها **عنان** صحيحة؛ إذ ورد في معاجم اللغة أن كلمة((غرب)) تعني: الحدة في اللسان والسيف، وغربت الكلمة: أي عصت؛ وهي غير مألوفة.

وفي فقرة الأنساب؛ اعترض على كلمة ((الإستراعات))؛ وجزم ـ بجرأة ـ أنها ((الإشتراعات)). بينما يقول **عنان** ـ في الهامش ـ معلقاً عليها: ((هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة، وكذا الملكية؛ ولعلها (الإشراعات)، ومفردها إشراع، أو (الاشتراعات)؛ بمعنى مرسوم أو ظهير. أو لعلها ـ إن كانت صحيحة ـ تعبير **أندلسي** قديم عن الإشراعات)). إذن؛ فما الجديد الذي أضافه الدكتور **لطفي**؟ وقد اعتبر ـ كذلك بتعسف ـ أن كلمة ((الأمِّي)) زائدة في فصل الأنساب ويستوجب حذفها.

مع أن ثمة عشيرة **عربية** تسمى: ((**أمة**)). إذ جاء في **كتاب الأنساب لابن دريد**: ((في **بني نصر بن معاوية** بطن يقال له **بنو أمة**))[1]. وعليه لا يجوز التسرع في الأحكم هكذا.

أما بخصوص كلمة ((**النمري**))؛ فيبدو ـ والله أعلم ـ أن الناقد **وعنان** حادا عن الصواب. لأن الإسم ذكره **ابن دريد** بفتح النون مع التّشديد وسُكون الميم[2] .

أما كلمة (**الحجحي**) فتطلق على الذي ينتسب إلى **فخذ الحجاج؛** من بطن **ثعلبة بني صقيل؛** وينتمون إلى **بني هلال بن عامر؛** القاطنين في **إفريقيا الشمالية.** وكلمة (**الحجحي**) هنا لا علاقة لها بـ (**الحجبي**) التي ذكرها الدكتور **لطفي عبد البديع.**

وأما كلمة ((**الحمي**)) التي اعترض عليها الناقد، وتوهم أنها ((**اللخمي**))؛ فهي حقيقة؛ نسبة إلى بطن من بطون **قبيلة تجيب** تسمى (**حميّ بن عامر**)). يبقى أن اسم ((**اللخمي**)) سقط من قائمة الأنساب المذكورة؛ ولا علاقة **لعنان** بذلك؛ بل العيب في النص الأصلى.

---

[1] ص: 54.

[2] الإشتقاق، ص: 184.

كما اعترض الدكتور **لطفي** أيضاً على عبارة (على عنائهم)؛ في القول: ((إلاّ من كان قد نزل منهم [أي **البلديون**] لأول قدومه في الفتوح على عنائهم موضعاً رضياً))؛ فرأى أنها (غنائمهم) وليس (عنائهم). مع أن العبارة المذكورة في الإحاطة واضحة؛ إذ تفيد أن ((**العرب والبربر**)) نزلوا في تلك الديار أيام الفتح ـ ومع أنهم عانوا كثيراً ـ فإنهم نزلوا موضعاً رضياً.

كما أن اعتراض الدكتور **لطفي** على كلمة (**عروبية**) لا مسوغ له؛ لأن الكلمة صحيحة؛ إذ تصرف في قواميس اللغة هكذا: عَرَب، وعُرْباً، وعُرُوبَة، وعَرَابَة، وعُرُوبِيَّة. فكلها صحيحة؛ و(**العروبية**) مصدر من **العرب لا** فعل له. وعليه؛ لا لزوم للتشبث الملح؛ من قبل الناقد بكلمة **عروبة** فقط.

والغريب أنه يعتقد أن كلمة (أقتالهم) خطأ؛ ويقول أنها (أقيالهم). ظاناً أنه في **اليمن**؛ مع أن الكلمة صحيحة وشائعة الإستعمال في البلدان **المغربية والأندلس**؛ والمقصود بها هي: أعداؤهم الذين يقاتلونهم. وجاءت العبارة في

الإحاطة هكذا: ((وزيّهم في القديم شبه زي أقتالهم وأضدادهم من جيرانهم **الفرنج**؛ إسباغ الدروع، وتعليق الترسة... إلخ)).

كما اقترح عبارة (وجفاء البيضات)؛ بينما الصحيح ما ورد في الإحاطة: ((وحفا البيضات)). والبيضات هي الخوذ؛ التي تحمي الرأس عند القتال؛ و(حفا): تعني لمعان الشيء كالبرق.

أما **الصّدفي** (بكسر الصاد المشددة)، و(**مزني**) بفتح الميم؛ فهو خطأ؛ وقع فيه **عنان**، وأصاب الدكتور **لطفي**؛ لأن الأولى نسبة إلى بعض العشائر **العربية**؛ تسمى كل واحدة منها الصَّدِف (بفتح الصّاد المشددة وكسر الدال). **كالصَّدف بن مالك**، **والصَّدِف بن عمرو**، **والصَّدِف بن أسلم**. والثانية نسبة إلى بعض العشائر **العربية** أيضاً تسمى ((**مُزيْنة**)) بضم الميم ونصب الزاي.

أما خبر **ابن الزقاق**، ثم خبر **أحمد بن عبد الملك ابن سعيد** مع **عبد المؤمن بن علي**؛ فلم يظهر في الطبعة

الثانية من الإحاطة شيء مما ذكره الناقد. بينما صح ما قاله بخصوص خلل في وزن الأبيات المرقصة.

ثم أن الدكتور أبدى انزعاجه من التعاليق التي سجلها **عنان** في الحواشي؛ واصفاً بعض مدن **إسبانيا** المذكورة في النص. وقال: ((ما شأن كتاب كالإحاطة بجمال المدن **الإسبانية** وعدد سكانها اليوم؛ كقول الناشر في **ألمرية**....)). وهذا لا يعيب التحقيق؛ لأن الهامش ميدان ومساحة للمحقق؛ يكتب فيه ما يراه مفيداً. وطبعاً مدينة **كألمرية** مهمة جداً؛ ومعرفتها حالياً تساعد على تصور حالها في الماضي.

والغريب - هنا - هو إصرار الدكتور **لطفي**؛ على ترديد كلمة ((الناشر))؛ في كل مرة يشير فيها إلى **عنان**؛ وكأنه مصمم على نفي صفة المحقق عنه. وهذا مؤسف حقاً.

ثم أن كلمة ((الثرَّة)) التي اعترض عليها الدكتور **لطفي** صحيحة، ولا غبار عليها؛ وتعني: السعة والتبسط.

أما اسم ((**ابن قندة**)) ؛ فهو خطأ ؛ واعتراضه عليه في محله ؛ إذ هو (**ابن مندة**).

كما أن هذا الناقد يعتقد ـ خطأ ـ أن بيتي الشعر **لأحمد بن أبي جعفر بن عطية** يشوبهما عيب في الروي ؛ معتقداً أنهما متكاملان ومتتابعان ضمن قطعة أو قصيدة واحدة. وهذا غير صحيح ؛ لأن البيت الأول الذي يقول فيه :

فعفــواً أميــر المؤمنين فمــن لنــا
بحمــل قلــوبٍ هَدَّهــا الخفقــــانُ

لا يجتمع مع البيت الثاني في سياق أو قصيدة واحدة ؛ إذ تفصل بينهما في الإحاطة عبارة جاء فيها :

((وكتب مع ابن له صغير آخرة ؛ [أي قصيدة أخرى])) :

عطفــاً علينــا أمير المؤمنيــن فقــد
بان العــزاء لفرط البَــثِّ والحــزَنِ

المهم؛ أن هذا الرد على نقد الدكتور **لطفي عبد البديع**؛ لا يعني أن تحقيق **عنان** للإحاطة يخلو من الأخطاء، ولا تشوبه شائبة؛ بل ثمة أخطاء وقع فيها هذا الأستاذ الكبير؛ ولكن لا ننسى أن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى. ولا يوجد بين الباحثين والنقاد من يتصف بالعصمة والكمال.

ومع هذا؛ ليس من العدل والإنصاف؛ نكران ما بذله الآخرون؛ من جهد وعمل نافع. لذا؛ فرأينا هو أن **عنان** سبق غيره في النبش والبحث والتنقيب عن هذا التراث العظيم. ولم يتردد أو يتكاسل في الانتقال بين الأوطان المختلفة لكي يجمع شتات هذا العمل. كما أنه سهر الليالي؛ باذلاً جهداً كبيراً في تنسيق المادة التاريخية التي عثر عليه؛ حيث نظمها في عقد واحد؛ وأبرزها للناس في وشاح مذهب هو الإحاطة.

ومن المؤسف أن نرى غيره من الكتاب والنقاد والمؤرخين؛ من يكتفي بالنقد السهل؛ ضمن صفحات قليلة؛ دون أي حافز جاد لبذل ما بذله الأستاذ **عنان**؛ من

سهر وجهد ومعاناة في البحث ـ عبر البلدان **العربية** والأجنبية ـ عن المخطوطات المكملة لعمله أو المصححة له.

وكل ما يستحق الذكر والتنويه في هذا السياق؛ هو العمل الذي قام به الدكتور **يوسف علي طويل** من **لبنان**؛ إذ قام بإعادة نشر كتاب الإحاطة مع مراجعته وتصحيحه. ولكن؛ ما يؤخذ عليه؛ أنه أسقط الهوامش المعدة من قبل صاحب التحقيق الأساس؛ على الرغم من ضرورتها ولزوم بقائها؛ لما لها من فائدة؛ إذ تحيل الباحثين إلى مصادر الأصول الأولى المتناثرة للكتاب.

هذا بالإضافة إلى أنه لم يشر إلى سلفه **عنان** بقليل أو كثير، ولم يذكر فضله؛ مع أنه اعتمد أساساً على كتابه. وهذه وصمة؛ أرجو أن يتخلص منها الدكتور **طويل**.

وجملة القول؛ يبدو أن **عنان** تدارك الأمر ـ كما ذُكِر ـ فصَحَّحَ معظم الأخطاء في الطبعة الثانية. ومع هذا؛ فكتاب الإحاطة ما زال في حاجة دائمة إلى مراجعة وتنقيح. وعليه؛ فلا يمكن التغاضي عن الأخطاء الإملائية والنحوية والتاريخية الموجودة في هذا الكتاب؛ إذ لابد من التصدي

لذلك، وتصحيح ما يمكن تصحيحة؛ وإجلاء الغموض عما في الكتاب من التباس واضطراب.

***

ولا بد لي ـ قبل أن أنهي كلامي هذا ـ من الإشادة والتنويه بالدور العظيم، والجهد الكبير الذي بذلته، وقامت به زوجتي الفاضلة؛ الأستاذة **بوزياني ذهبية**؛ إذ وقفت إلى جانبي؛ خلال إنجازي هذا العمل الجليل؛ فتكفلت بالقيام ببعض الأعمال الهامة؛ من: تصفيف على الحاسوب، وتصحيح لما كتب. بالإضافة إلى أنها كانت المحرك القوي الذي ينشط حركتي؛ كلما انتابها شيء من التباطؤ والفتور، وراودها حنين إلى الكسل والقصور.

ولا يفوتني ـ هنا ـ تقديم اعتذاري وأسفي مسبقاً؛ على كل ما سيظهر للقارئ الكريم من سهو، أو تقصير، أو خطأ غير متعمد؛ فيما تم إنجازه من هذا العمل الهام؛ ذلك أن عملاً كهذا؛ بمواصفاته السامية، ومحتواه الجليل، وقيمته العلمية الرفيعة، وحجمه الضخم؛ يتطلب جهداً

وسهراً ؛ يستحق سنوات عديدة من العمل المتواصل ؛ بينما لم يترك لمنجزه من الوقت المسموح به سوى أشهر قلائل ؛ وعلى هذا ؛ اقتضى منا الحال الحيطة والاعتذار مسبقاً.

والله سبحانه خير معين ؛ ومنه نلتمس التوفيق.

بوزياني الدراجي

الجزائر في : 30 مارس 2009م

الرموز المستعملة
للدلالة على نسبة المخطوطات

اعتمد **عبد الله عنان** رموزاً لكي يختصر الكلام في تعيين نسبة المخطوط المراد ذكره في الهوامش. وقد ارتأينا السير على نهجه عند التطرق للمخطوطات التي اكتشفها. وتلك الرموز كما يلي :

1 ـ مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة يرمز له بحرف : ((ك)).

2 ـ مخطوط أكادمية التاريخ (جاينجوس) يرمز له بحرف : ((ج)).

3 ـ مخطوط (كوديرا) المنقول عن مخطوط الزيتونة يرمز له بحرف : ((ت)).

4 ـ مخطوط رواق المغاربة بالجامع الأزهر ؛ وهو المعتمد عليه في بعض التراجم الواردة فيه ؛ يرمز له بحرفي : ((ر. م)).

5 ـ مخطوطي : دار الكتب وجاينجوس مجتمعين ؛ يرمز لهما بكلمة : ((المخطوطين)).

6 ـ مخطوط الخزانة الملكية **بالرباط** ؛ يرمز له بكلمة : ((الملكية)).

بسم الله الرحمان الرحيم

و صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[قال الشيخ الأديب البارع، **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني**][1]:

أما بعد الحمد لله الذي أحصى الخلايق عـدَداً، وابتلاهم اليوم ليَجْزِيَهم غداً، وجعل جيادَهم[2] تتسابق في ميادين الآجال إلى مدًى، وبايَنَ بينهم في الصور والأخلاق، والأعمال والأرزاق، فلا يجدون بما[3] قُسمَ مَحيصاً[4]، ولا فيما حكم مُلْتَحَداً[5]؛ وَسِعَهُمْ[6] عِلْمُهُ على

---

[1] العبارة المحصورة ما بين الحاصرتين لم ترد في غير: ج. أما الفقرات التالية كلها؛ فقد أثبتها ابن الخطيب في كتابه: ريحانة الكتاب.

[2] جياد مفردها جواد: سريع الجري؛ فيقال: ((فرس جواد، وخيل جياد)).

[3] في ريحانة الكتاب: ((عمّا)).

[4] أي فلا يجدون بما قسم مهرباً.

[5] أي: ((ملجأ)). وجاء في قوله تعالى: ﴿ **وَاتْلُ مَا أوحِيَ إلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً** ﴾. سورة الكهف؛ الآية: 27

[6] في ريحانة الكتاب: ((ووسعهم)).

تَبايُنِ أفْراقِهِمْ[1]، وتَكاثُفِ أعْدادِهِم: والِداً وَوَلَداً، ونَسَباً وَبَلَداً، ووفاةً ومَوْلِداً. فمنهم النّبيه والخامِل، والحالي[2] والعاطل، والعالم والجاهل: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾[3]. وجعل لهم الأرض ذلولاً يمشون في مناكبها[4]، و يتخذون من جبالها بيوتاً[5]، ومن متاعها عُدَداً، وخَصَّ بعض أقطارها بمزايا تدعو إلى الاغتباط والاعتمار[6]، وتَحُثُّ

---

[1] أفراقهم مفرده: الفِرْق، وجمع جمعه أفاريق: الطائفة من الناس. وقد وركتبت في ريحانة الكتاب: ((أفرادهم)).

[2] أي الحاذق.

[3] الآية كاملة هكذا: ﴿ **وَوُضِعَ الكِتَابُ فتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إلاَّ أحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَداً** ﴾. سورة الكهف؛ الآية: 49.

[4] مناكبها: أي في جوانبها. وهذا كله إحالة إلى قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ ذَلُولاً فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾. سورة الملك؛ الآية: 15.

[5] إحالة إلى آيات كريمة ثلاث؛ هي: ﴿ **وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأكُمْ فِي الأرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاَءَ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾. سورة الأعراف؛ الآية: 74. و﴿ **وَأوْحَى رَبُّكَ إلَى النَّحْلِ أنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ** ﴾. سورة النحل؛ الآية: 68. ثم (**وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ** ﴾. سورة الحجر؛ الآية: 82.

[6] الاغتباط: من غبط الشيء: أي عظم في عينيه وتمناه. أما الاعتمار هنا فهي: العمرة؛ أو الحج الأصغر.

على السُّكونِ والإستقرار، مُتَبَوَّأً[1] فسيحاً، وهواءً صحيحاً، وماءً نَمِيراً[2]، وامْتِناعاً شَهيراً، ورِزْقاً رَغَداً[3].

فسبحان من جعل التَّفاضُل في المَساكِن والسّاكن، وعَرَّف العبادَ عوارف اللّطف، في الظاهر والباطن، ولم يترك شيئاً سدًى. والصلاة والسلام على سيدنا ومولنا **محمدٍ** الذي[4] مَلأ الكون نوراً وهدًى، وأوْضَحَ سبيلَ الحقِّ، وكانت طرائق قِدَداً[5]، أعلَى الأنام يداً، وأشرفَ الخلقِ ذاتاً، وأكرمهم مَحْتِداً، الذي أنجز الله به ـ من نصر دينه ـ الحقَّ موعداً، حتّى بلغتْ دعوتُهُ ما زُوِيَ[6] ـ له ـ من

[1] أي متساوي ومتكافئ.
[2] ماء نمير: ماء زاكي
[3] أي لا نَ وطاب وغزر. وجاء في قوله جل جلاله: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾. سورة البقرة، الآية: 35. وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ القَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ المُحْسِنِينَ**﴾. سورة البقرة، الآية: 58. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾. سورة النحل، الآية: 112.
[4] في الريحانة: ((محمد رسول الله الذي ملأ الكون...)).
[5] أي مختلفة ومتعددة. وجاء في القرآن الكريم: ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً** ﴾. سورة الجن، الآية: 11.
[6] أي ما نُحِّي وبعد.

هذا **المغرب الأقصى**، فرَفَعت بكل هَضْبةٍ مَعْلَماً، وبَنَتْ بكل هَضْبَة مسجداً، والرِّضَى عن آله وأصحابه، الذين كانوا لسماء سنَّتِه عُمُداً، لُيوث العِدَا، وغُيوث النَّدَى، ما أقلّ ساعدٌ يداً، وعُمر بكر خالداً، ومصباح بدَا وأغفلت سُهْداً.

فإن الله ـ عز وجهه ـ جعل الكتابَ لموارِدِ العلمِ قَيْداً، وجَوارحُ اليراعِ تُثيرُ في السُّهول الرقاع صيداً؛ ولولا ذلك لم يشعر آتٍ ـ في خلق ـ بذاهبٍ، ولا اتّصل شاهدٌ بغائبٍ؛ فماتتْ الفضائلُ بموتِ أهلها، وأفَلَت نُجومُها عن أعْيُن مُجْتليها؛ فلم يُرجع إلى خبرٍ يُنقل، ولا دليل يُعقل، ولا سياسة تُكْسَب، ولا أصالة إليها يُنْتَسب؛ فهدى ـ سبحانه ـ وألْهَم، وعَلَّمَ الإنسانَ بالقلم، [عِلْمَ][1] ما لم يكن يعلم؛[2] حتى ألفَيْنا المراسِمَ قائدة، والمراشدَ هادِيَة، والأخْبارَ مَنْقولَة، والأسانيد موصولة، والأصول محرَّرة، والتَّواريخَ مقرَّرَة، والسِّيرَ مذكورة، والآثار مأثورة، الفضائل ـ من

---

[1] وردت هذه الكلمة في ك.ووردت أيضاً في ريحانة الكتاب.

[2] إحالة إلى الآيتين الكريمتين: ﴿ **الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾. سورة العلق؛ الآيتان: 4 ـ 5. وقد سقطت كلمة ((يكن)) في ريحانة الكتاب.

بعد أهلها ـ باقيَةً خالِدةً، والمآثر ناطقة شاهدة؛ كأنّ النهارَ القرطاسُ، والليْلَ المدادُ[1]؛ ينافسان: الليلُ والنهارُ، في عالمِ الكوْن والفسادِ؛ فمهما طويا شيئاً ولِعا هما[2] بنشره، أو دفناً ذكراً دعوا إلى نشره. وفلو[3] أن لسان الدهر نطق، وتأمل لهذه[4] المناقضة وتحقق؛ لأتى بما شاء من عَتْب ولوم؛ وأنشده:

((أعلمـــــه الرمايـــــة كـل يــــوم))[5].

ولَّما كان الفّنُّ التاريخي مَأْرب[6] البشر، ووسيلة إلى ضم النشر؛ يعرفون بها أنسابهم ـ في[7] ذلك ـ شرعاً وطبعاً ما فيه، ويَكتسبونَ به عقلَ[8] التَّجربةِ في حالِ السّكون والرفيه[9]، ويستْدِلون ببعض ما يُبْدي به الدَّهرُ وما يخفيه،

---

[1] في ريحانة الكتاب: ((كأن نهار الطرس وليل المداد)).
[2] ((هما)) سقطت في الريحانة.
[3] في الريحانة: ((ولو)).
[4] في الريحانة: ((هذه)).
[5] حرفت في نسخة عنان؛ والتصويب من الريحانة. وعجز هذا البيت هو: ((فلما اشتد ساعده رماني)). (من بحر الوافر).
[6] في الريحانة: ((ولما كان هذا الفن التاريخي فيه مآرب)).
[7] في الريحانة: ((وفي)).
[8] أو ((حقل)) كما في (ك).
[9] هكذا في نسخة عنان؛ والصواب ما ورد في الريحانة؛ وهو: ((الترفيه)).

ويُري العاقل من[1] تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح الصَّدر
الصَّدر بالإيمان ويَشْفيه، ويمرّ على مصارع الجبابرة فَيَحْسَبه
بذلك[2] واعظاً ويَكْفيه، وكتاب الله يَتَخلَّلُه من القَصَصِ ما
يُتَمِّم هذا الشاهدَ لهذا الفنِّ ويُوفيه. وقال الله تعالى:
﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[3].
﴾[3]. قال عز من قال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[4]. فَوَضَحَ سبيلٌ مبينٌ. ويَظْهرُ[5] أن القول[6]
القول[6] بفضله يقتضيه[7] عقل ودين. وأنّ بعضَ المصنفين؛
المصنفين؛ مِمّن تركَ نَوْمَهُ لمنْ دونِه، وأنْزَفَ[8] ماء شبابه
مُودِعاً إيّاهُ بَطْنَ كتابِهِ؛ يقْصُدُه النّاسُ ويَرِدونَه؛ اختلفتْ ـ

---

[1] في ريحانة الكتاب: ((العاقل في قدرة الله)).
[2] في ريحانة الكتاب: ((فيحسب ذلك)).
[3] الآية كاملة هكذا: ﴿ **وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾. سورة هود؛ الآية: 120.
[4] سورة يوسف؛ الآية: 3.
[5] في: (ج)، و (ك): ((يظهر)).
[6] في (ج): ((الفصل)).
[7] وفي الريحانة كتبت العبارة كلها هكذ: ((فوضح من حقه سبيل مبين ويظهر أن القول يقضي به)).
[8] يقولون: أنزف الرجل: أي لم يبق له شيء.

في مثل هذا الباب ـ أغْراضُهُم ؛ فمِنْهمْ : مَنِ اْعْتَنَى بإثباتِ حوادثِ الزَّمانِ، ومنهمْ مَنِ اْعْتَنَى بِرجالِهِ ؛ ـ بعدَ اخْتِيارِ الأعْيانِ ـ عجزاً عنِ الإحاطَةِ بِهَذا الشَّأن ؛ عُموماً في أكثرِ الأقْطارِ[1]، وَخُصوصاً في بعضِ البُلْدانِ. فاسْتهْدَف ـ إلى التَّعميمِ ـ فُرْسان الميدان، وتوسَّعوا بحَسبِ مادة الاطِّلاع، وجهد الإمْكان؛ وجَنَحَ إلى التَّخْصيص [من أثر][2]؛ الأوْلَويَّةُ بحسب ما يَخُصُّه من المكان، ويلزَمه من حقوقِ السُّكان؛ مُغْرَماً برعايَة عهودِ وطَنِهِ؛ وحُسْنُ العَهْدِ منَ الإيمانِ؛ بادئاً بمن يعوله؛ كما جاءَ في الطُّرُقِ الحِسانِ. فتذكَّرْت جُملةً مِنَ مَوْضوعاتِ[3]؛ مَنْ أفْرَدَ لِوطَنِهِ[4] تاريخاً ؛ تاريخاً ؛ هَزَّ إلَيْها علم الله؛ وفاءٌ وكرمٌ، ودار عليها؛ بقول[5] الله منْ رحْمتِه الواسِعةِ حرم؛ **كتاريخ**[6] **مدينة**

---

[1] في ريحانة الكتاب: ((الأوقات)).

[2] ما بين الحاصرتين سقط من الأصل؛ وقد أضيف من ريحانة الكتاب.

[3] في (ج) و (ك): ((موضوعاته)). والمؤلفات الخاصة بتاريخ الأندلس؛ الواردة في هذا الفصل؛ ستتم الإشارة إليها في الهوامش، وقائمة الكتب؛ لأن ابن الخطيب ـ كما يبدو ـ قد اعتمد عليها في تأليف الإحاطة.

[4] في ريحانة الكتاب: ((من أفرد تاريخاً لبلده)).

[5] في الريحانة: ((بفضل)).

[6] لم يسرد ابن الخطيب في ريحانة الكتاب الفقرات التالية المتعلقة بالتآليف؛ كما هو الحال في الإحاطة. بل اكتفى بالإحالة بقوله: كتاريخ كذا، وتاريخ كذا. وقد استغرق في ذلك زهاء الصفحتين تقريباً.

بُخارَى؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الفخار[1]، **وتاريخِ أصْبَهان؛ لأبي نُعَيْم أحمد بن عبد الله الحافظ**[2]**؛ صاحب الحلية، وتاريخ أصْبَهان** ـ أيضاً ـ **لأبي**

---

[1] يبدو أن نسخ ما كتبه ابن الخطيب فيه خطأ؛ لأنه تعذر التوصل إلى اكتشاف محمد بن أحمد بن سليمان الفخار؛ والصحيح هو((**غُنْجَار**))؛ بالغين؛ واسمه بالكامل هو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان المعروف بِغُنْجَار؛ ولد ببخارى وتوفي بها (337هـ/992م ـ 412هـ/1021م)؛ اهتم بالتاريخ؛ ومن مؤلفاته تاريخ بخارى. ومن الذين كتبوا عن تاريخ بخارى: أبو بكر منصور البرسخي، وسعيد بن جناح الزاهد؛ وهذان الشخصان لا يعرف تاريخ ولادتهما ولا مماتهما، ثم محمد جعفر النرشخي (348هـ/959م، ثم أحمد بن محمد بن ماما الأصبهاني (ت: 436هـ/1044م. أما مدينة بخارى ـ الآن ـ فهي خامس مدن أوزباكستان حالياً؛ وتتواجد وراء إقليم خراسان، وكانت قاعدة لملك آل سامان. من أهل بخارى الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري صاحب الجامع الصحيح من أحاديث رسول الله (ص). ومنها أيضاً ابن سينا الحكيم، والزمخشري.

[2] أما أصبهان فتسمى أيضاً أصفهان بالفاء الموحدة. وهي مدينة في إيران الحالية؛ بين شيراز وطهران. خرج منها عدد كبير من الأدباء، واشتهرت بتجارة الحرير والطنافس. أما صاحب كتاب تاريخ أصبهان المذكور فهو الحافظ أبو نعيم؛ ولد بأصبهان سنة 336هـ/948م وتوفي بها سنة 430هـ/1038م. أما كتابه عن أصبهان فعنوانه: ذكر أخبار أصبهان؛ في مجلدين. وله مؤلفات أخرى؛ منها: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ في عشرة أجزاء، ثم كتاب معرفة الصحابة، ثم كتاب طبقات المحدثين والرواة، ثم كتاب دلائل النبوة، ثم كتاب الشعراء. وممن كتب عن تاريخ أصبهان ـ غير اللذين ذكرهما ابن الخطيب: حمزة بن الحسن الأصبهاني؛ لا يعرف عن تاريخ ولادته ومماته، وأحمد بن موسى بن مردويه (ت: 410هـ/1019م، ومحمد بن إسحاق بن محمد الأصبهاني (ت: 395هـ/1004م، ومحمد بن أحمد الذكواني؛ صاحب كتاب طبقات الأصبهانيين (ت: 333هـ/944م)، ومحمد بن عبد الجليل كوتاه (ت: 580هـ/1184م، وعبد الله بن أحمد السوذرجاني (425هـ/1033م).

زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن قندة[1] الحافظ. وتاريخ نَيْسَابُور[2]؛ للحاكم أبى عبد الله بن اليسع، وذيله؛ لعبد الغافر بن إسماعيل[3]، وتاريخ هَمَذَان؛ لأبي شُجَاع شَيْرَويه بن شهردار بن شَيْرَويه محمد بن فناخُسرو

---

[1] هكذا؛ وهو خطأ؛ والصحيح هو: ابن مَنْدَهْ؛ بالميم المفتوحة. واسمه بالكامل هو: أبو زكرياء يحيى بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدري الأصبهاني بن مَنْدَهْ. ولد بأصفهان سنة 434هـ/1043م وتوفي بها سنة 511هـ/1118م. ومن مؤلفاته: تاريخ أصبهان، ومناقب الإمام أحمد، والتنبيه على أحوال الجهال والمنافقين، وكتاب ذكر من عاش مائة وعشرين سنة من الصحابة، وكتاب على الصحيحين.

[2] نيسابور تسمى أيضاً نيشابور بالشين الثلاثية. وهي عاصمة خراسان؛ وهي مدينة معتبرة في القرون الوسطى. ولد بها عمر الخيام، وفريد الدين العطار. واسم اليسع خطأ قد يكون من الناسخ؛ والصحيح هو: ابن البَيِّع؛ بفتح الباء الموحدة والفتح بالتشديد على الياء التحتية المثناة. واسمه بالكامل هو: أبو عبد الله محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري؛ وشهرته: الحاكم. ولد بنيسابور سنة 321هـ/933م وتوفي بها سنة 402هـ/1011م. ولي قضاء نيسابور. ومن مؤلفاته: المستدرك على الصحيحين؛ في أربع مجلدات، والإكليل، والمدخل، (إليه)، وتراجم الشيوخ، والصحيح (في الحديث)، وفضائل الشافعي، وتسمية من أخرجهم البخاري ومسلم، ومعرفة أصول الحديث، وكتاب تاريخ نيسابور. وممن كتب عن تاريخ نيسابور بالإضافة للحاكم: عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي (ت: 319هـ/931م، وعبد الغافر بن إسماعيل الآتي ذكره.

[3] يسمى بالكامل: أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي؛ ولد سنة 451هـ/1059م وتوفي بنيسابور سنة 529هـ/1135م. وهو من علماء العربية، وله اهتمام بالتاريخ والحديث. من مؤلفاته: المفهوم لشرح غريب مسلم، ومجمع الغرائب، وغريب الحديث، وكتاب السياق (في تاريخ نيسابور) وصل به إلى سنة 518هـ؛ وهو الكتاب الذي سماه ابن الخطيب ذيل تاريخ نيسابور للحاكم.

الدَّيْلَمِي[1]، **وتاريخ طَبَقات أهلِ شيراز**[2]؛ **لأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن القصار. وتاريخ هراة**[3]؛ أَضُنُّهُ **لأبي عبد الله الحسن بن محمد الكتبي، وأخبار هراة** ـ أيضاً ـ **ومن نزلها من التابعين وغيرهم من محدِّثين؛ لأبي إسحاق أحمد بن ياسين الحداد، وتاريخ سَمَرْقَنْد؛ لعبد**

---

[1] تسمى أيضاً همدان بالدال المهملة. وهي إحدى المدن الإيرانية؛ وتقع جنوب غربي طهران؛ كانت قديماً تسمى إكبتانا. اشتهرت بصناعة الطنافس. وفيها قبر ابن سينا الحكيم. وصاحب الكتاب يعرف بشيرويه الديلمي الهمداني؛ ولد في سنة 445هـ/1053م، وتوفي في سنة 509هـ/1115م. من مؤلفاته: فردوس الخيار؛ في الحديث، وتاريخ همدان المذكور. ومن الذين كتبوا عن تاريخ همدان بالإضافة إلى شيرويه: صالح ابن أحمد الهمذاني (ت: 384هـ/994م، وعبد الرحمن بن أحمد الأنماطي (ت: 359هـ/969م).

[2] كانت شيراز من أهم مدن بلاد فارس. تقع في الجنوب الغربي من إيران. اشتهرت بصناعة السجاد. من العلماء الدارسين بها: الفقيه الشافعي إبراهيم الفيروزأبادي، وصدر الدين محمد (الملا صدرا). أما صاحب الكتاب المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز القصاري؛ (وليس ابن القصار). وقد توفي في القرن الخامس الهجري؛ وعنوان كتابه: تاريخ شيراز؛ وهو مفقود. وثمة كتاب مفقود أيضاً في تاريخ شيراز: لهبة الله بن عبد الوارث بن علي الشيرازي (ت: 486هـ/1093م.

[3] هراة أو (هرات): مدينة في شمال غربي أفغانستان الحالية؛ يقال أن بانيها هو الاسكندر المقدوني. تصنع بها الطنافس، واشتهرت بماء الورد. أما تاريخ هراة فقد كتب من قبل عدد من العلماء؛ منهم: الحسين بن محمد الكتبي؛ (وليس الحسن)؛ توفي في سنة 496هـ/1102م. بالإضافة إلى: محمد بن المنذر بن سعيد الهروي المتوفي في سنة 334هـ/945م، وأحمد بن محمد بن ياسين الهروي (ت: 334هـ/945م)؛ وهو (الحداد) المقصود في النص، وأحمد بن محمد بن يونس الهروي (ت: 329هـ/940م، وعبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي (ت: 546هـ/1151م)، وعيسى بن عبد الله الهروي (ت: 544هـ/1149م).

الرحمان بن محمد الأرْدَسي[1]، وتاريخ نَسَف؛ لجعفر بن محمد المُعَبر المستغفري[2]، وتاريخ جُرْجان؛ لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي[3]، وتاريخ الرَّقَّة؛ لأبي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمان القُشَيْري[4]،

---

[1] هو الإدريسي؛ وليس الأرديسي (ت: 405هـ/1014م). وسمرقند ـ هي الآن ـ في أوزبكستان؛ اتخذها تيمورلنك عاصمة له؛ وفيها قبره. من علمائها: إمام الهدى نصر أبو الليث السمرقندي (ت: 373هـ)؛ أحد كبار فقهاء المذهب الحنفي، ومن أئمة التفسير؛ له كتاب تنبيه الغافلين في المواعظ والحكم. ثم أبو القاسم الليثي السمرقندي (ت: بعد 888هـ)؛ من فقهاء الحنفية؛ وهو صاحب الرسالة السمرقندية، وكتاب بلوغ الأرب في تحقيق استعارات العرب. ومن الذين كتبوا عن سمرقند، جعفر بن محمد المستغفري (ت: 432هـ/1040م)، وسعيد بن محمد الزاهد، لا يعرف تاريخ مولده ولا مماته.

[2] نسف؛ تسمى أيضاً نخشب؛ في بخارى؛ بين نهر جيحون وسمرقند. خرج منها علماء كثيرون؛ منهم: نجم الدين أبو حفص عمر النسفي (ت: 537هـ)؛ عرف باسم الإمام النسفي؛ أحد كبار فقهاء المذهب الحنفي؛ له كتاب العقائد النسفية، وتاريخ بخارى. ثم أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت: 710هـ)؛ فقيه حنفي ومفسر وأصولي؛ له في التفسير كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل، وفي الفقه: منار الأنوار، وكنز الدقائق. وصاحب كتاب تاريخ نسف سبقت الإشارة إليه في التعليق السابق؛ على أساس أنه كتاب تاريخ سمرقند.

[3] جرجان: إقليم في فارس يقع جنوب شرقي بحر قزوين؛ عرف قديماً باسم هيركانيا. ومنها القاضي أبو الحسن علي الجرجاني (ت: 948هـ)؛ له ديوان شعر، وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه. ثم عبد القاهر الجرجاني (ت: 1078)؛ من أئمة اللغة العربية؛ له في علم البيان كتاب أسرار البلاغة، وفي علم المعاني كتاب دلائل الإعجاز. أما كتاب تاريخ جرجان فعنوانه الحقيقي هو: كتاب معرفة علماء أهل جرجان؛ ألفه المذكور: حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (ت: 427هـ/1036م. وله أيضاً معجم في شيوخه، ثم كتاب الأربعين في فضائل العباس.

[4] الرقة: تسمى أيضاً الرشيد؛ وهي مدينة قديمة في سورية؛ بناها الاسكندر المقدوني وسماها نيقيفوريون؛ ثم أطلق عليها الرومان اسم كالينيكوس.

وتاريخ بغداد؛ للخطيب أبى بكر بن ثابت[1]، وذيله؛ لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني[2]، وأخبار بغداد؛ لأحمد بن أبي طاهر[3]، وتاريخ واسِط؛ لأبي الحسين على بن الطيب الخلافي[4]، وتاريخ من نزل حِمْص من الصَّحابَة ومَنْ دَخَلَها ومَنْ ارْتَحَلَ عَنْها ومَنْ أعْقَب ولَمْ يُعَقِّب وحَدَّث ولم يُحَدِّث؛ لأبي القاسم عبد الصمد

وفي العصر العباسي شيد المنصور بها مدينة جديدة سماها الرفيقة؛ ثم اتخذها الرشيد عاصمة صيفية له؛ حيث بنى فيها قصر السلام؛ وأصبحت تدعى مدينة الرشيد. أما الكتاب فعنوانه: تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله (ص) والتابعين والفقهاء والمحدثين. ومؤلفه كما جاء في النص؛ وهو من أهل حران (ت: 334هـ/945م).

[1] بغداد أشهر من علم؛ وهي عاصمة العراق حالياً؛ شيدها الخليفة العباسي المنصور سنة 762هـ؛ وسماها مدينة السلام. أما المؤلف المذكور فاسمه بالكامل هو: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب؛ ولد في غُرَيَّة؛ الواقعة بين مكة والكوفة سنة 392هـ/1002م وتوفي ببغداد سنة 463هـ/1072م. وللخطيب هذا عدد كبير من المؤلفات في مختلف الأغراض.

[2] وهو من سمعان أحد بطون تميم؛ مؤرخ ورحالة؛ (ولد ومات بمرو (أشهر مدن خراسان) 506هـ/1113م ـ 562هـ/1167م).

[3] هو أبو الفضل أحمد بن طيفور (أبي طاهر) الخراساني ولد ببغداد سنة 204هـ/819م وتوفي بها سنة 280هـ/893م. ألف زهاء خمسين كتاباً منها كتاب تاريخ بغداد.

[4] وهي إحدى مدن العراق؛ تقع بين البصرة والكوفة؛ شيدها الحجاج بن يوسف الثقفي بين سنتي: 702 ـ 705هـ ومؤلف الكتاب هو: أبو الحسن علي بن محمد الجلابي (وليس الخلافي) توفي سنة 384هـ/994م. وكتب عن واسط أيضاً: محمد بن سعيد الدبيتي (ت: 637هـ/1239م.

ابن سعيد القاضي[1]، وتاريخ دِمَشْق؛ لأبي القاسم علي ابن الحسن بن عساكر[2]، وتاريخ مَكَّة؛ للأَزْرَقي[3]، وتاريخ المدينَة؛ لابن النَّجَّار[4]، وتاريخ مِصْر؛ لعبد الرحمان بن أحمد بن نواس[5]، وتاريخ الإسكَنْدَريَّة؛ لوجيه الدين أبي المظفر منصور بن سليمان بن منصور بن

---

[1] حمص: مدينة سورية قديمة؛ كانت تسمى أيام الرومان إميزا. ولد بها من أباطرة الرومان: كاركالا، وإلاغابال، واسكندر سويرس. أما المؤلف فهو أبو القاسم عبد الصمد بن سعيد بن عبد الله الكندي الحمصي؛ (ت: 324هـ/936م).عالماً في الحديث، وتولى قضاء حمص فلقب بتلك المرتبة.

[2]دمشق هي عاصمة سورية حالياً. مدينة أزلية عرفت أيام الآشوريين والآراميين والبابليين. أما المؤلف فيسمى: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي؛ مؤرخ ورحالة ومحدث.

[3] تسمى أيضاً بكة، وأم القرى؛ وفيها الكعبة بيت الله الحرام؛ ولد بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم. والمؤلف هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي توفي حالي 250هـ/865م. هو من أهل مكة ومن أصول يمنية. وعنوان كتابه: أخبار مكة شرفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار.

[4] المدينة المنورة؛ وتسمى أيضاً طيبة، ويثرب. تقع شمال مكة؛ هي دار هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفيها توفي ودفن. يعود وجودها إلى أيام العمالقة. وعنوان الكتاب بالكامل هو: الدرة الثمينة في تاريخ المدينة؛ ألفه: الإمام الحافظ أبو عبد الله محب الدين محمد بن محمود بن النجار البغدادي (ت: 643هـ/12145م).

[5] مصر: اسم يطلق على إقليم وعلى مدينة القاهرة. والإقليم قديم في تاريخه؛ ذكر في القرآن والكتب المقدسة. أما مدينة القاهرة فهي عاصمة مصر الحالية؛ وبنيت أيام المعز لدين الله الفاطمي سنة 401هـ وصاحب الكتاب المذكور هو أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس (وليس ابن نواس كما ذكر) الصدفي الحميري؛ ولد بمصر سنة 281هـ/894م وتوفي بها سنة 347هـ/958م. وله كتابان عن مصر: الأول: كتاب كبير في أخبار مصر ورجالها، وأما الثاني فهو صغير؛ في ذكر الغرباء الواردين على مصر.

سليم الشافعي[1]**، وتاريخ طبقات فقهاء تونس؛ لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي العبّاس بن خلف التميمي**[2]**، وعُنْوان الدِّرايَة في ذكرِ مَنْ كان في المائة السَّابعة بِبجايَة؛ لأبي العباس بن الغبريني**[3]**، وتاريخ تِلِمْسان؛ لابن الأصفر**[4]**، وتاريخها** ـ أيضاً ـ

---

[1] ميناء مصري يطل على البحر الأبيض المتوسط؛ سميت هذه المدينة بذلك نسبة إلى مشيدها الإسكندر المقدوني. ومؤلف الكتاب هو وجيه الدين أبو المظفر منصور بن سليم (وليس سليمان كما ورد) ابن فتوح الهمداني الإسكندراني؛ وهو من حفاظ الحديث، تولى الحسبة في الإسكندرية؛ له اهتمام بالتاريخ؛ من كتبه: الدرر السنية في أخبار الإسكندرية، والذيل على تذييل ابن نقطة على الإكمال لابن ماكولا، وتراجم رجال الحديث، ومعجم عن شيوخه.

[2] يطلق الاسم على الإقليم وعلى المدينة؛ وهي عاصمة الجمهوية التونسية حالياً. مدينة قديمة ربما عادت نواتها الأولى إلى عهد الفينيقيين. كانت تسمى أيام الرومان تونيوتوم. أما المؤلف؛ فلم نجد ما يدل عليه. وربما التبس الأمر بينه وبين أبي العرب؛ وهو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت: 333هـ/944م)؛ وكتابه هو: طبقات علماء إفريقية وتونس.

[3] بجاية: ميناء هام في الجمهورية الجزائرية حالياً. اسمها القديم هو سالداي؛ إذ كانت في بداية أمرها عبارة عن محطة ساحلية فينيقية؛ ثم توسعت أيام الرومان، ثم غدت عاصمة للدولة الحمادية. والمؤلف هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الغبريني؛ نسبة إلى قبيلة أمازيغية تسمى غبرين؛ ولد ببجاية سنة 644هـ/1246م وتوفي بها سنة 714هـ/1315م؛ وولي قضاء بلده. من مؤلفاته كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية.

[4] تلمسان مدينة أزلية؛ عاصمة المغرب الأسط سابقاً. كانت تسمى أيام الرومان بوماريا. ثم اتخذها أبو قرة اليفرني عاصمة لدولته بعد أن جددها. وبعدها غدت عاصمة للمغراويين؛ ثم اتخذها سليمان بن عبد الله الكامل وأبناؤه من العلويين عاصمة لهم؛ وانتقل أمرها ـ بعد مدة ـ إلى بني زيان؛ حيث أضحت عاصمة لدولتهم، وقاعدة للمغرب الأوسط ومؤلف الكتاب هو أبو عثمان سعيد بن عيسى بن الأصفر الأندلسي؛

لابـــن هَدِيَّـــة[1]، وتاريـــخ فـــاس؛ لابـن عبـد الكريـــم[2]، وتاريخـاً ـ أيضاً ـ لإبن أبي زَرْع[3]، وتاريخ فـاس ـ أيضـاً ـ للقونـجي[4]، وتاريـخ سَبْتَة؛ المسمى بالفنـون السِّتَّة؛ لـلأبي الفضـل عِياض بـن مـوسى بـن عِيـاض؛ تركـه في مسـودة[5]، وتاريـخ بَلَنْسيـة؛ لابـن علقمـة[1]،

نزيـل طليطلـة (تـوفي حـوالي 460هـ/1067م. ألـف كتابـه عـن تلمسـان، وكتـاب: شـرح الجمـل للزجـاجي؛ في النحـو.

[1] هـو أبـو عبـد اللـه محمـد بـن منصـور بـن علـي بـن هديـة القـرشي التلمسـاني المعـروف بابـن هديـة (ت: 1334/735م؛ ألـف كتـاب تاريـخ تلمسـان.

[2] أسسهـا إدريـس الأول سنـة 182هـ؛ حيـث اتخذهـا عاصمـة لدولتـه بالمغـرب الأقـصى. أمـا المؤلـف ابـن عبـد الكريـم؛ فقـد تعـذر علـيّ معرفتـه؛ غيـر أن المؤلفيـن لتاريـخ مدينـة فـاس متعـددون؛ منهـم المعـروف، ومنهـم المجهـول؛ فلعـل ابـن عبـد الكريـم هـذا يكـون مـن بيـن هـؤلاء الأخيريـن.

[3] هـو علـي بـن عبـد اللـه بـن أبي زرع الفـاسي؛ وعنـوان كتابـه: الأنيـس المطـرب بـروض القرطـاس (ت: 719هـ/1319م.

[4] يمكـن أن ينطبـق مـا ورد في التعليـق السابـق علـى تاريـخ القونـجي أيضـاً. وكـل مـا يمكـن ذكـره أن ابـن الخطيـب ترجـم للـذي يسـمى ابـن القونـجي في الإحاطـة؛ دون ذكـر كتـاب تاريـخ فـاس. وممـا جـاء في ترجمتـه: ((ابـن جعفـر القونـجي محمـد بـن أحمـد السلـمي؛ يكـنى أبـا عبـد الله، ويعـرف بابـن جعفـر، ويشهـر في الأخيـر بالقونـجي؛ منسوبـاً إلى قريـة بالإقليـم؛ وكـان مـن أهـل غرناطـة. تـوفي بألمريـة محـل سكنـاه، في حـدود عـام خمسـة عشـر وسبعمايـة)). (أي حـوالي 1315م).

[5] مدينـة في شمـال المغـرب الأقـصى تطـل علـى مضيـق جبـل طـارق. كانـت ـ في بدايـة أمرهـا ـ عبـارة عـن محطـة تجايـة فينيقيـة اسمهـا أبيـلا، ومنهـا انطلـق طـارق بـن زيـاد لفتـح الأندلـس. مـا زالـت الآن تحـت الإحتـلال الإسبـاني. أمـا صاحـب الكتـاب المذكـور فهـو أبـو الفضـل عيـاض بـن مـوسى ابـن عيـاض السبـتي اليحصـبي المالـكي ولـد في سنـة 476هـ/1083م وتـوفي بمراكـش سنـة 544هـ/1149م. مـن مؤلفاتـه: كتـاب الشفـا في شـرف المصطـفى، وكتـاب ترتيـب المـدارك وتقريـب المسالـك في ذكـر فقهـاء مذهـب مالـك، وكتـاب العقيـدة، وكتـاب شـرح حديـث أم زرع، ولـه أيضـاً كتـاب

وتاريخ إِلْبِيرة؛ لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاَّحي[2]**، وتاريخ شُقُورة؛ لابن إدريس**[3]**، وتاريخ مالَقَة؛ لأبي عبد الله بن عسكر؛ تركه غير متمم؛ فتممه - بعد وفاته - ابن أخيه أبو بكر بن خمسين**[4]**، والإعْلام بمَحاسِن الأَعْلام مِنْ أهْلِ مَالَقَة؛**

مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار، والموطأ، والصحيحين. وكتاب جامع التاريخ؛ الذي جمع فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب؛ وقد اشتمل على أخبار سبتة وعلمائها؛ ويبدو أنه هو الذي يقصده ابن الخطيب.

[1] وهي مدينة أندلسية؛ تقع شرق إسبانيا الحالية؛ وتبعد عن ساحل المتوسط بثلاثة أميال. أما المؤلف؛ فقد تعذر الوصول إلى ترجمة كاملة له.

[2] مدينة إلبيرة أو قشتالة في الأندلس؛ قرب غرناطة؛ وكان يطلق عل الإقليم الذي به غرناطة. والمؤلف هو محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الملاحي؛ نسبة إلى قرية في مقاطعة غرناطة؛ ولد سنة 549هـ/1154م وتوفي في سنة 619هـ/1222م. من مؤلفاته: كتاب الأربعين حديثاً، ومستدرك على الاستيعاب (في الصحابة)، وكتاب الشجرة (في أنساب الأمم من العرب والعجم)، وكتاب تاريخ علماء إلبيرة وأنسابهم وأنبائهم؛ (وهو المقصود هنا). ويعتبر هذا الكتاب أحد المصادر التي استعان بها ابن الخطيب.

[3] مدينة في الأندلس تقع في أعمال جيان. ومن شقورة شاعر الموحدين الفحل أبو بكر بن مجبر. أما المؤلف فلا يبدو سوى الكاتب الشاعر الأديب أبي مروان عبد الملك بن إدريس الأزدي الجزيري المتوفي في سجنه حوالي سنة 394هـ/1003م؛ والله أعلم.

[4] ميناء تجاري في شرق الأندلس، يطل على البحر الأبيض المتوسط وهذا المرفأ قديم أزلي. المؤلف هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغسّاني؛ المعروف بابن عسكر (ت: 636هـ/1238م، عالم في الحديث والتاريخ من أهل مالقة وأدبائها؛ ولي قضاءها. ومن مؤلفاته: كتاب المشرع الروي في الزيادة على غربي الهروي (في القرآن والحديث)، وكتاب الجزء المختصر في السلوّ عن ذهاب البصر، وكتاب نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر، والإكمال والإعلام؛ وهو تراجم أعلام مالقة؛ (وهذا الكتاب هو الذي يقصده ابن الخطيب)؛ مات ابن

لأبي العباس أصْبَغ بن العباس[1]، والإحتفال في أعْلام الرِّجال؛ لأبي بكر الحسن بن محمد ابن مُفَرَّج القيسي[2]، وتاريخ قُرْطُبَة، مُنْتَخب كتاب الاحْتِفال[3]، وتاريخ الرُّؤَساء والفقهاء والقضاة بطُلَيْطُلَة؛ لأبي جعفر بن مظاهر[4]، ومنتخبه؛ لأبي القاسم ابن بَشْكُوال[5]، وتاريخ

عسكر ـ قبل أن يكمله ـ سنة 636هـ/1239م. أما ابن أخت ابن عسكر؛ الذي أكمل الكتاب المذكور فهو أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس (وليس خمسين كما ذكر في النص)؛ توفي بعد عام 639هـ/1241م؛ وعنونه بـ: مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخبار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار.

[1] يبدو أنه أصْبَغ بن علي بن أبي العباس المالقي، (ت: 592هـ/1196م).

[2] هو أبو بكر الحسن بن محمد بن مفرج بن حماد بن الحسين المعافري؛ يعرف: بالقُبَّشِي (بتشديد الباء الموحدة وفتحها؛ وليس القيسي كما ورد في النص)؛ من قرطبة؛ ولد في سنة 348هـ/959م وتوفي بعد سنة 430هـ/1038م. ألف كتاب الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال؛(في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء).

[3] قرطبة عاصمة الأندلس، وعاصمة الغرب الإسلامي ـ أيام الحكم ألأموي ـ بلا منازع. أسسها الفينيقيون؛ وتقع على ضفاف الوادي الكبير. تركت أثراً كبيراً في تاريخ الأندلس. وأعيد تجديدها في العصر الروماني. يبدو أنه هو كتاب الاحتفال المذكور.

[4] مدينة في وسط الأندلس، لا تبعد كثيراً عن مدريد؛ فتحها طارق بن زياد. ولهذه المدينة شأن كبير في تاريخ الأندلس. والمؤلف هو أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مطاهر؛ (باطاء المهملة؛ (وليس مظاهر باظاء الفوقية المعجمة كماء ورد في النص) الأنصاري الأندلسي؛ ولد بطليطلة وتوفي بها سنة 489هـ/1096م. من مؤلفاته كتاب تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها؛ وهو الذي قصده ابن الخطيب.

[5] هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي ولد بقرطبة سنة 494هـ/1101م وتوفي بها سنة 578هـ/1183م. ولي القضاء في نواحي إشبيلية؛ ومن مؤلفاته: الصلة؛ في تاريخ رجال الأندلس، وتاريخ؛ في أحوال الأندلس، والغوامض والمبهمات،

فقهــاء قُرْطُبــة؛ لإبــن حَيَّــان[1]، وتاريــخ الجَزيـرة الخَضْـراء؛ لابـن خَمْسيـن[2]، وتاريـخ قَلْعَة يَحْصِـب؛ المسمى بالطالـع السّعيـد؛ لأبي الحسن بن سعيـد[3]، وتاريـخ بَقيرَة؛ لأبي عبـد الله بن المـؤذن[4]، والـدُّرَّة المكنونة في أخبـار أُشْبُونَة؛ لأبى بكر بن محمد بن إدريس الفَرَابي العالـوسي[5]، ومَرِيَّة ألْمَرِيَّةّ؛ لأبي جعفر أحمـد بن خاتِمَة[1]؛

وروات الموطأ، والفوائد النتخبة والحكايات المستغربة، والمحاسن والفضائل؛ في التراجم. وقد كان يستعين بأبي جعفر بن مطاهر.

[1] هو أبو مروان حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان القرطبي؛ ولد في قرطبة سنة 377هـ/987م وتوفي بها سنة 469هـ/1076م. وهو من موالي بني أمية. له ما يقارب الخمسين مؤلفاً جلها مفقود؛ منها: المقتبس في أنباء أهل الأندلس، وكتاب المتين، وكتاب البطشة الكبرى، وكتاب انتخاب من أخبار القضاة.

[2] تسمى أيضاً جزيرة أم حكيم؛ وهي جارية طارق بن زياد؛ إذ خلفها فيها طارق عند زحفه نحو أعماق الأندلس؛ فسميت باسمها. ومدينة الجزيرة الخضراء عبارة من مرفأ يقابل العدوة المطلة على بلاد المغرب. أما صاحب الكتاب المذكور فلم يتبين شيء عنه ولا عن كتابه. وربما المقصود هو ابن خميس؛ وليس ابن خمسين؛ كما سبقت الإشارة إليه.

[3] وهي قلعة يحصب التي تعرف بقلعة بني سعيد؛ وتقع شمال غربي غرناطة بمسافة 52 كيلو. والمؤلف هو أبو الحسن علي بن سعيد ولد في قلعة يحصب سنة 605هـ/1208م وتوفي بتونس سنة 685هـ/1286م. وهو جغرافي أندلسي. من مؤلفاته: كتاب فلك الأرب المحيط بحلى لسان العرب، وكتاب بسط الأرض في الطول والعرض؛ وهو عبارة عن جدول بالمدن والجبال والأنهار والبحار.

[4] بقيرة Viguera بلدة في أعمال تطيلة؛ وهي قريبة بكيلومترات قليلة من حصن البيضاء Albelda؛ والمؤلف هو أبو عبد الله بن المؤذن الوشقي.

[5] تسمى أيضاً لشبونة؛ وهي قريبة من المحيط الأطلسي؛ عاصمة البرتغال حالياً. لا يعرف عن المؤلف أكثر مما ذكره ابن الخطيب.

من أصحابنا، **وتاريخ أَلْمَرِيَّة وباجَة؛ لشيخنا نسيج وحده أبي البركات بن الحاج**[2]. متع الله بإفادته؛ وهو في مُبَيَّضته؛ ولم يرمها بعد. فَداخلَتْني عَصَبِيَّة[3] لا تَقْدَحُ في دين، ولا في مَنْصِب؛ وحَمِيَّة[4] لا يُذَمُّ في مثلها مُتَعَصِّبٌ؛ رَغْبَة أنْ يَقَعَ سُؤالُهم وذِكْرُهم[5] من فضل الله جناب مُخْصب. ورأيتُ

---

[1] المرية مدينة كبيرة في كورة إلبيرة بالأندلس؛ وهي مرفأ هام بشرق الأندلس؛ ينطلق منه التجار إلى جهات كثيرة؛ اشتهرت بصنع الوشي والديباج. أما مؤلف كتاب مزية المرية فقد ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة؛ حيث كتب في ثاني عشر شعبان من عام 770هـ/1368م قائلاً "وهو الآن بقيد الحياة".

[2] ثمة باجة بإفريقية وباجة بالأندلس. والمقصود هنا هي مدينة باجة الأندلسية.بنيت أيام الرومان؛ يقال أنها أقدم مدن الأندلس بنياناً. وهي ليست بعيدة عن قرطبة. ومنها الإمام القاضي أبو الوليد الباجي سليمان ابن خلف؛ شارح الموطأ. أما المؤلف فقد ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة، واستشهد به في مواضع كثيرة منها. واسمه بالكامل هو: أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي ولد سنة 680هـ/1281م وتوفي سنة 771هـ/1370م؛ ولي قضاء مالقة؛ من مؤلفاته: أسماء الكتب والتعريف بمؤلفيها؛ معدة على حروف العجم، والإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح، ومشتبهات مصطلحات العلوم، والمؤتمن في أنباء من لقيته من أبناء الزمن، وديوان شعر بعنوان العذب الأجاج، وقد يكبو الجواد في غلطة أربعين من النقاد، والعلن في أنباء أبناء الزمن، وسلوة الخاطر، وشعر من لا شعر له، وتاريخ المرية؛ وهو ما يقصده ابن الخطيب.

[3] في ريحانة الكتاب: ((فداخلتني لقومي عصبية)).

[4] الحمية: هي الأنفة والإباء والمروءة والنخوة؛ إذ هي سبب الحماية. وجاء في القرآن الكريم: ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾. سورة الفتح؛ الآية: 26.

[5] في ريحانة الكتاب: ((أن يسع سواهم ذكرهم)).

أنّ هـذه الحَضْـرَةَ[1] الـتي لا خَفـاء بمـا وَفَّـرَ الله مـن أسْبـاب إيثارِهـا، وأرادَه مـن جَـلال مِقْدارهـا؛ جَعَلَهـا[2] ثَغْـرَ الإسْـلام، ومُتَبَـوَّأَ[3] **العَـرَبِ** الأعْـلامِ؛ قَبِيـلِ رَسولِـه عليـه أفضـل الصـلاة وأزكـى[4] السّـلام؛ ومـا خصَّهـا بـه مـن اعْتِـدال الأقْطـار، وجَرَيـان الأنْهـار، وانْفِسَـاح الاعتمـار[5]، والتفـاف الأشجـار. نَزَلَهـا **العَـرَبُ** الكِـرام عنـدَ دخولِهـم مُخْتَطِّيـن[6] ومُنْقَطِعيـن[7]؛ وهَبُّـوا بدَعْـوة فضلهـا مُهْطِعيـن[8]؛ فعَمَّـروا وأوْلَـدوا، وأثْبَتـوا المَفاخِـر وخَلَّـدوا؛ إلى أن صـارت دارَ مُلـكٍ، ولبَّـةِ[9] سِلْـكٍ؛ فَنَبُـه المِقْـدارُ وإن كـان نَبيهـاً، وازْدادتِ الْخِطَّـة تَرْفيعـاً[10]،

---

[1] يقصد مدينة غرناطة؛ حاضرة ـ أو عاصمة ـ ملك بني الأحمر في وقته.

[2] في ريحانة الكتاب: ((إذ جعلها)).

[3] أي مقام ومرجع.

[4] في الريحانة: ((وأطيب)).

[5] الاعتمار هنا تعني التوسع في العمران.

[6] في (ك): ((محطين))، وفي (ج): محتطين)).

[7] في الريحانة: ((مقتطعين)).

[8] أي مقبلين سراعاً. وفي الذكر الحكيم: ﴿ **مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ** ﴾. سورة إبراهيم؛ الآية: 43. وجاء أيضاً: ﴿**مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ** ﴾. سورة: القمر؛ الآية: 8. وجاء كذلك: ﴿ **فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ** ﴾. سورة المعارج؛ الآية: 36.

[9] أي المنحر، أو موضع القلادة من الصدر.

[10] في الريحانة: ((ترفيهاً)).

وجلب إلى سوقِ المَلأ بما نَفَقَ فيها[1]. فكم ضَمَّتْ جُدْرانُها جُدْرانُها من رَئيسٍ يتَّقي الصَّباحُ هُجومَه، ويَتَخَوَّفُ اللَّيْلُ طُروقَه[2] وَوُجومَه، ويَفْتَقِر الغَيْثُ لِنوائله[3] المَمْنوحَةِ سُجُومَه[4]، وعالِمٌ يَبْرُزُ لِلفُنونِ فَيُطيعُهُ عاصِيها، ويَدْعو بالمُشْكِلات[5] فيَأخُذُ بِنَواصيها، وعالِمٌ[6] بالله قدْ وَسَمَ السُّجودُ جَبينَهُ، وأشْعَثُ أغْبَرُ لوْ أقْسَمَ على الله لأبَرَّ يَمينَه، وبَليغٌ قدْ أذْعَنَتْ لِبَراعَةِ خَطِّهِ وَشيجَةُ[7] الخَطِّ؛ يَغوصُ على دُرَرِ البَدايعِ؛ فَيُلْقيها من طِرْسِه الرَّاتِع[8] الشَّط؛ لم يقم بحقِّها مُمْتعِضٌ حقّ الامْتعاض، ولا فَرَّق بين جَواهِرِها وبَيْن الأعْراض. هذا وشَجَرُ[9] الأقْلامِ مُشْرَعة، ومَكان القَوْل ـ والحمد لله ـ ذو سَعَة؛ فَهِيَ

---

[1] نفسه: ((وجلب لسوق الملك ما نفق فيها)).
[2] في ريحانة الكتاب: ((إطراقه)).
[3] نفسه: ((لنوافله)).
[4] طروقه: سكوته عن التكلم وخفظ العينين. ووجومه: سكوته من شدة الغضب. وسجومه: سيلان وهطول.
[5] في ريحانة الكتاب: ((وتدعوه المشكلات)).
[6] في الريحانة: ((وعارف)).
[7] الوشيجة: القرابة المتصلة المشتبكة. وحرفت في (ج) و (ك) فكتبت: ((وشحية)).
[8] أي من صحيفته المخصبة. وفي الريحانة: ((الرائع)).
[9] في الريحانة: ((**وسُمْر**)).

الحُسْنَى[1] التى عَدَمَتِ الذَّام، وزينَةُ[2] اللَّيالي والأيَّام؛ والهَوَى إنْ قيلَ كَلِفْت[3] بِمَعانيها، وقَصُرَتِ الأَيَّامُ على مَعانيها[4]. فَعاشِقُ الجَمال عُذْرُه مقبولٌ. والله دَرّ **أبي الطيّب**[5] حيث يقول[6]:

ضُروب النَّاس عُشَّاقٌ ضُروباً
فأعذَرهم أشَفَّهُم حَبيباً

فليستُ بِبِدعٍ مِمَّنْ فُتِنَ بِحُبِّ وَطَن، ولا بِأوَّل ما شاقَهُ مَنْزِلٌ فألْقَى بالعَطَن[7]؛ فَحُبُّ الوَطَنِ مَعْجونٌ

---

[1] في الريحانة: ((الحسناء)).
[2] نفسه: ((وزيَّنَت)).
[3] أي أحببت وولعت.
[4] وفي الريحانة كتبت الجملة السابقة هكذا: ((وإن قيل كَلِفْتُ بمعانيها، وقصرتُ الهوى على مغانيها)).
[5] في الريحانة: ((مقبول وسيف العدل دونه مغلول، والله در أبي الطيب...)) الطيب...)) وأبو الطيب هو أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي المذحجي الكندي المعروف بالمتنبي؛ ولد بالكوفة سنة 303هـ/915م؛ بمحلة تدعى كندة المنسوب إليها؛ ولا علاقة له بقبيلة كندة. وتوفي مقتولاً من قبل عصابة يرأسها المدعو فاتك بن الجهل الأسدي؛ بين بغداد وفارس سنة 354هـ/965م. ويعتبر المتنبي من أبرز شعراء العرب، وأجودهم شعراً على الإطلاق.
[6] هذا البيت؛ مطلع لقصيدة من اثنين وأربعين بيتاً قالها المتنبي في مدح علي بن محمد بن سيَّار بن مكرم. وهي من بحر الوافر.
[7] العطن هو: وطن الإبل، والجلد المتعفن في الدباغة؛ ويقصد هنا أنه يلقي يلقي ويترك كل كريه وعفن.

بِطِينَةِ[1] سَاكِنِهِ، وطَرَفُه مُغَرَّى بإتْمام[2] مَحاسِنِهِ. وقدْ نَبَّهَ **علي بن العباس**[3] على السَّبَب، وجاء في التِماسِ التَّعْليل بالعَجَبِ؛ حيثُ يقولُ[4]:

و حبَّبَ أوطانَ الرِّجال إليهِم
مَآربُ قَضَّاها الشَّباب هنالكا
إذا ذَكَروا أوطانَهم ذَكَّرتهم
عهودُ الصِّبا فيها فحَنُّوا لذلك

ورميتُ ـ في هذا المعنى ـ بسهمٍ سَديد، وأَلَمْتُ بغَرضٍ؛ إنْ لم يَكُنْه فليسَ بِبَعيدٍ[5]:

أُحِبّك يا مَغْنَى الجَلال بواجب
وأقطَعُ في أوْصافك الغُرِّ أوقات

---

[1] في الريحانة: ((في طينة)).
[2] نفسه: ((بالتماح)).
[3] هو الشاعر الفحل علي بن العباس بن جريح أو (جورجيوس)؛ الملقب بابن الرومي؛ ولد ببغداد سنة 221هـ/835م؛ من أب رومي وأم فارسية؛ وهو من موالي بني العباس. اشتهر بالتطير والتشاؤم. وتوفي سنة 283هـ/896م .
[4] البحر الطويل.
[5] البحر الطويل.

تَقَسَّــم منك التُّــرْبَ قَوْمي وجيــرَتي
فَفِي الظَّهْر أحياءٌ وفي البَطْــن أمــوات

وقد كان **أبو قاسم الغافقي**[1] ـ من أهل **غَرْناطَة** ـ قامَ من هذا الغَرض بفَرض، وأتى من كلّه ببعض؛ فلم يَشْفِ منْ غُلَّة، ولا سَدَّ خَلَّة[2]، ولا كَثَّر قِلَّة. فقُمتُ بهذا الوَظيفِ، وانْتبدتُ فيه للتأليف، ورجوت على نزارة حظِّ الصِّحة، وازدحام الشَّواغل المُلِحَّة، أنْ اضطَّلِع[3]، من هذا القصد، بالعبْءِ الذي طالما طَأْطَأَتْ له الأكْتاد[4]، وأقف منه الموقف الذي تهيَّبَتْه الأبطال الأنْجاد، (فاتَّخَذْتُ اللَّيْل جَمَلاً) لهذِه الطِّيَّة[5]، وانْتَضَيْتُ غارِبَ العَزم ونِعْمَت[6]

[1] ذكره من قبل؛ وهو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي المعروف بالملاحي؛ نسبة إلى قرية في الجنوب الغربي من غرناطة؛ ولد سنة 549هـ/1154م وتوفي في سنة 619هـ/1222م. من مؤلفاته: تاريخ علماء إلبيرة.
[2] يقصد: أنه لم يشف من عطش شديد، ولا سد ثقبة.
[3] في (ج) وفي (ك): ((طلع))، وفي (ت): ((اطلع)).
[4] الأكتاد مفرده الكتد: مجمع الكتفين من الإنسان، والفرس أيضاً؛ وقال بعظهم: هو الكاهلوفي الأكتاد يقول ذو الرِّمَّة:
وإذْ هُنَّ أكتادٌ بِحَوْضَى كأنمازَها الآلُ عَيْدَانَ النَّخيلِ البَواسِقِ
[5] الطية هي: الجهة البعيدة التي يقصدها. أي تخيل الليل كجمل يركبه للوصول لهدفه البعد. و((الطية)) كتبت في المخطوطين: ((المطية)).
[6] هكذا.

المطيَّة؛ بحيثُ لا مُؤانِس إلاّ ذُبالٌ[1] يكافحُ جيشَ الدُّجَى، ودَفاتِرُ تَلْفَحُ الحِجا، وخَواطِرُ تَبْتَغي إلى سَماء الإجادة مَعْرَجا، وإذا صَحِب العملَ صدقُ النِّيَّة، أشْرَقَتْ من التَّوْفيق كُلُّ ثَنِيَّة، وطَلَعتْ من السَّداد كُلُّ غُرَّة سَنِيَّة.

وقد علم الله أنّي لم أعتمِدْ منها دُنْيا أسْتمنحها، ولا نَسَمَةَ جاهٍ يُسْتَنْشَقُ ريحُها، وإنّما هو صُبحٌ تَبيَّن، وحَقٌّ رأيته علَيَّ قد تَعَيَّن؛ بَذَلتُ فيه جهْدي، وأقْطَعتهُ جانب سُهْدي، لِيَنْظِمَ هذا البلد بمثله؛ ممّا أثير كامِنُه، وسُطِّرَتْ مَحاسِنُه، وأنشر بعد الممات جانبه[2]:

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرٍو
بصاحبك الذي لا تُصبحينا[3]

فلم أدع واحدةً إلاّ استنجدتُها، ولا حاشية إلاّ احتشدتُها، ولا ضالة إلاّ نَشَدْتُها؛ والمجتهدُ في هذا الغرض مقصِّر، والمطيل مختصر؛ إذ ما ذُكر لا نسبة بينه وبين ما

---

[1] الذبال: الدقيق الحاد؛ ويقصد بها هنا فتيلة السراج التي تضيء ما حوله.
[2] هذا البيت لابن كلثوم التغلبي من شعراء الجاهلية؛ قاله في معلقته. من بحر الوافر.
[3] حرفت في (ج) فكتبت: ((تصحبينا)).

أُغْفل، وما جُهل أكثر مما نُقل، وبِحَارُ المدارك مسجورة[1] وغايات الإحسان على الإنسان محجورة، ومن أراد أن يُوازن هذا الكتاب بغيره من الأوضاع فليتأمَّل قصده، ويثير كامنه، ويبدي خبائنه[2]؛ تَتَّضِح له المَكْرُمَة، ولا تَخْفَى عليه النَّصَفَة، ويشاهد مجزَى السَّيِّئَة بالحسنة، والإغْراب عن الوصْمة والظِنَّة؛ إذ الفاضل في عالم الإنسان، من عُدِّدَت سَقَطاته؛ فما ظنّك بمفضوله؛ وللمعاصر مَزيَّة المباشرة، ومزيد الخبرة، وداعي التَّشَفي والمقارضة. وسع الجميع السِّترُ، وشَمِلهم البِرُّ، ونُشِرت جنائزُهم لِسَقي الرَّحمة، ومثْنَى الشفاعة، إلاّ ما[3] شذّ من فاسقٍ أباحَ الشَّرعُ حِماه، أو غادرٍ وسَمَه الشُّؤم الذي جناه؛ فتختل[4] عِرضُه عن تخليد مجد، وتَدْوين فخر، وإبقاء ذكرٍ؛ لمن لم

---

[1] أي فياضة ومتفجرة. ففي قوله تعال: ﴿ **وَالبَحْرِ المَسْجُورِ * إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ** ﴾. سورة الطور، الآية: 6. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذَا البحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**﴾. سورة التكوير، الآية: 6.

[2] أي خفاياه. خبن الشيء يخبنه خبناً: أخفاه. وخبن الطعام: إذا غيبه استعداداً للشدة. والخبنة ما تحمله في حضنك.

[3] هكذا. وهذه الصياغة طالما يستعملها ابن الخطيب.

[4] في (ت): ((فتتخلل))، وفي (ك) و (ج): فتتخل)).

يَهُمُّه قط تحقيقُ إسم أبيه، ولم يعمل لما بعد يومه؛ فكم خَلَفٍ مما ذكر فيه يجده بين يديه؛ شَفيعاً في زلَّة، أو آخذاً بضبع[1] إلى رُتْبَة، أو قائماً عند ضَيْمٍ بحُجَّة، أو عانس يقوم لها مقام متاعٍ ونِحْلةَ[2]، أو غريبٍ يَحِلُّ بغير قُطْره فيفيده نُحلة[3]؛ صاعد خدم قاعداً ونائماً؛ وقد رضينا بالسلامة عن الشُّكر، والإصغاء عن المَثوبة، والنَّصَفة عِوَض الحَسْرَة، إذ النَّاسُ على حَسَبِ ما سُطِّر ورُسم؛ ولا حول ولا قوة إلاّ باالله العلي العظيم. والتَّرتيب الذي انتهت إليه حيلتي، صرفتُ في اختياره مُخَيَّلَتي؛ هو أنِّي ذكرت البلدة[4] حاطها الله؛ مُنبِّهاً منها على قَديمِها، وطيب هوائها وأديمِها، وإشْراقُ عُلاها، ومَحاسن حُلاها، ومن سَكَنَها وتَولاَّها، وأحْوال أناسها، ومن دال بها من ضُروب القبائل وأجناسها، وأعطيت صورتها، وأزحْت في الفَخْر ضرورتها، وذكرت الأسماء على الحروف المُبَوَّبَة،

---

[1] الضبع جمعه أضباع: العضد. وكتبت في(ت) و (ج): ((أو أخذ ببضع))، وفي (ك): ((أخلى فيضع)).

[2] النِّحْلة هنا: يقصد بها عطاء المرأة ومهرها.

[3] النُّحلة هنا:هي العطية والهبة عموماً.

[4] أي غرناطة.

وفصلت أجناسهم بالتّراجم المُتَرَتِّبة؛ فذَكَرْت: **الملوكَ والأمراءَ**، ثمّ **الأعْيان والكُبراء**، ثمّ **الفضلاء**، ثم **القُضاة، ثمّ المُقرئين والعُلماء**[1]، ثمّ **المُحَدِّثين والفُقَهاء**، وسائر **الطَّلبة النُّجباء**، ثمّ **الكُتَّاب والشُّعَراء**، ثمّ **العُمَّال** الأُثَراء، ثمَّ **الزهَّاد والصُّلحاء، والصُّوفية الفُقَراء**؛ ليكون الابتداء بالمُلْكِ، والإختِتام بالمِسْكِ[2]، ولِيُنْظَم الجميع انتظام السِّلْك؛ وكلُّ طَبَقة تَنْقسِم إلى من سَكَنَ المدينة[3] بحكم الأصالة والإسْتِقْرار، أو طَرَأَ عليها ممّا يُجاوِرها من الأقطار، وخاض إليها وهو الغريب أثباج البحار[4]، أو أَلَمَّ بها ولَوْ ساعة من نَهار؛ فإن كَثُرَتْ الأسماء نوَّعتُ وتوسَّعتُ، وإن قَلَّت اختصرتُ وجمعتُ، وآثرت ترتيب

---

[1] يضع في ترتيبه: القضاة، والعلماء، والمحدثين، والفقهاء؛ في مرتبة أدنى من الوجهاء، والأعيان، ومن يسميهم الفضلاء. ويبدو أن هذا مستمد من الاتجاه المادي والسلطوي الذين يهيمنان على الحياة الاجتماعية والسياسية آنئذ.

[2] تخلص ذكي؛ بحكم خبرته في السياسة. وهي إحاله إلى الآية الكريمة: ﴿ **خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾. سورة المطففين؛ الآية: 26.

[3] يقصد مدينة غرناطة.

[4] أثباج البحار: أواسط البحار ومعظمها؛ وثبج الرمل: معظمه. وفي حديث علي رضي الله عنه: ((وعليكم الرواق المطنب فاضربوا ثبجه؛ فإن الشيطان راكد في كسره. وفي حديث: ((خيار أمتي أولها وآخرها؛ وبين ذلك ثبج أعوج ليس منك وليست منه)). وكلمة ((أثباج))؛ كتبت في (ك) و(ج): ((أتباج))، وفي (ت): ((أشباج)).

الحُروف في الأسماء، ثمّ في الأجداد والآباء؛ لشرود الوَفَيات والمواليد؛ التي رتَّبَها الزَّمان عن الاسْتِقْصاء. وذهبت إلى أن أذْكر الرَّجُل، ونسبه، وأصالته، وحسبه، ومولده، وبلده، ومذهبه، وأنْحالَه[1]، والفَنَّ الذي دعَى إلى ذكره، وحِلْيَتِه، ومشيخته؛ إن كان ممن قَيَّدَ علماً أو كَتَبَه، ومَآثِره إن كان ممن وصل الفضل بسببه، وشعره إذا كان شاعراً، وأدبه وتصانيفه، إن كان ممن أَلَّفَ في فَن أو هَذَّبَه، ومحنته إن كان ممَّن بزَّه[2] الدَّهْر شيئاً[3] أو سَلَبَه، ثمّ وفاته ومُنْقلبه؛ إذ استرجع الله من منحه حياته ما وهبه. وجعلتُ هذا الكتاب قسمين، ومشتملاً على فَنَّين: القسم الأول: ((**في حُلِي المَعاهِدَ والأماكن، والمنازل والمساكن**)). القسم الثاني: ((**في حُلِي الزَّائر والقاطِن، والمتحرك والسَّاكن**)).

***

[1] حرفت في (ك) فكتبت: ((وأنحى له)). والمقصود بـ ((أنحاله)): معتقداته وأديانه.
[2] بزه: سلبه. ويقولون في المثل السائر: ((**مَنْ عَزَّ بَزَّ**)). يعني: من غلب سلب.
[3] بزّه الدّهر شيئاً :غلبه أو الدهر على شيء أو سلبه شيئاً .

القسـم الأول

في حُـلِي المَعَاهِـدَ والأماكـنِ
والمَنـازِلَ والمَساكِـن

فصل
في اسم هذه المدينة
ووضعها على إجمالٍ واختصارٍ

يُقال: **غَرْناطَة**، ويُقال: **إغْرَناطَة**[1]؛ وكلاهما أعجمي. وهي مدينة **كُورَة إلْبِيرَة**[2] فبينهما فرسخان وثلثا الفرسخ[3]. **وإلبيرة** هي أعْظَم **كُوَر الأنْدَلُس**، ومُتَوَسِّطة ما اشْتَمَل عليه الفتْحُ من البلاد، وتُسَمَّى في تاريخ الأمم

[1] ثمة من يرجع هذا الاسم إلى أيام الرومان الذين أطلقوا على هذه البلدة اسم قرانادة Granata أي Grenade بمعنى الرّمانة؛ وذلك لتوفر أشجار هذه الفاكهة في تلك الجهة. بينما يرى بعضهم أن الاسم مشتق من شطرين: الأول هو الاسم الحقيقي لتلك البلدة أيام القوط وهو: ((ناطة))؛ ولما ودخل العرب إلى الأندلس أضافوا الشطر الثاني في أول الكلمة؛ وهو ((غار))؛ فأضحت تسمى غرناطة. وثمة ـ أيضاً ـ من يرى أن اسم غرناطة أو إغرناطة: اسم أمازيغي؛ وبالتحديد اسم لعشيرة أمازيغية سميت بها البلدة. ويمكن أن يكون هذا صحيحاً؛ خاصة إذا ما علم أن أول من أسس غرناطة المعروفة الآن هم الأمازيغ الزيريين من صنهاجة.

[2] يقال إلبيرة أو يلبيرة أو لبيرة. وبالإسبانية: Elvira؛ وهي عبارة عن مدينة رومانية قديمة؛ تمثل إحدى الكور الكبيرة في بلاد الأندلس؛ كانت تتبعها مدن عديدة؛ مثل: قسطيلية ومحطة غرناطة الحالية. وكورة إلبيرة تبعد عن قرطبة بتسعين ميلاً تقريباً. وهي كثيرة الأنهار غنية بالمعادن. وتواجدت مدينة إلبيرة أيام الرومان؛ حيث سميت ILIBARIS.

[3] أي ستة أميال ونصف تقريباً؛ بتقدير؛ أن الميل يساوي بين ثلاث آلاف ذراع إلى أربع آلاف. وقدرها صاحب معجم البلدان بثلاثة أميال.

السَّالفَة من **الرُّوم**، سَنَام **الأندلس**[1]، وتُدْعَى في القَديم **بقَسْطيليَّة**[2]. وكان لها من الشُّهْرة والعِمارة، ولأهلها من الثَّرْوة والعُدَّة، وبها من الفقهاء والعلماء، ما هو مشهور.

قال **أبو مروان بن حيان**[3]: كان يجتمع بباب المسجد الجامع ـ من **إلبيرة** ـ خمسون حَكَمَة[4]؛ كلها من فِضَّة لكثرة الأشراف بها، ويدلُّ على ذلك آثارُها الخالِدة، وأعْلامُها الماثِلة، كَطَلَلِ مسجدها الجامع، الذي تحامى اسْتِطالة البِلَى، كسِلت عن طَمْس معالمه أكُفُّ الرَّدَى، إلى بُلوغ

---

[1] كتبت في اللمحة البدرية أيضاً: ((سنام الأندلس)). ولكن الدكتور يوسف طويل يعتقد في أنها: (شام الأندلس))؛ وقال أن غرناطة كانت تسمى ((شام الأندلس)). واستشهد بقول الرحالة ابن جبير الأندلسي واصفاً غرناطة:

يا دِمَشْق الغَربِ هَاتِيـ ـكَ لَقَدْ زِدْتِ عَلَيْها
تَحْتَكِ الأنهارُ تجْري وَهَيَ تنْصَبُّ عَلَيْها

[2] يرى بعض المحققين أن قسطيلية هي حصن بالقرب من إلبيرة يسمى باللاتينية Castellum؛ أي قشتالة.

[3] هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان ابن وهب بن حيان. من موالي بني مروان الأمويين. ولد في قرطبة سنة 377هـ/987م وتوفي بها سنة 469هـ/ 1076م. من مؤلفاته: المقتبس في أنباء أهل الأندلس. جله مفقود؛ وقد حقق أحد أقسامه الأولى الدكتور محمد علي مكي بعنوان: ((المقتبس من أنباء أهل الأندلس))؛ وسبقه المستشرق الإسباني؛ فنشر قسم أوسط؛ تتعلق بأحداث الفتنة الكبرى ما بين سنتي: (250 ـ300هـ)؛ بينما حقق أحد أقسامه الأخيرة عبد الرحمن علي حجي تحت عنوان: ((المقتبس في أخبار بلد الأندلس)).

[4] الحكمة: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه. ويقصد: كانت تربط أمام المسجد ـ من خيل أشراف القوم ـ خمسون فرساً.

ما فُسِح له من المَدَى. بَناه **الأمير محمد بن عبد الرحمان ابن الحكم**، أمير المؤمنين الخليفة[1] **بقرطبة** رحمه الله، على تأسيس **حَنَش بن عبد الله الصَّنْعاني الشَّافعي**[2] رحمه الله. وعلى محرابه لهذا الوقت: ((بسم الله العظيم، بُنيت لله، أمر ببنائها **الأمير محمد بن عبد الرحمان**، أكرمه الله، رجاء ثوابه [العظيم][3]، وتوسيعاً لرعيته، فتمَّ بعون الله على يدي **عبد الله [بن عبد الله]**[4]؛ عامِله على **كُورَة إلْبيرة**؛ في ذي قعدة سنة خمسين ومائتين[5])).

---

[1] هو الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي ولد بقرطبة سنة 207هـ/822م وتوفي بها سنة 273هـ/886م. لم تعلن في أيامه الخلافة بالأندلس. بل تأخر إعلانها إلى عصر عبد الرحمن الناصر لدين الله في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري. ولا يعدو ما نسبه إليه ابن الخطيب من مجاز ومجاملة.

[2] كلمة الشافعي خطأ؛ وهو التابعي؛ حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة السبئي الصنعاني؛ توفي بسرقسطة: سنة 100هـ/ 718م؛ تابعي؛ دخل إلى المغرب والأندلس فاتحاً؛ وهو أول من ولي عشور إفريقية؛ كما شيد جامعي: سرقسطة، وقرطبة.

[3] هذه الإضافة من ج.

[4] ما بين الحاصرتين سقط في ج؛ بينما ورد في ك.

[5] الموافق لـ 864 م. وفي هذه السنة لم يقم الأمير محمد بن عبد الرحمن بأي غزوة؛ واتجه فيها للبناء والعمران؛ من ذلك استكمال بناء المقصورة بمسجد قرطبة، والانتهاء من بناء مسجد إلبيرة هذا.

ولـم تـزل الأيّام تخيفُ ساكنها[1]، والعفاء يَتَبَوَّأ مساكنها، والفتن الإسلامية تَجُوس أماكنها؛ حتَّى شملها الخَراب، وتَقَسَّم قاطِنَها الاغتراب؛

(وكُـلُّ الـذي فَـوق التُّـراب تُـراب)[2].

وانتقـل أهلهـا مـدَّة **أيَّـام الفِتْنَـة البَربريـة**[3] سنـة أربعمائـة مـن الهجـرة؛ فمـا بعدهـا؛ ولجـأوا[4] إلى **مدينة غَرْناطة**، فصارت حاضرة الصُّقْع، وأمَّ المِصْر، وبَيْضَةَ ذالك الحَق؛ لحصانة وَضْعِها، وطيبِ هَوائها، وَدُرُورِ

---

[1] يقصد ـ هنا ـ إلبيرة.

[2] هذا عجز بيت لأبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الوائلي؛ المولود سنة 320 هـ/932 م. غير أن بعضهم ينسب هذا البيت إلى رابعة العدوية بنت إسماعيل العدوي المولودة بالبصرة سنة 100 هـ/718م. والبيت بشطريه:

إذا صحّ مِنكَ الـوِدُّ فالكُلُّ هَيّنٌ   وكُـلُّ الـذي فوقَ التُّرابِ تُرابُ

[3] اصطلح بعض المؤرخين على تسمية الأيام التي سقطت فيها الدولة الأموية (399هـ/1008م)، وانقسمت بين أمراء الأسرة الأموية ومؤيديهم "بالفتنة البربرية"؛ بينما هي ـ في الحقيقة ـ فتنة اشتعلت بين أعضاء الأسرة الأموية المالكة. وذلك لأن أمازيغ الأندلس انضموا إلى معسكر الأمير سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، وظاهروه ضد خصومه من أسرته سنة 403هـ/1012م؛ حيث احتلوا معه قرطبة، والزهراء؛ فأقطعهم ـ مع بعض أنصاره ـ جهات معينة من الأندلس؛ أين أقاموا إمارات أمازيغية تخصهم في بعض المناطق؛ منها غرناطة.

[4] يقصد فئة من الأمازيغ الصنهاجيين.

مائِها، وَوُفُور مَدَّتها؛ فأمِنَ فيها الخائفُ، ونُظِم النَّشر[1]، ورَسِخَتِ الأقدامُ، وتَأَثَّلَ المِصْرُ، وهَلُمَّ جَرًّا[2]، فهي **بالأنْدلس**، قُطْب[3] **بلاد الأندلس**، ودارُ المُلك، وقِرَى الإمارة؛ أبقاها الله مُتَبَوَّأ الكلمة؛ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بقدرته.

من ((**كتاب إلبيرة**))[4]. قال بعد ذكر **إلبيرة**: "وقد خَلَفَها ـ بعد ذلك كلّه ـ **مدينة غَرْناطة**؛ من أعظم مدنها وأقدمها؛ عندما انقلبت العمارة إليها من **إلبيرة**، ودارتْ أفلاكُ **البلاد الأنْدَلسية**. فهي ـ في وقتنا هذا ـ قاعدة الدُّنيا، وقَرَارَة العَلْيا، وحاضرة السلطان، وقُبَّة العدل والإحسان؛ لا يَعْدِلها ـ في داخلها ولا خارجها ـ بلَدٌ من البُلْدان، ولا يُضاهيها ـ في اتِّساع عمارتها، وطيب قرارتها ـ وطنٌ من الأوْطان؛ ولا يأتي على حَصْرِ أوْصافِ جمالها، وعَدِّ[5]

---

[1] النشر هنا: القوم المتفرقون؛ لا يجمعهم رئيس.

[2] تستخدم عبارة ((**هَلُمَّ جَرًّا**)) فيما هو شائع؛ للدلالة على معنى: ((إلى آخره)). غير أن المعنى الصحيح هو: ((تعالوا على راحتكم، وحسبما يسهل عليكم)). لأن ((هلم)): معناها تعالى، و((الجر)): هو أن تترك الإبل والغنم ترعى أثناء سيرها بحرية.

[3] القطب: ملاك الشيء ومداره.

[4] يقصد كتاب "تاريخ علماء إلبيرة" السابق الذكر الذي ألفه أبو القاسم الملاحي.

[5] حرفت في ك، ج؛ فكتبت: ((عن)).

أصْناف جلالها، قلم البيان. أدامَ الله فيها العِزَّ للمسلمين والإسلام، وحَرَسَها - ومن اشتملتْ عليه من خلفائه، وأنصار لوائه - بِعَيْنِه التي لا تنام، ورُكْنِه الذي لا يُرام".

وهذه المدينة - من مَعْمور - الإقليم الخامس[1]. يبتدئ من الشرق؛ من **بلاد يَأجوج ومأجوج**[2]، ثمّ يَمُرُّ على شمال **خُراسان**[3]، ويَمُرُّ على **سواحل الشام**؛ ممّا يلي الشمال[4]، ويَمُرُّ على **بلاد الأندلس**: **قُرْطُبَة، وإشْبيلِيَّة**[5]، وما وَالاَها إلى **البحر المحيط الغربي**. وقال **صاعد بن أحمد**؛ في **كتاب ((الطبقات))**[6]: "إنّ مُعْظم **الأندلس** في

---

[1] جاء هذا أيضاً في كتاب الجغرافيا، وآثار البلاد، واللمحة البدرية.

[2] قبيلتان بأقصى بلاد الترك الأولى؛ اشتهرتا بالفساد في الأرض. وجاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **قَالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إنَّ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَداً** ﴾. سورة الكهف؛ الآية: 94. وقال أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿ **حَتَّى إذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ** ﴾. سورة الأنبياء؛ الآية: 96.

[3] خراسان: اقليم متسع؛ يشتمل - في القدم - على إيران وأفغانستان وبعض المناطق في آسيا الوسطى حالياً.

[4] أي شواطئ سوريا الحالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط.

[5] إشبيلية أو Sevilla حالياً؛ وهي محافظة بالأندلس الإسبانية؛ تقع مدينة إشبيلية على ضفاف نهر الوادي الكبير. فتحها المسلمون بقيادة موسى ابن نصير سنة 94هـ/713م. ومن أشهر حكامها في العصر الإسلامي (عصر الطوائف): المعتمد بن عباد الشاعر الملك.

[6] هو قاضي طليطلة - في عصر إمارة ذي النون - أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبي ولد بالمرية سنة 420هـ/1029م

الإقليم الخامس، وطائفة منها في الإقليم الرابع؛ **كمدينة إشْبيلية، ومَالَقَة، وغرناطة، وألْمَرِيَّة، ومُرْسِيَة**"[1].

وذكر العلماء بصناعة الأحكام[2]: أنّ طالعها الذي اخْتُطَّتْ به السَّرَطان[3]، ونحلوها؛ لأجل ذلك مزايا، وحظوظاً من السَّعادة؛ اقْتَضاها تَسْيير أحكام القِرَانات الانتقالِيَّة على عهد تأليف هذا الموضع. وطولها سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة[4]، وعرضُها سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق. وهي مساوية ـ بأمر يسير ـ **لقُرْطُبة، ومَيُورْقَة**[5]، **وألْمَرِيَّة**؛ وتقْرُب ـ في العَرْض ـ من **إشْبيلِيَّة**،

وتوفي سنة 462هـ/1070م. وعنوان كتابه ((التعريف بطبقات الأمم))؛ هو عبارة عن مختصر في الجغرافية.

[1] كتبت في المخطوطين: ((المرسيه)). ومرسية Murcia؛ وهي عاصمة منطقة في إسبانيا، وتقع إلى الجنوب الشرقي من إسبانيا، وتقع على ضفاف نهر شقورة، وتطل على البحر الأبيض المتوسط. أسس مرسية عبد الرحمن الداخل سنة 210هـ/825م، ومن أعلامها المشهورين ابن عربي.

[2] أي التنجيم.

[3] هكذا كتبت في ج؛ بينما حرفت في ك؛ فكتبت: ((السطران)). ويقصد بالسرطان: برج السرطان الفلكي؛ من 22 جوان إلى 23 جوليت.

[4] هذه القياسات من اصطلاحات الجغرافيين. وقد شرحها ياقوت الحموي في معجم البلدان، وابن سعيد في كتاب الجغرافية، وأبو الفدا في كتاب تقويم البلدان. وقد اختلفوا في مقابلتها بمقياس الميل. فمن أراد التوسع عليه بتلك المصادر.

[5] جزيرة مايوركا أو مايورقا؛ هي أكبر الجزر الإسبانية، وتقع في البحر الأبيض المتوسط؛ حيث ترتبط بأرخبيل جزر الباليار؛ إذ تعتبر أحد أجزائه.

وألْمَرِيَّة وشاطِبَة، وطُرْطوشَة، وسَرْدانِيَة، وأنْطاكِيَة، والرَّقّة[1]. كل ذلك بأقل من درجة، فهي **شامِيَّةٌ** في أكثر أحوالها، قريبة من الاعتدال، وبينها وبين **قُرطُبة** ـ أعادها الله تعالى ـ تسعون ميلاً[2]؛ وهي منها؛ بين شَرْق وقِبْلة، **وبحر الشام**[3]؛ يَحول[4] ويُحاجز بين **الأندلس، وبلاد العدوة**[5]؛ بين غَرْب وقِبْلة؛ على أربعة بُرُد[6]. والجبال بين بين شرق وقبلة، والبَراجِلات[7] بين شرق وجوف،

---

[1] شاطبة Játiva؛ أسسها الإيبيريون؛ وهي الآن مدينة إسبانية؛ تقع في مقاطعة بلنسية، بالجهة الشرقية من إسبانيا؛ ضمن حوض نهر البيضاء. أما طرطوشة: فهي مدينة تقع شمال شرق الأندلس؛ متصلة بكورة بلنسية، وتطل على البحر الأبيض المتوسط؛ سقطت في قبضة الإفرنج سنة 543هـ/1148م. أما سردانية فهي جزيرة بغرب المتوسط، كبيرة القطر، كثيرة الجبال، قليلة المياه. أما أنطاكية فهي مدينة تاريخية تابعة للواء الإسكندرونة بتركيا الحالية؛ وتقع على ضفة نهر العاصي، وتبعد عن شاطي البحر المتوسط بـ 30 كلم. أما الرقة فهي مدينة في شمال وسط سوريا؛ وهي الآن مقر محافظة. تقع على ضفاف الفرات، وتبعد عن حلب بـ 200 كم؛ اكتشفت فيها آثار عباسية تعود إلى سنة 750هـ/1258م.

[2] أي 270000 ذراع؛ بحكم أن الميل العربي = 3000 ذ. وقرطبة الآن تبعد عن غرناطة بـ 150 كم.

[3] يقصد البحر الأبيض المتوسط.

[4] حرفت في المخطوطات الثلاثة؛ فكتبت: ((يحال)).

[5] أي بلاد المغرب التي تنفصل عن الأندلس بالعدوة البحرية المعروفة بمضيق جبل طارق.

[6] بُرُد مفردها بريدالذي تقدر مسافته باثني عشر ميلاً تقريباً.

[7] البَراجِلات مصطلح إسباني (Parcela)؛ يعني الأراضي البرية الخشنة المقفرة.

والكنْبانِيَّة[1] بين غرب وقبلة، وبين جوف[2] وغرب؛ فهي لمكان جوار السَّاحل؛ مَمَارَّة بالبَوَاكر الساحلية؛ طيبة[3] البحار، وركابٌ لجهاد البحر[4]، ولمكان استقبال الجبال؛ المقصودة[5] بالفواكه المتأخِّرة اللِّحاق؛ مُعَلَّلة بالمُدَّخرات؛ اسْتِدْبار الكنْبانِيَّة، واضْطِبار البَراجلات[6]؛ بَحرٌ من بحور الحِنْطة، ومعدنٌ للحبوب المفضلَّة.

ولمكان **شُلَيْر**؛ **جبل الثَّلج**[7]؛ أحد مشاهير جبال الأرض؛ الذي ينزل به الثلج شتاءً وصيفاً؛ وهو على قبلة منها على فرسخين، ويَنساب منه ستةٌ وثلاثون نهراً من فوهات الماء، وتَنْبَجِس[8] من سفوحه العيون؛ صحَّ منها الهواءُ، وإضطردت في ارجائها وساحاتها المياه، وتعدَّدت

---

[1] الجوف هو الشمال. والكنبانية بالقشتالية (Campo) هي الأرض السهلية.
[2] الشمال.
[3] في ج، ك: ((طيه)).
[4] في ت: ((البحرية)). وردت هذه الجملة كلها في اللمحة البدرية هكذا: ((مُمارة باسمك والبواكر؛ طيّة للتجار؛ ركابٌ معه للجهاد في البحر)).
[5] في اللمحة البدرية: ((مقصودة)).
[6] ((مُعَلَّلة بالمُدَّخرات؛ ولمكان اسْتِدْبار الكنْبانِيَّة، واضْطِبار البَراجلات)).
[7] حرفت المخطوطات الثلاثة؛ فكتبت: ((شير)). وجبل الثلج هذا وهو جبل سييرا نفادا المطل على غرناطة بشموخه وثلوجه الكثيفة. وكان يسمى باللاتينية Solarius أي جبل الشمس. ويسمى في العصر الإسلامي جبل شيلر.
[8] أي تتدفق وتسيل.

بها الجنَّات والبساتين، والتفَّتِ الأدْواح، وشمَّر الروَّاد على منابت العُشْب في مَظانِّ[1] العَقار مُسْتودعات الأدوية والتِّرْياقِيَّة؛ وبَرْدُها لذلك في المُنْقَلَب[2] الشتوي شديدٌ؛ وتَجْمُدُ بسببه الأدْهان والمائِعات، ويتراكم بساحتها الثلج في بعض السنين؛ فجُسوم أهلها ـ لِصِحَّة الهَواءِ ـ صُلْبَة، وسِحانُهم خَشِنة، وهُضومهم قويَّة، ونُفوسُهم ـ لمكان الحَرِّ الغريزي ـ جَرِيَّة[3].

وهي[4] دارُ مَنَعَة، وكرسي مُلْك، ومقامُ حَصانة. وكان **ابن غانية**[5] يقول **للمرابطين**[6] في مرض موته[7]؛ وقد وقد عوَّل عليها للأمتساك بدعوتهم: "**الأندلس** دَرَقَةٌ، وغَرْناطة، قَبْضَتُها؛ فإذا جَشَّمتم يا معشر المرابطين

---

[1] هكذا في ك؛ وفي ج: ((مكان)).

[2] في ت: ((المنقف)).

[3] جرت العادة لدى الكتاب في المغرب الإسلامي تخفيف الهمزة في حالات كهذه. فبدلاً من (جريئة)؛ كتبها مخففة (جرية).

[4] أي غرناطة.

[5] هو أبو زكرياء يحيى بن غانية من كبار القادة في الدولة المرابطية؛ كافح بصبر ضد أعداء الدولة؛ فاضطر إلى اللجوء إلى غرناطة حيث حوصر بها وقتل فيها سنة 543هـ/1148م.

[6] يسمى مؤسسوا الدولة اللمتونية بالمرابطين؛ لانطلاقهم من رباط اتخذوه اتخذوه في موطنهم الأول؛ بغرض الإعداد للجهاد.

[7] كتبت في المخطوطات الثلاثة: ((مر موتة)).

القَبْضة ؛ لم تخرج الدَّرقة من أيديكم. ومن أبدع ما قيل في الإعتذار عن شِدَّةِ بَرْدها[1]؛ ما هو غريب في معناه؛ قول شيخنا القاضي **أبي بكر بن شبرين** رحمه الله[2]:

رَعَى الله من غَرْناطة مُتَبَوأً
يَسُرُّ كئيباً[3] أو يُجيرُ طريدا

تَبرَّم منها صاحبي عندما[4] رأي
مسارحها بالبَرْد[5] عُدْنَ جَلِيدا

هي الثَّغْرُ صان الله من أهَلتْ به
وما خيرُ ثغرٍ لا يكون بُرُودا

---

[1] بَرْد غرناطة.

[2] ((البستي))؛ كما ورد في رحلة ابن بطوطة؛ نقلا عن ابن الخطيب. وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن شبرين؛ (674هـ/1275م ـ 747هـ/1346م)؛ وهو أحد شيوخ ابن الخطيب. ستأتي ترجمته في الإحاطة. أما هذه الأبيات فقد وردت أيضاً رحلة ابن بطوطة، وفي كتاب تاريخ قضاة الأندلس وفي نفح الطيب. وهي من البحر الطويل.

[3] في رحلة ابن بطوطة، ونفح الطيب: ((حزيناً)).

[4] في تاريخ قضاة الأندلس: ((بعدما)).

[5] في رحلة ابن بطوطة: ((بالثلج)).

وقال **الرازي**[1] عند ذكر **كُورَة إلْبِيرَة**: "ويتصل **بأحْواز قَبْرة**[2] **كُورَة إلْبِيرة**؛ وهي بين الشَّرق والقِبْلة، وأرضُها سِقْيٌ غزيرة الأنهار، كثيرة الثِّمار، ملتَفَّة الأشجار؛ أكثرها أدْواح الجَوْز، ويحْسُن فيها قَصَبُ السُّكَّر[3]؛ ولها معادنُ جوهريةٌ من: ذهب، وفضة، ورصاص، وحديد. **وكُورَة إلبيرة** أشرف الكُور؛ نزلها **جندُ دمشق**". وقال: "لها من المدن الشَّريفة: **مدينة قَسْطِيلِيَّة**[4]؛ وهي **حاضرة**

[1] هو أحمد بن محمد بن موسى الرازي تخصص في تاريخ الأندلس (274هـ/887م ـ 344هـ/955م؛ من مؤلفاته: أخبار ملوك الأندلس، والاستيعاب في أنساب أهل الأندلس، وغيره.

[2] قبرة: مدينة أندلسية تسمى الآن Cabra؛ وهي حصن قريب من قلعة يحصب؛ تدخل في حوز غرناطة. قريبة من قرطبة وتبعد عنها بـ 30 ميلا تقريباً. اشتهرت بهوائها العليل، ومياهها الغزيرة الرقراقة، وأرحائها العديدة.

[3] نبات قصب السكر كان معروفاً ببلاد الهند؛ في وقت سبق الألف الثامن قبل الميلاد. واتضح أن جنود الإسكندر المقدوني قد عرفوه هناك منذ عام 327 ق.م. حيث أشرفوا على مزارع قصب السكر في الهند واستفادوا من خبرة السكان المحليين في عصر هذا النبات وتكثيف عصيره وبلورته. وعرفته القارة الأمريكية عن طريق إسبانيا؛ حيث نقله كرستوف كلومبس سنة 1493م/899هـ؛ في رحلته الثانية إلى هناك.

[4] قسطيلية: يوجد في الأندلس بعض الأماكن التي تسمى قسطيلية أو قسطلة؛ منها: قسطلة دراج في البرتغال الحالية؛ بلدة شاعر الأندلس الأكبر أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي المتوفي حولي عام 400هـ/1009م. أما قسطلة المقصودة هنا فتقع في أعمال جيان شمال غرناطة. وفي نوحي ليون توجد قسطيلية التي عرفت بقشتالة. كما توجد قسطيلية أخرى في الجنوب التونسي بإفريقية.

إلبيرة، وفحْصُها لا يُشَبَّه بشيء ـ من بقاع الأرض ـ طيباً، ولا شرَفاً؛ إلاَّ **بالغوطة**، **غوطَة دمشق**[1].

قال بعض المؤرخين: من كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة[2] بعد زريعة ورعياً بعد رَعْيٍ، طول العام[3]. وفي عمالتها المعادن الجوهرية من: الذهب، والفضّة، والرّصاص، والحديد، والتوتية[4] **بناحية دَلاَيَة**[5] من عملها؛ **عود اليلْنجوج**[6]؛ لا يفوقه **العود الهندي**[7] ذكاً[8] وعطرَ رائحة؛ وقد سيق منه **لخيران**[9] صاحب **المرية**؛ كان منبته

[1] غوطة دمشق اشتهرت عند المشارقة بالخصوبة، وبأشجارها الملتفة وبمياهها المتدفقة.

[2] في اللمحة البدرية: ((زريعة ولا ريعاً أيام العام)).

[3] الزريعة: الشيء الذي يزرع لكي ينبت، والحب المتساقط في الأرض؛ فينبت من جديد. وكتبت في اللمحة البدرية: ((زريعة ولا ريعاً أيام العام)).

[4] التوتيا أو التوتية: المقصودة هنا هي الزنك. لأن التوتيا عند اليونان عبارة عن حجر يكتحل به. كما يوجد حيوان بحري من القنفذيات يسمى توتياء.

[5] دلاية: بلدة تقع غرب ألمرية؛ لا تبعد كثيراً عن ساحل البحر الأبيض المتوسط وتسمى الآن Dalias.

[6] اليلْنجوج عود طيب يستعمل في البخور. وهو عود بخور؛ له رائحة طيبة؛ قال فيه المتنبي:

يَلَنْجوجِيُّ ما رُفِعَتْ لِضَيفٍ ... بهِ النِّيرانُ نَدِّيُّ الدُّخانِ

[7] والعود الهندي ـ بدوره ـ له رائحة طيبة، وله أيضاً خصائص طبية؛ قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**عَلَيْكُنَّ بِهَذَا العُودِ الهِنْدِيِّ؛ فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ مِنْهَا: ذاتُ الجَنْبِ يُسْعَطُ مِنَ العُذْرَة وَيُلَدُّ من ذاتِ الجَنْبِ**)).

[8] في نفح الطيب: ((ذكاء)).

[9] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((لخيزران)). وخيران العامري؛ هو أحد أحد الفتيان الصقالبة؛ التابعين للدولة العامرية. ثار ضد بني أمية؛ حيث

بين أحجار ـ هناك ـ **بجبل شُلَيْر**[1]؛ منها سُنْبُل فائق الطِّيب؛ وبه **الجَنْطيانا**[2]؛ يُحمل منه إلى جميع الأفاق؛ وهو عقيرٌ رفيع، ومكانه من الأدوية التِرياقية مكانه[3]؛ وبه **المَرْقَشِنَة**[4] على اختلافها، **واللاَّزَوَرْد**[5]. وبفحصها وما يتصل به **القُرْمُز**[6]. وبه من: العقار، والأدوية النباتية، والمعدنية[7] ما لا يحتمل ذكرُها الإيجاز[8]. وكفى بالحرير الذي فَضَلت به فخراً، وقِيتَةً، وغلَّة شريفة، وفائدة عظيمة، تمتارُه منها

اقتطع لنفسه مدينة ألمرية؛ بعد أن حالف ـ لبعض الوقت ـ بني حمود الأدارسة. ولكنه قتل في موقعة اشتعلت بينه وبين الأمازيغ سنة 419هـ/1028م.

[1] حرفت في ج؛ فكتبت: ((شينيل)) مع أن شينيل نهر وليس جبلاً.

[2] الجنطيانا: نبات طبي معمر؛ قد يصل ارتفاعه إلى متر ونصف تقريباً؛ ينبت في جبال وسط جنوب أوروبا؛ كالألب وغيرها.

[3] كتبت ـ بعد هذه الكلمة في المخطوطين ـ عبارة لا علاقة لها بالموضوع؛ وهي: ((وقد خاطب فيها أبو جعفر المنصور)).

[4] هي المرقشيثة (بالثاء) وليست بالتاء المثناة (Marcassite). وهو مركب من كبريتور الحديد.

[5] اللاَّزَوَرد عند العرب هو حجر كريم سماوي اللون؛ سموه في القديم العوهق؛ وفيه قال شاعرهم:

((وهي وريقاء كلون العوهق)). نسبوه إلى طائر أسود؛ في ريشه بريق. أما الأوروبيون فيسمونه Lapis Lazuli ؛ أي الحجر الأزرق. وترجع تسمية اللاَّزورد إلى أصل فارسي.

[6] القرمز: صبغة حمراء؛ تستخرج من أحجار أو نبات؛ بل حتى من حشرة قرمزية تعيش على أشجار السنديان.

[7] في ج: ((المغرانية)).

[8] لابن الخطيب خبرة كبيرة بالأعشاب والمعادن الطبية؛ بحكم أنه طبيب؛ له مؤلفات في الطب والصيدلة.

البلاد، وتجلبه الرِّفاق؛ وفضيلة لا يشاركها فيها إلاَّ **البلاد العراقية**. وفحْصُها الأفْيَح[1] المُشَبَّه **بالغوطَة الدِّمشقية**[2]؛ حديث الرِّكاب، وسمر الليالي؛ قد دَحاه[3] الله في بسيط سهل؛ تخترقه المذانب[4]، وتتخلَّله الأنْهار **جداول**، وتتزاحم فيه القُرَى والجَنَّات؛ في ذرْع أربعين ميلاً أو نحوها؛ تَنْبُو[5] العين فيها عن وجهه، ولا تتخطَّى المحاسن المحاسن منها؛ إلاَّ مقدار رقعة الهضاب؛ والجبال المتطامية[6] منه بشكل ثلثي دارة[7]. قد عَرَت منه المدينة[8] المدينة[8] ـ فيما يلي المركز ـ لجهة القِبْلة[9]؛ مستندة إلى أطواد أطواد سامية، وهضاب عالية، ومناظِرَ مُشْرفة: فهي قيدُ

---

[1] أي الواسع؛ يستعمل ابن الخطيب هذه الكلمة كثيراً في كتاباته؛ وهو ـ هنا ـ يصف فحص غرناطة الشهير؛ الذي يسمى بالإسبانية: La Vega de Granada؛ ذلك الفحص المتميز بالخصوبة، وبروعة الجمال واخضرار أرضه ونظارة أشجاره.

[2] سقطت كلمة: ((الدمشقية)) في اللمحة البدرية.

[3] دحاه: بسطه. وجاء في الذكر الحكيم: ﴿ **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** ﴾. سورة النازعات؛ الآية: 30.

[4] المذانب هنا: المواضع الذي تنتهي إليها مسايل الأودية. وكتبت في اللمحة البدرية: ((تخترقه الجداول والأنهار)).

[5] أي تتباعد.

[6] أي المرتفعة.

[7] في اللمحة: ((دائرة)).

[8] في اللمحة: ((فعُدَّت المدينة منه)).

[9] أي الجنوبية.

البَصَر، ومنتهى الحُسْن، ومعنَى الكمال؛ أضْفَى الله عليها ـ وعلى من بها من عباده المؤمنين ـ جَناحَ سِتْره، ودَفَع عنهم عَدُوَّ الدِّين بقدرته.

***

فصل في فتح هذه المدينة
ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها،
وما كانت عليه أحوالهم،
وما تعلق بذلك
من تاريخ

قـال المؤلـف: اختلـف المؤرخـون في فتحهـا. قـال **ابـن القُوطيَّة**[1]: إن **يُليـان الرُّومي**[2] الـذي نَـدَب **العرب** إلـى غـزو **الأندلـس**؛ طلبًا لوَتْـره[3] مـن مِلكهـا **لُذَريـق**[4]؛ بمـا هـو

[1] عـرف بابـن القوطيـة؛ بحكـم انتمائـه إلى سـارة القوطيـة ابنـة وتيـزا ملـك القـوط وسـارة هـذه أسلمت ـ عنـد الفتـح ـ وتزوجـت مـن مسلـم. واسـم ابـن القوطيـة بالكامـل: أبـو بكـر محمـد بـن عمـر بـن عبـد العزيـز بـن عيسـى بـن مزاحـم؛ ولـد بقرطبـة؛ وتـوفي بهـا سنـة 367هـ/977م. مـن مؤلفاتـه: تاريـخ افتتـاح الأندلـس. ربمـا يكـون هـذا النـص قـد اطلـع عليـه ابـن الخطيـب في نسخـة قديمـة. ومـا وصـل إلينـا يعتبر مبتـوراً.

[2] هـو الكونـت يوليـان الـرومي الـذي كـان حاكمـاً علـى مدينـة سبتـة أيـام الفتـح الإسـلامي؛ لطنجـة. كانـت بينـه وبيـن ملـك القـوط ريدريـك أحقـاد دفعتـه إلى الانتقام منه؛ فتحالف مع المسلمين، وأعانهم على الانتقال إلى الضفة الأندلسية.

[3] أي طلبـاً لانتقامـه. بسبـب تحـرش لذريـق بابنتـه؛ الـتي كانـت في بـلاط المملكة؛ كما جاء في الروايات التاريخية. وجاء في اللمحة البدرية: ((بوتره)).

[4] هكذا تسميه المصادر العربية؛ وهو ردريك أو رودريغو. آخر ملوك القوط بالأندلس. بالأندلس.

معلوم[1]. قال **لطارق بن زياد**[2] مُفْتَتِحها عندما كسر جيش **الرُّوم**[3] [على **وادى لُكَّه**[4]: قد فَضَضْتَ

---

[1] ذُكر في كتاب أخبار مجموعة: ((اضطرب حال الأندلس؛ فتراضوا على علج يقال له رُذريق؛ شجاع هجوم؛ ليس من بيت الملك؛ إلاّ أنه من قوادهم وفرسانهم؛ فولوه أمرهم؛ وكان جميع ملوك الأندلس يبعثون أولادهم الذكور والإناث إلى بلاط ملكهم بطليطلة ـ وهي يومئذ قصبة الأندلس ـ يكونون في خدمة ملكها؛ لا يخدمه غيرهم؛ يتأدبون بذلك؛ حتى إذا بلغوا؛ أنكح بعضهم من بعض، وتولى تجهيزهم. فلما ولي رُذريق أعجبته ابنة يوليان؛ فوثب عليها؛ فَكَتَبَ إلى أبيها: أنّ الملك وقع بها. فأحفظ العلج ذلك؛ وقال: ودين المسيح لأزيلن ملكه، ولأحفرنّ تحت قدميه. فبعث إلى موسى [ابن نصير] بالطاعة؛ وأقبل به؛ فأدخله المداين؛ بعد أن اعتقد لنفسه ولأصحابه عهداً)). ص: 5.

[2] طارق بن زياد بن عبد الله بن رَفْهُو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو؛ هو قائد جيش المسلمين الفاتحين للأندلس؛ تاريخ ميلاده غير معروف؛ كما أن وفاته لا يعرف عنها شيء؛ بعد أن استدعي للبلاط الأموي بالمشرق.

[3] هم القوط؛ سماهم بالروم مجازاً.

[4] اختلفت المصادر التاريخية في تحديد موقع هذه المعركة؛ إذ يرى بعضهم أنها حدثت في الجبل الذي سمي باسم طارق، ويرى آخرون أنها وقعت بموضع يسمى البحيرة؛ غير أن الشائع هو ما قاله الرازي وابن القوطية؛ من أنها وقعت في وادي لُكَّه سنة 92هـ/710م؛ بين المسلمين بقيادة طارق ابن زياد، وجيش القوط بقيادة ملكهم لذريق (رودريغو أو ردريك).انتصر جيش المسلمين انتصاراً ساحقاً في هذه المعركة؛ التي أدت في النهاية إلى سقوط دولة القوط الغربيين في الأندلس. وسميت هذه المعركة باسم النهر الذي وقعت على ضفافه.وهذا النهر هو وادي لُكَّه (جواديليتي بالإسبانية). وتسمى هذه المعركة أيضاً معركة شذونة أو معركة سهل البرباط. وتبين من خلال النصوص كلها: أن لذريق (رودريغو أو ردريك)؛ لم يكن محبوباً لدى شعبه وجيشه؛ بحكم أنه اغتصب الحكم بالقوة والغلبة، ونظراً لسيرته السيئة، وأسلوب حكمه الفظ لذا فقد تآمر عليه قواده، وسرَّعوا بهزيمة جيشه. وجاء في كتاب أخبار مجموعة: ((فلمّا بلغتهم عدّة المسلمين وبصائرهم؛ تلاقوا بينهم؛ فقال بعضهم لبعض: هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا؛ وليس من أهله؛ وإنما كان من سفالنا؛ وهؤلاء قوم [أي المسلمون] لا حاجة لهم

جيشَ القَوْم[1]، ودَوَّخْتَ حاميتهم، وصَيَّرْتَ الرُّعب في قلوبهم؛ فاصْمُد لِبَيْضَتِهم؛ وهؤلاء أدِلاَّء من أصحابي؛ ففرِّق جيوشَكَ في البُلْدان بينهم[2]، واعْمَد أنت إلى **طُلَيْطلة** بمعظمهم، وأشْغِل القوم عن النَّظر في أمرهم[3]، والاجتماع إلى ولِيِّ رأيهم. قال[4]: ففرّق **طارق** جيوشه من **إسْتِجَّة**[5]، فبعث **مُغيثاً الروميِّ**[6]؛ مولى **الوليد بن عبد الملك بن مروان**[7] إلى **قُرْطبة**، وبعث جيشاً أخر إلى

بإئطان [أي استيطان] بلدنا؛ إنما يريدون أن يلموا [أي يملأوا] أيديهم ثم يخرجون (هكذ) عنافانْهَزِم بنا بابن الخبيثة إذا لقينا القوم. فأجمعوا لذلك)). ص: 8.

[1] سقطت هذه العبارة في ك؛ بينما اسدركت في ج؛ فوردت في هامشه. وكتبت كلمة: ((القوم)) في اللمحة: ((الروم)).

[2] في اللمحة: ((ففرق جيوشك بينهم في البلدان)).

[3] نفسه: ((أمورهم)).

[4] توجد فقرة من النص التالي في كتاب أخبار مجموعة؛ جاء فيها: ((وأقبل يليان إلى طارق؛ فقال له: قد فرغت بالأندلس؛ وهولاء أدلاء من أصحابي؛ فَرِّقْ معهم جيوشك؛ وخذْ أنت إلى طليطلة. ففرق جيوشه من إستجة؛ فبعث مغيثاً الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة... في سبعمائة فارس؛ لم يبعث معه راجلاً واحداً. ولم يكن بقي من المسلمين راجل إلاّ ركب. وبعث جيشاً إلى مدينة ريَّة. وبعث إلى غرناطة مدينة إلبيرة. وسار هو ـ في عظم ـ الناس يريد طليطلة...)). ص 10.

[5] إسْتِجَّة كورة قديمة بالأندلس تقع في الجنوب الغربي لقرطبة؛ وهي متصلة بأعمال ريَّة وقرطبة؛ بينها وبين غرناطة عشرة فراسخ؛ إلى الشمال الغربي.

[6] مُغيث الرُّومي أو مُعَتَّب في قول ضعيف: (توفي في حدود سنة 100هـ/718م). عرف في المصادر بأنه فاتح قرطبة. وقد صحح المقري نسبه بقوله: أنه ليس برومي؛ واسمه في الحقيقة هو: مغيث بن الحارث ابن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني؛ سبي من الروم بالمشرق وهو صغير؛ فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد.

[7] الخليفة الأموي السادس بدمشق؛ (48هـ/668م ـ 96هـ/715م).

مالَقَـة[1]، وأَرسـل جيشاً ثالثاً إلى **غَرناطة مدينة إِلْبِيرة**، وسـار هـو ـ في معظـم النـاس ـ [إلى **كورة جَيَّان**][2]؛ يريـد **طُلَيْطِلة**. قـال: فمضى الجيش الذي وجَّهَ **طارقُ** إلى **مالقة**؛ ففتحها، ولجَأَ عُلوجها إلى جبال هناك ممتنعَة. ثـم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى **إِلْبيرة**؛ فحاصروا مدينتها، وفتحوها عنوة، وأَلْفَوْا بها **يهوداً** ضَمُّوهم إلى **قَصَبَة غرناطة**[3]، صار لهم ذلك سُنَّة مُتَّبعَة؛ متى وجدوا ـ بمدينة فتحوها ـ **يهوداً**[4]؛ يَضُمُّونَهم إلى قَصَبَتِها، ويجعلون

---

[1] في أخبار مجموعة: ((إلى مدينة ريَّة)).

[2] العبارة الواردة ما بين الحاصرتين سقطت في ك؛ بينما هي واردة في هامش ج. أما المدينة فهي جيان Jaén: حاضرة لكورة واسعة في الأندلس؛ مجاورة لكورة إلبيرة؛ وتبعد عن قرطبة بسبعة عشر فرسخاً؛ (الفرسخ ثلاثة أو ستة أميال والأرجح ثلاثة وهو قيلس فارسي أصلاً. سقطت جيان في قبضة النصارى سنة 643هـ/1245م. أي بحدود 60كلم تقريباً.

[3] قصبة غرناطة هي وسط المدينة وحصنها الحصين وقلبها النابض. وهذه وهذه التسمية عرفت في الأندلس وبلاد المغرب. وقد أوضحت بعض الدراسات؛ أن اليهود ـ أيام الحكم القوطي ـ كانوا يقيمون خارج التجمعات السكنية القوطية. وعلى هذا نقلهم المسلمون للسكنى معهم في القصبة.

[4] يبدو أن المصادر العربية؛ تناولت موضوع دور اليهود؛ أثناء الفتح الإسلامي للأندلس بشيء من الغموض. وبالمقابل كانت المصادر الإسبانية أكثر وضوحاً في هذا الباب. وقد سبق للدكتور حسين مؤنس أن أستعان بمصادر إسبانية؛ وقال موضحاً: ((كان جيش المسلمين يزداد عدة في الطريق؛ بما كان ينضم إليه من الغاضبين على لذريق وعهده. وانضم إليه كذلك عدد من اليهود؛ الذين استقبلوا أخبار انتصار المسلمين على القوط استقبال الضمآن للماءفقد كان حالهم معهم ـ كما رأينا ـ سيئاً جداً. ولا نزاع في أن طارقاً أفاد فائدة كبيرة من هذه الجماعات؛ من:

معهـم **طائفـةً مـن المسلميـن** يَسُدُّونهـا[1]؛ ثـم مضى الجيش إلى **تُدْمير**[2]. وكـان دخـول **طـارق بـن زيـاد ـ الأندلـس** ـ يـوم الإثنيـن لخمـس خلـون مـن رجـب؛ سنـة اثنيـن وتسعيـن[3]؛ وقيـل في شعبـان؛ وقيـل في رمضـان؛ بموافقـة[4] شهـر غُشْـت[5] مـن شهـور العَجَمِيّـة.

وذكر **معاويـة بـن هشـام**[6] وغيـره: أن فتـح مـا ذكـر؛ تَأخَّرَ إلـى دخـول **مـوسى بـن نصير** في سنـة ثـلاث وتسعيـن[7]؛

الإيبيريين، واليهود التي انضمت إليه؛ فقد وجد فيهم الأدلاء الذين يقودونه في هذه الأباطح الفسيحة؛ التي لم يكن المسلمون يعرفون عنها شيئاً. (فجر الأندلس)؛ ص: 77.

[1] ذكر في كتاب أخبار مجموعة: ((...إلى إلبيرة؛ فحصروا مدينتها؛ فافتتحت؛ فألفوا بها ـ يومئذ ـ يهوداً؛ وكانوا إذا ألفوا يهوداً ببلدة؛ ضموهم إلى مدينة البلد، وتركوا معهم من المسلمين طائفة... ففعلوا ذلك بغرناطة مدينة إلبيرة؛ ولم يفعلوا ذلك بمالقة مدينة ريّة؛ لأنهم لم يجدوا بها يهوداً ولا عمارة)). ص: 12.

[2] سميت باسم أميرها القوطي (تيودمير)؛ وهي ولاية تقع في شرق الأندلس؛ أضحت ـ فيما بعد ـ هي ولاية مرسية.

[3] الموافق لـ 710م. وذكر في كتاب تاريخ الأندلس: ((وكان دخول طارق الأندلس في رمضان سنة اثنتين وتسعين)).

[4] في ج: موافق.

[5] أي أوت، أو أغسطس.

[6] هو أحد المؤرخين بالأندلس؛ ينتمي إلى الأسرة الأموية؛ وهو معاوية بن هشام بن محمد بن هشام؛ عاش في القرن الرابع الهجري؛ له كتاب: (دولة بني أمية بالأندلس).

[7] الموافق لـ 711م. وهذا القول يخالف الأقوال الأخرى.

فتوجه ابنه **عبد الأعلى**[1]، في جيش إلى **تُدْمير**[2]؛ فافتتحها، ومضى[3] إلى **إلْبيرة**؛ فافتتحها، ثمَّ توجَّه إلى **مالَقَة**.

قال المؤلف رحمه الله: ولما استقرَّ **مُلك الإسلام بجزيرة الأندلس**. ورمى إلى قصبتها الفتح، واشْرَأبَّ[4] في عرصاتها الدِّين. ونَزَلت **قرطبة** ـ وسواها ـ **العرب**؛ فتبوؤوا الأوطان[5]، وعَمَروا البُلْدان. فالدَّاخلون على [يَدِ] **موسى بن نصير**[6]؛ [يُسَمَّوْن **بالبَلديِّين**][7]، والدَّاخلون بعدهم [مع][8] **بَلْج بن بِشْر**

[1] هو ابن موسى بن نصير؛ لم يذكره سوى الرازي؛ وقد أعدت له في الإحاطة ترجمة مقتضبة.

[2] تدمير هي ولاية من ولايات الأندلس الشرقية؛ لها ماض عريق؛ وأختذت هذا الاسم نسبة إلى أميرها الذي تولى الدفاع عنها في وجه الفاتحين المسلمين؛ وهو (تيو دمير). وفي العصر الإسلامي أضحى لها اسم آخر؛ إذ أصبحت هي ولاية مورسية.

[3] في اللمحة: ((ثم مضى)).

[4] أي مدّ عنقه واطمأن.

[5] تبوؤوا الأوطان: أقاموا بها.

[6] هو أبو عبد الرحمن موسى بن نصير بن عبد الرحمن ابن زيد اللخمي اللخمي بالولاء ولد سنة 19هـ/640م وتوفي سنة 97هـ/715م. قائد من قواد الدولة الأموية؛ ولي إفريقية وبلاد المغرب. وهو الذي أصدر الأمر لطارق بن زياد بفتح الأندلس؛ كما التحق به، وشارك في فتح قرمونة وإشبيلية وغيرها من المدن.

[7] أي أهل البلد؛ بحكم أنهم الفاتحون لتلك الديار، والمالكون لأرضها بالفتح بالفتح المبين. ويتشكلون من فئات عديدة: أمازيغ، ويمنيين، وقيسيين.

[8] كل ما كتب بين حاصرتين في المواضع الثلاثة السابقة أضافها عنان لكي يستقيم المعنى.

القُشَيْـــري[1]؛ يُسَمَّون **بالشَّامِيِّيـن**[2]. وكـان دخـول **بَلْـج بـن بشـر**
بشـر القُشـري بالطَّالعـة البَلْجيَّـة سنـة خمـس وعشريـن ومائـة[3].
ومائـة[3]. ولمـا دخـل **الشاميُّـون** مـع أميرهـم **بَلـج** ؛ حسبمـا تقـرر

---

[1] بَلْج بـن بشـر بـن عيـاض القشيـري (ت: سنـة 124هـ/741م). أحـد قـواد الدولـة الأمويـة؛ مـن سكـان دمشـق. شـارك في الحملـة الـتي جردهـا هشـام بـن عبـد الملـك ـ تحـت قيـادة ابـن عمـه كلثـوم بـن عيـاض القشيـري ـ ضـد الثـوار الأمازيـغ ببـلاد المغـرب؛ حيـث قتـل كلثـوم، وانهـزم بَلْج ـ مـع أتباعـه ـ نحـو الأندلـس؛ أيـن كانـت لـه بـاع طويلـة في الاضطرابـات والفتـن بتلـك الديـار. وقـد اشتهـر بعصبيتـه المتأججـة، وانفعالاتـه السريعـة الهوجـاء.

[2] لـم يدخـل هـؤلاء الشاميـون بقيـادة بَلْج بـن بشـر القشيـري إلى الأندلـس بغـرض الفتـح والجهـاد؛ وإنمـا دخلوهـا لاجئيـن مشرديـن؛ بعـد هزيمتهـم أمـام الصفريـة بالمغـرب. ولمـا استقـر بهـم الحـال في تلـك الديـار الخصبـة؛ زاحمـوا الفئـة الأولى (فئـة البلدييـن) بـل ناصبوهـم العـداء في أحيـانٍ كثيـرة.

[3] الموافـق لـ 742م. عـرف البلديـون ـ مـن يمنييـن، وقيسييـن وأمازيـغ؛ قبـل هـذا التاريـخ في ديـار الأندلـس ـ صراعـات دائمـة؛ أشعلتهـا العصبيـة العميـاء؛ بحيـث لـم يكـن يجمعهـم جامـع. فالأمازيـغ ضـد العـرب؛ بحجـة أنهـم هـم الذيـن تولـوا عنـاء الفتـح وحدهـم. ومـن جهـة أخـرى يتقاتـل العـرب فيمـا بينهـم؛ مقسميـن إلى يمنييـن وقيسييـن. ومـع هـذا فقـد خصـوا بالولايـة والقيـادة؛ ومـن ولاتهـم عـلى الأندلـس: عبـد العزيـز بـن مـوسى بـن نصيـر، وأيـوب بـن حبيـب اللخـمي (ابـن أخـت مـوسى بـن نصيـر)، ومحمـد بـن يزيـد الحـرّ بـن عبـد الرحمـن الثقـفي، (عُيِّـن مـن قبـل والي إفريقيـة؛ ولـم يكـن مـن الفاتحيـن الأول؛ إذ دخـل الأندلـس سنـة 99هـ/717م)، والسمـح بـن مالـك الخـولاني؛ (ولاه الخليفـة عمـر بـن عبـد العزيـز عـلى الأندلـس؛ بعـد أن عزلهـا عـن ولايـة إفريقيـة)، وعبـد الرحمـن بـن عبـد اللـه الغافـقي (الـذي دخـل الأندلـس سنـة 102هـ/720م)؛ وعنبسـة بـن سحيـم الكلـبي (ولاه والي إفريقيـة يزيـد بـن أبي مسلـم)، ويحـيى بـن سلمـة الكلـبي (ولاه الخليفـة الأمـوي هشـام بـن عبـد الملـك)، وحذيفـة بـن الأحـوص الأشجـعي أو القيـسي في قـول؛ (ولاه والي إفريقيـة)، وعثمـان بـن أبي نسعـة الخثعـمي (ولي مـن قبـل والي إفريقيـة)، والهيثـم بـن عبيـد الكنـاني، ومحمـد بـن عبـد اللـه الأشجـعي (قدمـه أهـل الأندلـس واليـاً عليهـم)، وعبـد الملـك بـن قطـن بـن نُفَيْـل بـن عبـد اللـه الفهـري، وعقبـة بـن الحجـاج السلـولي.ثـم بعـد هـذا اغتصـب ولايـة الأندلـس بَلْج بـن بشـر القشيـري؛ بعـد ان تغلـب بأصحابـه عـلى الأمـر، وأخضـع البلدييـن.

تقرر في موضعه ؛ وهم أسود الشّرَى[1] عزَّة وشهامة. غُـصَّ[2] بهـم السابقـون إلـى **الأندلـس** ؛ وهـم **البَلديُّـون**، وطالبوهـم بالخروج عن بَلَدهـم الـذي فتحوه، وزعمـوا أنهـم لا يحملُهـم وإياهــم ؛ واجتمعــوا لغزوهــم ؛ فكانــت الحــروب تــدور بينهـم[3]؛ إلـى أن وصـل **الأندلس أبـو الخَطّـار حُسـام بـن ضِـرار الكَلْـبي**[4]؛ عابـرًا إليهـا البحـر مـن **تونـس** ؛ وأظَّـل[1] عـلى

---

[1] أسـود الشـرى: مثـل يضـرب عـلى مأسـدة في ناحيـة الفـرات؛ فأضحت الكلمـة تطلـق كقالـب أدبي للتشبيـه.

[2] في المخطوطيـن: ((غـض)).

[3] جـاء في البيـان المغـرب: ((لمّـا أبـاد ابـن قَطَـن البربـر بالأندلـس؛ بمـن معه مـن العـرب، وبأصحـاب بَلْـج؛ قـال لبلـج وأصحابـه: "أخرجـوا مـن الأندلـس عـلى مـا شُورِطْتُـمْ عليـه"؛ فقـال بلـج: "أحملنـا إلى ساحـل إلبيـرة أو ساحـل تُدْميـر"؛ فقـال لهـم عبـد الملـك: "ليسـت لنـا مراكـب إلاّ بالجزيـرة"؛ فقالـوا لـه: "إنمـا تريـد أن تَرُدَّنـا إلى البربـر ليقتلونـا في بلادهـم".فلمـا ألَـحَّ عليهـم في الخـروج؛ نهضـوا إليـه؛ فأخرجـوه مـن قصـر قرطبـة إلى داره بالمدينـة. ودخـل بلـج القصـر...)). مج: 2، ص: 31. ومنذئـذ اشتعلـت الأندلـس بالحـروب والفتـن؛ بفعـل العصبيـة الرعنـاء.حيـث نصـب أهـل الشـام ـ بعـد مقتـل بَلْـج ـ ثعلبـة بـن سلامـة العاملـي؛ فعـاث وأفسـد في البـلاد بعـض الوقـت، ونشـر ألوانـاً مـن الفسـاد والظلـم. ثـم ولي عليهـم بعـده؛ قطـب مـن أقطـاب العصبيـة اليمنيـة؛ وهـو أبـو الخطـار الحسـام بـن ضـرار الكلـبي؛ فأظهـر في بدايـة عهـده العـدل والإنصـاف، والتهدئـة والسلامـة. ولكـن عصبيتـه لليمنيـة أفسـدت حالـه؛ الأمـر الـذي استفـز أحـد الـرؤوس في العصبيـة القيسيـة؛ وهـو الصُّمَيْـل بـن حاتـم؛ فثـار عليـه، واضطرمـت بذلـك الأندلـس نـاراً؛ إلاّ أن قدوم عبد الرحمن الداخل؛ إلى تلـك الديار غير المسار؛ حيث ضبط الحال، وحكم البلاد بقبضة من حديد.

[4] تـوفي سنـة 130هـ/747م. تـولى إمـارة الأندلـس سنـة 125هـ/742م مـن قبـل والي إفريقيـة حنظلـة بـن سفيـان.اشتهـر أيضـاً بعصبيتـه لليمنيـة ضـد القيسيـة؛ وقتـل في الاضطرابـات المشتعلـة بيـن الفئتيـن. وهـو صاحـب الأبيـات الشهيـرة الـتي أرسلهـا إلى الخليفـة الأمـوي هشـام بـن عبـد الملـك؛ يذكـره بمـا قامـت يـه اليمنيـة إلى جانـب بـني أميـة؛ فقـال:

قُرْطُبة على حين غفلة ؛ وقد سَتَر خبر نفسه ؛ والحرب بينهم ؛ فانقاد إليه الجميع ؛ بحكم عهد مُدينه[2] **حَنظلة بن صَفْوان والي إفريقية**[3]؛ وقبض على وجوه **الشاميِّين** ؛ عازماً عليهم في الإنصراف ؛ حسبما هو مشهور. ورَأى تَفْريق القبائل في **كُوَر الأندلس**، ليكون أَبْعد للفتنة ؛ فَفرَّقهم، وأَقْطَعهم ثُلُث أموال أهل الذِّمَّة الباقين من **الرُّوم** ؛ فخرج **القبائل الشاميُّون** عن **قرطبة**.

أفأتم بنو مروان قيساً دماءنا — وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل
كأنهم لم يشهدوا مرج راهط — ولم يعلموا من كان تم له الفضل
تعاميتموا عنَّا بعين جلية — وأنتم كذا ما قد علمنا لنا فعل

[1] المقصود بكلمة: ((أظل على قرطبة))؛ أنه دخلها ونشر عليها ظلاله واحتواها.

[2] في المخطوطات الثلاثة: ((مدينة)) وهو تحريف. والمقصود ((بمدينه)): مملكه ومولية حنظلة.

[3] هو أبو حفص حنظلة بن صفوان الكلبي توفي حوالي 130هـ/747م. أحد قادة الدولة الأموية الأعيان؛ ولي مصر، ثم إفريقية والمغرب؛ قام بإخماد ثورة الأمازيغ في إفريقية. ولما اضطرب أمر الدولة الأموية؛ ثار عليه بعض الجند وأخرجوه من إفريقية؛ فعاد إلى المشرق. وكانت الأندلس ـ في ذلك العهد ـ تتبع ولاية إفريقية بالقيروان. وولاة الأندلس يعينون من قبل والي إفريقية.

قال **أبو مروان**[1]: أشار على **أبي الخطار أرْطَباس قُومس الأندلس**[2] وزعيم **عَجَم الذمة**[3]، ومُستخرجُ خَراجهم[4] لأمراء المسلمين ـ وكان هذا **القُومسُ** شهير العلم والدَّهاء ـ لأول الأمر، بتفْريق القبائل **الشاميِّين** العَلَمين[5] عن البلد؛ عن دار الإمارة **قرطبة**؛ إذ كانت لا تَحملُهم، وإنزالهم **بالكُوَر**؛ على شَبَه منازلهم التي كانت في **كُوَر شَامِهم**. ففعل ذلك على[6] اختيار منهم. فأَنْزَل **جُند دِمشق كُورَة إِلْبِيرة**، وجند **الأرْدن**[7] **كورة جيَّان**،

---

[1] ابن حيان؛ المؤرخ المذكور سابقاً.

[2] هو الأسقف أرطباس أو "أرطبان" كما ورد أحياناً؛ وهو أردبست بن غيطشة (Ardabast). وتسميه بعض المصادر أوباس أخو الملك وتيزا؛ كان حليفاً للمسلمين؛ حيث أضحى بعد الفتح حاكماً لطليطلة وزعيماً للنصارى. وكلمة ((قومس)) Comes تعني الزعيم والرئيس. و((قومس)) هي Comes باللآتينية؛ وتطلق على زعيم أو رئيس النصارى في الأندلس. ويبدو أن هذا المنصب أنشأه المسلمون منذ فتح الأندلس. ولكنه أخذ منحى آخر غير الذي أنشئ به؛ إذ غدا يمثل رتبة دينية؛ تليه رتبة أخرى وهي المطران، أو الأسقف.

[3] النصارى المعاهدون؛ Los Mozarabes.

[4] في ج، ك: ((مزاحهم))؛ وفي ت: ((مزاجهم)).

[5] يقال أنها نسبة إلى موضع بالشام يسمى علم.

[6] في ج: ((عن))؛ وقد صوبت من الملكية.

[7] الأردن مملكة هاشمية الآن؛ تشكل الجزء الجنوبي الشرقي لبلاد الشام، وفي شمال شبه الجزيرة العربية. تحدها من الشمال سوريا، ومن الشرق العراق، ومن الغرب فلسطين، ومن الجنوب المملكة العربية السعودية سميت بالأردن؛ نسبة إلى نهر الأردن المار بحدودها الغربية.

وجند مصر **كورة باجة**، وبعضهم **بكورة تُدْمير**: فهذه منازل **العرب الشاميين**، وجعل لهم ثُلث[1] أموال أهل الذَّمَّة ـ من العجم ـ طُعْمة، وبقي **العرب، والبَلَدِيُّون، والبرابر**[2] شركاؤهم. فلما رأوا بُلداناً شِبْه بُلدانهم **بالشام**؛ نزلوا [وسكنوا واغتبطوا، وكبروا، وتموَّلوا، إلاّ من كان قد نزل منهم ـ لأول قدومه في الفتوح؛ على عنائهم] ـ موضعاً رضياً؛ فإنه لم يرتحل عنه][3]، وسكن به مع **البَلَدِيِّين**؛ فإذا كان العطاء، أو حظر الغزو ولَحِق بجُنْده؛ فهم الذين كانوا سُمُّوا الشّادّة حينئذ.

قال **أحمد بن موسى**[4]: وكان الخليفة يعقد لِوَاءَين: لواءً غازياً، ولواءً مقيماً. وكان رزق الغازي بلوائه مائتي

---

[1] في المخطوطات الثلاثة: ((ثلثا)). ومن خلال سياق الكلام الأتي سيتضح أن الصحيح هو ((ثلث)).

[2] البرابر: هم الأمازيغ من سكان شمال إفريقيا؛ دخلوا الأندلس فاتحين مع طارق بن زياد. فهم مع البلديين العرب أقدم إقامة وسكنى بديار الأندلس.

[3] هذه العبارة الطويلة تكررت في المخطوطات الثلاثة؛ مع تغيير طفيف؛ كما يلي: ((وسكنوا واغتبطوا، وكبروا، وتموّلوا، إلاّ من كان قد نزل منهم لأول قدومه في الفتوح؛ على عنائهم؛ لم يعرض لهم في شيء منها. فلما رأوا بُلداناً شِبْه بُلدانهم بالشام؛ نزلوا وسكنوا واغتبطوا، وكبروا، وتموّلوا، إلاّ من كان قد نزل منهم ـ لأول قدومه موضعاً رضياً؛ فإنه لم يرتحل عنه)). وقد تصرف عنان؛ فألغى ما لا داعي له؛ مع الاحتفاظ بما ورد في الملكية.

[4] ورد في كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة: أحمد بن موسى العروي؛ توفي سنة 388هـ/998م. وهو أحد مؤرخي الأندلس؛ ألف كتاباً سماه:

دينار. ويبقى المُقيم بلا رزق ثلاثة أشهر، [ثم يدال بنظيره[1] من أهله أو غيرهم][2]. وكان الغُزاة من **الشّاميِّين** مثل إخوة المَعهُود له أو بنيه أو بني عمه؛ يُرزقون - عند انقضاء غُزاته - عشرة دنانير؛ وكان يعقد المعقودُ له مع القائد؛ ويتَكَشّفُ عمن غزا، ويَسْتحقُّ العَطاء؛ فيُعطى على قوله تَكْرِمة له؛ وكانت خِدمتهم في العسكر، واعتراضهم إليه؛ ومن كان من **الشّاميين** غازياً من غير بُيوتات العَقْد؛ ارتَزَق خمسة دنانير عند انقضاء الغَزْو. ولم يكن يُعطى أحدٌ من **البلَديين** شيئاً غير المعقُود له. وكان **البلديُّون** أيضاً يعقد لهم لواءان[3]: لواء غاز، ولواء مُقيم؛ وكان يرتزق الغازي مائة دينار وازِنة؛ وكان يعقد لغيره إلى ستة أشهر، ثم يدال بنظيره من غيرهم؛ ولم يكن الدِّيوان والكَتبة إلاّ في **الشّاميين** خاصة؛ وكانوا أحراراً من العُشر، معدِّين للغزو، ولا يلزمُهم إلاّ المقاطعة على أموال **الرُّوم** التي

((تاريخ الأندلس))، ما زال مفقوداً؛ غير أن ثمة من ينفي هذا ويعتقد في تحريف حصل؛ إذ المعني هو أحمد بن موسى الرازي.

[1] حرفت في ج؛ فكتبت: ((يديل بنظره)).

[2] ما بين الحاصرتين سقط في ت:

[3] حرفت في ج، وت؛ فكتبت: ((لواءين)).

كانـت بأيديهـم ؛ وكـان **العـرب** مـن **البلديين** يـؤدُّون العُشر ؛ مع سائر **أهـل البلـد**، وكـان أهـلُ بيوتـاتٍ ـ منهـم ـ يغزون كما يغزو **الشاميُّون** ؛ بلا عطاء، فيصيرهم[1] إلى مـا تقدَّم ذكـره. وإنما كـان يُكْتَب أهـلُ البلـد في الغـزو ؛ وكـان الخليفـةُ يُخْـرِج عسكريـن، إلـى ناحيتيـن ؛ فيستنزلهـم ؛ وكانـت طائفـةٌ ثالثـة يسمَّـون **النُّظَـراء** مـن **الشاميين والبَلَديين** ؛ كانوا يغْزُون كما يغزو **أهـل البلـد** من الفريقين. وقد بيَّنا نبذة من أحوال هؤلاء **العرب**. والاستقصاء يُخـرِج كتابنا عـن غرضـه. والإحاطة لله سبحانـه.

***

[1] في ج: ((فيسير بهم))؛ وصوبت من الملكية.

ذكر

ما آل اليه حال (من)[1] ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز والاختصار

قال المؤلف: ولما استقرّ **بهذه الكورة** الكريمة أهل الإسلام، وأنزل **الأمير أبو الخطار** قبائل **العرب الشاميّين بهذه الكورة**، وأقطعهم ثلث أموال **المعاهدين**[2]، استمر

---

[1] ((من)) سقطت من المخطوطات الثلاثة؛ فأضافها عنان.

[2] حرصاً منا على زيادة الفائدة؛ ننقل هنا التعليق القيم الذي وضعه محمد عبد الله عنان بخصوص المعاهدين؛ خاصة وأنه أعطى صورة موجزة؛ ولكنها شاملة لهذا الموضوع: ((النصارى المعاهدون، أو المعاهدون، أو المستعربون؛ بالإسبانية Los Mozarabes هم النصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة تحت حكم الدولة الإسلامية. وكانوا يكونون أقليات كبيرة في القواعد الرئيسية مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة، ويتمتعون في ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلي، ويطبقون شرائعهم القوطية القديمة، ولهم قضاؤهم الخاص، ولهم كنائسهم يزاولون فيها شعائرهم الدينية بكل حرية. وكانوا ـ فوق ذلك ـ يتمتعون في بعض الأحيان بنفوذ قوي، ويحتل كثير منهم مناصب هامة في الحكومة والجيش. وقد أنشأت الحكومة الأندلسية ـ اعترافاً منها بأهمية الأقليات النصرانية ـ منصب ((القومس)) للنصارى؛ ليكون مرجعهم الرئيسي في شئونهم الروحية. وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ، وكان له ـ في معظم الأحيان ـ مكانة خاصة لدى الأمير أو الخليفة؛ إذ كان مستشاره في كل ما

سكناهـم في غِمـار مـن الـرُّوم ؛ يعالجـون فلاحـة الأرض، وعُمْـران القُـرى ؛ يرأسهـم أشيـاخ مـن أهـل دينهـم ؛ أولـو حنكة ودهاء و مداراة، ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهـم.

يتعلق بشئون النصارى وأحوالهم. ولما نمت هذه الأقليات النصرانية وازدهرت؛ بدأت في مناوأة الحكومة الإسلامية، وتدبير الدسائس ضدها؛ وكانت عضد الثورات المختلفة في المدن والمقاطعات الثائرة؛ ولاسيما طليطلة وما يجاورها من المدن القريبة من حدود النصارى. ومن الغريب ـ أنهم مع بغضهم للإسلام والحكومة الإسلامية ـ كانوا يأخذون بقسط وافر من التقاليد والعادات الإسلامية، وكانوا يتكلمون العربية ويكتبونها، ويستعملونها في وثائقهم ومعاملاتهم؛ وقد نبغ الكثير منهم في النظم والنثر. وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم (206 ـ 238هـ) (822 ـ 852م) حاول النصارى المعاهدون أن يدبروا فتنة خطيرة لصدع الحكومة الإسلامية؛ وعمد بعض القساوسة المتعصبين إلى سبّ الإسلام والنبي العربي جهراً في شوارع قرطبة، وأمام القضاة الذين يحاكمونهم؛ ودفعوا إلى هذا التحدي بعض الفتيات النصرانيات المتعصبات؛ فقضى على عدد منهم بالإعدام.وازداد النصارى هياجاً وتحدياً، وكادت تحدث في قرطبة فتنة مدمرة؛ لولا أن تذرعت الحكومة الإسلامية في إخمادها بمنتهى الحزم والشدة. ولبث النصارى المعاهدون على كرّ العصور شوكة في جانب الحكومة الإسلامية؛ يحاولون إحداث الشغب بكل الوسائل، ويشجعون كل خلاف وثورة، ويحالفون المملكة النصرانية الشمالية، ويستعدونها على الأندلس باستمرار. ولهم في الأندلس تاريخ طويل؛ ليس هنا موضع استقصائه. ولكن جهودهم كانت على أي حال من أهم العوامل في إضعاف الحكومة الإسلامية، وفي تعضيد جهود إسبانيا النصرانية؛ لاسترداد أراضيها المفتوحة من المسلمين. وهذا ما يعتبره المؤرخون الإسبان ـ من وجهة نظرهم ـ أعمال بطولة. ولهذا يخصص العلماء الإسبان لتاريخ ((النصارى المعاهدون)) مصنفات وبحوثاً كثيرة. وقد وضع المستشرق الكبير سيمونت Simonet في تاريخ النصارى المعاهدين مؤلفاً ضخماً عنوانه: Historia de los Mosarabes de Espana (Madrid 1897) ومن أحدث المؤلفات في هذا الموضوع كتاب وضعه المستشرق Isidro de la Cagigas عنوانه: (Los Mozarabes (Madrid 1947)).

وأحَدُهم[1] رجل يُعرفُ **بابن القَلاَّس**[2]؛ لـه شهـرة وصيـت، وجاه عند الأمراء بها. وكانت لهـم بخـارج الحَضْـرة؛ عـلى غَلْوتيـن[3]، تجـاه **بـاب إلبيـرة**[4] ـ في اعتـراض الطريـق إلـى **قُولْجر**[5] ـ **كنيسة** شهيرة إتخذها لهـم أحد الزعمـاء مـن أهـل دينهـم؛ استركبه بعض أمرائهـا في جيش خَشِن مـن **الـرّوم**؛ فأصبحت فريـدة في العمـارة والحلية؛ أمر بهدمها **يوسف بـن تاشفيـن**[6]؛ لتأكُّد رغبة الفقهاء، وتوَجُّه فتواهم.

---

[1] في ج، والملكية: ((وآخرهم)).

[2] هو اسم زعيم النصارى المعاهدين؛ ولا أعرف مدى صلته ـ البعيدة أو القريبة ـ بالفقيه الزاهد أبي الحسين يحيى بن نجاح الشهير بابن القلاس الأموي القرطبي، المتوفى بمصر ـ بعد أن استوطنها ـ سنة 422هـ/1030م. وله كتاب سبل الخيرات؛ في المواعظ والوصايا والزهد. ثم أبو عبد الله ابن القلاس؛ منافس ابن زيدون في حب ولادة. ربما التقوا في الاسم المتشابه فقط.

[3] الغلوة: مقياس يوناني الأصل؛ يستعمل في الأندلس؛ كمقياس للأطوال والمسافات؛ والغلوة الواحدة يتراوح مقدارها بين: ثلاثمائة وأربعمائة ذراع. والذراع : يساوي 21.6 بوصة؛ التي تقابل 55. مم. أما الغلوة: فتقدر بـ 2 ياردة المساوية لـ 185متراً. وتقدر ـ في الغالب ـ برمية سهم.

[4] يعتبر باب إلبيرة من أقدم أبواب غرناطة. ومازال إلى الآن أثره قائماً في غرناطة؛ ويسمى بالإسبانية: Puerta de Elvira.

[5] وردت بعد كلمة الطريق السابقة كلمات؛ تخلى عنها عنان؛ لأنها في غير موضعها؛ وهي: ((والعياء عقيق الماء)). أما بلدةقُولْجر: فهي الآن قرية تسمى الآن Cuejar Sierra؛ لا تبعد كثيراً عن غرناطة؛ وتقع في الشرق منها في الاتجاه القائم فيه باب إلبيرة.

[6] يوسف بن تاشفين هو سلطان اللمتونيين ومؤسس الدولة المرابطية (ت: 500هـ/1106م) أنقذ الأندلس الإسلامية من السقوط في أيدي النصارى، ووحدها بعد التفكك والتشرذم. ثمة ترجمة وافية له في الإحاطة.

قال **ابن الصيرفي**[1]: خرج أهل الحضرة لهدمها يوم الإثنين؛ عقب جمادى الآخرة من عام اثنين وتسعين وأربعمائة[2]، فَصُيِّرت للوقت قاعاً؛ وذهبت كل يد بما أخذت من أنقاضها وآلاتها. قلت: ومكانها اليوم مشهورٌ، وجدارها ماثلٌ؛ ينبئ عن إحكام وأصالة، وعلى بعضها مقبرة شهيرة **لابن سَهْل بن مالك**[3] رحمه الله.

ولما تحركت لعدو الله **الطّاغية ابن رُذْمير**[4] ريح الظهور، على عهد **الدولة المرابطية**، قبل أن يخضد الله شوكته على **إفْراغَة**[5] بما هو مشهور؛ أَمَلَتْ **المُعاهِدَة**[6] ـ

---

[1] هو أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري المعروف بابن الصيرفي؛ توفي بغرناطة في حدود سنة 570هـ/1174م. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.

[2] الموافق لـ 1098م.

[3] هو أبو الحسن سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد الأزدي أديب الأندلس وخطيبها البليغ. ولد سنة 559هـ/1163م وتوفي بغرناطة سنة 639هـ/1241م. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.

[4] يقصد ألفونسو الأول؛ وهو ابن راميرو ملك أرغون (1105 ـ 1134م) (499 ـ 529هـ). 529هـ).

[5] إفراغة Fraga: هي مدينة في الثغر الأعلى؛ حاول ألفونسو الأول الاستيلاء عليها سنة 528هـ/1134م؛ ولكنه فشل بعد تدخل الجيش المرابطي بقيادة الأمير ابن غانية؛ فانهزم ألفونسو الأول وتوفي بعدها بأيام معدودة غماً وحرقة.

[6] أي المعاهدون من النصارى وقد سبق الحديث عنهم..

مـــن **النصـــارى** لهـــذه **الكـــورة** - إدراك الثَّـــرَّة[1]، وأطْمَعَــت [في][2] المملكـة ؛ فخاطبـوا **ابـن رُذْميـر** مـن هـذه الأقطار، وتوالـت عليـه كُتُبُهـم، وتَواتَـرت رُسُلُهـم ؛ مِلِحَّـة بالإستدعاء، مُطْمِعَة في دخول **غرناطة**[3]. فلما أبطأ عنهـم ؛ وجهوا إليـه زمامـاً يشتمـل عـلى إثـني عشـر ألفـاً مـن أنجـاد مقاتليهـم ؛ لـم يَعُـدُّوا فيها شيخـاً، ولا غِراً، وأخبروه أن من سَمَّـوه، ممـن شهـرت[4] أعينُهـم لقرب مواضعهـم، وبالبُعْد من مــن يَخْـفى أمـره، ويظهـر عنـد وُرود شخصـه ؛ فاستأثـروا طمعه، وابْتَعَثوا جَشَعَه، واستفزُّوه بأوصاف **غرناطـة**، ومـا لها من الفضائـل[5] عـلى سائـر البـلاد، وبفحصهـا الأفيـح[6]، وكثـرة فوائدهـا مـن: القمـح، والشعيـر، والكتَّـان؛ وكثـرة المرافـق؛ مــن: الحريـــر، والكـــروم، والزيتـــون، وأنـــواع الفواكـــه، وكثـــرة العيـــون، والأنهـــار، ومنعـــة قُبَّتِهـــا[7]،

---

[1] الثـرة هي: السعـة والتبسـط. وقـد حرفـت في ج فكتبـت: ((التـرة)).
[2] ((في)) سقطـت في المخطوطيـن.
[3] في البيـان المغـرب: ((أغرناطـة)). ويبـدو أن هـذا هـو اسمهـا الأمازيـغي.
[4] نفسـه: ((شهـدت)).
[5] نفسـه: ((الفضـل)).
[6] يسـمى هـذا المـرج بالإسبانيـة La Vega؛ وقـد سبقـت الإشـارة إليـه.
[7] في البيـان المغـرب: ((قصبتهـا)).

وانطباع رعيَّتها[1]؛ وتأتى أهل حاضرتها، وجمال إشرافها وإطلالها، وأنها المباركة التي يمتلك منها غيرها؛ المسماةُ **سَنَام [الأندلس** عند][2] الملوك في تواريخها. فرموا حتى أصابوا غَرْبه؛ فانْتَخب، وأحْشَد، وتَحَرَّك أول شعبان من عام خمسة عشر وخمسمائة[3]؛ وقد أخفى مذهبه، وكتم أرَبَه؛ فوافى **بَلَنْسِيَة**[4]، ثم إلى **مُرْسية**[5]، ثم إلى **بيرَة**[6]، ثم اجتاز **بالَمْنصورة**[7]، ثم ثم انحدر إلى **برْشانة**[8]، ثم تلوّم إلى **وادي ناطلة**[9]، ثم تحرك

---

[1] في الملكية: ((رغبتها)).

[2] ما بين الحاصرتين سقط في ج

[3] اعتبر محمد عبد الله عنان هذا التاريخ خطأ؛ وصححه بتاريخ: 518هـ/1125م.؛ ويرى أن ألفنسو الأول وصل إلى جنوبي الأندلس في 520هـ/1126م. أما كتاب البيان المغرب؛ فقد ورد فيه: ((أول شعبان 519هـ)).

[4] في البيان المغرب: ((إلى أن وصل بلنسية)).

[5] مرسية (Murcia) مدينة ساحلية تطل على البحر الأبيض المتوسط؛ وهي عاصمة منطقة تحمل هذا الاسم؛ وتقع على ضفاف نهر شقورة؛ في الجنوب الشرقي من الأندلس، أسسها عبد الرحمن الداخل سنة 210هـ/825م. من رجلاتها المشاهير ابن عربي.

[6] تقع بلدة بيرة بالقرب من الساحل الشرقي للأندلس؛ وهي في أعمال المرية.

[7] لعله يقصد منية نصر؛ وهي قرية شرقي قرطبة؛ تقع على نهر به أرحاء الحناء؛ قال فيها عبيد الله بن يحيى:

لعلَّ زماني يَسْتجِدُّ بوصلها *تجَدُّدَ عهد الملكِ في مُنْيَة النَّصرِ

[8] بَرْشانَة ـ بفتح الباء والنون ـ أحد الحصون المنيعة في الأندلس؛ يربض بين نهرين؛ تابع لإشبيلية.

[9] لم أتوصل إلى معرفته.

تحرك إلى **بَسْطَة**[1]، ثم إلى **واد آش**[2]. فنزل بالقرية المعروفة المعروفة **بالقَصْر**[3]، وصافح المدينة بالحرب ؛ ولم يَحلْ بطائل ؛ فأقام عليها شهراً.

قال صاحب كتاب ((**الأنْوار الجَلِيَّة**))[4]: فبدأ بَحْثُ **المُعاهِدَة بغرناطة** في استدعائه[5]؛ فافتضح تدبيرهم باجتلابه، وهمَّ أميرها[6] بتثقيفهم[7]؛ فأعياهم ذلك، وجعلوا يتسللون إلى مَحَلَّته[8] على كل طريق ؛ وقد وقد أحدقت **جيوش المسلمين** من **أهل العدوة**[9]، **والأندلس والأندلس بغرناطة** ؛ حتى صارت كالدائرة[10]، وهي في

[1] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((بصطة)). وبسطة: مدينة أندلسية تقع إلى الشرق من غرناطة. كانت مركز ملك محمد بن سعد بن الزغل (حكم من 890هـ/1485م ـ 896هـ/1490م).

[2] وادي آش: تسمى الآن: Guadix؛ وكانت هذه المدينة؛ من المدن المزدهرة في العهد الإسلامي بالأندلس؛ وتقع في شرق غرناطة؛ وهي قريبة من مدينة بسطة. سقطت في قبضة النصارى سنة 895هـ/1489م.

[3] هذه القرية تسمى الآن Alcazar؛ وتقع في الجنوب الشرقي من غرناطة. غرناطة.

[4] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((الأنوار الجليلة)). وكتاب الأنوار الجليّة في تاريخ الدولة المرابطيّة؛ هو لأبي بكر يحيى بن محمد المعروف؛ بابن الصيرفي.

[5] أي بدأ المعاهدون. وفي البيان المغرب: ((فبدأ نجيث المعاهدة في استدعائه)).

[6] في البيان المغرب: ((وهمّ أبو طاهر)).

[7] أي اعتقالهم.

[8] محلة ملك أرغون ألفونسو الأول.

[9] يقصد أهل المغرب.

[10] في ك، و ج: ((كالدارة)).

وسطها كالنقطة، لَّما أنْذِروا بِغَرضه؛ وتحرك من **واد آش**؛ فنزل **بقرية دِجمة**[1]؛ و صلَّى الناس **بغرناطة** صلاة الخوف ـ يوم عيد النحر؛ من هذه السنة ـ في الأسلحة والأَّبهة. وبعيد الظهر ـ من غَده ـ ظهرت أخبيةُ **الرُّوم** بالقَيْل[2]، شرق شرق المدينة؛ وتوالى الحرب على فرسخين منها؛ وقد أجْلَى السَّواد، وتزاحم النَّاس بالمدينة، وتوالى الجَليد، وأظَلَّتِ الأمْطار، وأقام العدو ـ بمحلَّته ـ بضع عشرة ليلة؛ لم تَسْرَح له سارحةٌ؛ إلاَّ أنَّ **المُعاهِدَة** تَجْلِبُ له الأقوات[3]. ثمّ أقْلَعَ؛ وقدِ إرْتَفَعَ طعًمُه[4] عن المدينة، لأربع بقين من ذي الحجة عام عشرين[5]، بعد أن تفرغ مُسْتَدْعيه إليها، وكبيره يعرف **بابن القَلاَّس**[6]؛ فاحْتجُّوا بِبُطْئِه وتلوُّمه؛ حتى حتى تلاحقت الجيوش، وأنهم قد وقعوا مع **المسلمين** في

---

[1] تسمى الآن Diezma؛ وتقع إلى الغرب من مدينة وادي آش؛ وتتوسط الطريق بينها وبين غرناطة.

[2] أي بالقائلة؛ منصف النهار.

[3] في البيان المغرب: ((والمعاهدة تجتلب إليه الأقوات)).

[4] هكذا.

[5] يقصد: 520هـ/1126م.

[6] زعيم المعادين.

الهَلَكَة؛ فرحل عن **قرية مُرْسانة** إلى **بِيَش**[1]؛ ومن الغد إلى **السكة**[2] من **أحواز قلعة يَحْصُب**[3]؛ ثم اتصل إلى **لِدُوبيانه**[4]، ونكب إلى **قَبرة**، **واللسَّانه**[5]، والجيوش المسلمة المسلمة في أذياله. وأقام **بقبرة** أياماً، ثم تحرك إلى **بلاي**[6]؛ والعساكر في أذياله، **وشيجة**[7]، في **فحص الرَّنِيسول**[8]،

---

[1] تعرف قرية مرسانة اليوم باسم Maracena؛ وتبض في شمال غرناطة. أما قرية بيش؛ فهي الآن Beas؛ وتتواجد في الشمال الغربي من غرناطة. وهاتان القريتان كانتا تابعتين لغرناطة وفي حوزها.

[2] تعذر عليّ معرفتها.

[3] نسبة إلى قبيلة يَحْصب بن دهمان الحميرية العربية؛ هي قلعة بني سعيد الشهيرة؛ أصحاب كتاب المغرب في حلي المغرب، وكتاب القدح المعلى؛ وغيره. وهذه القلعة تسمى الآن: ALCALA la Real؛ أي القلعة الملكية. وتسمى أيضاً قلعة يعقوب. وتتواجد في الشمال الغربي من غرناطة.

[4] تعذر عليّ معرفتها. وكتبت في ت: ((الدوبيانية)).

[5] سبق التعريف بقبرة. أما اللسانة أو الليسانة فتعرف اليوم بـ Lucena؛ وهي حصن من الحصون المتواجدة في مملكة غرناطة؛ أغلب سكانها من اليهود؛ وبها ربض يسكنه المسلمون. وتقع إلى الشمال الغربي من غرناطة؛ ولا تبعد كثيراً عن قلعة يحصب. وعرفت هذه القرية بكونها كانت منفى الفيلسوف الأندلسي العظيم: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي؛ المولود بقرطبة سنة 520 هـ/1126م. بعد أن ثار عليه الفقهاء، وضغطوا على الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف ـ على الرغم من حبه له ـ فتقرر نفيه لبعض الوقت إلى السكنى مع اليهود في قرية لسانة..

[6] كتبت في الملكية: ((بللي))، وفي ت: Poley؛ واسمها الحديث هو Aguilar. اشتهرت بلاي بالموقعة التي حدثت بين الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، وابن حفصون الثائر سنة 287هـ/891م.

[7] حرف اسمها في ك و ج، و ت، والملكية. على ثمة بلدة كانت تسمى شيجة أو أشيجة؛ وهي قريبة من غرناطة؛ وتسمى الآن Espejo.

[8] يسمى أيضاً أرنسول؛ ويعرف الآن Aranzuel؛ وهو في جنوبي غرناطة. غرناطةوربما كان في هذا الموضع قديماً حصناً قائماً. وقد ذكره ابن

مكافحـــةً في أثنائهـــا، مناوشـــة، وظهـــوراً عليـــه. ولمـــا جَـــنَّ الليـل؛ أمـر أميرهـم برفـع خبائـه[1] مـن وهْـدَة كـان فيهـا إلـى نَجْـدة[2]؛ فَسـاءَتِ الظُّنـون، واختـلّ الأمـر؛ ففـرَّ النـاس، وأسلمـوا؛ وتَهَيَّبَ العَدُوُّ المَحَلَّة؛ فلـم يدخلهـا إلاّ بعـد هَـدْأة من الليـل[3]، واستولى عليها، وتحـرك - بعـد الغـد - منهـا إلـى جهـــة الساحــــل؛ فشـــق العِمامــــة الآمنـــة مــــن الإقليــــم والشَّـارات[4]. فيقـول بعـضُ شيـوخ تلـك الجهـة، إنـه اجتـاز بـوادى **شُلُوبانِيَـة**[5]، المُطِلِّ الحَافَّات، والمُتَحَصِّن[6] المجاز. وقـال بلغته: أيُّ قَبْرٍ هـذا لَـو ألْفَيْنا مـن يَصُـبُّ علينـا التُّـراب، ثـم

الأثير حين أورد خبر الهزيمة التي لحقت بالمسلمين أمام ابن ردمير سنة520هـ/1126م. وذكر أنه حصن منيع.

[1] في البيان المغرب: ((فلما طفلت الشمس أمر الأمير تميم برفع خبائه)).

[2] الوهدة جمعها وهاد: الأرض المنخفظة؛ ونجدة: يقصد بها الأرض المرتفعة.

[3] حرفت في ت؛ فكتبت: ((مدة الليل))، وفي الملكية: ((هدة الليل)).

[4] في ج، والملكية: ((البشارات))، ((البشارة)). ويقصد بالشارات: المرتفعات والهضاب الممتدة جنوب جبل شلير. ويرى بعضهم أن اسمها بالإسبانية Alpujarras؛ بينما يعتقد عنان أنها تحريف لكلمة Sierras الإسبانية.

[5] في هذا الوادي بلدة تسمى أيضاً شلوبينية؛ وتقع في بسيط يطل على البحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب من غرناطة؛ وتعرف الآن باسم Salobrena.

[6] في المخطوطين: ((المتحصر)).

عـرج يَمْنَـة حـتى انتـهى إلـى **بَلِّـش**[1]، وأنشـأ بهـا جَفْنـاً[2]، صغيراً يصيد لـه حوتـاً ؛ أكـل منـه ؛ كأنَّـه نَـذِرٌ كـان عليـه ؛ وَفَّـى بـه، أو حديـثٌ أرادَ أنْ يُخَلِّـد عنـه. ثـمّ عـاد إلـى **غرناطـة**، فاضطَـرب بهـا محلَّتـه **بقريـة دُكَـر**[3]، عـلى ثلاثـة فراسخ منها قِبْلَة، ثم انتقل ـ بعد ذلـك بيوميـن ـ إلـى **قريـة هَمْدان**[4]، وبرزَ بالكتب **جاعَرِسْطة**[5] من المدينة ؛ وكان بينه بينـه وبيـن عساكـر المسلميـن مُواقَعـة عظيمـة ؛ وللأهـل **غرناطـة** بهـذا الموضـع **حِدْثـان**[6]؛ ينظرونـه مـن القضايـا المستقبلة.

---

[1] تعرف ببلش مالقة؛ Velez Malaga الآن: وهي مدينة في جنوب الأنلس؛ وتقع بين مالقة والمنكب نحو الشرق. سقطت في قبضة النصارى سنة 892هـ/1486م.

[2]يقصد أنشأ بها مركباً. لأن الجفن في اصطلاح الأندلسيين هو المركب الصغير، أو السفينة الحربية.

[3] غير معروفة؛ ويعتقد عنان في احتمال أنها هي القرية المسماة الآن Dilar. التي تربض إلى الجنوب من غرناطة. وقد وردت في ت: ((دلوا)).

[4] وتسمى الآن Alhendin؛ وهي جنوبي غرناطة وقريبة منها.

[5] يعتقد عنان أنه أحد زعماء النصارى في ذلك الوقت واسمه بالإسبانية: Inigo Arista. وقد كتب في الملكية: ((جاغرسطة)).

[6] الحدثان؛ جمع حديث: وهي حوادث الدهر. وقد اصطلح على إطلاق هذه الكلمة على كل عمل أو خبر له علاقة باستكشاف حوادث الغيب؛ من أعمال الزيارجية، وخط الرمل، والتنجيم وغيره، وقد خصص ابن خلدون في مقدمته لموضوع الحدثان فصلاً؛ يمكن الرجوع إليه.

قال **ابن الصيرفي**: وقد ذكر في بعض كتب **الجفر**[1]:
((هذا الفحص، بخراب يجبى عن يتامى وأيامى)). وكان هذا اليوم مُعَرَّضاً لذلك؛ فوقى الله؛ وانتقل ـ بعد يومين ـ إلى **المرج**[2]؛ مُضَيِّقاً عليه، والخيل تحرجه[3]؛ فنزل **بعين أطسة**[4]، والجيوش محدقة به، وهو في نهاية؛ من كمال التَّعْبِيَة، وأخْذِ الحَذَر؛ بحيثُ لا تُصاب فيه فُرْصَة، ثم تحرَّك على **البَرَاجِلاَت**، إلى **اللقوق**[5]، إلى **وادى آش**؛ وقد أصيب كثير من حاميته. وطوى المراحل إلى الشرق؛ فاجتاز إلى **مُرْسِيَة**، إلى جوف **شاطبة**؛ والعساكر ـ في كل ذلك ـ تطأ أذياله، والتَّناوش يَتَخَطَّرُ به[6]، والوَباءُ يسرعُ إليه؛ حتى لَحِقَ بلاده؛ وهو ينظر إلى قَفاه؛ مُخْتَرماً، مَفْلولاً من غير حرب؛ يكاد الموت يستأصل مَحلَّته، وجُمْلَته. ولما بان **للمسلمين** من مَكيدَة

---

[1] الجفر ـ أيضاً ـ ضرب من التنجيم؛ باستخراج الأجوبة بواسطة أسار الحروف.
[2] وردت في المخطوطات الثلاثة: ((الفرج)). وقد رجح عنان أن يكون المرج هو La Vega الآن.
[3] في ج: ((بجرحيه))، وفي ك: ((نحوجه))، وفي ت: ((تحرجه))؛ وقد صوبت من الملكية.
[4] غير معروفة.
[5] في الملكية: ((اللقون))؛ وهي أماكن غير معروفة.
[6] هكذا في المخطوطين؛ أما في ت؛ فكتب: ((يتخطفه)). وقد كتبت هذه العبارة في البيان المغرب هكذا: ((وتناوشه وتصيب منه)).

جيرانهم **المُعاهِدين**؛ ما أجْلَتْ عنه هذه القضيَّة، أخَذَهُم الإرْجاف، ووَغِرَت لهم الصُّدور، [ووُجِّهَ إلى مكانهم الحَزْم][1]؛ ووجَّه **القاضي أبو الوليد بن رشد**[2] الأجْر، وتَجشَّم المَجاز[3]، ولَحِق **بالأمير [علي بن]**[4] **يوسف بن تاشفين بمَرَّاكُش**[5]؛ فبين له أمر **الأندلس**، وما منيت به من من **مُعاهِدِها**، وما جنوه عليها؛ من استدعاء **الرُّوم**[6]، وما وما في ذلك من نقض العهد، والخروج عن الذمَّة. وأفتى بِتَغْريبِهِم، وإجْلائِهِم عن أوطانهم؛ وهو أخفُّ ما يُؤْخذ

---

[1] هذه العبارة الواردة بين حاصرتين انفرد بها مخطوط ج. وكتب بعدها: ((فاحتسب الإرجاف ووعزت لهم الصدور)). وهذا التكرار لم يرد في باقي المخطوطات.

[2] هو ابن رشد الجد؛ (جد الفيلسوف)؛ واسمه بالكامل: أبو الوليد محمد ابن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي؛ تولى قضاء قرطبة. مات في ذي القعدة من سنة 520هـ/1126م؛ وهي السنة نفسها التي اندحر فيها الفونسو عن غرناطة. من مؤلفاته: كتاب المقدمات؛ لأوائل كتب المدونة، وكتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، واختصار المبسوطة، واختصار مشكل الآثار للطحاوي.

[3] في البيان المغرب: ((وتجشم النهوض إلى حضرة مراكش)).

[4] صحح عنان الخطأ الموجود في المخطوطات؛ بإضافة ((علي ابن))؛ مذكراً أن يوسف بن تاشفين توفي في سنة 500هـ؛ حيث خلفه ولده علي في السنة نفسها. وهذه الحوادث المذكورة وقعت في سنة 520هـ وهو عصر علي بن يوسف بن تاشفين.

[5] مراكش: عاصمة الدولة المرابطية؛ تقع جنوب المملكة المغربية الحالية. بناها يوسف بن تاشفين سنة 454هـ/1062م. اشتق اسم هذه المدينة من كلمة أمازيغية (أمور ن ياكش)؛ ومعناها بلاد الله.

[6] في البيان المغرب: ((وما بليت به من معاهدتها، وما جرّوه إليها، وجنوه وجنوه عليها من استدعاء ابن ردمير)).

بـه مـن عقابهـم ؛ وأُخِـذَ بقولـه ؛ ونُفِّـذ بذلـك عهـدُه ؛ وأُزْعِـج[1] منهـم إلـى **بَـرِّ العـدوة**، في رمضـان مـن العـام المذكور ؛ عددٌ جَـمٌّ، أنكرتهـم الأهـواءُ، وأكلتهـم الطـرق، وتفرقـوا شَـذَر مَـذَر[2]؛ وأصـاب كثيـر مـن الجـلاء جمعتهـم[3] من **اليهـود** ؛ وتقاعدت بهـا منهـم طائفـة ؛ هَبَّت لهـا ـ بممـالأة بعـض الـدُّول ـ رِيـحٌ ؛ فأمَّـروا، وأكْثـروا إلى عـام تسعـة وخمسين وخمسمائة[4]؛ ووقَعَت فيهم وقيعَـة احْتَشَّتْهُـم ؛ إلاَّ إلاَّ صابـةٌ[5] لهـذا العهـد قليلـة، قديمـةُ المَذَلَّـة، وحالفـت الصَّغـار[6]. جعل الله العاقبة لأوليائه.

***

[1] في ج: ((وأعجز))، وفي الملكية: ((وأجعز))؛ فصوب ذلك عنان. وأزعج هنا تعني: الطرد.
[2] معنى (شذر مذر) هو: ذهبوا مذاهب شتى في الاختلاف. وشذر هي خرز يفصل به بين حبيبات اللؤلؤ الصغيرة في العقد. أما مذر: فمعناها فرقه.
[3] هكذا.
[4] الموافق لـ 1163م.
[5] أي أقلية محدودة.
[6] الصَّغار: ضد ما هو عظيم. وردت هكذا في ج، أما في ك: ((الصعار)).

ذكــر
مـا ينسـب إلـى هـذه الكـورة
مـن الأقاليـم الـتي نزلتهـا العـرب بخـارج
غرناطـة، ومـا يتصـل بهـا مـن العمالـة

فصـــل

فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجنّات والجهات

قال المؤلف رحمه الله: ويَحِفُّ بسور[1] هذه المدينة[2] - المَعْصومة بدفاع الله تعالى - البَساتينُ العريضة المُسْتَخْلَصَة، والأدْواحُ المُلْتَفَّة؛ فيصير سورُها - من خَلْف ذلك - كأنَّه من دُون سِياج كَثيفة؛ تلوح نُجوم الشُّرفات أثناء[3] خَضْراية. ولذلك ما قلت فيه في بعض الأغراض[4]:

بلـــدٌ يحــفُّ[5] بـــه الرِّيـــاضُ كأنَّـــه
وجْـــهٌ جميـــل والرِّيـــّاض عِـــذاره

وكأنَّمـــا واديـــه مِعْصَـــمُ غـــادَةٍ
ومِنَ الجُسُـــورِ المُحْكمـــات سِـــواره

[1] في المخطوطين: ((سـور)).
[2] أي غرناطة.
[3] كلمة ((أثناء)) وردت في ت. أما اللمحة فكتب فيها: ((الشرفات البيض أثناء)).
[4] يوجد هذان البيتان أضاً في نفح الطيب وأزهار الرياض؛ وهما من بحر الكامل.
[5] في نفح الطيب: ((تحـف)).

فليس تَعْرَى عن جَنَباته من الكُروم والجَنَّات جهة؛ إلاّ ما لا عِبْرة به مقدار غلْوة أما ما حازه السِّفل من جَوْفيه[1]؛ فهي عظيمة الخطر، متناهية القِيَم؛ يضيق جَدُّه[2] من[3] عدا أهل الملك عن الوفاء بأثمانها؛ منها ما يُغِلُّ في السنة الواحدة نحو[4] الألف من الذَّهب. قد غُصَّت الدَّكاكين بالخُضَر النَّاعمة، والفَواكه الطَّيِّبة، والثَّمْر المُدَّخَرة، يَخْتَصُّ منها بمستخلص السلطان[5]، المرورُ طوقاً على تَرائِب بلده ما بينهن منية[6]؛ منها **الجَنَّة**[7] المعروفة **بِفَدَّان المَيْسة**، **والجَنَّة** المعروفة **بفدان عِصام**، **والجنة** المعروفة **بالمعروى**[8]، **والجنة** المنسوبة إلى **قدَّاح بن سُحْنون**، **والجنة** المنسوبة **لإبن المُؤذّن**، **والجنة** المنسوبة **لإبن كامل**، **وجنة النَّخلة العليا، وجنة النخلة السفلى، وجنة ابن عُمْران،**

---

[1] في ت: ((حومين)).
[2] في ج: ((جوه)).
[3] في الملكية: ((ما)).
[4] في المخطوطين: ((شكر)).
[5] أي الأملاك الخاصة بالسلطان.
[6] هكذا.
[7] يقصد بالجنة؛ البستان أو الحديقة. وهذه الكلمة مازالت مستعملة في الجزائر، وتطلق على البستان.
[8] في ت: ((المغرموى)). بينما ترك بياض في ج.

والجنة التى إلى **نافع**، **والجُرْف** الذي ينسب إلى **مُقْبل**، **وجنة العَرْض**، **[وجنة الحفرة]**[1]، **وجنة الجُرْف**، **ومَدْرج نَجْد**، **ومَدْرج السَّبيكَة**[2]، **وجنة العَريف**[3]. كلها لا نظير لها لها في الحسن والدَّمانة[4] والرَّبيع، وطيب التُّربَة، وغَرْقَد[5] السُّقْيا، وإلتفاف الأشجار، واستجادة الأجناس؛ إلى ما يجاورها ويَتَخَلَّلَها؛ مما يختص بالأحباس الموقوفة، والجنَّات المتلّكة، وما يتصل بها **بوادي سَنْجيل**[6] ما يقيد الطَّرْف، ويُعْجز الوصف، قد مَثلث منها على الأنهار المتدافعة العُباب، المنارةُ والقِبابُ، واخْتَصَّت من أشْجار العاريات ذات العَصير الثاني بهذا الصُّقْع[7]، ما قَصَرت عنه الأقطار. وهذا **الوادي** من محاسن هذه الحَضْرة؛ ماؤُه رقراق من

---

[1] سقط ما كتب بين الحاصرتين في ج، والملكية؛ بينما ثبت في ك.
[2] السبيكة هو السهل الأخضر المنبسط جنوب شرق الحمراء؛ وقد كان مصدر وحي للشعراء والأدباء؛ لجماله وخصوبته.
[3] جنة العريف من أروع وأجمل الحدائق في غرناطة. بها قصر السلطان المسمى بقصر جنة العريف؛ ويسمى بالإسبانية: Generalife. ويقع هذا القصر والبستان إلى الشمال الشرقي من الحمراء.
[4] أي الخصوبة. وردت هكذا في ج؛ وفي ك: ((الدمامة)). وفي ت: ((الدماثة))
[5] أي ضخامة الأشجار بفضل المياه الغزيرة التي تسقى بها. لأن الغرقد: شجر عظيم؛ وربما يكون (العوسج) في ضخامته.
[6] اسم ثاني لنهر شنيل. وقد حرفت في المخطوطين فكتبت: ((سحل)).
[7] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((السقع)).

ذَوْبِ الثَّلْج، ومُجاجَة الجليد[1]، وممرُّه على حصى جوهرية؛ بالنَّبات والظِّلال مَحْفوفَة؛ يأتي من قِبْلة علام البلد إلى غَرْبه؛ فيَمُرُّ بين القُصور النَّجْدِيَّة؛ ذوات المناصب الرَّفيعة، والأعلام الماثلة. ولأهل الحَضْرة بهذه الجنَّات كَلَفٌ، ولِذَوِي البطالة فوق نهره أريك من دَمَث الرّمل، وحجال[2] من ملتفّ الدَّوْح؛ وكان بها سطرٌ من شجر الحور؛ ينسب إلى **مامل**[3]؛ أحد خدام **الدولة الباديسية**[4]. أدركنا المكان، يعرف بها.

قال **أبو الحاج يوسف بن سعيد بن حسّان**[5]:

أحـــنُّ إلى غرناطـــة كلمـــا هَفَّـــت

نسيمُ الصَّبـــا تهدي الجَوَى وتشُـــوقُ

---

[1] في ك: ((الجليل)).

[2] حجال مفردها حجلة: ستر وبيت يزين للعروس،

[3] هكذا. ويبدو أن الكلمة هي: مؤمل؛ إذ ذكر في القصيدة التالية بهذا الاسم؛ الاسم؛ حيث قالأمَّل إذا أمَّلْت حَوْز مُؤَمِّل ومُدَّ من الحَمْرا عليك شقيقُ

[4] صاحبها أبو مناد باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي؛ تولى ملك غرناطة بعد موت أبيه سنة 429هـ/1037م.

[5] هذه القصيدة من البحر الطويل. أما يوسف بن سعيد فلم أجد ترجمة له؛ على الرغم من استشهاد ابن الخطيب بقصيدته هذه؛ ومع ذلك لم بخصه بترجمة في الإحاطة؛ وربما ذكره باسم آخر؛ ونقله الناسخ ـ هنا ـ بالخطإ.

ســقى الله من غَرْناطة كــل مَنْهــل

بمَنْهــل سُحْــبٍ ماؤُهُــنَّ هَريــقُ

ديــار يدور[1] الحســن بين خيامهــا

وأرضٌ لها قلــبُ الشَّــجِيِّ مَشُــوقُ

أغَرْناطـــة العليــا باللـــه خبِّــرى

أَلِلْهَائِــمِ البــاكي إليــك طريــقُ

ومــا شاقــني إلاّ نُظَــارةُ مَنْظــر

وبهجــةُ وادٍ للعيــون تَــــرُوقُ

تأمَّــل إذا أمَّلْــت حَــوْز مُؤَمِّــل

ومُــدَّ من الحَمْــرا عليــك شقيــقُ

وأعلامُ نجــدٍ والسَّبيكـــة قد عَلَــت

ولِلشَّفَــق الأعْــلَى تلــوحُ بُــروقُ

وقــد ســلَّ شنيــلٌ[2] فِرَنْــداً مهنَّــداً

نــضى فــوقَ دُرّ ذُرَّ فيــه عقيــقُ

---

[1] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((ديور)).

[2] شنيل (Genil): النهر الذي تربض على ضفافه مدينة غرناطة. ويسمى أيضاً نهر سنجيل Singilis؛ وهو فرع من الوادي الكبير. سبقت الإشارة إليه.

إذا نـــمَّ منـــه طِيـــبُ نَشْـــر أراكـــه
أراكَ فتيـــت المِسْــك وهـــو فَتيــقُ
ومهما بَــكَى جَفْــنُ الغَمامِ تَبَسَّمَــتْ
ثغـــورُ أقـــاحٍ للرِّيـــاضِ[1] أنيـــــقُ

ولقد وَلِعَتْ الشُّعَراء بوصْفِ هذا الوادي، وتَغالَت الغالاتُ فيه؛ في تفضيله على **النيل**[2]؛ بزيادة الشِّين؛ وهو ألفٌ من العدد؛ فكأنَّه نيلٌ بألْفِ ضِعْفٍ؛ على عادة متناهى[3] الخيال الشعري. في مثل ذلك. ولقد ألغَزْتُ فيه **لشيخنا أبى الحسن بن الجيَّاب**[4] رحمه الله؛ وقد نظم في المعنى المذكور ما عَظُم له استِطْرابُه؛ وهو[5]:

[1] في الملكية: ((في الرياض)).
[2] يعتبر نهر النيل أطول أنهار الأرض؛ ينبثق في مساره من منابعه عند بحيرة فيكتوريا (المطلة على أوغندا وكينيا وتانزانيا)، ثم مرتفعات إثيوبيا؛ متجهاً نحو شمال القارة الإفريقية؛ أين يمر بعشر دول إفريقية؛ منها: السودان، فمصر؛ حيث يصب في البحر الأبيض المتوسط. ويقدر طول مساره بـ 6650 كلم.
[3] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((متنافي)).
[4] هو أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن علي الأنصاري الغرناطي الأندلسي؛ الشهير بابن الجياب؛ وزير وكاتب وشاعر فحل؛ أحد رؤساء ابن الخطيب وأستاذه. ولد بغرناطة سنة 673هـ/1274م وتوفي بها سنة 749هـ/1348م. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.
[5] من بحر البسيط

مـــا اســـمٌ إذا زدتـــه ألفـــاً مـــن العَـــدَد
أفـــادَ معنـــاه لـــم يَنْقُـــص ولم يَـــزِد
وإنَّمـــا ائتلفـــا[1] مـــن بعـــد مـــا اخْتَلَفـــا
مَعْـــنى بشيـــنٍ ومن نَـــزْرٍ ومن بَلَـــدٍ

ثـــم يتصـــل بالحُســـن العـــادى البديـــع، وهـــو عـــلى قسميـــن؛ خَمْـــسٌ مـــن مُحْكَـــم الكـــدان[2] [في نهايـــة الإبـــداع والإحكـام؛ يَتَّصِـل به بناءٌ قديـمٌ محكـمٌ، ويَسْتَقْبِـل **المَلْعَـب**][3] **العِيـدِي**، ما بين ذُنابَي[4] الجِسْر إلـى جِدار **الرّابِطَـة**، وملعـب بديـع الشَّكـل؛ عـن يمينه جنـاحٌ بديـع؛ عـن ميدانـه عُـدْوات النَّهـر، وعـن يسـاره الجَنَّـات[5]، ويُفْـضِي بعـد انتهائـه إلـى **الرَّابِطَـة**، إلـى **بـاب القصـر** المَنْسـوب إلـى **السيِّـد**[6]؛ وسيـأتي

[1] في المخطوطين: ((استلفى))؛ وصوبت من ت.
[2] هكذا.
[3] ما بين الحاصرتين ذكر في ت، والملكية؛ بينما سقط في المخطوطين.
[4] هكذا في المخطوطين؛ وأغفلت في ت.
[5] ثمة اضطراب في الصياغة. ويبدو أنه يقصد الموضع الواقع جنوب شنيل؛ في اتجاه غرناطة؛ والمسمى الآن بـ((أرميلة)) Armilla. حيث الملعب القديم الذي كان بها.
[6] لقب السيد يطلق عادة على أبناء عبد المؤمن بن علي الموحدي وأحفاده. وهذا القصر منسوب إلى السيد أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الموحدي؛ الذي كان والياً على الأندلس؛ وقد

ذكـره ؛ ويرتفـع مـن هـذا النَّهْـر الـزُّلاَل جـداولُ ؛ تـدور بهـا أعـدادٌ مـن الأرْحىِّ لا نظيـر لهـا ؛ استعـداداً ، وإفـادة.

***

شيـد ذلـك القصـر في سنـة 615هـ/1218م؛ وهـو معلـم حضـاري مرمـوق؛ ويعـرف ـ في الوقـت الحاضـر ـ بقصـر شنيـل.

فصـــــل

وتَرْكَبُ ما ارتفع من هذه المدينة ـ من جهاتها الثلاث ـ الكروم البديعة ؛ طوقاً مرموقاً ، يتصل بما وراءها من الجبال ؛ فتعمّ الرُّبَى والوهاد ، وتشملُ الغُور والنَّجْد ، إلاّ ما اختَصَّ منها **بالسّهل الأفيح** ـ متصلاً بشرقي **باب إلبيرة** ، إلى **الخَنْدَق العميق** ـ وهوالمُسَمَّى **بالمشايخ** ؛ بسيطٌ جليلٌ ، وجوٌّ عريضٌ ؛ تغمى على العَدِّ **أمْراجه**[1]؛ ومصانيعه تلوح مبانيها ، ناجِمَة بين الثِّمار والزَّيْتون ، وسائر ذوات الفواكه ، من : اللَّوْز ، والإجاص ، والكُمثرَى ؛ مُحْدَقَة[2] من الكروم المُسِحَّة ، والرَّياحين المُلْتَفَّة ؛ ببحور طامية تأتي البُقْعَة الماء ؛ ففيها كثير من البساتين ، والرياض ، والحصون[3]، والأملاك المُتَّصِلة السُّكْنَى على الفصول ؛ وإلى هذه الجِهَة يُشير الفقيه القاضي **أبو قاسم بن أبي العافية**[4] -رحمه الله ـ

---

[1] في ت، والملكية: ((أفراجه)).

[2] في ت: ((عرت)).

[3] حرفت في المخطوطات الثلاثة؛ فكتبت هذه العبارة هكذا: ((الرياضة والحصن)).

[4] هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن عافية الأندلسي؛ ورد ذكره في: جذوة المقتبس، والصلة، وبغية الملتمس؛ دون الإشارة إلى سنة وفاته أو مماته. غير أن ما ذكره ابن الخطيب هنا يعطي فكرة عن الزمن الذي عاش

ـ في قصيدة ؛ يجيب بها عَروس الشُّعراء ، الأديب الرَّحال **أبا إسحاق الساحلي**[1]؛ وكان ممن نِيطَت عليه بهذا العهد[2] التمائم[3]:

يـا نازحـاً لعـب المـطيُّ بكـوره
لعـب الرّيـاح الهُـوج بالأُمْلُـودِ
ورَمَـت به للطّيـة القُصْـوَى الـتي
مـا ورْدُهـا لسـواه بالمَـوْرُودِ
هـلاَّ حَنَنْـتَ إلـى مَعاهدنـا الـتي
كُنْـتَ الحُـليَّ لنَحْرِهـا والجِيـد
ورياضُ أُنْـس بالمشايـخ[4] طارَحَـتْ
فيه الحَمائِمُ صَـوْتَ سَجْـعَ[5] العُـودِ

فيه؛ حيث قال ـ بعد أن ترحم عليه ـ أنه في قصيدته الآتية يجيب فيها الأديب الرحال أبا إسحاق الساحلي؛ وهذا الأخير ذكر ابن الخطيب أنه كان حياً في أوائل سنة 739هـ/1338م.

[1] هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي الغرناطي المشهور بالطُّوَيْجِن. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة، وقال أنه كان حياً في أوائل سنة 739هـ/1338م.

[2] كتبت في المخطوطين: ((المعهد))؛ فصوبها عنان.

[3] الكامل.

[4] المشائخ: اسم يطلق على سهل خصب ومخضر في غرناطة؛ ذكره ابن الخطيب في الصفحة السابقة.كما يطلق على الخندق المذكور آنفاً.

[5] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((سحم. سبح)).

ومبيتنـــا فيهـــا وصفـــو مدامنـــــا

صفـــو المـــــودّة لابنـــة العنقـــود

والعيشُ أخضـــرُ والهَوَى يُدْني جَـــنَى

زَهَـــرات ثَغْـــرٍ أو ثِمـــار نُهُـــودِ

والقُضْـــبُ رافلـــةٌ يعانِـــقُ بَعْضُهـــا

بَعْضـــاً إذا اعْتنقَـــتْ غُصُـــون قُـــدُودِ

لَهـــفِي عـــلى ذاك الزَّمـــان وطِيبـــه[1]

وعَـــلى مُنـــاه وعَيْشِـــه المَحْسُـــودِ

تلـــك اللَّيـــالي لا لَيـــالِي بَعدَهـــا

عُطِّلْـــن إلاّ مـــن جَـــوى وسُهُـــودِ

كانـــت قِصـــاراً ثـــم طُلْـــنَ ففيهـــا[2]

تـــأتي عـــلى المَقْصـــورِ والمَمْـــدودِ

---

[1] سقطت هذه الكلمة في ك.

[2] كانت ((فيها))؛ فصوبها يوسف طويل لكي يستقيم الوزن.

وأما ما استند إلى الجبل ؛ فيتصل به **البيازين**[1] في سَفْح الجبل المتصل **بالكُدْيَة ابن سَعْد** ؛ مُتَّصلاً **بالكُدْيَة المُبْصِلَةِ** ؛ المنسوبة **لعين الدّمع**[2]؛ مُنْعطفَة على **عَيْن القِبْلَة** ؛ متصلة **بجبل الفخّار**[3]؛ ناهِلَةً في غمْر الماء المجلوب على ذلك السَّمْت ؛ أوضاعٌ بديعَةٌ، وبَساتينُ رائقَةٌ، وجنَّاتٌ لا نظير لها ؛ في اعتدال الهواء، وعذوبة الماء، والإشراف على الأرجاء ؛ ففيها القصور المحروسة، والمنارة المَعمورة، والدّور العالية، والمَباني القَصَبِيَّة[4]، والرَّياحين النّضيرة ؛ قد فضّ فيها أهل البطالة ؛ من أولى الخَبْرَة الأكياس، وأرْخَصوا على النَّفَقة عليها غالي النّشَب[5]، تَتَنازع[6] في ذلك غَيْرُ الخادمين، من خُدَّام الدَّوْلَة على مَرِّ الأيَّام. حتى أصبحت نادِرَة الأرض، والمَثَل في الحُسْن. ولهذه البُقْعَة ذِكْرٌ

---

[1] البيازين: التلال المطلة على أحد المروج بغرناطة.

[2] يبدو أن لعين الدمع شهرة في ذلك الوقت. وهي عبارة عن بقعة تستغل للراحة والترفيه؛ يتمتع بها سكان غرناطة؛ بحكم جمال طبيعتها وطيب هوائها. وقد حركت عين الدمع خيال الشعراء؛ فتصدى لوصفها كثير منهم. وسيذكر ابن الخطيب عينات منها فيما يلي.

[3] يدخل في سلسلة جبال سييرا نفادا المطلة على غرناطة؛ وجبل الفخار يسمى الآن Monte Alfacar.

[4] أي الشبيهة بقصور القصبة في حصانتها.

[5] النشب: الثروة؛ من مال وعقار.

[6] في المخطوطين والملكية: ((يتنازعوا)).

يَجْــري في المنظومــات عــلى ألسِنــة البُلَغــاء مــن ساكِنيهــا وزُوَّارها ؛ فمن أحسن ما مَرَّ من ذلك ؛ قول **شيخنا أبي البركات**[1]:

ألاَ قُــلْ لعينِ الدَّمْــعِ يَهْــمى[2] بمُقْلَــتي
لفُرْقَــة عَين الدَّمْع وقفــاً على الــدَّم

وذكرتُه[3] في قصيدة ؛ قلت[4]:

يا عهد عيــن الدَّمــع كم من لُؤلــؤ
للدَّمــع [جــاد به][5] عَســاكَ تَعــودُ
تَســري نَواسِمُــك اللّــدان بَليلَــة
فيهــزُّني شَــــوقٌ إليــك شَديــدُ

---

[1] هو أبو البركات محمد بم محمد بن إبراهيم البلفيقي المعروف بابن الحاج؛ ولد سنة 680هـ/1281م وتوفي سنة 771هـ/1370م؛ تولى القضاء بمالقة والمرية وغرناطة. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة. وهذا البيت من البحر الطويل.

[2] في الملكية: ((تهمى)).

[3] أي ذكر موضع عين الدمع.

[4] الكامل.

[5] في الملكية: ((جرت)).

وقلت من أبيات تُكتب في قُبَّةٍ بقصري الذي اخترعته بها[1]:

إذا كـــان عَيْـــنُ الدَّمـــعِ عينـــاً حَقيقـــة
فَإنْسانُهـــا مـــا نحـــنُ فيـــه ولا دعُ[2]
فَـــدامَ لِخَيـــلِ الأنْـــسِ واللَّهْـــوِ مَلْعَبـــاً
ولا زالَ مَثْـــواهُ المُنَعَّـــمُ مَرْتَـــعُ
تَـــودُّ الثُّرَيَّـــا أن تكـــونَ لـــه ثـــرًى
وتَمْدَحُـــهُ الشِّعْـــرَى وتَحْرُسُـــه المُـــعُّ

وقال صاحبنا الفقيه **أبو قاسم بن قطبة**[3] من قصيدة[4]:

أجـــل إنَّ عيـــنَ الدَّمْـــع قَيْـــدُ النَّوَاظِـــر
فَسَـــرِّحْ عُيُونـــاً في اجْتِـــلاَء النَّواظِـــر
وعَـــرِّجِ على الأوْزان إنْ كُنْـــتَ ذا هَـــوًى
فـــإنَّ رُبـــــاهُ[5] مَرْتَـــــعٌ لِلْجَـــآذرِ

---

[1] الطويـل.
[2] في نـص: ((ولا دعـوى))، وفي الملكيـة: ((دعـو)).
[3] هو محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي الغرناطي؛ خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة. وقد حرف الاسم في ج؛ فكتب: ((قرطبة)). فصوب من الملكية.
[4] الطويـل.
[5] في ج: ((ريـاه))، وفي ك: ((مـرآة))؛ فصوبـت مـن ت.

وصافِــحْ بهـــا كــفَّ البَهـــارِ مُسَلِّمـــاً
وقَبِّــلْ عِــذَارَ الأُنْــسِ بيــنَ الأزَاهِـــرِ

وخُذْهــا على تلــكَ الأباطِــحِ والــرُّبَى
مُعَتَّقَـــةً تَجْلُـــوا الصَّــدَا لِلْخواطِـــــرِ

مُدَامَـــةُ حَـــانٍ أنْـــسى الدَّهْـــرُ[1] عُمْرَهـــا
فلمْ تَخْــشَ أحْــداثَ الدُّهُــور الدَّوائِــرِ

تُحَــدِّثُ عــن كِسْــرَى وساســانَ قَبْلَـــهُ
وتُخْبِــرُ عــنْ كَــرْمٍ يُخَلَّــدُ دَاثِـــرِ

وهي طويلة. وقال أيضاً من قصيدة طويلة[2]:

وليلاً بِعَيْــنِ الدَّمْــعِ وَصْــلاً قَطَعْتُــهُ
وأنْجُمُـــهُ بيـــنَ النُّجـــــومِ سُعــودُ

تــرَى الحُسْنَ مَنْشور اللِّــواءِ بسِــرِّهِ
وظِــلُّ الأمـــانِي في رُبـــاه مَديـــدُ

[1] فصوبها يوسف طويل فجعلها: ((للدهر))؛ من أجل الوزن.
[2] الطويل.

فَبتْنَــا ومــن رَوْضِ الخُــدودِ أزاهِــرٌ
لَدَيْنَــا ومــن وَرْدِ الرِّيَــاضِ خُــدودُ
وتُفاحُنَــا وَسْــطَ الرِّيَــاضِ مُــوَرَّدٌ
ورُمَّانُنَــا وَسْــطَ الصُّــدورِ نُهُــودُ
وقد عَرَفَــت نَــصّ الهَــوَى وذَميلَــه
تهايــمُ مِــن أكْبادِنَــا ونُجــودُ

وقال من قصيدة[1]:

ومِلْ بنا نَحْوَ عَيْــنِ الدَّمْــعِ نَشْرَبُهــا
حيثُ السُّــرورُ بكأسِ الأُنْسِ يَسْقيــنِي
حيثُ المُــنَى وفُنــونُ اللَّهْــوِ راتِعَــةٌ
والطَّيْــرُ من طَــرَب فيهــا تُناجيــنِي
وجَــدْوَلُ المــاءِ يَحْــكي في أجِنَّتِــهِ
صَوارِماً جُــرِّدَتْ في يَــوْمِ صِفِّيــنِ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ في الأغْصانِ جاحِظَــةٌ
كأنَّهــا بِهَــوَى الغِــزْلاَنِ تُغْريــنِي[2]

---

[1] البسيط.
[2] في مخطوط الخزانة الملكية؛ روي هذه الأبيات هو الألف؛ إذ تنتهي هكذا: ((يسقينا، تناجينا..)) إلخ.

ومن ذلك[1]:

سَهرْتُ بعَيْـنِ الدَّمْـعِ أرْعَى رُبُوعَـهُ
وحَسْبِي منَ الأحْبـابِ رَعْيُ المَنـازِلِ
يُنافِحُـنِي عَـرْفٌ إذا هَبَّـتِ الصَّبَـا
ويُقْنِعُـنِي طَيْـفُ الحَبيـبِ المُراسِـلِ

والأقاويلُ في ذلك أكثرُ من أن يُحاطَ بها كثرة؛ وما سوى هذه الجهة فغير لاحق به الرُّتْبَة؛ مما مُعَوَّلُه[2] على مَحْضِ الفائدة [وصريح العائِدَة][3]. وتذهب هذه الغُروس المَغْروسَة قِبْلَةً، ثمّ يَفيضُ تَيَّارُها إلى غَربِ المدينة؛ وقد تركت بها الجبال الشَّاهقة، والسُّفوح العَريضَة، والبُطون المُمْتَدَّة، والأغْوار الخائِفَة؛ مُكَلَّلَة بالأعْناب، غاصَّة بالأدْواح، مُتَزاحِمَة بالبُيوت والأبْراج؛ بَلَغ ـ إلى هذا العهد ـ عَدَدُها في **ديوان الخِرْص**[4]؛ إلى ما يناهز أربعة عشرة ألفاً؛ نَقَلْتُ ذلك من خَطٍّ من يُشار إليه في هذه

---

[1] الطويل.
[2] هكذا في ك، أما في ج؛ فكتبت: ((معوضه)).
[3] وردت هذه العبارة المحصورة بين حاصرتين في ك؛ بينما سقطت في ج.
[4] يقوم هذا الديوان بخرص الثمار والغلال؛ ثم تقدير ما يلزم أصحابها من مغارم.

الوَظيفَة. وقاها الله مضرّة السنين، ودفع عنها عُباب[1] القَوْم الظّالمين، وعُدْوان الكافرين.

***

[1] في ج: ((عيـاب)).

فصـــل

ويحيط بما خلف السّور من **المُنَى**[1]، **والجنّات**، - في سهل المدينة - العقار الثمين[2]، العظيم الفائدة، المتعاقبة الغلّة، الذي لا يعرف الجِمام، ولا يفارق الزّرع من الأرض البيضاء؛ ينتهي ثمن المرجع منها العَلى، إلى خمسة وعشرين ديناراً من الذهب العين؛ لهذا العهد فيه **مستخلص السلطان**، ما يضيق عنه نطاق القيمة، ذَرْعاً وغِبطة وانتظاماً؛ يرجع إلى دورٍ ناجمة، وبروج سامية، وبيادر فسيحة، ومصاب[3] للحمايم والدواجّن ماثلة، منها في طوق البلد، وحمى سورها، جملةٌ؛ **كالدّار** المنسوبة إلى **هُذَيْل**، **والدّار** المنسوبة إلى **أم مرضى**، **والدار البيضاء**[4]، **والدّار** المنسوبة إلى **السّنينات**، **والدار** المعروفة **بِنبْلَة وَوَتَر**؛ وبالمَرْج ما يساير جرية النّهر **كقرية وكر** وبها

---

[1] مفردها مُنْيَة؛ وهي البستان أو الحديقة المتسعة.
[2] في ك، ج: ((الثمن)).
[3] في اللمحة البدرية: ((وقصاب)).
[4] الدار البيضاء يتواجد اليوم في موضعها بغرناطة الحي الذي يسمى بالإسبانية: Cuarto real de San Domingo.

حصن **خزير**[1]**، وبستان وبشرعيون، والدار** المنسوبة إلى **خلف، وعين الأبراج؛ والحُشّ**[2] المنسوب إلي **الصِّحاب**، **وقرية رومة**؛ وبها حصن وبستان؛ **والدار** المنسوبة إلى **العَطْشِي**؛ وبها حصن؛ **والدار** المنسوبة **لابن جُزي**؛ **والحشّ** المنسوب **لأبي علي**، **وقرية ناجرة**؛ ومنها **فضل ابن مَسْلمة الحَسَني**؛ وبها حصن، وحوله[3] ربض فيه من الناس أَمَّة؛ **وقرية سِنْيَانة**؛ وفيها حصن، **وقرية أشْكُر**، **وقريتي: بيبش، وواط**؛ وبها حصنان، **وقرية واط عبد الملك بن حبيب**.

وفي هذه القرى الجُمَلُ الضخمة من الرجال، والفُحول من الحيوان الحارث لآثارالأرض، وعلاج الفلاحة. وفي كثير منها الأرْحَى والمساجد[4]، وما سوى هذه من القرى؛ المُسْتَخْلَصُ من فَضْلَة الإقْطاع؛ وقَصَرَت به الشهرة عن هذا النَّمَط، فكثيرٌ. ويتخلل هذا المتاع

[1] في الملكية: ((جرين)).
[2] الحش: البستان.
[3] في ك: ((وحوطه)).
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الأرجلي، الأرحلي وللمساجد)).

الغبيط[1] الذي هو لُباب الفلاحة ؛ وغير هذه المدرة[2] الطيبة ؛ سائر القرى التي بأيدي الرّعية مجاورة لهذه الحدود ؛ وبنات لهذه الأمهات ؛ منها ما انبسط وتمدّد ؛ فاشترك فيه الألوف من الخلق ، وتعددت منه الأشكال ؛ ونحن نوقع الإسم منه على البقعة من غير ملاحظة للتعدّد ، ومنها ما انفرد بمالك واثنين فصاعداً ؛ وهو قليل ؛ وتَنيف أسماؤها على ثلاثمائة قرية ؛ ما عدا ما يجاور الحَضرة ؛ من كثير من قرى الإقليم أو ما استضافته حدود الحصون المجاورة[3]. فمن ذلك **حَوْز الساعدين**[4] وفيه القرى ؛ **وحَوْز وَتَر**[5]؛ ومنها **إبراهيم بن زيد المحاربي** ،

---

[1] الغبيط: الأرض الواسعة المستوية.

[2] أي القرية الفلاحية.

[3] قام محمد عبد الله عنان بجهد كبير؛ حين تولى البحث والتحري عن القرى التي سيذكرها ابن الخطيب؛ والتي تصل إلى مائة وأربعين قرية. حيث تتبعها في الميدان؛ فاستطاع معرفة عدد كبير منها بعد أن تحولت أسماؤها إلى الإسبانية. وعليه سننقل عنه الأسماء الحالية لتلك القرى كلما استدعى الأمر ذلك. بينما بقيت قرى أخرى ذكرها ابن الخطيب ولم يتمكن عنان ـ أو غيره ـ من تحديدها ومعرفتها؛ بحكم اندثارها أو تغيير أسمائها بشكل جذري.

[4] يسمى الآن El Zaidin ويتواجد في الجهة الجنوبية من غرناطة قريباً من قرية Huetor التي سيأتي ذكرها.

[5] يعرف الآن بـ Huetor de le Vega . وتقع جنوب غرناطة.

وقريــة قُلجــار[1]، **وقريــة ياجُــر الشّاميِّيــن، وقريــة ياجُــر البلّدِيِّيــن**[2]، **وقريــة قَشْتالــة**[3]؛ ومنهــا **قاســم بــن إمــام** مــن أصحاب **سحْنُون**، ونزل بها جده **عطية بن خالد المحاربي**.
وقريــة أجِجَــر[4]، **وقريــة أرْملَــة الكبــرى، وقريــة أرْملِــة الصغرى**[5]، **وقرية رِقاق وهَمْدان**[6]؛ منها **الغريب بن يزيد الشِّمر** جَدُّ **بني أضحى**؛ **وقرية الغَيْضُون، وقرية لسَّانة**[7]،

---

[1] وتسمى الآن Cojar وتقع في الجنوب من غرناطة؛ وبالتحديد على ضفاف نهر شنيل.

[2] توجد الآن ضاحية تسمى Yajar تقع على مقربة من غرناطة.

[3] تسمى الآن Gastella وهي قديمة؛ واندثرت.

[4] وضع عنان احتملين: الأول هو أن تكون بالحاء؛ أي (أحجر)؛ وبذلك تكون هي القرية الموجودة الآن بالقرب من قرية قولر Cullar Vega ؛ وتسمى (Hijar). أما إذا كانت بالجيم أي (أججر)؛ فتكون هي (Ugijar) التي تربض جنوب وادي آش؛ في الجنوب الشرقي.

[5] وهما الآن يجتمعان ضمـ،ن اسم واحد هو: Armilla؛ وتقع على الضفة الجنوبية من نهر شينيل؛ في ضاحية غرناطة. وفي هذا الموقع تتواجد آثار قصر شينيل المنسوب إلى السيد أبي إسحاق يوسف؛ أحد أمراء الموحدين؛ الذي ولي غرناطة سنة 615هـ/1218م. ويعرف هذا القصر الآن باسم Alcazar Genil.

[6] هذان الإسمان تجمعهما الآن قرية تسمى Alhendin . وتقع إلى الجنوب الشرقي من أرميليا.

[7] يعتقد عنان أنها (اللسانة) التي اشتهرت في الحروب الأخير التي وقعت وقعت حول غرناطة. ويرى أنها الآن هي Lucena ؛ المتواجدة في أخر الولاية؛ إلى الشمال الغربي من لوشة. ولكنه يعود فيضع احتمالا آخر؛ لا يستبعد فيه تواجدها في شكل قرية صغيرة قريبة من غرناطة. وبذلك تكون ـ كما أشار إلى ذلك يوسف علي طويل ـ هي المدينة التي يسكنها اليهود. وكانت السباقة إلى طاعة يوسف بن تاشفين؛ حين عول على امتلاك الأندلس، ومحاصرة غرناطة.

وحارة الجامع ؛ وحارة الفراق ؛ وقرية غُرلْيانة ؛ وحُشُّ البُكُر[1]**، وغدير الصغرى وغدير الكبرى**، من **إقليم البَلاط** ؛ منها **يُرْبوع بن عبد الجليل**، ونزل بها جده **يُرْبوع ابن عبد الملك بن حبيب، وقرية قولر**[2]**، وقرية جُرلْيانة**[3]**، جُرلْيانة**[3]**، وقرية حارة عمروس**[4]**؛ وحُشُّ الطَّلم**[5]**، وقرية وقرية المطار، وقرية الصَّرمُورتَة**[6]**، وقرية بِلِسَانة**[7]**، وقرية الحِبْشَان ؛ وقرية شوش**[8]**، وقرية جيجانة**[9]**، وقرية السِّيجة، السِّيجة، وقَنْب قَيس**[10]**، وقرية بِرْذَنار**[1]**، وقرية دوير**

---

[1] توجد ـ في الشمال الغربي من غرناطة؛ بالقرب من قربسانة؛ بلدة تسمى Bucorيرجح عنان أنها هي حُشٌّ البُكُر. ويرى عبد الهادي التازي في تعليقاته على كتاب ((المن بالإمامة)): أن حش البكر هو قريةبُزْقر التابعة لغرناطة؛ والتي تربض على ضفة النهر جنوب غربي غرناطة.

[2] تسمى الآن Cullar Vega؛ وتتواجد إلى الجنوب الغربي من غرناطة.

[3] وتسمى في الوقت الحاضر Churriana de la Vega؛ وهي في الجنوب الغربي من غرناطة؛ وهي أيضاً جنوب شرقي سانتانيا.

[4] موجودة الآن في شكل قرية بالقرب من جرليانة؛ وتسمى Ambrox.

[5] ويتمثل اليوم في قرية تسمى Macharatalan؛ وتربض الآن في مرج غرناطة محاذية لضفة نهر شنيل؛ وهي مقبلة لأحد الأحياء الحديثة بغرناطة المعروف بـ Sagrario

[6] وتقع الآن في الشمال الغربي من غرناطة؛ وتسمى Sierra Murada.

[7] تسمى حديثاً Belicena؛ وتقع في غرب غرناطة، وتجاور قرية سانتافيه. سانتافيه. وقد رسمت محرفة في المخطوطين.

[8] يرجح عنان أن قرية الشوش هي القرية المسماة الآن بـ El Jau؛ وتربض في المرج القريب من سانتافيه.

[9] وتسمى الآن Chauchina؛ وموقعها في شمال غربي سانتافيه.

[10] تسمى الآن Cambea.

تارش، وقرية آقلة[2]**، وقرية أحجر**[3]**، وقرية تَجَرْجُر**[4]**، وقرية والة، وقرية أنْقر، وقرية الغُرُوم**[5]**، وقرية دار وهْدان، وقرية بيرة**[6]**، وقرية القُصَيْبة، وقرية أنطس، وقرية فَنْتيلان**[7]**، وقرية سنبودة، وحُش زَنْجيل، وقرية أشتر، وقرية غسَّان**[8]**؛** منها **مطر بن عيسى ابن الليث،** **وقرية شَوْذر**[9]**، وقرية سُنْتَشر**[10]**، وقرية ابن ناطح، وقرية الملاحة**[11]**؛** ومنها **محمد بن عبد الواحد الغافقي أبو القاسم الملاحي، وقرية القُمُور؛** منها **أصْبَغ ابن مطرِّف، وقرية نفجر وغرنْطلِة**[12]**، وقرية بيرة؛** وبها مسجد **قراءة ابن**

---

[1] تسمى الآن Beznar؛ وهي تبعد عن غرناطة في اتجاه الجنوب بما يقارب 50 كيلو. وقد رسمت محرفة في ك.

[2] وتسمى الآن Acula.

[3] تسمى اليوم Lachar؛ وتقع بين تجرجر والعقولة.

[4] تسمى الآن Tajarija؛ وهي بلدة صغيرة تربض في غرب غرناطة في اتجاه لوشة؛ وتقع في منتصف الطريق بينهما.

[5] تبعد هذه القرية بـ 40كيلو تقريباً عن غرناطة؛ في الجنوب الغربي منها وتسمى حالياً Agron؛ وهي قريبة من الحامة.

[6] وتسمى الآن Baira.

[7] ثمة احتمالان بانسبة لقرية فنتيلان: الأول أن تكون هي Fontanar، الثاني أن تكون Fuentallana.

[8] وتعرف اليوم بـ Cacin؛ في سفح جبل الحامة، على نهاية المرج.

[9] تسمى الآن Jodar؛ وهي ليست شوذر المتواجدة في أعمال جيان شمال غرناطة.

[10] يعتقد عنان أنها ربما كانت هي Conchar المتواجدة جنوب غرناطة.

[11] تسمى الآن La Mala وهي جنوب غرناطة وبالقرب من همدان المسماة Alhendin.

[12] تسمى اليوم باسم مركب أيضاً Naujar Grandilla.

الحبيب ؛ وقرية قُولْجر[1]**؛** منها **سهلُ بن مالك، وقرية شور**[2]**؛** منها **محمد بن هانئ الأزدي الشاعر المُفلق ، ومحمد ومحمد بن سهل** جَدُّ **هذا البيت ؛ بني سهل بن مالك، وقرية بُلْيانة**[3]**، وقرية برقلش**[4]**، وقرية ضوجر**[5]**، وقرية البَّلُّوط**[6]**، وقرية أنتيانة**[7]**، وقرية مُرسانة**[8]**، وقرية الدُّويَر، الدُّويَر، وقرية الشَّلان، وقرية طِغْنر**[9]**؛** منها **الطِّغْنرى** صاحب **الفلاحة، وقرية حُش الدجاج، [وقرية حُش نوح، وقرية حُش خليفة، وحُش الكَوباني]**[10]**، وحُش المعيشة، وحش السلسلة ؛ وقرية الطرْف**[11]**، وقرية**

---

[1] وتسمى الآن Gojar؛ وتقع في الجنوب من غرناطة؛ بالقرب من أرميلية.

[2] يحتمل أن تكون هي بلدة بلدة شور Jun الرابضة في الضاحية الشمالية من غرناطة؛ ويسميها بعضهم ((جند)).

[3] لا يختلف كثيرا اسمها الآن عن السابق؛ إذ تسمى Pulianas؛ وهي على مقربة من قرية شور القريبة من غرناطة.

[4] تسمى الآن Peligros؛ التي تقع بالقرب من بليانة المذكورة.

[5] في الملكية: ((قوجر)).

[6] وتسى الآن Albolote؛ وهي على مقربة من غرناطة مقابلة لبليانة ووبرقلش. ووبرقلش.

[7] قد تكون ـ حسب رأي عنان ـ هي Fontanar.

[8] وتسمى الآن Maracena ؛ وتربض في الشمال الغربي من غرناطة.

[9] وطغنر هي Tignar؛ اندثرت الآن؛ وموقها كان في الشمال الغربي من غرناطة؛ بالقرب من إلبيرة. حرفت في الخطوطين؛ فكتبت: ((طعن)).

[10] الأسماء الثلاثة المحصورة بين حاصرتين؛ كتبت: ((حبش))؛ فرجح عنان أنها: ((حش))، وحرفت.

[11] وهي بنفس اسمها السابق؛ إذ تسمى Atarfe، وهي بالقرب من مرسانة المذكورة.

إلبيــرة[1]، وقرية الشَّكْرُوجة[2]؛ ومنها **عيسى بن محمد بن أبي أبــي زَمَيــن**، وعيــن الحــورة ، وحُــش البومــل، وقريــة بلومال[3]، وقرية رقِّ المَخيض، وقريــة الغَيْضُــون الحُــورَة ؛ وقرية أشقُطمر، و قرية الدِّيمُـوس الكبـرى، وقرية الدِّيمُـوس الصغــرى[4]، وقريــة دار الغــازي، وقريــة الرُّكــن، وقريــة ألْفنَـت[5]؛ ومنها **صخر بـن أبـان**، وقريــة الكُدْيــة[6]، وقريــة لاقِـش[7]، وقرية قَرْبَسَانـة[8]، وقرية برسانة بريـاط، وقريـة الوَّلْجة، وقرية ماس، وحُش علي، وحُش بني الرُّسيلية، وحُش رقيب، وحُش البَلُّوطة، وحُش الـرَّوَّاس، وحُـش مَـرْزُوق، وقريـة قُبَالـة[9]، وقرية نِبَالة، وقرية العَيْـران، وبُـرْج

---

[1] وتسمى الآن Elvira؛ وهي قريبة من الطرف في ضواحي غرناطة. ولا علاقة لها بإلبيرة القديمة.

[2] ويتسمى الآن Asquerosa.

[3] وتسمى الآن El Palomar التي تقع جنوب غرناطة؛ على مقربة من شاطئ البحر المتوسط وهي مجاورة لبلدة Albnol.

[4] تجتمع الديموس الكبرى، والصغرى الآن في بلدة واحدة هي Adamuz أو Adamucejo؛ وهي على مقربة من غرناطة.

[5] وتسمى الآن Daifontes تبعد عن غرناطة نحو الشمال بعشرين كيلو.

[6] وتسمى الآن Alcudia؛ وتقع في جنوب وادي آش.

[7] وهي أحد الأحياء في ضاحية غرناطة؛ ويسمى La Cruz de Lagos؛ يبعد يبعد عن مركز المدينة بكيلو ونصف تقرباً.

[8] تسمى الآن Caparacena؛ وتربض إلى الغرب من غرناطة؛ على ضفاف فرع من نهر شنيل. في ج؛ فكتبت: ((قرسانة)).

[9] وتسمى الآن Cubillas.

هِلال[1]، وقرية قلتيش[2]، وقرية القنار[3]، وقرية أرْبل، وقرية وقرية بَرْبل ؛ وقرية قَرْباسة، وقرية أشكن، وقرية قَلنْبيرة[4]، وقرية سَعْدى، وقرية قلقاجج[5]، وقرية فَتَن[6]، فَتَن[6]، وقرية مرنيط، وقرية ددشطر، وقرية شِتْمانِس، وقرية أرنالش، وقرية وابشر[7]، وقرية قَقْلُولِش[8]، وقرية وقرية النَّبيل[9]، وقرية الفخَّار[10]، وقرية القصر[11]؛ منها محمد بن أحمد ابن مرعِياز الهلالي، وقرية بشر، وقرية بُنُوط[12]، وقرية كورة، وقرية لَصْ، وقرية بيَّش[1]، وقرية

---

[1] يسمى الآن Purchil؛ ويبعد عن غوناطة نحو الغرب بـ 3كيلو تقريباً.
[2] وتسمى الآن Cortes التواجدة غرب مدينة وادي آش.
[3] وتسمى الآن Canar وتتواجد شمال مدينة أرحبة برذنار.
[4] وتسمى الآن Colomera؛ وتربض شمال غرناطة على بعد 30 كيلو؛ بالقرب من مولكين.
[5] قد تكون الآن هي Calicasas التي تقع شمال غرناطة.
[6] قد تكون هي Fatinafar.
[7] هي الآن كما نقل عنان Guejar الواقعة شمال شرق غرناطة.
[8] وتسمى الآن Gogollos؛ الواقعة شمال غرناطة.
[9] وتسمى اليوم Nivar الواقعة إلى الشمال الغربي من غرناطة بين ققلوش ققلوش والفخار.
[10] وتسمى الآن Alfacar الواقعة شمال شرق غرناطة. وهي منسوبة إلى جبل الفخار الرابضة عليه.
[11] وتسمى الآن Akcazar؛ وهي في الجنوب الشرقي من غرناطة؛ وهي على مقربة من قرية أرحبة.
[12] يحتمل أن تكون إما: بلدة Pinos Puente أو بلدة Fent – Binox التي تقع باقرب من قربسانة والبلوط

قَنْتـر، وقريـة دور، وقريـة قَلنقـر، وقريـة غُلْجَـر[2]؛ ومنهـا **هشام بـن عبـد العظيـم بـن يزيـد الخَـوَلاني، وقريـة دُرذَر[3]، وقرية ولجر، وقرية قنالـش[4]، وقرية إبتايْلِس، وقرية سـج، وقريــة منشتــال[5]، وقريـــة الوَطَــا[6]، وقريـــة وانــيِ، وقريــة قُريش، وقريـة الزَّاوية[7].**

وقـد ذكرنـا أن أكثر هـذه القـرى أمصـار، فيهـا مـا ينـاهـز خمسيـن خُطبـة؛ تُنصـب فيهـا لله المنابـر، وتُرفـع الأيـدي، وتتوجَّه الوجـوه[8].

---

[1] وتسـمى الآن Beas؛ وهي في الشمـال الشـرق مـن غرناطـة؛ وقريبـة مـن الفخـار وبرقـش.

[2] يرجـح عنـان أنهـا Cojar؛ الـتي تقـع في ضـواحي غرناطـة الجنوبيـة؛ عـلى مقربـة مـن الزاويـة Zubia الآتي ذكرهـا.

[3] وتسـمى الآن بلـدة Dudar الواقعـة شـرق غرناطـة بالقـرب مـن قنتـر.

[4] وتسـمى اليـوم Caniles؛ وتقـع في جنـوب مدينـة بسطـة، وبالقـرب منهـا.

[5] وتسمى اليوم Monachil؛ بمعنى الدير بالإسبانية؛ وتقع هذه البلدة في ضواحي غرناطة بتجاه الجنوب الشرقي؛ بالقرب من الوطا Huetor الآتي ذكرها.

[6] تسـمى اليـوم Huetor Vega ضاحيـة في الجنـوب الشـرقي مـن غرناطـة؛ وهي في شمـال أرمليـا وبجوارهـا.

[7] وتسـمى اليـوم La Zubia؛ وتقـع في ضاحيـة غرناطـة؛ إلى الجنـوب الشـرقي منهـا، في شمـال أرمليـا وبالقـرب منهـا.

[8] يقصـد أن خمسيـن بلـدة منهـا كبيـرة؛ بحيـث يوجـد بهـا مسجـد جامـع؛ تصـلى فيـه صـلاة الجمعـة؛ بخطبتهـا ودعـاء المصليـن بـه. ويلاحـظ عنـان أن ثمـة عـدد آخـر مـن البلـدان الباقيـة إلى الآن، ولـم يشـر إليهـا ابـن الخطيـب؛ بينمـا ورد ذكرهـا في مواضـع أخـرى؛ مثـل: الجابيـة الكبـرى Gabia Grande، والجابيـة الصغـرى Gabia Chica، والبـذول Padul، وموكليـن Moclin،

وجملة المراجع العلمية[1]؛ المرتفعة فيها؛ في الأزمنة؛ في العام بتقريب؛ ومعظمها السقي الغَبيط السَّمين، العالى؛ مئتا ألف ثنان[2] وستون ألفاً، وينضاف إلى ذلك مَراجع الأملاك السلطانية، ومواضع أحباس المساجد، وسبُلُ الخير، وما ينيف على ما ذكر؛ فيكون الجميع باحتياط: خمسمائة ألف وستون ألفاً؛ والمستفاد فيها من الطعام المختلف الحبوب للجانب السلطاني، وثلاثمائة ألف قَدَح ويزيد؛ ويشتمل سورُها وما وراءه من الأرْحاء الطَّاحنة بالماء؛ على ما ينيف على مائة وثلاثين رَحًى. الْحَفَها الله جَنَاح الأَمنة، ولا قَطَع عنها مادَّة الرحمة؛ بفضله وكرمه.

***

وحصن البلوش Bellillos، والبلاط Veleto، وبلدة حصن اللوز الكبيرة Iznalloz، وتقع هذه القرى كلها في احواز غرناطة.

[1] في ك: ((العملية)).

[2] سقط حرف: الواو.

فصـــــل

وقـد فرغنـا مـن ذكـر رسـوم هـذا القطـر ومعاهـدِه، وفرغنـا مـن تصويـره وتشكيلـه، وذكـر قـراه، وأجنَّاتـه، وقصـوره، ومنتزهاته[1]. فنحـن ـ الآن ـ نذكـر بعضـاً مـن سِيَـرِ أهلـه، وأخلاقهـم، وغيـر ذلـك مـن أحوالهـم بإجمـال، واختصـار؛ فنقـول[2]: أحـوال هـذا القطـر في الدِّيـن وصـلاح العقائـد[3]؛ أحـوال سَنِيَّـة[4]، والنِّحـلُ[5] فيهـم معروفـة[6]؛ **فمذاهبهـم**[7] على مذهب **مالك بن أنس**[8] ـ إمام دار الهجرة

---

[1] كتب في المخطوطين: ((منزهاته)).

[2] معظم ما جاء في هذا الفصل ذكره أيضاً في اللمحة البدرية؛ حيث نقل جلّ ما فيه من كتابه ـ المفقود الآن ـ الإماطة عن وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ غرناطة.

[3] في ج: ((إصلاح)). وفي ك: ((وصلاح العقائد)).

[4] حرفت في ج؛ فكتبت: ((سنة)).

[5] وضع المقري فقرة هامة في كتابه عنوانها: (الأندلسيون والتشريع)). وهي تزيد الموضوع وضوحاً؛ جاء فيها: ((وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم؛ فإنها تختلف بحسب الأوقات، والنظر إلى السلطان. ولكن الأغلب عندهم إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها؛ وقيام العامة في ذلك وإنكاره إن تهاون فيه أصحاب السلطان. وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره؛ فيدخلون عليه قصره المشيد، ولا يعبأون بخيله ورجله؛ حتى يخرجوه من بلدهم. وهذا كثير في أخبارهم)). (نفح الطيب؛ مج: 1، ص ص: 220 ـ 221).

[6] في اللمحة: ((معدومة)).

[7] في اللمحة: ((ومذاهبهم)).

[8] هو إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أنس بن الحارث بن غيمان بن خُثَيْل بن عمرو بن الحارث وهو ذي أصبح

الهجرة ـ جارية، وطاعتهم للأمراء مُحْكمة، وأخْلاقُهم في احتمال المعاون[1] الجبائية جميلة، وصورُهم حسنة، وأنوفُهم معتدلة غير حادَّة، وشعورُهم سُودٌ مُرْسلة[2]، وقدودُهم متوسطة معتدلة؛ إلى القِصَر، وألوانُهم زُهْر مُشْربة بحُمْرة، وألسنتُهم فصيحة عربية، يتَخللها غَرْبٌ[3] كثير، وتَغْلِب عليهم[4] الإمالة، وأخلاقُهم أبِيَّة في معاني[5] المنازعات، وأنسابُهم **عربيَّة**، وفيهم من **البَرْبَر** والمُهاجَرة كثيرٌ، ولباسهم الغالب على طرُقاتهم[6] الفاشي بينهم، الملفُّ المَصْبُوغ[7] شتاء. وتتفاضل أجناس البزِّ[8] بتفاضل

الحميري؛ أحد أقيال اليمن. ولد بالمدينة المنورة سنة 93هـ/712م، وتوفي بها سنة 179هـ/795م. وقد انتشر مذهب مالك في الأندلس أيام الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل؛ وكان معاصراً للإمام مالك.

[1] هكذا كتبت في: ج، والملكية، واللمحة البدرية. أما في: ك فكتبت: ((المعاوز)).

[2] في ك: ((مترسلة)). وكتبت العبارة في اللمحة البدرية: ((معتدلة أنوفهم، بيض ألوانهم، مسودة غالبهم شعورهم، متوسطة قدودهم)).

[3] في المخطوطين: ((عرب)). وفي اللمحة: ((عُرْف)).

[4] في اللمحة: ((عليها)).

[5] نفسه: مغاني.

[6] نفسه: ((طبقاتهم)).

[7] نفسه: ((المصبغ)).

[8] لكي تتضح الصورة أكثر، وتتوسع الفائدة؛ نثبت هنا ما قاله المقري في هذا الباب: ((وأما زي أهل الأندلس؛ فالغالب عليهم ترك العمائم؛ لا سيما في شرق الأندلس؛ فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه إلاّ وهو بعمامة. وقد تسامحوا بشرقها في ذلك. وقد رأيت عزيز بن خطاب [هو الزاهد المتعبد أبو بكر عزيز بن عبد الملك بن

الجِـدَة، والمقــدار[1]؛ والكتـان والحريرُ، والقطـن، والمرعـزى، والأرْدِية الإفريقيّة، والمقاطـع التونسيـة، والمـآزر المَشْفوعــة[2] صَيْفـاً؛ فتُبْصِرُهــم في المساجد ـ أيَّام الجُمَـع ـ كأنهـم الأزهـار المُفتَّحـة؛ في البطـاح الكريمـة؛ تحـت الأهويــة المعتدلـة[3].

***

محمد بن خطاب القيسي السرقسطي] أكبر عالم بمرسية؛ حضرةِ السلطان في ذلك الأوان؛ وإليه الإشارة؛ وقد خُطب له بالملك في تلك الجهة؛ وهو حاسر الرأس؛ وشيبه قد غلب على سواد شعره. وأما الأجناد وسائر الناس؛ فقليل منهم من تراه بعِمّة في شرق منها أو غرب. وابن هود؛ الذي ملك الأندلس في عصرنا؛ رأيته في جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة. وكذلك ابن الأحمر؛ الذي معظم الأندلس الآن في يده؛ وكثيراً ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم... ولا تجد في خواص الأندلس، وأكثر عوامهم؛ من يمشي دون طيلسان؛ إلاّ أنّه لا يضعه على رأسه منهم إلاّ الأشياخ المعظمون. وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً؛ والصفر مخصوصة باليهود؛ ولا سبيل إلى اليهودي أن يتعمَّمَ البَتَّة. والذؤابة؛ لا يرخيها إلاّ العالم؛ ولا يصرفونها بين الأكتاف؛ وإنما يسدلونها من تحت الأذن اليسرى. وهذه الأوضاع التي بالمشرق لا يعرفها أهل الأندلس. وإن رأوا في رأس مشرقي داخلٍ إلى بلادهم شكلاً منها أظهروا التعجب والاستظراف. ولا يأخذون أنفسهم بتعلمها لأنهم لم يعتادوا، ولم يستحسنوا غير أوضاعهم. وكذلك في تفصيل الثياب)). (نفح الطيب، مج: 1، ص ص: 222 ـ 223.

[1] كتبت هذه العبارة في اللمحة هكذا: ((البِـزَز منه بتفاضل الجدات والمقادير)).

[2] أي الطويلة.

[3] في المخطوطين: ((المعتز)).

وأنسابُهم[1]

حسبما يظهر من الإستراعات[2]، والبَيْعَات السلطانية، والإجازات؛ عربيةٌ؛ يكثر فيها[3]: **القُرَشي**[4]، **والفِهري**[5]، **والأُموي**[6]، **والأمّي**[7]، **والأنْصاري**[8]،

---

[1] لم يكن هذا العنوان في الأصل. وقد وضع للحاجة والضرورة.

[2] استرعاء الشيء: طلب حفظه. ولكن عنان يرى أنها حرفت؛ إذ المقصود هي: ((الإشتراعات))؛ ومفردها إشراع: أي ظهير أو مرسوم بالمعنى المتعارف عليه الآن. ويعتقد أنها تعبير أندلسي قديم؛ المراد به الاشتراعات.

[3] لقد استخلص ابن الخطيب ـ هنا ـ ما وجده في وثائق الدولة النصرية؛ من إشارات تخص بعض سكان تلك المملكة. لذا فقد تطرق للموضوع بشكل مختصر؛ ليس الغرض منه البحث بعمق في أصول السكان القبلية والجنسية. كما أنه يشير إلى الذين ينتمون إلى فصائل، وأفخاذ، وعشائر؛ ثم ينسب آخرين إلى القبيلة الأم؛ مع أنه في إمكانه ذكرهم ضمن اسم القبيلة الجامعة.

[4] قريش: اسم مجازي لقبيلة؛ بينما يضعها الناسابة في طبقة عِمارة؛ تجمع بطون عديدة؛ وهذه العمارة هي حي الرسول محمد عليه الصلاة والسلام؛ وموطنها مكة بالحجاز.

[5] فهر: ينتمون لفهر بن مالك؛ من بني عدنان؛ وهم بطن كقريش من كنانة. ينتمي إلي فهر؛ الفاتح عقبة بن نافع.

[6] أمية: فخذ من بطن عبد مناف القريشيين. ومنهم خلفاء الدولة الأموية.

[7] الأمي: نسبة إلى عشيرة عربية تسمى: ((أمة)). إذ جاء في كتاب الأنساب لابن دريد: ((في بني نصر بن معاوية بطن يقال له بنو أمة)) الاشتقاق؛ ص: 54.

[8] الأنصار: هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليهم وسلم؛ في مواجهة المشركين؛ ولم يكونوا قبيلة بعينها؛ وإنما هم من قبائل عديدة؛ أشهرها الأوس والخزرج؛ بالمدينة المنورة.

والأَوْسِــــي [1]، والخَـــزْرَجي [2]، والقحْطَــاني [3]، والحِمْيَــري [4]، والمَخْــزُومي [5]، والتَّنُــوخِي [6]، والغَسَّــاني [7]، والأَزْدي [8]، والقَيْــسي [9]،

---

[1] الأوس:المقصود هنا هم الأوس بن حارثة؛ بطن من الأزد؛ وهم الأوْس ابن حارثة القحطانيون؛ سكنوا يثرب منذ زمن بعيد؛ وناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[2] الخزرج: المقصود بالخزرج هنا هم الخزرج بن حارثة القحطانيون؛ بطن من الأزد؛ سكنوا يثرب مع إخوانهم الأوس؛ وناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد المشركين.

[3] القحطانيون: أكثر من مرتبة قبيلة؛ ربما يكونون ضمن طبقة عمارة. وتتقابل في مرتبتها بعدنان أبو عرب الشمال؛ بينما يعدّ قحطان أبا لليمن كلها. تقول المصادر العربية أن عدد أحياء قحطان تفوق 3000 حي.

[4] حمير: هم أبناء حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ من عرب اليمن. قد تكون مرتبهم تعادل مرتبة مضر لدى عرب الشمال.

[5] مخزوم: المقصود بمخزوم هنا: هم مخزوم بن يَقَظَـة؛ أبناء لؤي بن غالب بن فهر بن مالك. بطن من بطون قريش؛ تعادل مرتبتهم مرتبة عبد مناف. ومن مخزوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[6] تنوخ: اختلف النسابون في انتماء تنوخ؛ غير أن أشهر الآراء تقول أنهم من اليمن؛ وينتسبون إلى قضاعة. وتنوخ هم الذين حاربوا خالد بن الوليد في دومة الجندل سنة 12هـ.

[7] غسان: اختلفت الآراء حول كلمة غسان؛ فمن قائل أنها ماء نزلت عليه بعض أحياء العرب فسموا غساسنة، ومن قائل أنها قبيلة من مازن بن الأزد بن الغوث. المهم؛ أنهم حيّ من عرب اليمن استوطن أرض الشام؛ حيث أصبحوا عمالاً للدولة البيزنطية.

[8] الأزد: وهم الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من القحطانيين اليمنيين؛ توزعوا في منازل؛ بين غسان في بلاد الشام، وجبال السَّراة، وعمان.

[9] قيس: المقصود به هنأ هو: قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان. ويتفرعون إلى أحياء كثيرة في شمال الجزيرة العربية؛ وتتحدر عنهم معظم عشائر الشمال.

والمُعَافــري[1]، والكِنَـــــاني [2]، والتَّمِيــــمي [3]،
والهُـــــذَلِي [4]، والبَكْـــري [5]، والكِــــــلابي [6]،
والكِـــــلابي [6]، والنِّمـــــــري [7]، واليَعْمُـــــــري [8]،
واليَعْمُـــــــري [8]، والمــــــازني [9] ،

---

[1] معافر: هم معافر بن يعفر بن مالك؛ أحد بطون زيد بن كهلان بن سبأ. سبأ. من عرب اليمن.

[2] كنانة بن خزيمة: يحتلون مع قريش مرتبة عمارة في ترتيب الطبقات القبلية. وهم كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معَدّ بن عدنان. منازلهم الأولى في جهات مكة.

[3] تميم:المقصود بها هنا؛ تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابختة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهم من عرب الشمال ومنازلهم بين نجد والبحرين إلى العراق. وتتفرع عن تميم بطون كثيرة.

[4] في الملكية: ((الهذيلي)). والهذلي: هنا نسبة إلى هذيل بن مدركة بن إلياس العدنانيين. ومنازلهم في الحجاز بالسراوات وجبل غزوان وتهامة؛ وفي محيط الطائف ومكة. واشتهر الهذيليون برقة شعرهم.

[5] ثمة كثير من الأحياء العربية المسماة باسم بكر؛ إلاّ أن المقصود ـ كما يبدو هنا ـ هم بكر بن وائل بن قاسط المعديون العدنانيون. ومنازلهم الأولى في نجد والبحرين والعراق.

[6] كلاب: المقصود بهم هنا: هم كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ من العدنانيين عرب الشمال. ومنازلهم الأولى في نواحي المدينة المنورة وفدَك والعَوالي؛ وحتى بلاد الشام.

[7] توجد عشائر عربية كثيرة باسم ((نمر)) غير أن المؤلف هنا يقصد ـ كما يبدو ـ نُمير: هم نُمير بن عامر بن صعصعة: أحد بطون هوازن العدنانيين؛ من عرب الشمال. ومنازلهم الأولى في نجد والعراق.

[8] ((اليعموري)). ويعمر: حيّان؛ الحيّ الأول: يعمر بن عوف بن كعب بن عامر؛ وهم بطن من كنانة. والحيّ الثاني هم: يعمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر؛ من العدنانيين أيضاً. ومنازلهم في الحجاز؛ من الطائف إلى تخوم الشام.

[9] ومازن: أحياء كثيرة تسمى بهذا الاسم؛ منهم من القحطانيين ومنهم من العدنانيين.

والثَّقَفي[1]، والسَّلَمي[2]،
الفزاري[3]، الباهِلي[4]، والعَبْسي[5]،
والعَبْسي[5]، والعَنْسي[6]، والعُذْري[7]،
والعُذْري[7]، والحِجَجي[8]، والضَبي[9]،
والضَبي[9]، والسَّكُوني[1]، والتَّيْمي[2]،

---

[1] ثقيف: قبيلة كبيرة؛ لها بطون كثيرة. ومنازل ثقيف الأول بالحجاز بين الطائف ومكة

[2] السَّلمي يقصد بها: السليمي؛ وهم بنو سليم من منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان؛ يتعادلان مع بني هلال في طبقة واحدة. ولهم عدة بطون منتشرة شرقاً غرباً. ومنازلهم الأولى في الحجاز.

[3] في المخطوطين: ((والفازري)). فزارة: هم فزارة بن ذبيان بن بغيض ابن ريث بن غطفان؛ وهم من القبائل العدنانية؛ منازلهم الأول في نجد ووادي القرى.

[4] الباهلي: نسبة إلى باهلة؛ وهي قبيلة كبيرة تنتسب إلى قيس بن عيلان العدنانيين؛ وهم بنو سعد مناة بن مالك. منازلهم الأولى في اليمامة بنجد.

[5] ثمة عدد من العشائر العربية التي تُسمَّى عبس؛ غير أن المقصود هنا هم: بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان. وهم بطن عظيم؛ ينتمون إلى عدنان. منازلهم الأولى في نجد. واشتهرت عبس بحرب داحس والغبراء؛ كما اشتهرت بالشاعر الأسطورة عنترة بن شداد.

[6] وهم عنس بن مالك (هو مذحج) بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان؛ من قبائل اليمن القحطانية. منازلهم الأولى في اليمن.

[7] ثمة عُذْرة من غطفان بن سعد، وعُذرة بن زيد اللات؛ من كلب القضاعيين؛ غير أن المقصود هنا هم بنو عُذرة بن سعد بن هذيم بن زيد من قضاعة. واشتهر بنو عذرة هؤلاء بالعشق الروحي الصافي. وهم من القبائل اليمنية القحطانية.

[8] كلمة الحججي؛ غير مفهومة؛ وربما يقصد المؤلف بها: الحجاج؛ فإن كان هذا؛ ففي بلاد الشام عشائر عديدة تسمى الحجاج. وعلى هذا لا يمكن تحديد أيها يقصد.

[9] ضبة: حي من أحياء العرب العدنانيين؛ ينسب إلى ضبة بن أد بن طابخة ابن إليس بن مضر. وتناقلت الرواة عن ضبة بن أد أمثالاً سائراً منها:

والتِّيْــــمي [2]، والعَبْشَــــمي [3]، والمُرِّي [4]، والعُقَيْلي [5]، والفهْـمي [6]، والصَّريـحي [7]، والجَزَلي [8]، والقُشَيْري [9]،

((أسعدٌ أم سعيدٌ)). إذ يقال أنه بعث بولديه ((سَعْدٍ وسُعَيْدٍ)) في مهمة ما؛ فقتل سعد؛ فكان إذا رأى راكباً قال: ((أسعد أم سعيد)) فذهب مثلاً. ومعناه أن الإنسان عندما يخير بين أمرين؛ أحدهما أجل من الآخر؛ قال: ((أسعد أم سعيد)). وله: أيضاً: ((والحديث ذو شجون))؛ أي ذو طرق متشعبة؛ و((سبق السيف العذل)). ولكل ذلك قصة لا يستوعبها هذا المجال

[1] قد يقصد بالسكوني: السَّكون بن أشْرس بن ثور وهو كندة بن عفير من كهلان بن سبأ؛ وكان لهم ملك بدومة الجندل ويرأسهم عبد المغيث السكوني؛ الي أسره خالد بن الوليد؛ وقدم به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فحقن دمه وصالحه على الجزية.

[2] توجد أحياء عديدة تسمى ((تيم))؛ منهم القحطانيون ومنهم العدنانيون؛ وهؤلاء أكثر عدداً. وعليه لا يعرف المقصود.

[3] عبشمس: قبيلة من بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم. وعرفت بالموقعة التي تسمى ((يوم اللهابة)). غير أن بعضهم أضحى يطلق اسم عبشمية على الدولة الأمويه؛ نسبة إلى جدهم عبد شمس.

[4] ثمة عدد كبير من القبائل العربية التي تسمّى مرّة؛ منهم القحطانيون، ومنهم العدنانيون؛ ولا يعرف المقصود هنا.

[5] ثمة عدد من قبائل العرب التي تسمى ((عقيل))؛ لكن يبدو ان المقصود هنا هم: عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. منازلهم الأولى في البحرين والعراق.

[6] ثمة عدد من القبائل العربية (قحطانية وعدنانية) التي تسمى ((فهم))؛ وربما كان المقصود هنا هم: فهم بن عمر بن قيس بن عيلان العدنانيين.

[7] لعل المقصود هم: بنو صريم (بالميم في الآخر وليس بالحاء المهملة) ابن سعد بن ضبة، أو صريم بن مقاعس (الحارث) بن عمر بن سعد من أولاد كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

[8] الجزلي: نسبة إلى جزيلة بن لخم القحطانيين. ولهم بطون كثيرة تفرعت عنهم.

[9] القشيري: نسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ من العدنانيين. ومنازلهم الأولى في نجد وأرض اليمامة. ومنهم بَلْج بن بشر القشيري؛ أمير الأندلس.

والكَلْـبي[1]، والقُضَـاعي[2]، والأصبـحي[3]، والهـواري [4]، والهـواري [4]، والرُّعَيـني [5]، واليَحْصُبي [6]، التُّجيبي [7]، التُّجيبي [7]، والصِّدفي [8]، والحَضْرَمي [9]، والحِمِّي [10]، والحِمِّي [10]، والجُـذامي [1]، والسَّلُـولي[2]، والحَكَـمي[3]،

---

[1] الكلبي؛ نسبة إلى كلب؛ ويوجد بين القبائل العربية عدد منها يسمى باسم باسم كلب؛ ولا يعرف هنا المقصود.

[2] قضاعة؛ حيّ عظيم من أحياء العرب؛ تتعدى مرتبته درجة القبيلة؛ لأن ما تحتها قبائل. وقد اختلف النسابة في نسبتهم. فمنهم من ينسبهم إل قحطان، ومنهم من يرى أنهم من عدنان؛ غير أن أرجح الآراء تضعهم ضمن القبائل القحطانية؛ ومنازلهم الأولى موزعة بين الشحر ونجران؛ ثم الحجاز والشام.

[3] الأصبحي: نسبة إلى الأصابح؛ وهم من القبائل القحطانية؛ ينتسبون إلى أصبح بن عمرو بن الحارث بن أصبح بن مالك؛ ويرتفعون إلى حمير. وينتمي إلى أصبح هذه؛ إمام دار الهجرة مالك بن أنس.

[4] الهواري: نسبة إلى قبيلة هوارة الأمازيغية. ومنازلها من المغرب الأوسط (الجزائر حالياً) إلى مناطق في مصر الغربية. وهم من البرانس؛ وينتسبون إلى أوريغ بن برنس.

[5] الرعيني: نسة ذي رعين من حمير اليمنيين.

[6]وينتسبون إلى يَحْصُب بن دُهمان بن عامر بن حمير. وثمة من ينسبهم إلى يحصب بن ذي يزن بن ذي أصبح. وهم بطن من بكيل الهمدانيين القحطانيين.

[7] تجيب: بطن من كندة ينتسبون إلى أشرس بن شبيب بن السكون بن كندة؛ منازلهم الأولى في حضرموت.

[8] الصدفي: نسبة إلىالصَّدِف؛ تمثلها ثلاثة أحياء من اليمن:الأول الصَّدِف الصَّدِف ابن أسلم بن زيد بن مالك من حضرموت. والثاني الصَّدِف بن سهلة بن عمرو بن قيس؛ من حمير باليمن.والثالث الصَّدِف بن مالك من كندة وكهلان.

[9] حضرموت: قبيلة قحطانية؛ سميت بها مقاطعة بكاملها في اليمن؛ واشتهرت بها إلى الآن.

[10] الحمينسبة إلى حَمِيّ بن عامر؛ وهم فخذ من تجيب.

والحَكَـــمي[3]، والهَمْـــداني[4]، والمَذْحِـجي [5]، والخُشَني [6]، والبَلـــوي [7]، والجُهَـــني [8]، والمـــزْني [9]،

[1] جُـذام: بطنـان؛ الأول جـذام بـن الصـدف مـن حضرمـوت ويعرفـون بالأجـذوم. والبطـن الثـان هـو المقصـود حسبمـا يبـدو؛ وهـم جُـذام بـن عـدي بـن الحـارث ابـن مـرة بـن أدد؛ مـن كهـلان القحطانييـن. ومنازلهـم بيـن مديـن وتبـوك في الحجـاز وطبريـة بالأردن.

[2] سلـول: قبيلـة عدنانيـة؛ انتسبـت إلى أمهـم سلـول. بينمـا هـم بنـو مـرة بـن صعصعـة بـن معويـة بـن بكـر بـن هـوازن.

[3] الحكـمي: نسبـة إلى مـن يسـمى حكـم. وثمـة عـدد مـن أحيـاء العـرب العدنانيـة والقحطانيـة؛ مـن ينتسبـون إلى ((حكـم)). غيـر أن المقصـود ـ هنـا حسبمـا يظهـر ـ هـم الحكـم بـن سعـد العشيـرة مـن مذحـج الكهلانييـن القحطانييـن.

[4] ربمـا تكـون همـدان المقصـودة هنـا؛ هي قبيلـة همـدان بـن ملـك بـن زيـد مـن كهـلان القحطانييـن. ومنازلهـم الأولى في اليمـن الشرقيـة؛ وبعـد الإسـلام انتشـروا في شمـال البـلاد ثـم العـراق ومصـر فالمغـرب والأندلـس.

[5] المَذْحِـجي:نسبـة إلى مَذْحِـج (اسمـه مالـك) بـن أدد بـن زيـد بـن يشجـب بـن عريـب بـن زيـد بـن كهـلان. وهـم قبيلـة قحطانيـة. وأغلبهـم يسكـن اليمـن.

[6] ثمـة بطـن مـن يزيـد بـن زغيبـة الهلالييـن؛ يسـمى ((الخشنـة))؛ ومنازلهـم بعـد الفتـح الإسـلام غـدت في إفريقيـا الشماليـة. وثمـة أيضـاً حيّ مـن قحطـان؛ يسـمى خُشَيْـن بـن النَّمـر؛ وهـم مـن قضاعـة؛ ولا يعـرف المقصـود.

[7] البلـوي: نسبـة إلى بَـلِيّ بـن عمـرو بـن الحـافي؛ قبيلـة كبيـرة مـن قضاعـة. ومنازلهـم موزعـة بيـن الحجـاز والشـام ومصـر. وإلى بَـلِي هـذه ينتسـب زهيـر ابـن قيـس البلـوي؛ الـذي خلـف عقبـة بـن نافـع بعـد وفاتـه.

[8] ثمـة قبائـل عربيـة عديـدة تحمـل اسـم جهينـة؛ ولكـن الراجـح هـم جهينـة بـن زيـد بـن ليـث مـن قضاعـة؛ ومنازلهـم الأولى مـا بيـن ينبـع ويثـرب في الحجـاز.

[9] المـزني هنـا: نسبـة إلى القبيلـة العدنانيـة مزينـة قـال بعضهـم إنهـا تنتـمي لعمـرو بـن أد بـن طابخـة. منازلهـم الأولى في وادي القـرى والروحـاء؛ ثـم انتقلـوا إلى العـراق بعـد الفتـح.

والطَّـــائي [1]، والغافـــقــي [2]، والأسَـــدي [3]، والأشْجُـــــعي [4]،

والعـامِـــــلي [5]، والخَــــوَلاني [6]، والأيــادي [7]، والأيــادي [7]، واللَّيْثي [8]، والخَثْعَمِي [9]، والسَّكسَكي [10]،

---

[1] الطيئي: نسبة إلى قبلية طيء القحطانية. وطيء اسمه جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. ومنازلهم الأولى في اليمن ثم انتقلوا إلى شمال الجزيرة؛ حيث استقروا في العراق والشام.

[2] ثمة الغافق بن أنمار بن أراش؛ وهم بطن من كهلان القحطانيين. وثمة أيضاً بطن من عَكّ يسمى غافق بن الشاهد بن عَكّ بن عدثان بن عبد الله بن الأزد. وهم الذين يقصدهم المؤلف كما يبدو.

[3] ثمة عدد من القبائل القحطانية والعدنانية التي تسمى ((أسد))؛ غير أن المقصود هنا ـ كما يبدو ـ هم أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. ومنازلهم بديار نجد.

[4] ثمة أشجع من عدنان؛ وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد ابن ابن قيس بن عيلان. ومنازلهم الأولى في نواحي المدينة المنورة؛ ثم النقل بعضهم إلى بلاد المغرب. وهم المقصودون كما يبدو. وليس بطن أشجع ابن عمرو القحطانيين.

[5] العاملي: نسبة إلى عاملة بن الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد؛ من كهلان القحطانيين؛ سكنوا الشام بعد خروجهم من اليمن.

[6] الخولاني: نسبة إلى خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد؛ أبناء كهلان بن سبأ. منازلهم الأولى في اليمن.

[7] ثمة حيان عربيان سميان ((إياد)). الأول قحطاني؛ وهم بطن من الأزد. والثاني عدناني؛ وهم بنو إياد بن نزار بن معد بن عدنان. ومنازلهم في العراق.

[8] ثمة حيٌّ بحضرموت يسمى ((الليث))، وحيٌّ آخر من قضاعة يسمى ليث ليث ابن سُود بن أسلم بن الحافي. ولكن المقصود ـ كما يبدو ـ هم أبناء ليث ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة العدنانيين. ومنازلهم حول مكة، وينبع.

[9] المقصد هنا كما يبدو هم: أبناء خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث؛ من كهلان القحطانيين. ومنازلهم بجبال السراة.

والسَّكسَكي [1]، **والزُّبَيـدي** [2]، **والتَغْلبي** [3]، **والثعلبي** [4]، **والثعلبي** [4]، **والكِلاعي** [5]، **والـدَّوسي**[6]، **والحَـواري**[7]، **والسَّلمـاني**[8].

هـذا؛ يـرد كثيـر في شهادتهـم؛ ويقـلُّ مـن ذلـك **السَّلمـاني** نسبًا: **كالـدَّوْسي، والحَـواري، والزُبَيْـدي**. ويكثـر فيهـم: **كالأنْصـارى، والحُمَيـدي، والجُـذامي، والقيْـسي،**

---

[1] المقصود هنا هم السكاسك (حميس) بن أشرس بن ثور؛ من كهلان القحطانيين. القحطانيين.

[2] ثمـة أحيـاء عربيـة عديـدة تسـمى ((زبيـد)). والمقصـود هنـا حسبمـا يبـدو ـ هـم هـم أبنـاء زبيـد الأكبـر ابـن صَعْـب مـن كهـلان القحطانييـن. لهـم حصـون باليمـن.

[3] ثمـة حيـان عربيـان يسميـان ((تغلـب))؛ الأول هـو تغلـب بـن حلـوان بـن عمـران مـن قضاعـة القحطانييـن. أمـا الـحي الثـاني فهـو تغلـب بـن وائـل؛ قبليـة عدنانيـة كبيـرة. منازلهـم بجزيـرة الفـراة.

[4] ثمـة عـدد مـن الأحيـاء العربيـة الـتي تسـمى ((الثعالبـة)). غيـر ان المقصـود ـ ـ كمـا يبـدو ـ هـم أبنـاء ثعلـب بـن بكـر مـن بـني هـلال العدنانييـن. منازلهـم بعـد الفتـح في المغـرب الأوسـط.

[5] الكـلاعي: نسبـة إلى ذي الكـلاع الحميرييـن القحطانييـن.

[6] المقصـودج هنـا هـم بنـو دوس بـن عُدْثـان بـن عبـد الله بـن زهـران مـن الأزد الأزد القحطانييـن. منازلهـم في تهامـة ثـم العـراق.

[7] ثمـة مـن يسـمى: الحـوارات؛ حي في منطقـة البلقـاء، ومن يسمى: الحوارثة؛ من بني الحارث الحجازيين. ولا يعرف بالضبط المقصود بـ((الحواري)).

[8] السلمـاني: نسبـة إلى عـدد مـن أحيـاء العـرب؛ لكـن المقصـود هنـا هـم أبنـاء سَلْمـان بن يَشْكُـر بن ناجية بن مراد القحطانييـن. وهـم قبيلـة ابن الخطيـب.

والغَسَّاني. وكفى بهذا شاهداً على الأصالة، ودليلاً على **العُرُوبِيَّة**[1].

[1] وصل العرب ـ لأول مرة ـ إلى الأندلس مع بدء الفتح الإسلامي؛ في ركاب موسى بن نصير؛ لأن الجيش الفاتح مع طارق بن زياد كان جيشاً أمازيغياً؛ باستثناء أفراد قلائل؛ أرسلهم موسى مع طارق. وقد أشار ابن الخطيب ـ في هذا الفصل ـ إلى القبائل العربية المتواجدة في مملكة غرناطة. لذا فقد رأيت إضافة ما قاله المقري عن العرب المتواجدين بالأندلس كلها. ويمكن أجمال ما قاله باختصار في:ـ خِنْدِف وقريش من العدنانيين. ومنهم: بنو هاشم؛ ويمثلهم بنو حمود الحسنيون؛ من ولد إدريس بن عبد الله الخلفاء بالأندلس. وبنو أمية؛ يمثلهم بنو مروان الخلفاء بالأندلس. ثم بنو زهرة أعيان إشبيلية. وبنو مخزوم؛ منهم أبو بكر المخزومي الشاعر الأعمى؛ وهو من أهل حصن المدور، ومنهم كذلك الشاعر الوزير أبو الوليد بن زيدون وزير ابن عباد وابنه الوزير الشاعر أبو بكر بن زيدون. وثمة أيضاً من ينتسب في الأندلس إلى بني عبد الدار. والمنتسبون إلى الفهريين أعدادهم كثيرة في الأندلس؛ كبني محارب بن فهر؛ ومنهم عبد الله بن قطن أمير الأندلس، ويوسف بن عبد الرحمن الفهري أمير الأندلس (جدّه عقبة بن نافع). والمنتسبون إلى كنانة الوقشيين؛ أعدادهم كثيرة أيضاً؛ ومنازلهم على الأكثر في طليطلة؛ ومنهم القاضي والوزير أبو الوليد، أبو جعفر، وأبو الحسن بن جبير الرحالة. أما بنو هذيل بن مدركة؛ فمنازلهم في جهات أريولة من كورة تدمير. أما بنو تميم بن مر بن أد؛ فهم كثيرون في الأندلس؛ ومنهم أبو طاهر صاحب المقامات اللزومية. أما بنو ضبة بن أد فهم قليلون بالأندلس. ـ أما قيس عيلان؛ فهم كثيرون بالأندلس؛ فمنهم من ينتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة؛ كالفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي (صاحب الإمام ملك)، وكقاضي قرطبة أبي حفص بن عمر. ومن قيس أيضاً من ينتسب إلى هوازن بن عكرمة؛ ولهم عدد كبير في إشبيلية. ومن قيس كذلك من ينتسب إلى بكر بن هوازن؛ يتواجد منهم خلق كثير في إشبيلية، ومنهم بنو حزم (ليس منهم أبو محمد بن حزم الظاهري؛ إذ هو فارسي)، ثم يوجد بعضهم شمال بلنسية. ومنهم أيضاً من ينتسب إلى سعد بن بكر بن هوازن؛ ولهم وجود عريض في غرناطة؛ كبني جُودِيّ الرؤساء. ومنهم أيضاً من ينتسب إلى امرأة اسمها سَلُّول؛ بينما أبوهم هو مُرَّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. ومنهم من ينتسب إلى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. ومنهم من

ينتسب إلى نُمَيْر بن عامر بن صعصعة؛ وهم كثيرون في غرناطة. ومنهم من ينتسب إلى قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ وينتمي إليهم بَلْج بن بشر القشيري أمير الأندلس، وبنو رشيق. ومنهم من ينتسب إلى فَزَارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان. ومنهم من ينتسب إلى أشجع بن ريث بن غطفان؛ كمحمد بن عبد الله الأشجعي أمير الأندلس. ومنهم من ينتسب إلى ثقيف قَسِيّ بن منبه بن بكر بن هوازن؛ كالحرّ بن عبد الرحمن الثقفي أمير الأندلس. ـ أما ربيعة ابن نزار؛ فمنهم من ينتسب إلى أسد بن ربيعة بن نزار؛ كبني أسد بن خزيمة بن مدركة القاطنين شمال وادي آش. ومنهم بنو محارب بن عمرو ابن وديعة؛ ومن هؤلاء بنو عطية أعيان غرناطة. ومنهم من ينتسب كذلك إلى النَّمِير بن قاسط بن هنب من جديلة بن أسد؛ كبني عبد البر عشيرة الحافظ أبو عمر بن عبد البر. ومنهم أيضاً من ينسب إلى تغلب ابن وائل؛ كبني حمدين أعيان قرطبة. ومنهم من ينسب إلى بكر بن وائل؛ كالبكريين أصحاب أونبة وشلطيش؛ وينتمي إليهم أبو عبيد البكري المؤلف. ـ وأما إياد بن نزّار؛ فمنهم بنو زُهْر الأعلام في إشبيلية. ـ أما القحطانيون فهم أكثرية بديار الأندلس. وصنفهم ابن حزم إلى جذمين رئيسين: كهلان، وحمير. فمن كهلان الأزد؛ وإليهم ينسب محمد بن هاني شاعر المعز لدين الله الفاطمي؛ وأصله من بني المهلب الإبيريين. وبنو مازن من الأزد؛ ومنهم بنو القليعي أعيان غرناطة، ومعظمهم ببلدة صالحة القريبة من غرناطة على طريق مالقة. وأكثر الأزد في الأندلس ينتسبون إلى الأنصار. ومنهم أيضاً الخزرج؛ وعرف في الأندلس منهم أبو بكر عبادة بن عبد الله سليل عبادة صاحب رسول الله؛ اشتهر بالموشحات. وإلى قيس بن سعد بن عبادة ينتمي بنو الأحمر سلاطين غرناطة. ومنهم أيضاً الأوس. ومنهم أيضاً من ينسب إلى غافق بن عك ابن عدثان من الأزد؛ ومنهم أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب المعروف؛ كما ينتمي إلى غافق أكثر سكان شقورة. ومن كهلان أيضاً بنو همدن في نواحي غرناطة؛ ومنهم بنو أضحى أصحاب غرناطة. ومن كهلان بنو مذحج؛ وهي أم مالك بن أدد بن زيد بن كهلان؛ ومنهم بنو سِرَاج أعيان قرطبة. أما مالك بن أدد من كهلان فهم متواجدون جنوب مرسية؛ وينتسبون إلى طي من كهلان. ومنهم من ينتسب إلى مالك بن أدد، ومنهم من ينتسب إلى مراد؛ ويتواجد خلق كثير منهم في حصن مراد بين إشبيلية وقرطبة. ومنهم ومن ينتسب إلى عَنْس بن مالك بن أدد؛ **وبنو سعيد أشهر من** بكتابهم المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب؛ وهم أصحاب قلعة بني سعيد التابعة لغرناطة. وبنو زبيد من كهلان، ومنهم من ينتسب إلى عاملة (وهي امرأة من قضاعة) زوجة الحارث بن مرة بن أدد من

وجُنْدُهـم صِنْفـان: **أندلسي، وبَرْبَري**:

والأندلسي - منهـا - يقودُهـم [1] رئيـسٌ مـن القرابـة أو حَصِيّ [1] من شيوخ الممالك؛ وزيُّهـم - في القديـم - شَبـه زيّ

كهلان؛ منهم بنو سِماك القضاة من غرناطة. ومن كهلان أيضاً خولان ابن عمرو بن الحارث بن مرة؛ وقلعة خولان مشهورة؛ وتتواجد بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية؛ ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة. كما أن منهم من ينتسب إلى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرّة؛ وينتمي إليهم المنصور بن أبي عامر الملك المستبد في الأندلس. ومنهم من ينتسب إلى لخم بن عدي؛ كبني عباد ملوك إشبيلية، وبني الباجي أعيان إشبيلية وبني وافد أيضاً الأعيان في إشبيلية. ومنهم من ينتسب إلى جذام من كهلان كثوابة بن سلامة أمير الأندلس، وبني هود سلاطين الأندلس، وبني مردنيش الأمراء في الأندلس. ومنهم من ينتسب إلى تجيب؛ وهي امرأة أشْرَس بن السّكون بن أشرس بن كندة. ومن كهلان من ينتسب إلى خثعم بن أنمار؛ ومنهم عثمان بن أبي نِعْسَة أمير الأندلس. - أما حمير ابن سبأ؛ فمنهم من ينتسب إلى ذي رعين؛ ومنهم أبو عبد الله الحناط الشاعر الأعمى. ومن حمير أيضاً من ينتسب إلى ذي أصبح (وثمة من ينسب ذي أصبح إلى كهلان)؛ والأصبحيون أعيان في قرطبة. ومنهم أيضاً من ينسب إلى يحصب؛ ويتواجد منهم كثير في قلعة يحصب؛ لأنهم إخوان مع بني سعيد. ومنهم من ينسب إلى هوزن بن عوف؛ وهم أعيان بإشبيلية. ومنهم من ينسب إلى قضاعة بن مالك بن حمير (ثمة من يقول أنه قضاعة بن معد بن عدنان)؛ وينتسب إليهم أبو بكر الوزير الشاعر ابن عمار. ومنهم من ينسب إلى خشين بن نمر. ومنهم من ينتسب إلى تنوخ ومنهم من ينسب إلى بـلَى بن عمرو؛ ولهم وجود في إشبيلية. ومنهم من ينسب إلى جهينة بن سود بن أسلم؛ ولهم جماعة في قرطبة. ومنهم من ينسب إلى كلب بن وَبَرَة؛ ومنهم بنو عبدة بقرطبة؛ وينتمي إليهم بنو جهور أمراء قرطبة ووزراؤها. ومنهم من ينتسب إلى عذرة بن سعد؛ وفي الجزيرة الخضراء جماعة منهم. وثمة في الأندلس أيضاً من ينسب إلى حضرموت بن قحطان؛ (وقال بعضهم أن حضرموت بن قيس بن معوية من حمير. ومن أهل الأندلس أيضاً من ينسب إلى سلامان؛ يتواجدون في: إشبيلية وبطليوس وقرطبة وغرناطة. (أنظر نفح الطيب؛ مج: 1، ص ص: 290 - 298).

[1] في اللمحة: ((الأندلسي منه يقوده)).

أقْتالهم [2]، وأضْدَادِهم؛ من جيرانِهم **الفِرَنْج**: إسباغُ الدُّروع، وتعليقُ التِّرْسَة، وحفا [3] البيضات، واتخاذ عُراض الأسنَّة، وبشاعة قرابيس السروج، واستركابُ حملة الرَّايات خلفه [4]؛ كلٌّ منهم بِصفةٍ تَخْتَصُّ بسلاحهِ [5]، وشُهرةٍ يُعرفُ بها. ثمّ عدلوا ـ الآن ـ عن هذا الذي ذكرنا [6]، إلى الجَواشن المُخْتَصرة، والبيضات المرهفات[7]، والسُّروج **العربية**[8]، والبَيْتِ[9] **اللَّمْطِيَّة**، والأسَل العَطَفِيَّة[10].

---

[1] الحصي بالحاء المهملة: الرجل الراجح العقل. وقد كتبت العبارة في اللمحة هكذا: ((أو أحظياء الدولة)).

[2] أي من يقاتلونهم. وكتبت هذ العبارة في اللمحة هكذا: ((شبيه بزيّ جيرانهم وأمثالهم من الروم في إسباغ)).

[3] في اللمحة البدرية: ((وجفاء)).

[4] في اللمحة البدرية: ((عن هذا الزي خلفهم)). وعبارة ((حملة الرايات)) حرفت في ت؛ فكتبت: ((جملة الرايات)).

[5] نفسه: ((بسمة تخص سلاحه)).

[6] كلمة ((ذكرنا)) سقطت في ك. وفي اللمحة البدرية: ((عن هذا الزي)).

[7] في اللمحة: ((المذهبة)).

[8] حرفت في المخطوطات الثلاثة؛ فكتبت: ((والروج والعربية)).

[9] هكذا. وهو خطأ؛ والصحيح ما جاء في اللمحة؛ وهو ((اليَلَب)). ومعناه: الجلد، والترسة اللمطية أو الدروع.

[10] في اللمحة: ((اللطيفة)). وكتبت في ت: ((اللطفية، اللطيفة)).

والبَرْبَري - منه - يرجع إلى **قبائله المرينِّية**[1]، **والزِّنَاتية**[2]، **والزِّنَاتية**[2]، **والتِّجانية**، **والمغْراوِيَّة**[3]، **والعَجِّيسيَّة**، **والعرب المغْرَبِيَّة**؛ إلى أقطاب، ورؤوس؛ يرجع أمرهم إلى رئيس، على رؤسائهم، وقطب لعُرَفائهم من كبار **القبائل المرِيَنيَّة**؛ يَمُتُّ إلى **ملك المغرب** بِنَسَبٍ[4].

---

[1] نفسه: ((ترجع قبائله المرينية)).

[2] نفسه: ((الزيانية)). وهو الصحيح؛ لأن المرينيين من زناتة، كما أن الزيانيين هم ملوك تلمسان المنافسين للمرينيين؛ وهم من زناتة أيضاً.

[3] سقطت كلمة: ((والمغراوية)) في اللمحة البدرية.

[4] لمزيد من الفائدة؛ نلخص ما قاله أبو محمد علي بن حزم؛ بخصوص القبائل الأمازيغية المتواجدة في الأندلس قبل سقط الدولة الأموية في تلك الديار. ((وزداجة)): منهم بنو دليم الفقهاء. و((ملزوزة))؛ منهم عوسجة؛ المنسوب إليه بلاط عوسجة بشنت برية، وبنو تيه؛ الأمراء بشنت برية، وبنو الأخطل الأمراء بها وبشذونة أيضاً، وآل عامر بن وهب (أو عمران ابن وهيب). و((مغيلة)): منهم إلياس؛ رهط أحمد الوزير أحمد بن إلياس. و((مكناسة)): منهم بنو وانسوس؛ رهط الوزير سليمان بن وانسوس. و((زناتة)): منهم بنو الخروبي، وأصلهم من لقنت. وبنو الليث؛ من شنت فيلة؛ ومنهم يحيى بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك؛ يقولون أنهم موالي الوليد بن عبد الملك. ومن زناتة أيضاً بنو عزون أمراء شنت برية، وبنو برزال: أمراء المنتانية. وبنو عبدوس من سُرتة. ومن ((ألهاصة من نفزة))؛ وبنو فرفدن من ماردة، وبنو طرينة بن غزلون؛ أمراء تيروال، وبنو عميرة بشاطبة، وبنو نعمان؛ رهط عامر بن فرج بن نعمان بشانت برية، وبنو الفرج من وادي الحجارة. ومن ((مديونة)): ثابت ابن عامر المديوني؛ خال بني ذي النون، وبنو الزجالي الوزراء في قرطبة، والقاضي منذر بن سعيد السوماتي، وبنو الخليع بتاكرنا، وزغلل (أو رغال) بن يعيش بن فرانك؛ الذي ينسب إليه مسجد فُرانك بقرطبة، وبنو هذيل أمراء الثغر ينسبون إلى مديونة أيضاً. ومن ((هوارة)): بنو القرماطي؛ في الجانب الغربي من قرطبة، ومنهم بنو ذا النون؛ أمراء أقليش ووبذة، وبنو رزين أمراء السهلة، ومنهم بنو فرفرين ولاة مدلين، ومنهم بنو جهور المرشانيون؛ وهم ولد الفقيه أبي موسى عبد الرحمن بن

والعمائم تقل في زي أهل هذه الحَضْرة؛ إلاَّ ما شاذ[1] في شيوخهم، وقضاتهم، وعلمائهم؛ والجُنْد **العربي**[2] منهم؛ وسلاح جُمْهورهم العِصِيّ الطويلة المثناة بعصيّ

موسى؛ الذي يشبه بالشعبي في زمانه. و((مصمودة)): منهم بنو سفيان بن عبد ربه الحاجب، وبنو يحيى بن كثير؛ صاحب مالك؛ وبنو طريف؛ من أشونة، والمتنبي في برغواطة، ومنهم محمود وأخته جميلة المشهورة بالشجاعة والفروسية والنجدة؛ وهما أبناء عبد الجبار بن زاقلة القائم بماردة. وبنو دانس بن عوسجة؛ أصحاب قَلَنْبَيْرة؛ وإلى جدهم ينسب قصر أبي دانس في الشمال، ومسعود بن تاجيت بن محمد بن تجيت صاحب ماردة هو وأبوه وجده؛ وكانوا يمتلكون قورية ولجدانية؛ قبل أن يتغلب النصارى على تلك الجهة، وبنو مَضَى بن تِيهَلْت أمراء قصر مَضَى، وبنو سالم الذين تنسب إليهم مدينة سالم؛ كما تنسب مدينة الفرج إلى ابنه الفرج بن سالم، ومنهم أبو جعفر تميم بن عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرج (قال ابن حزم أنه: "صاحبنا رحمه الله")؛ وقد عرف باسم التميمي؛ وكان لأبي جعفر ابنان بطرسونة القريبة من تُطيلة في الثغر؛ وهما: عبد الله وأحمد؛ لهما عقب هناك. و((أوربة)): ولي منهم اليَشَة؛ وهما صبرون بن شبيب، وابنه وكيل بن صبرون. و((زواوة وكتامة)): منهم بنو مشرف الشَّقُنْديون، وبنو مهلب الكتاميون أصحاب قَرْذَيرَة، وأشْبَرَغِيَّرة من عمل إلبيرة؛ ومنهم محمد بن مهلب كاتب الوزير مفرج؛، ومنهم أيضاً بنو قاسم أصحاب ألبُونْت؛ وهم أحلاف الفهريين. و((صنهاجة)): ومنهم بنو الغليظ؛ رهط الأديب أبي عبد الله محمد بن عبد الأعلى، ثم بنو دَرَّاج؛ رهط الشاعر أبي عمرو أحمد بن محمد بن دَرَّاج القسطلي، ومنهم محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان، ومنهم يحيى بن ضريس؛ الذي ضرب ابن حفصون بالضربة المشهورة؛ فشل يده اليمنى تماماً، ويوجد منهم أيضاً بأشونة؛ بنو عبد الوهاب؛ وهم من ولد ميمون ابن أبي جميل؛ وهو ابن أخت طارق بن زياد؛ وكانت لهم ثروة وعدد؛ وكان منهم قواد وكتاب وفقهاء؛ منهم خطيب جامع قرطبة؛ المقرئ الرحالة عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدوس بن يوسف بن أحمد، ومنهم أيضاً بنو طاهر بأشُّونَة.

[1] أي ما اشتهر ذكره؛ غير أن ما كتب في اللمحة هو: ((ما شذ)). وهو الصحيح كما يبدو.

[2] في اللمحة: ((الغربي))؛ بالغين الموحدة الفوقية.

صغارٍ؛ ذوات عُرّى في أواسطها[1]؛ تُدفع بالأنامل عند قذْفها؛ تسمى (بالأمْداس). وقسيّ الإفرَنْجة[2]؛ يُحْمَلون على التَّدْريب[3] بها على الأيَّام[4]. ومبانيهم[5] متوسطة، [وأعيادُهم][6] حسنة؛ مائلة إلى الاقتصاد. والغِنَى بمدينتهم فاشٍ[7]، حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها؛ كثيراً من الأحداث، كالخفّافين[8]، ومثلهم. وقوتُهم الغالب، البُّر الطَّيب؛ عامّة العام[9]، وربما اقتات ـ في فصل الشتاء الضَّعَفة، والبوادي، والفَعلة في الفلاحة ـ الذُّرة العربية[10]؛

---

[1] نفسه: ((ذات عرى في أوساطها)).
[2] نفسه: ((الفرنجة)).
[3] نفسه: ((التدرب)).
[4] قال المقري في حروب أهل الأندلس وأسلحتهم: ((ومحاربتهم بالتّراس، والرماح الطويلة الطعن؛ ولا يعرفن الدبابيس، ولا قِسِيِّ العرب؛ بل يعدون قسِيّ الإفرنج للمحاصرات في البلاد؛ أو تكون للرجالة عند المصافة للحرب. وقليلاً ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم؛ لأن يوترها)). (نفح الطيب؛ مج: 1، ص: 223.
[5] في ج: ((ومنانهم))، وفي ك: ((ومناسهم)). وقد صوبت من اللمحة.
[6] هذه الكلمة سقطت من الملكية، و ت.
[7] هكذا في المخطوطات الثلاثة؛ وربما يكون الصحيح هو ما جاء في اللمحة؛ وهو: ((والغاء في بمدينتهم فاشٍ)).
[8] وهم: الخرازون، والأسكافة؛ ومفردها: الإسكاف: الذين يصنعون الخِفاف؛ ومفردها: خف. وكتبت هذه العبارة في اللمحة هكذا: ((حتى بالدكاكين التي تجمع كثيراً من الأحداث، كالخفّافين)).
[9] في المخطوطات الثلاثة واللمحة: ((العامة)).
[10] كتبت هذه العبارة في اللمحة هكذا: ((الضعفة والفعلة الذرة العذبة)).

أَمْثَلَ أصناف القطاني[1] الطيبة. وفواكههم اليابسة عامَّة العام؛ متعدِّدةٌ؛ يدّخرون العِنَب ـ سَليماً من الفسادِ ـ إلى شَطْرِ العام[2]؛ إلى غير ذلك[3] من: التِّين، والزّبيب، والتُّفَّاح، والرّمان، والقسْطل[4]، والبَلُّوط، والجَوْز، واللَّوز؛ إلى غير ذلك مما لا يَنْفَد ولا ينقطع مدده؛ إلاّ في الفصل الذي يُزهد في استعماله[5]. وصَرْفهم فِضَّة خالصة، خالصة، وذهبٌ إبريزٌ طيِّب[6] محفوظ، ودِرْهَمٌ مُرَبَع الشّكل؛ من وزن[7] **المهدى**؛ القائم **بدولة الموحدين**[8]؛ في الأوقية منه سبعون درهماً؛ يختلف الكتْب فيه؛ فعلى عهدنا؛ في شِقّ: ((لا إله إلا الله محمد رسول الله))، وفي

---

[1] أي ما يدخره الناس في بيوتهم من أنواع الحبوب.
[2] في اللمحة: ((إلى ثلثي العام)).
[3] نفسه: ((إلى غيره)).
[4] وهو: الكستنا.
[5] في اللمحة: ((مما لا ينقطع مدده إلا بفصل يزهد في استعماله)).
[6] حرفت في ك؛ فكتبت هكذا: ((**وذهباً وإبريزاً طيباً**)). وعند كلمة ((محفوظ)) انتهى النص المشابه في اللمحة البدرية.
[7] كتبت في المخطوطين: ((لون))؛ فصوبها عنان.
[8] دولة الموحدين أسست على أنقاض الدولة المرابطية؛ تولى الدعوة إليها إليها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهرغي المصمودي المعروف بالمهدي؛ وكان ساعده الأيمن عبد المؤمن بن علي هو المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين التي قامت بعد استيلاء الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي على مراكش عاصمة الدولة المرابطية سنة 541هـ/1146م.

شِقّ آخر: ((لا غالبَ إلاّ الله، **غَرْناطة**)). ونِصْفه وهو القِيراط؛ في شِقّ: **(الحمدُ للهِ ربِّ العالمين)**[1]، وفي شق: ﴿**وما النّصرُ إلاّ من عندِ الله**﴾[2]، ونصفُه هو الرُّبع؛ في شق: ﴿**هُدَى الله هو الهُدَى**﴾[3]، وفي شِق: ﴿ **العاقِبةُ للتَّقْوَى** ﴾[4].

ودينارُهم في الأوقية منه؛ ستة دنانير وثلثا دينار؛ وفي الدِّينار الواحد؛ ثُمْن أوقية وخُمْس ثُمْن أوقية. وفي شق منه: ﴿**قل اللّهم مالك المُلْك بيدِك الخيْر**﴾[5]، ويستدير به

---

[1] الآية: 2؛ من سورة الفاتحة.

[2] أخطأ الدكتور طويل؛ حين نسب هذا الذكر الحكيم إلى سورة آل عمران؛ الآية 122؛ بينما الصحيح؛ هي أنها جزء من الآية: 10؛ من سورة الأنفال. وهذه الآية كاملة هكذا: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللهِ إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾. سورة الأنفال؛ الآية 10.

[3] الآية كاملة هكذا: ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾. سورة البقرة؛ الآية: 120.

[4] الآية كاملة هكذا: ﴿ **وَامُرْ أهْلَكَ بالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾. سورة طه؛ الآية: 132.

[5] قطعت الآية هنا؛ وانتخب منها مقاطع. والآية كاملة هكذا: ﴿ **قلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ توْتِي المُلْكَ مَنْ تشَاءُ وَتنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تشَاءُ وَتعِزُّ مَنْ تشَاءُ وَتذِلُّ مَنْ تشَاءُ بيَدِكَ الخَيْرُ إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قدِيرٌ** ﴾. الآية: 26 من سورة آل عمران.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[1]، وفي شق: ((الأمير عبد الله[2] يوسف، بن أمير المسلمين أبي الحَجَّاج، بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن نصر، أيَّدَ الله أمْرَه))، ويستدير به شعار هؤلاء الأمراء: ((لا غالب إلاّ الله)). ولتاريخ تمام هذا الكتاب؛ في وجْهٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، ويستدير به: ((لا غالب إلاّ الله))؛ وفي وجه: ((الأمير عبد الله الغني بالله، محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نَصْر، أيَّدَه الله وأعانه))، ويستدير برُبع: ((بمدينة غَرْناطة حَرَسَها الله)).

وعادةُ أهْل هذه المدينة؛ الإنتقال إلى حُلل[4] العصير؛ أوان إدْراكِه؛ بما تشتمل عليه دُورُهم، والبروز إلى الفحوص[5] بأولادهم[1]؛ مُعَوِّلين ـ في ذلك ـ على

---

[1] الآية: 163 من سورة البقرة. وقد أسقطوا حرف الواو في بداية الآية.
[2] رأى يوسف طويل أن هذا النص سقط منه في هذا الموضع: ((محمد ابن))؛ وحجته في ذلك ما ورد في النص الآتي الشبيه به. مع أن هذا النص لا يدل أنه للغني بالله.
[3] الآية: 200 من سورة آل عمران.
[4] الحلل مفردها حلة؛ وهي المحلة. وكتبت في اللمحة: ((الحلال)).
[5] الفحوص مفردها: الفحص؛ وهو ـ عند الأندلسيين ـ المرج.وربما سُمّيَ بذلك عندهم كل موضع يزرع ؛ سهلاً كان أم هضبة.

شهامتهم[2] وأَسْلِحَتهم، وعلى كَثَبِ دورهم[3]، واتِّصال أمْصَارهم بحدود أرضه.

وحُلِيُّهم في: القلائد، والدَّمالج، والشُّنوف[4]، والخلائل الذّهب الخالص؛ إلى هذا العهد، في أولى[5] الجِدَة، واللُّجَيْنُ؛ في كثير من آلات الرِّجْلين؛ فيمن عداهم. والأحجارُ النفيسة من الياقوت[6]،

---

[1] في اللمحة: ((بأولادهم وعيالهم)).
[2] هكذا في ك؛ أما ج؛ فكتب فيها: ((سهامتهم)).
[3] في ج، والملكية: ((على كتب على دورهم). في اللمحة: ((على كثب عدوّ ِهم)). ويبدو أنه الصحيح حسب سياق المعنى.
[4] في اللمحة: ((والخلاخيل والشنوف)).
[5] نفسه: ((أُلِي)).
[6] الياقوت اسم فارسي معرب لحجر كريم، وصنف من الجواهر؛ لياقوت ألون عديدة؛ منها: الأصفر، والأزرق، والاسمانجوني؛ كما يتولد منها ألوان كثيرة؛ أعدلها وأهمها الأحمر الخالص الرماني؛ التذي يشبه حب الرمان الأحمر، ومنه ايضاً الأحمر الممزوج ببياض، ثم الوردي، ثم الخمري، ثم العصفري. وأردؤ الياقوت هو الياقوت الأزرق.

والزَّبَرْجَـد[1]، [والزُّمُرّد][2] ونفيس الجَوْهـر، كثير ممـن[3] ترتفع طبقاتهـم المُسْتَنِدة إلى ظِـلٍّ، أو أصالَـةٍ مَعْروفةٍ مُوفَّرة[4].

وحريمُهـم، حريـم جميـل، موصـوف بالسِّحْر[5]، وتَنَعُّـم وتَنَعُّـم الجُسـوم، واسْتِرْسـال الشُّعـور، ونَقـاء الثُّغُـور، وطِيـبِ النَّشْـر[6]، وخفَّـة الحركـات، ونُبْـل الكـلام، وحُسْـن المحـاورة، إلاَّ أنَّ الطُّـول يَنْـدُر فيهِـنّ[7]، وقـد بَلَغْـن مـن التَّفَنُّـنِ في الزِّينَـة لهـذا العهـد؛ والمظاهـرة بيـن المُصْبَغـات، والتَنْفِيس[8] بالذَّهَبيَّـات والدِّيباجيَّـات، والتَّماجُـن في أشكـال الحُـلي؛ إلـى غايـةٍ؛ نَسـألُ الله أنْ يُغـضَّ عنهـنّ ـ فيهـا ـ عَيْـنَ الدَّهـر،

---

[1] الزبرجـد أو الزبـردج: هـو حجـر كريـم أخضـر اللـون. قـال فيـه الشاعـر:
دراً مـنَ اليـاقـوتِ والزَّبَرْجَـدِ * أحْصَنَـهَـا في يـافِـعِ مُمَـرَّدِ

[2] هذه الإضافـة وردت في الملكيـة. اسمـه ((الزمـرذ)) بالـذال المعجمـة؛ وليـس بالـدال المهملـة.والزُّمُـرذ صنـف مـن الجواهـر؛ جـاء اسمـه مـن اللغـة اللاتينيـة Emerald ؛ ويشمـل مشتقـات اللـون الأخضـر كلهـا. ويتـراوح بيـن الأخضـر الغامـق والأخضـر الفاتـح.

[3] في اللمحـة: ((فيمـن ترفـع مـن طبقاتهـم)).

[4] نفسـه: ((أو أعـرق أصالـة موفـورة)).

[5] في ج، والملكيـة: ((بالحسـن)). أمـا في اللمحـة فـوردت العبـارة هكـذا: ((باعتـدال السّمَـن)).

[6] أي الرائحـة الطيبـة. وقـد حرفـت في ج، والملكيـة؛ فكتبـت: ((الشـرا))، وفي ك: ((النشـرا)). وفي اللمحـة: ((الشـذا)).

[7] علـق عنـان علـى وصـف ابـن الخطيـب لنسـاء غرناطـة؛ فقـال إنهـن إلى الآن الآن يتصفـن بالأوصـاف الـتي ذكرهـا ابـن الخطيـب.

[8] في اللمحـة: ((التنافـس في الذهبيـات)).

ويُكَفْكف الخَطْب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة، وأن يعامل جميع من بها بسَتره، ولا يَسْلبهم خَفَّى لطفه، وبعزَّته وقدْرته .

***

فصل فيمن
تداول هذه المدينة
من لدن أصبحت دار إمارة باختصار واقتصار

قال المؤلف: أول من سكن هذه المدينة[1]، سُكنى استبداد، وصيَّرها دار مُلْكه، ومَقَرَّ أمره؛ **الحاجبُ، المنصور؛ أبو مُثْنَى زاوي بن زيرِي بن مَناد**[2]؛ لمّا تغلب **جيش البربر** - مع أميرهم **سليمان بن الحكم**[3] - على

---

[1] أي غرناطة.

[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((((رمدي)). وزاوي هو:أبو مُثْنَى زاوي زاوي ابن زيرِي بن مَناد التلكاتي الصنهاجي. لم تذكر المصادر تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته؛ وكل ما جاء: أنه ترك الأندلس عائداً إلى إفريقية سنة 416هـ/1025م في قول؛ و420هـ/1029م في قول آخر؛ وهو في سن متأخرة. وورد في كتاب الذخيرة في محاسن الجزيرة؛ نقلاً عن ابن حيان قوله: ((ونعي إلينا عدو نفسه؛ زاوي بن زيري موقد الفتنة بعد الدولة العامرية؛ ورد النبأ بمهلكه في القيروان وطنه)). ولكن النص يخلو من التاريخ. وقد خصص له ابن الخطيب ترجمة في الإحاطة.

[3] هو أبو أيوب، المستعين بالله، الظافر بحول الله، سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر الأموي؛ ولد سنة 354هـ/965م وتوفي سنة 407هـ/1016م؛ بويع على ملك بني أمية في قرطبة بعد مقتل هشام المؤيد ابن سليمان سنة 399هـ/1008م؛ ودخل قرطبة سنة 400هـ/1009م؛ وفي وقته وقعت الفتنة الكبرى في الأندلس التي أدت إلى انقسامات خديرة؛ انبثقت عنها كيانات عديدة عرفت بدول الطوائف. له ترجمة في الإحاطة.

قُرْطبة، واستولى على كثير من **كُوَر الأَنْدَلُس**؛ عام ثلاثة وأربعمائة[1]؛ فما بعدها، وظهر على **طوائف الأندلس**[2]، واشتهر أمره، وبَعُد صيته. ثم اجتاز البحر إلى بلد قومه **بإفريقية**؛ بعد أن مَلَك **غَرْناطة** سبع سنين، واستخْلَف ابن أخيه **حَبُّوس بن ماكْسَنْ**[3]؛ وكان حازماً داهِيَة؛ فتوسَّع النظر إلى أن مات؛ سنة تسع وعشرين وأربعمائة[4].

وولِي بعده حفيده **عبد الله بن بُلُكِّين**[5] **بن بادِيس**[6]؛

---

[1] الموافق لـ 1012م. هكذا في اللمحة البدرية، وإعمال الأعلام؛ بينما كتب في ترجمة حبس بن ماكسن بالإحاطة: ((توفي بغرناطة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)).

[2] يقصد بطوائف الأندلس؛ زعماء الفرق المختلفة، والثوار الذين توزعوا بلاد الأندلس ـ بعد سقوط الدولة الأموية ـ واقتسموها حصصاً ومنابات. بحيث استولى كل واحد منهم على بمدينة أوجهة؛ وأقام بها كياناً؛ سمي أحياناً إمارة، وأحياناً أخرى مملكة؛ بل تطاول بعضهم فنسب إلى نفسه مرتبة الخلافة.

[3] هو حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد؛ توفي بغرناطة سنة 429هـ/1037م حسب بعض الأقوال؛ خلف عمه زاوي بن زيري في ملك غرناطة. وقد خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.

[4] 1037م. ذكر في ترجمة حبوس بن ماكسن بالإحاطة أنه توفي بغرناطة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)). فلزمت المقارنة والتأكد.

[5] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((ملقن)).

[6] هنا خطأ؛ قد يكون من الناسخ؛ لأن ابن الخطيب ذكر خلافة باديس بن حبوس لوالده في القسم الثاني من أعمال الأعمال؛ كما خص باديس أيضاً بترجمة في الإحاطة على أنه تولى ملك غرناطة بعد أبيه. وباديس هو الحاجب، المظفر بالله، الناصر لدين الله، أبو مناد باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري؛ توفي بغرناطة سنة 465هـ/1072م؛ حسب بعض الأقوال. أما عبد الله بن بلكين بن باديس المذكور؛ فهو المظفر بالله، الناصر لدين الله، عبد الله بن بلكين؛ فهو آخر ملوك بني زيري في

إلى أن خُلع عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة[1]. وتصيَّر أمرها إلى **أبي يعقوب يوسف بن تُاشِفين ملك لَمْتُوَنة**[2]؛ عند تَمَلَّكه **الأندلس**، ثم إلى ولده **عليّ بن يوسف**[3]. تَنَوَّب إمارتها جملة من أبناء الأمراء **اللمْتُونيِّين**[4]، وقرَابتهم: كالأمير **أبى الحسن علي بن الحاجّ**[5]، وأخيه **مُوسى**[6]،

الأندلس تولى المملكة وهو صغير في الحلم، وسقطت دولته في قبضة يوسف بن تاشفين سنة 483هـ/1090م. له ترجمة في الإحاطة.

[1] الموافق لـ 1090م.

[2] هو أمير المسلمين أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت ابن وارتقطين بن منصور اللمتوني الصنهاجي؛ سلطان المرابطين. ولد سنة 410هـ/1019م وتوفي بمدينة مراكش سنة 500هـ/1106و. تولى زمام السلطة في دولة المرابطين سنة 465هـ/1072م. خصص له ابن الخطيب ترجمة في الإحاطة.

[3] هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين؛ ولد بسبتة سنة 477هـ/1084م وتوفي بمراكش سنة 537هـ/1143م. خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

[4] اللمتونيون: هم أعضاء قبيلة لمتونة الصنهاجية؛ أهم فرع في قبائل الملثمين الصحراويين الذين انضووا في حلف سمي بالمرابطين. ومن بين القبائل الصمهاجية الأخرى: مسوفة وجدالة وغيرهما.

[5] حرفت في ج؛ فكتبت: ((الحجاج)). وهو الأمير علي بن الحاج بن مجوز. لم أتمكن من ترجمة وافيه له؛ سوى أنه من قادة لمتونة؛ ولاه يوسف ابن تاشفين على جيشه بالأندلس سنة 487هـ/1094م؛ بدلاً من ابن أخيه الذي أظهر ضعفاً أمام النصارى؛ ثم أصدر أمراً بتولية ابن الحاج على غرناطة؛ وفي 497هـ/1103م توفي علي بن الحاج في معركة دارت بينه وبين النصارى بالقرب من مدينة طلبيرة.وقد يكون تولى الكتابة في بلاط الدولة أيضاً .

[6] أبو عبد الله موسى بن الحاج تولى أمر غرناطة بعد استشهاد أخيه سنة 497هـ/1103م؛ ولكنه أعفي عن مهمه سنة 499هـ/1105م.

والأمير **أبي زكريا يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم**[1]، والأمير **أبي الطّاهر تَمِيم**[2]، والأمير **أبي محمد مَزْدَلي**[3]، والأمير **أبي بكر بن أبي محمد**[4]؛ **وأبي طَلْحة الزُّبيْر بن عُمر**[5]؛ **وعثمان بن بدر اللّتْموني**[6]؛ إلى أن انقرض أمرُهم عام أربعين وخمسمائة[7]. وتَصَيَّر الأمرُ **للمُوَحِّدين**[8]، وإلى

---

[1] أبو بكر بن إبراهيم اللمتوني؛ ويسميه ابن الخطيب في الترجمة التي خصه بها: أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفي الصحراوي. ولي على غرناطة سنة 500هـ/1106م؛ وأعفي من مهمه في السنة نفسها. كان من أجود الناس؛ توفي بسرقسطة سنة 510هـ/1116م.

[2] هو الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين اللمتوني. ولاه أخوه أمير المسلمين علي بن يوسف على غرناطة سنة 501هـ/1107م.

[3] هو مزدلي بن سلنكان بن حمني بن محمد بن ترقوت اللمتوني الصنهاجي؛ وهو ابن عم يوسف بن تاشفين؛ تولى الإستيلاء على بلنسية سنة 494هـ/1100م؛ وبعدها استدعي ليتولى ولاية تلمسان سنة 497هـ/1103م، ثم أسندت إليه ولاية قرطبة، وغرناطة، والمرية سنة 505هـ/1111م؛ وتوفي أثناء غزوة له بالقرب من حصن قسطانة؛ وذلك سنة 508هـ/1114م. وقد خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

[4] هو أبو بكر بن عبد الله؛ وليها في 535هـ/1144م. وفي وقته ظهرت الدعوة الموحدية بالأندلس. والظاهر أن ابن الخطيب لم يذكر ولاة غرناطة بالكامل؛ واكتفى بما ذكره.

[5] لم تتوفر عنه معلومات أكثر من اسمه؛ الذي جاء هكذا في كتاب مفاخر البربر.

[6] هو ـ في الحقيقة ـ ميمون بن بدر اللمتوني؛ وليس عثمان. وتوفى ميمون ابن بدر في قرطبة سنة 543هـ/1148م؛ ودفن بها.

[7] الموافق لـ 1145

[8] حرفت في ج؛ فكتبت: ((للموحد))؛ وفي ك؛ كتبت: ((الموحدون)). وهم الذين لبوا دعوة ابن تومرت، وشيدوا دولتهم بإمرة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي؛ بعد ان أطاحوا بالدولة المرابطية بمراكش سنة 541هـ/1146م.

ملكهم **أبى محمد بن عبد المؤمن بن علي**[1]؛ فتناوبَها جُمْلَةٌ مـن بنيه وقرَابَتِه: **كالسَّيِّد أبي عثمان ابن الخليفة**[2]، **والسَّيد أبي إسحاق ابن الخليفة**[3]، **والسَّيد أبي إبراهيم ابن الخليفة**[4]، **الخليفة**[4]، **والسيّد أبي محمد ابن الخليفة**[5]، **والسيد أبي عبد عبد الله**[6]؛ إلى أن انقرَض منها أمر **المُوَّحِدين**.

[1] هو أبو محد عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان الكومي توفي برباط سلا ـ بينما كان متجهاً إلى الأندلس للجهاد ـ سنة 558هـ/1162م؛ أما مولده فكان في بلدة قريبة من تلمسان يقال لها تاجرت. ويعتبر عبد المؤمن بن علي هو المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية في بلاد المغرب والأندلس. له ترجمة في الإحاطة.

[2] نسخ خطأ؛ وهو أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي؛ (وليس أبو عثمان كما نسخ)؛ تولى قرطبة ثم غرناطة. في عهد أخيه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن.

[3] هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد المؤمن بن علي والي غرناطة من قبل إخيه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي.

[4] هو أبو إبراهيم إسماعيل بن عبد المؤمن بن علي؛ ولاه أخوه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي والياً على إشبيليا سنة 561هـ/1165م.

[5] هو الأمير أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن علي. كان في عهد أبيه والياً على بجاية. بجاية.

[6] هو أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن علي؛ يعرف بالمخلوع؛ لأنه كان ولي عهد أبيه، وخلع.كان في وقت أبيه والياً على قرطبة.

وتَمَلَّكها **المتوكِّل على الله**؛ أمير المؤمنين؛ **أبو عبد الله محمد يوسف بن هُودْ**[1] في عام ستة عشرين وستمائة[2].

ثم لم يَنْشِب [3] أن تَمَلَّكها أمير المسلمين؛ **الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الخَزْرَجِي**[4]؛ جَدُّ هؤلاء الأمراء الكرام موالينا؛ رحم الله من دَرَج منهم، وأعان من خَلِفه، إلى أن توفي عام أحدٍ وسبعين وستمائة[5].

---

[1] هو المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي (ت: سنة 634هـ/1237م). كان في سرقسطة، ثم ثار على الموحدين سنة 625هـ/1227م؛ حين شاخت دولتهم، واستولى على مرسية وأعلن الدعوة إلى الخلافة العباسية ببغداد، وبعد فترة تمكن من توسيع إمارته؛ حتى شملت إشبيلية وغرناطة والجزيرة الخضراء؛ ولكن ابن الأحمر ثار عليه في غرناطة؛ داعياً لبني أبي حفص بإفريقية؛ فالتحقت به قرطبة سنة 629هـ/1231م. له ترجمة في الإحاطة.

[2] الموافق لـ 1228م.

[3] أي لم يلبث.

[4] هو الغالب بالله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري المعروف بمحمد الشيخ ولد بحصن من حصون قرطبة يسمى أرجونة سنة 595هـ/1199م وتوفي بغرناطة سنة 671هـ/1273م؛ هو مؤسس دولة بني الأحمر في الأندلس المعروفة بالدولة النصرية؛ بعد أن ثار على ابن هود.

[5] الموافق لـ 1273م.

ثـم ولِيَ الأمـر بعـده ولـده وسَمِيُّـه **محمـد بـن محمـد**[1]؛ فقام بها أحْمَدَ قِيام، وتـوفي عـام إحـدى وسبعمائـة[2]، ثـم ولـى بعـده سَمِيُّـه **محمـد**[3]؛ إلـى أن خلـع يـوم عيـد الفطـر؛ مـن عـام ثمانية سبعمائة[4]، وتـوفي عـام أحـد عشر وسبعمائة[5]؛ وسبعمائة[5]؛ في ثالـث مـن شَـوَّال منـه، ثـم ولـى بعـده أخـوه **نَصْر ابـن مولانـا أميـر المسلميـن أبي عبـد الله**[6]؛ فأرتَـبَ أمرُه، أمرُه، وطلب المُلك اللاّحقُ بـه[7]، مولانـا أميـر المسلميـن **أبـو الوليـد إسماعيـل بـن فـرج**[8]؛ فغَلَـب عـلى الإمـارة، ثـاني

---

[1] ثـاني ملـوك بـني الأحمـر؛ وهـو أبـو عبـد الله محمـد بـن محمـد بـن يوسـف ابـن نصـر؛ ولـد بغرناطة سـنة 633هـ/1235م، وتـوفي بهـا سـنة 7001هـ/1301م. ترجـم لـه ابـن الخطيـب في الإحاطـة.

[2] الموافـق لـ 1301م.

[3] ثالـث ملـوك بـني الأحمـر؛ وهـو أبـو عبـد الله محمـد بـن محمـد بـن محمـد ابـن يوسـف بـن نصـر؛ خلـع عـن الملـك؛ وتـوفي بغرناطـة سـنة 711هـ/1311م. خصـه ابـن الخطيـب بترجمـة في الإحاطـة.

[4] الموافـق لـ 1308م.

[5] الموافـق لـ 711هـ/1311م.

[6] رابـع ملـوك بـني الأحمـر؛ وهـو أبـو الجيـوش نصـر بـن محمد بن محمد بـن يوسف بن نصر الخزرجي الأنصاري؛ ولد سنة 686هـ/1287م وتوفي بوادي آش سنة 722هـ/1322م؛ خلع أيضاً عن الملك. خصه ابن الخطيب بترجمة.

[7] في ج، والملكيـة: ((إلى أن لحـق بـه)).

[8] خامـس ملـوك بـني الأحمـر؛ وهـو أبـو الوليـد إسماعيـل بـن فـرج بـن إسماعيـل بـن يوسـف بـن نصر الخزرجي الأنصاري؛ ولد سنة 677هـ/1279م وتوفي سنة 725هـ/1325م. خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

عشر ذي القعدة ؛ من عام ثلاثة عشرة وسبعمائة[1]؛ وانتقل **نصر** إلى **وادي آش** مَخْلوعاً، مُوَادعاً فيها إلى أن مات عام [اثنين وعشرين][2] وسبعمائة[3]. وتمادى مُلْك السلطان أمير المسلمين **أبي الوليد** إلى السادس والعشرين من رجب ؛ عام خمسة وعشرين وسبعمائة[4]، ووثب عليه بعض قَرابته قَرابته فقتله، وعُوجِل بالقتل مع مَّن حضر منهم. وتولّى المُلْك ـ بعده ـ ولده **محمد**[5]؛ واستمر سلطانه إلى ذي الحجة من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة[6]، وقتل بظاهر جبل الفتح[7]، وولي بعده أخوه مولانا السلطان **أبو الحجاج**[8] لُباب هذا البيت ، وواسطة هذا العقد، وطراز هذه

---

[1] الموافق لـ 1313م.

[2] في ك: ((عام.... وسبعمائة))؛ حيث وجد بياض في موضع التاريخ. أما في في ج؛ فكتب: ((عام اثنين وسبعمائة)). لذا فقد صحح عنان الخطأ.

[3] الموافق لـ 1322م.

[4] الموافق لـ 1325م.

[5] سادس ملوك بن الأحمر؛ وهو محمد بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ابن نصر الخزرجي الأنصاري؛ ولد سنة 715هـ/1314م وتوفي مقتولاً سنة 734هـ/1333م. تولى الحكم بعد اغتيال والده سنة 725هـ/1325م. خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

[6] الموافق لـ 1333م.

[7] هو جبل طارق؛ ويقال أن الذي سماه بجبل الفتح هو عبد المؤمن بن علي.

[8] سابع ملوك بن الأحمر؛ وهو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج ابن إسماعيل بن يوسف بن نصر الخزرجي الأنصاري؛ ولد سنة 718هـ/1318م وتوفي سنة 755هـ/1354م. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.

الحِلية، ثـم اغتالـه مَمْرور[1]؛ مـن أخابيـث السُّوقـة؛ قيَّضَـه الله إلـى شهادتـه؛ ومـن جعلـه سببـاً لسعادتـه؛ فأكَـبَّ عليـه في الرَّكْعَة الآخرة من ركعتي عيد الفِطر؛ بيـن يـدي المحـراب؛ خاشعـاً، ضارعـاً؛ في الحـال الـذي أقرب مـا يكـون العبْد مـن ربّـه، وهـو ساجـدٌ؛ وضربـه بخنجـر مـهيء[2] للفتـك بـه؛ في مثل ذلك الوقـت. كـان ـ زعمـوا ـ يحاول شّخْـذه[3] منـذ زمـان. ضَرْبةً واحـدةً؛ عـلى الجانـب الأيْسـر مـن ظهـره، في ناحيـة قلْبـه، فقَـضى عليـه. وبُـودر بـه فقُتِـل. وولـى الأمـر بعـده **محمـد**[4]؛ ولـده أكبـر بَنيـه، وأفضـل ذويـه، خَلْقـاً، وخُلُقـاً، وحيـاءً، وجـوداً، ووقـاراً، وسلامـةً وخَيْرِيَّـة؛ ودافـع دولتـه

[1] يقصد: حاقد عليه.

[2] حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((مهيئاً))؛ بالنصب.

[3] هكذ؛ ولعله خطأ من الناسخ؛ والصحيح ((شحذه))؛ بالحاء المهملة؛ والمقصود الخنجر؛ فيقال: شحذه: أي أحده.

[4] ثامن ملوك بني الأحمر؛ وهو الغني بالله محمد أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الخزرجي الأنصاري؛ ولد سنة 739هـ/1339م وتوفي سنة 793هـ/1391م. تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 755هـ/1354م؛ فأبقى وزير أبيه ابن الخطيب في منصبه. وبعد فترة انقلب عليه أخوه إسماعيل؛ فهرب إلى وادي آش، ثم إلى إفريقية؛ بينما زج بوزيره ابن الخطيب في السجن؛ إلى أن شفع فيه ملك المغرب أبو سالم المريني؛ فأطلق سراحه. وتمكن الغني بالله من استعادة ملكه سنة 763هـ/1361م؛ فأعاد ابن الخطيب إلى منصبه؛ ولكنه ما فتئ أن سخطه ونكبه. خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

مـن لا يعبـأ الله بـه [1] ؛ ثـم تـدارك الأمـر سبحانـه ؛ وقـد أشْـفَى، ودافـع وكـفى ؛ بمـا يـأتي في محلـه إن شـاء الله. وهـو أمير المسلمين لهذا العهد ؛ متَّعَ الله به، وأدام مدته، وكتب سعادته، وأطلق بالخير يده، وجعله بمراسيم الشريعة من العاملين، ولسلطان يوم الدين من الخائفين، المُراقِبين، بفضله. وقد أتينا بما أمكن من التعريف بأحوال هذه الحَضْرة على اختصار. ويأتي في أثناء التَّعْريف برجالها كثيرٌ من تفصيل ما أُجْمِل، وتَتْميم ما بَدَأَ، وإيضاح ما خَفِي ؛ بحول الله تعالى.

***

[1] يقصد أخوه إسماعيل الثائر عليه، ومغتصب العرش.

القِسـم الثـاني
في حُـليِ الزَّائِـر وَالقَّاطِـن وَالمتحَـرِّك وَالسَّاكِـن

أحمد بن خلف

ابن عبد الملك الغسّاني القُلّيْعي[1]؛ من أهل غرْناطة، يُكْنى أبا جعفر؛ من جلّة أعيانها؛ تُنسب إليه الساقية الكبرى الجارية لطوْق[2] الحضرة إلى إلبيرة، وما والاها.

حاله

قال **ابن الصَّيْرفي**: كان الفقيه **أبو جعفر القُلَيعي** - من أهل **غرناطة** - فريد عصره، وقريع[3] دهره؛ في: الخير، والعلم، والتّلاوة، وله حِزْبٌ من اللّيْل، وكان سريع الدّمعة[4]، كثير الرواية[5]؛ وهو المُشار إليه في كل نازلة، وله: العَقْد، والحلُّ، والتقدُّم، والسَّابقة؛ مع مُنَّة في جلائل الأمور، والنهضة بالأعباء، وسُمُوِّ الهمَّة.

---

[1] ذكر في الصلة: أنه ((أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني)).
[2] في ج: ((بطوق))؛ فصوبت من الملكية.
[3] في ج: ((مريع))؛ أي وافر المرعى الخصب. أما في (ر، م)؛ فكتبت: ((قريع)).
[4] في ك، والملكية: ((الذمة)).
[5] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الراية)).

غريبةٌ في شأنه

قال: كان **باديس بن حبُّوس** ـ [أمير بلده][1] ـ يتفرَّس فيه أنَّ مُلْك دولته، ينقرض على يديه. فكان ينصب[2] لشأنه أكلُباً[3]، ويتملط بسيفه[4] إلى قتْله؛ فحماه الله منه بالعلم، غلَّ يده، وأغْمد سيفه، ليقضي الله أمراً كان مفعولا.

[1] هذه الإضافة من (ر. م).
[2] في المخطوطين: ((نصب)).
[3] يقصد: حبك له ما يضايقه ونصب له بغضاً، ومعاداة؛ كبغض الكلاب لبعضها بعضاً.
[4] أي اختلس سيفه.

مشيختــه

وروى عـن: **أبـي عمـر[1] بـن القطّـان، وأبـي عبـد الله ابـن عتّـاب[2]، وأبي زكريـا القُلَيـعي[3]، وأبي مـروان بـن سَـراِج[4]؛** وكـان ثقـة صَدُوقـاً؛ أخـذ عنه النـاس.

محنتــه

ولمـا أجـاز أميـر **لَمْتونـة يوسـف بـن تاشفيـن** البحـر [مُسْتَـدعى إلـى نصـر **المسلميـن**][5]؛ ثـاني حركاتـه إلـى **الأندلـس**، ونـازل **حصـن أليـط**[6]، وسـارع **ملـوك**

[1] في المخطوطين: ((على)). هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال القرطبي شيخ المالكية في قرطبة؛ يعرف بابن القطان؛ ولد سنة 390هـ/999م وتوفي ببلدة باغة أثناء ذهابه من قرطبة إلى المرية؛ للعلاج من الفالج بالاستحمام في حامتها؛ وذلك سنة 460هـ/1067م.

[2] هو أبو عبد الله محمد بن أبي عتاب المالكي الأندلسي؛ توفي سنة 462هـ/1069م، وشيعه المعتمد بن عباد. كان من أئمة المالكية بديار الأندلس.

[3] يبدو أنه يكنى بأبي بكر؛ وهو يحيى بن محمد بن حسين الغساني القليعي الغرناطي؛ فقيه ومحدث؛ توفي سنة 442هـ/1050م.

[4] هو الحافظ أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله؛ أمام الأندلس في وقته في علم اللغة العربية؛ توفي سنة 489هـ/1095م.

[5] هذه الإضافة من (ر. م).

[6] يعرف الآن Aledo؛ وهو حصن حصين اتخذه النصارى للمناعة؛ ويقع بين مدينتي: مورسية، ولورقة. أما حصار المرابطين له فكان في سنة 483هـ/1090م. غير أن ملك قشتالة ألفونسو السادس تمكن من إفشال الحصار. وقد أورد د. طويل بعض الأسماء التي نسبت إلى هذا الحصن؛ كما ذكر مدى اختلاف الناس عليها؛ وقد نقل ذلك عن ((كتاب مملكة

الطوائــف[1] إلـى المسِيـر في جُمْلتـه ؛ كـان ممـن وصـل إليـه الأمير **عبـد الله بـن بُلُكِّيـن**[2] **بـن باديس** ؛ صاحب **غرناطـة** ؛ ووصـل صحَبَتُه **الوزير أبـو جعفـر بـن القُليـعي** ؛ لرغبتـه في الأجـر ؛ مـع شهـرة مكانـه ، وعلـوِّ منصبـه ، ولنهـوض نظرائـه[3]؛ مـن زعمـاء الأقطـار ؛ إلـى هـذا الغـرض. وكـان مضْربُ خيام **القُليعي** ؛ [قريباً من مَضْرب] حفيـد **باديـس**[4]. ولمنزلته عند **يوسف بـن تاشفيـن** ؛ ولـه عليها الحفـوف[5]، ولـه بـه استبـدادٌ ، وانفـرادٌ كثير ، وتـردُّدٌ كثير[6]؛ حتى نـفى[7] بذلـك

غرناطة في عهد بني زيري البربر))؛ للدكتورة مريم قاسم. ومن تلك الأسماء: (أليبط، وأليط، وليط، والليط، ولبّيط، ويلبط، ويلبيط، وليبط).

[1] ملوك الطوائف: اسم يطلق ـ في الأندلس ـ على مجموعة من زعماء العشائر والطوائف؛ المختلفة الأصول والأعراق والأنساب؛ انتهزت تلك الفئات الوضع المتردي الذي سقطت فيه الدولة الأموية بالأندلس؛ حين ظهرت بوادر الانقسام في وسط العائلة المالكة؛ فانتزى كل زعيم وثائر بمقاطعة أو مدينة؛ ثم أعلنوا انفسهم ملوكاً وأمراء في شتى البقاع بالأندلس. فعرفوا منذئذ بملوك الطوائف.

[2] في المخطوطين: ((بلقين)).وبالكاف أكثر استعمالاً .

[3] في الملكية: ((قرابته))،. وصوبت من (ر. م).

[4] أي سلطان غرناطة عبد الله. ما بين الحاصرتين وردت في (ر. م) عوضاً عنها: ((في محلة)).

[5] الحفوف ـ هنا ـ الاحتيج.

[6] سقطت في ت.

[7] أي أنكر وتبرم.

حفيد **باديس**، وأنْهَم عَنيَه[1]. قال المؤرخ: وكيفما دارت الحال؛ فلم يخَل من نصح لله، ولأمير المسلمين.

قلت: حفيد **باديس** كان أدْرَى بدائه، قصّر الله خطانا من مدارك الشُّرور. فلما صدر[2] حفيد **باديس** إلى **غرناطة**؛ استحضره، ونجهَه[3]؛ وقام من مجلسه مُغْضباً؛ وتعلقت به الخَدَمة، وحفَّت به الوَزَعة[4] والحاشية[5]، وهموا وهموا بضربه؛ إلاَّ أن **أمّ عبد الله** تطارحت على ابنها في استحيائه؛ فأمره بتخليصه، وسجنه في بعض بيوت القصر؛ فأقبل فيه على العبادة، والدعاء، والتِّلاوة؛ وكان جَهير الصوت، حسن التلاوة، فارتجَّ القصر، وسكنت ـ لاستماعه ـ الأصوات، وهدأت له الحركات، واقشعرَّت الجُلود، وخافت **أم عبد الله** على ولدها؛ عقاباً من الله بسببه؛ فلاطفته حتى حَلَّ عِقَاله، وأطْلقه من سجنه. ولما تخلَّص؛ أعدّها[6] غنيمة. وكان [جَزْلاً، قويَّ

---

[1] أنهم: زجر ولجم. عنيه: أي لجامه. وفي المخطوطين: ((غيبه))؛ وصوبت من ت.
[2] في (ر. م) والملكية: ((صار)).
[3] نجه نجهاً الرجل: رده أقبح الرد.
[4] الوزعة: من يزع، ويدفع المكاره ويصد الشر.
[5] في ك: ((الحارسية))، وفي ت: ((الجلسة))؛ وقد صوبت من (ر. م).
[6] في: (ر. م): ((اعتدها)).

القلب][1]، شديد الجزم[2]. فقال: الصَّيْد بِغُراب أكْيس[3]؛ فاتخذ الليل جملاً[4]؛ فطلع له الصباح **بقلعة يَصْبُحُب**؛ وهي لنظر **ابن عبّاد**[5]؛ وحث ـ منها ـ السَّير إلى **قرطبة**؛ فخاطب ـ منها ـ **يوسف بن تاشُفِين** بملئ فيه؛ بما حرَّكه، وأطعمه؛ فكان من حركته إلى **الأندلس**، وخَلْع **عبد الله ابن بُلكِّين** من **غرناطة**، واسْتيلائه عليها، ما يَرِد في اسم **يوسف بن تاشفين** إن شاء الله. وبدا لحفيد **باديس** في أمر **أبي جعفر القُليعي**، ورأى أنه أضاع الحزم [في إطلاقه؛ فبحث][6] عنه من الغد[7]، وتقصت[8] عنه البلدة؛ فلم يقع

---

[1] حرفت في (ر.م) فكتبت: ((حولا قلباً)).

[2] في ت: ((الجزم)).

[3] يقصد أنه قال لنفسه: عاش من عرف قدره؛ واتبع سبيل الغراب الكيس. إذ اشتهر عن الغراب أنه لا يجيد الصيد؛ وعليه فهو كيس في تحقيق غرضه من الطعام.

[4] فاتخذ الليل جملاً: مثل يضرب للذي يتخذ الليل وقتاً للقراءة أو الصلاة أو غيرهما؛ الأمر الذي يسدعي ركوب الليل. ولكنه هنا يقصد أنه ركب الليل مثل ركوبه للجمل في خروجه من غرناطة؛ فراراً.

[5] هو أبو القاسم المعتمد على الله محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي؛ ولد في باجة (وتقع حالياً في البرتغال) سنة 431هـ/1040م، وتوفي في أغمات بالمغرب الأقصى سنة 488هـ/1095م. وابن عباد هذا ملك إشبيليا وأحد الشعراء الفحول بالأندلس.

[6] ما بن الحاصرتين ورد في (ر.م)؛ بينما وجد في موضعه بياض في ك. أما أما في ج؛ فكتبت: ((في البحث)).

[7] في المخطوطين: ((العدو)).

[8] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((نقصت)).

يقع له خَبَر؛ إلى أن اتَّصل به خبر نجاته، ولحاقه بمأمنه؛ فرجع باللائمة على أُمِّه، ولات حين مَنْدم[1]. ولم يزل **أبو جعفر** مدّته في دول الملوك - من **لَمْتونة** - معروف الحقّ، بعيد الصّيت والذّكر، صَدْرَ الحضْرة، والمَخْصوص بِعُلُوٍّ المرتبة إلى حين وفاته[2].

***

[1] أي لا يفيد الندم.

[2] نقل د. طويل عن كتاب الصلة تاريخ وفاته؛ وهو: في شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وتسعين وأربعمائة. [الموافق لسنة 1104م.].

أحمد بن محمد

ابن يزيد الهمداني اللخمي
من أهل غرناطة.

حالــه

كـان فقيهـاً وزيـراً وجليـلاً حسيبـاً حافـلاً.

وفاتــه

تـوفي **بإلْبيـرة** قبـل الثلاثيـن وأربعمائـة[1]. ذكـره **أبـو قاسـم الغافــقى**[2] في تاريخــه، **وابـــن اليســـر**[3] في مختصـــره، وأثـــنى عليـه[4].

***

[1] الموافـق لـ 1038م.

[2] هـو أبـو القاسـم محمـد بـن عبـد الواحـد بـن إبراهيـم الغافـقي المـلاحي؛ نسبـة إلى قريـة في مقاطعـة غرناطـة؛ ولـد سنـة 549هـ/1154م وتـوفي في سنـة 619هـ/1222م. ترجـم لـه ابـن الخطيـب في الإحاطـة. وكتابـه في التاريـخ عنوانـه: تاريـخ علمـاء إلبيـرة؛ سبقت الإشـارة إليـه.

[3] هـو أبـو سهـل اليسـر بـن عبـد الله بـن محمـد بـن خلف بـن مروان بن اليسر القشيري؛ من علماء النصف الأول من القرن السابع الهجري الموافق للنصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي. وهو أحد علماء الحديث بالأندلس.

[4] وردت هـذه الترجمـة في (ر. م) قبـل ترجمـة ابـن أضـحى؛ بينمـا لـم تـرد في بـاقي المخطوطـات. وعليـه رأى عنـان أن يثبتهـا في موضعهـا؛ حيـث وجـدت.

أحمد بن محمد

ابن أضْحى[1] بن عبد اللطيف بن غريب بن يزيد
ابن الشِّمر بن عبد شمس بن غريب
الهمداني الإلبيري.

من نزلاء **قرية همدان**[2]؛ ذكره **ابن حَيَّان**، **والغافِقي**[3]، **وابن مَسْعَدة**[4]، وغيرهم. وقال جميعهم: كان من أهل البلاغة، والبيان، والأدب، والشعر البارع.

---

[1] توجد ترجمة أحمد بن محمد بن أضحى أيضاً في الذيل والتكملة، والحلة السيراء؛ حيث كتب ((خالد)) بدل ((غريب))؛ وقد شرح ذلك ابن الأبار حين قال: ((وخالد يقال له: الغريب)).

[2] تعرف الآن بـ Alhendin. وقد عرفت في السابق.

[3] ابن حيان: صاحب المقتبس، والغافقي: صاحب تاريخ علماء إلبيرة؛ سبق الحديث عنهما.

[4] هو أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مسعدة الغرناطي؛ توفي بمالقة سنة 699هـ/1299م. له كتاب سماه ابن الخطيب: تاريخ قومه وقرابته. وستأتي ـ في الصفحات الآتية من الإحاطة ـ ترجمة له.

مناقبه

قــدم عــلى الخليفـــة **أبــي مطـرف عبــد الرحمــان**[1]؛ فقــام خطيبــاً بيــن يديــه، فقــال[2]: الحمد لله المُحْتجب بنـور عَظمتـه، عـن أبصـار بَريَّتـه، والـدَّال بحـدوث خلقـه عـلى أوَّليَّتــه، والمنفــرد بمــا أتْقــنَ مــن عجائــب دهــره ومِنَــنِ[3] صَمَدِيَّتِـه، وأشهـد أن لا إلــه إلاّ الله وحــده، لا شريـك لـه إقراراً بِوَحْدَانِيَّتـه[4]، وخضوعـاً لعِـزَّه[5] وعظمتـه؛ وأشهـد أنّ محمــداً عبــده ورسولــه[6]؛ انتَخَبــه مــن أطيــب[7] البُيوتــات، واصطفــاه مــن أطيــب البيوتــات[8]؛ حــتى قبضــه الله إليــه، واختـار لـه مـا لديه؛ وقـد قبـل سَعْيـه، وأدَّى أمانتـه، فصـلى الله عليـه وسلـم تسليمـاً. ثـم إنّ الله لَمَّـا أن بعثـه[9] مـن أكـرم

---

[1] يقصد بـأبي المطـرّف عبـد الرحمـن بـن معاويـة بـن هشـام بـن عبـد الملـك ابـن مـروان الأمـوي؛ المعـروف بعبـد الرحمـن الداخـل، وبصقـر قريـش؛ ولـد في دمشـق سنـة 113هـ/731م وتـوفي بقرطبـة سنـة 172هـ/788م. وهـو الـذي أسـس دولـة الأمويين بالأندلـس؛ بعـد دخولـه قرطبـة سنـة 138هـ/755م.

[2] توجـد هـذه الخطبـة أيضـاً في الذيـل والتكملـة.

[3] في الذيـل والتكملـة: ((وسنـن)).

[4] في ك، وفي الذيـل والتكملـة: ((بربوبيتـه)).

[5] في الذيـل والتكملـة: ((لعزتـه)).

[6] نفسـه: ((عبـده الأمي، ورسولـه المكـي)).

[7] نفسـه: ((مـن أكـرم الأرومـات)).

[8] هكـذا كتبـت في ج، والملكيـة؛ بينمـا وجـد في موضعهـا بيـاض في: ك.

[9] في ج، والملكيـة: ((ابتعثـه)).

خلْقـه، وأكرمـه[1] برسالتـه، وأنـزل عليـه مُحْكَـم تنْزيلـه، واختـار لـه مـن أصحابـه وأشياعـه مخلفـاً[2]؛ جعـل منهـم أئمـة يَهْدُون بالحـق[3]، وبه يعْدِلـون؛ فجعـل الله الأميـر ـ أعـزه الله ـ وارث مـا خلَّفـوه مـن معاليهـم[4]، وبـانى مـا أسَّسـوه مـن مشاهدهـم؛ حتى أَمَّـنَ المسالـك[5]، وسكّـن الخائـف؛ رحمـة مـن الله؛ ألْبَسَـه، وطوقـه فضيلتَهـا[6].

[1] في ج،: ((وكرمـه)).

[2] أي مـن يخلفـه. وفي الذيـل والتكملـة: ((وأشياعـه فمـن بعدهـم خلفـاء)).

[3] إحالـة إلى قولـه تعـالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُـمْ أئِمَّـةً يَهْدُونَ بأمْرِنَـا وَأوْحَيْنَـا إلَيْهِـمْ فِعْلَ الخَيْـرَاتِ وإقـامِ الصَّـلاَةِ وَإيتَـاءَ الزَّكَـاةِ وكَانُـوا لَنَـا عَابدِيـنَ**﴾. سـورة الأنبيـاء؛ الآيـة: 73. وقولـه سبحانـه وتعـالى: ﴿ **وَجَعَلْنَـا مِنْهُـمْ أئِمَّـةً يَهْدُونَ بأمْرِنَـا لَمَّـا صَبَـرُوا وَكَانُـوا بآيَاتِنَـا يُوقِنُـونَ**﴾. سـورة السجـدة؛ الآيـة: 24.

[4] في الذيـل والتكملـة: ((معالمهـم)).

[5] في ك: ((المناسـك)).

[6] في الذيـل: ((مجـد فضيلتهـا)).

(وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ)[1]، (ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ)[2].

الله[3] أعطـــاكَ الـــتى لا فَوْقَهـــا
وقـــدْ أرادَ المُلْحِـــدُونَ عَوْقهـــا
عَنْـــك ويَـــأبَى الله إلاَّ سَوْقهـــا
إليـــكَ حـــتَّى قلَّـــدوك طَوْقهـــا

ثـم أردف قولـه بهـذه الأبيـات[4]:

أيا مَلكاً تُرْمَى به قُضُبُ الهنـــد[5]
إذا لَمَعَـــْت بين المَغافر والصَّرد[6]

---

[1] الآيـة كاملـة هكـذا: ﴿ **قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يُكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المَالِ قَالَ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾. سـورة البقـرة؛ الآيـة: 247. وفي النسخـة الـتي ضبطهـا وشرحهـا يوسـف طويـل؛ أورد آيـة أخـرى غيـر هـذه؛ وهـي الآيـة: 105 مـن سـورة البقـرة؛ وهي الـتي يقـول فيهـا سبحانـه وتعـالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾. ولا نـدري مـن أين أتى الدكتور طويل بهذه الآية؛ مع أن أصل النص أورد الآية السبقة.

[2] وردت في غير هذه الآية؛ في سور عديدة.ومنها التي ذكرها الدكتور يوسف آنفاً .

[3] **هــذان البيتــان مــن بحــر الرجــز. وفي الذيــل كتبــت: ((فاللــه)).**

[4] هـذه القصيـدة مـن البحـر الطويـل.

[5] في الذيـل كتبـت ((تـزهى)) بـدلاً مـن تـرمى. وورد هـذا الشطـر في المخطوطيـن هكـذا:
((أيـا ملكـا تـزهى بـه قلـوب الهنـد)). أمـا في الملكيـة فكتـب:
((أيا ملكاً تزهى قلوب الهدى به)). والتصويب من الحلة السيراء؛ لأبن الأبار.

[6] في الذيـل: ((الـزرد)).

ومَنْ بأْسُه في مَنْهل الموت واردٌ

إذا أنْفُسُ الأبطال[1] كلَّت عن الورْد

ومنْ ألْبَسَ اللهُ الخلافَـــةَ نِعْمـــةً

به فاقت النَّعْما وجَلّت عن الحـــد[2]

فلو نُظِمتْ مَرْوانُ في سِلْكِ فَخْرها

لأصبَح من مَرْوان واسِطة العِقْـــد

تجَلَّى على[3] الدُّنْيا فأجْلَى[4] ظَلامَها

كما انجلتِ الظَّلْماءُ عنْ قَمَرِ السَّعْدِ

إمامُ هُدَى أضْحَتْ به العُــرْبُ غَضَّـــةً[5]

مُلَّبَســـةً نُـــورًا كَواشِيـــة البـــُرْد[6]

---

[1] هكذا في ج، والحلة السيراء؛ أما الملكية فكتب: ((الأعداء)). أما ((كلت)) التي بعدها فكتبت في الذيل: ((كَفَّت)).

[2] في الذيل والحلة: ((فاتت النُّعمى فجلَّت عن العَدِّ)).

[3] في الملكية، والذيل: ((عن)).

[4] في الذيل، والحلة: ((فجلّى))

[5] في الحلة السيراء والذيل: ((إمام هدى زيدت به الأرض بهجة)).

[6] في الذيل والحلة: ((كموشية البرد)).

كفَاني لَدَيه[1] أن جَعَلْتُ وسايـــلي[2]

ذماماً شآميَّ[3] الهوى مخلص الودِّ

يؤكـــد ما يـــدلي به من مثابـــة[4]

خلوص[5] أبيه عبد الفارس الجنـــد[6]

تأمل رُواه[7] وَالرِّمـــاح شَواجـــرٌ

وخَيْـــلٌ إلى خَيْلٍ بأبطالها تُـــردِي

رأى أسداً ورداً يَخِفُّ[8] إلى الوَغَى

ورَأَيْتُهُ[9] أرْبَى على الأسد الـــورد

فأنْعِم عليه اليَوْم[10] يا خَيْر مُنْعِـــمٍ

بإظهار تَشْريفٍ[11] وعقدِ يدٍ عِنْدِي

---

[1] ((لديـه)) سقطـت في المخطوطيـن وثبتـت في الحلـة السيـراء.

[2] في الحلـة السيـراء والذيـل: ((وسيلـتي)).

[3] ((شآمي))سقطت في المخطوطين والملكية؛ ووردت في الحلة السيراء. بينما ورد هذا الشطر في الذيل والتكملة هكذا: ((ذمام هشامي الهوى خالص الود)).

[4] في الذيـل والتكملـة: ((متانـة)).

[5] نفسـه: ((لبـاس)).

[6] نفسـه: ((النجـد)).

[7] نفسـه: ((فـتى مـن رآه)).

[8] في الذيـل: ((يخـب)).

[9] نفسـه ((وربتمـا)).

[10] في الذيـل: ((في)).

[11] نفسـه: تشريـفي)).

ولا تُشْمِتِ الأعْداءَ انْ جِئْتُ قاصداً

إلى مَلِكِ الدُّنْيا فأُحْرَمُ من[1] قَصْــدِي

فَعِنْدَ الإمام المُرْتَضَى كُلُّ نِعْمَةٍ

وشُكْرًا لِما يلحيه[2] من نِعْمَةٍ عِنْــدِي

فلا زالَ في الدُّنيا سَعيداً مُظَفَّراً

وبُوِّئَ في دار العُلَى جَنَّــة الخُلْــدِ

---

[1] في الذيـل: ((في)).

[2] في ك: ((يليـه)). وفي الذيـل: ((يوليـه)).

وكان من بيت سماحة[1]، وفصاحة، وخطابة؛ فعلا[2] شرفه بهذه الخصال؛ فسُجِّل له على أرحِيةٍ[3]؛ وحِصْنٍ نبيلٍ **ببني هود**[4]، وغير ذلك؛ فانقلب مَرْعِيِّ الوسائل، ومَقْضِيِّ الرَّسائل[5].

[قال المؤلف أرى **ابن فركون** قبل الست عشرة والثلاثمائة][6].

***

[1] في الذيل: ((بسالة وحماسة)).
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فإلى)). وفي الذيل كتب: ((فإلى شرفه بهذه الخصال أشار)).
[3] الأريحية: الخصلة التي تجعل الإنسان في غاية الرضى حين يقوم بأفعال حميدة.
[4] بنو هود: قبيلة قحطانية؛ من بطن جُذام؛ ظهرت لهم قوة وشأن في عصر الطوائف؛ حين أقاموا إمارة لهم بسرقسطة الأندلسية.
[5] كتب في الذيل والتكملة: ((مقضي المسائل)). وتلت هذا ـ مباشرة ـ عبارة في غير موضعها، ولا معنى لها؛ فارتأيت وضعها في الهامش؛ منعاً لكل التباس. وهذه العبارة هي: ((قال المؤلف: أرى ابن فركون قبل الست عشرة والثلاثمائة)).
[6] علق عنان بقوله بما معناه: العبارات المذكورة ما بين الحاصرتين؛ وردت في المخطوطات الأربعة؛ بعد هذه الترجمة. غير أن إثبات هذه العبارات هنا لا تعني شيئاً؛ ومبهمة؛ إذ لا علاقة لها بما تقدم أو تأخر بعده من ترجمة ابن فركون التالية؛ ومع هذا لا نرى أي مانع من إبقائها كما هي.

أحمد بن محمد

ابن أحمد بن هشام القرشي من أهل غَرْناطَة. يُكْنَى أبا جَعفر، ويُعْرف بابن فَرْكُون[1].

أوليته

وكفَى بالنَّسب **القرشي**[2] أوّليَّة.

حاله

من (**عائد الصلة**)[3]: كان من صُدُور **القُضاة**[4] بهذا **الصُّقْع**[5] **الأندلسي**؛ اضطلاعاً[6] بالمسائل، ومعرفة بالأحكام بالأحكام من مظَانِّها[7]؛ كثير المطالعة والدُّروب، وحِيَّ[8] الإجهاز في فصل القضايا، نافذ المَقْطَع، كثير الإجتهاد

[1] توجد ترجمة أحمد بن محمد بن فركون أيضاً في الكتيبة الكامنة، واللمحة البدرية، وتاريخ قضاة الأندلس، ونيل الابتهاج.
[2] قريش أشهر من علم؛ فهي قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وموطنهم مكة.
[3] عنوان كتاب لابن الخطيب؛ سبقت الإشارة إليه.
[4] في تاريخ قضاة الأندلس: ((صدور الفقهاء بهذا القطر الأندلسي)).
[5] في ك: ((السقع)).
[6] في تاريخ قضاة الأندلس: ((اطلاعاً)).
[7] حرفت في المخطوطات الأربعة؛ فكتبت: ((مضانها)).
[8] ((الوحيّ)) معناها العَجِل المُسْرِع. وحرفت في ت؛ فكتبت: ((وحير)).

والنظَّر، مشاركاً في فنون؛ من: عربية، وفقِه، وفرائض؛ طَيِّب النَّغَمة بالقرآن، حسن التلاوة، عظيم الوقار - بينَ طَبْعٍ ومَكْسوب - فائق الأُبَّهة، مُزْرياً بمن دونه من الفقهاء، وعاقدى الشروط، مُسْقِطاً للكُنَى والتَّجِلاَّت، يعامل الكهول معاملة الأحْداث، ويتهاون بتَعاَمُلات[1] ذلك؛ فيجعلها دُبُر أذنيه[2]، ويَسْتَرْسِلُ في إطلاق عنان النَّادِرّة الحَارة؛ في مجالس حُكْمِه؛ فضلاً عن غيرها؛ وجَدَ ذلك مَنْ يحمل عليها سَبَباً[3] للغرض منه.

نباهته

ترَشَّح بذاته، وباهِر أدواته، إلى قضاء المدن النَّبيهة، والأقطار الشهيرة: **كرُنْدَة، ومالَقة**[4]، وغيرها. ثم وُلِّي قضاء الجماعة[5]، في ظلّ جاهٍ، وضِمن حُرْمَة.

---

[1] حرفت في ج، والملكية؛ فكتبت: ((بتعامات)).

[2] في ك: ((أذنه)).

[3] في الملكية: ((سبيلا)).

[4] سبق الحديث عن مالقة؛ أما رندة فهي مدينة تقع في مقاطعة مالقة. كانت في السابق حاضرة لإقليم بالأندلس؛ ينتسب إلى رندة الشاعر الأندلسي أبو البقاء الرندي صاحب المرثية التي يقول فيها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرن بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سَرّه زمن ساءته أزمان

[5] أي قاضي القضاة وكبيرهم.

غريبة في أمره

حدث أنه كان يقرأ ـ في شَبيبته ـ على الأستاذ الصالح **أبي عبد الله بن مَسْتقور**[1]؛ بكرم له[2] خارج **الحضرة**، على أميال منها؛ في فصل العصير. قال: وَجَّهَني يوماً بغَلَّة من الرُّبِّ[3]؛ لأبيعه بالبلد؛ فأصابني مطرٌ شديد، وعدت إليه بحال سَيِّئة؛ بعدما قضيت له وطره؛ وكان له أخ أسنُّ منه؛ فعاتبه في شأني؛ وقال له: تأخُذُ صَبياً ضَعيفاً؛ تأتيك لفائدة يستفيدها، وتُعَرِّضُهُ لمثل هذه المَشَقَّة؛ في حَقِّ مصلحتك؛ ليسَ هذا من شِيَمِ العُلمَاء، ولاَ من شِيَمِ الصَّالِحين؛ فقال له: دَعْه؛ لا بُدَّ أن يكون قاضي الجماعة **بغرناطة**؛ فكان كذلك، وصدقت فراستُه؛ رحمه الله تعالى.

---

[1] هو المقرئ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي المعروف بمستقور. حرف الاسم في المخطوطين، وفي الملكية؛ فكتب: ((مسغور))؛ وبمراجعة كتاب قضاة الأندلس؛ يتضح أن اسم ((مستقور)) أصح.

[2] أي بمزرعة كرم (عنب) له.

[3] ثمار تطبخ، ثم تعصر؛ وهي خالية من الكحول.

مشيختــه

قرأ ـ بالقرية ـ على الأستاذ **أبي القاسم بن الأصفر**، **وبغَرْناطة** على العالم القاضي **أبي الحسن محمد بن يحيى ابن ربيع الأشعري**[1]، وعلى الشيخ المُفْتي **أبى بكر [محمد ابن]**[2] **أبي إبرهيم بن مُفَرَّج الأوسي بن الدبَّاغ الإشبيلي**[3]، وعلى الخطيب الزاهد **أبي الحسن العدّال**[4]، وعلى الأستاذ النَّحْوي **أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن الصّايغ**[5] - بالصاد المهملة، والغين المعجمة ـ وعلى الأستاذ **أبي الحسن الأُبَّدي**[6]، **وأبى عبد الله محمد بن إبراهيم الطّائي**، عُرف **بابن مستقور**[7]. ولما دالت الدولة ؛ كان له

---

[1] يسميه أيضاً أبا الحسن بن أبي الربيع؛ توفي سنة 687هـ/1287م. وهو فقيه له مشاركة في الفرائض والنحو؛ تولى قضاء غرناطة في حدود سنة 640هـ/1242م.

[2] ما بين الحاصرتين؛ سقط في ج.

[3] ستأتي ترجمته في الإحاطة.

[4] لعله الخطيب الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن فضيلة؛ توفي في أوائل سنة 696هـ/1296م.

[5] كل ما عرف عنه أنه نسب إلى إشبيلية، ومتخصص في علوم العربية والنحو؛ وقد تتلمذ عليه كثير من علماء وأعيان الأندلس في وقته؛ وهو من أعيان الثلث الأول من القرن الثامن الهجري الموافق للثلث الأول من القرن الرابع عشر الميلادي.

[6] بتشديد الباء وفتحها؛ نسبة إلى مدينة أبدة. وتسمى بالإسبانية: Ubeda؛ وتتواجد في الشرق من قرطبة؛ على مسافة قريبة من منابع نهر الوادي الكبير.

[7] سبقت الإشارة إليه.

في مُشَايعـة مَخْلُوعِهـا[1] أمـور اقْتَضَتْهَـا منـه أرْيحيَّـة[2]، وحسـن وفـاء؛ أوجبـت عليـه الخمـول؛ بعـد استقـرار دايلهـا؛ السلطان **أبـي الوليـد**[3] رحمـه الله؛ [وأصابتـه][4] أيـام الهَيْـج مِحَـنٌ، ونُسِبـتْ إليـه نقائـصُ؛ زَوَّرَتْهـا حَسَدَتْـه[5]؛ فَصُـرِفَ عـن القضـاء، وبـقي مـدة مهجـور الفِنـاء، ومضـاع المكـان، عاطِلَ الدَّولـة، مُنْتَبَذاً في مليك لـه؛ خـارج الحضـرة؛ يَنْحَـني علـى خرثِّيٍ[6]، ساقـط القيمـة، ودفاتـر ساقطـة الثمـن؛ يتعلَّـل بعُلالتهـا، ويـرجي الوقـت بيسيرهـا.

حدثـني الوزيـر **أبـو بكـر بـن الحكيـم**[7]؛ قـال: زرتُـه في منزلـه بعـد عَزْلـه[8]، ونسبـة الأمـور الـتى لا تليـق بمثلـه؛ فأنشـدني بمـا يُنـبئ عـن ضجـره، وضيـق صـدره[9]:

---

[1] يقصـد دولـة بـني نصـر؛ والسلطـان المخلـوع الـذي أشـار إليـه هـو أبـو الجيـوش نصـر بـن محمـد بـن يوسـف. ستـأتي ترجمـة لـه في الإحاطـة.

[2] حرفـت في ج؛ فكتبـت: ((رحبيـة))؛ فصوبهـا عنـان.

[3] هـو السلطـان أبـو الوليـد إسماعيـل بـن فـرج بـن إسماعيـل بـن يوسـف. ستـأتي ترجمـة لـه في الإحاطـة.

[4] هـذه الكلمـة أضافهـا عنـان؛ ليستقيـم المعـنى.

[5] في الملكيـة: ((حسـده)).

[6] الخُـرْثيّ: أرْدَأ المتـاع وساقطـه، وخـرثي الكـلام: مـا لا فائـدة فيـه.

[7] ستـأتي ترجمـة لـه في الإحاطـة.

[8] في ك: ((بعـد عزلتـه)).

[9] هـذه الأبيـات مـن بحـر المجتـث.

أنا من الحُكــم تائِــبْ وعن دعاويــه هــاربْ[1]
بعــد التَّفقُّــهِ عُمْــري[2] ونَيْــل أسْنى المَرَاتــبْ
وبعــد ما كنــْتُ أَرْقى على المنابــر خاطِــبْ[3]
أصبَحْــتُ أُرْمى بعــاَرٍ لِلْحالِ غَيــرِ مُناســبْ
أشكــو إلى الله أَمْــري فهو المُثيــبُ المُعاقــبْ

وثبت اسمه في التاريخ المسمى ((**بالتاج**))[4]؛ تأريخي ؛ تأريــخي ؛ بمــا نصــه : شيــخ الجماعــة وقاضيهــا ، ومُنفَّــذ الأحكــام ومُمضيهــا ، وشايــم[5] سيوفهــا الماضيــة ومُنْتَضيهــا ، رأس بفضيلــة نفســه ، وأحيــا دارس رســم القضــاء بدَرْسِــه ، وأوَدع في أرض الإجتهــاد ، بـذر السُّهــاد ؛ فجـنى ثمـرة غَرْسـه ؛ إلــى وقــار يَــودُّ رَضْــوى رجاحتــه[6]، وصــدر تحْسِــد الأرضُ الغبيطة ساحَته ، ونـادرة يدعوهـا فلا تتوقَّـف ، ويُلقي عصاهـا فتتلقَّــف. ولــم يــزَل يَطْمَــحُ بأمانيــه ، ويضطلــع بمــا يعانيــه ؛

---

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((راغـب)).
[2] نفسـه: ((دهـري)).
[3] سقـط هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة.
[4] كتـاب التـاج المحـلى في مساجلـة القـدح المعلى؛ لابـن الخطيـب؛ وهـو ملخـص لتاريـخ غرناطـة. وهـو مفقـود الآن.
[5] أي مستـل السيـف ومنتضيـه.
[6] حرفـت في ك؛ فكتبـت: ((رجاجتـه)).

حتى رُفِع إلى الرُّتبة العالية، وحصل على الحال الحالية. وكان له في الأدب مُشاركة، وفي قريض[1] النظم حصَّة مباركة؛ إنتهى إليَّ قوله ـ يُهَنِّئُ السلطان **أبا عبد الله بن نصر**[2]، بالإبلال من مرض في اقترانٍ: بعيد، وفتح ـ وذلك[3]:

شفاؤك للمُلْك اعتزازٌ وتأييدُ
وبُرْؤُك مولانا به عيدُنا[4] عيدُ

مَرِضْتَ فلم تأو النُّفُوس لِرَاحةٍ
ولا كان للدُّنيا قرارٌ وتمْهيدُ

[ولم تصبر عيني تود مولماً][5]
ولازمها طول اعتلالك تسهيد

---

[1] حرفت؛ فكتب في ك: ((مربضة))، وفي ج: ((مريضة))؛ والتصويب من الملكية.
[2] هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ ثالث ملوك بني الأحمر. ستأتي ترجمة له في الإحاطة.
[3] هذه الأبيات من البحر الطويل.
[4] في الكتيبة الكامنة: ((عندنا)).
[5] ورد هذا الشطر في ك هكذا: ((**ولم تصبر عيني توالى مؤلما**)). وفي الكتيبة الكامنة: ((ولم تستطعْ عينِي تراك مُؤَلَّما)). وهذا الأخير هو الأقرب للصواب.

وشعـره مختلـف عـن نمـط الإجـادة الـتي تناسـب محلَّـه في العلـم، وطبقته في الإدراك ؛ فاختصرتـه.

مولـده

عـام تسعـة وأربعيـن وستمائـة[1].

وفاتــه

في ســادس عشــر لــذي القعــدة ؛ عــام تسعــة وعشريــن وسبعمائـة[2]. ذكرتـه في كتـاب ((**عائـد الصّلـة**)) قاضيـاً، وفي كتاب ((**التَّاج المُحـلَى**)) قاضيـاً أديبـاً. وذكـره **أبـو بكـر بـن الحكيــم**[3] في كتـــاب ((**الفوائـــد المُسْتَغْربـــة، والمـــوارد المُسْتعذبـة**)) ؛ مـن تأليفـه.

***

[1] الموافق لـ 1251م.
[2] الموافق لـ 1328م.
[3] أبـو بكـر ابـن الحكيـم هـذا؛ يعـد مـن بيـن شيـوخ ابـن الخطيـب؛ وهـو ـ أيضـاً ـ ابـن الوزيـر الذائـع الصيـت أبي عبـد الله محمـد بـن الحكيـم. ولـد أبـو بكـر في سنـة 665هـ/1266م؛ وتـوفي سنـة 750هـ/1349م. تـولى بـدوره الـوزارة في غرناطـة. وقـد خصـه ابـن الخطيـب بترجمـة في الإحاطـة.

أحمد بن محمد

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى
ابن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جُزَيّ[1] الكلبي؛ من أهل غرناطة؛ ويعرف بابن جُزَيّ.

أوليَّته

معروفة، وأصالته شهيرة؛ تُنظر فيما مر من ذلك [عند][2] ذكر سلفه؛ وفيما يأتي في ذلك؛ بحول الله قوته.

حاله

من أهل الفضل والنَّزاهة، والهمّة، وحسن السِّمة، واستقامة الطَّريقة؛ غَرَب في الوقار، ومال إلى الانقباض، وترشَّح إلى رُتب سلفه. له مشاركةٌ حسنة في فنون؛ من: فقِه، وعَرَبيَّة، وأدب، وحفظ، وشعر؛ وتسمو[3] ببعضه الإجادة إلى غاية بعيدة.

---

[1] توجد ترجمة أحمد بن محمد بن جزي أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب.
[2] سقطت كلمة (عند) في المخطوطين؛ فأضافها عنان.
[3] في المخطوطين: ((سما))؛ فصوبها عنان.

مشيختــه

قـرأ عـلى والــده **الخطيــب أبــي القاســم**[1]، ولازمـه، واستظهــر[2] ببعــض موضوعاتــه، وتأديــب بــه. وقــرأ عــلى بعـض معاصري أبيـه، وروى؛ واستَجْلـب لـه أبـوه كثيـراً مـن أهـل صُقعـه، وغيرهـم.

نباهتــه

ثـم أُرْسِـم في الكتابـة السلطانيـة؛ لأول دولـة السابـع مـن الملـوك **النَّصَرييـن**؛ مَنْفِـق سـوق الحِلْيـة مـن أبنـاء جنسـه؛ **أبـي الحجـاج بـن نصـر**[3]؛ فـروى زنْـدُه، ودَرَّت أحـلاب قريحتـه، وصــدر لــه في مدائحـه شعــر كثيــر، ثــم تصــرف في الخُطَـط الشَّرعيـة؛ فـوُلِّي القضـاء **بِبُرْجَـة**، ثـم **بأَنْـدَرَش**[4]؛ وهـو الآن قـاضي **مدينـة وادى آشْ**؛ مشكـور السيرة، معـروف النَّزاهـة؛

---

[1] ستـأتي ترجمـة لـه في الإحاطـة.

[2] في ج: ((استظهـره)).

[3] هـو يوسـف بـن إسماعيـل. ستـأتي ترجمـة لـه في الإحاطـة.

[4] الأولى برجـة؛ وتسـمى الآن Berja؛ وهي تابعـة لمقاطعـة ألمريـة؛ وتقـع غربيهـا؛ عـلى مقربـة مـن شـاطئ البحـر الأبيـض المتوسـط. أمـا الثانيـة (أنـدرش)؛ فـهي اليـوم Andrax، تابعـة للمريـة، وتقـع شمـال بلـدة برجـة. وقـد حـر فاسـم أنـدرش في المخطوطيـن وفي الملكيـة؛ فكتـب ((أنـدش)).

أعانه [ذلك][1] وسوَّده، وبلغ به رُتْبة سَلفه. وجرى ذكره في **كتاب التَّاج**؛ بما نصه: ((فاضلٌ، تحلَّى بالسكينة والوقار؛ فمدَّت إليه رقاب سلفه يد الافتقار؛ وما شِئت من هدوء وسكون، وجنوح إلى الخير ورُكون؛ عني بالمحافظة على سمته من لدُن عَقْل، ولزم خِدْمة العلم؛ فما عاد ولا انتقل، ووجد من أبيه رحمه الله مرْعًى خصيباً فابتقل، وعمل على شاكلة[2] سلفه في سلامة الجانب، وفضل المذاهب، وتَحَلَّى بتلك المآثر وتوشَّح، وتأهل إلى الرُّتب في سن الشَّبيبة وتَرَشَّح؛ وله ـ مع ذلك ـ في لُجَّة الفقه سَبْحٌ، وعلى بعض موضوعات أبيه شَرْحٌ؛ وأدبه ساطع، وكلامه حَسن المقاطع؛ فمن ذلك؛ ما كتب به إليَّ؛ وقد خاطبت ما أمكن؛ من نظمه[3]:

فَدَيْتُك يا سَيِّدِي مِثلمَا
فداكَ الزمانُ الذي زِنْتَه

[1] أضاف هذه الكلمة عنان.
[2] في ج، والملكية: ((شاكلته))؛ فصوبها عنان.
[3] هذا البيت من البحر المتقارب.

وقوله في المقطوعات ؛ من ذلك في معنى التورية[1]:

كـــم بُكـــائي لبعدكـــم وأنيـــني[2]
مَنْ ظَهيري على الأَسَى مَنْ مُعِيـــني

جـــراح[3] الخـــدَّ دمع عيـــني ولكـــن
عجـــبٌ[4] أن يُجـــرّح ابـــن معيـــن

وقال في الغِنَى[5]:

أرى الناس يُولُـــون الغَنِيَّ[6] كرامـــة
وإن لم يكـــن أهلا لِرفعـــة مِقْـــدار

ويَلْوون عن وجه الفقير وجوههـــم
وإن كان أهـــلاً أن يُلاقى بإكبـــار[7]

بنو الدَّهر جاءتهم أحاديـــث جَمَّـــةٌ
فما صحَّحُوا إلا حديث ابن دينـــار[8]

---

[1] هذان البيتان من البحر الخفيف.
[2] في الكتيبة الكامنة: ((كم أنيني)).
[3] نفسه: ((**جَرَّحَ**))؛ وهي أسلم.
[4] نفسه: ((لا عجيب إن...)).
[5] هذه الأبيان من البحر الطويل. وقد حرفت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فكتبت: ((المعنى)). ويتضح ذلك من خلال ما سيأتي في الشعر.
[6] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الغبي))؛ فصوبت من نفح الطيب.
[7] في المخطوطين: ((بآثار)).
[8] سقط هذا البيت في المخطوطين؛ ونقل من نفح الطيب.

ومـن بديـع مـا صـدر عنـه ؛ قولـه ينسـج عـلى مِنـوال **امـرئ القيـس**[1]؛ في قصيدتـه الشهيـرة[2]:

أقول لحَزْمي[3] أو لصالح أعمــالي

[ألا عِمْ صباحاً أيها الطَّلَل البــالي][4]

أما وأعظى شَيْبٌ سما فوق لِمَّتي

[سُمُوَّ حباب الماء حالاً على حــال]

أنــار بــه ليــل الشَّبــاب كأنــه

[مصابيحُ رُهْبـــان تَشُـــبُّ لُقفَّـــال]

---

[1] حرفـت في في ج، والملكيـة؛ فكتبـت: ((السقرطيـني))؛ والصحيـح مـا ذكـره المقـري في نفـح الطيـب. الشاعـر الجاهلي الشهيـر إمـرؤ القيـس بـن حجـر ابـن الحـارث ـ ملـك كنـدة ـ ابـن عمـرو بـن حجـر آكـل المـرار. ولـد بنجـد في حـدود 500م، ومـات بأنقـرة حـوالي 540م؛ بينمـا كـان يطلـب العـون مـن ملـك الـروم؛ ضـد قاتـلي أبيـه. وهـو صاحـب أولى المعلقـات الـتي يقـول فيهـا:

قِفَـا نَبْـكِ مِنْ ذِكْـرَى حَبيـبٍ ومَنْـزِلِ * بسقـط اللـوى بيـن الدَّخـول فحَوْمَـلِ

[2] هـذه القصيـدة مـن البحـر الطويـلوقـد نسجهـا ابـن جُـزَيّ باقتباسـه أشطـر مـن قصيـدة امـرئ القيـس الـتي مطلعهـا:

ألا عـم صباحاً أيـهـا الطلـل البـالي * وهل يَعِمَـنْ من كان في العُصُـر الخـالي

وقـد اقتبـس ابـن جُـزَيّ في قصيدتـه نصـف الأبيـات؛ إذ يختـار أحيانـاً صـدر البيـت؛ ولكـن في معظـم الأحـول؛ يختـار عجـز بيـت قصيـدة امـرئ القيـس؛ دون أن يلتـزم بالترتيـب الـذي سـار عليـه ذلـك الشاعـر الجاهـلي. وقـد وضعـت الأشطـر الـتي اقتبسهـا بيـن حاصرتيـن للتمييـز.

[3] في نفـح الطيـب وأزهـار الريـاض: ((لعـزمي)).

[4] هـذا الشطـر لامـرئ القيـس.

نهـــانيَ عن غَيٍّ وقـــال مُنَبِّهـــاً

[ألست تَرَى السُّمَّار والناس أحوالي]

يقولـــون غَيِّـــره لتنعـــم برهـــةً

[يَعْمِــنْ به[1] من كان في العُصُرِ الخـــالي][2]

أغالـــطُ[3] دَهْري وهو يعلم أنَّـــني

[كبرتُ وأن لا يُحْسنُ اللَّهوَ أمثالي]

ومُؤْنِسُ نار الشَّيْب ويَقْبَح لَهْــوُه

[بآنِسَـــةٍ كأنَّهـــا خَـــــطٌّ تمثـــال]

أشَيْخاً وتَأتي فعل من كان عُمْرُهُ

[ثلاثين شهراً في ثلاثـــة أحـــوال]

وتُشْغِفُـــكَ الدُّنيا وما أن شغَفتهـــا

[كما شغف المهنوءةَ الرجل الطَّالي]

ألاَ أنَّها الدُّنيـــا إذا ما اعْتَبَرْتَهـــا

[ديارٌ لِسَلْمَى عافِيـــاتٌ بذي خـــال]

---

[1] عمن بالمكان: أي أقام به.

[2] ورد هذا العجز في ديوان امرئ القيس هكذا:

((**وهل يَعِمَنْ من كان في العصر الخالي**)). وهو أسلم للوزن.

[3] في الكتيبة الكامنة: ((أخالط)).

فأيْنَ الذينَ استَأْثَــرُوا قَبْلَنـــا بهـــا

[لنامُوا فما إنْ من حديث ولا صال]

ذَهُلْتَ بها غَيًّا فكيفَ الخَلاصُ من

[لعُوبٍ تُنَسِّيني إذا قُمْتُ سِربَـــالي]

وقد عَلِمَتَضْ مني مواعيد تَوْبَـــتي

[بأنَّ الفتى يهـــذي وليـــس بفَعَّـــال]

ومُذْ وثِقَــتْ نَفْسي بحبٍّ محمـــدٍ

[هَصَرْتُ بغُصْنٍ ذي شماريخ مَيَّال][1]

وأصبحَ شَيطانُ الغِوايَـــةِ خاسئـــاً

[عليه قتام[2] ســـيء الظـــن والبـــال]

ألاَ لَيتَ شِعْري هل تقولَ عَزائمي

[لِخَيْلِيَ كُــرِّي [كَــرَّةً بعد][3] إجفـــال]

---

[1] الشماريخ: مفردها شمروخ؛ وهو: العنقود.

[2] في المخطوطين، والملكية: ((القتام))؛ وهو ما جاء في ديوان امرئ القيس. والقتام هي الظلمة الناتجة عن الغبار الكثيف.

[3] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((كرا ذات))؛ فصوبت من الملكية، ونفح الطيب، وأزهار الرياض.

فأنْـــــزلَ داراً لَلنَّــبيِّ[1] نزيلهـــا

[قليـــلُ هُمُــومٍ ما يَبيت بأوجَـــال]

فطُوبَى لنفْسٍ جاوَرْتْ خَير مُرْسَل

[بيَثْرِبَ أدْنَـــى دَارها نظرٌ عـــالي]

ومِنْ[2] ذِكْـــرِه عند القبول تعَطَّرت

[صَبَـــاً وشَمْـــأَلٌ في منازل قُفــال]

جِـــوَارُ رســـول الله مجدٌ مؤثَّـــلٌ

[وقد يُدركُ المَجْدَ المُؤَثَّــل أمْثـــالي]

ومن ذا[3] الذي يُثْني عِنان السُّـــرَى وقـــد

[كفاني ولم أطلب قليل من المـــال]

ألم تَرَ أنَّ الظَّبْيَة استَشْفَعَـــتْ بـــه

[تميـــل عليه هُونَـــةً غير مِجْفَـــال][4]

وقال لها عُـــودِي فقالت له نعـــم

[ولو قطّعوا رأسي لدَيْك وأوْصالي]

---

[1] في نفح الطيب وأزهار الرياض: ((للرسول)).
[2] في الكتيبة الكامنة: ((فمن)).
[3] نفسه: ((وما ذا الذي)).
[4] في ديوان امرؤئ القيس: ((**مِجْبَـال**)).

فَعادَتْ إليهِ والهَــوَى قائــلٌ لهـــا

[وكان عدَاء الوَحْش مني على بالي]

رثى[1] لبعيــرٍ قال أزْمَــعَ مالــكي

[ليَقْتُلــني والمــرء ليــس بفعــال][2]

وثــورٍ ذبيــح بالرسالــة شاهــد

[طويل القرا[3] والرَّوق اخْنَس ذيَّــال]

وحنَّ إليه الجِذْع حَنَّــة عاطِــش

[لغَيْــث من الوَسْمِي رائدُه خــالي]

وأصْلَيْــن من نَخْلٍ قَدِ الْتَأَما لـــه

[فما[4] احْتَبَسَا من لِينِ مَسٍّ وتسهال][5]

وقبْضَةِ[6] تُرْبٍ منه ذلَّتْ لها الظبـــا[7]

[ومسنونةٍ زُرْقٍ كأنيـــاب أغــوال]

---

[1] في الكتيبة الكامنة: ((وما)).

[2] سقط هذا البيت في المخطوطين؛ ونقل من نفح الطيب. وفي ديوان امرئ القيس جاء العجز هكذا: ((ليقتلني والمرء ليس بقتال)).

[3] في ديوان امرئ القيس: ((القرى)). وفي الكتيبة الكامنة: ((القوى)).

[4] في ديوان امرئ القيس: ((بما))؛ والكتيبة الكامنة: ((وما)).

[5] في المخطوطين: ((وتسآل))؛ فصوبت من نفح الطيب وأزهار الرياض.

[6] في نفح الطيب: ((وقبة)).

[7] في المخطوطين: ((الصبا))؛ فصوبت من الملكية ونفح الطيب.

وأضحَى ابن جَحْشٍ بالعَسِيــب مقاتــلاً

[وليس بذى رُمْــح وليــس بنبَّــال][1]

وحَسْبُك من سَيفِ[2] الطُّفيل إضاءة

[كمصباح زَيْتٍ في قناديــل ذُبّــال]

وبَــذَّتْ[3] به العَجْفــاءُ كلّ مُطَهَّــم

[له حَجَبات مُشْرفات على الفــال]

ويا خَسْفَ أرضٍ تحت باغيــه إذ عــلا

[على هيكل نهــد الجزارة جــوال]

وقدْ أُخْمِدَتْ نارُ لفــارسَ طالمــا

[أصابت غَضًى [جَزْلاً][4] وكفّــت بأجــزال][5]

أبان سبيل الرُّشْد [إذ سُبُل الهُــدَى][6]

[يَقُلْن لأهل الحلم ضَــلاًّ بتضْــلال]

---

[1] جـاء العجـز في ديـوان امـرئ القيـس: ((وليـس بـذي سيـف وليـس بنبـال)).

[2] في نفـح الطيـب: ((سـوط)).

[3] في الكتيبـة: ((وبـزت)).

[4] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين، ونقلت من نفح الطيب، وأزهار الرياض.

[5] في نفـح الطيـب: ((بأجـذال)). وفي ديـوان امـرئ القيـس ورد العجـز هكـذا: ((**أصـاب غضـاً جـزلاً وكـفّ بأجـزال**)).

[6] مـا بيـن الحاصرتيـن نقـل مـن نفـح الطيـب؛ لأن في موضعهـا بالمخطوطيـن والملكيـة عبـارة مضطربـة؛ هي: ((إذ سبـل بـه)).

لأَحْمَــدَ خير العالميــن انْتَقيْتُهـــا

[ورُضْتُ[1] فذلَّت صَعْــةً[2] أي إذلال]

وإنَّ رَجـــائي أنْ ألاقيـــهِ غَــداً

[ولســـت بمَقــلي الخلال ولا قالي][3]

فأدْرِكِ آمـــالي ومـــا كـــلُّ آمـــل

[بمُدرك أطراف الخطوب ولا وَالي][4]

ولا خفاء ببراعة هذا النَّظم، وإحكام هذا النَّسيج، وشدة هذه العارضة[5]؛ وله تقييد في الفقه؛ على كتاب والده؛ المسمى **بالقوانين الفقهية**، ورجزٌ في الفرائض؛ يتمضن العمل، وإحسانُه كثير. وتقدّم قاضياً بحضرة **غرناطة**؛ وخطيباً بمسجد السلطان؛ ثامن شوال من عام

[1] هكذا في ديوان امرئ القيس. أما نفح الطيب؛ فكتب فيه: ((وريضت)).
[2] حرفت في المخطوطين: ((طبعة))؛ فصوبت من نفح الطيب.
[3] في ديوان امرئ القيس: (قال)) بدون ياء.
[4] كتبت كلمة ((والي)) في ديوان امرئ القيس: ((آلِ)). وكذا الحال في نفح الطيب.
[5] في المخطوطين: ((المعارضة))؛ فصوبت من نفح الطيب.

ستين وسبعمائة[1]؛ ثم انصرف عنها، وأعيد إليها في عام ثلاث[2] وستين[3]، موصوفاً بالنّزاهة والمضاء.

مولده

في الخامس عشر من جمادى[4] الأولى؛ عام خمسة عشرة وسبعمائة[5] وهو الآن بقيد الحياة.

***

[1] الموافق لـ 1358م.
[2] الصحيح: ((ثلاثة)).
[3] الموافق لـ 1361م.
[4] في ك: ((لجمادى)).
[5] الموافق لـ 1315م.

أحمد بن محمد

ابن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سَعْدة بن سعيد
ابن مَسْعدة بن ربيعة بن صخر بن شراحيل[1] بن عامر بن الفضل
ابن بكر[2] بن بكّار بن البدر بن سعيد بن عبد الله العامري؛
يكنى أبا جعفر، من أهل غرناطة .

أوّليته

عامر؛ الذي ينتسبون إليه، **عامرُ بن صَعْصَعَة بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرَمة بن حفصة**[3] **بن قيس بن عيلان**[4] **بن مُضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان.** ومن مناقبهم؛ **مَيْمُونة أم المؤمنين**[5]؛ زوج **رسول الله** صلى الله عليه وسلم، **وعَمْرو بن عامر**[6]؛ من أصحابه، **وعاصم ابن عبد الله الجَعْلي، ويزيد بن الحميري**، وغيرهم. مَنْزل

---

[1] في ك: ((سراخيل))، وفي ج: ((سراحيل)).
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت بدال؛ لأن الآتي سيثبت ذلك.
[3] الصحيح: خصفة بالخاء.
[4] في قول: قيس عيلان؛ بدون ((بن)).
[5] هي ميمونة بنت الحارث بن حزن؛ يصعد نسبها إلى هلال بن عامر بن صعصعة. كان اسمها برّة؛ فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة. تزوجها الرسول في ذي القعدة من سنة سبع؛ في عمرة القضاء. توفيت رضي الله عنها في سنة **51هـ/671م** عن عمر يصل إلى الثمانين عاماً .
[6] ورد ذكره في الطبقات الكبرى لابن سعد ضمن الطبقة الرابعة.

جدّهم الداخل إلى **الأندلس** ؛ وهو **بكر بن بكّار بن البَدْر ابن سعيد بن عبد الله ؛ قرية طِغْنر**[1]، من **إقليم بَراجلة ابن خريز**[2]؛ من **إلبيرة**.

قال **ابن الصيرفي**[3]؛ في **تاريخه الصغير**[4]: منزل **بني مَسْعَدة**[5]، موضع كرم ومَحْمَدة، ينتسبون في **عامر**[6]، وهم وهم أعيان عِلْية، فرسان أكابر، وحُجّاب، وكُتّاب، ووزراء؛ ولهم سابقات ومفاخر، وأوائل وأواخرُ؛ ومنهم على القِدَم جليلٌ[7]، ونبيه؛ ومنهم كان **وضيعُ بن جَرّاح الفقيه**[8]؛ لم يُدْخِل أحد منهم في الفتنة يَداً، ولا تأذى

---

[1] ذكرت فيما سبق. وقد حرف اسمها هنا؛ فكتب في المخطوطين: ((طغنس))؛ بينما هي ((طغنر)) المسماة بالإسبانية: Tignar؛ وممن عرف من سكانها: الطغنري مؤلف كتاب الفلاحة. وتتواجد هذه البلدة بالقرب من غرناطة.

[2] يقال ـ أيضاً ـ براجلات Parcelas: وهي مواقع في سفوح جبل الثلج Sierra Nevada. وهذه الأخيرة تتصل بإلبيرة. وقد ذكر فيما سبق أن كلمة براجلات Parcelas هي: الأراضي الممتدة من سفوح جبل سبيرا نيفادا (جبل الثلج). ووبراجلة ابن خريز هذه واحدة من تلك البراجلات؛ أي الأراضي. وتقع بجوار إلبيرة.

[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((السيرفي)).

[4] عنوانه الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية. أشير إليه من قبل.

[5] حي صاحب الترجمة وعشيرته.

[6] ابن صعصعة.

[7] كتب في المخطوطين ((جيل ولا نبيه))؛ الأمر الذي اظفى عليه بعض الغموض؛ فحذف عنان ((ولا)).

[8] لم أتوصل إلى معرفته.

مُسْلماً، ولا مُعَاهداً[1]؛ على قدرتهم على ذلك؛ وكفى به فخراً لا ينقطع أبداً. ودخل جدُّهم **الأندلس**؛ بعقد **بني مروان**[2] له؛ سنة أربع وتسعين من الهجرة[3]. ويأتي من ذكر أعلامهم؛ ما يدلُّ على شرف بيتهم، وأصالته، وعُلوِّهِ وجلاله.

حالـه

كان صدْراً جليلاً، فقيهاً مضطلعاً[4]، من أهل النَّظر السَّديد، والبحث؛ قائماً على المسائل، مشاركاً في كثير من الفنون، جزلاً مهماً، جارياً على سُنن سلفه، ريّان من العربية. وختم سيبَويه تفقُّهاً، وقرأ الفقه، واستظْهر كتاب التَّلقين، ودرس الأحكام الجيدة[5]، وعرضها في مجلس مجلس واحد، وقرأ أصول الفقه، وشرح المُسْتَصْفَى شرحاً

[1] حرفت في ج؛ فكتبت: ((عاهد))؛ وكتبت في ك: ((ولا تأذى به مسلم ولا معاهد)).
[2] مروان بن الحكم. أي خلفاء الدولة الأموية بدمشق.
[3] الموافق لـ 712م.
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((**مصطعماً**))؛ فصوبها عنا.
[5] في ج: ((الجدية)).

حسناً، وقرأ الإرشاد والهداية[1]؛ وكان صدراً في الفرائض والحساب، وألَّفَ تاريخ قومه وقرابته.

ولايتــه

وُلِّيَ القضاء بمواضع من **الأندلس** كثيرة[2] من **البشارات**[3]، أقام بها أعواما خمسة؛ ثم **لوْشة**[4]، وأقام بها ثلاثة أعوام؛ ثم **بَسْطة، وبُرْشانة**، ثم انتقل إلى **مالقة**؛ وأقام بها خمسة أعوام. نبهَّت على مقدار الإقامة؛ لما في ضِمن طول سني الولاية من استقامة أمر الوالي. وكان له من أمير المسلمين **بالأندلس** حُظوة لطيفة؛ لم تكن لغيره؛ استنزلها بسحر التلطُّف، وخطبها بلسان التَّملُّق؛ حتى استحكمت له أسبابها.

حدثني بعض أشياخي؛ ممن كان يباشر حال السلطان يومئذ؛ قال: وجه **ابن مسعدة** ابنه من **مالقة**؛ بكتابٍ في بعض الأغراض الضرورية، ثم رغب فيه أن

---

[1] في المخطوطين: ((والنهاية)).
[2] نفسه: ((كثير)).
[3] البشارات Alpujarras؛ وهي السهول الملاصقة للسفوح الوسطى لجبل سيرا نيفادا.
[4] لوشة هي المدينة التي ولد فيها ابن الخطيب؛ وتبعد عن غرناطة بخمسين كلم؛ إلى الغرب منها؛ بينها وبين إشبيلية.

يُنعم على ولده بالمُشافهة؛ لإلقاء أمر ينوب عنه فيه؛ فلما حضر؛ تناول رجْل السلطان فقبَّلها؛ وقال: أمرني أبـي أن أنوب في تعفير الوجه، في هذه الرِّجل الكريمة الجهادِيَّة عنه خاصّة؛ لبُعْد عهده بها. إلى أمثال هذا؛ مما اقتضت الانتفاع بعاجل من الدُّنيا زهيدٍ؛ لا يدري ما الله صانعٌ فيه، والإبقاءُ بما تجاوز الإفراط؛ في تقدُّمه **بمالقة**؛ بعدَه دارُ الأعلام، وديوان العقد؛ وهو حَدَثٌ خليٌّ من العِلْم، قريب العهد بالبلوغ؛ فكانت على أنها غاية الصُّدور مَلْعَباً؛ إلى أن ضرب الدهر ضرباته، وانتقلت الحال.

مشيخته[1]

أولهم قاضي الجماعة، **أبو الحسن بن عامر بن ربيع**[2]، وثانيهم القاضي **أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن**

[1] جل المشائخ الذين ذكرهم ابن الخطيب لا يعرف عنهم أكثر مما قاله هو؛ لأنه لا يذكر إلا كناهم دون الأسماء. كما أنه يكرر تسمية بعضهم في كل مرة؛ في سياق تعداد شيوخ كل شخصية يترجم لها. وعلى هذا؛ فسنضيف ـ ما أمكن ـ بعض المعلومات إلى بعض الأعيان؛ إذا توفرت المادة الضرورية؛ مع الاعتذار عند استحالة ذلك.

[2] ثمة عدد من القضاة والفقهاء يسمون بابن ربيع؛ غير أني لم أعثر من بينهم عمن يكنى ويسمى بأبي الحسن وينسب لعامر. ولعل في الأمر التباس.

ابن ربيع[1]، وثالثهم **أبو يحيى بن عبد المنعم الخزرجي**[2]؛ ورابعهم العَدْل، الرَّواية ؛ **أبو الوليد العطّار**، وخامسهم **أبو إسحاق بن ابرهيم بن أحمد**[3] **الخشني**، وسادسهم **الأستاذ أبو الحسن الكِناني الإشْبيلي**، وسابعهم **محمد بن إبراهيم بن مُفرّج الأوسي الدبّاغ**، وثامنهم **أبو جعفر أحمد بن علي الرُّعَني**، وتاسعهم **أبو علي بن أبي الأحْوَص**[4].

وصمته

فروى الناس ؛ أنه وُجِد بخزانته ـ بعد وفاته ـ زمام ؛ يشتمل على **مثالب أهل غرناطة** ؛ مما يحدثُ ـ على الأيام في أفرادهم ـ من فَلَتات ؛ يُجريها عدم الإتِّصاف بالعصمة.

---

[1] أبو عامر يحيى هذا؛ هو شقيق آخر قضاة قرطبة ربيع بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري. كان أبو عامر في وقته في مقدمة علماء الأندلس؛ له في علم الكلام مؤلفات مرموقة؛ ولاه سلطان بني نصر الغالب بالله ولاية قضاء الجماعة في غرناطة؛ وتوفي في مالقة سنة 639هـ/1241م.

[2] في الملكية: ((المخزومي)).

[3] في الملكية: ((مفرج)).

[4] سماه في موضع آخر من الإحاطة: القاضي أبي علي بن أبي الأحوص؛ بينما ذكره النباهي ـ صاحب كتاب قضاة الأندلس ـ بين فئة الخطباء والمحدثين؛ فقال: ((وحدثنا به عن الخطيب المحدث أبي علي بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القرسي...)).

استقرَّ عند ولده الفضل؛ زعموا؛ ثم خفي أثرُه. ستر الله عيوبنا برحمته.

وفاتـه

توفي **بمالقة**؛ قُرب صلاة المغرب؛ يوم الأحد الموفى عشرين لذى الحجة؛ عام تسعة وتسعين وستمائة[1]؛ ودفن بخارج **باب قُبالة**؛ في **مالقة** المذكورة؛ بمقربة من **رابعة بني عمَّار**، وبالروضة المنسوبة **لبني يحيى**. نقلت من خط ولده **الفضل**.

***

[1] الموافق لـ 1299م.

أحمد بن محمد

ابن أحمد بن قُعْنب الأزدي؛ يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن قُعْنب.

أوّليتّه

ذكر **الأستاذ ابن الزُّبير؛** في ((**صلته**))[1] وغيره: أن قوماً ـ **بغرناطة** ـ يعرفون بهذه المعرفة؛ فإن كان منهم؛ فله أوّليتّه؛ لا بأس بها.

حاله

كان من شيوخ كُتاب الشُّروط معرفة بالمسائل، واضطلاعاً بالأحكام، وانفرد بصحَّة الوثيقة؛ باقعة[2] من بواقع زمانه، وعَيَّابة[3] في مشايخ قطره؛ يألف النادرة الحارَّة في ملاء من النَّوْك[4] والغفلة، فلا يهتزُّ لموقع نادرة،

---

[1] هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي؛ ولد بجيان سنة 627هـ/1230م وتوفي بغرناطة سنة 807هـ/1308م. يصنف من بين المحدثين والمؤرخين وعلماء العربية والتفسير والأصول؛ من مؤلفاته: ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل، والبرهان في ترتيب سور القرآن، والإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام، ومعجم لشيوخ وتراجمهم، ثم الكتاب المذكور المعنون بصلة الصلة؛ ويعتبر بمثابة ذيل لكتاب الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاري الأندلسي (494هـ/1101م ـ 578هـ/1183م).

[2] أي العظيم الذكاء والشديد الدهاء.

[3] أي كثير العيب للناس.

[4] أي الحمق.

ولا يضحك عقب عقد صّرْعـةٍ ؛ لقلقِـهِ غيـر مـا مـرة ؛ غيـر مجلــس مــن مجالــس القضــاء مــن **بــني مسعــود** المُــزْراة[1] أحكامهــم ، المرميــة بتهكمــه وإزدرائــه ؛ فتقتَّــع[2] في طريــق حكمهـم خُطـاً منفسحـة ؛ غيـر مكتـرث بهوانـه ، ولا غـاصٍ بلسانـه. وربمـا قـال لبعض الوَزَعـة[3] مـن قادتـه بمجسـه ؛ وقـد توقفــوا بــه في بعــض الطريــق ؛ توقعــاً لسكــون غضــب قاضيهـم ؛ ابعثـوا بعضهـم إلـى هـذا المحـروم ؛ لنـرى مـا عـزم عليـه ؛ بكـلام كثيـر الفتـور والاستكانـة. لـه في هـذا البـاب شهـرة.

ذكر بعض نزعاته

حدَّثـني ملازمُـه ؛ وقـفٌ عليـه **أبـو قاسـم بـن** الشيـخ الرئيس **أبي الحسن بن الجيّاب[4]؛** وقـد أعمـل والـده رحلـةً إلى **مالقة** ؛ لزيـارة شيخه ؛ الـذي تلمّـذ لـه ، وشهـر بالتشَّيـع

[1] في الملكيـة: ((المـزارة)).
[2] أي ذل وخنـع.
[3] أي مـن يـزع النـاس مـن الحـراس والحجـاب.
[4] أبـو الحسـن عـلي بـن محمـد بـن الجيـاب وزيـر الدولـة النصريـة، ومعلـم ابـن الخطيـب. ستـأتي ترجمـة لـه في الإحاطـة.

فيه ؛ **أبي عبد الله السَّاحلي**[1]، صاحب **الأتباع والطريقة**، وكان مفرط الغُلوّ فيه، واستصحب ولده الصغير ؛ فسأله عن سفر أبيه [وسعيه][2]؛ فقال: نعم ؛ واحتمل أخي ؛ فقال: أظنه منذ وُلد كان غير مغتطس، فحمله الشيخ ؛ فغطَّسه ؛ واستغرب كل من حضر ضحكاً ؛ فلم يبتسم هو ؛ كأنه لا شعور عنده بما ذهب إليه ؛ فكانت إحدى الطَّوام عند الشيخ. وحدثني ؛ قال: جاءت إمرأة تخاصم ميَّاراً[3]؛ أوصلها من بعض المدن ؛ في أمرٍ نشأ بينهما ؛ وبيده عَقْد ؛ فقال بعض جيرانه ؛ من نصه حاكياً: ((وأنه جا معها من موضع كذا إلى كذا)) ؛ ولم يرسم المدّ على ألف جاء. فقال الشيخ للمرأة: أتعرفين أن هذا الميَّار جامعك في الطريق؟ أي فعل بك. فقالت: معاذ الله، ونفرت من ذلك. فقال كذا شهد عليك الفقيه، وأشار إلى جاره. ومثل ذلك كثير.

[1] هو الولي الصالح الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الساحلي؛ توفي سنة 735هـ/1334م.
[2] أضيفت هذه الكلمة من الملكية.
[3] الميار: الذي يجمع الميروة.

ولِّـيَ القضــاء بأماكــن عديــدة: **كلوْشــة، وبَسْطــة، والَمسْنَـد، وبُرجـة، وأرحبـة**[1]، وغيـر ذلـك.

مشيختــه

يحمـل عـن **الأستـاذ أبـي جعفـر بـن الزبيـر**[2]، **والخطيـب الصالـح أبـي عبـد الله بـن فضيلـة، وأبـي محمـد بـن سِمـاك، وأبـي الحسـن بـن مستقـور.**

مولــده

عـام سبعيـن وستمائـة[3].

---

[1] أرحبـة تسـمى الآن Orgiva؛ وتقـع في الجنـوب الشـرقي مـن غرناطـة. أمـا المسنـد فغيـر معروفـة؛ ومـا بـقي فقـد سبـق ذكـره.

[2] هـو أبـو جعفـر أحمـد بـن إبراهيـم بـن الزبيـر الأندلسي،؛ ولـد بجيـان سنـة 627هـ/1229م وتـوفي برناطـة سنـة 708هـ/1308م. هـو صاحـب كتـاب صلـة الصلـة. خصـه ابـن الخطيـب بترجمـة لـه في الإحاطـة.

[3] الموافـق لـ 1271م.

وفاتـه

تـوفي قاضياً **ببَرجة**[1]؛ بعـد علّـة سَدِكَـتْ[2] بـه في السـادس عشـر مـن شعبـان؛ مـن عـام اثنيـن وثلاثيـن وسبعمائة[3]، وانتقـل منهـا في وعـاء خشـب، ودفـن بمقبـرة إلبيـرة، تجـاوز الله عنـه ورحمـه.

***

[1] بَرْجَـة: مدينـة أندلسيـة من أعمـال إلبيـرة؛ وثمـة بلـدة أخـرى تابعـة لأعمـال المريـة تسـمى أيضـاً برجـة؛ ولكـن المقصـودة هنـا هي المدينـة الأولى التابعـة لأعمـال لإلبيـرة.

[2] سَـدِكَ سَدْكـاً بالأمـر: لزمـه ولـم يفارقـه.

[3] الموافـق لـ 1329م.

أحمد بن محمد

ابن سعيد[1] بن زيد الغافقي.
من أهل غرناطة، وجلّة بيوتها، ويأتي من ذكر ذلك ما فيه كفاية.

حالـه

هـذا الرجـل ؛ ممـن صُرِفـت إلـى الله رُجعـاه، وخَلَصـت لـه معاملتـه، وخلـص إليـه انقطاعـه ؛ نـازع ـ في ذلـك ـ نفسـاً جامحـة في الحـزم، عريقـة في الغفلـة ؛ فكتـب الله لـه النصـر عليهـا دَفْعـة ؛ فشمّـر، وفـوّت الأصـول للحضـرة في بـاب الصَّدَقة، ونبـذ الشواغـل، وحفـظ كتـاب الله عـلى الكبْـرة، واستقبـل المحـراب ؛ ملغيـاً سـواه. درأ بـه ؛ فاتُّفـق عـلى فضلـه، وغُبـط في حسـن فيئتـه. ولـه ديـوان نبيـل ؛ يتضمـن كثيـراً مـن

---

[1] وضعت هذه الترجمة حسب الترتيب الذي اختاره عنان؛ لأنها كانت في أحد الهوامش؛ في غير هذا الموضع.

فقـه النفـس والبـدن ؛ دَلَّ عـلى نبلـه ؛ وهـو بحالـه الموصوفـة إلـى هـذا العهـد. نفعـه الله تعـالى.

مولـده

بغرناطـة ؛ عـام تسعيـن وستمائـة[1].

***

[1] الموافـق لـ 1291م.

أحمد ابن أبي سهل

ابن سعيد بن أبي سهل الخزرجي من أهل الحمّة[1]، يكنى أبا جعفر.

حالـه

مـن أهـل الخيـر، والعفـاف، والطهـارة، والانقِبـاض، والصحـة، والسَّلامـة. أصيـل البيـت، معـروف القـدم ببلـده، حـرٌّ[2] النـادرة. قـرأ بالحضـرة، واجتهـد، وحصَّـل؛ ولازم الأستاذ **أبا عبد الله الفخَّار**[3]، وغيره من أهل عصره. وولـي القضاء ببلدة **الحمّة**، ثـم بغـربي **مالقـة**. وهـو ـ الآن ـ قـاضٍ بهـا؛ مشكور السيرة.

***

[1] تسمى أيضاً الحامة؛ وتسمى الآن Alhama؛ وموقعها في الجنوب الغربي من غرناطة؛ وعلى بعد 40 كيلو منها. أضحت الآن بلدة متواضعة بعد أن كانت مدينة هامة بين مدن دولة غرناطة.

[2] في ك: ((حاد)).

[3] هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفِخَّار الجذامي؛ ولد بحصن أركش ما بين 630هـ/1232م ـ 640هـ/1242م وتوفي بمالقة سنة 723هـ/1323م. فقيه ومحدث وراوية وأديب؛ له مؤلفات عديدة منها: تحبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن، وانتفاع الطلبة النبهاء في إجماع السبعة القراء، والأحاديث الأربعون فيما ينتفع به القارئون والسامعون... وكتب أخرى. وقد خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.

أحمد بن عمر

ابن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن وَرْد التميمي
من أهل ألمرِيّة[1]. يكنى أبا القاسم،
ويعرف بابن وَرْد

حالــه

قـال **المـلاّحي**: كـان مـن جلَّـة الفقهـاء المُحدّثيـن. قـال **ابـــن الزبيـــر** كذلـــك؛ وزاد: موفـــور الحـــظّ مـــن الأدب، والنحـو، والتاريـخ؛ متقدمـاً في علـم الأصـول والتّفسيـر؛ حافظاً متقنـاً. ويقـال: إن عِلْـم المالِكّية؛ انتهـت إليـه الرياسـة فيـه، وإلى القـاضي **أبي بكـر بـن العـربي**[2]، في وقتهمـا؛ لـم يتقدَّمهـا ـ في **الأندلـس** ـ أحـد [بعـد][3] وفـاة **أبـي الوليـد بـن**

---

[1] هكذا في ك؛ بينما كتب في ج: ((غرناطة))؛ ويرجح عنان الأولى. طبقا لسياق الكلام.
[2] هـو محمـد بـن عبـد الله بـن محمـد بـن عبـد الله بـن أحمـد بـن العـربي المَعافـري الإشبيـلي؛ ولـد بإشبيليـة سنـة 468هـ/1076م، وتـوفي بفـاس سنـة 543هـ/1148م. وليـس المقصـود ـ هنـا ـ محيـي الديـن محمـد بـن عـلي بـن عـربي الحاتـمي الطـائي الأندلـسي؛ المولـود بمرسيـة سنـة 558هـ/1164م. وليـس هـو أيضـاً أبـو عبـد اللـه محمـد بـن عـلي بـن عمـر الغسـاني المعـروف بابـن العـربي؛ الـذي تـوفي في بلـدة الحمـة بالأندلـس سنـة 748هـ/1347م. وهـذا الأخيـر خصـه ابـن الخطيـب بترجمـة لـه في الإحاطـة.
[3] سقطـت هـذه الكلمـة في المخطوطيـن؛ فأضافهـا عنـان.

رشد[1]. قال: أخبرني الثِّقة **أبو عبد الله بن جَوْبَر** عن **أبي عمر بن عات**؛ قال: حديث **ابن العربي**، اجتمع **بابن وَرْد**، وتبايتا ليلة، وأخذا في التَّناظُر والتذاكر؛ فكانا عجباً؛ يتكلم **أبو بكر**؛ فيظن السامع أنه ما ترك شيئاً إلاّ أتى به، ثم يجيبه **أبو القاسم**؛ بأبدع جواب يُنْسي السامعين ما سمعوا قبله؛ وكانا أعجوبتي دهرهما. وكان له مجلسٌ يتكلم فيه على الصَّحيحيْن، ويخُصُّ[2] الأخمسة بالتفسير.

حلوله غرناطة[3]

قال المؤرخون: وليَّ قضاء **غرناطة** سنة عشرين[4]، فعدل وأحسن السيّرة، وبه قال طلبتها إذ ذاك.

---

[1] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (الحفيد) الأندلسي؛ ولد بقرطبة سنة 520هـ/1126م وتوفي بمراكش سنة 595هـ/1198م. يعتبر من كبار فلاسفة المسلمين وفقهائهم؛ حاول التوفيق بين الدين والفلسفة.

[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ويحضر)).

[3] حرفت في ج، وفي ك؛ فكتبت: ((حلوله عن غرناطة)).

[4] 520هـ/1126م.

ومشيختـه

روى عـن: **أبـي عـلي الغسّـاني، وأبـي الحسـن بـن سراج** - وأكثر عنـه - **وأبي بكر بـن سابـق الصقـلي، وأبـي محمـد بـن عبـد الله بـن فـرج** المعـروف **بالعسَّـال الزاهـد**، ولازمه؛ وهـو آخر من روى عنه. ورحـل إلـى **سجِلْماسـة**، وناظـر عنـد **ابـن العَّـواد**؛ وروى أيضـاً عـن **أبـي الحسـن المبارك** المعروف **بالخشـاب**؛ وكـان **الخشـاب** يحمـل عـن **أبـي بكـر بن ثابـت الخطيـب**، وغيره.

مـن روى عنـه

روى عنه جماعة: **كـأبي جعفـر بـن البـاذِش، وأبـي عبيـد الله، وابـن رَفاعـة، وابـن عبـد الرحيـم، وابـن حكيـم**، وغيرهـم؛ وآخـر مـن روى عنـه **أبـو القاسـم بـن عُمـران الخزرجي بفـاس**.

وفاتــه

تــوفي **بالمريَّــة** في الثــاني عشــر لرمضــان ؛ سنــة أربعيــن وخمسمائة[1].

***

[1] الموافق لـ 1145م.

أحمد بن محمد

ابن علي بن أحمد بن علي الأموي[1] يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن بُرْطَال[2]

أصله من قرية تعرف **بحارة البحر** من **وادي طرُّش**[3] **نصر حصن مُنْتِماس**؛ من شرق **مالقة**؛ من بيت خير، وأصالة. وانتقل سلفه إلى **مالقة**؛ فتَوَشَّجت لهم بها عروقٌ، وصاهروا إلى بيوتات نبيهة.

حالـه

كان من أهل الخير، وكان على طريقة مُثْلى من الصمت، والسَّمْت، والانقباض، والذكاء، والعدالة، والتخصُّص؛ محوَّلاً في الخير، ظاهر المروءة، معروف الأصالة، خالص الطّعمة، كثير العفَّة، مشهور الوقار والعفاف، تحّرف بصناعة التوثيق على انقباض.

---

[1] في المخطوطين: ((الأمدي))؛ والتصويب من كتاب قضاة الأندلس. وتوجد ترجمة أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن برطال أيضاً في الكتيبة الكامنة، واللمحة البدرية، وتاريخ قضاة الأندلس.

[2] حرفت في المخطوطين وفي الملكية؛ فكتبت: ((ابن بطال)).

[3] يطلق على سهل شرق مالقة يحاذي البحر الأبيض المتوسط؛ حيث تربض فيه بلدة تسمى الآن Torrox.

دخوله غرناطة

تقدم قاضياً **بغرناطة** ؛ بعد ولاية القضاء ببلده ، وانتقل اليها ، وقام بالرَّسم المضاف إلى ذلك ؛ وهو الإمامة بالمسجد الأعظم منها ، والخطابة بجامع قلعتها الحمراء ؛ واستقل ـ بذلك ـ إلى تاسع جمادى الثانية ؛ من عام إحدى وأربعين وسبعمائة[1]؛ على قصور في المعارف ، وضعف في الأداة ، وكلال في الجدِّ. ولذلك يقول شيخنا **أبو بركات بن الحاج**[2]:

إنَّ تَقْديمَ ابنَ بُرْطال دَعا
طالبَ[3] العِلمِ إلى تركِ الطَّلب
حَسِبوا الأشْياءَ عنْ[4] أسْبابها
فإذا الأشياء عن غيرِ سَبَب

إلاَّ إنه أعانه[5] الدربة ، والحنكة[6] على تنفيذ الأحكام ؛ فلم تؤثر عنه فيها أحدوثة ؛ واستظهر بجزالة ؛ أمْضَت

---

[1] الموافق لـ 1340.
[2] خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة. وهذان البيتان من بحر الرمل.
[3] في الكتيبة الكامنة، وتاريخ قضاة الأندلس: ((طالبي))
[4] في الكتيبة الكامنة: ((من)).
[5] في الملكية وفي ج: ((إعاده)). وفي تاريخ قضاة الأندلس: ((فأعنته)).
[6] هكذا، ربما يقصد: أعانته الدربة والحنكة.

حُكمه، وانقباضٍ عافاه عن الهوادة؛ فرضيت سيرته، واستقامت طريقته.

مشيخته

لقي والده؛ شيخ القضاة، وبقيَّة المُحَدِّثين. وله الرِّوايَة العالية، والدرجة الرفيعة؛ حسبما يأتي في اسمه؛ ولم يؤخذ عنه شيء[1] فيما أعلم.

شعره

أنشدني الوزير **أبو بكر ابن ذي الوزارتين؛ أبي عبد الله بن الحكيم**[2]؛ قال: أنشدني القاضي **أبو جعفر بُرطال** لنفسه؛ مُودِّعاً في بعض الأسفار[3]:

أستودع الله [من لوادعهم][4]
قلبي وروحي إذ دَنى الوداع[5]

---

[1] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((شيئاً)).
[2] هو أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى ابن الحكيم اللخمي؛ ووالده هو ذو الوزارتين محمد بن عبد الرحمن اللخمي، وقد وردت لهما ترجمتان في الإحاطة.
[3] هذه الأبيات من بحر الكامل.
[4] في ت، والزيتونة: ((الأولى أودعتهم)). وفي الكتيبة الكامنة: ((الرحمن)). وكتب هذا الشطر في تاريخ قضاة الأندلس هكذا: ((أستودع اللَّهمَّ من لوداعهم)). وهو الأسلم.
[5] في الكتيبة الكامنة: ((قلبي وصبري آذنا بوداع))؛ وهو أسلم.

بانـــوا وطرْفي[1] والفـــؤاد ومِقْوَلي

بـــاكٍ ومسلـــوب العـــزاء وداع

فتـــولَّ يا مـــولاي حفظهـــم ولا

تجعـــل تفرقنـــا فـــراق وَداع

وفاتــه

تـوفي رحمـه الله، وعفـا عنـه، أيـام الطاعـون الغريـب **بمالقــة**[2]؛ في منتصــف ليلــة الجمعــة؛ خامــس صفــر؛ عــام خمسين وسبعمائة[3]؛ وخرجت جنازته في اليوم التالي؛ ليلة وفاتــه في رَكْــبٍ مــن الأمــوات؛ يناهــز الألــف، وينيــف بمائتين، واستمر ذلك مدة. وكان **مولده** عام تسعة وثمانين وستمائة[4]. رحمه الله تعالى.

***

---

[1] في الكتيبة الكامنة: ((فطرفي)).

[2] أصاب هذا الوباء سنة 749هـ/1349م بلداناً كثيرة بالمشرق والمغرب؛ وكتب ابن الخطيب رسالة خصصها لهذا الوباء؛ سماها: ((مقنعة السائل عن المرض الهائل)).

[3] الموافق لـ 1349م.

[4] الموافق لـ 1290م.

أحمد بن عبد الله

ابن محمد بن الحسن بن عمير ة المخزومي[1]؛ بلنسي شقوري[2] الأصل؛ يكنى أبا مُطرِّف.

أوّليّتُه

لم يكن من بيت[3] نباهة؛ ووقع **لابن عبد الملك**[4] - في ذلك - نقل؛ كان حقه التجافي عنه؛ لو وُفق.

حالــه

قال **ابن عبد الملك**[5]: كان أوّل طلبه العلم؛ شديد العناية بشأن الرّواية؛ فأكثر من سماع الحديث، وأخذه عن مشايخ أهله، وتفنَّن[6] في العلوم، ونظر في العَقْليّات[7] وأصول الفقه، ومال إلى الأدب فبرع فيه[8]، براعة؛ عُدّ

---

[1] توجد ترجمة أحمد بن عبد الله بن عميرة أيضاً في بغية الوعاة، وأزهار الرياض، والذيل والتكملة؛ حيث كتبه اسمه: ((أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومي)).

[2] سبقت الإشارة إلى بلنسية وشقورة.

[3] هكذا في ك؛ وهو الأقرب إلى الصحة. أما في ج، وفي الملكية فكتبت: ((أهل)).

[4] هو قاضي مراكش أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي؛ ولد سنة 634هـ/1234م وتوفي سنة 703هـ/1303م. من مؤلفاته: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.

[5] سبقت الإشارة إليه أعلاه.

[6] في الذيل والتكملة: ((ثم تفنن)).

[7] نفسه: ((المعقولات)).

[8] نفسه: ((الآداب فبرع فيها)).

فيـه مـن كبـار مُجيـدي النّظـم. وأمـا الكتابـة ؛ فهـو[1] عَلمُهـا المشهـور، وواحدها الـذي عجـزت عـن ثانيـه الدُّهـور[2]؛ ولا سيمـا في مخاطبـة الإخـوان؛ هنالـك استـولى عـلى أمـد الإحسـان[3]؛ ولـه المُطـوَّلات المنتخبـة، والقصـار المقتَبضـة، وكـان يُلمـح[4] كلامه ـ نظمـاً ونثـراً ـ بالإشـارة إلـى التاريـخ[5]؛ ويُودِعه إلماعـات بالمسائـل العلِمية مُنَّوعة المقصـد[6].

قلت: وعلى الجملة؛ فذاتُ **أبي المطرِّف** ـ فيما ينـزع اليه ـ ليسـت مـن ذوات الأمثـال؛ فقـد كـان نسيـج وحْـدِه؛ إدراكـاً، وتفننـاً؛ بصيـراً بالعلـوم، مُحَدِّثـاً، مكثـراً، راويـة ثبتـاً، سجـراً[7]، في التاريـخ والأخبـار؛ رَيَّـان، مضطلعـاً بالأصلين، قائماً على العربية واللغة؛ كلامه كثيـر الحـلاوة والطَّـلاوة؛ جـمَّ العيـون، غزيـر المعـاني والمحاسـن، وافـد أرواح المعـاني، شفّـاف اللفـظ، حـرّ المعـنى، ثـاني بديـع

---

[1] في الذيل والتكملة: ((فأما الكتابة فإنه)).
[2] نفسه: ((التي عجزت عن الإتيان بثانيه الدهور)).
[3] في المخطوطين: ((الإنسان))؛ وقد صوبت من الذيل والتكملة. ومن ت.
[4] في المخطوطين: ((يعلم))؛ وصوبت من الذيل والتكملة.
[5] نفسه: ((التواريخ)).
[6] نفسه: ((بمسائل علمية متنوعة المقاصد)).
[7] السجر: هو الملئ. وقد كتبت في ك: ((شحراً)).

الزمان؛ في شكوى الحِرفة، وسوء الحظ، ورونق الكلام، ولُطْف المأْخذ، وتبريز النثر على النظم، والقصور في السُّلطانيات.

مشيخته

روى عن: **أبي الخطاب بن واجب، وأبي الربيع بن سالم، وأبي عبد الله بن فرج، وأبي علي الشُّلُوبين، وأبي عُمر بن عات، وأبي محمد بن حَوْط الله**؛ لقيهم، وقرأ عليهم، وسمع منهم، وأجازوا له؛ وأجاز له ـ من **أهل المشرق**: **أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج**، وغيره.

من روى عنه: روى عنه ابنه **القاسم**، **وأبو بكر بن خطّاب**، **وأبو إسحاق البُلْقني الحفيد، والحسن بن طاهر ابن الشَّقُوري، أبو عبد الله البِرّي**. وحدّث عنه: **أبو جعفر ابن الزُّبير، وابن شقيف، وابن ربيع**، وغيرهم؛ مما يطول ذكره.

نباهــه

صحب **أبا عبد الله بن عبد العزيز بن عبـد الله بـن خطّـاب**، قبـل توليتـه مـا تـولَّى مـن رياسـة بلـده، وانْتُفِـعَ بـه كثيـراً؛ وكتـب عـن الرئيـس **أبـي جميـل زيّـان بـن سعـد**[1]، وغيره من أمـراء شـرق **الأندلـس**. ثـم انتقـل إلـى **العُـدْوة**[2]، واستكسبـه **الرشيـد أبـو محمـد عبـد الواحـد**[3]؛ **بمراكـش** مـدة يسيـرة؛ ثـم صرفـــه عـن الكتابـــة، وولاه

---

[1] هو أبو جميل زيان بن أبي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش الجذامي؛ تأمر على أمير بلنسية عقب تلاشي دولة الموحدين بالأندلس أوائل القرن السابع الهجري؛ وفي وقته؛ حوصرت بلنسية من قبل ملك نصارى الأراغون خايمي الأول سنة 635هـ/1137م. وقد حفظت لنا كتب التاريخ خبر استنجاد أبي جميل زيان بالسلطان الحفصي أبي زكرياء؛ حين أرسل إليه أبي عبد الله بن لأبار القضاعي؛ فألقى أمامه قصيدته الشهيرة ومطلعها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * إن السبيل إلى منجاتها درسا

فلم يجد أبو زكرياء في قدرته سوى إرسال بعض السفن؛ محملة بالأغذية والأموال والمياه. ولكن المدينة لم تصمد طويلاً؛ حيث سقطت سنة 636هـ/1138م. حيث طويت بها صفحة كئيبة من صفحات الأندلس.

[2] أي بلاد المغرب.

[3] هو الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن؛ ولد سنة 616هـ/1219م وتوفي بمراكش غرقاً سنة 640هـ/1242م. ولي إمارة المؤمنين بمراكش بعد وفاة أبيه سنة 630هـ/1232م.

قضـاء **مِليانـة**[1]؛ مـن نظر **مَرّاكُش** [الشـرقي][2]؛ فتـولاه قليـلاً، ثـم نقلـه إلـى أقـصى **رِبــاط الفتــح**؛ وتــوفي **الرشيــد**؛ فأقـرّه عـلى ذلـك الـوالي بعده؛ **أبـو الحسـن المعتضـد**[3] أخـوه؛ ثـم نقله إلـى قضـاء **مِكْنَاسـة الزَّيتـون**؛ ثـم لما قُتـل **المعتضـد** لحِـقَ **بِسَبْتَـة**؛ وجـرى عليـه ـ بطريقهـا ـ مـا يذكـر في مِحْنتـه، ثـم ركـب البحـر ـ منهـا ـ متوجهـاً إلـى **إفريقيَّـة**؛ فقـدم **بجَايـة**؛ على **أبـي زكريـا يحيى بـن الأمير أبـي زكريـا**[4]. ثـم توجه إلـى **تونـس**؛ فنجحـت بهـا وسـائله، وولـى قضـاء مدينـة **الأرش**[5].
ثـم انتقـل إلـى **قابس**[6]؛ وبهـا طالـت مـدة ولايتـه؛ واستدعـاه

---

[1] مليانـة مدينـة تابعـة لولايـة عيـن الدفلى؛ تبعـد عـن العاصمـة الجزائريـة بحـولي 120 كيلـو. اختلفت آراء الباحثيـن حـول أصـل اسمهـا؛ لكـن الراجـح في الآراء هـو أنهـا منسوبـة إلى قبيلـة صنهاجيـة أمازيغيـة تسـمى مليانـة. والـذي بناهـا هـو بلكيـن بـن زيـري الصنهـاجي.
[2] هـذه الإضافـة مـن الملكيـة.
[3] هـو أبـو الحسـن علـي السعيـد بـن إدريـس المأمـون بـن يعقـوب المنصـور ابـن يوسـف بـن عبـد المؤمـن؛ لقـب بالمعتضـد باللـه؛ تـوفي في معركـة بينـه وبيـن يغمراسـن بـن زيـان سنـة 646هـ/1248م.
[4] هـو أميـر بجايـة الحفصـي أبـو زكريـاء يحـيى بـن أبي زكريـاء يحـيى بـن عبـد الواحـد سلطـان الحفصيين بتونـس.
[5] هكـذا؛ يبـدو أن تحريفـاً حـدثوقـد تكـون هي الأُرْبـس؛ وهي كـورة بإفريقيـة قديمـاً؛ وكانـت موجـودة إلى الغـرب مـن القيـروان.
[6] قَابُـس مدينـة ساحليـة ومركـز ولايـة بالجمهوريـة التونسيـة؛ تبعـد عـن مدينـة تونـس بـ 405 كيلـو. اسسـت هـذه المدينـة مـن قبـل الفينيقييـن.

المُسْتنصر بالله[1] **محمد بن أبي زكريا**[2]؛ ولطُف محله منه؛ حتى كان يحضر مجالس أنسه؛ وداخله بما قرَفتهُ[3] الألسن بسببه؛ حسبما يذكر في وصمته.

مناقبه

وهي الكتابة والشعر. كان يذكر أنّه رأى في منامه، **النبي** صلى الله عليه وسلم؛ فناوله أقلاماً؛ فكان يُروَى له؛ أن تأويل تلك الرُّؤيا؛ ما أدرك من التبريز في الكتابة، وشِياع الذكر؛ والله أعلم. ومن بديع ما صَدَرَ عنه، فيما كتب في غرض التَّورية؛ قطعة من رسالة، أجاب بها **العبَّاس بن أمية**؛ وقد أعلمه باستلاء **الروم** على **بَلَنْسِية**[4]؛ فقال: ((بالله؛ أيَّ نحو ننْحُو، أو مَسْطورٍ نُثْبِت أو نَمْحُو؛ وقد حُذف الأصْلُ والزَّائد، وذَهَبت الصِّلَةُ والعائِد؛ وباب التَّعَجُّب طال، وحالُ اليَأس لا تَخْشَى الانتقال؛ وذهبَتْ

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((المنتصر بالله)).
[2] هو أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء يحيى؛ ولي سلطنة الحفصيين بتونس بعد وفاة أبيه سنة 647هـ/1249م وتوفي سنة 675هـ/1276م. لقب بالمستنصر بعد أن أعلن خلافته؛ جراء انقراض الخلافة العباسية ببغداد.
[3] في الملكية: ((قربته)).
[4] وتاريخ سقوط بلنسية في قبضة الأراغون هو سنة 636هـ/1238م.

عَلامَةُ الرَّفْع، وفُقِدت نونُ الجَمع؛ والمُعْتَلُّ أعْدَى الصَّحيح، والمُثَلَّثُ أرْدَى الفصيح؛ وأمْتَنَعَت الجُموع من الصَّرْف، وأمَنَت زيادتها من الحَذْف؛ ومالت قواعد المِلَّة، وصِرْنَا جمع القِلَّة، وظهرت علامة الخَفْض، وجاء بدل الكُلِّ من البَعْض)). ومن شعره؛ في المقطوعات التي وَرَّى فيها بالمعلوم؛ قوله[1]:

قد عَكفْنا على الكتابة حيناً
وجاءت[2] خُطّة القضاء تليها

وبكلٍ لم يَبْقَ للجُهْد إلاّ
منزلاً نابياً وعيشاً كريهاً

نِسْبةٌ بُدِّلت ولم تتغيَّر
مِثْل ما يزعمُ المهندس فيها

---

[1] هذه المقطوعة من البحر الخفيف.

[2] في الملكية: ((ثم جاءت)). وقد صوب هذا الشطر نقلا عن المجلد الثاني من الإحاطة؛ خلال ترجمة أبي البركات البلفيقي؛ حيث وردت هذه الأبيات بشكل مختلف. يمكن مقارنة ذلك بالرجوع إلى المجلد الثاني.

وكقوله مما افتتح به رسالة[1].

يـــا غائبـــاً سَلَبَتْـــني الأُنْـــسَ غَيْبَتُـــهُ
فكيـــفَ صَبْري وقد كابَـــدتُ بَيْنَهُمَـــا
دَعْـــوايَ أنَّـــك في قلـــبي فعارَضَهـــا[2]
شَـــوقي إليكَ فكيفَ الجَمْـــعُ بَيْنَهُمـــا

وفي مثل ذلك استفتاح رسالتة أيضاً[3]:

إن الكِتـــاب[4] أتى وساحـــةُ طِرْســـه
روح مـــوشَّى[5] بالبديـــع مُرَتَّـــعُ[6]
وله حقـــوقٌ ضاق وقـــتُ وجوبهـــا
ومِنَ الوُجـــوبِ ضَيِّـــقٌ[7] ومُوسّـــع

[1] هذان البيتان من البحر البسيط وقد وردا أيضاً في كتاب الذيل والتكملة.
[2] في الذيل والتكملة: ((يعارضها)).
[3] الكامل.
[4] في الذيل والتكملة: ((أفدي الكتاب)).
[5] في ت، والزيتونة: ((موشح)).
[6] في ك: ((مرتبع)). وورد هذا الشطر في الذيل والتكملة هكذا:
((**روض مُوَشَّى بالبديع مُوَشَّع**)).
[7] في الذيل: ((مضيق))؛ وهو أسلم.

وفي مثل ذلك في استفتاح رسالتة أيضاً[1]:

كبَّــرْتُ بالبشرَى[2] أتت وسماعُهــا
عيــدي الذي لشُهُــودِه تَكْبيــري
وكذلــك الأعيــاد سنــة يومهــا
مختصَّــة بزيــــادة التَّكبيــــر

وفي أغراض أُخَرْ[3]:

بايعونـــا مَـــودَّة هـــي عنـــدى
كالمـــرآة[4] بيعهـــا بالخـــــِدَاع
فسأقـــضي بِرَدِّهـــا ثم أقـــضي
بعدها[5] من مدامعي[6] ألف صـــاع

---

[1] الكامل.
[2] في الذيل: ((للبشرى)).
[3] البحر الخفيف.
[4] في ك، وفي ت: ((كالممرات. كالممارات)). وفي الذيل والتكملة: ((كالمصراة)).
[5] في الذيل والتكملة: ((معها)).
[6] في ج: ((مدامتي))، وفي ك: ((قدامني)).

ولـه في معنى آخر [1]:

شرطْـــتُ عليهم عندَ تسليـــم مُهْجَـــتي
وعند انعقـــادِ البيـــعِ قُربـــاً يُواصـــل
فلمّا أردتُ الأخْذَ بالشَّـــرْط أعْرَضـــوا
وقالوا يَصِحُّ البَيْع والشَّـــرْطُ باطِـــل

تصانيفــه

لـه تأليف في **كائنة مَيُرْقةُ**[2]، وتغلّب **الروم** عليها ؛ نـحَى فيه مَنْحَى **العِماد الأصْفهَاني** ؛ في **الفتح القدسي**[3]؛ وكتابه ؛ في تعقيبه على **فخر الدين بن الخطيب الرَّازي** ؛ في **كتاب المعالم في أصول الفقه**[4] منه ؛ وردُّه على **كمال الدين أبي محمد بن الكريم السِّماكي** ؛ في **كتابه المسمى بالتّبيان في علم**

---

[1] الطويل.

[2] يقصد استيلاء نصارى الأراغون؛ بقيادة ملكهم خايمي الأول على كبرى جزر البليار المسماة ميورقة؛ وذلك في سنة 627هـ/1228م.

[3] يسمى هذا الكتاب الفتح القسي في الفتح القدسي؛ شرع في كتابته عماد الدين بن محمد الكاتب الأصبهاني سنة 583هـ/1187م.

[4] الكتاب يسمى معالم أصول الدين؛ كتبه أبو عبد الله محمد بن العمر ابن الحسين التميمي الطبرستاني الرازي؛ الملقب بفخر الدين الرازي.

البيان[1]؛ **واقتضابُه النبيل**[2] **في ثورة المريدين**[3]؛ إلى غير ذلك من تعاليق[4]، والمقالات؛ ودوّن الأستاذ **أبو عبد الله ابن هانئ السَّبْتي**[5] كتابته، وما يتخلَّلُها من الشِعر في سفرين بديعين؛ أتقن ترتيبهما؛ وسمَّى ذلك ((**بُغية المُسْتطرف وغُنية المُتطرّف**[6] **من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرِّف**)).

---

[1]في المشهور أن كتاب التبيان في علم البيان المُطْلع على إعجاز القرآن؛ هو للقاضي أبي المكارم كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني الدمشقي؛ يعرف بابن خطيب زملكا؛ توفي بدمشق سنة 651هـ/1253م.

[2] حرفت في ج، وفي ك؛ فكتب في الأولى: ((السميل))؛ وفي الثانية: ((النسيل)).

[3] ثورة المريدين؛ قامت ضد المرابطين بدءاً بمنطقة شلب جنوب البرتغال؛ بزعامة أبي القاسم أحمد بن الحسين بن قسِيّ؛ وسمي أتباعه بالمريدين. وابن قسي هذا من المولدين ذي الأصول النصرانية؛ اتبع الطرق الصوفية؛ حيث ألف فيها بعض الكتب؛ مثل كتاب خلع النعلين. وتمادى في ادعاءاته حتى خرج عن الحدود المقبولة.

[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((العماليق)).

[5] هو الأستاذ أبو عبد الله محمد بن هانئ السبتي (ت733 هـ/1332م.

[6] في ج: ((المطرف)).

دخوله غرناطة

[قال][1] شيخنا **أبو الحسن بن الجيّاب**: **عمير** أخبر بذلك مِنْ شيوخه؛ والرجل ممن يُرْكَن إليه في أخباره؛ فيما أحقُّوا[2] على سبيل الرواية والإخبار؛ من **شرق الأندلس**، إلى **غرناطة**، إلى **غرْبها** إلى غير ذلك؛ عند رحلته؛ وهو الأقرب. وقال: قال المخبر، عهدي به طويلاً، نحيف الجسم، مُصْفرّاً، أقنى الأنف؛ أصيب **بمالقة** ما أحوج ما كان إليه؛ وقد استقبل الكبْرَة[3]، ونازعه[4] سوء الحظ. قال الشيخ **أبو الحسن الرُّعيَني**، إنّه كتب إليه يُعْلمهُ بهذه الحادثة عليه، وأن المنهوب من ماله، يَعْدل أربعة آلاف دينار عُشْرية، وكان ورقاً وعيناً وحُليّاً؛

---

[1] هذه الكلمة سقطت في النسخ الثلاث.؛ فأضافها عنان.
[2] هكذا في المخطوطين؛ أما في ت؛ فكتبت: ((مما أخفوا)).
[3] يقصد: كبر السن.
[4] في ك: ((وقارعه)).

وذلك أنه لما قُتل **المعتضد**[1]، اغتنم الفطرة[2]، وفصَل عن **مِكناسة**[3]؛ قاصداً **سَبْتة** ؛ فلقي الرفقة ؛ التي كان فيها جَمْعٌ من **بني مرَين**[4]؛ سلبوه، وكلّ من كان معه.

مولده

بجزيرة شُقْر[5]؛ وقيل **بَبَلنْسِية** ؛ في رمضان اثنين وثمانين وخمسمائة[6].

[1] هو علي السعيد الملقب بالمعتضد؛ قتله بنو زيان. وقد سبقت الإشارة إليه.
[2] في ك: ((الفترة)).
[3] مكناس وهي مدينة في شمال شرق المملكة المغربية؛ وتبعد عن الرباط بـ 130كيلو؛ تسمى أيضاً بمكناسة الزيتون.
[4] بنو مرين؛ قبيلة أمازيغية زيناتية من بني واسين؛ أبناء عم بني زيان. تمكنوا من إسقاط دولة الموحدين بمراكش، وتأسيس دولتهم على أنقاضها.
[5] أي Jucar بالإسبانية. وهي من أعمال بلنسية؛ وتسمى أيضاً جزيرة شكر وتقع شرقي الأندلس، وتعرف الآن Alcira. ولد فيها شاعر الأندلس أبو إسحاق إبراهيم ابن خفاجة سنة 450هـ/1058م.
[6] الموافق لـ 1186م

وفاتــه

تـوفي **بتونـس**؛ ليلـة الجمعـة الموفيـة عشريـن[1] ذي الحجـة؛ عـام ستـة وخمسيـن وستمائة[2]. قـال **ابـن عبـد الملـك**: وَوَهـم **ابـن الزبيـر** في وفاتـه؛ إذ جعلهـا في حـدود الخمسيـن وستمائـة أو بعدهـا.

***

[1] في ج ، ت: ((عشـر)).

[2] الموافق لـ 1258م. وفي الذيـل والتكملـة: ((الحجـة؛ ثمـان وخمسيـن وستمائـة)). وفي بغية الوعاة: ((رابع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وستمائة)).

أحمد بن عبد الحق

ابن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجزلي[1]؛ من أهل مالقة، ويكنى أبا جعفر، ويعرف بابن عبد الحق.

حالــه

من صدور أهل العلم والتفنُّن؛ في هذا الصُّقع[2] **الأندلسي** ، نسيج وحده في الوقار والحصافة، والتزام مُثْلى الطريقة، جمُّ التحصيل، سديد النظر، كثير التخصُّص، محافظ على الرسم، مقبوض العِنان في التَّطْفيف في إيجاب الحقوق لأهلها، قريب من الاعتدال في معاملة أبناء جنسه، مقتصد في ثروته[3]، مؤثر للترتيب[4] في كافة أمره، متوقد الفكرة مع سكون، ليّن العريكة مع مَضاء؛ مجموع خِصال حميدة مما يفيد التجريب[5] والحنْكة؛ مضطلع بصناعة العربية، حائز قصب السّبق فيها، عارف بالفروع والأحكام، مشارك في فنون من:

---

[1] في الكتيبة الكامنة، وبغية الوعاة: ((الجدلي))؛ بالدال المهملة.
[2] تحرف باستمرار في ك؛ فتكتب: ((بالسقع))؛ بالسين المهملة.
[3] في ج: ((تورته))؛ وهو تحريف.
[4] في ك: ((للقريب)).
[5] في المخطوطين: ((التحريج))، و((التخريج)).

أصـول، وطـبٍ، وأدب؛ قائـم عـلى القـراءة[1]، إمـام في الوثيقـة[2]، حسـنُ الخَـطّ، مليـح السِّمَـة والشيبـة[3]، عَـذْب الفُكاهـة، حسـن العهـد، تـام الرجوليـة[4].

نباهتــه

تصـدر للإقـراء ببلـده عـلى وفـور أهـل العلـم؛ فكـان سابـق الحَلْبَـة، ومنـاخ الطِّيَّـة: إمتاعـاً، وتفننـاً، وحسـن إلقـاءٍ[5]. وتصـرف في القضـاء **ببلّـش**[6]، وغيرهـا مـن غـربي بلـده، فحسنـت سيرتـه، واشتهـرت طريقتـه، وحُمَـدَت نزاهتـه. ثـم وُلي خطـة القضـاء **بمالقـة،** والنظـر في الأحبـاس[7] بهـا؛ عـلى سبيـل مـن الحظـوة والنَّباهـة؛ مرجوعـاً إليـه في كثيـر مـن مُهمَّـات بلـده، سائمـة وجـود السعـادة، ناطقـة ألسـن الخاصـة والعامـة بفضلـه، جمَّاعـة نزاهتـه، آويـاً إلـى فضـل بيتـه. واتَّصلـت ولايتـه إيَّاهـا إلـى هـذا العهـد؛ وهـي أحـد

---

[1] في بغيـة الوعـاة: ((القـراءات)).
[2] أي كتابـة العقـود وشئـون التوثيـق.
[3] في ج: ((الشبيهـة))، وفي ك: ((الشبيبـة))؛ فصوبهـا عنـان.
[4] حرفـت في المخطوطيـن؛ فكتبـت: ((الروجليـة)).
[5] حرفـت في ج؛ فكتبـت: ((اللقـاء)).
[6] سبـق التعريـف ببلـش؛ (بلـش مالقـة)؛ وتسـمى بالإسبانيـة Velez Malaga.
[7] أي الأوقـاف.

محامد[1] الوالي؛ طول مدة الولاية؛ لاسيما القاضي؛ مما يدل على الصبر، وقلة القدْح، وسد أبواب التُّهم. والله يعينه، ويمتع به بمنه.

مشيختــه

قرأ على الأستاذ **أبي عبد الله بن بكر**، وهو نجيب حَلْبته، والسَّهْمُ المصيب من كِنانته؛ لازمه، وبه تفقَّه وانتفع، وتلا القرآن عليه وعلَى **محمد[2] بن أيوب**، وعلَى **أبي القاسم بن درهم؛** عَلَمَي وقتهما في ذلك، وعلى غيرهما، وتعلَّم الوثيقة على العاقد القاضي **أبي القاسم ابن العريف**، وروى عن الخطيبَيْن المحدّثين: **أبي عثمان بن عيسى، وأبي عبد الله الطَّنجالي**، وغيرها.

دخوله غرناطة

تردَّد إليها غير ما مرَّة؛ منها في أمور عَرَضت في شئونه الخاصة به، ومنها مع الوفود الجلَّة، من أهل بلده؛

---

[1] في ج: ((المحامد)).

[2] في بغية الوعاة: ((على أبي محمد)).

تابعاً قبل الولاية، متبوعاً بعدها، ومن شعره؛ قوله في جدول[1]:

ومُقـــاربُ الشَّطين[2] أحكم صَقْلـــه[3]
كالمشْـــرَفي إذا اكتـــسى بفرِنـــدْه

فحمائـــل[4] الدِّيبـــاج منه خَمائـــلُ
ومعانـــق[5] فيهـــا البَهَـــار بـــورده

وقد اختفى طرف[6] له في دَوْحَـــةٍ
كالسَّيـــف رُدَّ ذبابـــه في غمـــده

وقوله في شجر نارنج مزهر[7]:

وثمـــار نارنـــج نـــرى أزهارهـــا
مـــع ناتئ[8] النَّارنـــج في تنْضِيـــد

[1] البحر الكامل.
[2] في المخطوطين: ((ومنهم الشيطان)).
[3] ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:
((ومنمنم الشَّطَّيْن منه حمائل)).
[4] في الكتيبة الكامنة: ((فخمائل)).
[5] نفسه: ((متعانق)).
[6] نفسه: ((طوق)).
[7] البحر الكامل.
[8] في الكتيبة: ((تُرى أزْهارُهُ مع قانئ)).

فـــإذا نظـــرت إلى تألُّفهـــا[1] أتـــت
كمباسِـــم[2] أومـــت للِثْـــم خـــدود

وفاتـه

في زوال يـوم الجمعـة ؛ السابـع[3] والعشريـن لرجـب ؛ عـام خمسة وستين وسبعمائة[4].

مولـده

ثامـن شـوال ؛ عـام ثمانية وتسعيـن وستمائة[5].

***

[1] في الكتيبـة: ((تآلفهـا)).
[2] في المخطوطيـن: ((كملاسـم)).
[3] في بغيـة الوعـاة: ((الجمعـة ثامـن عشريـن رجـب)).
[4] الموافـق لـ 1363م.
[5] الموافـق لـ 1298م.

أحمد بن عبد الرحمن

ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي[1]؛
يكنى أبا العباس، من أهل الثّغْر الأعلى[2]

أوّليتــه

من **سَرَقُسْطَة**[3]، حيث منازل **الأنصــار** هنالـك ؛ انتقـل جدُّ أبيه **عبد الرحمن** بابنه الصغير[4] منهـا ؛ لحـدوث بعـض الفتن بها ؛ إلى **بَلَنْسِية**، فولد له ابنـه **عبـد الرحمــن ؛ أبـو العبـاس** هـذا[5]؛ ثم انتقل أبوه إلى **ألمريَّة**[6]؛ فولد **أبو العباس العبـاس** بها ؛ ونقله أبوه إلى **سَبْتة** ؛ فأقام بها مدّة[7].

---

[1] توجد ترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر أيضاً في التكملة، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، والوافي بالوفيات، والذيل والتكملة، والديباج المذهب، ونفح الطيب.
[2] يقصد بعبارة الثغر الأعلى المناطق والمدن الشمالية المتاخمة لدول النصارى؛ مثل: سرقسطة، وتطيلة، ووشقة، ولاردة، وطركونة، وطرطوشة.
[3] سرقسطة تسمى عند الإسبان زاراغوزا Zaragoza؛ وتقع على ضفاف نهر إبرو؛ وهي عاصمة لمقاطعة في الشمال الشرقي من الأندلس؛ وتتاخمها شمالاً دولة الأراغون النصرانية.
[4] يسمى هذا الابن ـ كما ورد في الذيل والتكملة ـ محمد.
[5] في الذيل: ((أبو أبي العباس هذا)).
[6] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((القرية)).
[7] في الذيل والتكملة: ((سبتة ابن نحو سبعة أعوام، وأقام فيها به مديدة)).

حالــه

كــان محدّثــاً مُكثــراً ثقــةً، ضابطــاً، مقرئــاً، مُجــوِّداً، حافظاً للفقه، ذاكراً للمسائل[1]، عارفاً بأصولها[2]، متقدماً في علــم الكــلام، عاقــداً للشــروط، بصيــراً بعللهــا، حاذقــاً بالأحكام ، كاتباً بليغاً، شاعراً محسناً، أتقنُ[3] أهـل عصـره خطّـاً، وأجلهــم مَنْزعــاً، مــا اكتســب قــط شيئــاً مــن متــاع الدُّنيا، ولا تلبس بها، مُقتنعاً باليسير، راضياً بالـدُّون؛ مـع الهمَّـة العليَّـة[4]، والنفـس الأبيَّـة، عـلى هـذا؛ قطـع عمـره، وكتـب مـن دواويـن العلـم ودفاتـره، مـا لا يحـصى كثـرة، بجودة وضبط[5]، وحسـن خـطّ، وعُـنِيَ بـه أبـوه في صغـره؛ فأسمعه كثير من الشروح، وشاركه في بعضهم. نفعه الله.

---

[1] في الذيل: ((لمسائله)).

[2] في المخطوطين، وفي الذيل والتكملة: ((بأصوله))؛ فصوبها عنان.

[3] في الذيل: ((آنق)).

[4] في الملكية: ((العالية)).

[5] في الذيل: ((وجودة وضبطاً)).

نباهتـه

استدعـاه **أبـو عبـد الله بـن حسـُّون**، قـاضي **مرَّاكـش**، إلـى كتابتـه ؛ إلـى أن صُـرف، واستقـر هـو متـولي حكمهـا وأحكامهـا، والصـلاة في مسجدهـا، ثـم تـرك الأحكـام، واستقر في الإمامة. ولما تصيَّـر الأمـر إلـى **المُوحِّديـن** ؛ ألحقـه **عبـد المؤمـن**[1] ـ منهـم ـ بجملة طلبة العلـم، وتحفَّـا بـه، وقدّمـه إلـى الأحكـام بحضـرة **مَرَّاكـش** ؛ فقـام بهـا مـدّة، ثـم ولاّه قضـاء **غرناطة**، ثـم نقله إلى **إشبيليـة** ؛ قاضياً بهـا ؛ مع ولـي عهـده. ولمـا صـار الأمـر إلـى **أبـى يعقـوب**[2]؛ ألزمـه خدمـة الخِزانة العلمية ؛ وكانت عندهـم مـن الخطـط الـتي لا يُعَيَّـنُ لهـا إلا كبـار أهـل العلـم وعليِّهـم. وكانـت مواهـب[3] **عبـد المؤمـن** لـه جَزْلـة، وأعطياتُهـم مُترافِهَـة كثيـرة.

---

[1] عبـد المؤمـن بـن عـلي؛ سبـق الحديـث عنـه.

[2] هـو أبـو يعقـوب يوسـف بـن عبـد المؤمن بـن عـلي. حكـم مـن سنـة 558هـ/1162م إلى سنـة 580هـ/1184م؛ سنـة وفاتـه؛ متأثـراً بجـراح أصيـب بهـا في معركـة شنتريـن؛ الـتي هـزم فيهـا الموحـدون.

[3] حرفـت في ج، والملكيـة؛ فكتبـت: ((مذاهـب)).

مشيختـه

قرأ القرآن على أبيه، وأكثر عنه، وأجاز لـه، وعلى **أبي الحسن التُّطيلي**[1]. قال: وهو أول من قرأت عليه.

من روى عنـه

روى عنه: **أبو عبد الله، وأبو خالد يزيد بن يزيد بن رفاعة، وأبو محمد بن محمد بن علي بن وهب القضاعي**.

دخوله غرناطة

صحبة القاضي **أبي قاسم بن حمزة**؛ ونوَّه به، واستخلفه إذ وليها، وقبض عليه بكلتي يديه؛ ثم استُقضي بها **أبو الفضل عياض بن موسى**؛ فاستمْسك به، واشتمل عليه؛ لصحبة كانت بينهما، وقرابة؛ إلى أن صُرف عنها **أبو الفضل عِياض**؛ فانتقل إلى **واد آش**؛

[1] نسبة إلى مدينة تطيلة؛ في الثغر الأعلى؛ الواقعة في الشمال الغربي من سرقسطة؛ والمحاذية لنهر إيبرو؛ وتسمى بالإسبانية: Tudela.

فتولى أحكامها، والصلاة بها؛ ثم عاد إلى **غرناطة** سنة سِت وثلاثين[1]، إلى أن استقضي **بغرناطة**؛ في دولة **أبي محمد بن عبد المؤمن بن علي**؛ فحُمِدَت سيرته، وشُكر عدله، وظهرت نزاهته؛ ودام بها حتى ظن من أهلها.

شعره

وشعره في طريقة الزهد [وهي][2] لا يَنْفُذُ فيها إلاّ من قويت عارضته، وتوفرت مادّته[3]:

إلــهي لــكَ المُلْــك العظيــمُ حقِيقــةً
وما لِلْـورى مهمـا منعـت نقِيـر
تجافي بنـُو الدنيـا مكـاني فَسَـرَّني
ومـا قـدر مخْلـوق جَـداه[4] حقيـر

---

[1] 536هـ/1141م.
[2] كلمة ((هي))؛ وردت في ك، وسقطت في ج.
[3] هذه الأبيات من البحر الطويل.
[4] في المخطوطين: ((حداه))، وفي الملكية: ((جزاه)).

وقالوا فقيــر وهــم[1] عنــدي جلالــة
نعــم صدقــوا إنــي إليــك فقيــر

وشعره في هذا المعنى كثير ؛ وكله سَلِس المقـادة، دالاً عـلى جـودة الطبـع. ومـن شعـره ؛ قولـه[2]:

إرْضِ العَــدُوَّ بظاهــر مُتَصَنِّــع
إنْ كنتَ مُضْطَــراً إلى استِرْضائِــه[3]
كم منْ فــتًى ألــقى بوجــهٍ[4] باســمٍ
وجوانــحي تتَّقــد[5] مــن بغضانــه

تصانيفـه

لــه تصانيفــه مفيــدة، تــدل عــلى إدراكــه وإشرافــه، كشرحه الشِّهاب ؛ فإنه أبدع فيه، وكتابـه ((**أنــوار الأفكـار**

[1] في الذيل والتكملة: ((وهو))؛ وذلك أسلم.
[2] الأبيات التالية من البحر الكامل.
[3] في الذيل: ((إلى إرضائه)).
[4] نفسه: ((بثغر)).
[5] نفسه: ((تَنْقَدُّ))؛ وهو أسلم.

فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهَّاد والأبرار)) ؛ ابتدأ تأليفه ؛ وتوفي دون إتمام غرضه فيه ؛ فكَمَّله **عبد الله** ابنه.

محنته

كان ممن وقعت عليه المحنة العظمى **بمرَّاكُش ؛** يوم دخول **الموحدين** إياها ؛ يوم السبت لإثني عشر ليلة بقيت من شوال ؛ [عام] [1] إحدى [2] وأربعين وخمسمائة [3] ؛ على الوجه المشهور ؛ في استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذُّكور البالغين ؛ إلاَّ من تسَتَّر بالاختفاء في سِرْب، [أو غرفة][4]، أو مخبأ. وتمادى القتل فيها ثلاثة أيام ؛ ثم نُودِيَ بالعَفْوِ عَمَّنْ أشارته الفتْكة الكبرى ؛ فظهر من جميع الخلق بها ؛ ما يناهز السبعين رجلاً ؛ وبيعوا بيع أسارى المشركين ؛ هم وذراريهم ؛ وعُفي [عنهم][5]. فكان **أبو العباس** ممَّن تخطته المنِيَّة، واستنْقذه من الرقّ العفوَ.

[1] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ ووضعها عنان.
[2] في الذيل: ((أحد))؛ وهو أصح.
[3] الموافق لـ 1146م.
[4] هذه الإضافة من ك.
[5] سقطت في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

وحسبك بها محنة. نفعة الله ؛ وضاعت له ـ في ذلك، وفي غيره ـ كتب كثيرة بخطّه، وبغير خطه ؛ مما تجلّ عن القيمة.

مولده

بألمريّة ؛ في أواخر شهر ربيع ؛ سنة اثنين[1] وخمسمائة[2].

وفاته

توفي **بمرّاكش** ؛ بين صلاة الظهر والعصر ؛ في يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى ؛ سنة تسع وخمسين وخمسمائة[3]. دفن يوم الإثنين ـ بعده ـ عقب[4] صلاة الظهر ؛ وصلى عليه القاضي **أبو يوسف حجاج** ؛ وكانت جنازته عظيمة المحفل، كثيرة الجمع ؛ برز إليها الرجال والنساء، ورفعوا نعشه على الأيدي. رحمه الله.

[1] في الذيل: ((اثنتين))؛ وهو أصح.
[2] الموافق لـ 1108م.
[3] الموافق لـ 1183م. في التكملة والذيل والتكملة، والمقتضب: كانت وفاته سنة 569هـ الموافق لسنة 1173م.
[4] في المخطوطين: ((بعد عقب))؛ وقد صوبت من الملكية.

ومما رثاه به جاره وصديقه **أبو بكر بن الطفيل**[1]؛ وهو **بإشْبيلية** ؛ بعث بها إلى ابنه ؛ مع كتاب في غرض العزاء[2]:

لأمـــرٍ مَـــا تَغَيَّـــرت الدُّهـــور
وأظلمـــت الكواكـــبُ والبُـــدُور

وطَال على العُيُون اللَّيْـــلُ حَتَّى[3]
كـــأَنَّ النَّجْـــمَ فيـــه لا يَغُـــور

***

---

[1] هو الفيلسوف أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي؛ ولد في وادي آش سنة 494هـ/1100م وتوفي بمراكش سنة 581هـ/1185م. خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.

[2] هذان البيتان من البحر الوافر.

[3] في الذيل:و((طال على نجِيِّ الهَمِّ ليلٌ)).

أحمد بن أبي القاسم

ابن عبد الرحمن؛ يعرف بابن القَبّاب؛ من أهل فاس؛
ويكنى أبا العباس.

حالــه

هذا الرجل، صَدْرُ عدول[1] الحَضْرة **الفاسِيَّة**، وناهضُ عُشّهم؛ طالب، فقيه، نبيه، مُدْرك، جيد النظر، سديد الفهم؛ حضر الدرس بين يدي السلطان، ووُلِّيَ القضاء **بجبل الفتح**[2]؛ متَّصفاً فيه بجزالة وانتهاض. تعرفت به في مدينة **فاس**؛ فأعجبتني سميتُه؛ ووصل مدينة **سلا**؛ في غرض اختبار، واستطلاع الأحوال السلطانية؛ واستدعيته؛ فاعتذر ببعض ما يُقبل؛ فخاطبته بقولي[3]:

أَبيتُم دَعْوتي إمَّا لِشَأْوٍ[4]
وتأبَى لومه مُثْلى الطريقة

[1] وظيفة العدل في الأندلس وبلدان المغرب ـ آنذاك ـ تشبه وظيفة كاتب الضبط القضائي الآن؛ إذ يقوم العدل عندهم بصياغة الوثائق القضائية وتوثيقها بعد أن يقرها القاضي. ومعنى العدل لغة هو من يلتزم العدل؛ ولا ينجر مع الهوى؛ حتى يجور أو يظلم.

[2] جبل طارق.

[3] هذه القطعة من البحر الوافر.

[4] في نفح الطيب: ((لبأو)).

وبالمختـــــار للنـــاس اقتـــداء

وقد حضر الوليمـــة والعقيقـــة

وغيـــر غريبـــة أن رقَّ حُـــرٌ

على من حالُـــه مِثْـــلي رقيقـــة

وإمّـــا زاجـــرُ الوَرَع اقتضاهـــا

ويـــأبى ذاك دُكـــانُ الوثيقـــة

وغِشْيـــانُ المنـــازل لاختبـــار

يطالـــب بالجليلـــة والدّقيقـــة

شكرت مخيلـــة كانت مجـــازاً

لكم وحَصلَت بعدُ على الحقيقـــة[1]

وتفـرَّغ الكـلام عـلى قـولي: ((ويـأبى ذلـك دُكـانُ الوثيقـة))؛ بمـا دعـى إلـى بيانـه بتصنيـفي[2] ـ فيـه ـ الكتـاب المسَـمَّى ((**مُثلى الطريقة في ذَمِّ الوثيقة**))[3].

---

[1] حدث تحريف لهذه الأبيات في المخطوطين؛ وقد صوبت من نفح الطيب؛ كما أضاف عنان البيت الثاني نقلاً عن نفح الطيب أيضاً.

[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بتعنيف))؛ فصوبها عنان.

[3] هذا الكتاب عالج فيه ابن الخطيب موضوع التوثيق ووظيفته.

دخوله غرناطة

في عام اثنين وستين وسبعمائة[1]، موَجهاً من قِبَل سلطان **المغرب أبي سالم بن أبي الحسن**[2]؛ لمباشرة صَدقة؛ عهد بها لبعض **الرُّبُط**[3]؛ وهو - إلى الآن - عَدْلٌ بمدينة **فاس**؛ بحال تَجِلَّة وشهرة. ثم تعرَّفْت أنه نسك، ورفض العَيْش[4] من الشهادة؛ ككثير[5] من الفضلاء.

***

---

[1] الموافق لـ 1360م.

[2] هو أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني؛ سلطان بني مرين. وردت ترجمة له في الإحاطة.

[3] الرُّبُط مفردها رباط: وهي مواضع يقيم فيها المجاهدون في سبيل الله استعدادا وتحفزا لكل طارئ من الأعداء. وقال بعضهم: ((معنى الرباط، الإقامة بالثغر مقوِّياً للمسلمين على الكفار، والثَّغر كل مكان يخيف أهله العدو ويخيفهم. وأصل الرباط من ربط الخيل، لأن هؤلاء يربطون خيولهم، كلٌ يُعِدُّ لصاحبه، فسُمِّي المقام بالثغر رباطاً، وإن لم يكن فيه ... وأفضل الرباط المقام بأشد الثغور خوفاً، لأنهم إليه أحوج، ومقامه به أنفع .. (المغني (203/9) وما بعدها).

[4] في المخطوطين: ((المتمعش))؛ فصوب هذا التحريف من ت، ومن الزيتونة.

[5] في ك، وفي ت: ((الكثير))، وفي ج: ((للكثير)).

أحمد بن إبراهيم

ابن الزُّبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن
ابن الحسين بن الزبير بن عاصم
ابن مُسلم بن كَعْب الثَّقفي[1].
يكنى أبا جعفر.

أوليتـه

كعْبٌ ـ الذي ذكر ـ هو **كعب بن مالك بن عَلْقَمَة بن حباب**[2] **بن مسلم بن عَدي بن مرة بن عوف بن ثَقِيف**؛ أصلـه مـن **مدينـة جيّـان**[3]، **منـزل قِنَّسريـن**، مـن **العـرب الداخليـن الأندلـس**؛ ونسبـه بهـا كثيـر، وحسبـه أصيـل، وثروتـه[4] معروفة. خرج بـه أبـوه عنـد تغلـب العـدو عليهـا؛ عـام ثلاثـة وأربعيـن وستمائـة[5]. ولأبيـه ـ إذ ذاك ـ إثـراء[6]، وجِـدَة؛ أعانتـه عـلى طلـب العلـم، وإرفـاد[7] مـن أحْوِجَتـه

---

[1] توجد ترجمة أحمد بن إبراهيم الثقفي أيضاً في الذيل والتكملة، وشذرات الذهب، وبغية الوعاة، والوافي بالوفيات.
[2] في الصلة: ((حيان)).
[3] سبقت الإشارة إلى جيان. وهي قاعدة من القواعد الأندلسية الهامة.
[4] في المخطوطين: وثورته.
[5] الموافق لـ 1245م.
[6] في ج: ((أثر)).
[7] إرفاد: أي العون والمساعدة والعطاء.

الأزمة في ذلك الزمان؛ من جالية العلماء عن **قرطبة وإشبيلية**؛ **كأبي الحسن الصائغ**[1]، وغيره؛ فنصحوا له، وحَطَبوا في حبله.

حاله

كان خاتمة المحدِّثين، وصدور العلماء والمقرئين، نسيج وحده، في حسن التعليم، والصبر على التَّسميع، والملازمة للتدريس، لم تختل له مع تخطي الثمانين، ولا لحقته سآمة؛ كثير الخشوع والخشية، مُسترسل العَبْرة [2]، صليباً في الحق، شديداً على أهل البدع، ملازماً للسُّنَّة، جَزْلاً، مُهيباً، معظماً عند الخاصة والعامَّة، عذب الفكاهة، طيب المجالسة، حلو النادرة؛ يؤثر عنه في ذلك حكايات؛ لا تُخِلّ بوقار، ولا تحل بجلال مَنْصِب.

---

[1] ابن الصائغ هو الفيلسوف ابن باجة يسميه الإفرنج Avempace. واسمه بالكامل هو أبو بكر محمد بن باجة التجيبي الأندلسي. ويعتبر من أبرز علماء الأندلس في الرياضة والفلك والطبيعة. بلدته هي سرقسطة في الثغر الأعلى. توفي مسموماً بمدينة فاس سنة 533هـ/1138م. تعاطى الفلسفة؛ واتهم بالإلحاد.

[2] في ج، وفي الملكية: ((الدمعة)).

فنونــه

إليــه انتهــت الرياســة **بالأندلــس** في صناعــة العربيــة، وتجويـد القـرآن، وروايـة الحديـث؛ إلـى المشاركـة في الفقـه، والقيـام عـلى التَّفسير، والخـوض في الأصلين.

مشيختـه

أخذ عـن الجُلَّة المُقْرئين؛ كالمقرئ **أبـي عبـد الله محمـد ابـن ابراهيـم بـن مستقـور**[1] **الغرنـاطي الطـائي**.

نباهتـه وخططـه

وُلِّـي قضــاء المناكـح، والخطبـة بالحضــرة؛ وبلــغ مــن الشهـرة والإشـادة بذكـره؛ مـا لـم يبلـغ سـواه.

تصانيفـه

مـن تأليفـه كتـاب ((**صلـة الصّلـة لإبـن بَشْكُـوال**))؛ الـتي وصلتهـا بعـده، وسمَّيـتُ كتـابي((**بعائـد الصلـة**)) [2]؛ وافتتحـت أول الأسمـاء فيـه باسمـه؛ وكتـاب ((**مـلاك التأويـل**

[1] في المخطوطين: ((مشهـور))؛ وصـوب مـن كتـاب المرقبـة العليـا. وابـن مستقـور مـن قضـاة الأندلـس المشهوريـن بالبلاغـة والخطابـة والنظـم.
[2] كتـاب لابـن الخطيـب؛ سبقـت الإشـارة إليـه.

في متشابه اللفظ في التنزيل))؛ غريب في معناه؛ [و**البرهان في ترتيب سُوَر القرآن**][1]؛ **وشرح الإشارة لِلْباجي** (في الأصول)؛ **وسبيل الرّشاد في فضل الجهاد؛ ورَدْع الجاهل عن اغتياب الجاهل** (في الرد على **الشودية**)[2]، وهو كتاب جليل يُنْبِئ عن التفنن والأضطلاع؛ **وكتاب الزمان والمكان**، (وهو وصْمَةٌ؛ تجاوز الله عنه.

شعره

وشعره مختلف عن نمط الإجادة؛ مما حقُّه أن يثبت، أو ثَبَتَ في كتاب شيخنا **أبي البركات**؛ المسمى **شِعْرُ منْ لا شِعْرَ لَه**؛ مما رواه، ممن ليس الشعر له بضاعة؛ من الأشياخ الذي عُدَّ صدرٌ عنهم؛ هو. فمن شعره[3]:

مـــالي ولِلتسئـــالِ لاَ أمَّ لي[4]

إن سألتُ[5] من يُعزل أو من يَلي

[1] العبارة الواردة بين الحاصرتين؛ ذكرت فقط في ك؛ بينما سقطت في ج، وفي ت، وفي الملكية.

[2] الشودية؛ إحدى الفرق الصوفية بالمغرب.

[3] هذه الأبيات من البحر السريع.

[4] حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((لأملي)).

[5] في بغية الوعاة: ((إن سلت)).

حَسْبي ذنوبٌ[1] أثقلــت كاهــلي
ما إن أرى إظلامها[2] ينجــلي
يا ربِّ عَفْــواً إنَّهــا جَمَّــةٌ
إن لم يكــن عَفْــوُك لاَ أمَّ لي

محنتــه

نشأت بينه وبين المتغلب **بمالقة** من الرؤساء **التُّجيبيين** ـ من **بني إشْقَيْلُولَة**[3] ـ وحشة؛ أكدتها سعاية بعض من استهواهم؛ رجلٌ مُمَخْرق[4] من بني الشعوذة، ومنتحلي الكرامة؛ يمتطيها؛ زَعَموا إلى النبوة؛ يعرف **بالفزاري**؛ واسمه **إبراهيم**؛ غريب المَنْزَع، فَذُّ المآخذ، أعجوبة من أعاجيب الفتن، يخبر بالقضايا المستقبلة، ويتسور سور حمى العادة في التطور[5]؛ من التقشف والخلابة؛ تبعه ثاغية

[1] في بغية الوعاة: ((ذنوبي)).
[2] نفسه: ((غماءها)).
[3] بنو إشقيلولة هؤلاء؛ ينتمون في أسرة أندلسية من المولدين؛ نافذة ونشطة. تربطهم ببني نصر أواصر مصاهرة؛ فولوهم على كثير من القواعد. الأمر الذي أغرى بعضهم بالثورة والاستقلال ببعض المدن والثغور.
[4] أي كذاب.
[5] في المخطوطين: ((الطور))؛ وصوبت من ت.

ثاغية وراغية[1]، من العوام الصم البكم؛ مستفزين فيه حياته؛ وبعد زمن[2]؛ من مقتله؛ على يد[3] الأستاذ **بغرناطة**؛ قرعه بحقِّه، وبادره بتعجيل نكيره؛ فاستغاث بمفتونه الرئيس؛ ظهير مُحاله؛ فاستعصى[4] له؛ وبلغ الأستاذ النياحة؛ ففر لوجهه[5]؛ وكبس منزله لحينه؛ فاستولت الأيدي على ذخائر كتبه، وفوائد تقييده عن شيوخه؛ على ما طالت له الحسرة، وجلت فيه الرزية[6]، ولحق **بغرناطة** آوياً إلى كنف سلطانها؛ **الأمير أبي عبد الله بن الأمير الغالب بالله ابن نصر**؛ فأكرم مثواه، وعرف حقه. وانثال عليه الجم الغفير؛ لالتماس الأخذ عنه؛ إلى أن نالته لديه سعاية؛ بسبب جارٍ له؛ من صلحاء القرابة **النصرية**؛ كان ينتابه لِنِسْبَةِ الخَيرِيَّة؛ نُميت عنه في باب تفضيله، واستهالت للأمر كلمة؛ أوجبت امتحانه؛ وتخلَّل

[1] شبه أتباعه بالغنم والإبل. إذ يقولون: ((ما له ثاغية ولا راغية)): أي لا شاة ولا ناقة.
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ونفرن من))، وفي ت: ((ونفذت)). وصوب ذلك من الصلة.
[3] لم ترد هذه الكلمة إلا في ك.
[4] في ج: ((فاستعض))، وفي ك: ((فاستفض))، وصوب ذلك من ت.
[5] في المخطوطين: ((لوجه))؛ وصوبت من ت.
[6] في ك: ((المردية)).

تلك الأُلْقِيَّة[1] من الشك؛ ما قصر المحنة على إخراجه من منزله؛ المجاور لذلك المتهم به، ومنعه من التصرف، والتزامه قعر منزل؛ انتقل إليه بحال اعتزال من الناس؛ محجوراً عليه مداخلتهم؛ فمكث على ذلك زماناً طويلاً؛ إلى أن سُرِّيَت عنه النكبة، وأقْشعت الموجدة؛ فتخلص من سرارها بدرُه، وأُقِلَّ من شكاتها جاهُه، وأحسنت أثرها حاله، وكثر ملتمسه، وعظمت في العالم غاشيته؛ فدَوَّن، واستمع، وروى، ودرَّب، وخَرَّج[2]، وأدَّب وعلَّم، وحلَّق، وجَهَر؛ وكانت له الطايلة على عدوِّه، والعاقبة للحسنى؛ بعد ثبات[3] أمره، والظفر بكثير من منتهب كتبه. وآلت الدولة للأمير **أبي عبد الله نصر بمالقة**؛ فطالب **الفزاري** المذكور، واستظهر بالشهادات عليه، وبالغ في دحض دعوته؛ إلى أن قتل على يده **بغرناطة**.

حدثنا شيخنا **أبوالحسن بن الجياب**، قال: لما أمر بالتأهب للقتل ـ وهو في السجن الذي أخرج منه إلى

---

[1] **الألقية جمعها ألاقيّ: ما ألقي من مسائل شريرة.**

[2] في ك: ((وأخرج)).

[3] في ك: ((التبات)).

مصرعه ـ جهر بتلاوة **ياسين**؛ فقال له أحد الذَّعرة؛ ممن جمع السجن بينهم: إقرأ قرآنك؛ على أي شيء تتطفل على قرآننا اليوم؟ أو ما هو معناه. فتركها مثلاً لِلَوذَعِيَّتِه.

مولده

ببلدة **جيان**؛ في أواخر عام سبع وعشرين وستمائة[1].

وتوفي

بغرناطة؛ في الثامن لشهر ربيع الأول؛ عام ثمانية وسبعمائة[2]. وكانت جنازته [جنازة][3] بالغةً أقصى مبالغ الاحتفال[4]؛ نفر لها الناس من كل أوب، واحتمل طلبة العلم نعشه على رؤوسهم، إلى جدثه؛ وتبعه ثناء جميل، وجزع كبير؛ رحمه الله. ورثاه طائفة من طلبته؛ وممن أخذ عنه؛ منهم القاضي **أبو جعفر بن أبي حبل** في قصيدة أولها[5]:

---

[1] الموافق لـ 1229م.
[2] الموافق لـ 1308م.
[3] هذه الإضافة من ك.
[4] في ك: ((احتفال)).
[5] هذه الأبيات من البحر الطويل.

عزيــزٌ عــلى الإســلام والعلــم ماجــدٌ
فكيــف لعيــني أن يُلــمَّ بهــا الكــرا

ومــا لمــآقي لا تفيــــض شئونهــــا
نجيعــاً[1] عــلى قــدر المصيبــة أحمــرا

فــو الله ما تقــضي المدامــع بعض مــا
يحــق ولــو كانــت سيــولا وأبحــرا

حقيــقٌ لعمــري أن تفيــض نفوسنــا
وفــرضٌ عــلى الأكبــاد أن تتفطــرا

***

[1] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((**نجيباً**)).

أحمد بن عبد الوالي

ابن أحمد الرعيني

يكنى أبا جعفر، ويعرف بالعوّاد؛ صنعةٌ لأبيه الكاتب الصالح

حالــه

هو من بيت تَصَاوُن، وعفاف، ودين، والتزام السنة، كانوا في **غرناطة** في الأشعار، وتجويد القرآن، والامتياز بحمله، وعكوفهم عليه، نظراء **بني عظيمة بإشبيلية، وبني الباذش بغرناطة**. وكان **أبو جعفر** هذا؛ المترجم له ممن تطوَى عليه الخناصر، معرفةً بكتاب الله، وتحقيقاً[1] لحقه، واتقاناً لتجويده، ومثابرةً على تعليمه[2]، ونصحاً في إفادته، على سنن الصالحين، انقباضاً عن الناس، وإعراضاً عن ذوي الوجاهة، سَنِيّاً في قوله وفعله، خاصِّيّاً في جميع أحواله، مُخْشَوْشِناً في ملبسه، طويل الصمت إلاّ في دَسْت تعليمه، مقتصراً في مكسبه، مُتَّقِياً لدينه، محافظاً على أوراده. سأل منه رجل يوماً كَتْبَ رقعة؛ ففهم من أمره؛ فقال: يا هذا؛ والله ما كَتَبَتْ قطّ يميني

---

[1] في الملكية: ((وتعريفاً)).

[2] في ج: ((تجويده مرة أخرى)).

إلا كتاب الله ؛ فأحبُّ أن ألقاه على سجيتي ؛ بتوفيقه إن شاء الله وتسديده.

مشيخته

قرأ على الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**، والأستاذ **أبي جعفر الحزموني الكفيف، وأبي عبد الله بن رُشيد**[1]، وغيرهم.

وفاته

توفي في شهر ذي الحجة ؛ من عام خمسين وسبعمائة[2]، ودفن **بجبانة باب الفخارين**[3]؛ في أسفل السفح تجاه القصور الحكمية، وأتبعه الناس أحسن الثناء.

***

---

[1] في ك: ((رشد)).

[2] الموافق لـ 1349م.

[3] وهو أحد أبواب غرناطة في العهد الإسلامي؛ وموقعه كان مقابل القرية التي تسمى الفخار؛ المتواجدة في الطرف الشمالي من غرناطة. واسمها الآن هو Alfacar.

أحمد بن علي

ابن أحمد بن خلف الأنصاري، من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن الباذش[1].

أوليتـه

أصله من **جيّان** من بيت خَيْريَّة، وتَصَوُّن

حالـه

قال القاضي **أبو محمد بن عطية**: إمامٌ في المقرئين، ومقدم في جهابذة الأستاذين، راويةٌ[2]، مكثر، متفنن في علوم القراءة، مستبحر، عارف بالأدب والإعراب، بصير بالأسانيد، نقاد لها، مميزٌ لشاذِّها من معروفها. قال **ابن الزبير**: وما علمت فيما انتهى إليه نظري وعلمي، أحسن انقياداً لطرق القراءة، ولا أجل اختياراً منه، لا يكاد أحد من أهل زمانه، ولا ممن أتى بعده؛ أن يبلغ درجته في ذلك.

---

[1] توجد ترجمة أحمد بن علي بن الباذش أيضاً في كتاب الصلة؛ بينما ذكره ابن الأبار في التكملة؛ ضمن ترجمة أخته مُسْعدة بنت علي بن أحمد الباذش

[2] في المخطوطين: ((رواية)).

مشيختــه

تفقه بأبيه **الإمام أبي الحسن**، وأكثر الرواية عنه، واستوفى ما كان عنده، وشاركه في كثير من شيوخه. أخذ القراءات عرضاً عن الإمام المقري **أبي القاسم بن خَلَف ابن النحَّاس**؛ رحل إلى **قرطبة**، ولازمه؛ وعلى المقرئ **أبي جعفر هابيل بن محمد الحَلاَّسي، وأبي بكر بن عيَّاش ابن خلف المقرئ، وأبي الحسن بن زكريا، وأبي الحسن شُرَيْح بن محمد، وأبي محمد عبد الله بن أحمد الهَمْداني الجَيَّاني؛** [رحل إليه إلى **جَيَّان**][1]، وتلا على جميع من ذكر، وروي بالقراءة والسماع والإجازة على عالمٍ كثير: **كأبي داود، وأبي الحسن بن أخي الرش** المقرئين؛ أجازا له؛ **وأبي علي الغساني** في الإمامة والإتقان؛ وقد أسْمَع عليه؛ **وأبي القاسم خلف بن صواب** المقري، **وأبي عامر محمد بن حبيب الجياني، وأبي عبد الله محمد بن أحمد التجيبي** الشهير، **وأبي محمد بن السيد، وأبي الحسن بن**

---

[1] توجد هذه الإضافة في ج، وفي الملكية.

الأخضر، وأبي محمد عبد الله بن أبي جعفر الحافظ، وعالـمٍ كثير غير هؤلاء يطول ذكرهم.

من روي عنه

روي عنه **أبو محمد عبد الله، وأبو خالد بن رفاعة، وأبو علي القلْعي المَعَدِّي وأبو جعفر بن حكم، وأبو الحسن بن الضحاك، وابنه أبو محمد عبد المنعم**؛ وهو آخر من حدث عنه.

تصانيفه

ألف كتاب ((**الإقناع**)) في القراءات؛ لم يؤلف في بابه مثله، وألف كتاب ((**الطرق المتداولة**)) في القراءات، وأتقنه كل الإتقان، وحرر أسانيده وأتقنها، وانتقى لها؛ ولم يتسع عمره لفرش حروفهم وخلافهم من تلك الطرق. وألف غير ما ذكر.

مولده

في ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وأربعمائة[1].

وفاته

توفي ثاني جمادى الآخرة؛ سنة أربعين وخمسمائة[2]، وكان عمره تسعاً وأربعين سنة.

***

[1] الموافق لـ 1097م.
[2] الموافق لـ 1145م. ورد في الصلة أنه توفي سنة 542هـ الموافق لسنة 1147م.

أحمد بن عبد النور

ابن أحمد بن راشد رحمه الله[1]؛

يكنى أبا جعفر، من أهل مالقة ويعرف بيته - بها - ببني راشد، قال شيخنا أبو البركات: نقلت اسم هذا من خطه، ولا نعلم له نسباً إذ لم يكتبه، وشهر بابن عبد النور.

حالــه

كان قيِّماً على العربية إذ كانت جلّ بضاعته؛ يشارك مع ذلك في المنطق؛ على رأي الأقدمين، وعروض الشعر، وفرايض العبادات من الفقه، وقرض الشعر. وكان له اعتناء بفك المُعَمَّى، والتنقير عن اللُّغُوز. وكان ذكيَّ الصَّوت عند قراءة القرآن، خاشعاً به. رحل من بلده **مالقة** إلى **سبتة**، ثم انتقل[2] إلى **الأندلس**، وأقرأ **بوادي آش** مدة، وتردد بين **إلمرية وبرجة**، يُقْرئ بها القرآن، وغير ذلك مما

[1] هكذا في المخطوطين.

[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((نقل)).

كان يشارك فيه. وناب عن بعض القضاة وقتاً، ودخل **غرناطة** أثناء هذا السفر[1].

مشيختـه

قال: أخذ القرآن ـ قراءةً ـ على طريقة **أبي عمرو الدَّاني**[2]؛ على الخطيب **أبي الحسن الحجاج بن أبي ريحانة المربلي**[3]، ولا يعلم له في بلده شيخ سواه؛ إذ لم يكن له اعتناء بلقاء الشيوخ، والحمل عنهم؛ ومن علمي أنه لقي **أبا الحسن بن الأخضر** المقري العروضي **بسبتة**، وذاكره في العروض، ولا أعلم هل أخذ عنه أم لا. ورأيت في تقاييدي؛ أن القاضي[4] **أبا عبد الله بن برطال** حدثني أن

---

[1] في ك: ((السفرة)).

[2] حرفت في ج؛ فكتبت: ((أبي عمر)). وهو أبو عمرو عثمان بن سعيد ابن عثمان بن سعيد بن عمر الدَّاني القرطبي الأموي بالولاء؛ المعروف بابن الصيرفي. وهو أحد كبار الأئمة في القراءات والتفسير بالأندلس؛ ولد سنة 371هـ/981م وتوفي سنة 444هـ/1052م. من مؤلفاته: "التَّيسير" في القراءات، و"جامع البيان".

[3] مربلة أو ماربلة: تقع جنوب غربي مالقة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وتسمى الآن Marbella.

[4] في ج، والملكية: ((الشيخ)).

ابن النور قرأ معه **الجزولية**[1] على **ابن مفرج المالقي** تفقهاً، وقيد عليه تقييداً؛ عرضه بعد ذلك، على **ابن مفرج** هذا؛ وهو **محمد بن يحيى بن علي بن مفرج المالقي**. وروي عن **أبي الحجاج** ـ المتقدم الذكر ـ **تيسير أبي عمرو الداني**، **وجمل الزجاجي**، **وأشعار الستة**، **وفصيح أحمد بن يحيى ابن ثعلب**، وقفت في ذلك على رق؛ أجاز فيه بعض الآخذين عنه، ولم ينص فيه على كيفية أخذه لهذا الكتيب عن **أبي الحجاج**. قال: ورأيت في ذلك الرّق أوهاماً؛ تدل على عدم شعوره بهذا الباب جملة، وقبول التلقين فيها، فلا ينبغي أن يركن إلى مثله فيه. ورأيت بخط بعض أصحابه، أنه تفقه على **أبي ريحانة**؛ ولعل ذلك في صغره؛ قبل أن يتحكم طلبه ويتفنن؛ إذ الفنون التي كان يأخذ منها؛ لم يكن **أبو ريحانة**، ملياً بها، ولا منسوباً إليها.

---

[1] الجزولية هي رسالة في النحو؛ وضعها أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت الجزولي المراكشي؛ توفي بمراكش سنة 706هـ/1210م.ومن مؤلفاته أيضاً: شرح أصول ابن السراج، وشرح قصيدة بانت سعاد، والأمالي في النحو، ومختصر شرح ابن جني لديوان المتنبي.

تصانيفه

منها: كتاب **الحلية في ذكر البسملة والتصلية. وكتاب رَصْف[1] المباني في حروف المعاني**؛ وهو أجل ما صنف؛ ومما يدل على تقدمه في العربية. **وجزءٌ في العروض، وجزءٌ في شواذه، وكتابٌ في شرح الكوامل لأبي موسى الجزولي**، يكون نحو **الموطأ** في الجِرْم، **وكتاب شرح معرب أبي عبد الله ابن هشام الفهري المعروف بابن الشواش**؛ ولم يتم؛ انتهى [فيه][2] إلى **همزة الوصل**، يكون نحو **الإيضاح لأبي علي**. وله تقييدٌ على **الجمل** غير تام.

شعره

قال: وشعره وسطٌ، بعيدٌ عن طرفي الغثِّ، والثمينُ أبعد؛ وكان لا يعتني فيه ولا يتكلفه، ولا يقصد قصده؛ وإن ذلك لعذر في عدم الإجادة. قال الشيخ: ولديّ جزءٌ

[1] حرفت في ج؛ فكتبت: ((رصفي))، وفي ك؛ فكتبت: ((وصفي)).
[2] **سقطت هذه الكلمة في ج.**

منه[1]؛ تصفحته على أن أستجيد[2] منه شيئاً؛ أثبته له في هذا التعريف، فرأيته بعضه أشبه ببعض من الغرابة؛ فكتبت من ذلك؛ لا مُؤْثِراً له على سواه من شعره؛ بل لمرجّح[3] كونه أول خاطر بالبال، ومُتَلمح خطه بالبصر. فمن ذلك قوله من قصيدة؛ ومن خطه نقلت[4]:

محاسنُ من أهْوَى يَضيقُ لها الشَّرْحُ
له الهِمَّة العَلْياء والخُلُقُ السَّمْحُ

له بهْجةٌ يَغْشى البصائر نورها
وتعشى[5] بها الأبصار إنْ غَلَسَ الصُّبْحُ

إذا ما رَنَى فاللَّحْظُ سَهْمٌ مُفَوَّقٌ
وفي كُلِّ عُضْوٍ من إصابته جُرحُ

إذ ما انثنَى زهواً وولَّى تَبَخْتُراً
يغارُ لذاك القدُّ من لينه الرُّمحُ

---

[1] في المخطوطين: ((من)).
[2] نفسه: ((تجيد))؛ وقد صوبت من ت.
[3] حرفت في ج؛ فكتبت: ((لمحج)).
[4] من البحر الطويل.
[5] في المخطوطين: ((وتغشى))؛ فصوبها عنان.

وإن نَفَحَــت أزهــارُه عند روضــةٍ
فيُخْجِــلُ ريَّــا زهْرِهــا ذلك النَّفْــحُ
هو الزَّمَــنُ المأمــولُ عند ابتهاجــه
فلِمَّتُـــــهُ لَيْــلٌ وغُرَّتُـــــه صُبْـــــحُ
لقد خامَــرَتْ نَفْــسي مُدامَــة حبِّــه
فقلبيَ من سُكــر المُدامــة لا يَصْــحُ
وقد هــام قلــبي في هــواه فبَرَّحَــت
بأســرارِه عَيْــنٌ لِمَدْمَعِهــــا سَبْــحُ

غفلته ونوكه[1]

كان هذا الرجل من البله في أسباب الدنيا؛ له في ذلك حكايات دائرة على ألسنة الثقاة من الملازمين له وغيرهم؛ لولا تواترها لم يصدق أحد بها؛ تشبه ما يحكى عن **أبي علي الشلوبين**. منها أنه اشترى فَضْلة مِلف[2]؛ فبلّها، فانْتَقَصَت كما يجري في ذلك، فذرعها بعد البَل؛

[1] أي حمقه.
[2] في الملكية: ((ملفاً)).

فوجدها تنقصت؛ فطلب بذلك بائع المِلْف؛ فأخذ يبيِّن له سبب ذلك؛ فلم يفهم. ومنها أنه سار إلى بعض بساتين **ألمرية**؛ مع جماعة من الطلبة، واستصحبوا أُرْزاً، ولبناً؛ فطلبوا قدراً لطبخه؛ فلم يجدوا؛ فقال: اطبخوا في هذا القدر؛ وأشار إلى قدر بها بقية زفت؛ مما يُطلَى به السَّواني[1] عندهم؛ فقالوا له: وكيف يسوغ الطبخ بها؟ ولو طبخ بها شيء مما تأكله البهائم لعافته؛ فكيف [الأرز باللبن][2]؛ فقال: لهم، اغسلوا معائدكم؛ وحينئذ تدخلون فيها الطعام؛ فلم يدروا مما يعجبون؛ هل من طيب نفسه بأكله مما يطبخ في تلك القدر؟ أم من قياسه المعدة عليها. ومنها أنهم حاولوا طبخ لحمٍ - مرة أخرى في بعض النُّزه - فذاق الطعام من الملح بالمغرفة؛ فوجده محتاجاً للملح؛ فجعل فيه ملحاً وذاقه على الفور؛ قبل أن ينحل الملح، ويسري في المرقة الأولى؛ فزاد ملحاً إلى أن جعل فيه قَدْر ما[3] يَرْجُح الَّلحم؛ فلم يقدروا على أكله. ومنها أنه أدخل

---

[1] في ج: ((السواقي)). والسواني مفردها سانية؛ وهي آلة لرفع الماء؛ من أجل السقي.
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الرز بلبن)).
[3] سقطت هذه الكلمة في ج.

يده في مِفْجَر صهريج؛ فصادفت يده ضفدعاً كبيراً؛ فقال لأصحابه: تعالوا إن هنا حَجَراً رَطْباً. ومنها أنه استعار يوماً من القائد **أبي الحسن بن كماشة** جواداً ملوكياً، قِرْطاسي اللون؛ من مراكب الأمراء؛ فقال: وَجِّه لي تلك الدَّابة؛ فتَخَيل أنه يريد الرُّكوب إلى بعض المواضع؛ ثم تَفَطَّن لغفلته؛ وقال: أي شيء تصنع به؟ قال: أجعله يُسْني شيئاً يسيراً في السَّانِيَة، فقال: تُقْضَى الحاجة إن شاء الله بغيره، ووجه له حِماراً برسم السَّانِيَة؛ وهو لا يشعر بشيء من ذلك كله.

قلت: وفي موجودات الله تعالى عِبَرٌ، وأغربها عالم الإنسان؛ لما جُبِلوا عليه من الأهواء المختلفة، والطباع المشتتة[1]، والقصور عن فهم أقرب الأشياء، مع الإحاطة بالغوامض. حدثنا غير واحد؛ منهم: عمِّي **أبو القاسم، وابن الزبير**؛ إذناً في الجُمْلة؛ قالا: حدثنا **أبو الحسن بن سراج** عن **أبي القاسم بن بشكوال**: أن الفقيه؛ صاحب الوثائق؛ **أبا عمر بن الهندي**؛ خاصم - يوماً عند صاحب

[1] في المخطوطين: ((المستتة)).

الشرطة والصلاة - **إبراهيم بن محمد** ؛ فَنَكَل، وعجز عن حُجَّتِه ؛ فقال له الشرطي[1]: ما أعجب أمرك **أبا عمر!!** أنت ذَكِيّ لغيرك، بَكِيٌّ[2] في أمرك ؛ فقال أبو عمر: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾[3]. ثم أنشد متمثلاً[4]:

صِـرْتُ كـأني ذُبالـةٌ نُصِبَـت
تُـضيءُ للنَّـاسِ وهي تحتـرق

قال: وحدثني الشيخ **أبو العباس بن الكاتب ببجاية** ؛ وهو آخر من كتبنا معه الحديث من أصحاب **ابن العمَّار** ؛ قال: كنت آوياً إلى **أبي الحسن حازم القرطجاني**[5]

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الشرفي)).
[2] أي عاجز.
[3] الآية كاملة هكذا: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. سورة البقرة؛ الآية: 187.
[4] في المخطوطين: ((مثلاً)). والبيت التالي من البحر المنسرح.
[5] نسبة إلى قرطاجنة.

بتونس؛ وكنت أحسن الخياطة؛ فقال لي: إن **المستنصر** خلع عليّ جبة **جريبة**[1] من لباسه، وتفصيلها ليس من تفصيل أثوابنا **بشرق الأندلس**، وأريد أن تحل أكمامها، وتصيرها مثل ملابسنا. فقلت له: وكيف يكون العمل؟ فقال: تحل رأس الكم، ويوضع الضيق بالأعلى، والواسع بالطرف. فقلت: وبم يُحير الأعلى؛ فإنّه إذا وضع في موضع واسع؛ سَطَتْ علينا فُرَج[2] ما عندنا؛ ما يصنع فيها إلاّ أن رقعنا بغيرها؛ فلم يفهم. فلما يئست منه تركته وانصرفت. فأين هذا الذّهن الذي صَنع المَقْصورة وغيرها من عجائب كلامه؟

مولده

في رمضان من عام ثلاثين وستمائة[3].

[1] نسبة إلى جزيرة جربة بالجمهورية التونسية. وتسمى أيضاً جزيرة الأحلام. وتقع في الجنوب الشرق من العاصمة تونس؛ في خليج قابس.
[2] في ك: ((فوج)).
[3] الموافق لـ 1232م.

وفاتـه

تـوفي **بألمرية** يـوم الثلاثـاء؛ السابـع والعشريـن لربيـع الآخـر؛ مـن عـام اثنيـن وسبعمائة[1]، ودفـن بخـارج **بـاب بجاية**؛ بمقبـرة مـن تربـة الشيـخ الزاهـد **أبي العبـاس بـن مكنـون**.

***

[1] الموافـق لـ 1302م.

أحمد بن محمد

ابن علي بن محمد بن يحيى [ابن محمد][1]
ابن مصادف بن عبد الله؛ يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بابن مصادف؛
من أهل تِسْطّة، واستوطن غرناطة، وقرأ وأقرأ بها.

حالـه

من أهل الطلب والسّلاطة والاجتهاد، وممن يقصرُ مُحَصِّله عن مدَى اجتهاده؛ خلوب[2] اللسان، غريب الشكل، وحَشِيُّه، شتيت الشّعر مُعفيه، شديد الاقتحام والتَّسَوُّر، قادر على اللُّصُوق بالأشراف. رمَى بنفسه على مشيخة الوقت؛ يطرقهم طروق الأمراض الوافدة، حتى استَوْعَب الأخذ عن أكثرهم؛ يَفُكُّ عن فايدته فَكّ المُتَبَرم[3]، وينتزعها بواسطة الحَيَا[4]، ويُسَلِّط[5] على قنصها جوارح التبذّل والإطراء؛ إلى أن ارتسم في المقريين

---

[1] هذه الإضافة واردة في ك فقط
[2] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((حلوب)). والخلوب معناه: خلاب وجذاب، وفاتن.
[3] في ج: ((التبـرم)).
[4] في ك: ((الجيـا))؛ والتصويـب متن عنـان.
[5] في المخطوطيـن: ((وسلـط))؛ فصوبهـا عنـان.

بغرناطة؛ **محولاً**[1] عليه بالنَّحْب والملق، وسد الترتيب المدني[2]؛ ولوثة تعتاده في باب الرُّكوب والثِّقافة[3]؛ وهو لا يستطيعُ أنْ يَسْتقرَّ بين دَفَتَيْ السَّرْجِ، ولا يُفرق بين مَبْسوط الكفِّ[4]؛ أخَذَ نَفْسه في فنون؛ من: قرآن، وعربية، وتفسير؛ وامتحن مرات لجر أحركة القَلْقَلَة[5] الذي لا يملك يملك عنانه، ثم تخلص من ذلك؛ وهو على حاله إلى الآن.

مشيختـه

قرأ على **الخطيب ببسطة، وأبي الأصبغ بن عامر،** والخطيبين بها: **أبي عبد الله، وأبي إسحاق** ابن عمه، **وأبي عبد الله بن جابر،** وعلى **أبي عثمان بن ليون بالمرية، والخطيب أبي عبد الله [ابن الغربي]**[6] **بحمة**[7]، وتلا وتلا القرآن بقراءاته السبع على شيخنا **أبي عبد الله بن**

---

[1] في ت: ((فحولا))، وفي ك: ((محمولا)).
[2] في ت: ((المديني)).
[3] أي الركوب للحرب والضرب بالسيف.
[4] في ك: ((الكيف)).
[5] قلقل الشيء: حركه فتحرك واضطرب.
[6] في ت: ((من الغرب)).
[7] هي بلدة الحمة؛ الواقعة جنوب غربي غرناطة. سبق ذكرها.

الوالي العواد، وروى عن شيخنا أبي الحسن بن الجياب، وعلى **الحاج أبي الحجاج الساحلي ؛** فكتب الإقراء، وأخذ الفقه عن الأستاذ **أبي عبد الله البياني**[1]، وقرأ على قاضي الجماعة **أبي القاسم البياني**، وقرأ على قاضي الجماعة **أبي القاسم الحَسَني**، ولازم أستاذ الجماعة **أبا عبد الله الفخار**، وقرأ عليه العربية، وصاهره على بنته الأستاذُ المذكور، وانتفع به، إلى أن ساء ما بينهما عند وفاة الشيخ ؛ فرماه بِتَرْمية بيضاء تخلَّقها[2]، مُثيرة عَجَبٍ، مُرَّة. وحاله متصلة على ذلك ؛ وقد ناهز الاكتهال.

***

[1] بيانة: مدينة تقع في الجنوب الشرقي من قرطبة؛ بالقرب من مدينة قبرة؛ وتسمى الآن Baena.

[2] في ك: ((تخلفت))؛ وقد صوبت من ت:

أحمد بن حسن

ابن باصّة الأسْلمي، المؤقت بالمسجد الأعظم بغرناطة، أَصله من شرق الأندلس، وانتقل إليها والده، يكنى أبا جعفر.

حالــه

كان نسيج وحده، وقريع دهره، معرفة بالهيئة، وإحكاماً للآلة الفلكية؛ ينحت منها بيده ذخائر؛ يقف عندها النظر والخبر[1]؛ جمال خط، واستواء صنعة، وصحة وضع، بلغ في ذلك درجة عالية، ونال غاية بعيدة، حتى فَضَل بما ينسب إليه من ذلك كثيراً من الأعلام المتقدمين؛ وأزرت آلاته[2] بالحمايريات[3] والصَّفاريّات، وغيرها من آلات المُحْكِمين، وتغالى الناس

---

[1] في ك: ((الحيـرة)).
[2] في المخطوطين: ((إلا أنه)).؛ وقد صوبت من ت.
[3] في ت: ((بالجمايريات)).

في أثمانها. أخذ ذلك عن والده [الشيخ المتفنن][1] شيخ الجماعة في هذا الفن.

وفاتــه

في عام تسع[2] وسبعمائة[3].

***

[1] هذه الإضافة من الملكية.
[2] هكذا. والصحيح: ((تسعة)).
[3] الموافق لـ 1309م.

أحمد بن محمد

ابن يوسف الأنصاري، من أهل غرناطة،
يكنى أبا جعفر، ويعرف بالجِبالي.

حالــه

عكف صدراً من زمانه منتظماً في العدول[1]، آوياً إلى تخصيص وسكون ودماثة، وحسن معاملة؛ له بصر بالمساحة والحساب، وله بصر بصناعة التعديل وجداول الأبراج[2]، وتَدَرَّب في أحكام النُّجوم؛ مقصودٌ في العلاج بالرُّقَا والعزايم، من أولي المَسِّ[3] والخَبَال[4]؛ تعلق ـ بسبب هذه المنتحلات ـ بأذيال الدُّول، وانبتَّ من شيمته الأولى؛ فنال استعمالاً في الشهادات المَخْزَنِيَّة، وخبر منه أيام قُرْبِه من مَبادئ الأمور والنواهي، ومُداخلة السُّلطان؛ صمتٌ، وعقلٌ، واقتصارٌ على معاناة ما امْتُحن به؛ وهو الآن بقيد الحياة.

---

[1] مفرده: عدل. وهو القائم بالتوثيق. وقد سبق التعريف به.
[2] في ك: ((الأرياح)).
[3] في ت: ((اللمس)).
[4] في ك، و في ت: ((الخيال)).

مشيختـه

أخذ تلك الصناعة عن الشيخ **أبي عبد الله الفخار**؛ المعروف **بأبي خزيمة**؛ أحد البواقع[1]؛ الموسومين بصحة الحكم فيها؛ وعلى **أبي زيد بن مُثْنَى**، وقرأ الطب على شيخنا **أبي زكريا هذيل** رحمه الله، ونسب إليه ـ عند الحادثة على الدَّولة، وانتقالها إلى يد المتغلب ـ اختيار وقت الثورة، وضمان تمام الأمر؛ وشهد بذلك بِخَطٍ، وغيب من إيثارها. فلما عاد إلى السلطان المُزْعج بسببها إلى العُدْوة؛ أوقع به نكيراً كثيراً، وضربه بالسِّياط التي لم يخلِّصه منها إلا أجلُه، وأجلاه[2] إلى **تونس** في جملة المغربين؛ في أواخر عام ثلاثة وستين وسبعمائة[3]. وأخبرني السلطان المذكور: أن المترجم به؛ كتب إليه بمدينة **فاس**؛ قبل شروعه في الوُجْهة؛ يخبره بعودة الملك إليه، وبإيقاعه

---

[1] بواقع مفردها باقعة: أي الإنسان الداهية الذكي.
[2] في المخطوطين: ((وجلاه)).
[3] الموافق لـ 1361م.

المكروه الكبير به؛ بما شهد بمهارته في الصنعة؛ إن صح ذلك كله من قوانينها. نسأل الله أن يضفي علينا لبوس ستره، ويقينَا شَرَّ عثرات الألسن؛ بِمَنِّهِ.

***

أحمد بن محمد
الكَرْني[1] من أهل غرناطة

حالــه

شيخ الأطباء **بغرناطة** على عهده، وطبيب الدار السلطانية. كان نسيج وحده، في الوقار والنزاهة، وحسن السَّمْت[2]، والتزام مُثْلَى الطريقة، واعتزاز الصنعة؛ قائماً على صناعة الطب، مقرئاً لها، ذاكراً لنصوصها، موفقاً في العلاج، مقصوداً فيه، كثير الأمل والمثاب، مكبوح العنان عما تثبت به أصول[3] صناعته من علم الطبيعة، سنياً، مقتصراً على المداواة. أخذ عن الأستاذ **أبي عبد الله الرَّقُوطي**، ونازعه بالباب السلطاني؛ لما شدّ؛ واحتيج إلى ما لديه في حكم[4] بعض الأموال المعروضة على الأطباء؛

---

[1] في ج: ((الكنزي)). والصواب ما جاء في أصل النص.
[2] في الملكية: ((السمة)).
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: الطول، الصول))؛ وقد صوبت من ت.
[4] في ك: ((أحكام)).

منازعةً أوجبت من شيخه يميناً؛ أن [لا][1] يحضر معه بمكان؛ فلم يجتمعا بباب السلطان بعد؛ مع التّمسك بما لديهما؛ وأخذ عن **ابن عروس** وغيره، وأخذ عنه جملةٌ من شيوخنا: كالطبيب **أبي عبد الله بن سالم، والطبيب أبي عبد الله بن سراج**، وغيرهما.

حدثني والدي بكثير من أخباره؛ [في][2] الوقار، وحسن الترتيب. قال: كنت آنس به، ويعجبني استقصاؤه أقوال أهل هذا الفن من صنعته؛ على مشهوره[3]؛ فلقد عرض عليه - لعليل لنا - بعض ما يخرج؛ وفيه حية؛ فقال على فتور، وسكونة، ووقار كثير: هذا العليل يتخلص؛ فقد قال الرئيس **ابن سينا**[4]؛ في أرجوزته:

---

[1] لم ترد هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

[2] لم ترد هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

[3] حرفت في ج؛ فكتبت: ((مصوره)).

[4] هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا. ولد في قرية أفشنة القريبة من بخارى بأزباكستان الحالية سنة 370هـ/980م وتوفي بهمدان الإيرانية سنة 424هـ/1037م. اشتهر باسم الشيخ الرئيس؛ بحكم رئاسته في الطب والفلسفة؛ كما سماه الغربيون بأمير الأطباء، وأبو الطب الحديث؛ وصل عدد مؤلفاته إلى 200 تأليفاً؛ في مختلف المواضيع؛ منها كتاب الشفاء، وكتاب القانون في الطب.

إن خَــرَج الخَلْــطُ مــع الحيَّــات

فــي يــوم بُحْــران فَعَــنْ حيــاة

وهذا اليوم من أيام البُحْرانية ؛ فكان كما قال.

وفاته

كان حياً سنة تسعين وستمائة[1].

***

[1] الموافق لـ 1291م.

أحمد بن محمد

ابن أبي الخليل مُفَرِّج الأموي[1]؛ مولاهم؛
من أهل إشبيلية، يكنى أبا العباس؛ وكناه ابن فرتون[2] أبا جعفر
وتفرد بذلك؛ يعرف بالعشاب، وابن الرومية، وهي أشهرهما
وألصقهما به.

أوليتـه

قال القاضي **أبو عبد الله**[3]، كان والد[4] جده أحد أطباء **قرطبة**، وكان قد تبناه؛ وعن مولاه أخذ علم النبات.

حالـه

كان نسيج وحده، وفريد دهره، وغرة جنسه؛ إماماً في الحديث، حافظاً ناقداً، ذاكراً تواريخ المحدثين، وأنسابهم ومواالدهم ووفاتهم، وتعديلهم، وتجريحهم؛

---

[1] توجد ترجمة أحمد بن محمد الأموي بن الرومية أيضاً في اختصار القدح المعلى، والذيل والتكملة، ونفح الطيب.

[2] حرفت في ج؛ فكتبت: ((فرقون)). واسم ((ابن فرتون)) شائع في الأندلس؛ حرف هذا الاسم عن الكلمة القشتالية: Fortum؛ ويكثر استعماله بين المنحدرين من أصول نصرانية.

[3] هو محمد بن عبد الملك المراكشي؛ صاحب الذيل والتكملة.

[4] في الذيل والتكملة: ((ولاء)).

عجيبة نوع الإنسان في عصره، وما قبله، وما بعده، في معرفة علم النبات، وتمييز العشب، وتحليتها، وإثبات أعيانها؛ على اختلاف أطوار منابتها؛ **بمشرق** أو **مغرب**؛ حسّاً، ومشاهدةً وتحقيقاً، لا مدافع له في ذلك، ولا منازع؛ حجةٌ لا ترد ولا تدفع؛ إليه يسلم في ذلك ويرجع. قام على الصنعتين؛ لوجود القدر المشترك بينهما؛ وهما الحديث والنبات، إذ موادهما الرحلة[1] والتقييد، وتصحيح الأصول وتحقيق المشكلات اللفظية، وحفظ الأديان والأبدان، وغير ذلك. وكان زاهداً في الدنيا، مؤثراً بما في يديه منها، موسعاً عليه في معيشته، كثير الكتب، جماعاً لها، في كل فن من فنون العلم، سمحاً لطلبه العلم، ربما وهب منها لمتلمسه[2] الأصل النفيس؛ الذي يَعزُّ وجوده؛ احتساباً وإعانةً على التعليم، له في ذلك[3] أخبار منبئة عن فضله، وكرم صنعه[4]، وكان كثير

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الرجلة)).
[2] في المخطوطين: ((لمتلمسه))؛ فصوبها عنان.
[3] وردت في المخطوطين بعد ((في ذلك)) كلمة ((في)) مرة أخرى؛ فحذفها عنان؛ لأنها زائدة.
[4] في الملكية: ((صفته)).

الشغف بالعلم، والدؤوب على تقييده، ومداومته؛ سهر الليل من أجله، مع استغراق أوقاته، وحاجات الناس إليه؛ إذ كان حسن العلاج في طبه المورود، الموضوع، لثقته ودينه.

قال **ابن عبد الملك**[1]؛ إمام **المغرب** قاطبة فيما كان سبيله، جال **الأندلس**، **ومغرب العدوة**، ورحل إلى **المشرق**؛ فاستوعب المشهور من **إفريقية**، **ومصره**، **وشامه**، **وعراقه**، **وحجازه**، وعاين الكثير مما ليس **بالمغرب**، وعاوض كثيراً فيها، كل ما أمكنه، بمن يشهد له الفضل في معرفته؛ ولم يزل باحثاً على حقائقه، كاشفاً عن غوامضه؛ حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره؛ ممن تقدم في الملة الإسلامية؛ فصار واحد عصره فرداً؛ لا يجاريه فيه أحد؛ بإجماع من أهل ذلك الشأن.

[1] صاحب الذيل والتكملة.

مذاهبـه

كان سنياً، **ظاهري المذهب**[1]، مُنْحِياً على أهل الرَّأي، شديد التعصب **لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم**[2]؛ على دين متين، وصلاح تام، وورع شديد؛ انتشرت عنه تصانيف **أبي محمد بن حزم**، واستنسخها[3]، وأظهرها، واعتنى بها، وأنفق عليها أموالاً جمة؛ حتى استوعبها جملة؛ حتى لم يشذ له منها إلاّ ما لا خطر، متقدماً ومقتدراً[4] على ذلك بجدته[5] ويساره؛ بعد

---

[1] المذهب الظاهري: هو المذهب السني الخامس؛ قام هذا المذهب ونمى على عاتق رجلين؛ الأول هو مؤسس هذا المذهب؛ وهو أبو سليمان داود ابن علي بن خلف الأصفهاني؛ المولود بالكوفة سنة 202هـ/817م وتوفي سنة 270هـ/883م. أما الرجل الثاني فهو ابن حزم الأندلسي. يستند المذهب الظاهري على الظاهر من نصوص الكتاب والسنة؛ دون تأويل، أو رأي؛ ولا قياس ولا استحسان ولا ذرائع.

[2] هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري؛ ولد بقرطبة سنة 384هـ/994م وتوفي ببادية لَبْلَة بالأندلس سنة 456هـ/1064م. يعتبر من أهم العلماء والمحققين؛ يتحلى بالجرأة في تناول المواضيع؛ الأمر الذي ضاعف من أعدائه. له مؤلفات كثيرة تصل إلى الأربعمائة (400). منها: الفصل في الملل والأهواء والنحل، وكتاب المحلى؛ في الفقه، وجمهرة أنساب العرب، وغيره.

[3] في الذيل والتكملة: ((واستحسنها)).

[4] في ك: ((متقدراً))، وفي ج: ((متقدماً))؛ بينما وردت الكلمتان معاً في الملكية.

[5] في المخطوطين: ((بحدته)).

أن تفقه طويلاً على **أبي الحسن**[1] **محمد بن أحمد بن زرقون**[2]؛ في **مذهب مالك**.

مشيخته

البحر الذي لا نهاية له: روى **بالأندلس** عن **أبي إسحاق الدمشقي، وأبي عبد الله اليابُري**[3]، **وأبي البركات ابن داود**[4]، **وأبي بكر بن طلحة، وأبي عبد الله بن الحُر**[5]، **الحُر**[5]، **وابن العربي، وأبي علي الحافظ، وأبي زكريا بن مرزوق، وابن يوسف، وابن ميمون الشريشي، وأبي الحسن بن زَرْقُون، وأبي ذر مُصْعب، وأبي العباس بن سيد الناس، وأبي القاسم البَرَّاق**[6]، **وابن جمهور، وأبي محمد بن محمد ابن الجنّان، وعبد المنعم بن فَرَس، وأبي الوليد بن عُفير**؛ قرأ عليهم وسمع. وكتب إليه مُجيزاً[7]

---

[1] في الذيل والتكملة: ((أبي الحسين)).

[2] هو أبو الحسن محمد بن أبي عبد الله أحمد بن محمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري الإشبيلي؛ توفي سنة 621هـ/1224م. شيخ المالكية في الأندلس؛ امتحن من قبل الموحدين بسبب مذهبه. من مؤلفاته كتاب المعلى؛ في الرد على المحلى لابن حزم.

[3] في الذيل والتكملة: ((ابن عبد الله اليافري)).

[4] سمي في الذيل والتكملة: ((أبو البركات عبد الرحمن بن داود الزيزاري)).

[5] في الملكية: ((الحدوي)).

[6] نفسه: ((البارقي)).

[7] حرفت في ج؛ فكتبت: ((مخبراً))،

من أهل **الأندلس والمغرب: أبو البقاء بن قديم، وأبو جعفر حكم الجَفَّار، وأبو الحسن الشقُّوري، وأبو سليمان بن حَوْط الله، وأبو زكريا الدمشقي، وأبو عبد الله الأَنْدَرَشي، وأبو القاسم ابن سمجون، وأبو محمد الحجري**. ومن أهل **المشرق** جملةٌ؛ منهم: **أبو عبد الله الحمداني بن إسماعيل بن أبي صيف، وأبو الحسن الحُوَيْكر** نزيل **مكة**. وتأدَّى إليه أذنُ طائفة من **البغداديين والعراقيين؛** له في الرواية، منهم: **ظفر بن محمد، وعبد الرحمن بن المبارك، وعلي بن محمد اليزيدي، وفَنَاخُسرو فَيْروز بن سعيد، وابن سَنِيَّة، ومحمد ابن نصر الصَّيْدَلاني، وابن تيمية. وابن عبد الرحمن الفارسي، وابن الفضل المؤذن، وابن عمر بن الفخار، ومسعود بن محمد بن حسان المنيغي، ومنصور بن عبد المنعم الصاعدي، وابن هوازن القشيري، وأبو الحسن النيسابوري**. وحج سنة اثني عشر[1] وستمائة[2]، فأدى

[1] الأصح هو: ((اثنتي عشرة))؛ وقد صححها الدكتور طويل.
[2] الموافق لـ 1215م.

الفريضة ثلاث عشر[1]، ولقب **بالمشرق بحب الدين**. وأقام في رحلته نحو ثلاثة أعوام، لقي فيها ـ من الأعلام العلماء ـ أكابر جملة؛ فمنهم ـ **ببجاية ـ أبو الحسن بن نصر**[2]، **وأبو محمد بن مكي**[3]، **وبتونس أبو محمد المرجاني**[4]، **وبالإسكندرية أبو الأصبغ بن عبد العزيز**[5]، **وأبو الحسن بن جبير الأندلس**[6]، **وأبو الفضل بن جعفر بن أبي الحسن بن أبي البركات، وأبو محمد عبد الكريم الربعي**[7]، **وأبو محمد العثماني**؛ أجاز له؛ ولم يلقه، **وبمصر أبو محمد بن سحنون الغماري**؛ ولم يلقه، **وأبو الميمون بن هبة الله القرشي، وبمكة أبو علي الحسن بن محمد بن الحسين، وأبو الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري**، **وببغداد أحمد ابن أبي السعادات، وأحمد بن أبي بكر، وابن أبي خَطْ**[8] **طلحة، وأبو نصر القرشي، وإبراهيم بن أبي**

---

[1] الأصح هو: ((ثلاث عشرة))؛ وقد صحح الخطأ الدكتور طويل.

[2] في الذيل: ((أبو الحسن علي بن أبي نصر بن عبد الله)).

[3] نفسه: ((يبكي)).

[4] نفسه: ((أبو محمد عبد الله بن المرجاني)).

[5] نفسه: ((أبو الأصبغ عيسى بن عبد العزيز بن سليمان)).

[6] نفسه: ((أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير)).

[7] في ج: ((الريعني)).

[8] في الذيل: ((وابن أبي في خط طلحة)).

ياسر القطيعي، ورسلان[1] المَسْدي، والأسعد بن بقاقا[2]، وإسماعيل بن باركَش الجوهري، وإسماعيل بن أبي البركات. وبرنامج مروياته وأشياخه، مشتملٌ على مئين عديدة؛ مرتبة أسماؤهم على البلاد **العراقية**، وغيرها؛ لو تتبعتها، لاستبعدت الأوراق، وخرجت عما قصدت. قال القاضي **أبو عبد الله المراكشي**[3] بعد الإتيان على ذلك، مُنْتَهَى الثِّقاة **أبو العباس العباس النباتي**؛ من التَّقْييد الذي قيِّد، وعلى ما ذكره في فهارس له منوعة؛ بين بسط، وتوسط، واقتضاب؛ وقفت منها بخطه، وبخط بعض أصحابه، والآخذين عنه.

من أخذ عنه

حدث **ببغداد**[4]، برواية واسعة؛ فأخذ عنه بها **أبو عبد الله بن سعيد اللَّوْشي، وبمصر الحافظ أبو بكر القط.**

---

[1] نفسه: ((وأرسلان السيدي)).

[2] في ج: ((فقارقا))، وفي ك: ((فاقا))، وفي الملكية: ((نفاق))؛ وصوب ذلك من الذيل والتكملة.

[3] صاحب الذيل والتكملة.

[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((حديث بغداد)).

وبغيرها من البلاد أمة ؛ وقَفَل برواية واسعة، وجلب كتباً غريبة[1].

تصانيفه

له فيما ينتحله من هذين الفنين تصانيف مفيدة[2]، وتنبيهات نافعة، واستدراكات نبيلة[3] بديعة، منها في الحديث ((**رجَّالة[4] المعلِّم بزوائد البُخاري على مسلم**))، و((**اختصار غريب حديث مالك للدار قطني**))، و((**نظم الدّراري فيما تفرد به مُسلم عن البخاري**))، و((**توهين طرق حديث الأربعين**))[5]، و((**حكم الدعاء في إدبار الصلوات**))، و((**كيفية الأذان يوم الجمعة**))، و((**اختصار الكامل في الضعفاء والمتروكين**)) لأبي محمد بن عدي[6]، و((**الحافل في تذييل الكامل**))، و((**أخبار محمد بن إسحاق**)). ومنها في النبات:

[1] حرفت في ك؛ فكتبت: ((عربية))؛لأن كتب ذلك الوقت؛ في تلك الديار عربية أصلاً.
[2] في ك: ((مفيدات)).
[3] في الملكية: ((نبيهه)).
[4] في الذيل: ((منها في الحديث ورجاله: ((المعلم بزوائد...
[5] في ك: ((توهين حديث طرق الأربعين)).
[6] حرف اسم هذا الكتاب واسم مؤلفه هكذا: ((اختصار الكامل في الضعفاء الضعفاء والمتكبرين لأبي أحمد بن علي)).

((**شــــرح حشائـــش دياسقوريــدوس**[1] **وأدويـــة جالينــــوس**))[2]، و ((**التنبيـــه عــلى أوهـام ترجمتهـا** [3]))، و((**التنبيه على أغلاط الغافقي** [4]))، و((**الرحلة النباتية [والمستدركه]** [5]))؛ وهـو الغريـب الـذي اختـص بـه؛ إلا أنـه عـدم عينـه بعـده. وكـان معجـزة فـي فنِّـه؛ إلـى غيـر ذلـك؛ مـن المصنفـات الجامعـة، والمقـالات المفيـدة المفـردة، والتعاليـق المنوعـة.

[1] دياسقوريـدوس (دياسقوريـدس) Dioscorides؛ مـن أطبـاء اليونـان ومـن المهتميـن بالكميـاء والصيدلـة. عـاش في القـرن الأول الميـلادي؛ مـن أهـم مؤلفاتـه كتـاب: ((الأعشـاب العلاجيـة)). عـرف العـرب هـذا الطبيـب والصيـدلي عندمـا أهـدى الأمبراطـور قسطنطيـن السابـع كتابـه إلى عبـد الرحمـن الناصـر؛ حيـث عربـه ابـن الروميـة وشرحـه.

[2] جالينـوس Galen؛ طبيـب يونـاني؛ حيـث عـاش في القـرن الثـاني الميـلادي؛ لـه شهـرة كبيـرة في ميـدان الطـب والصيدلـة. عـرف العـرب أعمالـه وعربـت.

[3] في الذيـل: ((مترجميهـا)).

[4] نفسـه: ((الغافـقي في أدويتـه)).

[5] هذه الكلمة وردت في الملكية؛ بينما ترك في موضعها بياض في المخطوطين.

مناقبـه

قال **ابن عبد الملك، وابن الزبير**، وغيرهما: عُني تلميذه، الآخذ به، النّاقد، المحدّث؛ **أبو محمد بن [قاسم] الحرار**[1]؛ وتهمم بجمع أخباره، ونشر مآثره؛ وضمن ذلك؛ مجموعاً حفيلاً نبيلاً.

شعـره

ذكره **أبو الحسن بن سعيد** ـ في القدح المعلى ـ وقال: جَوَّالٌ بالبلاد **المشرقية**[2]، **والمغربية**؛ جالسْتُه **بإشبيلية** ـ بعد عوده[3] من رحلته ـ فرأيته متعلقاً بالأدب، مرتاحاً إليه ارتياح **البُحْتُري لِحَلَب**[4]؛ وكان غير متظاهر بقول الشعر؛ إلاّ أن أصحابه يسمعون منه، ويروون عنه؛ وحملت عنه[5] عنه[5] ـ في بعض الأوقات ـ فَقَيَّدْتُ عنه هذه الأبيات[6]:

---

[1] حرفت في ك فكتبت: ((الحوار))، وكذلك في الملكية؛ حيث كتبت: ((الجزار)).
[2] في القدح المعلى: ((بالبلاد المغربية والمشرقية)).
[3] نفسه: ((عودته)).
[4] حلب: مدينة تقع في شمال سوريا وهي مقر محافظة. ولحلب تاريخ عريق، وبها آثار قديمة جداً.
[5] في ج: ((عليه))؛ وصوبت من الملكية. وفي القدح المعلى: ((وحملته عليه)).
[6] هذه الأبيات من البحر البسيط.

خيـــمٌ تَخَلَّـــقَ[1] بيـــن الكـــأس والوَتَـــر
في جنَّـــة هي ملءُ السمـــع والبصـــر

ومتِّـــع الطَّـــرْف في مَرْأى محاسنهـــا
بـــرَوْض[2] فكرك بين الرَّوض والزّهـــر

وانظـــر إلى ذَهَبِيَّـــات الأصيـــل بهـــا
واسْمَـــع إلى نَغَمات الطَّيْر في السَّحَـــر[3]

وقـــل لِمَـــن لاَمَ فـــي لذَّاتِـــه بَشَـــراً
دَعْني فإنَّـــكَ عِنْـــدي من سِوَى البَشَـــر

قال: وكثيراً ما يُطنب على **دمشق**[4]، ويصف محاسنها؛ فما انفصل عنِّي إلاّ[5] وقد امتلأ خاطري من شكلها[6]؛ فأتمنَّى أن أحُلَّ مواطنها؛ إلى أن أبْلُغ الأمل قبل المنون[7].

---

[1] في القدح المعلى: ((جلق))؛ وهو اسم من أسماء دمشق.
[2] نفسه: ((لرُوضُ))
[3] في القدح المعلى: ((الشجر)).
[4] نفسه: ((وكان كثيراً ما يطنب في الثناء على دمشق)).
[5] نفسه: ((فلا انفصل عنه إلا...)).
[6] حرفت في ج؛ فكتبت: ((ثكلها)).
[7] في القدح المعلى: ((بلغ الله الأمل ولأماني قبل المنون)). والبيت التالي من بحر الوافر.

ولــو أنـــي نظــرتُ بألــف عَيْــنٍ[1]
لمـــا اسْتَوْفَــتْ محاسنهـــا العُيُـــون

دخولـه غرناطـة

دخلها غيرَ ما مرّة؛ لسماع الحديث، وتحقيق النبات، ونَقَر عن عيون النبات بجبالها؛ أحد خزاين الأدوية، ومظان[2] الفوايد الغريبة؛ يجري ذلك في تواليفه؛ بما لا يفتقر إلى شاهد.

مولـده

في محرم سنة إحدى وستين وخمسمائة[3].

---

[1] ورد هذا الشطر في القدح المعلى هكذا: ((وإني لو نظرت بألف عين)).
[2] حرفت في المخططين؛ فكتبت: ((مضان، ومصان)).
[3] الموافق لـ 1165م.

وفاته

توفي **بإشبيلية**؛ عند مغيب الشفق؛ من ليلة الاثنين؛ مستهل ربيع الآخر؛ سنة سبع وثلاثين وستمائة[1]. وكان مما رُثي. قال **ابن الزبير**: ورثاه جماعة من تلامذته: **كأبي محمد الحرَّار، وأبي أمية إسماعيل بن عفير، وأبي الأصبغ عبد العزيز الكبتوري**[2]**، وأبي بكر محمد بن محمد بن جابر السقطي، وأبي العباس بن سليمان**؛ ذكر جميعهم **الحرّار** ـ المذكور ـ في كتاب ألفه؛ في فضايل الشيخ **أبي العباس**، رحمه الله.

***

[1] الموافق لـ 1239م. ذكر في القدح المعلى: ((وكانت وفاته ببلده في سنة إحدى وثلاثين وستمائة)). أما في الذيل والتكملة؛ فكتب: ((توفي بين الظهر والعصر من يوم الأحد الموفي ثلاثين من ربيع الأول؛ واتفقوا أن ذلك كان سنة سبع وثلاثين وستمائة)).

[2] كبتور أو قبتور: وهي بلدة بالقرب من إشبيلية.

أحمد بن عبد الملك[1]

ابن سعيد بن خَلَف بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد
ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد
ابن عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أوليته

بيت **بني سعيد العَنْسي**[2]؛ بيتٌ مشهور في **الأندلس بقلعة يَحْصُب**[3]؛ نزلها[4] جدهم الأعلى[5]، **عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر**؛ وكان له حظوة؛ لمكانه من **اليمانية بقرطبة**؛ وداره ـ بقرب قنطرتها ـ كانت معروفة؛ وهو بيت القيادة، والوزارة، والقضاء، والكتابة، والعمل؛ وفيما يأتي، وما مرَّ كفاية من التنبيه عليه.

---

[1] توجد ترجمة أحمد بن عبد الملك بن سعيد في المغرب، ورايات المبرزين، ونفح الطيب، والحلل الموشية. ويكنى أبا جعفر.

[2] حرفت في ج فكتبت: ((الغنسي))، وفي الملكية: ((الغساني)).

[3] تسمى أيضاً: قلعة بني يحصب، وقلعة يعقوب، أو قلعة بني سعيد؛ بينما تعرف الآن باسم Alcala la Real. وقد عرفت من قبل.

[4] في المخطوطين: ((نزلهم)).

[5] لم ترد هذه الكلمة في ج، ولا في الملكية.

حالــه

قال **الملاحي**: كان من جلة الطلبة، ونبهائهم، وله حظ[1] بارع من الأدب، وكتابة مفيدة، وشعر مدوّن. قال **أبو الحسن بن سعيد**[2]: - في كتابه المسمى **بالطالع**[3] - نشأ محباً في الأدب، حافظاً للشعر، وذاكراً لنظم **الشريف الرضي، ومهيار، وابن خفاجة، وابن الزقاق**[4]، فرقت طباعه، وكثر اختراعه وإبداعه؛ ونشأت معه **حَفْصَة بنت**

---

[1] حرفت في ك، والملكية؛ فكتبت: ((خط)).

[2] هو أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد العنسي المدلجي الأندلسي المغربي؛ ولد بقلعة يحصب سنة 610هـ/1214م وتوفي بتونس سنة 685هـ/1286م. عالم وأديب وشاعر ومؤرخ. له مؤلفات كثيرة؛ منها: المشرق في حلى المشرق، والمغرب في حلى المغرب، والمرقصات والمطربات، والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد، وغيره. وفي الإحاطة ترجمة له.

[3] أي كتاب ((الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد)).

[4] الشريف الرضي هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الكاضم؛ ولد في بغداد سنة 359هـ/969م وتوفي بها سنة 406هـ/1015م؛ شاعر وفقيه؛ عمل نقيباً للطالبيين حتى وفاته. أما مهيار فهو أبو الحسن مهيار **ابن مَرْزَوِيه الدّيلمي**؛ توفي سنة 428هـ/1037م؛ من الشعراء الكبار؛ جيد المعنى قوي الأسلوب غزير الابتكار. أصله من فارس؛ كان مجوسياً ثم دخل الإسلام إلى يد الشريف الرضي. أما ابن خفاجة فهو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله الجعواري الأندلسي؛ ولد في بلدة أشقر التابعة لبلنسية سنة 450هـ/1058م. شاعر بارع، وناثر جيد؛ عاش في أيام ملوك الطوائف وفي العصر المرابطي. أما ابن الزقاق فهو أبو الحسن علي بن عطية بن مطرف اللخمي البلنسي؛ ولد سنة 490هـ/1096م توفي سنة 528هـ/1134م؛ شاعر مجيد؛ يمتاز بغزل رقيق، كما اشتهر ببعض المدائح.

الحاج الركوني[1]؛ أديبة زمانها، وشاعرة أوانها؛ فاشتد بها غرامه، وطال حبه وهيامه؛ وكانت بينهما منادمات ومغازلات؛ أربت على ما كان بين **عَلوَة وأبي عبادة**[2]؛ يمر - من ذلك - إلمام في شعر **حَفْصَة**؛ إن شاء الله.

نباهته وحظوته

ولما وَفَدَتْ [3] **الأندلس**؛ على صاحب أمر **الموحدين**؛ في ذلك الأوان؛ وهو محتلٌ **بجبل الفتح** [4]، واحتفل شعراؤها في القصائد، وخطباؤها في الخطب بين يديه[5]؛ كان في وفد **غرناطة**؛ **أبو جعفر** هذا؛ المترجم به؛

---

[1] حرف اسمها في المخطوطين؛ فكتب: ((حفصة بنت الحاج)). وهي تنسب إلى بلدة ركونة الواقعة غربي بلنسية؛ وتسمى الآن Requena. وتعتبر حفصة فريدة في زمانها حسناً وأدباً وظرفاً ولوذعية؛ فهي جيدة الشعر، سريعة البديهة. توفيت بمراكش سنة 581هـ/1185م. وقد خصها ابن الخطيب بترجمة لها في الإحاطة.

[2] أبو عبادة هو البحتري الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي؛ ولد بمنبج - القريبة من حلب - سنة 206هـ/821م وتوفي بها سنة 284هـ/898م؛ أحد كبار شعراء العصر العباسي. يعتبر ثالث ثلاثة؛ من شعراء العرب في العصر العباسي؛ وهم: المتنبي وأبو تمام والبحتري. أما علوة؛ فهي مغنية حلبية شغف بها البحتري وذكرها في قصائده.

[3] في المخطوطين: ((وفد))؛ والتصويب من عنان.

[4] يشير هنا إلى وفود الأندلسيين الذين قدموا إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي في جبل طارق؛ للاحتفال بالمدينة التي شيدها في ذلك الموضع؛ وذلك في سنة 556هـ/1161م.

[5] في المخطوطين: ((يد)).

وهو حدث السنّ؛ في جملة أبيه، وإخوته، وقومه؛ فدخل معهم على الخليفة، وأنشده قصيدة؛ قال: **أبو الحسن بن سعيد**: كتبت منها ـ من خط والده ـ قوله[1]:

تكَلّم فقد أصْغَى إلى قولِكَ الدَّهْر
وما لِسواك اليومَ[2] نَهْيٌ ولا أمْرُ

ورُمْ كلّ ما قد شِئْتَه فهو كائنٌ
وحاوِلْ فَلا بَرٌ يفُوتُ ولا بَحْرُ

وحَسْبُك هذا البحرُ فألاً[3] فإنّه
يُقَبِّلُ تُرْباً داسَهُ جَيْشُكَ الغَمْرُ[4]

وما صوتُه[5] إلاّ سلامٌ مُرَدَّدٌ
عليكَ وَعَنْ بِشْرٍ بقُربك[6] يَفْتَرُ

---

[1] هذه القصيدة من البحر الطويل. وقد وردت في الحلل الموشية؛ ونسبت إلى أبي حفص بن سعيد العنسي.
[2] في المغرب: ((الآن)).
[3] في الحلل الموشية: ((بالاً)).
[4] نفسه: ((النجر)).
[5] في المغرب: (صوتها)).
[6] وردت هنا في الملكية كلمة ((اليوم)). ولكنها زيادة لا داعي لها. وكتبت كلمة ((مفتر)) في الحلل الموشية بدلاً من ((يفتر)). أما صدر البيت فقد ورد في المغرب هكذا: ((وفي كل قلب من تَصَعُّدها ذعر)).

بجيـــش لكي يَلْــقَى أمامَــكَ منْ غَــدَا
يُعانِــدُ أمْــراً لا يَقــــومُ لـــه أمــرُ
أطَــلَّ[1] على أرْضِ الجَزيــرَةِ سَعْدُهــا
وجَــدَّدَ فيهــا ذلــكَ الخَبَــر الخُبْــرُ[2]
فمــا طــــارقٌ إلاّ لذلــك مُطْــــرقٌ
ولابن نُصَيْــر لم يكــنْ ذلــك النَّصْــرُ
همــا مَهَّداهــــا كــيْ تَحُــلَّ بأفْقِهــا[3]
كمــا حَــلَّ عنْدَ التِّــمِّ بالهالــة البَــدْرُ

قال: فلما أتمّها أثْنَى عليه الخليفة[4]، وقال **لعبد الملك** أبيه: أيهما خيرٌ عندك في ابنيك؛ فقال: يا سيدنا: **محمدٌ** دخل إليكم مع أبطال **الأندلس** وقوادها، وهذا مع الشعر؛ فانظروا ما يجب أن يكون خيراً[5] عندي؛ فقال الخليفة: كلّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له؛ وإذا كان الإنسان متقدماً في صناعة؛ فلا يُؤْسَف عليه؛ إنما يُؤسَف على مُتأخِّر

---

[1] في الحلل المشية: ((أطيل)).
[2] ورد في الحلل الموشية عجز البيت هكذا: ((ويمددها ذلك المخبر الخبر)).
[3] في ك: ((بأرضها)).
[4] وردت بعدها عبارة ((كل ميسر))؛ ولما كانت زائدة فقد تركها عنان.
[5] في ك: ((ميسراً)).

القَدْر، **محروم** الحظّ. ثم أنشد فحول الشّعراء، والأكابر[1]؛ ثم لما ولي **غرناطة**؛ ولده السيد **أبو سعيد**؛ استوزر **أبا جعفر** المذكور، واتصلت حظوته[2] إلى أن كان ما يذكر من نكبته.

محنتــه

قال قريبه وغيره: فَسَدَ ما بينه وبين **السيد أبي سعيد**؛ لأجل **حَفْصَة** الشاعرة؛ إذ كانت محل هَواه[3]، ثم اتَّصَلَت **بالسَّيد**؛ وكان له بها [علاقة][4]؛ فكان كل منهما على مثل الرَّضْف[5] للآخر، ووجد حساده السبيل إلى إغراء **السيد** به؛ فكان مما نُمِيَ به عنه: أن قال **لحفصة** يوماً: وما هذا الغرام الشديد به؛ يعني **السيد**؛ وكان شديد الأُدْمَة[6]؛ وأنا أقدر أن أشتري لك من المَعْرض أسْوداً أسْوداً خيراً منه بعشرين ديناراً. فجعل **السيد** يتوسَّد له

---

[1] كتب بعدها: ((ابن أبي مروان))؛ ولما كانت زائدة فقد أغفلها عنان.
[2] في المخطوطين: ((حضرته))؛ فصوبها عنان.
[3] في ك: ((هداه)).
[4] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين، بينما ذكرت في الملكية.
[5] الرَّضْف مفردها رَضْفَة: هي الحجارة المحماة؛ ويقولون: ((هو على الرّضف))؛ أي قلق. ويقصد هنا أن كل واحد منهما يحمل حقداً للآخر.
[6] شديد الأُدْمة: أي شديد السُمْرة.

المهالك[1]، **وأبو جعفر** يتحفظ كل التحفظ. وفي حالته تلك يقول[2]:

مَنْ يَشْتَــري مِنِّي الحَيــاةَ وطِيبَهــا
ووَزارَتــي وتَــــأدُّبي وتَهَــــذُّبي
بِمَحــلٍّ راعٍ فــي ذُرًى مَلْمُومَــــة
زُوِيَــتْ عَنِ الدُّنْيا بأقْصَى مَرْتَــب
لاَ حُكْــمَ يأخُــــذُه بهــا إلاَّ لِمَــن
يَعْفُــو ويَــرْؤُف دائمــاً بالمُذْنِــب
فلقَدْ سَئِمْــتُ من الحياة مع امــرئ
مُتَغَضِّــبٍ[3] مُتَغَلِّــــبٍ مُتَرَتِّـــــبِ
المَــــوْتُ يَلْحَظُــني إذا لاحَظْتُــه
ويقــوم فــي فِكْــري أوان تَجَنُّــبي
لا أهْتَــدي مَعَ طــولِ ما حاوَلْتــه
لرِضـــاه في الدُّنْيــا ولاَ لِلْمَهْــرَبِ

[1] أي لا ينـام في نصـب المهالـك لـه.
[2] هـذه الأبيـات مـن بحـر الكامـل.
[3] في المخطوطيـن: ((مغضـب))؛ فصوبهـا عنـان.

وأخذ في أمره ـ مع أبيه وأخوته ـ وفتنة **ابن مردنيش**[1] مضطربة ؛ فقال له أخوه **محمد**، وأبوه: إن حركنا حركة ؛ كنّا سبباً لهلاك هذا البيت ؛ ما بقيت دولة هؤلاء القوم، والصبر عاقبته حميدة ؛ وقد كنا ننهاك عن المارجة[2]؛ فلم تركب إلاّ هواك ؛ وأخذ مع أخيه **عبد الرحمن** ؛ واتفقا على أن يثورا ـ في **القلعة**[3] ـ باسم **ابن مردنيش**، وساعدهما قريبهما ـ على ذلك ـ **حاتم بن حاتم بن سعيد**؛ وخاطبوا **ابن مردنيش**؛ وصدر لهم جوابه بالمبادرة؛ ووصلت منه خيلٌ ضاريةٌ؛ وتهيأ لدخول **القلعة**؛ وتهيأ الحصول في **القلعة**؛ وخافوا من ظهور الأمر؛ فبادر **حاتم وعبد الرحمن** إلى **القلعة**؛ وتمّ لهما المراد؛ وأخَّرَ الجبن **أبا جعفر**؛ ففاتاه؛ وتوقّع الطلب في الطريق إلى **القلعة**؛ فصار متخفياً إلى **مالقة**؛ ليركب منها

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي؛ أمير شرق الأندلس؛ ولد سنة 518هـ/1124م وتوفي سنة 567هـ/1171م. ولي مرسية؛ فضم إليها بلنسية وشاطبة ودانية؛ واستعان في ثورته على الموحدين بالنصارى؛ ولكنه انتهى بالفشل؛ حيث يقال أن أمه هي سممته. وقد خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.

[2] أي الفتنة والفساد.

[3] أي قلعة يحصب.

البحر إلى جهة **ابن مردنيش**؛ ووضع **السيد** عليه العيون في كل جهة؛ فَقُبِضَ عليه **بمالقة**، وطولع بأمره؛ فأمر بقتله صبراً؛ رحمه الله.

جزالته وصبره

قال **أبو الحسن بن سعيد**: حدثني **الحسين ابن دويرة**؛ قال: كنت **بمالقة**؛ لما قبض على **أبي جعفر**، وتوصّلت إلى الاجتماع به؛ ريثما استؤذن **السيد** في أمره؛ حين حبس؛ فَدَمَعَت عيني لما رأيته مَكْبولاً؛ قال: أعليَّ تبكي؛ بعد ما بلغتُ من الدُّنيا أطايب لذّاتها؛ فأكلتُ صدور الدّجاج، وشربت في الزُّجاج، وركبتُ كلّ هِمْلاَج[1]، ونمت في الدّيباج، وتمتعتُ بالسّراري والأزواج، واستعملتُ من الشَّمع، السِّراج الوَهَّاج؛ وها أنا في يَدِ **الحَجَّاج**[2]؛ منتظراً محنة **الحَلاَّج**[3]؛ قادمٌ على غافرٍ؛ لا يُحْوج إلى اعتذار ولا احتجاج. فقلت: ألا أبكي على من ينطق

---

[1] يوصف الجواد الأصيل بالهملاج؛ لحسن سيره.
[2] أي في يد من يشبه الحجاج الثقفي في الظلم والقسوة.
[3] الحلاج؛ هو أبو مغيث الحسين بن منصور؛ وُلد بقرية قريبة من البيضاء الفارسية سنة 244هـ/858م وتوفي سنة 309هـ/922م. ويعد من أقطاب المتصوفة؛ ولكنه اتهم بالردة؛ فأعدم بأمر من الخليفة العباسي المقتدر.

بمثل هذا؛ ثم تُفُقِّدَ؛ فقمت عنه؛ فما رأيته إلاَّ مصلوباً؛ رحمه الله.

شعــره[1]

أتــاني كِتــابٌ منــكَ يَحْسُــدُه الدَّهْــرُ[2]
أمَّــا حِبْــرُه ليــلٌ أما طِرْسُــه فَجْــرُ

بــه جمــع اللــه الأمــانيّ لناظــري
وسَمْعي وفِكري فهو سِحْــرٌ ولا سِحْــرُ

ولا غَــرْوَ أن أبــدى العجايــب ربُّــه
وفــي ثوبــه بِــرٌ وفــي كفِّــه بَحْــرُ

ولا عَجَــبَ إن أيْنَــعَ الزَّهْــرُ طيّــه
فما زال صَوْبُ القَطْــرِ يبدو به الزَّهْــرُ

---

[1] الأبيات التالية من بحر الطويل.
[2] في ج: ((الزهر)).

ومن شعره ما يَجْري مَجْرَى المُرْقِص؛ وقد حضر مع **الرُّصافي**[1]، **والكُتَنْدي**[2]؛ [ومعهم مغن **بروطة]**[3]:

للَّـــهِ يَـــــوْم مَسَـــــرَّةٍ   أضْوَى وأقْصَرُ من ذُبالَهْ

لمّـــا نَصَبْنـــا للمُـــنَى   فيه مِنَ اْوْتـــارٍ حِبالَـــهْ[4]

ظـــلّ[5] النَّهار[6] بها كَمُـــرْ   تـــاعٍ وأجْفَلَتِ الغَزالَـــهْ

وشعره مدون كما قلنا، وهذا القدر عنوانٌ على نبله.

غريبةٌ في أمره مع حفصة

قال **حاتم بن سعيد**: وكان قد أجرى الله على لسانه؛ إذا حركت الكأس بها غرامه؛ أن يقول: والله لا يقتلني أحدٌ سواك؛ وكان يغني بالحب، والقدر؛ مُوَكل بالمنطق؛ قد فرغ من قتله بغيره من أجلها. قال: ولما بلغ

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الرصافي الأندلسي؛ توفي بغرناطة سنة 572هـ/1177م؛ ينسب إلى رصافة بلنسية. شاعر فحل؛ عزيز النفس، ولا يتكسب بالشعر. خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة.

[2] هو أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الكُتَنْدِي؛ وكتندة قرية من قرى مرسية؛ تسمى أيضاً قتندة (بالقاف) توفي سنة 584هـ/1188م. شاعر من النبهاء في وقته.

[3] ما بين الحاصرين ذكر في ج وفي الملكية بينما سقط في ك. أما روطة فهي قرية من قرى غرناطة. والأبيات الموالية من مجزوء الكامل.

[4] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا: ((لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله)).

[5] في المغرب ونفح الطيب: ((طار))؛ وهو الأصح.

[6] النهار هنا هو ذكر الحبارى.

حفصة قتله؛ لبست الحداد، وجهرت بالحزن، فَتُوُعِّدت بالقتل؛ فقالت في ذلك[1]:

هــدَّدوني من أجــل لِبْــسِ الحِــداد
لحَبيـــــبٍ أرْدوه لـــي بالحِـــــدادِ
رحـــمَ اللـــه مــن يجــودُ بدمـــــعٍ
أو يَنــوحُ عــلى قتيــلِ الأعــادِ
وسَقَتْــه بمثــل جــــود يديــه
حيث أضْــحَى من البــلاد الغَــواد

ولـم يُنْتَفـع بعدُ بها، ثـم لَحِقـت بـه بعـد قليـل.

وفاتــه

توفي ـ على حسب ما ذكر ـ في جمادى الأولى من سنة تسع وخمسين وخمسمائة[2].

***

---

[1] هذه الأبيات من بحر الخفيف.
[2] الموتفق لـ 1163م.

أحمد بن سليمان

ابن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي؛ المعروف بابن فركون[1]؛ يكنى أبا جعفر

أوليتــه

قد مرّ ذلك في اسم جَدّه؛ قاضي الجماعة، وسيأتي في اسم والده.

حالــه

شعلة من شعل الذكاء والإدراك، ومجموع خلال حميدة؛ على الحداثة؛ طالب نبيل، مدرك، نجيب، بَذَّ أقرانه كفاية، وسما إلى المراتب، فقرأ وأعرب، وتمر[2]، وتدرب، واستجاز له والده شيوخ بلده؛ فمن دونَهم، ونظم الشعر، وقيد كثيراً، وسبق أهل زمانه في حسن الخط؛ سبقاً أفرده بالغاية القصوَى؛ فيراعه اليوم، المشار إليه، بالظرف[3]، والإتقان، والحَوَا، والإسراح[4]؛ اقتضى

---

[1] توجد ترجمة أحمد بن سليمان بن فركون في الكتيبة الكامنة؛ ولم يثن عليه كما هو الحال في الإحاطة.وله ترجمة أيضاً في نفح الطيب.

[2] أي أثمر.

[3] في ك: ((باللطف)).

[4] حوى الشيء: احترزه وجمعه. والإسراح: السهولة.

ذلك ـ كله ـ ارتقاؤه إلى الكتابة السلطانية ؛ ومزية الشُّفوف بها ؛ بالخلع والاستعمال، واختصّ بي، وتأدب بما انفرد به من أشياخ تواليفي ؛ فآثرته بفوائد جمّة، وبَطَنَ[1] حوضه من تَحَلُّمِه، وترشح إلى الاستيلاء على الغاية.

شعره

أنشد له بين يديّ السلطان في الميلاد[2] الكريم[3]:

حــيّ المعاهــد بالكثيــب وجادهــا
غيــثٌ يــروّي حيّهــا وجمادهــا

مولده

في ربيع الآخر من عام سبعة وأربعين وسبعمائة[4].

***

[1] في ج: ((ونطق)).
[2] حرفت في المخطوطين وفي الملكية؛ فكتبت: ((البلاد)).
[3] هذا البيت من البحر الكامل.
[4] الموافق لـ 1346م.

أحمد بن إبراهيم

ابن أحمد بن صفوان؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بابن صفوان[1].

حالـــه

بقية الأعلام، أديب [من أدباء][2]، هذا القطر، وصدرٌ من صدور كتابه، ومشيخة طلبته، ناظمٌ، ناثر، عارف، ثاقب الذهن، قوي الإدراك أصيل النظر، إمام الفرايض والحساب والأدب والتوثيق، ذاكرٌ للتاريخ واللغة، مشارك في الفلسفة والتصوف، كلفٌ بالعلوم[3]، الإلهية، آية الله في فك المُعَمَّى، لا يجاريه في ذلك أحد ممن تقدمه، شأنه عجبٌ، يفك من المعميات[4] والمستنبطات، مفصولاً وغير مفصول، شديد التعصب لذي[5] ودّ، وبالعكس، تام الرجولة، قليل التهيب، مقتحم حِمَى أهل الجاه والحمد والمضايقة، إذا دعاه لذلك داع، حبل[6] نقده على غاربه،

[1] توجد ترجمة أحمد بن إبراهيم بن صفوان أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب.
[2] هذه الإضافة من الملكية.
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالعموم)).
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((المعايات)).
[5] في الملكية: ((لأهل)).
[6] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((حل)).

راضٍ بالخمول، متبلغ بما تيسر، كثير الدؤوب والنظر، والتقييد والتصنيف، على كلال الجوارح، وعائق الكَبْرة[1]، متقارب نمطي[2] الشعر والكتابة، مجيد فيهما، ولنظمه شفوف على نثره.

مشيختـه

قرأ على الأستاذ [**أبي محمد**][3] **الباهلي**، أستاذ الجملة من أهل بلده، ومولى النعمة عليهم، لازمه وانتفع به، ورحل إلى **العدوة**، فلقي جملة، كالقاضي المؤرخ **أبي عبد الله بن عبد الملك**، والأستاذ التعالمي **أبي العباس بن البنا**[4]، وقرأ عليهم **بمراكش**.

---

[1] أي الكبر في السن.
[2] في ج: ((بمضي))؛ وصوبت من الملكية.
[3] سقطت هذه العبارة في ج، وفي الملكية.
[4] هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العدوي؛ عرف باسم ابن البنا؛ نسبة لمهنة أبيه. ولد في مراكش سنة 654هـ/1256م وتوفي بها سنة 721هـ/1321م. له دراية بعلوم شتى؛ كالرياضة، والمنطق، وعلم الأصول، والفلك، وغيره.

نباهتــه

استدعاه السلطان، ثاني الملوك من **بني نصر**[1] إلى الكتابة عنه مع الجِلَّة[2]، ببابه، وقد نما عشه، وعلا كعبه، واشتهر ذكاؤه وإدراكه. ثم جنح إلى العودة[3]، لبلده. ولما ولي المُلْك، السلطان **أبو الوليد**[4]، ودعاه إلى نفسه، ببلده **مالقة**، استكتبه رئيساً مستحقاً، إذ لم يكن ببلده، فأقام به واقتصر على كَتْب الشروط، معروف القدر، بمكان من القضاة ورعيهم، صدراً في مجالس الشورى، وإلى الآن يجعل إلى زيارة **غرناطة**، حظاً من فصول بعض السنين، فَيَنْصِب[5]، بها العدالة، ثم يعود إلى بلده في الفصل الذي لا يصلح لذلك. وهو الآن بقيد الحياة، قد علقته أشراك[6] الهرم، وفيه بعد مستمتعٌ بديع، كبير.

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ الملقب بالفقيه؛ ولد بغرناطة سنة 633هـ/1235م وتوفي بها سنة 701هـ/1301م. ستأتي ترجمة له في الإحاطة.
[2] في ك، وفي الملكية: ((الجملة)).
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((العدوة)).
[4] وهو إسماعيل بن فرج بن نصر؛ ولد سنة 677هـ/1278م. وتوفي سنة 725هـ/1324م. ستأتي ترجمة له في الإحاطة.
[5] في المخطوطين: ((فتنصب))؛ وصوبها عنان.
[6] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((اشتراك)).

تصانيفــه

من تواليفه: ((**مطلع الأنوار الإلهية**))، ((**وبغية المستفيد**))، ((**وشرح كتاب القرشي في الفرايض**))؛ لا نظير له. وأما تقاييده على أقوال يعترضها، وموضوعات ينتقدها؛ فكثيرة.

شعــره

قال في غرض[1] التصوف؛ وبلغني أنه نظمها بإشارة من الخطيب؛ ولي الله، **أبي عبد الله الطنجالي**؛ كلف بها القوَّالون، والمُسَمِّعون بين يديه[2]:

بــان الحَميــمُ فما الِحــمَى والبــانُ
بشفــاء مَنْ عنْــه الأحِبَّــة بانُــوا
لــم ينْقُضُــوا عهــداً بِبَيْنِهــم ولا
أنساهـــم ميثاقَــك الحِدْثـــانُ

---

[1] في المخطوطين: ((عرض)).
[2] هذه القصيدة من البحر الكامل.

لكـــن جَنَحْـتَ لغيرهــم فأزالهــم

عن أُنْسِهِـــم بك مُوحِـــشٌ غَيْـــران

لـــو صَـــحَّ حُبُّـــك مـــا فقدْتُهـــم ولا

ســـارَتْ بهم عن حُبِّـــكَ الأظعـــان

تَشْتاقُهـــم، وحَشـــاك هالـــةُ بَدْرِهـــم

والسِّـــــرُّ منـــك لِخِلِّهـــم[1] ميـــدان

ما هكـــذا أحـــوالُ أرْبـــاب الهَـــوَى

نَسَـــخَ الغَـــرامَ بقلبـــكَ السُّلْـــوانُ

لا يَشْتَـــكي أَلَـــم البُعـــــاد مُتَيَّـــــمٌ

أحبابُـــــه فـــي قلبِـــــهِ[2] سُكّـــانُ

مـــا عندهـــم إلا الكمـــال وإنمـــا

غَـــطَّى على مِرْآتِـــك[3] النُّقْصـــانُ

شَغَلَتْـــكَ بالأغْيـــار عنهـــم مُقْلَـــةٌ

إنْسانُها عـــن لَمْحِهِـــم وسْنـــانُ

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((لخيلهـم)).
[2] في المخطوطيـن: ((بقلبـه))؛ فصوبهـا عنـان.
[3] في الكتيبـة الكامنـة: ((مرآتهـا)).

غَمِّضْ جُفُونَكَ عنْ سِواهم مُعْرِضاً

إنَّ الصَّــوارم حَجْبُهــا الأجْفـــــانُ

واصْرِفْ إليهم لحظَ فِكْرِكَ شاخِصـــاً

تَرَهُــم[1] بقلبك حيث[2] كنت وكانــوا

مــا بـــان[3] عن مَغْنـــاك من ألطافـــه

يَهْــمى عليهــا سحابُهــا الهَتَّـــانُ

وجيـــاد أنْعُمِـــه ببابـــــك تَرْتَــمي

تَسْــري إليــك بِرَكْبِهــا الأكْــوانُ

جعلــوا دليـــلاً فيــك[4] منك عليهـــم

فبــدا على تَقْصيـــرك البُرهـــانُ

يـــا لامحـــاً سِـــرَّ الوُجـــود بِعَيْنِـــه

السِّـــرُّ فيـــك بأسْـــرِهِ والشَّـــانُ

ارجِـــعْ لذاتِـــك إنْ أرَدْتَ تَنَزُّهــــــاً

فيهـــا لعَيْـــنَيْ ذي الحِجا بُسْتـــانُ

---

[1] في الكتيبة الكامنة: ((ترسم)).

[2] نفسه: ((كيف)).

[3] نفسه: ((ما غاب)).

[4] نفسه: ((منك فيك)).

هــي رَوْضَــةٌ مطْلُولَــةٌ بَــلْ جَنَّــةٌ

فيهــا المُــنَى والرّوحُ والرَّيْحــانُ

كم حِكْمَــة صــارت تَلُــوح لِناظِــرٍ

حــارَتْ لباهــرِ صُنْعِها الأذْهــانُ

حُجِبَتْ بشَمْسِك[1] عن عيانِكَ شَمْسُهــا

شمــسٌ محاســنُ[2] ذِكْرِها التِّبْيــانُ[3]

لــولاك مــا خَفِيَــتْ عليــك آياتُهــا[4]

والجــوُّ مــن أنْوارِهــا مَــلآنُ

أنتَ الحِجــابُ لمــا تُؤَمِّــل مِنْهُــمُ

فَفَنــاؤُكَ الأقْــصَى لهــم وُجْــدانُ

فاخْــرُج إليهم عنــك مُفْتَقِــراً لهــمْ

إنَّ المُلُــوكَ بالافْتِقــارِ تُــدَانُ

---

[1] في ك: ((بشخصك)). وفي الكتيبة الكامنة: ((بشخصك)).

[2] في ج، وفي الملكية: ((فمحاسن)).

[3] ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا: ((فمحا محاسن ذكرها النسيان)).

[4] في ك: ((أيتها)). والأسلم: أياتها؛ كما ذكر الدكتور طويل.

واخضــع لعِزِّهــم ولِذُلِّهِــم[1] يَلُــح

منهــم عليــك تَعَطُّـــفٌ وحنــان[2]

هُمْ رَشَّحــوكَ إلى الوُصــولِ إليْهِــمُ

وهُــمُ على طلبِ الوِصالِ عــوان[3]

عَطَفــوا جَمالهــم عــلى أجْمالِهــمْ

فَحُلى[4] المشوق الحُسْن والإحســانُ

يا مُلْبِسيــن عَبيدَهــم[5] حُلَــل الضَّنى

جِسْــمي بمــا تكْسونَـــه يَــزْدانُ

لا سُخْــطَ عنــدي لِلَّــذي تَرْضونــه

قلــبي [بِــذاك مُفَـــرَّحٌ][6] جَــذْلانُ

فَبِقُرْبِكُــم عَيْــنُ الغِنــا وبِبُعْدِكُـــم

مَحْــضُ الفَنَــا ومُحِبُّكُــم وَلْهــانُ[7]

---

[1] حرفت في ك؛ فكتبت: ((لذبهم)). في الكتيبة الكامنة: ((لذُلهِم)). وهو أسلم.

[2] في الكتيبة الكامنة: ((تلطف وحنان)).

[3] في الكتيبة الكامنة: ((أعانوا)).

[4] نفسه: ((فسبا)).

[5] في المخطوطين: ((عميدهم)).

[6] في المخطوطين: ((بذلك فرح)). وفي الكتيبة الكامنة: ((فارح)).

[7] ورد هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:

تقريبكم عيْنُ البقاءِ وبُعْدكم * مَحْضُ الفناءِ وحبكم وَلْهانُ

إنِّـــي كَتَمْـــتُ عَـــنِ الأنَـــامِ هَواكُـــمُ
حَــتَّى دُهِيــتُ وخانَــني الكِتْمــانُ
ووَشَـــتْ بِحالي [عند ذاك][1] مَدامِـــعٌ
أدْنَـــى مَواقِـــع قَطْرِهـــا طوفـــانُ
وبَــــدَتْ عَــلَيَّ شَمايــلٌ عُذْرِيَّـــــة
تَقْـــضي بِـــأنِّي فيكُـــمُ هَيْمـــانُ
فـــإذا نَطَقْـــتُ فَذِكْرُكُـــمْ لِيَ مُنْطِـــقٌ
مـــا عـــن[2] سواكُـــمْ لِلِّســـانِ بَيـــانُ
وإذا صَمَـــتٌّ فَأنْتُـــمُ سِـــرِّى الـــذي
بَيْـــنَ الجَوانِـــحِ في الفُـــؤادِ يُصـــانُ
فبِباطِـــنِي وبِظاهِـــرِي لَكُـــمْ هَـــوًى
مِـــنْ جُنْـــدِهِ الإسْـــرارُ والإعْـــلانُ
وجَوانِـــحي[3] وجميع أنفـــاسي ومـــا
أحْـــوَى عَـــلَيَّ لِحُبِّكُـــمْ أعْـــوانُ

[1] سقطت هذه العبارة في المخطوطين؛ بينما وردت ف ت. وفي الكتيبة الكامنة كتب: ((في الغرام)) في مكان ((عند ذاك)).
[2] في الكتيبة: ((لي)).
[3] نفسه: ((وجوارحي)).

وَإِلَيْكُـــمُ مِـــنِّي المَفَــرُّ فَقَصْدُكُــــمُ
حَــــرَمٌ بـــه لِلْخائفِيــــنَ أمــــانُ

وقال يَـذُمُّ الدنيا ويمـدَحُ[1] عُقْبى مـن يُقلـل منهـا[2]:

حديـــث الأمان[3] في الحيـــاة شجـــون
إن أرْضاك شَـــأنٌ أحْفَظَتْـــك شئـــونُ
يَميـــلُ إليهـــا جاهِـــلٌ بِغُرورِهـــا
فَمِنْـــه اشْتِيـــاقٌ نَحوهـــا وأنِيـــنُ
وذو الحَــزْمِ يَنْبُو عن حِجاه فحالهـــا
يقيــــه إذا شَــــكٌّ عَــراه يَقِيــــنُ
إليك صَرِيعَ الأمْنِ سَنْحَـــة[4] ناصـــح
على نُصْحِـــه سيما الشَّفيـــق[5] تَبِيـــنُ
تجـــافَ عَنِ الدُّنيـــا ودِنْ باطِّراحِهـــا
فَمَرْكَبُهـــــا بالمُطْمِعيـــن[6] حَـــرونُ

---

[1] في ك: ((يحمد)).
[2] القصيدة التالية من البحر الطويل.
[3] في ك: ((الجمان)).
[4] في الملكية: ((منحة)).
[5] حرفت في ج؛ فكتبت: ((السفين)).
[6] في ج: ((بالممطعين))، وفي الملكية: ((بالمطمين)).

وتَرْفِيعُهَـــا خَفْــضٌ وتَنْعِيمُهـــا أذًى

ومَنْهَلُهـــــا لِلْوَارِديــــنَ أجُـــــونُ

إذا عاهَدَتْ خانَتْ وإنْ هِيَ أقْسَمَــتْ

فــلا تَــرْجُ بــراً باليَميــنِ يَميــنُ

يَروقُــكَ منهـــا مَطْمَــعٌ من وفائهـــا

وسُرْعـــان ما إثْــرَ الوَفــاءِ تَخُــونُ

وتَمْنَحُـــــكَ الإقْبـــال كفَّـــــة حابــلٍ

ومن مَكْرِهـــا في طَـــيٍّ ذاكَ كَميــنُ

سَقـــاهُ لَعُمْرُ اللَّهِ إمْحاضَــك الهَــوَى

لِمَــنْ أنْــتَ بالبَغْضـــاءِ فيه قَميــنُ

ومن تَصْطَفيه وهو يُقْطِعُــك القِــلا

وتُهــدي له الإعْــزازَ وهــو يُهيــنُ

ألا إنَّهـــا الدُّنْيـــا فلا تَغْتَــرِرْ[1] بهـــا

ولُــودُ الــدَّوَاهِي بالخِــداعِ تَدِيــــنُ

يَعُــمّ رَداها الغِرَّ والخِــبّ ذا الدهـــا

ويُلْحَــقُ فيهـــا بالكِنـــاسِ عَريــــنُ

---

[1] في ك: ((تغتـر)).

وَتَشْمَــلُ بَلْواهــا نَبيــلاً وخامِــلاً
ويَلْــقَى مُــذالٌ[1] غَدْرَهــا ومَصــونُ

أبِنْهــا لَحاهــا الَّــهُ كَــمْ فِتْنَــةٍ لهــا
تُعَلِّــمُ صُــمَّ الصَّخْــرِ كَيْــفَ يَلِيــنُ

فَــلا مَلِــكٌ ســامٍ[2] أقالَــتْ عِثــارَهُ
ولَــوْ أنَّــهُ لِلْفَرْقَدَيْــنِ خَدِيــنُ

[ولا معهــد إلاّ وقــدْ نَبَهَــتْ بــه
بَعيــدَ الكَــرَى لِلثَّاكِــلاتِ جُفــونُ

أبيــتُ لنَفْــسي أنْ يُدَنِّسَهــا الكَــرَى
سكــونٌ إليهــا موبــقٌ وَرُكُــونُ][3]

فليسَ قَريرَ العَيْنِ فيها سِوَى امــرئٍ
تَــلاه لهــا رأيٌ يــراه وديــنُ

---

[1] هكذا.
[2] في ج: ((سمى)).
[3] هذان البيتان وردا هكذا في ج، وفي الملكية؛ ولكنهما أدمجا في بيت واحد في ك؛ بحيث كتبا هكذا:
((**ولا معهد إلا وقد نبهت به * سكون إليها موبق وركون**))؛
فتم بذلك؛ حذف عجز الأول، وصدر الثاني.

أبيتَ طَلاَقَ الحِرْصِ فالزُّهْــد دائبــاً

خليــلٌ لـــه مُسْتَصْحَـــــبٌ وقَريــنُ

إذا أقْبَلَـــتْ لـــم يُولِهـــا بشـــرَ شَيِّـــقٍ

ولا خَـــفَّ لِلإقْبـــال منـــه رَزيـــــنُ

وإنْ أدْبَـــرَتْ لمْ يلتفت نحوهـــا بهـــا

وادٍ عـــلى مـــا لَـــمْ تُـــوات حزيـــنُ

خَفيفَ المَطـــا من حَمْلِ أثقال هَمِّهـــا

إذا ما شَكَـــتْ ثِقَـــل الهُمـــومِ مُتـــونُ

على حفظـــه للفَقْـــرِ أبْـــهَى مَـــلاءَةٍ

سَـــنَى حَلْيهـــا وسْـــطَ الزرى يديـــنُ

برَجْـــفٍ تَخـــال الخائفيـــن منـــازلٌ

لهُـــنَّ مكـــانٌ حيـــث حَـــلَّ مكيـــنُ

مَنـــازلُ نَجْـــــدٍ عِنْدَهـــا وتِهامَــــــةٍ

سوًى واسْتَوَى هِنْـــدٌ لَدَيْـــه وصيـــنُ[1]

يَـــرُودُ رِياضـــاً أيْـــنَ ســـارَ وَوَرْدُه

زُلالٌ اعتـــاض الــــوُرودَ مَعيــــنُ

---

[1] في ك: ((وميـن)).

فهذا أثِيــلُ[1] المُلْــكِ لا مُلْــكَ ثائــرٍ

لأعْدائِــه حَــــرْبٌ عليــه زَبُــــونُ

وهذا عَريضُ العِزِّ لا عِــزُّ مُتْــرِفٍ

له من مَشيــداتِ القُصــورِ سُجــونُ

حَــوَتْ شَخْصــه أوْصافهــا فكَأنَّــهُ

وإنْ لمْ يَمُتْ فَــوْقَ التُّــرابِ دَفيــنُ

فيا خابِطاً عَشْــواءَ والصُّبْح قد بــدا

[إلاَمَ تُغَــطِّي][2] ناظِرَيْــك دُجُــــونُ

أفِقْ من كَرَى هذا التَّعَامي ولا تُضِعْ

بِجَهْلِــكَ علــق[3] العُمْــر فهو ثَميــنُ

إذا كان عُقْــبَى ذي جِــدَّة إلى بِــلًى

وقُصــارَى ذي الحيــــاة مَنــــونُ

فَفيــمَ التَّفــاني والتَّنافُــس ضِلَّــــة

وفيــمَ التَّــلاَحي والخِصــامُ يَكــونُ

---

[1] سقطت هذه الكلمة في ك.

[2] حرف ما ورد بين الحاصرتين في المخطوطين؛ فكتب: ((إلى تعني. ثغني)).

[3] في ك: ((علو)).

إلى اللَّـــه أشْكوهـــا نُفُـــوساً عَمِيَّـــةً
عَنِ الرُّشْـــدِ والحَـــقِّ اليَقيـــن تَبيـــنُ[1]
وأسْألُـــه الرُّجْعَى[2] إلى أَمْـــرِهِ الـــذي
بِتَوْفيقِـــــهِ حَبْـــلُ الرَّجـــاءِ مَتيـــــنُ
فَـــلا خَيْـــرَ إلاَّ مـــنْ لَدُنْـــه وُجُـــودُهُ
لِتَيْسيـــرِ أسْبـــابَ النَّجـــاةِ ضَميـــــنُ

وجمعتُ ديوان شعره أيّام مقامي **بمالقة**؛ عند توجُّهي صحبة الرّكاب[3] السّلطاني إلى إصراخ الخضراء؛ عام أربعة وأربعين وسبعمائة[4]، وقدمت صدره خطبة، وسميت الجزء ((**بالدُّرَر[5] الفاخِرة، واللُّجَج الزَّاخرة**))، وطلبت منه أن يجيزني، **وولدي عبد الله**، رواية ذلك عنه؛ [فكتب][6] بخطه الرَّائق بظهر المجموع ما نصه: ((الحمد لله مستحق الحمد، أجبت سؤال الفقيه، الأجل،

---

[1] في المخطوطين: ((يكون.
[2] في ك: ((الرجا)).
[3] في ج: ((الركبان)).
[4] الموافق لـ 1343م.
[5] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((الدار))، وفي الملكية؛ كتبت: ((بالدراري)).
[6] هذه الكلمة أضافها عنان.

الأفضل، السري، الماجد، الأوحد، الأحفل، [الأديب][1]، البارع، الطالع في أفق المعرفة والنباهة، والرفعة المكينة والوجاهة، بأبهى المطالع، المصنف، الحافظ، العلامة، الحائز في فني النظم والنثر، وأسلوبي الكتابة[2] والشعر، رتبة الرّياسة[3]، الحامل لراية التقدم والإمامة، مُحَلِّي جيد[4] العصر بتواليفه[5] الباهرة الرواء[6]، ومُجْلى محاسن بنيه[7]، الرائقة على مَنَصَّة الإشهاد[8] والإنباء؛ **أبي عبد الله بن الخطيب**، وصل الله سعادته ومجادته[9]، وسنى من الخير الأوفر، والصنع الجميل الأبهر، مقصده وإرادته، وبلغه في نجله الأسعد، وابنه الراقي[10]، بمحتده الفاضل، ومنشئه الأطهر، محل الفرقد، أفضل ما يؤمل نخلته إياه في[11]

---

[1] سقطت هذه الكلمة في ج، وفي الملكية.
[2] في المخطوطين: ((المكاتبة))؛ وفي نفح الطيب: ((الكتابة))؛ وهو أرجح.
[3] في نفح الطيب: ((رتبة الرياسة والإمامة)).
[4] في المخطوطين: جيل)).
[5] في نفح الطيب: ((بتآليفه)).
[6] في المخطوطين: ((الرواية))؛ وصوبت من نفح الطيب.
[7] نفسهما: ((ومحل بنيه))؛ بينما أغفلت كلمة: ((محاسن))؛ وقد صوب ذلك ذلك من نفح الطيب.
[8] في نفح الطيب: ((الإشارة)).
[9] نفسه: ((وحرس مجادته)).
[10] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((إلى اقر)).
[11] في نفح الطيب: ((من)).

المكرمات وإفادته، وأجزت له، ولابنه **عبد الله** المذكور، أبقاهما الله تعالى، في عزةٍ سنية الخلال[1]، وعافية ممتدة الأوفياء، وَارِفَة الظِّلال، رواية جميع ما تقيد في الأوراق، المكتتب على ظهر أول ورقة منها، من نظمي ونثري، وما توليت إنشاءه[2]، واعتمدت بالارتحال[3] والرواية، اختياره وانتقاءه، أيام عمري، وجميع مالي من تصنيف وتقييد، ومقطوعةٍ وقصيدةٍ[4]، وجميع ما أحمله عن أشياخي رضي الله عنهم، من العلوم، وفنون المنثور والمنظوم، بأي وجه تأتي ذلك، وصح حملي له، وثبت إسناده لي، إجازةً تامة، في ذلك كله عامة، على سنن الإجازات الشرعية[5]، وشرطها المأثور عند أهل الحديث المرعي، والله ينفعني وإياهما بالعلم وحمله، وينظمنا جميعاً في سلك حزبه المفلحين[6] وأهله، ويفيض علينا من من أنوار بركته وفضله. قال ذلك؛ وكتبه بخط يده الفانية،

---

[1] في ك: ((الجلال)).
[2] نفسه: ((إنشاده)).
[3] في نفح الطيب: ((بالارتجال)).
[4] نفسه: ((وقصيد)).
[5] نفسه: ((الشرعي)).
[6] نفسه: ((المفلح)).

العبد الفقير إلى الغني[1] به، **أحمد بن إبراهيم بن أحمد ابن صفوان**، ختم الله له بخير، حامداً لله تعالى، ومصلياً ومسلماً على **محمد** نبيه **المصطفى** الكريم، وعلى آله الطاهرين ذوي المنصب العظيم، وصحبه[2] البررة، أولي المنصب والأثرة[3] والتقديم، في سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين[4] وسبعمائة[5]، وحسبنا الله ونعم الوكيل[6])).
الوكيل[6])).

واشتمل هذا الجزء؛ الذي أذن بحمله عنه من شعره على جملة من المطولات، منها قصيدة يعارض بها الرئيس **أبا علي بن سينا** في قصيدته الشهيرة في **النفس** التي مطلعها:

---

[1] في نفح الطيب: ((إلى الله الغني)).
[2] نفسه: ((وصحابته)).
[3] نفسه: ((أولي الأثرة)).
[4] حرفت في ج؛ فكتبت: ((أربعة وسبعين)). وهذا مناقض لما ذكره ابن الخطيب من قبل؛ كما يناقض قوله حين ذكر وفاة ابن صفوان؛ سنة 763هـ
[5] الموافق لـ 1343م.
[6] إحالة إلى قوله تعالى: ﴿**الذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسَ إنَّ النَّاسَ قَدْ أجْمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾. سورة آل عمران؛ الآية: 173.

((هَبَطَــتْ إليــكَ مــن المَحَــلِّ الأرْفَــعِ))؛ أولها:
((أهْــلاً بِمَسْــرَاك المُحِــبِّ[1] الموضــع)).

وأول قصيدة[2]:

لمَعْنــاك فـــي الأفْهــامِ سِــرٌ مُكْتَــمٌ
عليــه نفــوسُ العارِفيــــنَ تَحــومُ

وأول أخرى[3]:

أزْهَــى حِجابَــك رُؤْيَــةُ الأغْيــارِ
فامْــحُ الــدُّجَى بأشِعَّــةِ الأنْــوارِ

وأول أخرى[4]:

ثناءُ وُجُــودي في هَواكُمْ هُوَ الخُلْــدُ
وَمَحْوُ رُسومي حُسن ذاتي به يَبْــدُو

ومطلع أخرى[5]:

ألا في الهَوَى بالذُّلِّ تُرْعَى الوَسائــلُ
ودَمْــعي أن أنادى مُجيــبٌ وسائــلُ

---

[1] في المخطوطين: ((الخب)).
[2] البحر الطويل.
[3] البحر الكامل.
[4] البحر الطويل.
[5] البحر الطويل.

ومطلع أخرى[1]:

هُمُ القَصْدُ جادوا بالرِّضَى أو تَمَنَّعــوا[2]
صِلُوا اللَّوْمَ فيما أَوْدَعُوا القَلْبَ أودَعُوا

ومن أخرى[3]:

سَــقَى زمن الرِّضا همٌ من السُّحُــب
وللَّـــه العَــوْدُ مــن أثوابــه القُشُــبِ

ومن أخرى[4]:

يا فَــوْزَ نَفْسي في هَــواك هَواؤهــا
رقَّــت معانيهــــا وراقَ مناؤهـــــا

ومن أخرى[5]:

أمَّـــا الغَـــــرامُ فَبِالفُــــؤادِ غَريــمُ
هيهـــاتَ مِــنِّي ما العَــذُولُ يَــرُومُ

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في المخطوطيـن: (وتمنعـوا))؛ فصوبهـا عنـان.
[3] البحـر البسيـط
[4] البحـر الكامـل.
[5] البحـر الكامـل.

ومن شعره في المقطوعات قوله[1]:

رَشَــقَ[2] العِــذارُ لُجَيْنَـــــه بِنِبالِـــه
فَغَــدا يَــدورُ[3] على المُحِبِّ الوالِـــهِ

خَــطَّ العِــذارُ بِصَفْحَتَيْـــــهِ لامَـــه
خَطــاً تَوعَّـــــدَه بِمَحْــوِ جَمالَـــــه

فَحَسِبْـــتُ أن جماله شمسُ الضُّـــحَى
حُسْنـــاً وذاك الخَــطُّ خَــطُّ زَوالِـــهِ

فَدَنــــــا[4] إلَـــيَّ تَعَجُّبــــاً وأجابَـــــني
والـــرَّوْعُ يَبْــدو من خِـــلال مَقالِـــه

إنَّ الجمـــالَ آخِـــرُه الـــلاَّم فَعُــــجْ[5]
عَنْ رَسْمِـــه وانْـــدِبْ على أطْلاَلِـــه

[1] هذه المقطوعة من البحر الكامل.
[2] في الكتيبة الكامنة:وَشَى.
[3] نفسه: ((**يَرقّ**)).
[4] في الكتيبة الكامنة: ((**فَرَنَا**)).
[5] ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:
((إن الجمال اللام آخره فعج))). وهو أسلم للوزن من النص أعلاه.

ومن أبياته في التورية بالفنون قوله[1]:

كَفَفْتُ عن الوصال طويلَ شَوْقي
إليك وأنْتَ لِلرُّوحِ الخَليلُ
وكفُّك للطويل[2] فَدَتْكَ نَفْسي
قَبيحٌ ليس يَرضاه الخليلُ

وقال في التَّوْرِية بالعَرُوض[3]:

يا كامِلاً شَوْقي إليهِ وافِرُ
وبَسيطُ خَدِّي في هَواه عَزيزُ
عامَلْتَ أسْبابي لدَيْك فَقَطَّعْتَها[4]
والقَطْعُ في الأسْبابِ ليسَ يَجُوزُ

وقال في التَّوْرِيَة بالعَرَبِيَّة[5]:

أيا قَمَراً مَطَالِعُهُ جَنَاني
وغُرَّتُه تُوَارى عن عِيانِ[6]

---

[1] هذان البيتان من البحر الوافر.
[2] في الكتيبة الكامنة: ((للوصال)).
[3] هذان البيتان من البحر الكامل.
[4] هذا الشطر في الكتيبة: ((عاملت أسبابي إليك بقطعها)).
[5] هذان البيتان من البحر الوافر.
[6] هذا العجز في الكتيبة: ((وغرته توارت عن عياني)). وهو أسلم.

أأصْــرِفُ في هَواك عَنِ اقْتِراحي

وَسُهْــــدي وانْتِحــابي عِلَّتــانِ

وقال أيضاً[1]:

لا تَصْحَبَنَّ [يا صاحِبِي][2] غَيْر الــوَفي

كلُّ امــرئ عُنْوانه من يَصْطَــفي

كم من خَلِيلٍ بِشْــرُهُ زَهْــرُ الــرُّبَى

وطــيُّ ذاك البِشْــر حَــدُّ المُرْهِــفِ

ظاهِـــرُهُ يُريــك ســرَّ مَــنْ رَأَى

وأنْــتَ من إعْراضِــه في أسَــفِ

ووقعَتْ بينه وبين قاضي بلده **أبي عمرو ابن المنظور** مقاطعة؛ انْبَرَى بها إلى مطالبته بما دعاه إلى التحوُّل مضطراً إلى **غرناطة**، وأخذ بكَظَمِه[3]، وطوقه الموت في أثناء القطيعة؛ فقال في ذلك متشفياً؛ وهو من نبيه كلامه؛ وكُلُّه نبيه[4]:

---

[1] هذه الأبيات من بحر الرجز.
[2] أضيفت هذه الكلمة من ت.
[3] في المخطوطين: ((بكنفه، بكنطه))؛ فصوبها عنان.
[4] هذه القصيدة من البحر الطويل.

تَــرَدَّى ابنُ مَنظــورٍ وحُــمَّ حِمــاهُ
وأسْلَمَــــهُ حــــامٌ لــهُ ونَصيــــرُ

تَبَـــــرَّأ منـــه أوليــــاءُ غُــــرُورِهِ
[ولــمْ يَقِــهِ بَــأسَ][1] المَنُونِ ظَهِيــرُ

وَأودِعَ بَعْــدَ الأنْسِ مُوحِــشَ بَلْقَــعٍ
فَحَيَّــــاهُ فيــــهِ مُنْكَــــرٌ ونَكيــــرُ

ولاَ رِشْــوَةٌ يُدلى القبــولُ رَشادَهــا
فيُنْسَــخَ[2] بالسَّيْــرِ المُريــح عَسيــرُ

ولا شاهــدٌ يُغْــضى له عن شهــادةٍ
تَخَلَّلَهــــا إفْــــكٌ يُصــــاغُ وزُورُ

ولا خِدْعَــةٌ تُجْدي ولا مَكْــرٌ نافــعٌ
ولا غِــشٌ مَطْــوِيٌ عليــه ضَمَيــرُ

ولكنَّــه حَــــقٌ يَصــولُ وباطِــــلٌ
يَحــولُ ومَثْــوَى جَنَّــةٍ وسَعيــــرُ

---

[1] وردت هـذه العبـارة في ج متختلـة هكـذا: ((ولـم يفقـه بـأن)).
[2] في المخطوطيـن: ((فينسـج))؛ فصوبهـا عنـان.

وقالُوا قَضاء المَوْتِ حَتْمٌ على الوَرَى
يُديـــــرُ صَغيــرٌ كَأسَــــهُ وكَبيــرُ
فــلا تَنْتَسِــمْ ريــحَ ارْتِيــاحُ لِفَقْــدِهِ
فإنَّــك عن قَصْــدِ السَّبيــلِ تَحــورُ
فقلــتُ بَــلَى حُكْــمُ المَنِيَّــة شامِــلٌ
وكُــلٌّ إلــى ربِّ العِبــادِ يَصيــــرُ
ولكن تقــدم[1] الأعــادي إلى الــرَّدى
نشــاطٌ يعــودُ القلــب منه ســرورُ
وأمنٌ ينــام المــرءُ في بُــرْدِ ظِلِّــهِ
ولا حَيَّــــةٌ لِلْحِقْــــدِ ثَــمَّ تَثــــورُ
وحَسْــبِيَ بَيْــتٌ قالَه شاعِرٌ مَــضَى
غَــدَا مَثَــلاً فــي العالَميــنَ يَسيــرُ
وإنَّ بَقــــاءَ المَــرْءِ بَعْــدَ عَـــدُوِّهِ
ولَــوْ ساعَــةً مِــنْ عُمْــرِهِ لَكَثِيــرُ

---

[1] هكذا وردت في الملكية؛ بينما ترك في موضعها بياض في ك، أما في ج؛ فالكلمة غير واضحة.

مولـده

قال بعض شيوخنا: سألته عن مولده؛ فقال لي: في آخر خمسة وتسعين وستمائة[1]، أظن في ذي قعدة منه الشك.

وفاتـه

بمالقة في آخر جمادى الثانية؛ من عام ثلاثة وستين وسبعمائة[2].

***

[1] الموافق لـ 1295م
[2] الموافق لـ 1361م.

أحمد بن أيوب

اللّمائي[1] من أهل مالقة؛ يكنى أبا جعفر.

حالـه

قال صاحب **الذيل**[2]، كان أديباً ماهراً، وشاعراً جليلاً، وكاتباً نبيلاً[3]. كتب عن أول **الخلفاء الهاشميين بالأندلس**: **علي بن حمود**[4]، ثم عن غيره من أهل بيته؛ وتولى تدبير أمرهم؛ فحاز لذلك صيتاً شهيراً، وجلالة عظيمة. وذكره **ابن بسام** في **كتاب الذخيرة**[5]؛ فقال: كان

---

[1] يكتب أيضاً اللماي؛ نظراً لأسلوب المغاربة والأندلسيين الذين يميلون إلى تخفيف الهمزة؛ ويحولونها ياء. ولماية قبيلة أمازيغية بترية؛ سكنت بعض المناطق في الأندلس سميت باسمها. وبذلك أصبح الإقليم المتواجد في كورة رية يسمى لماية. كما يسمى بها أحد حصون مالقة. وترجمة أحمد بن أيوب اللمائي موجودة في جذوة المقتبس، والذخيرة، وبغية الملتمس، والمغرب، والذيل والتكملة، ورايات المبرزين، ومطمح الأنفس، ونفح الطيب.

[2] كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة؛ وصاحبه هو ابن عبد الملك المراكشي؛ سبقت الإشارة إليه.

[3] في الذيل والتكملة: ((**كان أديباً ماهراً وكاتباً جليلاً**)).

[4] هو الناصر لدين الله علي بن حمود بن ميمون بن أحمد؛ من الأدارسة الحسنيين؛ ولد سنة 354هـ/965م وتوفي سنة 408هـ/1018م. أول الخلفاء العلويين بقرطبة؛ ومؤسس دولة بني حمود بالأندلس. وكتب في الذيل والتكملة: ((الناصر لدين الله أبي الحسن علي بن حمود)).

[5] هو أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي؛ ينسب إلى شنترين في غربي الأندلس؛ المسماة الآن Santarem؛ توفي سنة 542هـ/1147م. أما كتابه فهو عبارة عن موسوعة أدبية؛ تضم تراجم ونصوص أدبية هامة، ويسمى: الذخيرة في محاسن الجزيرة.

أبو جعفر هذا ـ في[1] وقته ـ أحد أئمة الكتاب، وشهب الأدب[2]، ممن سخرت له فنون البيان، تسخير الجنّ **لسليمان[3]**، وتصرف في محاسن الكلام، تصرف الرياح بالغمام، طلع من ثناياه، واقتعد مطاياه، وله إنشاءات[4] سرية، في **الدولة الحمودية[5]**؛ إذ كان علم أدبائها، والمضطلع بأعبائها[6]، إلاّ أني لم أجد عند تحريري هذه النسخة، من كلامه، إلاّ بعض فصول[7] من منثور، وهي ثِمادٌ[8] من بحور.

[1] ((في)) سقطت في الذخيرة.
[2] في الذخيرة: ((وشهب الآداب)).
[3] سيدنا سليمان النبي.
[4] حرفت في ج؛ فكتبت: ((إنشات)).
[5] حرفت في المخطوطين، وفي ج، وفي ك، وفي ك؛ وفي الملكية فكتبت: ((المحمدية، والمحمودية، والمحمدية)). والمقصود هنا هي دولة بني حمود الإدريسية العلوية تأسست في الأندلس اعتباراً من سنة 403هـ/1012م، وحتى سنة 460هـ/1067م.
[6] في ك، وفي الملكية: ((بأعيانها))؛ وصوبت من الذخيرة.
[7] كتب في الذخيرة: ((فصول له)).
[8] الماء القليل.

فصــل

مـن رقعـة خاطـب بهـا **أبـا جعفـر بـن العبـاس**: ((غُصْـنُ ذِكـرك عنـدي ناضـرٌ، وروض شكـرك لـديّ عاطـرٌ، وريـح[1] إخـلاصـي لـك صبـاً، وزمـان[2] آمـالي فيـك صبـاً، فأنـا شـاربٌ شـاربٌ مـاء إخاثـك، مُتَفَـيِّـئٌ ظـل[3] وفائـك، جـان منـك ثمـرة فـرعٍ طـاب أكلـه، وأجنـاني البـر قديمـاً[4] أصلـه، وسقـاني إكرامـاً برقـه، ورواني أفضـالاً ودقـه، وأنـت الطـالـع فـي فجاجـه، السالـك لمنهاجـه، سهـمٌ في كنانـة الفضـل صائـبٌ، وكوكـبٌ فـي سمـاء المجـد ثاقـبٌ، إن أتبعـت الأعـداء نـوره أحـرق، وإن رميتهـم بـه أصـاب الحـدق، وعلـى الحقيقـة فلسـاني يقصـر عـن جميـل أنشـره[5]، ووصـف ودٍّ أضْمِـرُه)).

---

[1] في المخطوطيـن، وفي الملكيـة: ((وروح))؛ وصوبـت مـن الذخيـرة.
[2] في الذخيـرة: ((وزمـن)).
[3] نفسـه: ((ظـلال)).
[4] حرفـت في المخطوطيـن فكتبـت: ((قديـم)).
[5] في الذخيـرة: ((أسـره)).

شعـره

قال: ومما وُجد بخطِّه لنفسه[1]:

طلعت طلائــعُ[2] للرَّبيــع فأطْلَعَــتْ

في الرَّوضِ ورداً قبلَ[3] حن أوانِه

حَيَّــا أميــر المسلميــن[4] مُبَشِّــراً

ومُؤَمِّــلاً للنَّيْــل مــن إحْسانِــه

ضَنَّــتْ سَحائِبُــه عليــه بمائهـــا[5]

فأتـــاهُ يَسْتَسقيــه مـــاء بَنانِــه

دامَـــتْ لنـــا أيَّامُــــه مَوْصولَـــةً

بالعِــزِّ والتَّمْكيــنِ في سُلْطانــه

قال: وأنشدني الأديب **أبو بكر بن مَعْن**؛ قال: أنشدني **أبو الربيع بن العَريف** [الجدِّ][6] الكاتب **أبي جعفر جعفر اللَّمائي**؛ وامتحن بداء النَّسمة من أمراض الصَّدر،

---

[1] هذه الأبيات من بحر الكامل.

[2] في الذخيرة: ((طوالع)).

[3] أغفلت ((قبل)) في ك.

[4] في الذخيرة: ((أمير المؤمنين))؛ وهو أصح؛ لأن لقب أمير المسلمين استعمل لأول مرة في عهد الدولة المرابطية؛ وهو زمن متأخر عن زمن الدولة الحمودية.

[5] في المخطوطين والملكية، ونفح الطيب: ((بمائه))؛ فصوبت من الذخيرة.

[6] حرفت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فكتبت ((الحرة))؛ فصوبت من الذخيرة.

وأزْمَن به ـ نفعه الله ـ وأعياه علاجُه ؛ بعد أن لم يدع فيه غاية ؛ وفي ذلك يقول[1]:

لـــم يبـــقَ من شَيءٍ أعالِجُهـــا بـــهِ[2]
طَمَـــعُ الحَياةِ وأيْـــنَ مَنْ لا يَطْمَـــعُ
(وإذا المَنِيَّـــــةُ أنْشَبَـــــتْ أظْفارهـــا
ألْفَيْـــتَ كُـــلَّ تَمِيمَـــــةٍ لا تَنْفَـــــعُ)[3]

ودخل عليه بعض أصحابه فيها ؛ وجَعَلَ يُرَوِّح عليه ؛ فقال له بَديهَة[4]:

رَوَّحَـــني عائِـــدي فَقُلْـــتُ لَـــهُ[5]
لا تـــزِدْني عـــلى الـــذي أجِـــدُ
أمـــا تَـــرَى النَّـــار وهـــي خامِـــدَةٌ
عِنْـــدَ هُبـــــوبِ الرِّيـــــاحِ تَتَّقِـــــدُ

---

[1] هذان البيتان من بحر الكامل.
[2] ورد الشطر في الذخيرة هكذا: ((لم يبق شيء لم أعالجها به)).
[3] اقتبس اللمائي هذا البيت الأخير؛ وهو لأبي ذؤيب خويلد ابن خالد بن هذيل؛ وقد أشار إليه صاحب الذيل والتكملة.
[4] هذان البيتان من بحر المنسرح.
[5] ورد هذا البيت في الذخيرة والذيل والنفح هكذا:
((وروحني عائدي فقلت له مه لا تزدني على الذي أجد)). إذ سقطت في النص أعلاه كلمة ((**مَهْ**))؛ وهي اسم فعل مبني على السكون؛ وقد يقولون:مَهٍ؛ ومعناها: أكفف.

ودخل **غرناطة** غير ما مرة؛ منها متردِّداً بين أملاكه، وبين من بها من **ملوك صنهاجة**. قالوا ولم تفارقه تلك الشِّكاية؛ حتى كانت سبب وفاته.

وفاتــه

بمالقة؛ عام خمس وستين وأربعمائة[1]. ونقل منها إلى **حصن الورد**؛ وهو عند **حصن مُنْتِ مَيُور**[2]؛ إذ كان قد حَصَّنَه، واتخذه لنفسه ملجأ عند شدَّتِه؛ فَدُفِنَ به؛ بِعَهْدٍ مِنْه بذلك؛ وأمَرَ أن يُكْتب على قبره بهذه الأبيات[3]:

بَنَيْــتُ ولم[4] أسْكُن وحَصَّنْتُ جاهِــداً
فلمّـــا أتَى المَقْدور صَيَّـــرَهَ[5] قَبْــري

ولم يكن[6] حَظِّي غير ما أنْتَ مُبْصِــرٌ
بِعَيْنِــك ما بين الـــذِّراع إلى الشِّبْــر

---

[1] الموافق لـ 1072م.
[2] ومعناه الجبل الكبير Monte Mayor.
[3] هذه الأبيات من بحر الطويل.
[4] في الذيل: ((فلم)).
[5] نفسه: ((صيرته)).
[6] نفسه: ((يك))؛ وهو أسلم.

فيا زائِراً قَبْــري أُوصيِــكَ جاهِــداً

عَلَيْــكَ بِتَقْوَى الله في السِّرِّ والجَهْــرِ

فَــلاَ[1] تُحْسِنَــنَّ بالدَّهْــرِ ظَنَّــا فإنَّما

من الحَــزْمِ ألاَّ يُسْتَنام[2] إلى الدَّهــر

***

[1] في الذيـل: ((ولا)).

[2] نفسـه: ((يستسـام)).

أحمد بن محمد

ابن طلحة[1] من أهل جزيرة شقر؛ يكنى أبا جعفر؛
ويعرف بابن جده طلحة.

حالــه

قال صاحب **القِدْح المُعَلَّى**[2]: من بيت مشهور **بجزيرة شقر؛** من عمل **بلنسية.** كتب عن ولاة الأمر[3]؛ من **بني عبد المؤمن**، ثم استكتبه **ابن هود**[4]؛ حين تغلب على **الأندلس**؛ وربما استوزره[5]؛ وهو ممن كان والدي يكثر مجالسته؛ وبينهما مزاورة؛ ولم أستفد منه إلاّ ما كنت أحفظه من[6] مجالسته.

---

[1] توجد ترجمة أحمد بن محمد بن طلحة أيضاً في القدح المعلى، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، والمغرب، والذيل والتكملة، والوافي بالوفيات، ونفح الطيب.
[2] هو ابن سعيد؛ سبقت الإشارة إليه.
[3] سقطت في نفح الطيب والقدح المعلى كلمة: ((الأمر)).
[4] هو المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود؛ أمير سرقسطة. سبقت الإشارة إليه؛ كما خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.
[5] في نفح الطيب والقدح المعلى: ((استوزره في بعض الأحيان)).
[6] في نفح الطيب: ((في)).

شعــره

قال: سمعته يوماً[1] يقول، تقيمون القيامة **بحبيب[2]، والبحتري، والمتنبي**؛ وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتد إليه المتقدمون، ولا المتأخرون؛ [فانبرَى إليه[3] شخص؛ له همة[4] وإقدام؛ فقال: يا أبا جعفر: أين[5] برهان ذلك؛ فما أظنك تعني إلاّ نفسك؛ فقال[6] ما أعني إلاّ نفسي؛ ولم لا؛ وأنا الذي أقول][7]:

يا هــل تــرَى الظّــرْف[8] من يَومنـــا
قلّــد جيــدَ الأفْــق طَــوْقَ العَقيــق

[1] في القدح المعلى: ((سمعته مرة يقول)).
[2] هو حبيب بن أوس بن حارثة الطائي المعروف بأبي تمام؛ ولد في قرية من قرى سورية تسمى جاسم سنة 188هـ/804م وتوفي بالموصل سنة 231هـ/846م. من فحول الشعراء، وأحد أمراء البيان في عصره؛ من مؤلفاته: ديوان الحماسة، ومختار من أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل.
[3] في القدح المعلى: ((فانبرى له)). وفي نفح الطيب: ((فأهوى له)).
[4] في النفح، والقدح: ((قحة)).
[5] نفسهما: ((فأرنا)).
[6] في القدح المعلى: ((وما أظنك إلا تعني نفسك، قال)).
[7] ما ورد بين الحاصرتين هنا سقط في المخطوطين؛ بينما ذكر في الزيتونة، والملكية، وت. والأبيات التالية من بحر السريع. أما القدح المعلى فقد ورد فيه: ((أقول ما لم يهتد إليه متقدم ولا يهدي لمثله متأخر)).
[8] في القدح، والنفح: ((أظرف))؛ وهو أسلم.

وأنْطَـــقَ الـــوُرْقَ بِعيدانِهـــا
مُطْرِبَـــةً[1] كُـــلَّ قَضيـــبٍ وَريـــق
والشَّمـــسُ لاَ تَشْـــرَبُ خَمر النَّـــدَى
فـــي الـــرَّوْضِ إلاّ بِكَـــأس[2] الشَّقيـــق

فلم ينصفوه في الاستحسان، وردُّوه في الغَيْظِ[3] كما كما كان. فقلت له: يا سيدي؛ هذا والله[4] السحر الحلال، وما سمعت من شعراء عصرنا مثله؛ فبالله ألا ما لازمتني، وزدتني من هذا النَّمَط؛ فقال لي: لله دَرُّك، ودَرُّ أبيك؛ من مُنْصِف ابن مُنْصف. اسمع، واقتح أذنيك. ثم أنشد[5]:

أدِرْهـــا فالسَّمـــاءُ بَـــدَتْ عَروســـاً
مُضَمَّخَـــةَ المَلابِـــس بالغَـــوالِ

---

[1] في القدح: ((من فضة))، وفي النفح: ((مرقصة)).
[2] في القدح والنفح: ((بكؤوس))؛ وهو أسلم.
[3] في المخطوطين: ((الغيض))؛ وصوبت من ت. ورد في القدح المعلى: ((في الغيظ إلى أشد مما كان)).
[4] في النفح: ((هذا هو السحر...)).
[5] هذه الأبيات من بحر الوافر.

وخَـــــدُّ الأرْض[1] خَفَّـــــرَهُ[2] أصيِــلٌ

وجَفْـــنُ النَّهْــرِ[3] كُحِّـــــلْ بالظِّـــلالِ

وجيـــدُ الغُصْــنِ يُشْــرِقُ[4] فـــي لآلٍ

تُـــضِيءُ بهـــنَّ أكْنـــــافُ اللَّيَـــــالِ

فقلت: بالله أعد وزد[5]؛ فأعاد والارتياح قد ملأ[6] عطفه، عطفه، والتّيه قد رفع أنْفَه؛ ثم قال[7]:

للـــه نهــــرٌ عندمـــــا زُرْتـــــه

عايـــنَ طَـــرْفي منـــه سحـــراً حـــلالْ

إذا[8] أصبـــح الطَّـــــل بـــه ليلـــــة

وجال[9] فيه[10] الغُصن مثـــلَ[11] الخيـــالْ

---

[1] في القدح والمغرب والنفح: ((الروض)).

[2] في النفح: ((حَمَّره)).

[3] في ج: ((النهار)). وفي القدح: ((وحِقْوُ النَّهْر))؛ أي شاطئ النهر.

[4] في القدح والنفح: ((يشرف)).

[5] في المخطوطين: ((وأزد)).

[6] في نفح الطيب: ((ملك)).

[7] هذان البيتان من بحر السريع.

[8] في القدح والنفح: ((إذْ)).

[9] في ج، وت: ((وخال)). وفي المغرب: ((وحال)).

[10] في القدح: ((منها)).

[11] في القدح والمغرب والنفح: ((شبه)).

فقلت: ما على هذا مزيدٌ من الاستحسان[1]؛ فعسى أن يكون المزيد في الإنشاد؛ فزاد ارتياحه وأنشد[2]:

ولما ماج[3] بحرُ الليل بيني
وبينكم وقد جَدَّدْتُ ذكرا
أراد لِقاكُم[4] إنسانُ عَيْني
فَمَدَّ له المنام عليه جِسْرا

فقلت[5]: إيه؛ زادك الله إحساناً؛ فزاد[6]:

ولمّا أنْ رأى إنْسانُ عَيْني
بِصَحْنِ الخَدِّ منه غَريقَ ماء
أقامَ له العِذار عَليه جِسْراً
كما مَدَّ الظَلامُ[7] على الضِّياء

---

[1] في القدح: ((الإحسان)).
[2] هذان البيتان من بحر الوافر.
[3] في ت: ((فاح)).
[4] في القدح والمغرب والنفح: ((لقاءكم))؛ وهو أسلم.
[5] في القدح: ((فقلت له)).
[6] هذان البيتان من بحر الوافر.
[7] في ت: ((صبح)).

فقلت: فما تكرر[1] ويطول، فإنّه مَمْلول؛ إلاّ ما أوْرَدْتَه آنِفاً؛ فإنّه كَنَسيم الحَياة؛ وما أن يُمل؛ فبالله إلاّ ما زِدْتَني[2]؛ وتفضلت علي بالإعادة؛ فأعاد، وأنشد[3]:

هــاتِ الْمُــدام إذا رأيــتَ شَبيهها
فــي الأفْــقِ يا فَــرْداً بِغَيْــرِ شَبيــه

فالصُّبْــحُ قد ذَبَــحَ الظَّــلام بِنَصلِــه
فَغَــدَتْ حَمائِمُــهُ تُخاصِــم فيــه[4]

دخولـه غرناطـة

دخلها مع مخدومه **المتوكل على الله بن هود**؛ وفي جُملته؛ إذ كان يصحبه في حركاته، ويباشر معه الحرب؛ وجرت عليه الهزائم؛ وله في ذلك كله شعر.

---

[1] في القدح: ((يكرر)).

[2] ورد في القدح: ((إلا تفضلت بالإعادة والزيادة؛ فأعاد ثم قال: وهذا حسبك لئلا تكثر المعاني عليك؛ فلا تقوم بحق فهمها وإنصافها؛ ثم أنشد إذ ذاك)):

[3] هذان البيتان من بحر الكامل.

[4] ورد هذا العجز في القدح والنفح هكذا: ((فغدت تخاصمه الحمائم فيه)).

محنتــه

قالـوا: لـم يقنـع بمـا أجرى عليـه **أبـو العبـاس الينشـتي**[1] مـن الإحسـان؛ فكـان يوغـر صـدره مـن الكـلام فيـه، فذكـروا أن **الينشـتي** قـال يومـاً فـي مجلسـه: رميـت يومـاً بسهـمٍ مـن كـذا؛ فبلـغ إلـى كـذا. فقـال **ابـن طلحـة** لشخـص كـان إلـى جانبـه: واللـه لـو كـان قـوس قـزح؛ فشعـر **أبـو العبـاس** إلـى قولـه مـا يشبـه ذلـك، واستدعـى الشخـص، وعـزم عليـه، فأخبـره بقولـه، فأسرهـا فـي نفسـه، إلـى أن قـوى الحقـد عليـه، مـا بلغـه مـن عنـه مـن قولـه يهجـوه[2]:

سمعنـــــا بالمُوَفِّـــق فارْتَحَلْنـــــا
وشافِعُنـــــا لـــه حَسَـــــبٌ وعِلــم

ورُمْـــــتُ يـــداً أقَبِّلُهـــا وأخْـــــرى
أعيــــشُ بِفَضْلِهـــــا أبَــداً وأسْمــو

---

[1] أو الينـاشـتي؛ وهـو أبـو العبـاس أحمـد بـن أبـي عبـد اللـه بـن أبـي الفضـل مبـارك؛ المعـروف باسـم الينشـتي؛ نسبـة إلـى حصـن فـي الأندلـس يسـمى ينشتـة. تغلـب هـذا الأميـر عـلـى سبتـة وتلقـب بالواثـق باللـه.

[2] هـذه الأبيـات مـن بحـر الوافـر.

فأنْشَدَنا لِسانُ الحالِ عَنْه[1]
يَدٌ شَلاًّ وأمْرٌ لا يَتِمُّ

فزادتْ مَوْجِدَتُه[2] عليه، وراعَى أمره إلى أن بلغته أبياتٌ قالها في شهر رمضان؛ وهو على حال الاستهتار[3]:

يقول أخُو الفُضول وقد رآنا
على الإيمان بُلِّغنا الحَجُونُ[4]

أنَشْكو[5] شَهْرَ الصَّوْم هَلاًّ
حَماه مِنْكُمُ عَقْلٌ ودينُ

فقلتُ اصْحَبْ سِوانا فنَحْنُ[6] قَوْمٌ
زَنادِقَة مَذاهِبُنا فُنُونُ

نَدينُ بِكلِّ دِينٍ غَيْر دينِ الـ
ـرِّعاعِ فَما به أبداً نَدينُ

---

[1] في النفح: ((فيه)).
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((موجوه)). بينما كتب في نفح الطيب: ((فزاد في حنقه)). أما القدح المعلى فقد ورد فيه: ((فزاد ذلك في حنقه)).
[3] في المخطوطين: ((الإسهاد)). والأبيات التالية من بحر الوافر.
[4] في القدح والنفح: ((يغلبُنا المُجونُ)).
[5] في القدح، والنفح: ((أتنتهكون))؛ وهو أسلم.
[6] نفسهما: ((نحن))؛ وهو أسلم.

فَنَحْنُ على صُفُــوحِ[1] الدَّهْــرِ نَدْعُــو[2]
وَإبْلِيــسُ يقـــول لنـــا آميـــن[3]

أيـــا[4] شَهْـــرَ الصِّيـــامِ إليـــكَ عَنَّـــا
فَفيـــكَ أكفَــرُ مـــا نَكُـــونُ[5]

قال: فأرسل إليه من هجم عليه؛ وهو على[6] هذا[7] هذا[7] الحال؛ وأظهر إرضاء العامة بقتله؛ وذلك في سنة إحدى وثلاثين وستمائة[8]. ولا خفاء أنه من صدور **الأندلس**، وأشدهم عثوراً على المعاني الغريبة المخترعة، رحمه الله.

***

---

[1] في ك: ((الصفوح)). وما جاء في النص أعلاه أسلم.

[2] ورد هذا الشطر في القدح المعلى هكذا: ((فحي على الصبوح الدهر ندعو))؛ وفي النفح كذلك؛ إلا أن كلمة ((فحيّ)) كتب بدلا منها: ((بحيّ)).

[3] في القدح والنفح: ((أمين))؛ بدون مد؛ وهو أسلم.

[4] نفسهما: ((فيا)).

[5] نفسهما: ((إليك ففيك أكفر ما نكون)).

[6] في ج: ((في)).

[7] في القدح، والنفح: ((هذه)).

[8] الموافق لـ 1233م. وقد ورد في النسخ الثلاث: ((وسبعمائة))؛ غير أن هذا لا يصح؛ لأن ابن هود الذي خدم لديه الشاعر توفي سنة 635هـ أي بعد مقتل الشاعر. وقد اختلفت المصادر في تاريخ وفاته.

أحمد بن علي

ابن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري؛ من أهل ألمرية[1]؛ يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن خاتمة[2].

حالــه

هذا الرجل صدرٌ؛ يشار إليه، طالبٌ متفنٌ، مشاركٌ، قوي الإدراك، سديد النظر، قوي الذهن، موفور الأدوات، كثير الاجتهاد، معين الطبع، جيد القريحة، بارع الخط، ممتع المجالسة، حسن الخلق، جميل العشرة، حسنةٌ من حسنات **الأندلس**، وطبقةٌ في النظم والنثر، بعيد المرقى في درجة الاجتهاد، وأخذه بطرق الإحسان، عقد الشروط، وكتب عن الوُلاة ببلده، وقعد للإقراء ببلده، مشكور السيرة، حميد الطريقة، في ذلك كله.

---

[1] سبق التعريف بألمرية. وتعتبر هذه المدينة من أهم المراكز الحضارية بالأندلس الإسلامية؛ إذ كان سكانها ـ آنئذ ـ يقدر تعدادهم بحدود المائة والخمسين ألفاً. وقد سقطت هذه المدينة في قبضة النصارى سنة 895هـ/1489م.

[2] راجع ترجمة ابن خاتمة أيضاً في المصادر التالية: الكتيبة الكامنة، ونثير ونثير فرائد الزمان، ونيل الابتهاج، ونفح الطيب.

وجَرَى ذكره في **كتاب التاج**[1] بما نصه: ((ناظم درر الألفاظ، ومقلد جواهر الكلام، نحور الرواة[2]، ولبَّاب[3] الحفاظ والآداب[4]، التي أصبحت شوارِدُها، حلم النائم، وسَمَر الأيْقاظ، وكم[5] في بياض طِرْسِها، وسواد مَقْسها[6] سِحْرُ الألحاظ[7]، رفع[8] في قطره راية هذا الشأن على وفور وفور حلبته، وقرع فنه البيان على سمو هضبته، وفوق سهمه إلى بحر الإحسان، فأثبته في لبَّتِه، فإن أطال[9] شأن شأن الأبطال، وكاثر المنسجم الهطال، وإن أوجز، فضح وأعجز، فمن نسيب تهيج به الأشواق، وتضيق عن زفراتها الأطواق، ودعابةٍ تقلص ذيل الوقار، وتزري

---

[1] هو كتاب التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى؛ لابن الخطيب؛ وهو ملخص لتاريخ غرناطة. وسبقت الإشارة إليه.

[2] أي المصدر للرواة في الحذق والمهارة. وقد وقع تحريف في المخطوطين؛ إذ كتب: ((بحور الرواة)).

[3] في ك: ((لباب)).

[4] في الكتيبة الكامنة: ((ذو الآداب)).

[5] نفسه: ((وكمن)).

[6] نفسه: ((نِقْسها))؛ بالنون؛ لأن النِّقْس هو المداد الذي يكتب به. بينما المقس هو ما يغط في الماء.

[7] في ك: ((اللحظ)). وفي الكتيبة: ((اللحاظ)).

[8] من هنا؛ وحتى عبارة: ((السباق جيادها))؛ لم يرد في الكتيبة الكامنة.

[9] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((طال)).

بأكواس العقار، إلى انتماء للمعارف، وجنوح إلى ظلها[1] الوارف؛ ولم تزل معارفه ينفسح آمادها، وتحوز خصل السباق جيادها[2].

مشيختـه

حسبما نقل بخطه في ثَبَتٍ استدعاه منه من أخذ عنه؛ الشيخ الخطيب، الأستاذ مولى النعمة، على أهل طبقته **بألمرية**؛ **أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المُرِّي**؛ قرأ عليه ولازمه، وبه جل انتفاعه، والشيخ الخطيب الأستاذ الصالح **أبو إسحاق إبراهيم بن العاص التنوخي**. وروى عن الرواية المحدث المكثر الرحال؛ **محمد ابن جابر بن محمد بن حسان الوادي آشي**، وعن شيخنا **أبي البركات بن الحاج**؛ سمع عليه الكثير، وأجازه [إجازة][3] عامة، والشيخ الخطيب **أبو القاسم عبد الرحمن الرحمن ابن محمد بن شعيب القيسي** من أهل بلده، والقاضي **أبو جعفر القرشي بن فركون**. وأخذ عن الوزير

---

[1] في الملكية: ((ظل)).

[2] هنا تنتهي الفقرة المشار إليها؛ الساقطة في الكتيبة الكامنة.

[3] هذه الكلمة سقطت في المخطوطين وفي الملكية؛ وأضافها عنان.

الحاج الزاهد؛ **أبي القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك**. وقرأ على المقري **أبي جعفر الأغر**[1]، وغيرهم.

كتابتـه

مما خاطبني به بعد إلمام الرَّكب[2] السلطاني ببلده؛ وأنا صحبته[3]، ولقائه إياي؛ بما يلقى به مثله من تأنيس، وبرّ، وتودُّد، وتردد[4]:

يا مَنْ حَصَلْـتَ على الكَمالِ بِما رَأَتْ
عَيْنـايَ[5] مِنْـه مِنَ الجَمـالِ الرَّائِـعِ
مَـرْأى[6] يَروقُ وفي عِطـافَيْ بُـرْدِه
ما شِئْـت من كـرمٍ ومجـدٍ بـارعِ
أشْكـو إليـك من الزَّمـان تَحامُـلاً
في فَضِّ شَمْـلٍ لي بقربـك جامِـع

[1] في ج: ((الأغـن)).
[2] في ك والنفح وديـوان ابـن خاتمـة: ((الركـاب)).
[3] في الديـوان: ((في صحبتـه)).
[4] هذه الأبيـات مـن بحـر الكامـل.
[5] في ج: ((عينـان)).
[6] في نفح الطيـب، والديـوان: ((قمـر)).

هَجَـــمَ البُعـــادُ عليـــه ضَنَـــاً باللِّقَـــا
حـــتى تَقَلَّـــصَ مثـــل بـــرق لامـــع
فلـــو أنَّـــني ذو مذهـــب لشفاعـــة
نادَيتُـــهُ يا مالِـــكي [كُـــنْ شافِـــعي][1]

شَكْواي إلى سيدي ومُعَظَّمي، أقَرَّ الله تعالى بسنائه أعْيُنَ المجد، وأدَرَّ بثنائه ألْسُنَ الحمد؛ شكوَى الظمآن[2] صُدَّ عن القراح العذب[3]، لأول وروده، والهيمان رُدَّ عن استرواح القرب لمعضل صدوده، من زمانٍ هجم عليّ بُعاده[4]، على حين النفادة[5]، ودهمني بفراقه غَبَّ إنارة أفقي به وإشراقه، ثم لم يكفه ما اجْتَرم في ترويع خياله الزاهر[6]، حتى حرم عن تشييع كماله الباهر، فقطع عن توفية حقه، ومنع من تأدية مستحقه، لا جرم أنه أنف لشارع[7] ذكائه من هذه المطالع النافية[8] [عن شريف

[1] في نفح الطيب، والديوان: ((يا شافعي)).
[2] في النفح، والديوان: ((ظمآن)).
[3] في المخطوطين: ((الضر، العز))؛ وصوب ذلك من نفح الطيب.
[4] في النفح: ((بإبعاده)).
[5] في ك: النعاق))، وفي النفح: ((إسعاده)).
[6] في المخطوطين والملكية: ((الزاير))؛ وصوبت من النفح.
[7] في النفح: ((**لشعاع ذُكائه**)). لأن الذكاء بضم الذال هي الشمس.
[8] نفسه: ((النائية)).

الإنارة، وبخل بالإمتاع بذكائه عن هذه المسامع النائية][1]، عن لطيف العبارة، فراجع أنظاره، واسترجع مُعارَه[2]، وإلا وإلا فعهدي بغروب الشمس إلى طلوع[3]، وأن البدر ينصرف[4] بين الاستقامة والرجوع. فما بال هذا النير الأسعد، غرب ثم لم يطلع من الغد، ما ذاك إلا لعدوى[5] الأيام وعدوانها، وشأنها في تغطية إساءتها وجه إحسانها، وكما قيل **عادت[6] هيفٌ إلى أديانها[7]**؛ أستغفر الله أن لا يعد ذلك من المغتفر في جانب ما أوليت[8] من الأُثَر[9]، التي أزرى العيان فيها بالأثر،

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين والملكية؛ وأضيف من النفح.
[2] في المخطوطين: ((عماره))؛ وصوب من النفح.
[3] في النفح: ((الطلوع)).
[4] نفسه: ((يتصرف)).
[5] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.
[6] في المخطوطين: ((عاد)).
[7] سقطت كلمة ((إلى)) في المخطوطين. أما المثل فيقول: ((**ذَهَبَتْ هَيْف لأدْيانِها**)). والهيف هي الرّيح الحارة التي تهب ـ في الصيف ـ من جنوب شبه الجزيرة العربية؛ هي المعروفة أيضاً باسم السموم. أما كلمة (لأديانها)؛ فالمقصود بها عاداتها. وهذا المثل يضرب عندما يتفرق الناس؛ كل واحد لشأنه؛ ويتمسك كل إنسان بعادته التي اعتاد عليها.
[8] **في النفح: ((أولت)).**
[9] **الأُثَر: مفردها أثرة؛ وهي المكرمة المتوارثة.**

وأربى الخُبْر على الخَبَر[1]، فقد سرت متشوفات الخواطر، وأقرت متشرفات[2] النواظر[3]، بما جلت[4] من ذلكم الكمال الكمال الباهر، والجمال الناضر، الذي قيد خطى الأبصار، عن التشوف والاستبصار، وأخذ بأزمة القلوب، عن سبيل كل مأمول ومرغوب، وأني للعين بالتحول عن كمال الزين، أو للطرف[5] بالتحول[6] عن خلال الظرف، أو أو للمسع [من][7] مراد، بعد ذلك[8] الإصرار والإيراد، أو للقلب من مراد، غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم في حلل وأبراد، وهل هو إلاّ الحسن جمع في نظام، والبدر طالع التمام، وأنوار الفضائل[9] ضمها جنس جنس اتفاقٍ والتآم، فما ترعى العين منه في غير مرعى خصيب، ولا تستهدف الآذان[10] لغير سهمٍ في حدق

---

[1] أربى الخُبْر على الخَبَر: معناه زادت الخبرة على الخبر.
[2] في النفح: ((مستشرفات)).
[3] حرفت في ك؛ فكتبت: ((القواطر)).
[4] في النفح: ((حوت)).
[5] في المخطوطين والملكية: ((لطرفه))؛ وفي النفح: ((أو الطرف)).
[6] في النفح: ((بالتنقل)).
[7] ((من)) أضيفت من النفح؛ لأنها سقطت في المخطوطين.
[8] في النفح: ((ذلكم الإصدار الأدبي والإيراد)).
[9] نفسه: ((الفضل)).
[10] في ك: ((الأذهان)). وفي النفح: ((الأذن بغير سهم)).

البلاغـة مصيـب، ولا تطلـع[1] النفس سوى مطلعٍ لـه في في الحسن والإحسان أوفر نصيب. لقد أزرى بناظم حلاه فيما تعاطاه[2] التقصير. وانفسح من أعلاه بكل باعٍ [قصير، [قصير، وسفه حلم القائل: إن الإنسان عالمٌ صغير، شكراً للدهر على يد أسداها بقلب مزاره، وتحفة][3] ثناء أهداها بمطلع أنواره على تغاليه في ادخار[4] نفائسه، وبخله بنفائس[5] ادخاره، ولا غرو[6] أن يضيق عنا نطاق الذكر، ولما يتسع لنا سوار الشكر، فقد عمت هذه الأقطار بما شاءت من تحفٍ، بين تحف وكرامة، واجتنت أهلها ثمرة الرحلة[7] في ظل الإقامة، [وجرى الأمر في ذلك مجرى الكرامة][8]. ألا وإن مفاتحتي لسيدي ومعظمي، حرس الله تعالى مجده، وضاعف سعده، مفاتحة من ظفر

---

[1] **في النفـح**: ((ولا تستطلـع)).

[2] **في النفـح**: ((يتعاطاه)).

[3] ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين؛ وأضيف من النفح. غير أن كلمة((ثناء))الموالية ساقطة في النفح.

[4] في النفح: ((ادخاره)).

[5] في ج: ((بنعايم)).

[6] في النفح: ((لا غرو)).

[7] في ك: ((الوحدة)).

[8] سقطت هذه العبارة في المخطوطين؛ وأضيفت من النفح.

من الدهر بمطلوبه، وجرى له القدر على وفق مرغوبه، فشرع له إلى أمله[1] باباً، ورفع له من خجله جلباباً، فهو يكلف بالاقتحام، ويأنف من الإحجام، غير أن الحصر عن درج قصده يقيده، فهو يقدم[2] والبصر يبهرج[3] نقده فيقعده، فهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ويجدد عزماً[4] ثم ثم لا يتحرى، فإن أبطأ خطابي فلواضحٌ[5] الاعتذار[6]، ومثلكم لا يقبل حياة الأعذار، والله عز وجل يصل إليكم عوايد الإسعاد والإسعاف، ويحفظ لكم[7] ما للمجد من جوانب وأكناف، إن شاء الله تعالى. كتب[8] في العاشر العاشر من ربيع الأول من عام ثمانية وأربعين وسبعمائة[9].

---

[1] في النفح: ((أهله)).
[2] نفسه: ((**يقيّده؛ والبصر يُبَهْرِج نقده فيقعده؛ فهو يُقدّمُ رجلاً...**)).
[3] في المخطوطين: ((يهرج))؛ وصوبت من النفح.
[4] في ك: ((جزماً)).
[5] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((لوضح، فلو صح)).
[6] في النفح: ((الأعذار؛ مثلكم من قبل جليات الأقدار؛ والله سبحانه يصل لكم عوائلا...)).
[7] في النفح: ((بكم)).
[8] في النفح: ((وكتب في عاشر ربيع...)).
[9] 1347 م.

دخولـه غرناطـة

دخل **غرناطة** غير ما مرة؛ منها في استدعاء شمال الخواصّ من أهل الأقطار **الأندلسية**؛ عند إعذار الأمراء في الدولة **اليوسفية**[1]؛ في شهر شعبان؛ من عام إحدى وخمسين وسبعمائة[2].

شعـره

كان مَجْلياً[3]؛ وأنشد في حلبة الشعراء قصيدةً أولها[4]:

أجِنــانُ خُلْــدٍ زُخْرِفَــتْ أم مَصْنَــعُ

والعيــدُ عــاوَدَ أم صَنيــعٌ يُصْنَــعُ

ومن شعره[5]:

مــن لــم يُشاهــد مَوْقفــاً لفِــراقِ

لــم يــدْرِ كيــف تَوَلُّــه العُشّــاقِ

---

[1] يقصد دولة أبي الحجاج يوسف سلطان بني الأحمر في غرناطة خلال الفترة الزمنية من 733هـ/1333م إلى سنة 755هـ/1354م. وردت ترجمته في الإحاطة.

[2] الموافق لـ 1350م

[3] سقطت كلمة ((كان)) من ك؛ بينما كتبت العبارة في ج هكذا: ((مجليا كان)).

[4] هذا البيت من بحر الكامل.

[5] هذه القصيدة من بحر الكامل.

إنْ كنـــت لم تَــرَهُ فسائـــل من رأى

يُخْبِـــرْك عن ولَهي وهَـــوْل سيـــاقِ[1]

من حَــرِّ أنفـــاسٍ وخَفْـَق جَوانـــح

وصُـــدوع أكْبـــادٍ وفَيْــضِ مَـــآقِ[2]

دُهِـــيَ الفـــؤاد فـــلا لســـانٌ ناطـــقٌ

عنـــد الـــوداع طايـــع[3] مُتـــــراقِ

ولقـــد أشيـــرُ لمـــن تَكَلَّـــف رِحْلَـــةً

أن عُـــجْ علي ولـــو بِقَـــدْر فُـــواقِ[4]

عَـــلِّي أراجـــعُ من ذماي حَشاشَـــةً

أشْكـــو بهـــا بعـــض الـــذي أنا لاقِ

فَمَـــضَى ولم تَعْطِفه نحـــوي ذِمَّـــةٌ

هيهـــات لا بُقْيـــا[5] عـــلى مُشْتـــــاقِ

---

[1] في المخطوطين: ((وهو سياق))، وفي ت: ((وعن أشواقي)). وفي الكتيبة الكامنة وديوان ابن خاتمة: ((سياقي)).

[2] في الديوان: ((مآقي)).

[3] في ك: ((لا يح))؛ وفي الكتيبة الكامنة: ((ولا يَدٌ)). وهو أسلم.

[4] أي بقدر الوقت؛ ما بين الحلبة والحلبة؛ فإذا كانت الحلبة الأولى صباحاً فالحلبة الثانية مساء. وثمة من يرى أن الفواق: هو القدر من الوقت ما بين قبض الضرع باليد للحلب، وفتح اليد أثناء تلك العملية.

[5] في الكتيبة الكامنة، والديوان: ((لا يثني)).

يا صاحِبِيَّ وقد مَــضَى حُكْمِ النَّــوَى[1]

روحــا عــليَّ بمشيمـــة[2] العُشَّــاقِ[3]

واستَقْبِــلا بي[4] نَسْمَــةً عــن[5] أرضكم[6]

فَلَعَـــــلَّ نَفْحَتهــا[7] تحــل وثــــاق[8]

إنّــي ليشْفيــني النَّسيــم إذا سَــرَى

مُتَضَوِّعـــــاً مــن تِلكُـــمُ الآفــاقِ

من مُبلــغٌ[9] بالجــزع أهــل مــودتي

أنــي عــلى حُكــم الصَّبابـــة بــاقِ

ولئــن تحــوَّل عَهــد قُربهم[10] نَــوًى

ما حُلْــتُ عن عَهــدي ولا ميثــاقِ[11]

---

[1] في الكتيبة، والديوان: ((الهوى)).
[2] نفسه: ((بشيمة))؛ وهو أسلم.
[3] نفسه: ((الإشفاق)).
[4] نفسه: ((واستقبلاها)).
[5] نفسه: ((من)).
[6] في ك: ((أرضهم)).
[7] في ج: ((نفحاتها)).
[8] في الديوان: ((وثاقي)).
[9] في المخطوطين: ((يبلغ)).
[10] في ديوان ابن خاتمة: ((حبهم)).
[11] نفسه: ((وعن ميثاقي)).

أنِفَـــتْ خَلايــقي الكـــرام لخُلَّـــــتي

نَسَبَـــاً إلـــى الإخـــلاق والإخـــراقِ[1]

قسمـــاً بـــه ما استغرقَتْـــني فكـــرةٌ

إلاّ وفكـــــري فيـــــه واستغـــــراقِ[2]

لـــي آهـــة[3] عنـــد العـــشيّ لعلّـــــه

يُصْـــغي لهـــا وكـــذا مع الإشـــراقِ

أبكي إذا هـــبَّ النَّسيـــمُ فـــإنْ تَجِـــد

بَلَـــلاً بـــه فَبِدَمْـــــعِيَ المُهْـــــراقِ

أوما ما تكتـــب إليـــه مـــعَ الصبّـــا[4]

فالذكـــر كُتـــبي والرِّفـــــاقُ رفـــاقِ[5]

---

[1] جـاء هـذا الشطـر في الكتيبـة الكامنـة وديـوان ابـن خاتمـة هكـذا: ((نسبـاً إلى الإخـلال والإخـلاق)).

[2] في الديـوان: ((استغـراقي)).

[3] في الكتيبـة والديـوان: ((لي أنَّـة))

[4] هكـذا في النسـخ الأربـع. بينمـا كتـب الشطـر في الكتيبـة الكامنـة وديـوان ابـن ابـن خاتمـة هكـذا: ((أومي بتسليـم إليـه مـع الصبـا))؛ وهـذا أسلـم.

[5] في الديـوان: ((رفـاقي)).

من لي وقد شحــط المــزار بنـــازح[1]

أدنـــى لقلـــبي من جَــوَى أشـــواقِ[2]

إن غابَ عنْ عَيْني فمَثْــواه الحَشـــا

فســـراه[3] بيـــن القلـــــب والأحـــداقِ

جـــارت عليَّ يـــدُ النَّـــوَى بفراقــه

آهـــاً لمـــا جَنَـــتِ النَّـــوَى بفـــراقِ

أحباب قلـــبي هل لمـــاضي عَيْشنـــا

ردٌّ فَيُنْســـــخ بُعدكـــــم بتـــــلاق[4]

أم هـــل لأثـــواب التَّجَلُّـــد راقــــعٌ

إذ ليـــس مـــن داء المَحَبَّـــــة راقِ

ما غابَ كوكبُ حُسْنِكُم عن ناظـــري

إلا وأمْطَـــــرَتِ الدِّمـــــا آمـــــاقِ[5]

---

[1] كتب هذا الشطر في النسخ الثلاث هكذا: ((من لي شحط المزار بنازح أني)). أما في الكتيبة والديوان؛ فكتب: ((من لي على شحط المزار بنازح)).

[2] في الديوان: ((أشواقي)).

[3] في الكتيبة والديوان: ((وسراه)).

[4] في الديوان: ((عيشكم بتلاقي)).

[5] نفسه: ((آمقي)).

إيـــهٍ أُخَـــيَّ أدِرْ عَــلَـيَّ حَديثَهُـــــم

كأســـاً ذَكَــتْ عَرْفاً وطيـــبَ مَــذاقِ

وإذا جَنَحْــتَ لمـــاءٍ أو طربٍ فمـــن

دَمْــعي الهمـــوع[1] وقَلْــبيَ الخَفــاقِ

ذكراهُ راحِي والصَّبابَـــة خُضْـــرتي[2]

والدَّمْــعُ ساقيـــني وأنْـــتَ السَّـــاقِ[3]

فَلَيْلُـــه[4] عَــنِّي مـــن لحـــاني إنَّـــني

راضٍ بمـــــا لاقيتُـــــه وألاقِ[5]

وقــال[6]:

وقفـــتُ والرَّكـــب[7] قد زُمَّت ركائبـــه

وللنُّفـــوس مـــع النَّـــوَى[8] تَقْطيـــعُ

---

[1] أي دمعي السائل مدرارا. والهموع: هو سيلان الدمع.

[2] في الكتيبة والديوان: ((حضرتي)).

[3] ورد هذا الشطر في الكتيبة والديوان هكذا: ((والدمع ساقيتي وأنت الساقي)).

[4] في الكتيبة والديوان: ((**فَلْيَسْل**)).

[5] نفسهما: ((وألاقي)).

[6] هذه القصيدة من بحر البسيط.

[7] في ك، والكتيبة، والديوان: ((والبين)).

[8] في ج: ((مع الأيام))، وفي الكتيبة والديوان: ((مع الأنفاس)).

وقد تمايـــل نَحـــوي للـــوداع وهـــلْ

للرّاحلِ[1] القَلْب صَدْر الرَّكب توديـــع

أضـُـــمُّ منه كما أهْـــدَى[2] لغير نـــوى

ريْحانـــةً في شَذاها الطِّيبُ مَجْمـــوعُ

يهفـــو فأذعـــر خوفـــاً من تقلُّصِهـــا[3]

إن الشَّفيـــق بسوء الظـــنِّ مَوْلـــوعُ

هل عند من قد دَعَى بالبَيْـــن مُقْلَتُـــه[4]

إن الـــرَّدى منه مـــرْئِيٌّ ومسمـــوعُ

أشَيِّـــعُ القلب عن[5] رغْـــمٍ عَليَّ ومـــا

بقـــاء جســـم لـــه للقلـــب تَشْييـــعُ

أُرِي وُشـــاتي أنّـــي لســـتُ مُفْتَقِـــراً[6]

لما جـــرَى وصميم القلـــب مصروعُ

[1] في الكتيبة، والديوان: ((لراحل)).

[2] في الديوان، والكتيبة: ((أهوى)).

[3] في ج: ((نقضها))؛ بينما كتب الشطر في الملكية هكذا:
((يهفو فؤاداً عن خوفها من نقضها)). أما في الكتيبة والديوان؛ فكتب الشطر هكذا: ((**تهفو فأُذْعَر خوفاً من تقلصها**)).

[4] في الكتيبة والديوان: ((مغلبة)).

[5] نفسهما: ((من)).

[6] في المخطوطين: ((**مفترقاً**)). وفي الكتيبة والديوان: ((مكترثا)).

الوجْــدُ طبــعٌ[1] وسُلْواني مُصانَعَــة
هَيْهــاتَ يَشْكُــلُ مَصْنوع ومَطْبُــوعُ[2]
(إن الجديــد إذا ما زيــدَ في خَلَــقٍ
تَبَيَّــنَّ النَّاس أنَّ الثَّــوْبَ مَرْقــوعُ)[3]

وقال أيضاً[4]:

لولا حيائي من عُيــونِ[5] النَّرْجَــسِ
لَلَثَمْــتُ خَــدَّ الــوُرْدِ بينَ السُّنْــدُسِ
ورَشَفْتُ من ثَغْــرِ الأقاحَــةِ ريقَهــا
وضَمَمْتُ أعْطافَ الغُصونِ المُيَّــسِ
وهَتَكْــتُ أستــار الوَقــارِ ولمْ أُبَــل[6]
للباقــلاء[7] تلحــظ بطــرفٍ أشْــوسِ

---

[1] في الكتيبة والديوان: ((طبعي)).
[2] نفسهما: مطبوع ومصنوع)).
[3] هذا البيت مقتبس؛ إذ صاحبه هو إبراهيم بن إسماعيل النسوي: وجاء البيت الذي يسبقه هكذا: لو أن موتى تميم كلهم نشروا * وأثبتوك لقيل الأمر مصنوع
[4] هذه القصيدة من بحر الكامل.
[5] في المخطوطين: ((العيون))؛ وصوبت من ت.
[6] يقصد: ((لم أبالي)).
[7] في الديوان: ((للباقلا))؛ وهو أسلم.

مـــالي وصهبـــاءُ الدِّنـــانِ مُطارحـــاً

سَجْعَ القِيـــانِ مُكاشِفـــاً وَجْه الْمُـــسِ

شَتَّـــــان بيــن مُظاهِـــــرٍ ومُخاتِـــل

ثَـــوْب[1] الحِجـــا ومُطَهِّــرٍ ومُدَنِّـــسِ

ومُجَمجـــــمٍ بالعـــذل باكـــرني بـــه

والطَّيْـــــر أفصَـــحُ مسعـــد بتأنُّـــسِ

نزَّهْـــتُ سَمعي عن سَفاهـــة نُطْقـــه

وأعَرتُـــه صَوتـــاً رَخيـــم[2] الملمـــس

سَفَّهْـــتُ في العشّـــاق يوماً إن أكـــن

ذاك الذي يُدْعَى[3] الفَصيح الأخـــرس[4]

أعذول وجْدي ليس عُشَّك فـــادرجي[5]

ونَصيحَ رُشْدي بان نُصْحك فاجلـــسِ

---

[1] في ج: ((بثـوب))، وفي ك: ((مثـوب))، وفي ت: ((تثـوب)).

[2] في المخطوطيـن: ((رحيمـاً))، وفي ت: ((رخيـم)).

[3] نفسـه: ((يـدع)).

[4] جـاء هـذا الشطـر في الديوان هكذا: ((ذاك الـذي يـدع الفصيـح لأخـرس)).

[5] أخـذا هـذا التعبيـر مـن المثـل القائـل:
((ليـس هـذا بعشـك فـادرجي))؛ أي فاذهـبي وامـضي. ودرج: معنـاه: مـشى ومضى. ويضرب هذا المثل لمن لا يعرف قدره، ويضع نفسه في غير مرتبته.

هل تبصر الأشجار والأطيــار والــ

ــأزهــار [تلك][1] الخافضاتِ الأرؤُسِ

تاللـــه وهـــو [إليَّــتي وكَــفَى بـــه][2]

قسمـــاً يُفَـــــدَّى بـــرُّه بالأَنْفُـــــسِ

مـــا ذاك مـــن شكـــوٍ ولا لخَلالَـــةٍ[3]

لكـــن سجـــود مُسَبِّـــــحٍ ومُقَـــــدِّسِ

شكـــراً لمن بَـــرَأَ الوجـــود بجُـــوده

فثـــنى إليـــه الكـــلُّ وجـــه المُفْلِـسِ

[وسَمَـــا بِســـاط الأرض فَمَـــــدّه][4]

ودحا بسيـــط[5] الأرض أوثر مجـــلسِ

---

[1] هذه الكلمة وردت في الديوان؛ بينما سقطت في النسخ الأربع.

[2] في ت: ((الذي كفى به)). ومعنى الألية هنا: هو اليمين.

[3] في ت: ((ولا نجادة)). وفي الديوان: ((**من سُكْر ولا لخلاعة**)).

[4] في الديوان: ((رفع السماء سقفاً يروق رواءه)). وهو أسلم.

[5] في ج: ((ببسيط)).وهنا إحالة إلى قوله تعالى: ﴿ **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** ﴾. سورة النازعات؛ الآية: 30.

ووشَـــى بأنـــواع المَحاســـن هـــذه

وأنـــار هـــذي بالجـــوارِ[1] الكُنَّـــــسِ[2]

وأدَرَّ أخـــلاف[3] العطـــــاء تَطَـــــوُّلاً

وأنال فَضْلاً من يُطِيعُ ومَنْ يُـــسِي

حـــتى إذا انْتظـــمَ الوجـــودُ بنِسْبَـــةٍ

وكســـاه ثَـــوْبَى نـــورهِ والحِنْـــدِسِ[4]

واسْتَكْمَلَـــتْ كُـــلُّ النفُـــوسِ كمالهـــا

شَفَـــع العَطايـــا بالعَطـــاءِ الأنْفَـــسِ

بأجَـــلِّ هـــادٍ لِلْخَلائِـــــقِ مُرْشِـــــدٍ

وأتَـــمِّ نـــورٍ لِلْخَلائِـــــقِ مُقْبِـــــسِ

بالمُصْطَـــفَى المُهْـــدَى إلينا رَحْمَـــةً

مرْمَى الرَّجـــا[5] ومِسْكَـــة[6] المُتَيَئِـــسِ

---

[1] في المخطوطين: ((بجوار)). وفي الديوان: ((بالجواري)).

[2] وهنا إحالة إلى قوله تعالى: ﴿ **فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * وَالْجَوَارِ الْكُنَّسِ**﴾. سورة التكوير، الآية: 16.

[3] الأخلاف، مفردها: خلف، أي ضرع الشاة أو حلمة ضرع الناقة.

[4] الحندس هي الظلمة.

[5] في الديوان: ((الرجاء))، وهذا أسلم.

[6] في المخطوطين: ((مسكة))، وصوبت من ت. وفي الديوان: ((مرمى الرجاء ومسكة المتيئس))، وهو أسلم.

نِعَمٌ يَضيقُ[1] الوَصْفُ عن إحْصائِهـــا
فلَّ الخَطيـــبُ بها لِســـانَ الأوْجَـــسِ[2]

إيـــهٍ فَحَدِّثْـــــني حَديـــثَ هَواهُــــم
ما أبعد السُّلوان عن قَلْــبِ الأسِـــي[3]

إن كنتُ قد أحْسَنْـــتُ نَعْتَ جَمالِهِـــمْ
[فلقـــدْ سها عني العذول بهم وسِـــي][4]

مـــا إنْ دَعَـــــوْكَ بِبُلْبُـــــلٍ إلاّ لِمَـــا
قدْ هِجْـــتَ من بَلْبَـــالِ هَذِي الأنْفُـــسِ

سُبْحان من صَـــدَعَ الجَميـــعُ بِحَمْـــدِهِ
وبِشُكْـــرِهِ مـــن ناطـــقٍ أوْ أخْـــرَسِ

وامْتَـــــدَّتِ الأطْـــلالُ ساجِـــدَةً لـــهُ
بجبالهـــا مـــن قائِـــــمٍ أو أقْعَـــــسِ

---

[1] **في المخطوطين**: ((نعماً ضاق))؛ فصوبت من ت.

[2] أي الدّهر.

[3] أي الحزين.

[4] ورد هذا الشطر في المخطوطين والملكية هكذا: ((فلقد سما عندي العذول بهم وسي)).
وفي الديوان: ((فلقد سها عني العذول وقد نسي)).

فـــإذا تَراجَعَــتِ الطُّيــورُ وزايَلَــتْ

أغْصانها بان المُطيــعُ من المُــسيِ[1]

فيقــولُ ذا سَكَــرَتْ لِنَغْمَــةِ مُنْشِــد

ويقــولُ ذا سَجَــدَتْ لِذِكْــرِ مُقَــدِّسِ

كــلٌ يفــوهُ بقَوْلـــــه[2] والحَــــقُّ لاَ

يَخْــفَى على نَظَرِ اللَّبِيــبِ الأكْيَــسِ

وقــال[3]:

زارتْ عــلى حَــذَرٍ مِــنَ الرُّقَبَــاءِ

واللَّيْــلُ مُلْتَحِــــفٌ[4] بِفَضْــلِ رِداءِ

تَصِــلُ الدُّجــا بِسَــوادِ فرعٍ فاحِــمِ

لِتَزيــدَ[5] ظَلْمــــاءً إلــى ظَلْمــــاءِ

[1] ورد هـذا البيـت في ج، والملكيـة هكـذا:
((فإذا تراجعت الطيور أغصانها (أغضها) * فتمايلت بان المطيع من المسي)).
وفي الديـوان هكـذا:
((فإذا تراجعت الطيور وزايلـت * أغصنها بـانَ المطيع من المـُسـِي)).

[2] في ك، وفي الديـوان: ((بذوقـه))، وفي ج: ((بدونـه)).

[3] هـذه القصيـدة مـن بحـر الكامـل.

[4] في الديـوان والكتيبـة: ((ملتـفّ)).

[5] حرفـت في المخطوطيـن؛ فكتبـت: ((لتدبيـر))؛ وصوبـت مـن ت، والملكيـة.

وَشَـــى[1] بهـــا من وجْهِهـــا وَحُلِيِّهـــا

بَـــدْرُ الدُّجـــا وكَواكِـــبُ الجَـــوْزاءِ

أهْلاً بِزائِـــرَةٍ على خَطَـــرِ السُّـــرَى

ما كنـــتُ أرْجوهـــا ليـــومِ لقـــاءِ

أقْسَمْـــتَ لَـــوْلاَ عِفَّـــة عُذْرِيَّـــةٌ

[وتُـــقًى عَـــلَيَّ لَـــه رَقيـــبٍ راءِ][2]

لَنَقَعْـــتُ غُلَّـــةَ لَوْعَـــتي بِرُضابِهـــا

ونَضَحْـــتُ وَرْدَ خُدودِهـــا بِبُكـــائِي

ومـن ذلـك مـا قالـه أيضـاً[3]:

أرسلـــتْ ليـــلَ شَعْرِها من عَقْـــص

عـــن مُحَيَّـــا رمى البُـــدور بِنَقْـــصِ

فأرَتْنـــا الصَّبـــاح فـــي جُنْـــحِ لَيْـــلٍ

يَتَهـــادَى ما بين غُصْـــنٍ ودِعْـــصِ[4]

---

[1] في الديـوان: ((فـوشى))؛ وهـو أسلـم.

[2] في النسـخ الثـلاث: ((وتلـقى لـه علـى رقيـب راقي)). بينمـا كتـب فـي نـص آخـر: ((وتخـوفي وشي الرقيـب الـراء)).

[3] هـذه الأبيـات مـن بحـر الخفيـف.

[4] الدِّعـص: كثيـب رمـل مستديـر.

وتَصَـــــدَّتْ برامِحـــــاتِ نُهــــودٍ
أُشْرِعَــتْ لِلأنامِ من تَحْــتِ قمْــصِ

فَتَوَلَّــتْ جيــوشُ صَبْري انْهِزامــاً
وبِـــــوُدِّي ذاك اللِّقــاء وحِــرْصِ

ليــــسَ كــلُّ الــذي يَفِــرُّ بنــــاجٍ
رُبَّ ظَعْــنٍ[1] فيــه حَيــاةٌ لِشَخْــصِ

كيــفَ لـــي بالسُّلــو عنهــا وقلــبي
قد هــوَى حلمه[2] بمهــوًى لخــرصِ[3]

ما تعاطيــتُ [ظاهــرَ الصَّبْــر][4] إلاّ
رَدَّنــي جيدُهــا بأوضَــــحِ نَــصِّ

ومن ذلك قوله أيضاً[5]:

أنا بيــنَ الحيــاةِ والمــوتُ وقــفٌ
نَفَــسٌ خافِــتٌ ودَمْــــعٌ وَوَكْــــفُ

---

[1] في ك: ((وطغى))، وفي ت: ((طغن))، وفي الملكية، والديوان: ((طعن)).
[2] في ت: ((حمله)) وفي الملكية أيضاً.
[3] في ك: ((بمعول لخوص))، وفي ت: ((بملعكي الخرص)). والخرص: القناة والسنان.
[4] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((طاهر البصير)).
[5] هذه الأبيات من بحر الخفيف.

حــلَّ بي من هــواك ما ليس يُنْــبي[1]

عَنْــه نَعْــتٌ ولا يُعَبِّــرُ وَصْــــفُ

عَجَباً لانْعِطــاف صَدْغَيــك والمِعْــ

ــطَــفُ والجيدُ ثم ما مِنك عَطْــفُ

ضاقَ صَدْري بضيقِ حِجْلك[2] واسْتَــوْ

قَــفَ طَــرْفي حَيران[3] ذلك الوَقْــفُ

كيفَ يُــرْجَى فِكــاكُ قَلْــبٍ مُعَــنَّى

فــي غَــرامٍ قَيَّــداهُ قِــرْطٌ وشَنْــفُ[4]

ومـن ذلـك قولـه أيضـاً[5]:

رقّ[6] السَّنــا ذَهَبــاً في الــلاَّزَوَرْدِي

فالأُفــقُ ما بيــنَ مَرْقــومٍ ومَــوْشِيِّ

[1] في المخطوطين: ((ينسي))، وفي ت: حرفت؛ فكتبت: ((بيني)).
[2] حِجْلك: خلخالك.
[3] في المخطوطين: ((جيران)). وفي الديوان: ((قف طرفي حيران ذاك الوقت)). وهو أسلم.
[4] الشنف: ما علق فوق الأذن؛ لأن ما علق تحت الأذن فهو قرط.
[5] هذان البيتان من بحر البسيط.
[6] في الكتيبة والديوان: ((خطّ)).

كأنَّما الشُّهُــب[1] والإصبــاح يَنْهَبُهــا

لآلــئُ[2] سَقَطَــتْ منْ كَــفٍّ زنُـــجِيٍّ[3]

ومن شعره في الحكم قوله[4]:

هوَ الدَّهْرُ لا يُبْــقي على عائِــذٍ بــهِ

فمنْ شاء عَيْشــاً يَصْطَبِــر لِنَوائِبِــهِ

فمنْ لم يُصَــب في نَفْسِــه فَمُصابُــهُ

لفَــوْتِ[5] أمانيــهِ وفَقْــدِ حَبائِبِـــهِ

ومن ذلك قوله[6]:

ملاكُ الأمْــرِ تَقْــوَى اللــه فاجْعَــل

تُقـــاه عُــــدَّةً لِصـــلاح أمْــــرك

وبـــادرْ نَحــو طاعَتِـــه بِعَـــزْمٍ

فما تَــدْري مَــتَى يَمضي بِعُمْــرِك[7]

---

[1] في الملكيـة: ((الصبـح)).
[2] في الكتيبـة والديـوان: ((دراهـم)).
[3] حرفـت في ج، والملكيـة؛ فكتبـت: ((عـلى تتـحى)).
[4] هـذان البيتـان مـن البحـر الطويـل.
[5] في نفـح الطيـب: ((بفـوت)).
[6] هـذان البيتـان مـن بحـر الوافـر.
[7] في المخطوطين: ((لعمـرك))؛ وصوبت من ت. في النفح: ((يُقضى بعمرك)).

ومن ذلك أيضاً[1]:

دِمــاءٌ فَــوْقَ خَــــدِّكِ أمْ خُلُــــوقُ[2]

وريــقٌ مــا بِثَغْــرِكِ أمْ رَحيــــقُ

ومَــا ابْتَسَمْــتِ ثَنَايَــــا أمْ أقــــاحٌ

ويَكْنِفُهــــا شِفــــاهٌ أمْ شَقيــــقُ[3]

وتلــك سِنــــاةُ نَــوْمٍ مــا تَعاطَــتْ

جُفونُــكِ أمْ هِــي الخَمْــرُ العَتيــقُ

لقــد أعــدت مَعاطِفُــــكِ انْثِنــــاءً

وقلــــبي سُكْــرُه مــا إن يَفيــــقُ

جَمالُــكِ حَضْــرَتي وهَواكِ رَاحِــي

وكَأسُــــكِ مُقْلَــتِي فَمَــتَى أفِيــــقُ

ومن شعره في الأوصاف[4]:

أرْسَـــــلَ الجَـــوُّ مــاء وَرْدٍ رَذاذا

وسَمَّــع[5] الحَــزْن والدّمايث رَشَّــا

---

[1] هذه الأبيات من بحر الوافر.

[2] الخلوق: صنف من أصناف الطيب.

[3] أي شقائق النعمان؛ وهي وردة حمراء تنبت في الحقول والمراعي.

[4] هذه الأبيات من بحر الخفيف. ولم ترد هذه الأبيات في ديوان ابن خاتمة.

[5] في النفح: ((سمّع))؛ وهو أسلم.

فانْثَنَى حَولَ أسْــوَقِ الــدَّوْحِ حَجْــلاَ
وجَرَى فَوْقَ بُـــرْدَةِ الرَّوْضِ رَقْشَـــا

وسَمَـــا في الغُصـــونِ حُـــلَى بَنَـــان
أصبَحَـــتْ من سُلاَفَـــةِ الطلِّ رَعْشَـــا

فَتَرَى الزَّهْـــرَ تَرْقُـــمُ الأرضَ رَقْمـــا
وتَرَى الرِّيـــحَ تَنْقُـــشُ المـــاءَ نَقْشَـــا

فَكَـــأنَّ المِيـــاهَ سَيْـــــفٌ صَقِيـــــلٌ
وَكَـــأنَّ البِطـــاحَ غُمْـــــدٌ مُـــــوَشَى

وكتب عقب انصرافه من **غرناطة** ـ في بعض قدْماته عليها ـ ما نصه: ((مما قلته بديهةً عند[1] الإشراف على جنابكم السعيد، وقدومي[2] مع النّفر الذين أتحفتهم [السّيادة][3]؛ سيادتكم[4] بالإشراف عليه، والدخول إليه، وتَنْعيم الأبصار في المحاسن المجموعة لديه؛ وإنْ كان يوماً قد غابت شمسه، ولم يتفق أن كمل[5] أنسه، وأنشده

[1] في الكتيبة: ((حين)).
[2] في الكتيبة، والنفح: ((ودخوله)).
[3] سقطت هذه الكلمة في ك، والكتيبة، والنفح.
[4] في الكتيبة: ((سيادتك)).
[5] في المخطوطين: ((نكمل))؛ وصوبت من النفح.

وأنشده حينئذ بعض من حضر، ولعله لم يبلغكم؛ وإنْ كان قد بلغكم[1]؛ ففضلكم يحملني [في][2] إعادة الحديث))[3]:

أقولُ وعينُ الدَّمْعِ[4] نَصْـبَ[5] عُيونِنـا
ولاحَ لبُستـانِ الـوَزارة جانِـب

أهَـذي سَمـاءٌ أمْ بِنـاءٌ سَمَـا بِـهِ
كَواكِبُ غَضَّتْ عَنْ سَناها الكَواكِـبُ

تَناظَـرَتِ الأشْكـالُ مِنْـهُ تَقابُـلاً
على السَّعْدِ وُسْطَى عِقْدِهِ والجَنائِـب[6]

وقدْ جَـرَتِ الأمْـوَاهُ فيـهِ مجَـرَّة
مَذانِبِهـا شُهْـبٌ لَهـنَّ ذَوائِـبُ

---

[1] في الكتيبة: ((بلغ)).
[2] ((في)) أضيفت من الملكية. وفي الكتيبة: ((على)).
[3] هذه الأبيات من بحر الطويل.
[4] سبقت الإشارة إلى عين الدمع؛ ذلك المنتزه الشهير في غرناطة.
[5] في المخطوطين: ((نتصب))؛ وصوب من النفح.
[6] في ك: ((الجانب)). وفي النفح والديوان: ((الحبائب)).

وأشْــرَفَ من [عَلْياءِ بَهْــوٍ][1] تَحُفُّــهُ

شماسيّ زُجــاج وَشْيهــا مُتَناسِــبُ

يُطــلُّ عــلى مــاءٍ به الآسِ دائِــراً

كما افْتَرَّ ثَغْرٌ أو كما اخْضَرَّ شــارِبُ

هنالك ما شــاء العُــلَى من جَلالــةٍ

بهــا يُــزْدَهَى بُستانُهــا والمَراتِــبُ

ولما أحضر[2] الطعام هنالك ؛ دُعِي شيخنا القاضي **أبو البركات**[3] إلى الأكل ؛ فاعتذر بأنه صائم ؛ قد بَيَّته من الليل ؛ فحضرني أن قلت[4]:

دَعَوْنــــا الخَطيــبَ أبــا البَرَكــات

لأكْــلِ طَعــامِ الوَزيــرِ الأحَــلَّ

---

[1] حرفت في ج؛ فكتبت: ((علياه بهو))، وفي ك، والملكية: ((علياه فهو)). وجاء هذا البيت في الكتبية هكذا:

((وأشرف من أعلاه فهو تحقّه * شماس زجاج وشيها متناسب))

[2] في ك: ((حضر)).

[3] خصص له ابن الخطيب ترجمة في الإحاطة.

[4] هذه الأبيات من بحر المتقارب.

وقَــدْ ضَمَّنــــا فــي نَــداهُ جِنــان[1]
به احْتَفَــلَ الحُسْــنُ حــتّى كَمَــل[2]
فأعْــرَضَ عَنَّــا لِعُــذْرٍ[3] الصِّيـــامِ
ومــا كُــلُّ عُــــذْرٍ لــهُ مُسْتَقَــل[4]
فــإنَّ الجنــان مَحَــــلُّ الجـــزاء
وليــسَ الجنــانُ مَحَــلُّ العَمَــــل

وعندما فرغنا [من الطَّعام][5] أنشدتُ الأبيات شيخنا **أبا البركات**؛ فقال[6]: ((لو أنشدتنيها، وأنتم بعد لم تفرغوا تفرغوا منه[7]؛ لأكلت معكم براً بهذه الأبيات؛ والحوالة ـ في ذلك ـ على الله تعالى)). ولما قضى الله عز وجل، بالإدالة ورجعنا إلى أوطاننا من **العدوة**، واشتهر عني ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة، والتِّية على السلطان

[1] في الملكية: ((جمال)).
[2] جاء هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:
((به احتفل الحسن فيما اكتمل)).
[3] في الكتيبة: ((بعذر)).
[4] في ك: ((مستقبل)).
[5] هذه الإضافة من نفح الطيب.
[6] في النفح: ((فقال لي)).
[7] في الكتيبة: ((من الطعام)).

والدولة[1]، والتكبر [على أعلى رتب الخدمة][2]، وتطارحت على السلطان في اسْتنجاز وعد الرّحلة، ورغبت في تفويت[3] الذمة، ونفرت عن **الأندلس** بالجملة؛ خاطبني بعد صدر بلغ من حسن الإشارة، وبراعة الاستهلال الغاية؛ بقوله[4]: ((وإلى هذا يا سيدي، ومحل تعظيمي وإجلالي، أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم، وضاعف في العزّ درجات ارتقائكم، فإنّه من الأمر الذي لم يغب عن رأي المقول[5]، ولا اختلف فيه أرباب المحسوس[6] والمعقول، أنّكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، وتاج مفرقها، وواسطة سلكها، وطراز ملكها، وقلادة نحرها، وفريدة دهرها[7]، [وعقد جيدها المنصوص، وكمال[8] زينتها[1] على المعلوم والمخصوص[2]، ثم أنتم مدار

---

[1] في أزهار الرياض: ((والدالة)).
[2] ما بين الحاصرتين من نفح الطيب وأزهار الرياض.؛ بينما الذي ورد في المخطوطين والملكية هو: ((أعلى على المراتب))؛ والأولى أفضل.
[3] في النفح وأزهار الرياض: ((وتبرئة)).
[4] ورد في موضعها في المخطوطين: ((وهو))؛ والتصويب من نفح الطيب وأزهار الرياض.
[5] في النفح، وأزهار الرياض: ((العقول)).
[6] نفسهما: ((أرباب المعقول)).
[7] في النفح، وأزهار الرياض: ((درّها)).
[8] في النفح: ((وتمام)).

مدار أفلاكها][3]، وسر سياسة أملاكها، وترجمان بيانها، ولسان إحسانها، وطبيب[4] مارستانها، والذي عليه عقد إدارتها، وبه قوام إمارتها، فلديه[5] يحل المشكل، وإليه يلجأ في الأمر المعضل. فلا غرو أن تتقيد بكم الأسماع والأبصار، وتحدق نحوكم الأذهان والأفكار، ويزجر عنكم السانح والبارح[6]، ويستنبأ[7] ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح، استقراءً لمرامكم[8]، واستطلاعاً لطالع اعتزامكم[9]، واستكشافاً لمرامي[10] سهامكم، لا سيما مع إقامتكم على جناح خفوق، وظهوركم في ملتمع بروق واضطراب[11] الظنون فيكم مع الغروب والشروق، حتى تستقر بكم

---

[1] في أزهار الرياض: ((زينها)).
[2] في النفح وأزهار الرياض: ((على العموم والخصوص)).
[3] ما بين الحاصرتين سقط في ج، والملكية.
[4] في المخطوطين: ((طب)).
[5] في النفح: ((ولديه)).
[6] ((السانح البارح)): هما طائران؛ يتفائل بأحدهما عرب الجاهلية، ويتشاءمون بالآخر. فيقال أن السانح هو ذلك الطائر الذي يمر من اليسار إلى اليمين، والبارح الذي يمر عكس ذلك؛ أي من اليمين إلى اليسار. فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتفاءل بالثاني؛ ومنهم من يعكس الأمر.
[7] في الملكية: ((ويستأنف)).
[8] استقراء لمرامكم أي بحثاً وسبراً لرغبتكم.
[9] في النفح: ((اعتزالكم)).
[10] في النفح وأزهار الرياض: ((عن مرامي)).
[11] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وأطراب)).

الدار[1]، ويلقي عصاه التسيار، وله العذر في ذلك؛ إذ صدعها بفراقكم لم يندمل[2]، وسرورها بلقائكم لم يكتمل، فلم يبر[3] بعد جناحها المهيض[4]، ولا جم ماؤها المغيض، ولا تميزت من داجيها لياليها البيض، ولا استوى نهارها، ولا تألقت أنوارها[5]، ولا اشتملت نعماؤها، ولا نسيت غماؤها؛ بل هي كالناقه[6]، والحديث العهد بالمكاره، تستشعر[7] نفس العافية، وتتمسح[8] منكم باليد الشافية، فبحياتكم[9] عليها، وعظيم[10] حرمتكم[11] على من لديها، لا تشوبوا لها عذب المُجاج والأجاج وتقنطوها[12] مما عودت من طيب المزاج؛ فما لدائها[13]،

[1] في النفح وأزهار الرياض: ((الديار)).
[2] أي يلتئم، ويتصلح.
[3] في النفح: ((يبرأ)).
[4] أي المكسور.
[5] في النفح: ((ولا تألفت أنهارها)).
[6] أي من شفي من مرضه؛ فهو في نقاهة.
[7] في النفح: ((يستشعر)).
[8] نفسه: ((ويتمسح)).
[9] في أزهار الرياض ونفح الطيب: ((وبحنانكم)).
[10] في النفح: ((وعظم)).
[11] في المخطوطين: ((مرضاتكم)).
[12] في ك: ((وتقمطوها))، وفي ج: ((وتقطموها))، وفي النفح وأزهار الرياض: ((وتفطموها عمّا)).
[13] في ج: ((لديها))، وفي ك: ((لبدنها)).

وحياة قربكم غير طبكم من علاج. وإني ليخطر بخاطري محبة فيكم، وعناية بما يعنيكم؛ ما نال جانبكم ـ صانه الله ـ [بهذا الوطن][1] الجفاء؛ ثم أذكر [ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء، وأن الوطن إحدى المواطن الأظآر التي][2] يحق لهن جميل الاحتفاء، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة [وأولي][3] الصفاء؛ فيغلب على ظني؛ أنكم لحسن العهد أجنح، وبحق أنفسكم [على أوليائكم][4] أسمح؛ والتي[5] هي أعظم قيمةً في[6] فضائلكم أوهب وأمنح[7]، وهب أن الدر لا يحتاج في الإثباب إلى شهادة النحور[8] واللبّات، والياقوت غني المكان، عن مظاهرة القلائد والتيجان. أليس أنه أعلى للعيان وأبعد عن مكابرة

---

[1] بين الحاصرتيت سقط في المخطوطين؛ واستكمل من نفاضة الجراب والنفح وأزهار الرياض.
[2] ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين؛ واستكمل من نفاضة الجراب ونفح الطيب وأزهار الرياض.
[3] سقطت هذه الكلمة في ك؛ بينما وردت في نفاضة الجراب، والنفح والأزهار هكذا: ((وأوداء))
[4] في النفح والأزهار: ((عن حق أوليائكم)).
[5] نفسهما: ((وللتي)).
[6] نفسهما: ((من)).
[7] نفسهما ((وأسجح)).
[8] في المخطوطين: ((شهود))؛ وصوب هذا التحريف من النفح والأزهار)). والأزهار)).

البرهان، تألقها[1] في تاج **الملك أنو شروان**، والشمس[2] وإن كانت أم الأنوار وجلاء الأبصار، مهما أغمي مكانها من الأفق، قيل الليل[3] هو أم نهار، وكما في علمكم ما فارق ذو الأحلام[4]، وأولو الأرحام، مواطن استقرارهم، وأماكن قرارهم، إلا برغمهم واضطرارهم، واستبدال دار هي[5] خير من دارهم، ومتى توازن **الأندلس بالمغرب**، أو يعوض عنها **إلا بمكة** أو **يثرب**، ما تحت أديمها أشلاء أولياء وعباد، وما فوقه مرابط[6] جهاد، ومعاقد ألوية في سبيل الله، ومضارب أوتاد، ثم يُبَوِّئُ[7] وَلَدَهُ مُبَوَّأَ أجداده، ويجمع له بين طرافه[8] وتلاده؛ أعيذ أنظاركم المسددة من من رأى فائل[9]، وسعي طويل[10] لم يحل منه بطائل

---

[1] في المخطوطين: ((ما يعها))؛ فصوبت من النفح والأزهار.
[2] في النفح وأزهار الرياض: ((فالشمس)).
[3] نفسهما: ((أليلٌ)).
[4] في النفح وأزهار الرياض: ((ذوو الأرحام وأولوا الأحلام)).
[5] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((هو)). بينما سقطت في النفح وأزهار الرياض.
[6] في ج: ((رباط)).
[7] في النفح: ((يُبَوَّأُ)).
[8] في النفح والأزهار: ((طارفه)).
[9] أي ضعيف)).
[10] في ج: ((ومعنى)).

[فحسبكم من هذا الإياب السعيد، والعود الحميد][1])).

وهي طويلة.

فأجبته عنها بقولي [2]:

لُمْ في الهَوَى العُـذْرِيّ أو لا تَلُـمِ
فالعَـذْلُ لا يَدْخُـلُ أسْمَـاعِي

شَأنُـكَ تَعْنِيـفِي وَشَـأنِي الهـوى
كـلُّ أمـرىءٍ فـي شَأنِـه سـاعِي

((أهلا بتحفة القادم، وريحانة المنادم، وذكرى[3] الهوى المتقادم؛ لا يصغر[4] الله مسراك، فما أسراك؛ لقد جلبت[5] إلي من همومي ليلا، وجبت[6] خيلاً ورجلاً، ووفيت من صاع الوفا كيلاً، وظننت بي الأسف على ما

---

[1] ما بين، الحاصرتين سقط في المخطوطين؛ واستكمل من النفح والأزهار. والأزهار.

[2] هذان البيتان من السريع. وهما مع الرسالة في ريحانة الكتاب، والكتيبة الكامنة ونفح الطيب وأزهار الرياض.

[3] في النفح: ((وذكر)).

[4] في الكتيبة: ((يصفر)).

[5] في ك: ((حلبت))، وفي النفح والأزهار: ((جبت)). وفي ريحانة الكتاب: ((جئت)).

[6] في النفح والأزهار: ((جست)).

فات، فأعملت الالتفات، لكيلا[1]. فأقسم لو أن الأمر[2] اليوم بيدي، أو كانت اللمة السوداء، من عددي[3] ما أفلت أشراكي المنصوبة لأمثالك[4] حول المياه وبين المسالك، [ولا علمت[5] ما هنالك][6]، لكنك طرقت حِمًى كسحته[7] الغارة الشعواء، وغيرت [ربعه][8] الأنواء، فخمد[9] بعد ارتجاجه، وسكت[10] أذين دجاجه، وتلاعبت الرياح والهوج[11] فوق فجاجه[12]، وطال عهده بالزمان[13] الأول، ((وهل عند رسمٍ دارس من

---

[1] ذَكَرَ ((الكيلا)) هنا؛ من باب الإكتفاء؛ إحالة منه إلى قوله تعالى: ﴿ **لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** سورة الحديد؛ الآية: 23.

[2] في ريحانة الكتاب: ((أمري)).

[3] في المخطوطين والملكية: ((عدتي))؛ فصوبت من النفح والأزهار.

[4] تعبير اقتبسه عن بيت للشريف الرضي؛ يقول فيه:

((لو كانت اللّمّة السّوداء من عَدَدِي * يوم الغميم لما أفلتّ أشراكي))

[5] في ريحانة الكتاب: ((ولعلمت)).

[6] ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين؛ وأضيف من النفح والأزهار.

[7] في النفح والأزهار: ((كسعته)).

[8] سقطت هذه الكلمة في ج.

[9] في الريحانة: ((فجمد)).

[10] نفسه: ((وسكن)).

[11] في النفح والأزهار والريحانة: ((الرياح الهوج)).

[12] في الريحانة: ((مجاجه)).

[13] في الريحانة والنفح:((بالزمن)).

معول))[1]، وحيا الله ندباً إلى زيارتي ندبك، وبآدابه الحكيمة[2] أدبك))[3]:

فكـــان وقـــد أفـــاد بـــك الأمـــــاني
كمـــن أهْـــدَى الشِّفـــاء إلى العليـــل

وهي شيمةٌ بوركت من شيمة، وهبة الله قبله[4]، من من لدن المشيمة، ومن مثله في صلة رعي، وفضل سعي، وقولٍ ووعي[5]:

قسماً بالكواكـــب الـــزُّ هـــر والزّهـــر عاتمـــة
إنّمـــا الفضـــل ملّـــةٌ ختمـــت بابـــن خاتمـــة

كساني حلة وصفه[6]، وقد ذهب زمان التجمل، وحملني ناهض[7] شكره، وكَتَدي[8] واهٍ عن التحمل،

---

[1] هذا عجز بيت في معلقة امرئ القيس؛ يقول فيه:
((وإن شفائي عبرة إن سفحتها *وهل عند رسمٍ دارس من معولِ)).
[2] في النفح والأزهار: ((الحكمية)).
[3] هذا البيت من الوافر.
[4] في الملكية: ((قبله)).
[5] في النفح: ((وقول وعي)). والبيتان: من مجزوء الخفيف.
[6] في النفح والأزهار والريحانة: ((فضله)).
[7] سقطت كلمة ((ناهض)) (ي النفح والأزهار.
[8] الكتد جمعها أكتاد: وهو مجمع الكتفين.

التحمــل، ونظــرني بالعيــن الكليلــة عــن العيــوب[1] فهــلا أجــاد التأمــل واستطلــع طلــع نَــثِّي[2]، ووالى ووالى في مركــب[3] المعجزة حـثي، و**(إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي)**[4]: و((لَــوْ تُــرِكَ القَطَــا لَيْــلاً لنامــا))[5]. وما حال شمل وتده[6] مفروق، وقاعدته فروق، وصواع[7] بني بني أبيه مسروق، وقلب قرحه[8] من عضة الدهر دامٍ، وجمرة حسرته ذات احتدام، هذا وقد صارت الصغرى،

---

[1] في النفح والأزهار والريحانة: ((العيب)). ويشير في هذه العبارة إلى قول الشاعر:
((وعيـن الرضا عن كل عيب كليلـة * كما أن عين السخط تبـدي المساويـا))
[2] في المخطوطيـن، والريحانـة: ((بـثي)).والنَّـثُّ: هـو مـا يـذاع مـن أسـرار.
[3] في ك: ((ركـب)). وفي النفـح، والأزهـار: ((مبـرك)) وفي الريحانـة: ((في أحـرك المجرّة)).
[4] الآيـة كاملـة هكـذا: ﴿ **قَـالَ إِنَّمَـا أَشْكُـو بَـثِّي وَحُـزْنِي إِلَى اللَّـهِ وَأَعْلَـمُ مِـنَ اللَّـهِ مَـا لاَ تَعْلَمُـونَ** ﴾. سـورة يوسـف؛ الآيـة: 86.
[5] يضـرب هـذا المثـل للـذي حمـل عـلى شـيء يكرهـه ولا يرغـب فيـه.
[6] في الريحانـة: ((قيـده))؛ والـذي في النـص أصـوب؛ لأن الوتـد المفـروق هـو اصطلاح عروضي يتركب من ثلاثة أحرف متحركة بينهما ساكن هكذا: (/./).
[7] الصـواع: إنـاء للكيـل؛ وهنـا إحالـة إلى قولـه تعـالى: ﴿ **نَفْقِـدُ صُـوَاعَ المَلِـكِ**﴾. سـورة يوسـف؛ والآيـة كاملـة هكـذا: ﴿ **قَالُـوا نَفْقِـدُ صُـوَاعَ المَلِـكِ وَلِمَـنْ جَـاءَ بِـهِ حِمْـلُ بَعِيـرٍ وَأَنَـا بِـهِ زَعِيـمٌ** ﴾.
[8] في ريحانـة الكتـاب: ((وقلبـه)).

الـتي كانـت الكبـرى، لمشيـبٍ لـم يَـرُعْ[1] أن هجـم، لما نجـم، ثـم تهلـل عارضـه وانسحـم[2]:

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((لـم يَـدَعْ)).
[2] هـذا البيـت مـن الكامـل.

لا تَجْمَــعي هجــراً عــلَيَّ وغُرْبَــةً

فالهَجرُ في تَلَــفِ الغريــب سريــعُ

نظرت فإذا [الجنب ناب][1]، والنفس فريسة ظُفُر وناب، والمال أكيلة انتهاب، [والعمر رهن ذهاب][2]، واليَد صِفْرٌ من كل اكتساب، وسوق المَعاد مترامية، والله سريع الحساب[3]:

ولو نُعْــطي الخَيــار لمــا افْتَرَقْنــا

ولكــنْ لا خَيــــارَ مــعَ الزَّمـــانِ

وهَبْ أن العمر جديدٌ، وظل الأمن مديدٌ، ورأى الاغتباط [بالوطن][4] سديدٌ؛ فما الحجة لنفسي، إذا مرت بمطارح جفوتها، وملاعب هفوتها، ومناقب[5] قناتها[6]، ومظاهر عُزّاتها[7] ومَناتِها، والزّمان[1] وَلودٌ، وزناد الكون غير صلودٍ[2]:

---

[1] في المخطوطين والملكية كتب عوض هذه العبارة: ((الحسنات))؛ بينما هي ساقطة في النفح؛ وق أضيفت من الأزهار. غير أنه كتب في النفح: ((باب)).
[2] حرفت هذه العبارة في ك؛ فكتبت: ((العمر رد عن ذهاب))؛ وأثبتت من الأزهار.
[3] هذا البيت من الوافر.
[4] أثبتت من النفح والأزهار.
[5] في النفح والأزهار: ((مثاقف)). وفي الريحانة: ((مثاقب)).
[6] في ك: ((قناعتها)).
[7] في النفح والأزهار: ((عزّاها)). وفي ريحانة الكتاب: ((عراها وهناتها)).

وإذا امـــرؤ لدغتـــــه أفـــعى مـــرة

تركتـــه حيـــن يُجَـــرُّ حَبْـــل يَفْـــرق[3]

ثـم أن المرغِّب قـد ذهـب، والدهـر قـد استرجـع مـا وهـب، والعـارض قـد اشتهـب، وآراء[4] الاكتسـاب مرجوحـة مرفوضـةٌ، وأسمـاؤه عـلى الجـوار مخفوضـةٌ[5]، والنيـة مـع الله عـلى الزهـد فيمـا بأيـدي النـاس معقـودةٌ، والتوبـة بفضـل الله عـز وجـل شروطهـا[6] غيـر معارضـة[7] ولا منقـودة، والمعاملـة سامريـة، ودروع الصبـر سابريـة[8]، والاقتصـاد قـد قـرت العيـن بصحبتـه، والله قـد عـوّض[9] حـب الدنيـا بمحبتـه، فـإذا راجعهـا[10] مثـلي مـن بعـد الفـراق، وقـد رقـي لدغتهـا ألـف راق، وجمعتنـي بهـا الحجـرة، مـا الـذي تكـون الأجـرة، جـل

---

[1] في الريحانـة: ((والزمـن)).

[2] في ج: ((صـلاد)). وفي الريحانـة: ((الكـون صلـود)). وهـذا البيـت لصالـح ابـن عبـد القـدوس؛ وهـو مـن بحـر الكامـل.

[3] في ريحانـة الكتـاب: ((مفـرق)).

[4] نفسـه: ((وأدات)).

[5] في الملكيـة: ((مرفوعـة)).

[6] في النفـح والأزهـار: ((وجـل منقـودة)).

[7] في الريحانـة: ((معترضـة)).

[8] في ك: ((سافرية))، وفي الملكية: ((والمعاملة سامرة، ودروع الصبر سابرة)).

[9] حرفـت في ك؛ فكتبـت: ((عـرض)).

[10] في ك: ((راجهـا)).

شأني، وقد[1] رضي الوامق وسخط الشاني[2]، إني إلى الله الله تعالى مهاجر[3]، وللغرض[4] الأدنى هاجر، ولأظعان السُّرى زاجر، لأحد[5] إن شاء الله وحاجر، ولكن دعاني إلى الهوى[6]، لهذا[7] المولى المنعم هوى، خلعت نعلي الوجود وما خلعته، وشوق[8] أمرني فأطعته، وغالب والله والله صبري فما استطعته، والحال والله أغلب، وعسى أن لا يخيب المطلب، فإن يسره[9] رضاه فأمل[10] كمل، وراحل احتمل، وحاد أشجى الناقة والجمل، وإن كان خلاف ذلك، فالزمان[11] جم العوائق[12]، والتسليم بمقامي لائق[13]:

---

[1] في الريحانة والنفح والأزهار: ((وإن)).

[2] معنى الوامق: هو المحب. أما الشاني: فهو المبغض. وفي الريحانة كتب: كتب: ((أو سخط الشاني)).

[3] في المخطوطين: ((هاجر)).

[4] في الريحانة والنفح والأزهار: ((للعرض)).

[5] في النفح والأزهار: ((لنجد)).

[6] نفسهما: ((للهوى)). في الريحانة: ((لكني دعاني إلى الهدى)).

[7] نفسهما: ((إلى هذا)). وفي الريحانة: ((إلى المولى)).

[8] نفسهما: ((وشوقي)).

[9] في النفح والأزهار: ((يسّر)).

[10] في النفح: ((فأمر)).

[11] في الريحانة: ((فالزمن)).

[12] في النفح: ((العلائق)).

[13] هذا البيت من البحر البسيط.

ما بيـــن غَمْضَـــةِ[1] عَيْـــن وانتباهتهـــا

يُصَـــرَّفُ[2] الأمر من حـــالٍ إلى حـــالِ

وأما تفضيله هذا الوطن على غيره[3]، ليمن طيره، وعموم خيره، وبركة جهاده، وعمران رباه ووهاده، بأشلاء عباده وزهاده[4] حتى لا يفضله إلى أحد الحرمين، فحقٌ بريٌ من المين، لكنِّي[5] للحرمين جنحت، وفي جو الشوق إليهما سرحت[6]، فقد[7] أفضت إلى طريق قصدي محجته، ونصرتني والمنة[8] لله حجته، وقصد سيدي أسنى قصد، توخاه الشكر[9] والحمد، ومعروفٌ عرف به النكر، وأملٌ[10] انتحاه الفكر، والآمال [والحمد لله][11] بعد تمتار، والله يخلق ما يشاء ويختار ودعاؤه يظهر الغيب مدد،

---

[1] في ريحانة الكتاب: ((طرفة)).
[2] نفسه: ((يقلّب)).
[3] عبارة ((على غيره)) ساقطة في النفح.
[4] في الريحانة: ((بأشلاء زهاده)).
[5] في النفح والأزهار: ((لكنني)).
[6] نفسهما: ((سنحت)).
[7] في الريحانة: ((وقد)).
[8] في ج: ((والسمة))، وفي ك: ((والسمت))؛ وقد صوبت من النفح والأزهار.
[9] في النفح والأزهار: ((الحمد والشكر)).
[10] في الريحانة والنفح والأزهار: ((والآمال من فضل الله بَعْدُ تُمْتار)).
[11] في النفح والأزهار: ((من فضل الله)).

وعدة وعدد، وبره حالي الظعن [1] والإقامة معتملٌ معتمد[2]، ومجال المعرفة بفضله، لا يحصره أحد[3]، والسلام[4])). وهو ـ الآن ـ بقيد الحياة[5]؛ وذلك ثاني عشر شعبان؛ عام سبعين وسبعمائة[6].

***

[1] في الريحانة: ((حالي الإقامة والظعن)).
[2] ((في الريحانة، والنفح والأزهار: ((ومعتمد)).
[3] في الريحانة والنفح: ((أمد)).
[4] في الريحانة: ((والسلام الكريم من محبته المثني على كماله؛ فلان)). ووردت رسالتا: ابن خاتمة وابن الخطيب في نفح الطيب، وأزهار الرياض.
[5] توفي ابن خاتمة حسب معظم الأقوال في التاسع من شعبان سنة 770هـ/1368م. ويبدو أنه مات في الوقت الذي كان ابن الخطيب يسجل هذه الترجمة؛ ولم يصله خبر وفاته.
[6] الموافق لـ 1368م.

أحمد بن عباس

ابن أبي زكريا، ويقال ابن زكريا[1]. ثبت بخط ابن التياني؛
أنصاري النسب، يكنى أبا جعفر.

حالــه

كـان كاتبـاً حسـن الكتابة، بـارع الخط فصيحـاً، غزيـر الأدب، قـوي المعرفة، شارعـاً فـي الفقـه، مشاركـا فـي العلـوم، حاضـر الجـواب، ذكـي الخاطـر، جامعـاً للأدوات السلطانيـة[2]، جميـل الوجـه، حسـن الخلقـة، كلفـاً بالأدب، مؤثـراً لـه علـى سائـر لذاتـه، جامعـاً للدواويـن[3] العلميـة، [معنيـاً بهـا][4] مقتنيـاً [للجيـد منهـا][5] مغاليـاً فيهـا، نفاعـا مـن خصـه بهـا[6]، لا يستخـرج منهـا شيئـاً، لفـرط بخلـه بهـا، إلا لسبيلهـا، حتـى لقـد أثـرى كثيـرٌ مـن الوراقيـن والتجـار معـه فيهـا، وجمـع منهـا مـا لـم يكـن عنـد ملـك.

---

[1] يمكـن الرجـوع إلى ترجمـة ابـن عبـاس في كـل مـن: الذخيـرة، والبيـان المغـرب، والمغـرب في حـلى المغـرب، والذيـل والتكملـة، ونفـح الطيـب.

[2] في الذخيـرة: ((**الملوكيـة**)).

[3] نفسـه: ((**جماعـاً للدفاتـر؛ مقتنيـاً للجيـد منـهـا**)).

[4] هـذه الإضافـة مـن الملكيـة.

[5] حرفـت في المخطوطين؛ فكتبت: ((**لحمدها، بحمدها**))؛ وصوبت من الذخيرة.

[6] في الذخيـرة ((بـشيء منهـا)).

يســاره

يقال أنه لم يجتمع عند أحد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخرق، وآنية، ومتاع وأثاث وكراع.

مشيختـه

روى عن **أبي تمام غالب التياني، وأبي عبد الله بن صاحب الأحباس.**

نباهتـه وحظوتـه

وزَر **لزهير العامري**[1]؛ الآتي ذكره؛ وآرثاً الوزارة عن أبيه؛ وهي ما هي في قطر [مُتَحَرّ بينابيع السخلية[2]، وثَّرَ بهذه الأمنة][3] مستنداً إلى قَعْساء العزَّة، فتبنَّك[4] نعيماً كثيراً[5]، تجاوز الله عنه.

---

[1] نسبة إلى المنصور بن أبي عامر صاحب الدولة العامرية؛ والمستبد أيام الدولة الأموية بقرطبة. وزهير هذا أحد فتيانهم؛ إذ استولى على المرية وأنشأ بها إمارة له؛ بعد وفاة صنوه خيران العامري؛ وذلك ما بين 418هـ/1037م ـ 428هـ/1036م.

[2] يقصد بالسخلية: الأراذل والمجهولون.

[3] ما بين الحاصرتين حرف في المخطوطين؛ فكتب هكذا: ((ببحر فينابيع السنجاية وثير بهذا الأمنة)).

[4] أي استقر في النعيم.

[5] أي استقر في نعيم كثير.

دخولـه غرناطـة

الـذي اتصـل علـمي أنـه دخـل **غرناطـة** منكوبـاً ؛ حسبمـا يتقـرر.

نكبتــه

زعمـوا أنـه كـان أقـوى الأسبـاب ؛ فيمـا وقـع بيـن أميـره **زهيـر**، وبيـن **باديـس**[1]، أميـر **غرناطـة**، مـن المفاسـدة ؛ وفَصْـل صَحْبـه إلـى وَقَـمَ **باديـس** وقبيلـه، وحطـه فـي حيـز هـواه وطاعتـه. وكـان مـا شـاء اللـه مـن استيـلاء **باديـس** علـى جملتهـم، ووضـع سيـوف قومـه فيهـم، وقتـل **زهيـر**، واستئصـال محلتـه، وقبـض يومئـذ علـى **أحمـد بـن عبـاس**، وجـيء بـه إلـى **باديـس**، وصـدره يغـلي حقـداً عليـه، فأمـر بحبسـه، وشفـاؤه الولـوغ فـي دمـه، وعجـل عليـه بعـد دون أصحابـه مـن حملـة[2] الأقـلام[3].

---

[1] حرفـت في النسـخ الثـلاث؛ فكتبـت: ((بـادس))؛ بينمـا هـو باديـس أميـر غرناطـة الصنهـاجي.

[2] حرفـت هـذه الكلمـة في النسـخ الثـلاث؛ فكتبـت: ((جملـة)).

[3] حرفـت في ت:؛ فكتبـت: ((الأقـدام)).

قال **ابن حيان**[1]: حديث **ابن عباس**؛ أنه[2] كان قد وَلَعَ ببيت[3] شعر صيّره هَجْواه؛ أوقات لعبه بالشطرنج، أو مَعْنًى يسنح له مستطيلاً بجده[4]:

عيــونُ الحـــــوادث عـــني نِيــــامٌ
وهَضْمي على الدَّهْــر شيء حَــرام

وشاع[5] بيته هذا عند[6] النّاس، وغاظهم حتى قلب له مصراعه بعض الشعراء[7]؛ فقال: ((سيوقِظُها[8] قَدَرٌ لا يَنام)). يَنام)). فما كان إلاّ كلا ولا حتى[9] تنبهت الحواث لهضمه، لهضمه، انتباهةً[10] انتزعت منه نخوته وعزته، وغادرته أسيراً ذليلاً يرسف في وزن أربعين رطلاً[11] من قيده،

---

[1] هذا النص موجود في الذخيرة.
[2] ((أنه)) سقطت في المخطوطين، ووردت في ت:
[3] حرفت هذه العبارة في المخطوطين؛ فكتبت: ((ولغ بيت)). وفي الذخيرة كتب: ((أولع)).
[4] في ج، وت: ((((بعده)). وهذا البيت من البحر المتقارب.
[5] في الذخيرة: (**وذاع**)).
[6] نفسه: ((في)).
[7] نفسه: ((الأدباء)).
[8] نفسه: ((سيوقظنا)).
[9] في الذخيرة: ((**إلاّ كلاّ حتى**)).
[10] في ج: ((**إنباهة**)).
[11] سقطت كلمة ((رطلاً)) في الذخيرة.

منزعجاً من عضّه لساقه البَضّة[1]، التي تألمت من ضغطة جوربه، يوم[2] أصبح فيه أميراً مطاعاً أعْتَى[3] الخلق على بابه، وآمنهم بمكره، فأخذه أخذ مليكٍ مقتدرٍ، والله غالبٌ على أمره.

وفاتــه

قال **أبو مروان**[4]: كان **باديس** قد أرجأ قتله مع جماعة من الأسرى، وبذلك في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار من الذهب العين، مالت إليها نفس **باديس**، إلا إنه عرض ذلك على أخيه **بلكين**[5]؛ فأنف منه، وأشار عليه بقتله؛ لتوقعه[6] إثارة فتنة أخرى على يديه، تأكل من ماله ماله أضعاف فديته. قال: فانصرف يوماً من بعض ركباته ـ

[1] جاءت هذه العبارة في ت؛ هكذا: ((من غضة لسانه العضة)). وكتب في الذخيرة: ((التي طالما تألمت)).

[2] في الذخيرة: ((غبّ)).

[3] حرفت في ج؛ فكتبت: ((على)). أما في الذخيرة فكتبت: ((أعتى خلق الله الله على بابه؛ وآمنهم لمكر ربّه)).

[4] هو ابن حيان. وهذا النص موجود في الذخيرة؛ كما سجل بعضه في البيان المغرب. المغرب.

[5] يكتب ـ أحياناً ـ (بلكين) بالكاف؛ وأحياناً أخرى (بلقين) بالقاف؛ لأن قافه تنطق تنطق بحرف أمازيغي مخرجه (بين القاف والكاف)؛ هو أقرب إلى الجيم المصرية.

[6] حرفت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فكتبت: ((لتفرقعه، لتفرنعه)).

مع أخيه[1] ـ فلما توسط الدار التي فيها **أحمد**[2] **بقصبة غرناطة**؛ لصق القصر، ووقف هو وأخوه **بلكين**، وحاجبه **علي بن القروى**، وأمر بإخراج **أحمد** إليه، فأقبل يرسف في قيده حتى وقف[3] بين يديه، فأقبل على سبه وتبكيته بذنوبه، **وأحمد** يتلطف[4] إليه، ويسأله إراحته مما هو فيه، فقال له: اليوم تستريح من هذا الألم، وتنتقل إلى ما هو أشد؛ وجعل يراطن أخاه بالبربرية[5]؛ فبان **لأحمد** وجه الموت؛ فجعل[6] يكثر الضراعة، ويضاعف[7] عدد المال، فأثار غضبه، وهزّ مِزْراقه[8]، وأخرجه من صدره؛ فاستغاث الله[9]؛ زعموا، عند ذلك؛ وذكر أولاده

---

[1] في الذخيرة، والبيان المغرب: ((أخيه بلقين)).

[2] في الذخيرة: ((أحمد بن عباس))، في البيان المغرب: ((فلمّا مرّ على الدار التي فيها ابن عباس)).

[3] في الذخيرة والبيان: ((أقيم)).

[4] نفسهما: ((**يُلَطّفه ويسأله**)).

[5] في ك: ((بالبارية))، وفي ج: ((بالبرية)). وفي الذخيرة والبيان: ((أخاه بلقين بكلامه)).

[6] في الذخيرة والبيان: ((وجعل)).

[7] نفسهما: ((**ويُضْعف له**)).

[8] في الذخيرة والبيان: ((**مِزْرَقته فأخرجها من صدره**)). والمزراق هنا: هو الرمح القصير.

[9] وردت في ك، وسقطت في ج.

أولاده وحرمه، للحين أمر **باديس** بجز رأسه ورمي[1] خارج خارج القصر.

حدث خادم **باديس**، قال[2]: رأيت جسد **ابن عباس** ثاني يوم قتله[3]، ثم قال لي **باديس**، خذ رأسه وواره مع جسده؛ قال[4]: فنبشت قبره[5]، وأضفته إلى جسده، جسده، بجنب **أبي**[6] **الفتوح** قتيل **باديس** أيضاً. وقال لي **باديس**[7]: ضع عدواً إلى جنب عدو، إلى يوم القصاص، فكان قتل **أبي جعفر** عشية الحادي والعشرين من ذي الحجة؛ سنة سبع وعشرين وأربعمائة[8]، بعد اثنين وخمسين يوماً من أسره. وكان يوم مات ابن ثلاثين. نفعه الله ورحمه[9].

***

---

[1] في ك؛ ((وروميى))، وفي ج، والذخير، والبيان: ((ووُوري)).

[2] هذا النص موجود في الذخيرة.

[3] في الذخيرة: ((يوم قتل)).

[4] سقطت كلمة: ((قال)) قي الذخيرة)).

[5] في الذخيرة: ((صداه)).

[6] نفسه: ((بجنب قبر أبي...)).

[7] سقطت كلمة ((باديس)) في الذخيرة.

[8] الموافق لـ 1035م. وجاء في كتاب الذيل والتكملة: ((مات وهو ابن ثلاثين سنة وأشهر؛ عشية يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة سنة تسع وعشين وأربعمائة)).

[9] في ك: ((رحمه الله ونفعه)).

أحمد بن أبي جعفر

ابن محمد بن عطية القضاعي؛ من أهل مراكش، وأصله القديم من طُرْطُوشَة[1]؛ ثم بعد، من دانية[2]؛ يكنى أبا جعفر[3].

حالـه

كان كاتباً بليغاً، سهل المأخذ منقاد القريحة، سيال الطبع.

مشيختـه

أخذ عن أبيه، وعن طائفة كبيرة من أهل **مراكش**.

نباهتـه

كتب عن **[علي][4] بن يوسف بن تاشفين**، وعن ابنه[5] **تاشفين**، وعن **أبي إسحاق**[6] وكان أحظى كتابهم. ثم

---

[1] طرطوشة: Tortosa. مدينة قديمة في الثغر الأعلى من الأندلس؛ وتتواجد على مصب نهر إيبرو الواقع جنوب غربي برشلونة.

[2] دانية بالإسبانية Denia؛ وهي أيضاً من المدن الأندلسية القديمة؛ وتربض على لسان ممتد في البحر جنوب بلنسية. وكانت أيام الطوائف قاعدة لإمارة مجاهد العامري المتغلب على جزر البليار الشرقية.

[3] توجد ترجمة أحمد بن أبي جعفر بن عطية في: المعجب، والبيان المغرب (القسم الخاص بالموحدين)، وإعتاب الكتاب، ونفح الطيب، والحلة السيراء، وتاريخ المن بالإمامة.

[4] كلمة ((علي)) أضافها عنان.

[5] كلمة ((ابنه)) أضافها عنان. وفي نفح الطيب: ((عن ابنيه: تاشفين، وإسحاق)).

[6] لاحظ هنا عنان بعض الخلط ـ وهو محق ـ حين نفى أن يكون صاحب الترجمة أحمد بن جعفر قد كتب عن إسحاق؛ بل كتب عن أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الذي انقرضت في عهده الدولة المرابطية؛

ثم لما انقطعت **دولة لمتونة**؛ دخل في لفيف الناس، وأخفى نفسه. ولما أثار **الماسي**[1] الهداية **بالسوس**، ورمى **الموحدين** بجرجهم الذي رموا به البلاد، وأعيا أمره، وهزم جيوشهم، التي جهزوها إليه، وانتدب منهم إلى ملاقاته، **أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي**، في جيش خشن من فرسان ورجاله؛ كان **أبو جعفر بن عطية**، من الرجالة، مرتسما بالرّماية، والتقى الجمعان، فهزم جيش **الماسي**، وظهر عليه **الموحدون**[2]. وقتل **الدعي** المذكور، وعظم موقع الفتح عند الأمير الغالب يومئذ؛ **أبو حفص عمر**، فأراد إعلام **الخليفة عبد المؤمن**؛ بما سناه الله، فلم يلتق في جميع من استصحبه من يجلي عنه، ويوفي ما أراده؛ فذكر له أن فتًى من الرّماة يخاطر بشيء من الأدب، والأشعار والرّسايل؛ فاستحضره، وعرض عليه غرضه.

سنة 541هـ/1146م. بينما الذي كتب عن علي بن يوسف هو والده أبو جعفر بن محمد بن عطية. أما النص في نفح الطيب؛ فقد ذكر فيه: ((وعن ابنيه: تاشفين وإسحاق)).

[1] هو محمد بن عبد الله بن هود السلاوي؛ الملقب بالهادي، والمعروف بالماسي ـ من أهل سلا ـ الذي ثار ضد الموحدين في رباط ماسة ببلاد السوس؛ ولكنه قتل في وادي ماسة سنة 542هـ/1147م.

[2] حرفت في ج؛ فكتبت: ((الموحدين)).

فتجاهل، وظاهر بالعجز؛ فلم يقبل عذره، واشتد عليه؛ فكتب رسالة فائقة مشهورة؛ فلما فرغ منها، وقرأها عليه؛ اشتد إعجابه بها، وأحسن إليه، واعتنى به؛ واعتقد أنه ذخرٌ يتحف به **عبد المؤمن**؛ وأنفذ الرسالة؛ فلما قرئت بمحضر أكابر الدولة؛ عظم مقدارها، ونبه فضل منشيها، وصدر الجواب؛ ومن فصوله الاعتناء بكاتبها[1]، والإحسان إليه، واستصحابه مكرماً. ولما أدخل على **عبد المؤمن**؛ سأله عن نفسه، وأحظاه لديه، وقلده خطة الكتابة، وأسند إليه وزارته، وفوض إليه النظر في أموره كلها؛ فنهض بأعباء ما فوض إليه، وظهر فيه استقلاله وغناؤه، واشتهر بأجمل السعي للناس واستمالتهم[2] بالإحسان، وعمت صنايعه[3]، وفشا معروفه؛ فكان محمود السيرة، مُنْحَب[4] المحاولات، ناجح المساعي، سعيد المأخذ، ميسر المآرب، وكانت وزارته زيناً للوقت، كمالا للدولة.

---

[1] في ج: ((بكتابتها))؛ وهو تحريف.

[2] في ج: ((واستمالاتهم)).

[3] الصنائع: مفردها صنيعة؛ أي المعروف.

[4] في نفح الطيب: ((مبخّت)).

محنته

قالوا، واستمرت حالته؛ إلى أن بلغ **الخليفة عبد المؤمن** أن **النصارى** غزوا[1] **قصبة ألمرية**، وتحصنوا بها، واقترن بذلك تقديم ابنه **يعقوب على إشبيلية**؛ فأصحبه **أبا جعفر بن عطيه**، وأمره أن يتوجه بعد استقرار ولده بها إلى **ألمرية**. وقد تقدم إليها **السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن**، وحصر من بها **النصارى**، وضيق عليهم، ليحاول أمر إنزالهم، ثم يعود إلى **إشبيلية**، ويتوجه معها مع واليها[2]، إلى منازلة الثائر بها **علي الوهيبي**، فعمل على ما حاوله من ذلك، واستنزل **النصارى** من **ألمرية** على العهد بحسن محاولته[3]، ورجع **السيد أبو سعيد** إلى **غرناطة**، مزعجين إليها، حتى يسبقا جيش **الطاغية**، ثم انصرف إلى **إشبيلية** ليقضي الغرض من أمر **الوهيبي**. فعندما خلا منه الجو، ومن الخليفة مكانه، وجدت حساده، السبيل إلى التدبير

[1] في ك: ((عدو)).
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وليها)).
[3] في ج: ((ولايته)).

عليه، والسعي به، حتى أوغروا[1] صدر الخليفة، فاستوزر[2] **عبد المؤمن بن عبد السلام**[3] **بن محمد الكومي**. وانبرى لمطالبة[4] **ابن عطية**، وجد في التماس عوراته، وتشنيع سقطاته، وأغرى به صنايعه، وشحن عليه حاشيته، فبروا، وراشوا، وانقلبوا؛ وكان مما نقم على **أبي جعفر**، نكاة القَرْحِ بالقَرْح، في كونه لم يقف في اصطناع العدد الكثير من **اللمتونيين**، وانتياشهم من خمولهم، حتى تزوج بنت **يحيى الحمار** من أمرائهم، وكانت أمها **زينب بنت علي بن يوسف**؛ فوجدوا[5] السبيل بذلك إلى استئصال شأفته [والحكام][6]. حتى نظم منهم **مروان بن عبد العزيز**، طليقه، ومُسْتَرَقٌّ اصطناعه، أبياتاً طرحت بمجلس **عبد المؤمن**[7]:

---

[1] في المخطوطين: ((وأغرو)).
[2] في النفح: ((فاستوزر عبد السلام)).
[3] في نفح الطيب: ((عبد السلام)).
[4] في المخطوطين: ((لمطالبته))؛ فصوبها عنان.
[5] في المخطوطين: ((فوجد))؛ وصوبها عنان.
[6] وجدت هذه الكلمة في المخطوطين؛ مع أنها غير ضرورية.
[7] هذه الأبيات من بحر البسيط؛ وهي موجودة في الحلة السيراء، والبيان المغرب (قسم الموحدين)، ونفح الطيب. وهي من البحر البسيط

قــل للإمـــام[1] أطـــالَ اللـــه مدّتـــــه[2]

قـــولاً تبيـــنُ لـــذي لـــبّ حقائقـــــه

إن الزّراجيـــن[3] قـــوم قـــد وترتهـــم

وطالـــب الثـــأر لم تؤمـــن[4] بوائقـــه

وللوزيـــــر إلـــى آرائهـــم ميـــــلٌ

لـــذاك مـــا كثـــرت فيهـــم علائقـــه

فبـــادِرِ الْحَـــزم في إطفـــاء نارهِـــمُ[5]

فربمـــا عـــاق عن أمـــرٍ عَوائقـــه

هُـــمُ العَـــدوُّ ومـــن والاهـــم كَهُـــمُ

فاحذرْ عـــدُوُّكَ واحذر مَنْ يُصادِقُـــهُ

---

[1] في ج: ((الأمير)). مع أن الإمام أقرب إلى الصحة. وفي البيان كتبت ((أدام)) بدلا من ((أطال)).

[2] في البيان المغرب: ((أدام الله مدته)).

[3] الزراجين مفردها زرجان: طائر أبيض الريش، أسود البطن؛ شبه به المهدي المهدي لبن تومرت اللمتونيين المرابطين؛ قاصداً أن قلوبهم سود ولباسهم أبيض.

[4] في ك: ((توقد)). أما كلمة: ((بوائقه))؛ فتعني دواهيه، أو دهاته؛ لأن البوائق؛ ومفردها بائقة؛ هي الداهية.

[5] في الحلة السيراء كتبت كلمة ((إخماد)) بدلا من كلمة ((إطفاء)). أما كلمة كلمة ((نارهم))؛ فكتبت عوضاً عن كلمة ((نورهم)) التي وردت في البيان المغرب.

اللـــه يعلــمُ أنِّـــي ناصِـــحٌ لَكُـــمُ
والحَـــقُّ أبْلَـــجُ لا تَخْــفَى طرايقـــهُ[1]

قالوا: ولما وقف **عبد المؤمن** على هذه الأبيات البليغة في معناها؛ وغرَ صدره على وزيره الفاضل[2] **أبي جعفر**، وأسرّ له في نفسه تغيراً؛ فكان ذلك من أسباب نكبته. وقيل أفضى إليه بسرّ فأفشاه[3]. وانتهى ذلك كله إلى **أبي جعفر**؛ وهو **بالأندلس**؛ فقلق، وعجل بالانصراف[4] إلى **مراكش**؛ فحجب عند قدومه، ثم قيد إلى المسجد في اليوم الثاني[5] بعده، حاسر العمامة، واستحضر الناس على طبقاتهم وقرروا ما يعلمون من أمره[6] وما صار إليهم إليهم منه[7]؛ فأجاب كل بما اقتضاه هواه، فأمر[8] بسجنه، ولف معه أخوه **أبو عقيل عطية**، وتوجه **عبد المؤمن** ـ في

---

[1] سقط هذا البيت في البيان المغرب.
[2] سقطت كلمة ((الفضل)) في نفح الطيب.
[3] في ك: ((فأفشى)).
[4] في النفح: ((عجل الانصراف)).
[5] سقطت كلمة: ((الثاني)) في نفح الطيب.
[6] في المخطوطين: ((من أمره))؛ وصوبت من الاستقصاء.
[7] في النفح: ((إليه منهم)).
[8] نفسه: ((وأمر)).

إثر ذلك ـ زايراً إلى **تربة المهدي**[1]. فاستصحبهما منكوبين بحال ثقاف، وصدرت عن **أبي جعفر** ـ في هذه الحركة ـ من لطايف الأدب؛ نظماً ونثراً في سبيل التَّوسل بتربة إمامهم[2]؛ عجائب لم تُجْدِ[3]، مع نفوذ قدر الله فيه؛ ولما ولما انصرف من وجهته أعادهما معه، قافلاً إلى **مراكش**، فلما حاذى[4] **تاقمرت**[5]، أنفذ الأمر بقتلهما، بالشعراء المتصلة بالحصن؛ على مقربة من **الملاحة** هنالك، فمضيا لسبيلهما رحمهما الله[6].

شعـره وكتابتـه

كان مما خاطب به **الخليفة عبد المؤمن**؛ مستعطفاً كما قلناه من رسالة: ((تالله لو أحاطت بي[7] خطيئةٌ، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئةً، حتى سخرت بمن في

---

[1] في النفح: ((تربة المهدي محمد بن تومرت)).

[2] نفسه: ((إمامهم المهدي)).

[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((توجد)). أما في النفح فكتب: ((لم تجد شيئاً)).

[4] في ج: ((حاذت))، وفي ك: ((حاد)).

[5] توجد في بلاد المغرب مواضع عديدة تسمى تاقمرت: منها هذا الموقع المذكور، وفي نواحي توزر بالجريد مكان يسمى تاقمرت، ونواحي تونس توجد قمرت؛ وفي سوف بالجزائر بلدة تسمى قمار؛ كما توجد في بلد السوان الغرب بلدة تسمى أيضاً قمار.

[6] في النفح: ((الله تعالى)).

[7] نفسه: ((بي كل خطيئة)).

الوجود، وأنفت **لآدم** من السجود، وقلت إن الله لم يوح إلى[1] الفلك إلى **نوح**، وبريت لقرار[2] **ثمود** نبلاً، وأبرمت لحطب نار **الخليل** حبلاً، وحططت[3] عن **يونس** شجرة اليقطين، وأوقدت مع **هامان** على الطين، وقبضت قبضةً [من الطير][4] من أثر الرسول فنبذتها، وافتريت على **العذراء البتول**[5] فقذفتها، وكتبت صحيفة[6] القطيعة بدار الندوة، وظاهرت الأحزاب بالقصوى من العدوة، وذممت كل **قرشي**، [وأكرمت لأجل **وحشي** كل **حبشي**][7]، وقلت إن **بيعة السقيفة**[8] لا توجب لإمام[9] خليفة، وشحذت شفرة **غلام**[10] **المغيرة**

---

[1] في النفح: ((في الفلك لنوح)).

[2] نفسه: ((لقَدار)). وقدار ثمود: هو الذي عقر ناقة ثمود.

[3] في المخطوطين: ((انحططت))؛ فصوبها عنان.

[4] هاتان الكلمتان أغفلتا في ج، ونفح الطيب.

[5] العذراء البتول: هي السيدة مريم أم المسيح عيسى عليه السلام.

[6] وهي صحيفة القطيعة التي كتبها المشركون من قريش لمقطعة بني هاشم؛ ثم علقت في الكعبة.

[7] في المخطوطين: ((وأكرمت لأجل كل وحشي))؛ فصوبها عنان. ووحشي: هو قاتل سيدنا حمزة ـ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة أحد؛ وقد أسلم فيما بعد. وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب؛ في حرب الردة.

[8] سقطت هذه الكلمة في ج.

[9] في ك: ((إمام)). وفي النفح: ((إمامة الخليفة)).

[10] غلام المغيرة: هو أبو لؤلؤة قاتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[بــن شعبـــة][1]، واعتقلـــت[2] من حصار الدار وقتل أشمطها[3] بشعبة، وغادرت الوجه من الهامة خضيباً، وناولت من قرع سن الخمسين[4] قضيباً، ثم أتيت حضرة **المعصوم**[5]؛ لائذاً وبقبر **الإمام المهدي**؛ عائذاً[6] لقد آن لمقالتي أن تسمع، وأن[7] تغفر لي هذه الخطيئات أجمع[8]:

فعفــواً أميــر المؤمنين فمـــن لنـــا
بحمـــل[9] قلـــوبٍ هَدَّهـــا الخفقـــــانُ

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في ج.
[2] في النفح: ((واعتلقت)).
[3] في المخطوطين: ((شمطها)). يقصد بأشمط الدار عثمان بن عفان رضي الله عنه. والأشمط: الذي خالط شعر الرأسه البياض والسواد.
[4] في النفح: ((الحسين)).
[5] نفسه: ((المعلوم)).
[6] في ك: ((لائذا)).
[7] في النفح: ((وتغفر)).
[8] البيت التالي من البحر الطويل.
[9] في النفح: ((سابقة)).

[وكتب مع ابن له صغير آخرة][1]:

عطفـــاً علينـــا أمير المؤمنيـــن فقــد
بان العـــزاء لفرط البَـــثِّ والحـــزَنِ

قـــد أغرقتنـــا ذنـــوبٌ كلّهـــا لجـــجٌ
وعطفـــةٌ منكـــم أنـــجى من السّفـــنِ

وصادفتنـــا سهـــامٌ كلهـــا غَـــرضٌ
لهـــا ورحمتكـــم[2] أوقى من الجُنَـــنِ

هيهات للخطب أن تسطـــو حوادثـــه
بمن أجازتـــه رحماكـــم من المحـــن

من جاء عندكـــم يســـعى على ثقـــة
بنصره لم يخَـــفْ بطشاً من الزّمـــن

فالثوب يَطْهُـــر بعد[3] الغسل من دَرَنَ
والطّرفُ ينهض بعد الرّكض من وســـن

---

[1] هذه العبارة الواردة بين حاصرتين سقطت في الإحاطة؛ ونقلها الدكتور طويل من نفح الطيب. وهي ضروريه؛ لأنها تفصل بين البيت السابق الموزون في البحر الطويل؛ والقصيدة الموالية التي هي من البحر البسيط؛ بالإضافة إلى أن روي النون في البيت السابق مرفوع بالضمة؛ بينما يأتي روي القصيدة التالية بنون مكسورة.

[2] جاء هذا الشطر في نفح الطيب هكذا: ((**لها ورحمة منكم أوقى من الجُنَن**)).

الجُنَن)).

[3] في النفح: ((عند)).

أنتـــم بذلتـــم حيـــاة الخلـــق كلهـــم
من دون مـــن عليهـــم لا ولا ثمـــن
ونحن من بعض من أحيت مكارمكم
تلك الحياتيـــن من نفـــسٍ ومن بـــدن
وصبيـــة كفراخ الـــورق من صغـــر
لم يألفوا النـــوح في فرع ولا فَنَـــن
قد أوجدتهـــم[1] أيـــادٍ منـــك سابغـــة[2]
والكل لـــولاك لم يوجـــد ولم يكـــن

ومن فصول رسالته التي كتب بها عن **أبي حفص**؛ وهي [التي][3] أورثته الكتابة العلية، والوزارة كما تقدم قوله: ((كتبنا هذا من **وادي ماسة**؛ بعد ما تزحزح[4] أمر الله الكريم، ونصر الله المعلوم[5]، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ

[1] في المخطوطين: ((أوجبتهم))؛ وصوبت من الاستقصاء.
[2] في النفح: ((سابقة)).
[3] هذه الكلمة سقطت في المخطوطين.
[4] في النفح: ((ما تجدد)).
[5] نفسه: ((المعهود المعلوم)).

اللّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾[1]. فتح بمسرى[2] الأنوار إشراقاً، وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقاً، ونبه للأماني النائمة جفوناً وأحداقاً، واستغرق غاية الشكر استغراقاً، فلا تطيق الألسن كنه[3] وصفه إدراكاً ولا لحاقاً، جمع أشتات الطب[4] والأدب وتقلب في النعم أكرم منقلب، وملأ دلاء الأمل إلى عقد الكرب[5]:

فتـــحٌ تُفتَّـــحُ أبـــوابُ السمـــاء لـــه
وتبـــرزُ الأرض في أثوابها القُشُـــب

وتقدمت بشارتنا به جملة، حين لم تعط الحال بشرحه مهلة. كان أولئك الضالون المرتدون قد بطروا؛ عدواناً وظلماً، واقتطعوا الكفر معنًى واسماً، وأملى لهم الله ليزدادوا إثماً[6]؛ وكان مقدمهم الشقيّ قد استمال

---

[1] الآية كاملة هكذا: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ** ﴾. سورة آل عمران، الآية: 126.

[2] في النفح: ((فتح بهر الأنوار)).

[3] حرفت في ك، فكتبت: ((الا لكنه)). ((لِكُنْه)).

[4] في النفح: ((الطلب)).

[5] هذا البيت لأبي تمام، وهو من البحر البسيط.

[6] وردت في ج، وسقطت في ك.

النفوس بِخُزَعْبَلاتِه، واستهوى القلوب بمهولاته، ونصب [له][1] الشيطان من حبالاته، فأتته المخاطبة[2] من بُعْد وكَثَب، ونَسَلَت إليه الرّسل[3] من كل حَدَب، واعتقدته الخواطر أعجب عجب، وكان الذي قادهم لذلك[4]، وأوردهم تلك المهالك، وصول من بتلك[5] السواحل، ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس، فيما سلف من الأعوام، واشتغل على رْغْمه[6] بالصّيام والقيام، والقيام، آناء الليل[7] والأيام، لبسوا الناموس أثواباً، وتدرعوا الرياء جلباباً، فلم يفتح الله لهم إلى التوفيق[8] باباً)). ومنها في ذكر صاحبهم[9]: ((فصرع والحمد لله[10] لحينه، وبادرت إليه بوادر منونه، وأتته وافدات

---

[1] وردت في ج، وأغفلت في ك.
[2] في النفح: ((المخاطبات)).
[3] في ك: ((الرمل)).
[4] في النفح: ((إلى ذلك)).
[5] نفسه: ((من كان بتلك)).
[6] نفسه: ((على رغمه بالقيام والصيام)).
[7] نفسه: ((الليالي)).
[8] نفسه: ((بالتوفيق)).
[9] هو محمد الماسي.
[10] في النفح: ((بحمد الله)).

الخطيئات عن يساره، ويمينه، وكان[1] يدعي أن المنية في هذه الأعلام لا تصيبه، ويزعم أنه يبشر بذلك والنوائب لا تنوبه، ويقول في سواه قولاً كثيراً، ويختلق[2] على الله إفكاً وزوراً، فلما عاينوا[3] هيئة اضطجاعه، ورأوا ما خطته[4] الأسنة في أعضائه[5]، ونفذ فيه من أمر الله ما لم لم يقدروا على استرجاعه، هزم لهم من كان لهم من الأحزاب، وتساقطوا على وجوههم كتساقط[6] الذباب، وأعطوا عن بكرة[7] أبيهم صفحة[8] الرقاب، ولم تقطر كلومهم إلا على الأعقاب[9]، فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم، وأذنت[10] الآجال بانقراض آمالهم[11]،

---

[1] في النفح: ((وقد كان يدعي أنه بُشِّرَ بأن المنية لا تصيبه)).
[2] في المخطوطين: ((ويخلق))؛ فصوبها عنان.
[3] في النفح: ((رأوا)).
[4] في ك: ((خطبته)). وفي النفح: ((وما خطته)).
[5] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت في ج: ((أعطيه))، وفي ك: ((أغطابه)). وفي النفح: ((أعضائه وأضلاعه)).
[6] نفسه: ((تساقط)).
[7] في ج: ((الكرة)).
[8] في النفح: ((صفحات)).
[9] وهذه كناية عن جبنهم واختيارهم للفرار، وأخذ هذا القول عن بيت لأبي لأبي تمام: فلَسْنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنا *ولكنْ على أعناقنا يَقْطُرُ الدّما
[10] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وأدنت))، وفي النفح: ((آذنت)).
[11] في النفح: آمادهم)).

وأخذهم الله بكفرهم وفسادهم ؛ فلم يعاين منهم إلا من خرّ صريعاً[1]، وسقى الأرض نجيعاً[2]، ولقي من وقع[3] الهنديات أمراً فظيعاً، ودعت الضرورة باقيهم إلى الترامي في الوادي، فمن كان يؤمل الفرار منهم ويرتجيه، ويسبح طامعاً في الخروج إلى ما ينجيه، اختطفته الأسنة اختطافاً، وأذاقته موتاً ذُعافاً[4]، ومن لج في الترامي على لججه، ورام البقاء في ثجه[5]، قضى عليه شرقه، وألوى فرقته[6] غرقه[7]. ودخل الموحدون إلى الباقية[8] الكائنة فيه، يتناولون قتالهم طعناً وحرباً[9]، ويلقونهم بأمر الله هوناً[10] عظيماً وكرباً، حتى سطت[11] مراقات الدماء على صفحات الماء، وحكت حمرتها على زُرُقه،

---

[1] في المخطوطين: سريعاً؛ فصوبها عنان.
[2] النجيع: هو الدم.
[3] في النفح: ((**من أمر الهنديات فظيعاً**)).
[4] أي القاتل مباشرة وفوراً. ويقولون: ((**السُّمُّ الذُّعاف**))؛ أي القاتل فور تناوله.
[5] في النفح: ((ثبجه)).
[6] في النفح: ((بذقنه)).
[7] في ج: (عرقه)).
[8] في النفح: ((البقية)).
[9] في ك، والملكية، والنفح: ((وضرباً)).
[10] في النفح: ((**هولاً**)).
[11] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت في ج: ((أسطت))، وفي ك: ((أسمطت)). وفي النفح: ((حتى انبسطت مراقات الداء)).

حمرة الشفق على زُرُق[1] السماء، وظهرت[2] العبرة للمعتبر، في جري الدماء جَرْيَ[3] الأبحر)).

دخولـه غرناطـة

احتل **بغرناطة** عام إحدى وخمسين وخمسمائة[4]، لما استَدْعَى أهل جهات **ألمرية**، **السيد [أبا سعيد]**[5] إلى منازلة منازلة من بها **النصارى**، وحشد، ونزل عليها، ونصب المجانيق على قصبتها، واستصرخ من بها **الطاغية**[6]، فأقبل إلى نصرهم، واستمد **السيد أبو سعيد** الخليفة؛ فوجه إليه الكبير **أبا جعفر بن عطية** صحبة **السيد أبي يعقوب** ابنه؛ فلحق به، واتصل الحصار شهوراً سبعة، وبذل الأمن لمن كان بها، وعادت إلى ملكة الإسلام، وانصرف الوزير **أبو جعفر** صحبة **السيد أبي يعقوب** إلى **إشبيلية**، وجرت أثناء

---

[1] في النفح: ((زرقة)).
[2] نفسه: ((وجرت)).
[3] في المخطوطين: ((تجري))؛ فصوبها عنان. وفي النفح: ((وجرت الدماء جري الأبحر)).
[4] الموافق لـ 1156م.
[5] وردت هذه العبارة في ك؛ بينما أغفلت في ج.
[6] أي ملك قشتالة ألفونسو ريموندس الذي حكم من 520هـ/1126م ـ 552هـ/1157م. 552هـ/1157م. كان ألفونسو هذا قد انتزع المرية من قبضة المرابطين سنة 542هـ/1147م. ولما قامت دولة الموحدين أعادوها في رحاب الإسلام سنة 552هـ/1157م.

هذه أمور يطول شرحها، ففي أثناء هذه الحركة دخل **أبو جعفر غرناطة**، وَعُدَّ فيمن ورد عليها.

مولـده

بمراكش عام سبعة وعشرين وخمسمائة[1].

وفاتـه

على حسب ما تقدم ذكره، لليلة بقيت من صفر؛ سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة[2].

***

[1] الموافق لـ 1132م. وربما يكون ابن الخطيب قد أخطأ؛ لأن ابن الأبار قال أنه ولد سنة 517هـ/1123م. وكتب في الحلة السيراء: ((مولده سنة سبع عشرة وخمسمائة)).

[2] الموافق لـ 1158م.

محمد بن شعيب

الكِرْياني؛ من أهل فاس؛ يكنى أبا العباس؛ ويعرف بابن شعيب؛ من كِريانة؛ قبيلة من قبائل الريف الغربي[1].

حالـه

من **عائد الصلة**[2]: من أهل المعرفة بصناعة الطب، وتدقيق النظر فيها، مشاركاً في الفنون، وخصوصاً في علم الأدب، حافظاً للشعر، ذُكِر أنه حفظ منه عشرين ألف بيت للمحدثين، والغالب عليه العلوم الفلسفيه، وقد مقت لذلك، وتهتك في علم الكمياء، وخلع فيه العِذار، فلم يحل بطائل، إلا أنه كان تفَوَّهَ[3] بالوصول، شنشنة المفتونين بها على مدى الدهر. وله شعر رائق، وكتابة حسنة، وخط ظريف. كتب في ديوان **سلطان المغرب** مُرْئِساً، وتسرَّى جارية **رومية** إسمها **صبح**؛ من أجمل الجواري حسناً، فأدبها حتى لقنت حظاً من **العربية**، ونظمت الشعر؛ وكان شديد الغرام بها، فهلكت أشد ما

---

[1] في ج: ((العربي))؛ وصوبت من الملكية. لأن قبائل الريف المغربية هي أمازيغية.
[2] كتاب لابن الخطيب؛ سبقت الإشارة إليه.
[3] هكذا.

كـان حباً لها، وامتداد أمـل فيها؛ فكـان بعـد وفاتها لا يُرى إلا فـي تـأوُّه دائم، وأسـف متمـادٍ، ولـه فيهـا أشعـار بديعـة فـي غـرض[1] الرّثـاء.

مشيختـه

قرأ فـي بلـده **فـاس**؛ عـلى كثيـر مـن شيوخهـا، كالأستـاذ **أبـي عبـد الله بـن أجـروم** نزيـل **فـاس**، والأستـاذ **أبـي عبـد الله بـن رُشيـد**[2]. ووصـل إلـى **تونـس**؛ فأخـذ منهـا الطـب والهيئـة عـلى الشيـخ رُحْلَـة[3] وقتـه فـي تلـك الفنـون، **يعقـوب بـن الـدرَّاس**. وكـان ممـا خاطـب بـه الشيـخ **أبـا جعفـر ابـن صفـوان**؛ وقـد نشـأت بينهمـا صداقـة؛ أوجبهـا القـدر المشتـرك؛ مـن الولـوع بالصنعـة المَرْمـوزة؛ يتشـوق إلـى جهـة كانـوا [يخلـون بهـا][4] للشيـخ؛ فيهـا ضيعـة بخـارج **مالقـة**؛ كلأهـا اللـه[5]:

[1] فـي المخطوطيـن: ((عـرض)).
[2] فـي ك: ((رشـد)).
[3] يقصـد: رحالـة.
[4] وردت هـذه العبـارة هكـذا فـي ج؛ بينمـا أغفلـت فـي ك.
[5] هـذه القصيـدة مـن بحـر المتقـارب.

رعـــى اللـــه وادي شِنِيْانَـــة

وتلـــك الغدايـــــا[1] وتلـــك الليـــــال[2]

ومسرحنـــا بين خضـــر الغصـــون

وودق الميـــــاه وسحـــــر الظـــلال

ومرتعنـــــا تحـــــت أدواحـــــه

ومكرعنـــا فـــي النميـــر[3] الـــزلال

نشاهـــد منهـــا كعـــرض الحســـام

إذا مـــا انتشـــت فوقـــه كالعـــوال[4]

وللـــــه مـــن دُرٍّ حصبائـــــه

لآلٍ وأحســـــن بهـــــا مـــن لآل

وليـــلٍ بـــه في ستـــور[5] الغصـــون

كخـــودٍ ترنـــم فـــــوق الحجـــــال

وأسحـــاره كيـــف راقـــــت وصـــ

ـــح النسيـــم بهـــا فـــي اعتـــــدال

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((العذايا)).
[2] صوبها الدكتور الطويل؛ فجعلها: ((الليالي)).
[3] في ك: النهر.
[4] جعلها الدكتور طويل: ((كالعوالي)).
[5] في المخطوطين: ((الستور)).

ولـلـــــه منــــك أبـــا جعفـــــر
عميــد[1] الحـــلال حميــد الخـــــلال
تطارحـــــني برمـــوز الكنــــوز
وتسفــر لي عـــن معـــاني المعـــال
وتبدلــني[2] فـــي شجـــون الحديـــث
ويـــا طيبـــة كـــل سحـــرٍ حـــــلالٍ
فألقــط مـــن فيــك سحـــر البيـــان
مجيبـــاً بـــه عن عريـــض النـــوال
أفــدت الـــذي دونهـــــا معشـــــرٌ
كثيـــر المقـــــال قليـــــل النـــــوال
فأصبحـــــت لا أبتـــــغي بعدهـــا
ســــواك وبعدكمـــــا لا أبـــــال[3]

وخاطـب الفقيـه العالـم **أبـا جعفـر بـن صفـوان** يسألـه [عـن][4] شـيء مـن علـم الصناعة بمـا نصـه[5]:

---

[1] في ك: ((عيـد)).
[2] في الملكيـة: ((وتبـدل لي)).
[3] جعلهـا الدكتـور طويـل: ((لا أبـالي)).
[4] سقطـت هـذه الكلمـة في ك.
[5] هـذا البيـت مـن بحـر الكامـل.

دار الهـــوى نجـــدٌ وساكنهـــا
أقــصى أمـــاني النفــس مــن نجــد

ومما صدَّر به رسالة[1]:

أيجمــع هــذا الشمــل بعــد شتاتــه
ويوصــل هذا الحبــل بعــد انبتاتــه
أمــا للبــــلى آيـــة عيسويــــةٌ
فينشــر ميِّــتَ الأنــس بعد مماتــه
ويــورد عيــني بعد ملــح مدامــعي
برؤيتــــه فـــي عذبـــه وفراتـــه

وأنشد له صاحبنا الفقيه الجليل صاحب العلامة[2] **بالمغرب**، **أبو القاسم بن صفوان** قوله[3]:

يـــا رب ظــبي شعــــاره نســـك
ألحاظـــه فـــي الــورى لهـــا فتــك

---

[1] هذه الأبيات من بحر الطويل.
[2] صاحب العلامة موظف سامي بالبلاط؛ يتولى التوقيع ـ بالنيابة عن السلطان ـ على الوثائق والمراسلات السلطانية.
[3] هذه الأبيات من بحر المنسرح.

يتـــــرك مـــن هـــام بـــه مكتئبـــــاً

لا تعجبـــــوا أن قومـــــه التـــــرك

أشكـــو لـــه مـــا لقيـــت من حـــرق

فيمـــــش[1] لاهيـــــاً إذا أشكـــــو

صبـــرت حـــتى أطـــل عارضـــه

فكـــان صبـــري ختامـــــه مســـــك

ومن المعاتبة والفكاهة قوله[2]:

وبائـــــعٌ للكتـــــب يبتاعهـــــا

بأرخـــــص السَّـــــوْم وأغـــــلاه

فـــي نصـــف الاستذكـــار أعْـــطَـ

يْتُـــه ومحـــض العيـــن وأرضـــاه

وله أيضاً[3]:

يا مـــن توعـــدني بحـــادث هجـــره

إن السلـــو لـــدون مـــا يتوعـــــد

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فشى، فشا))؛ وقد صوبت من الملكية. وقد عدلها الدكتور طويل؛ فأصبحت: ((فيَمْشِيَنْ))؛ وهذا أسلم.

[2] هذان البيتان من بحر السريع.

[3] هذه الأبيات من بحر الكامل.

هذا عــذارك وهو موضع سلــوتي
فأكفــف فقد سبــق الوعيد الموعــد
وأظــن سلوتنــــا غــداً أو بعــده
فبــذاك خبرنـــا الغــراب الأســود

وله أيضاً[1]:

قــال العــــذول تنقصــاً لجمالـــــه
هــذا حبيبــك قــد أطــل عــذاره
لا بل بــدا فصــل الربيــع بخــده
فلــذا تســــاوي ليلــــه ونهــــاره

وله يرثي[2]:

يـــا قبـــــر صبــــحٍ حــل فيــ
ـــكَ بمهجـــــتي أســــنى الأمـــان[3]
وغـــــدوت بعـــــد عيانهـــــا[4]
أشـــهى البقـــــاع إلـــى العيـــان

---

[1] هذان البيتان من بحر الكامل.
[2] هذه الأبيات من مجزوء الكامل.
[3] في ج: ((الأماني)). وهي أسلم.
[4] في ت: ((بقاعها)).

أخشى المنية إنها
[تقصي][1] مكانك عن مكان[2]
كم بين مقبور بفا
س وقابر بالقيروان

وله أيضاً يرثيها[3]:

يا صاحب القبر الذي أعلامه
[درست][4] وثابت حبه لم يدرس
ما اليأس منك على التصبر حاملي
أيأستني فكأنني لم أيأس
لما ذهبت بكل حسن أصبحت
نفسي تعاني شجو كل الأنفس
أصباح أيامي ليال كلها[5]
لا تنجلي عن صبحك المتنفس

---

[1] في المخطوطين، كتبيت: ((تصصي))، وفي ت: ((تنفي))؛ وصوبها عنان.
[2] صوبها الدكتور طويل فكتبها: ((مكاني)).
[3] هذه الأبيات من بحر الكامل.
[4] هذه الإضافة من الملكية.
[5] حرف هذا الشطر في المخطوطين فجاء هكذا: ((صبح أيامي ليل كلها))، وفي ت: ((صبح أيامي كلها ليل)).

وقال في ذلك[1]:

أعَلِمْـتَ مـا صنـــعَ الفـــرا[2]
ق غــداةَ جَــدَّ بـــه الرِّفَـــاق[3]

ووقفــــتَ منهــم حيــث للنَّـــا
ظِـــرات والدّمـــع استبـــاق

سَبَقَـــتْ مَطاياهُـــم فمـــا
أبْـــطَى[4] بنفســك فـــي السّبـــاق

أأطَقْـــتَ حمـــل صدودهـــم
لِلْبَيْـــن خَطْـــبٌ لا يُطـــاق

عــن ذات عـــرق أصْعَـــدوا
أتقـــول دارُهُـــمُ[5] العـــراق

[1] هذه القصيدة من مجزوء الكامل.
[2] حرفت في ك؛ فكتبت: ((الفريق)).
[3] في المخطوطين: ((الفراق)) للمرة الثانية؛ وصوبت من ت:
[4] في المخطوطين: ((انبطى))؛ وصوبت من ت. وجعلها د. طويل: ((أبطا))؛ لأنها خففت عن الأصل. وهذا صحيح.
[5] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وراهم)).

نزلــــوا [ببرقـــــة ثَمْهِـــد][1]

فلــــذاك مـــا شئــــت البــــراق[2]

وتيامَنــــــوا عَسْفــــــان أن

يقفـــــوا بمجتمـــع الرّفــــاق

مـــــا ضرّهـــــمْ وهُـــــمُ الْمُـــــنَى

لـــو وافقـــوا بعـــض الوِفــــاق

قالـــــوا تفرُّقنـــــا غــــداً

فشُغِلْـــــت عـــن وعـــد التَّـــلاق

عمْـــــداً[3] رَأَوْا قَتْـــل العَميــــ

ـــد فكـــان عيْشُـــك فـــي اتِّفـــاق

أوْلـــى لجسمـــــك[4] أن يَـــرقّ[5]

ودَمْـــعُ عَيْنِـــك أن يُـــراق

---

[1] حرفت هذه العبارة في النسخ الثلاث؛ كما كتبت في الملكية: ((ببرقـة ثهمد)).
[2] هكـذا ورد هـذا الشطـر في ت: ((فلـذاك مشتـ البـراق)).
[3] في المخطوطيـن: ((عـدا)).
[4] في الملكيـة: ((بجسمـك)).
[5] في المخطوطيـن: ((يـرنى))، وفي الملكيـة: ((يـروق)).

أمـــــا الفــــــؤاد فعندهـــــم
دَعْــــه ودَعْـــوَى الاشتيــــاق

أعتــــــادَ حُـــب[1] محلهـــم
فمحــــلُّ صَــدْرِك عَنْـــه ضــاق

واهـــــاً لسالِفَــــــةِ الشَّبَـــــا
بِ مَضَــتْ بأيّــــامي الرِّقــــاق

أبْقَــــتْ حَـــرارَةَ لَوْعَــــــةٍ
بيــــنَ التَّرايــــــبِ والتّــــراق

لا تَنْطَــــــفِي ووُرُودِهـــــــا
مــن أدْمُـــــعي كَــــأسٌ دِهــــاق

وقـال أيضـاً[2]:

يــا موحِــشي والبُعــدُ دون لقائـــه
أدْعُـــوك عن شَحَــطٍ وإن لم تَسمـــع

---

[1] في ت: ((حجـب)).
[2] هـذه الأبيـات مـن بحـر الكامـل.

يُدْنيــك مِــني الشــوقُ حتى إنــني
لأراك رَأي العيــنِ لَــوْلاَ أدْمُــعي
وأحِــنُّ شَوْقــاً لِلنَّسيــمِ إذا سَــرَى
لحديثكــم وأصيــحُ كالمُسْتَطْلِــع
كانَ اللِّقــا[1] فكــان حَــظِّيَ ناظِــري
وَسْطَ الفُراق فصار حَــظِّي مَسْمَــع[2]
فَابْعَــثْ خَيالــك تُهْــدِهِ نارُ الحَشَــا
إنْ كان يجْهَلُ من مقــامي مَوْضِــع[3]
وْاصْحَبْــهُ من نومي بِتُحْفَــة قــادم
فَصَــدَى قَليــل رِكابِكُم لــم تُجْمَــع[4]

---

[1] جعلها د. طويل: ((اللقاء))؛ وهو أسلم.
[2] صوبها د. طويل فجعلها: ((**مَسْمَعي**)).
[3] صوبها د. طويل؛ فكتبها: ((**مَوْضعي**)).
[4] في المخطوطين حرف هذا الشطر فجاء هكذا: ((فصدا سفل ركابكم لم مجع)).

دخولـه غرناطـة

دخل **غرناطة** على عهد السابع من ملوكها؛ الأمير **محمد** [1]؛ لقربٍ من ولايته في بعض شئونه؛ وحقق [2] بها تغيير أمر الأدوية [3] المنفردة؛ التي يتشوف الطيب إليها، والشحرور؛ وهي **بقرية شون** [4]**؛** من خارجها.

وفاتـه رحمـه اللـه

توفي **بتونس**؛ في يوم عيد الأضحى؛ من سنة تسع وأربعين وسبعمائة[5].

***

[1] حدث خطأ هنا. إذ أن محمدا بن إسماعيل بن فرج هو السلطان السادس بين سلاطين بني نصر؛ وقد حكم من سنة 725هـ إلى 733هـ أما السابع فهو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج؛ الذي حكم من سنة 733هـ إلى 755هـ

[2] حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((وخفق)).

[3] هذه الكلمة أسلم في نظر عنان؛ لأن صاحب الترجمة طبيب؛ بينما يشكك في كلمة ((الدولة)) التي وردت في المخطوطين.

[4] أصبحت هذه القرية تسمى Jun؛ وهي تقع في أطراف غرناطة؛ من ناحية الشمال الشرقي.

[5] 1348م.

أحمد بن عبد الله

ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي ابن سليمان بن عرفة[1] اللخمي الفقيه، الرئيس، المتفنن، حامل راية مذهب[2] الشعر في وقته، المشار إليه بالبنان[3] في ذلك ببلده، يكنى أبا العباس.

حالـه

كان فذاً في الأدب، طرفاً في الإدراك، مهذب الشمايل، ذلق اللسان، ممتع المجالسة والمحاضرة، حلو الفكاهة، يرمي كل غرضٍ بسهم، إلى شرف النشأة[4] وعز المرتبة، وكرم المحتد، وأصالة الرياسة.

حدثني الشيخ أبو زكريا بن هذيل، قال: حضرت بمجلس ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم، وأبو العباس بدر هالته، وقطب جلالته، فلم يجر بشيءٍ[5] إلا ركض فيه، وتكلم بملىء فيها. ثم قمنا إلى زبارين[6]

---

[1] في ك: ((ابن أبي عرفة)).
[2] في ك: (مهذب)).
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالبيان)).
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبـك: ((الشاة)).
[5] في ج: ((شيء)).
[6] في ك: ((ربارين)).

يصلحون شجرة عنب، فقال لعريفهم حق هذا أن يقصر، ويطال هذا، ويعمل كذا. فقال الوزير، يا أبا العباس ما تركت لهؤلاء أيضاً، حظاً من صناعتهم، يستحقون به الأجرة، فعجبنا من استحضاره[1] ووساعة[2] ذرْعه، وامتداد حظ كفايته.

قدومه على غرناطة

قدم عليها مع الجملة من قومه عند تغلب الدولة النصرية على بلدهم، ونزول البلاء والغلاء والمحنة بهم، والجلاء بهم في آخر عام خمسة وسبعمائة، ويأتي [التعريف بهم][3]، بعد إن شاء الله، وكان أوفر الدواعي في الاستعطاف لهم بما تقدم بين يدي أدعيائهم[4]، ودخولهم على السلطان، [أن][5] الذي تنخل[6] بمثله

---

[1] في المخطوطين: ((استحفاره)).
[2] أي سعة ذرعه. وقد حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ساعة،))، وكذلك في ت: ((وإساعة)).
[3] هذه العبارة أضافها عنان.
[4] في المخطوطين: ((إذعامهم))، وفي الملكية: ((أدعامهم)).
[5] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.
[6] في ج: ((تنحل)).

السخائم، وتذهب الإحن[1]، وخطب لنفسه، فاستمرت، حاله لطيف المنزلة، معروف المكانة، ملازماً مجلس مدبر الدولة، مرسوماً بصداقته[2]، مشتملاً عليه ببره، إلى أن كان من تقلب الحال، وإدالة الدولة، ما كان.

شعــره

وشعره نمطٌ عال، ومحل البراعة حال، لطيف الهبوب، غزير المائية[3]، أنيق الديباجة، جم المحاسن، فمنه في مذهب المدح، يخاطب **ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم**[4]:

---

[1] في ج: ((الأجـر))، وفي ت: الأخـر)).
[2] في ك: ((صدقاته)).
[3] حرفت في النسخ الثلاثة؛ فكتبت: ((المافية)).
[4] هو أبو عبد الله ذو الوزارتين محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمي؛ ولد برندة سنة 660هـ/1261م وتوفي مقتولا سنة 708هـ/1308م. تولى الوزارة في غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد ابن محمد بن نصر. وقد خصه ابن الخطيب بترجمة له في الإحاطة. والقصيدة التالية من بحر الكامل.

تَمَلَّكْــتَ[1] رقِــيّ بالجَمــال فأجمــل

وحكَمْــتَ قلبي[2] بجَــوْرك[3] فاعْــدل

أنتَ الأميرُ على الملاح ومن يَجُــرْ

فــي حُكمِــه إلاّ جُفونــك يُعــزل

إن قيل أنت البَــدْرُ فالفَضْــلُ الــذي

لــك بالكَمــال ونَقصِــهِ لم يُجْهــل

لولاَ الحُظــوظُ[4] لَكُنْــت أنت مكانــه

ولكانَ دونك في الحَضيض الأسْفــل

عينــاك نازلتــا القلــوب فكلُّهــا

إمــا جريــحٌ أو مُصــاب المَقْتــل

هــزَّت ظُباهــا بعدَ كَســر جفونهــا

فأصيبَ قلــبي فــي الرَّعيــلِ الأول

---

[1] في أزهـار الريـاض: ((تملكـت))؛ وهي أسلـم.

[2] نفسـه: ((في قلـبي))؛ وهـو أسلـم.

[3] في المخطوطين: ((يجود))، وفي ت: ((فجود))؛ وصوبت من أزهار الرياض.

[4] في المخطوطيـن: ((الخصـوص)).

ما زلت أُعْذل في هواك ولم [يــزل][1]
سمعي عَنِ العُــذَّالِ فيــك بِمَعْــزل
أصبَحْــت في شُغل بحبــك شاغــلٍ
عن أن أصيــخَ إلى كــلام العُــذَّل
لم أهمــل الكتمــان لكــن أدمــعي
هَمَلَــتْ ولَوْ لم تعصــني لم تهمــل
جَمَع الصحيحين الوفاء مع الهــوى
قلبي وأملى الدّمع كَشْــف المُشكــل
ما في الجنوب ولا الشمال جواب ما
أهــدي إليك مع الصَّبــا والشّمْــأل[2]
خَلَســاً له من طيبِ عَرْفــك نفحــة
تــجيء بها[3] دماء عليلهــا المتعلــل
إن كنــت بعدي حُلْتَ عما لم أحُــل
عنــه وأهملــتَ الــذي لــم أهمــل

[1] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين والملكية؛ ووردت في ت: ((أضح))؛ وما أضيف فمن أزهار الرياض.
[2] هذا البيت والبيت الذي يليه سقطا في أزهار الرياض.
[3] في ت: ((ضحا بها)).

أو حالت الأحــوال فاستبدلــت بـــي

فـــإن حـــبي فيـــك لـــم يُستَبْــدل[1]

لاقيــت بعـــدك مـــا لـــو أن أقلـــه

لاقى الثَّــرَى لأذاب[2] صـــمّ الجنـــدل

وحملـــت في حُبِّـــك ما لو حُمِّلـــت

شـــمُّ الجبـــال أخَفَّـــه لـــم تَحْمـــل

من حَيْـــف دَهـــرٍ بالحوادث مُقْـــدمٍ

حتّى على حَبْـــسِ الهِزَبْـــر المُشْبـــل[3]

قد كنـــتُ منـــه قبـــل كرِّ صروفـــه[4]

فوقَ السَّنـــام فصرتُ تحت الكلكـــل

ونُصـــول شَيْـــبٍ قـــد ألـــمّ بِلمَّـــتي

وخِضـــاب أبـــى شيبـــة لم تَنْصِـــل

ينـــوي الإقامـــة ما بقيت وأقْسَمَـــت

لا تنـــزلُ اللَّـــذات مـــا لـــم يَرْحـــل

---

[1] في ك، و ج؛ كتب هذا الشطر هكذا: ((فإني بحبي لم أستبدل)).
[2] في المخطوطين: ((لذاب)).
[3] في ج: ((المسبل)).
[4] في المخطوطين: ((صروفها)):

ومسيــر ظَعْــنٍ ودان حميمُــه
لاقــى الحِمــام وإنّــه لــم يَفْعــل
يطوي على جسدي[1] الضّلوع فقلبــه
بأواره يَغْــلي كَغَــلْيِ المِرْجــل
في صدره ما ليس في صــدري لــه
مــن مِثلــه مِثْقــالُ حَبَّــة خَــرْدل
أعرضــتُ عنه ولــو أشَــفَّ لذمّــة
شعــري[2] لجرعــة نقيــع الحنظــل
جُلِّيــت في حَلبــات سَبْــق لم يكــن
فيهــا بمرتــــاح ولا بموَمِّــــل[3]
ما ضره سبقيــه في زمــن مَــضَى
أن المُجَــلَّى فيــه دون الفُسْكُــــل
ساءتــه مِــنِّي عَجْرَفِيَّــةُ قُلَّــبٍ
بــاقٍ على مــر الحــوادث حُــوَّل

---

[1] في الملكيـة: ((جسـد))، وفي ك: قلـبي)).
[2] في ج: ((شجـري)).
[3] في المخطوطيـن: ((بمتؤمـل)).

مُتَحَـــرِّقٌ[1] في البـــذل مـــدَّة سيـــره

مُتَجلِّـــدٌ فـــي عُسْـــــره مُتَجَمِّــــــل

حَـــتَّى يَثوبَ له الغِـــنَى من ماجـــد

بقضـــاء حاجـــات الكـــرام مُوَكَّـــل

مثلُ الوَزيـــر ابـــن الحكيـــم ومالَـــه

مثـــلٌ يقـــوم مقامــــــه مُتَمَثِّـــــل

ســـاد الـــورى بحديثـــه وقديمــــــه

في الحال والماضي وفي المستقبـــل

من بيـــت مجـــد قد [سمـــت بقبابـــه][2]

أقيـــالُ لَخْـــمٍ فـــي الزَّمـــان الأول

سامي الدّعائـــم طـــال[3] بيـــت وزارة

ومشاجـــع وأبي الفـــوارس نهشـــل

يَلْقَى الوُفـــودَ ببَسْط وجـــهٍ مُشْـــرق

تَجْلـــو طَلاقَتـــهُ هَمـــوم المُجْتَـــلي

---

[1] في ك: ((متخـرق))، وفي ج: ((مختـرق)).

[2] في ك: ((أسسـت بقبابـه)).

[3] في المخطوطين والملكيـة: ((طالـت))؛ وهـو غيـر سليـم.

فلآمــلي جَــدِواه حــول فنائــه

لَقْط القَطـــا الأسراب حول المَنْهــل

وإذا نحى بالعــدل[1] فصــل قضيــة

لم تحـــظ فصلا من إطالـــة مفصـــل

يقضي على سخَب الخصوم وشَغْبهم

ويقيــم مُغريهــم مقــام المؤمــل

ويلقِّــن الحـــج العَــييَّ تحرُّجــاً

من رامـــحٍ عنــد اللَّجــاج وأعــزل

فإذا قَــضَى صـــور المُحِــقِّ بِحَقِّــه

عنـــه وحـــاق[2] عقابـــه بالمُبْطـــل

عَجــلٌ على من يستحـــقٌّ مَثوبـــةً

فـــإذا استحـــقَّ عقوبـــة لـــم يَعْجَــل

يـــا كـــافِيَ الإسْـــلام كـــلَّ عظيمـــة

ومعيـــده غضـــاً كـــأن لـــم يَذْبُـــل

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالعد)).

[2] في المخطوطين: ((وعاق)).

وقال أيضاً يمدحه بقصيدة من مطولاته؛ وإنما اجتلبت من مدحه للوزير **ابن الحكيم**؛ لكونه يمدح أديباً ناقداً، وبليغاً بالكلام بصيراً، والإجادة تلزم فيه منظومه، إذ لا يوسع القريحة فيه عذراً، ولا يقبل من الطَّمع قدراً، وهي[1]:

أما الرُّسوم فلم تَرِقّ لما بي
واستَعْجَمَتْ عن أن تَرُدَّ جَوابي

واستبدلتْ بوحوشها من أنْس
بيضِ الوُجوهِ كَواعِب أتراب

ولقد وقفتُ بها أُرَقْرِقُ عَبْرَةً
حتَّى اشتكى طول الوقوف صحاب[2]

يبكي لطول بكاي في عَرَصاتها
صحبي ورَجَّعَتِ الحنينَ ركاب[3]

---

[1] هذه الأبيات من بحر الكامل.
[2] جعلها د. طويل ((صحابي))؛ وهي أسلم.
[3] جعلها د. طويل ((ركابي))؛ وهي أسلم.

ومن شعره في المقطوعات غير المطولات[1]:

لم يبق ذو عين لم يُسْبِه * وجهُك من زَيْن بلا مَيْــن

فلاحَ بينهمــا طالِعــاً * كأنّــه القَمَــر[2] بلامَيْــن

ومن ذلك قوله[3]:

[كأنَّمــا الخــال مصبــاحٌ بِوَجْنَتِــه

هَبَّــتْ عَواصِــفُ أنْفاسي فَعَطَــف[4]

أو نقطةٌ قطرت في الخدّ إذ رَسَمَــت

خَــطَّ الجَمال بِخَطِّ الــلاَّم والألــف][5]

ومن ذلك قوله[6]:

وعدتــني أن تـــزور يــا أمــلي

فلــم أزل للطريـــق مُرْتَقِبــــا

حتى إذا الشمـــس للغــروب دَنَــت

وصيّــرت مــن لُجَيْنِهــــا ذهبــا

---

[1] هذان البيتان من مجزوء البسيط.

[2] كتبها د. طويل: ((قمر))؛ بدون (ال) التعريف؛ وهو أسلم.

[3] هذان البيتان من بحر البسيط.

[4] أشار د. طويل إلى الخلل في عجز هذا البيت؛ من حيث الوزن، وسياق المعنى؛ وما ذكره صواب.

[5] هذان البيتان ذكرا في ج، والملكية؛ بينما سقطا في ك.

[6] هذه الأبيات من بحر المنسرح.

أنسـني البـدر منـك حيـن بـدا
لأنّـه لـو ظَهَـرْت لاحْتَجَبـا

ومن ذلك قوله[1]:

هجرُكـم مـا لـي عليـه جَلَـد
فأعيـدوا إليّ[2] الـرِّضى أو فعـدُوا
مـا قـسى قلـبي مـن هِجْرانكـم
ولقـد طـال عليـه الأمـد

ومن ذلك قوله[3]:

أبدي عذارك عذري في الغرام بـه
وزادني شغفـاً فيـه إلـى شغـف
كأنـه ظـن أني قـد نسيـت لـه
عهـداً فعـرض بالـلام[4] والألـف

[1] هذان البيتان من بحر الرمل.
[2] جعلها د. طويل: ((لي))؛ وهي أسلم.
[3] هذان البيتان من بحر البسيط.
[4] جعلها د. طويل: ((لي باللام))؛ لتستقيم.

وممـا هـو أطـول مـن المزدوجـات قولـه[1]:

ويـــوْم كَساه الـــدُّجى[2] دَكْـــنَ[3] ثِيابـــه
وهبَّتْ نسيـــمُ الـــرَّوْض وهو عليـــل

ولاحَـــت بأفلاكِ الأفـــق[4] كواكـــبٌ
لهـــا في البـــدور الطَّالعـــات أفُـــول

وجالتْ جيـــادُ الرَّاح بالرَّاح جَولـــةً
فلـــم تحـــلُ إلا والوقـــار قَتيـــل

ومـن ذلـك[5]:

عذلـــوني فيمـــن أحـــبُّ وقالـــــوا
دبَّ نَمْـــل العِـــذار فـــي وجْنَتَيْـــه

وكـــذا النَّمْـــل كلَّمـــا حـــلَّ شيئـــاً
منـــــعَ النَّفْـــــسَ أن تميـــل إليـــه

قلـــتُ قَبْـــلَ العِـــذار أُعْـــذَر فيـــه
ثـــمّ مـــن بعـــــده أُلاَمُ عليـــــه

[1] هـذه الأبيـان مـن البحـر الطويـل.
[2] في المخطوطيـن: ((الدجـن)). وهي الأصـح.
[3] نفسـه: ((دجـن)).
[4] حرفـت في المخطوطيـن؛ فكتبـت: ((الإفـك)).
[5] هـذه الأبيـات مـن البحـر الخفيـف.

إنَّمـــا دَبَّ نَحْــوَ [شَهْــــدٍ بِفيــه][1]
فَلِـــــذاك انْتَـــهَى إلـــى شَفَتَيْـــــه

وإحسانه كثير، ومثله لا يقنع منه بيسير.

وفاتــه

قال في **عائد الصلة**: ولما كان من تغلب الحال، وإدالة الدولة، وخلع الأمير، وقتل وزيره، يوم عيد الفطر من سنة سبع وسبعمائة[2]، وانتهبت دار الوزير، ونالت الأيدي ـ يومئذ ـ من شَمَلَه دهليز بابه، من أعيان الطبقات، وأولي الخطط والرتب، ومنهم **أبو العباس** هذا رحمه الله، فأفلت تحت سلاحٍ مشهورٍ، وحيز مرقوف، وثوب مسلوف[3]؛ فأصابته ـ بسبب ذلك ـ علة أياماً، إلى أن أودت به؛ فقضت عليه **بغرناطة**، في الثامن والعشرين لذي حجة؛ من

[1] في ج: (شهد فيه))، وفي ك: ((شهديه))؛ وصوبت من الملكية.
[2] الموافق لـ 1307م. ذكر في أزهار الرياض أنه توفي في ذي الحجة من عام ثمانية وسبعمائة.
[3] معنى مرقوف؛ هو: مرتعد ومرتجف. ومعنى مسلوف؛ هو: رقيق.

سنة سبع وسبعمائة[1]، ودفن بمقبرة الغرباء من الربيط عبر الوادي تجاه قصور[2] نجد، رحمة الله عليه.

***

[1] الموافق لـ 1307م.

[2] في ج: ((قطور)).

أحمد بن علي

الملياني[1] من أهل مراكش؛ يكنى [أبا عبد الله][2] وأبا العباس؛
صاحب العلامة[3] بالمغرب؛ الكاتب الشهير البعيد الشأن[4]
في اقتضاء الشّرّة[5]؛ المثل المضروب [في][6] العفّة[7]،
وقوة الصريمة، ونفاذ العزيمة.

حالــه

كان نبيه البيت، شهير الأصالة، رفيع المكانة ؛ على سجية[8] غريبة كانت فيه[9] من الوقار والانقباض،

---

[1] نسبة إلى مدينة مليانة بالجزائر؛ وهي مدينة عريقة؛ تبعد عن العاصمة الجزائرية بـ 130 كلم في اتجاه الغرب؛ سميت باسم مليانة؛ نسبة إلى قبيلة أمازيغية صنهاجية تسمى مليانة. وترجمة أحمد الملياني موجودة في نفح الطيب.

[2] سقطت هذه العبارة في ك.

[3] سبق التعريف بهذه الخطة.

[4] في نفح الطيب: ((الشأو)).

[5] في النفح: ((**الثّرة**)).

[6] ((في)) سقطت في المخطوطين؛ فأضافها عنان.

[7] في نفح الطيب: ((الهمة)).

[8] سقطت هذه لكلمة في ج، والملكية.

[9] عبارة: ((كانت فيه))؛ ساقطة في نفح الطيب.

والصمت. أخذ[1] بحظ من الطبِّ، حسن الخط، مليح الكتابة، قارضاً للشعر، يُذهب[2] نفسه في كل مذهب.

وصمتــه

فتك فتكة شنيعة[3] أساءت الظن بحملة الأقلام على مرّ[4] الدّهر، وانتقل إلى **الأندلس** بعد مشقة، وجرى ذكره ذكره في **كتاب الإكليل**[5] بما نصه: ((الصارم، الفاتك، والكاتب الباتك[6]، أبيٌّ[7] اضطرابٍ في وقار، وتجهمٍ تحته أنس عقار، اتخذه **صاحب**[8] **المغرب**، صاحب علامته[9]. وتوّجه تاج كرامته، وكان يطالب جملة [من][10] أشياخ **مراكش** بثأر عمّه، ويطوقهم دمه بزعمه، ويقصر على الاستبصار[11] منهم بنات همه، إذ سعوا فيه حتى اعتقل،

---

[1] في نفح الطيب: ((آخذاً)).
[2] نفسه: ((تذهب)).
[3] في نفح الطيب: ((شهيرة)).
[4] نفسه: ((ممرّ)).
[5] هو كتاب الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر؛ ألفه ابن الخطيب؛ على اعتبار أنه تكملة لكتاب التاج المحلى.
[6] أي القاطع.
[7] في النفح: ((أيٌّ)).
[8] نفسه: ((ملك)).
[9] في المخطوطين: ((علامة)).
[10] ((من)) سقطت في المخطوطين.
[11] في النفح: ((الاستنصار)).

ثـم جـدوا فـي أمره حتى قتـل؛ فترصّـد كتاباً إلـى **مراكش** يتضمـن أمـراً جزمـاً، ويشـل[1] مـن أمـور الملك عزمـاً؛ جعـل الأمـر[2] فيـه بضـرب رقابهـم، وسـبي أسبابهـم، ولمـا أكـد عـلى عـلى حامله فـي العجـل وضايقـه فـي تقديـر الأجـل، تـأنى حتى علـم أنـه قـد وصـل، وأن غرضـه قـد حصـل، فـرّ إلـى **تلمسـان**؛ وهـي بحـال حصارهـا، فاتّصـل بأنصارهـا[3]، حـالاًّ بيـن أنوفهـا وأبصارهـا؛ وتعجـب مـن فـراره، وسـوء اغتـراره؛ ورجحـت[4] الظّنـون فـي آثـاره. ثـم اتصلـت[5] الأخبـار الأخبـار بتمـام الحيلـة، واستيـلاء القتـل عـلى أعـلام تلـك القبيلـة، وتركهـا[6] شنعـة عـلى الأيـام، وعـاراً فـي الأقاليـم عـلى حملـة الأقـلام، وأقـام **بتلمسـان** إلـى أن حُـلَّ مُخنـق حصارهـا[7]، وأزيـل اللَّقيـان[8] الضيقـة عـن خصرهـا، فلحـق

---

[1] في النفـح: ((ويشمـل)).

[2] نفسـه: ((جعـل فيـه الأمـر)).

[3] في ك: ((بأقطارهـا)).

[4] في النفـح: ((**ورجمـت**)).

[5] نفسـه: ((وصلـت)).

[6] نفسـه: ((فتركهـا شنيعـة عـلى الأيـام)).

[7] نفسـه: ((حصرهـا)).

[8] في ك: ((العبـان)). وفي النفـح: ((**الـهمْيـان**))؛ وهـي تكّـة السـروال، أو حزامـه. حزامـه.

بالأندلس؛ فلم[1] يعدم براً ورعياً مستمراً، حتى أتاه حمامه، وانصرمت أيامه)).

شعــره

من الذي يدل على بره[2] وانفساخ[3] خطاه في النَّفاسة، وبعد شأوه، قوله[4]:

العــزُّ مــا ضَرَبَــت عليــه قبــابي
والفضــل ما اشتملــت عليه ثيــابي
والزَّهْــرُ ما أهداه غصن[5] براعــتي
والمِسْــك ما أبــداه نقــش[6] كتــابي
والمجــدُ[7] يمنع أن يزاحــم مَــوْردي
والعــزم يــأبى أن يُســام[8] جَنــاني

---

[1] في النفح: ((ولم)).
[2] في ك: ((أفوه))؛ وهو تحريف. أما النفح فكتب فيه: ((بأوه)).
[3] في النفح: ((وانفساح)).
[4] هذه الأبيات من بحر الكامل.
[5] في ك: ((غضر)).
[6] في النفح: ((نِقس)).
[7] نفسه: ((فالمجد)).
[8] نفسه: ((يضام)).

فــإذا بلــوتُ صنيعــةً جازيْتُهــا
بجميــل شكري أو جزيل ثــوابي
وإذا عقــــدتُ مــوَدَّة أَجْرَيْتُهــــا
مجــرَى طعامي من دَمي وشَــرابي
وإذا طلبــتُ من الفَراقِــد والسُّــهى
ثــأراً[1] فأوشــكُ أن أنــال طــلابي

وفاتـه

تـوفي ـ رحمه الله ـ يوم السبت تاسع ربيع الآخر؛ عـام خمسة عشر وسبعمائة[2]، ودفن بجبانة باب إلبيرة، تجاوز الله عنه[3].

***

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((آثاراً)).
[2] الموافق لـ 1315م.
[3] في النفح: ((تجاوز الله تعالى عنه)).

أحمد بن محمد

ابن عيسى الأموي، يكنى أبا جعفر، ويعرف بالزيّات

حالـه

من أهل الخير والصلاح والأتباع، مفتوح عليه في طريق الله، نير الباطن والظاهر، مطرح التصنع، مستدل، مجانب للدنيا وأهلها، صادق الخواطر، مرسل اللسان بذكر الله، مبذول النصيحة، مثابر على اتباع السنة، عارف بطريق الصوفيه، ثبت القدم عند زلاتها [1]، ناطق بالحكمة على الأمية، جميل اللقاء، متوغل في الكلف بالجهاد، مرتبط للخيل، مبادر للهيعة، حريص على الشهادة، بركة من بركات الله في **الأندلس**، يعز وجوده مثله.

---

[1] في ك: ((قولاتها)).

وفاتـه

تـوفي ـ رحمـه اللـه ـ ببلـده **غرناطـة**، يـوم الخميـس الثـاني والعشريـن لجمـادى الثانيـة؛ مـن عـام خمسـة وستيـن وسبعمائـة[1]، وشـارف الاكتهـال.

***

[1] الموافـق لـ 1363م.

أحمد بن الحسن

ابن علي بن الزيات الكلاعي؛ من أهل بلش مالقة؛ يكنى أبا جعفر؛ ويعرف بالزّيّات الخطيب؛ المتصوف الشهير[1].

حالــه

من **عائد الصلة**: كان جليل القدر، كثير العبادة، عظيم الوقار، حسن الخلق، مخفوض الجناح[2]، متألق[3] البشر، مبذول المؤانسة، يذكر بالسلف الصالح، في حسن شيمته، وإعراب لفظه، مزدحم المجلس، كثير الإفادة، صبوراً على الغاشية، واضح البيان فارس المنابر غير مدافع مستحق التصدر في ذلك، بشروط قلما كملت عند غيره، منها حسن الصورة، وكمال الأبهة، وجهورية الصوت، وطيب النغمة، وعدم التهيب، [والقدرة على الإنشاء][4]، وغلبة الخشوع، إلى التفنن في كثير من المآخذ العلمية، والرياسة في تجويد القرآن، والمشاركة في

[1] ترجمة أحمد بن الحسن بن الزيات الكلاعي موجودة في الكتيبة الكامنة، وبغية الوعاة.
[2] في الملكية: ((محفوظ الجناح)).
[3] في المخططين والملكية كتبت كلمة: ((كثير)) قبل متألق؛ لذا فهي لا تستقيم.
[4] حرفت هذه العبارة في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((والقدر على الإنشاء، الأشياء)).

العربية، والفقه، واللغة، والأدب، والعروض، والمحاسة[1] في الأصلين، والحفظ للتفسير.

قال لي شيخنا **أبو البركات بن الحاج**؛ وقد جرى ذكر الخطابة: ما رأيت في استيفائها مثله. كان يفتح [مجالس تدريسه][2] أكثر الأحيان، بخطب غريبة، يطبق بها مفاصل الأغراض، التي يشرع في التكلم فيها، وينظم الشعر دائماً في مراجعاته ومخاطباته، وإجازاته، من غير تأن ولا روية، حتى اعتاده ملكةً بطبعه، واستعمل في السفارة بين الملوك، لدحض السخائم، وإصلاح الأمور، فكانوا يوجبون حقه، ويلتمون بركته، ويلتمسون دعاءه.

مشيخته

تحمل العلم عن جملة؛ منهم: خاله الفقيه الحكيم **أبو جعفر أحمد بن علي المذحجي**؛ من أهل **الحمة**؛ من ذوي المعرفة بالقرآن والفرائض، ومنهم القاضي **أبو علي الحسين بن أبي** الأحوص الفهري؛ أخذ [عنه][3] قراءةً

---

[1] أي الإتقان والبراعة.
[2] في الملكية: ((مجالسه)).
[3] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

وإجازة، ومنهم العارف الرباني، **أبو الحسن فضل بن فضيلة**؛ أخذ عنه طريقة الصوفيه وعليه سلك، وبه تأدب، وبينهما في ذلك مخاطبات، ومنهم **أبو الزهر ربيع ابن محمد بن ربيع الأشعري، وأبو عبد الله محمد بن يحيى** أخوه، ومنهم [**أبو الفضل**][1] **عياض بن محمد بن عياض ابن موسى**؛ قرأ عليه **ببلش** وأجاز له، ومنهم الأستاذ **أبو جعفر بن الزبير**، والأستاذ **أبو الحسن التجلي، وأبو محمد ابن سماك، وأبو جعفر بن الطباع، وأبو جعفر بن يوسف الهاشمي الطنجلي**[2]، والأستاذ النحوي **أبو الحسن بن الصائغ**، والكاتب الأديب **أبو علي بن رشيق التغلبي**، والراوية **أبو الحسن بن مستقور**[3] **الطائي**، والإمام **أبو الحسن**[4] **بن أبي الربيع**، والأستاذ **أبو إسحاق الغافقي الميربي**، والإمام العارف **أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ**

---

[1] أغفلت هذه العبارة في ك.

[2] نسبة إلى مدينة طنجة بالمغرب الأقصى. وتكتب أحياناً: ((الطنجالي، أو الطنجي)).

[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ابن مسغور)).

[4] في ك: ((أبو الحسين)).

البلوي؛ بما كان من إجازته العامة لكل من أدرك عام أحد وأربعين وستمائة[1]، وغير هؤلاء ممن يشق إحصاؤهم.

تصانيفه

كثيرة؛ منها: المسماة **بالمقام المخزون في الكلام الموزون**، والقصيدة[2] المسماة ((**بالمشرف[3] الأصفى في المأرب الأوفى**))؛ وكلاهما ينيف على الألف بيت، و((**نظم السلوك في [شيم الملوك][4]**))، و((**المجتنى النضير والمقتنى[5] الخطير**))، و((**العبارة الوجيزة عن الإشارة**))، و((**اللطائف الروحانية والعوارف الربانية**)). ومن تواليفه: ((**أسُّ مبنى العلم، وأس معنى الحلم**))؛ في مقدمة علم الكلام، و((**لذات السمع من القراءات السبع**))؛ نظماً، و((**رصف نفائس اللآلى ووصف عرائس المعالي**))؛ في النحو، و((**قاعدة البيان وضابطة اللسان**))؛ في العربية، و((**لهجة اللافظ وبهجة الحافظ**))، والأرجوزة المسماة

---

[1] الموافق لـ 1244م.
[2] في النسخ الثلاث: ((العقيدة))؛ فصوبها عنان.
[3] في ج: ((الشرف)).
[4] في ج، والملكية: ((نظم السلوك)) للمرة الثانية؛ وهو سهو كما يبدو.
[5] في ج: ((المنتقى)).

بـ**((قرة عين السائل وبغية نفس الآمل))**؛ في اختصار السيرة النبوية، و**((الوصايا النظامية في القوافي الثلاثية))**، وكتاب **((عدة الداعي، وعمدة الواعي))**، وكتاب ((**عوارف الكرم وصلات الإحسان، فيما حواه العين من لطائف الحكم وخلق الإنسان))**، وكتاب **((جوامع الأشراف والعنايات، في الصوادع والآيات**))، و**((النفحة الوسيمة والمنحة الجسيمة[1]))**؛ تشتمل على أربع قواعد اعتقادية وأصوليه وفروعية وتحقيقية، وكتاب ((**شُروف المفارق في اختصار كتاب المشارق))**، و**((تلخيص الدلالة في تخليص الرسالة**))، و**((شذور الذهب في صروم الخطب))**، و**((فائدة الملتقط وعائدة المغتبط**))، وكتاب **((عدة المحق وتحفة المستحق))**.

نشره

من ذلك خطبة ألغيت الألف من حروفها، على كثرة ترددها في الكلام وتصرفها، وهي: ((حمدت ربِّي جلّ من كريم محمود، وشكرته عزّ من عظيم موجود،

[1] في الملكية: ((السفحة في الوسمة والمنحة)).

ونزهته عن جهل كلّ ملحد كفور، وقدسته عن قول كل مفسد غرور، كبير لو تقدم، في فهم نجد، قدير لو تصور في رسم لحد، لو عدته فكرة التصور[1] لتصور ولو حدته[2] فكرة لتعذر، ولو فهمت له كيفية لبطل قدمه، ولو علمت له كيفية لحصل عدمه، ولو حصره[3]، طرفٌ لقطع بتجسمه، ولو قهره وصفٌ لصدع بتقسمه، ولو فرض له شبحٌ[4] لرهقه[5] كيف، ولو عرض له، للحق عجلٌ وريث، عظيم من غير تركب قطر، عليمٌ من غير ترتب فكر، موجود من غير شيء يمسكه، معبود من غير وهم يدركه، كريمٌ من غير عوض يلحقه، حكيم من غير عرضٍ يلحقه، قوي من غير سببٍ يجمعه، عليٌّ من غير سبب يرفعه، لو وجد له جنس لعورض في قيموميته، ولو ثبت له حسٌّ لنوزع في ديموميته)). ومنها: ((تقدس عن لم فعله، وتنزه عن سم فضله، وجل عن ثم قدرته،

---

[1] في ج: ((تصور)).
[2] في ك: ((حدثه)).
[3] في ج: ((حصر)).
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((شح)).
[5] في ج: ((لهرقه)).

وعز عن عم عزته، وعظمت عن من صفته، وكثرت عن كم منته، فتق ورتق صور وحلق، وقطع ووصل، ونصر وخذل، حمدته حمد من عرف ربه، ورهب ذنبه، وصفت حقيقة يقينه قلبه، وذكرت بصيرة دينه لبه، فنهض[1] لوعى بشروط نفضته وحد، وربط سلك سلوكه وشيد، وهدم صرح عتوه وهد، وحرس معقل عقله وحد، طرد غرور غرته ورذله، علم [علم][2] تحقيق فنحا نحوه، وتفرد له عز وجل بثبوت ربوبيته وقدمه، ونعتقد[3] صدور كل جوهر وعرض عن جوده وكرمه، ونشهد بتبليغ **محمد** صلى ربه عليه وسلم، رسوله وخير خلقه، ونعلن بنهوضه في تبيين فرضه، وتبليغ شرعه، ضرب قبة شرعه، فنسخت كل شرع، وجدد عزيمته فقمع عدوه خير قمع، قوم كل مقوم بقويم سمته، وكريم هديه، وبين لقومه كيف يركنون فوره بقصده، وسديد سعيه، بشر مطيعه، فظفر برحمته، وحذر عاصيه فشقي بنقمته)).

---

[1] في الملكية: ((فنبه)).
[2] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين والملكية. ووردت في ت.
[3] في المخطوطين: ((ونعتقد)).

((وبعد؛ فقد نصحتم لو كنتم تعلقون، وهديتم لو كنتم تعملون، وبصرتم لو كنتم تبصرون، وذكرتم لو كنت تذكرون، وظهرت لكم حقيقة نشركم وبرزت لكم خبيئة حشركم، فلم تركضون في طلق غفلتكم، وتغفلون[1] عن يوم بعثكم، وللموت عليكم سيفٌ مسلول، وحكم عزم غير معلوم، فكيف بكم يوم يؤخذ كل بذنبه، ويخبر بجميع كسبه، ويفرق بينه وبين صحبه، ويعدم نصرة حزبه، ويشغل بهمِّه[2] وكربه، عن صديقه وتربه، وتنشر له رقعته وتعين له بقعته، فربح عبدٌ نظر وهو في مهل لنفسه، وترَسَّل[3] في رضى عمله جنةً لحلول رمسه، وكسر صم شهوته ليقر في بحبوحة قدسه[4]، وحصر[5] بنظر ينزله سرير سروره بين عقله وجسمه[6])). ومنها: ((فتنبه ويحك من سنتك ونومك وتفكر فيمن هلك من صحبك[7]

---

[1] حرفت في ك؛ فكتبت: ((وغافلون)).
[2] في ج: ((بقوله)).
[3] في المخطوطين: ((ترسيل)).
[4] في ج: ((قدمه)).
[5] في ك: ((وحصن)).
[6] نفسه: ((حسه)).
[7] **في ك**: ((**صحبتك**)).

وقومك، هتف بهم من تعلم، وشب عليهم من حرق مظلم، فخربت بصيحته ربوعهم، وتفرقت لهوله جموعهم، وذل عزيزهم، وخُسئ رفيعهم، وصم سميعهم، فخرج كل منهم عن قصره، ورمي غير موسد في قبره، فهم بين سعيدٍ في روضته مقرب، وبين شقي في حفرته معذب، فنستوهب منه عز وجل عصمته من كل خطيئة، وخصوصية تقي من كل نفس جريئة)).

كتب إلى شيخنا الوزير، **ابن ذي الوزارتين ابن الحكيم**، جواباً عن مخاطبة كتبها إليه يلتمس منه وصايته ونصحه هذا الشعر[1]:

جل اسم مولانا اللطيف الخبير
وعز في سلطانه عن نظير
هو الذي أوجد ما فوقها
وتحتها وهو العليم الخبير

[1] هذه القصيدة من بحر السريع.

ثـــم صـــلاة اللـــه تتـــرى عـــلى

يـاقوتـــة الكـــون البشيـــر النذيـــر

وصـحبـــه الأولـــى نالـــوا مـــرأى

يرجـــع عنه الطرف وهو الحسيـــر

وبعــــــد فأنفسهـــــم جوهـــــر

لـــلأرواح منــــــه مـــا للأثيـــــر

فإنـــك استدعيـــت مـــن ناصـــــر

نصحـــاً طويـــلاً وهو منـــه قصيـــر

ولســـت أهـــلا أن أرى ناصحـــاً

لقلـــة الصـــدق وخبـــث الضميـــــر

وإنمـــا يحســـن نصـــح الـــــورى

مـــن ليـــس للشـــرع عليـــه نكيـــر

ومستحيـــــلٌ أن يقـــــود امـــرءاً

يـــد امـــرىءٍ واهي المباني ضريـــر

واعجبـــا يلتمـــــس الخيـــــر مـــن

معتقـــل العقـــل مهيـــض كسيـــــر

لكــن إذا لــم يكــن بُــدٌّ فَعَــــن

[جهــد أوفيــك بتبــر][1] يسيـــــر

فالقنــــــه إن كنــت بــه قانعـــاً

درا نظيمـــــاً يـــــزدري بالنثيـــــر

لازم أبـــا بكــر عــلى منهــــج

ذاك تفــز منــه بخيــر كثيـــــر

واقنــع بمـــا يكــفي ودع غيــره

فإنمـــا الدنيــــا هبـــاءٌ نثيــــــر

بُـــنيّ لا يخدعنـــك[2] هــذي الدُّنــــا

فإنهــــا واللـــه شــيء حقيـــــر

أيــن المشيــدات أمـــا زلزلــــت

أيــن أخـــو الإيــوان أين السديــر[3]

أيــن أنوشـــروان أضــحى كـــأن

لــم يــك أيــن المعتــدي أزدشيــر

---

[1] في المخطوطين: ((**جهراً وفيك تبرز ـ تبرر**))

[2] في ك: ((**يخدعك**)).

[3] في المخطوطين والملكية: ((**الغدير**)).

هـــذا مقـــالٌ مـــن وَعـــاه اهْتـــدَى

وحيـــط مـــن كـــل مخـــوف مبيـــر

وصـــى[1] أبـــو بكـــر بـــه أحمـــدا

وأحمـــد فـــي الوقـــت شيـــخ كبيـــر

انقرضـــــــت[2] أيامــــــه وانتــــــهى

وهْنـــاً ومـــن قبـــلُ أتـــاه النذيـــــر

وهـــا هـــو اليــــــوم عـــلى عُــــدّة

مُبْرمـــه للشَّـــرِّ ومـــا مـــن عذيـــر

ومن شعره في طريقة الذي كان ينتحله[3]:

شهود ذاتك [شيء عنك][4] محجـــوب

لو كنت تدركـــه لم يبـــق مطلـــوب

علـــوٌ وسفـــل ومن هذا وذاك معـــا

دور على نقطة[5] الإشراق منصـــوب

---

[1] في ج: ((أضحى)).

[2] في ك: ((انقضت)).

[3] هذه القطعة من البحر البسيط.

[4] وردت هذه العبارة في المخطوطين هكذا: ((**شرعية**))؛ وصوب ذلك من ت. وفي الكتيبة الكامنة كتب في موضع شيء: ((**سرٌّ**)).

[5] في ج: ((نطقه))، وفي ك: ((نطيقه)). وفي الكتيبة الكامنة: ((نقطة الأشراف)).

ومنـــزل النفـــس منه ميـــمٌ مذكـــرة[1]

إن صح للغرض الظـــنيّ[2] مرغـــوب

وإن تنـــاءت مساويهـــا فمنزلهـــــا

أوج الكمـــال وتحت الروح تقليـــب

والروح إن لم تخنه النفـــس قام لـــه

في حضرة الملك تخصيص وتقريب

ومن شعره[3]:

دعـــني على حكم الهـــوى أتضـــرع

فعـــسى يلين لنا الحبيـــب ويخشـــع

إني وجدت أخـــا التضـــرع فايـــزاً

بمـــراده ومـــن الدعـــا مـــا يسمـــع

أهـــلا[4] ومـــا شيء بأنفـــع للفـــتى

من أن يـــذل عـــسى التذلـــل ينفـــع

---

[1] في ك: ((مركـزة)). وفي الكتيبـة: ((ميـم مركـزه))؛ وهـذا أسلـم.

[2] في الكتيبـة: الطيـني)).

[3] هـذه الأبيـات مـن بحـر الكامـل.

[4] في الكتيبـة: ((**واهـاً**)).

وامــح[1] اســم نفسك طالبـــاً إثباتـــه

واقنـــع بتفريـــقٍ لعلـــك تجمــــــع

واخضع فمن دأب[2] المحب خضوعه

ولربمـــا نـــال المـــنى من يخضـــع

ومن شعره:

ما لي ببـــابٍ غيـــر[3] بابـــك موقـــف

لاً[4] ولا لي[5] عـــن فنائـــك مصـــرف

هذا مقـــامي ما حييـــت فـــإن أمـــت

فالـــذل مـــأوى للضراعـــة[6] مألـــف

غـــرضي وأنـــت به عليـــم لمحـــةٌ

تذر[7] الشتيـــت الشمـــل وهو مؤلـــف

---

[1] في الكتيبـة: ((فامـح)).

[2] نفسـه: ((أدب)).

[3] حرفت في ج؛ فكتبـت: ((غيـرك)).

[4] في ك، وفي الكتيبـة الكامنـة: ((كـلا))؛ وهي أسلـم.

[5] في الكتيبـة الكامنـة: ((ومـا لي)).

[6] نفسـه: ((والضراعـة)).

[7] نفسـه: ((تـدع)).

وعليـــك ليس على ســـواك معـــولي

جاروا على لأجـــل [إذا أو أنصفـــوا][1]

ومـن المقطوعـات فـي التجنيـس [2]:

يقـــال خصـــال أهـــل العلـــم ألـــفٌ

ومن جمـــع الخصال الألـــف ســـادا

ويجمعهـــا الصـــلاح فمـــن تعـــدّى

مذاهبـــــه فقـــد جمـــع الفســـــادا

ومنـه فـي المعنى[3]:

إن شئت فوزاً بمطلوب الكرام غـــداً

فاسلك من العمل المرضيّ منهاجـــا

واغلب هوى النفس لا تغررك خادعة[4]

فكل شيء يحـــط القـــدر منها جـــا[5]

---

[1] حرفـت هـذه العبـارة في المخطوطيـن؛ فكتبـت: ((ذاك وأنصـف)).

[2] هـذان البيتـان مـن بحـر الوافـر.

[3] هـذان البيتـان مـن البحـر البسيـط

[4] في الكتيبـة الكامنـة: ((لا يغـررك عاجلـه)).

[5] ((أي منهـا جـاء))؛ وحذفـت الهمـزة للضـرورة.

دخوله غرناطة

دخل **غرناطة** مراراً عدة تشذ عن الحصر، أوجبتها الدواعي بطول عمره، من طلب العلم وروايته، وحاجة عامة، واستدعاء سلطان، وقدوم من سفارة. كان الناس يَنْسالون[1] عليه ويغشون منزله، فيما أدركت، كلما تبوأ ضيافة السلطان، تبركاً به، وأخذاً عنه.

مولـده

ولد **ببلش** بلده؛ في حدود تسع وأربعين وستمائة[2].

وفاتـه

توفي **ببَلّش** سحر[3] يوم الأربعاء السابع عشر من شوال؛ عام ثمانية وعشرين وسبعمائة[4]. وممن رثاه شيخنا، نسيج وحده، العالم الصالح الفاضل، **أبو الحسن بن الجياب** بقصيدة أولها[5]:

---

[1] في الملكية: ((ينسللون)).
[2] الموافق لـ 1251م. ذكر في بغية الوعاة أنه ولد في بلش سنة 650هـ الموافق لسنة 1252م.
[3] في ك: ((منحسر)).
[4] الموافق لـ 1327م.
[5] هذا البيت من البحر الطويل.

على مثلـــه خضابـــة الدهـــر فاجـــع

تفيـــض نفوسٌ لا تفيـــض المدامـــع

ورثـاه شيخنـا القـاضي **أبـو بكـر بـن شبريـن**[1] رحمـه الله، بقصيـدة أولهـا[2]:

أيساعـــد رائـــده الأمـــل

أم يسمـــع سائلـــه الطلـــل

يا صاح فديتك ما فعلـــت[3]

ذا من الأحبـــاب وما فعلوا[4]

فأجـــاب الدمـــع مناديـــه

أما الأحبـــاب فقد رحلـــوا

ورثـاه من هـذه البلـدة طائفـة، منهـم الشيـخ الأديـب **أبـو محمـد بـن المرابـع** الآتـي اسمـه فـي العيـادة لـه، بحـول اللـه، بقصيـدة أولهـا[5]:

---

[1] هـو محمـد بـن أحمـد بـن علـي بـن شبريـن؛ توجـد ترجمتـه في الإحاطـة، وفي الكتيبـة الكامنـة، واللمحـة البدريـة وتاريـخ قضـاة الأندلـس، ونفـح الطيـب.

[2] هـذه الأبيـات مـن البحـر المتـدارك.

[3] جعلهـا د. طويـل: ((مـا فعـل))؛ مـن أجـل الـوزن.

[4] في المخطوطيـن: ((فعـل ـ رحـل)).

[5] هـذا البيـت مـن بحـر الكامـل.

أدعــوك ذا جــزع لو أنــك سامــع

مــاذا أقــول ودمــع عيــني هامــع

وأنشـــد خامـــس يـــوم دفنـــه قصيـــدة أولهـــا[1]:

عبـــرة[2] تفيـــض حزنـــاً وثكـــلا

وشجـــونٌ تعـــم بعضـــاً وكـــلا

ليـــس إلا صبابـــة أضرمتهـــا

حســـرةٌ تبعث الأسى ليـــس إلا

وهي حسنة طويلة.

***

---

[1] هذان البيتان من البحر الخفيف.

[2] جعلها د. طويل ((عبرات))؛ وهي أسلم.

إبراهيم بن محمد

ابن مَفَرِّج بن هَمُشك، المتأمر، رومي[1] الأصل.

أوليته

مفرج أو **هَمُشك**[2]، من أجداده ؛ **نصراني أسلم** على يدي أحد ملوك **بني هود بسرقسطة** ؛ نزح إليهم، وكان مقطوع إحدى الأذنين، فكان **النصارى** إذا رأوه في القتال عرفوه، وقالوا **هامُشك**، معناه ترى المقطوع الأذن، إذ ((**ها**)) عندهم قريب مما هي في اللغة العربي، و((**المُشك**)) المقطوع الأذنين في لغتهم[3].

نباهته وظهوره

ولما خرج **بنو هود** عن **سرقسطة** ؛ نشأ تحت خمول ؛ إلا أنه شهم متحرك، خدم بعض **الموحدين** في الصيد،

---

[1] يقصد أنه إسباني الأصل.وترجمة إبراهيم بن محمد هذا موجودة أيضاً في الحلة السيراء، وإعمال الأعلام، والبيان المغرب (القسم الخاص بالموحدين)، والمن بالإمامة؛ وقد تضاربت التراجم في اسم والده ولقبة..الخ.

[2] قال عنان أنها ترسم بالإسبانية Hamusco.

[3] وضحها عنان بقوله: وأصلها بالقشتالية He mochico؛ ومعناها المقطوع أو المصاب. أما مقطوع الأذن فهي بالقشتالية El desorejado.

وتوسل بدلالة الأرض، ثم نزع إلى ملك **قشتالة**، واستقر مع **النصارى**، ثم انصرف إلى بقية **اللمتونيين**[1] **بالأندلس**؛ بعد شفاعة وإظهار توبة. ولما وُليَ **يحيى بن غانية قرطبة**، إرتسم لديه برسمه. ثم كانت الفتنة عام تسعة وثلاثين[2]؛ وثار[3] **ابن حَمْدين**[4] **بقرطبة**، وتسمى بأمير المؤمنين؛ فبعثه رسولا ثقة بكفايته ودربته وعُجْمة لسانه؛ لمحاولة الصلح بينه وبين **ابن حَمْدين**، فأغنى ونبه قدره، ثم غلى مرجل الفتنة وكثر الثوار **بالأندلس**؛ فاتصل بالأمير **ابن عياض** بالشرق وغيره، إلى أن تمكن له الامتزاز[5] **بحصن شقوبش**، ثم تغلب على مدينه **شقورة**[6] وتملكها؛ وهي ما هي من النعمة؛ فغلظ أمره، وساوى **محمد بن مردنيش**[7]؛ أمير

---

[1] أي المرابطين؛ لأن لمتونة هي القبيلة الغالبة في حلف صنهاجة الجنوب؛ فاشتهر الجميع باسم اللمتونيين.

[2] 539هـ/1144م.

[3] كلمة ((ثار)) سقطت في ك.

[4] في ج: ((ابن أحمدين))، وفي ك: ((ابن أحمد))؛ وهذا كله تحريف. لأن الصحيح ((ابن حمدين))؛ وهو القاضي أبو جعفر بن حمدين بن محمد ابن علي بن حمدين؛ ثار في قرطبة، وتسمى بالمنصور بالله؛ اصطدم في البداية بابن هود؛ ولكن نهاية حكمه كانت بيد ابن غانية المسوفي المرابطي.

[5] أي الامتناع.

[6] عرفت من قبل.

[7] سبق التعريف به.

الشرق وداخله، حتى عقد معه صهراً على ابنته؛ فاتصلت له الرياسة والإمارة. وكان يعد سيفاً لصهره المذكور، مسلطاً على من عصاه، فقاد الجيوش، وافتتح البلاد إلى أن فسد ما بينهما، فتفاتنا وتقاطعا، وانحاز بما لديه من البلاد والمعاقل، وعد من ثوار **الأندلس** أولي الشوكة الحادة، والبأس الشديد، والشبا المرهوب. وآثاره بعد انقباض دولته تشهد بما تأثل من ملك وسلف من الدولة والدار الآخرة خير لمن اتقى. قال ابن صفوان[1]:

وديـــار شكـــوى الزمـــان فَتَشْـــكُ[2]
حدَّثتنـــا عـــن عـــزّة ابـــن هَمُشـــك

حالــه

قال **محمد بن أيوب بن غالب**؛ المدعو **بابن حمامة**:
أبو إسحاق الرئيس؛ شجاع بُهْمة من البُهم [3]. كان رئيساً رئيساً شجاعاً مقداماً شديد الحزم، سديد الرأي، عارفاً

---

[1] هذا البيت من البحر الخفيف.
[2] في المخطوطين: ((فتشبك)).
[3] البهمة: هي الصخرة الصماء الصامتة. تطلق كصفة على الشجاع الغامض الذي لا يفهم.

بتدبير الحرب، حميّ الأنف، عظيم السطوة، مشهور الإقدام [مرتكباً للعظيمة][1]، قال بعض من عرف به من المؤرخين، وهو وإن كان قائد فرسان، هو حليف فتنه وعدوان، ولم يصحب قط متشرعاً، ولا نشأ في أصحابه من كان متورعاً، سلطه الله على الخلق، وأملى له فأضر بمن جاوره من أهل البلاد، وحُبِّب إليه العيث في العباد.

سيرته

كان جباراً قاسياً، فظاً غليظاً، شديد النكال، عظيم الجرأة والعبث بالخلق، بلغ من عيثه[2] فيهم، إحراقهم بالنّار، وقذفهم من الشّواهق والأبراج، وإخراج الأعصاب والرِّباطات عن ظهورهم، عن أوتار القِسِيّ بزعمه، وضم أغصان الشجر العادي بعضها إلى بعض، وربط الإنسان بينها[3]، ثم تسريحها، حتى يذهب كل غصن بحظه من

---

[1] في ك؛ فكتبت: ((**مرتكب العظمة**)). أما في ج فقد حرفت فكتبت: ((**مرتبكاً للطيمة**)).
[2] في ج: ((عبثه))، وفي ك: ((غشه)).
[3] في ج: ((بينهما)).

الأعضاء. ورآه بعض الصالحين في النوم بعد موته، وسأله: ما فعل الله بك فأنشده[1]:

من سره العيش في الدنيا بخلقــة من
يصور الخلق في الأرحام كيف يشـــا
فليصبر اليوم صبري تحت بطشتــه
مغللا[2] يمتطي جمر الغضـــا فرشـــا

شجاعته

زعموا أنه خرج من المواضع التي كانت لنصره متصيداً، وفي صحبته محاولو اللهو[3]، وقارعو أوتار الغناء[4]، في مائة من الفرسان، ونقاوة أصحابه؛ فما راعهم إلا خيل العدو هاجمة على غرة، في مائتي[5] فارس ضعف عددهم، فقالوا: العدو في مائتي فارس، فقال: وإذا كنتم[6] أنتم لمائة، وأنا لمائة، فنحن قدرهم، فعد نفسه بمائة. ثم استدعى قدحاً من شرابه، وصرف

[1] هذه الأبيات من بحر البسيط
[2] في ج: ((مغلا)).
[3] في ج: ((الهوى)).
[4] في المخطوطين، والملكية: ((أوتار غنى)).
[5] حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((مائتين)).
[6] في المخطوطين: ((كان))؛ فصوبها عنان.

وجهه إلى المغني، وقال: أعد[1] لي تلك الأبيات، كان يغنيه بها فتعجبه[2]:

يتلـــقى النـــدا بوجـــهٍ حـــيّ
وصـــدور القنـــا بوجـــه وقـــاح
هكـــذا هكـــذا تكـــن المعـــالي
طـــرق الجـــد غير طـــرق المـــزاح

فغناه بها، واستقبل العدو، وحمل عليه بنفسه وأصحابه، حملة رجل واحد؛ فاستولت على العدو الهزيمة، وأتى على معظمهم القتل، ورجع غانماً إلى بلده. ثم ضربت الأيام، وعاود التصيد في موضعه ذلك، وأطلق بازه على حجلة، فأخذها وذهب ليذكيها؛ فلم يحضره خنجر ذلك الغرض في الوقت. فبينما هو يلتمسه؛ إذ رأى نصلاً من نصال المعترك؛ من بقايا يوم الهزيمة؛

---

[1] في المخطوطين: ((عد)).
[2] هذه الأبيات من بحر الخفيف.

فأخذه من التراب، وذبح به الطائر، ونزل واستدعى الشراب، وأمر المغني فغناه بيتي **أبي الطيب**[1]:

تذكـــرت ما بيـــن العذيـــب وبـــارقٍ
مجر عوالينـــا ومجـــرى السوابـــق
وصحبـــة قـــوم يذبحـــون قنيصهـــم
بفضلات[2] ما قد كسّروا في المفـــارق

وقد رأيت من يروي هذه الحكاية عن أحد أمراء **بني مردنيش**، وعلى كل حال فهي [من][3] مستظرف الأخبار.

دخوله غرناطة

قالوا: وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة[4]؛ في جمادى الأولى منها؛ قصد **إبراهيم بن همشك** بجمعه مدينة **غرناطة**، وداخل طائفة من ناسها، وقد تشاغل **الموحدون** بما دهمهم من اختلاف الكلمة عليهم **بالمغرب**،

---

[1] هذان البيتان من البحر الطويل.
[2] في الديوان: ((بفظة)).
[3] سقطت في المخطوطين؛ وأضافها عنان.
[4] الموافق لـ 1160م. من خلال ما ذكره ابن الخطيب نفسه في كتاب إعمال الأعلام؛ يفهم أن هذه المعركة حدثت في جمادى الأولى من سنة 557هـ

وتوجه الوالي **بغرناطة السيد [أبي]**[1] **سعيد** إلى **العدوة**؛ فاقتحمها ليلاً؛ واعتصم **الموحدون** بقصبتها؛ فأجاز بهم[2] بأنواع الحرب، ونصب عليهم المجانيق، ورمى فيها من ظفر به منهم وقتلهم بأنواع من القتل. وعندما اتصل الخبر **بالسيد أبي سعيد**؛ بادر إليها فأجاز البحر، والتف[3] به السيد **أبو محمد** [**بن]**[4] **أبي حفص** بجميع جيوش **الموحدين والأندلس**، ووصل الجميع إلى ظاهر **غرناطة**، وأصحر إليهم **ابن همشك**، وبرز منها، فالتقى الفريقان **بمرج الرقاد**[5] من خارجها، ودارت الحرب بينهم؛ فانهزم جيش **الموحدين**، واعترضت الفل تخوم الفدادين[6]، وجداول المياه المياه التي تتخلل المرج[7]؛ فاستولى عليهم القتل، وقتل في في الوقيعة **السيد أبو محمد**، ولحق **السيد أبو سعيد**،

[1] حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((أبو)).
[2] في ج، والملكية: ((لهم)).
[3] وردت هكذا في ج؛ بينما بقي ـ في موضعها ـ بياض في ك.
[4] ((بن)) سقطت في ج:
[5] يسمى هذا الموضع Majorrocal؛ ويقع خارج غرناطة؛ ولا يبعد كثيرا عن قرية الطرف Atarfe؛ على سفح جبل إلبيرة Sierra Elvira؛ وبالقرب من نهر شنيل.
[6] أي المزارع والبساتين.
[7] مرج غرناطة La Vega.

بمالقة، وعاد **ابن همشك** إلى **غرناطة**؛ فدخلها بجملةٍ من أسرى القوم؛ أفحش فيهم المثلة، بمرأى من إخوانهم المحصورين، واتصل الخبر بالخليفة **بمراكش**، وهو بمقربة[1] **سلا**؛ قد فرغ من أمر عدوه[2]؛ فجهز جيشاً، أصحبه **السيد أبا يعقوب** ولده، والشيخ **أبا يوسف بن سليمان** زعيم وقته، وداهية زمانه، فأجازوا البحر والتقوا[3] **بالسيد أبي سعيد بمالقة**، وتتابع الجمع، والتف بهم من أهل[4] الجهاد من المطوعة، واتصل منهم السير إلى **قرية دِلَر[5]**؛ من قرى **غرناطة**، وكان من استمرار الهزيمة على **ابن همشك** الذي أمده بنفسه[6] وجيشه، من **نصارى** وغيرهم، وغيرهم، ما يأتي ذكره عند اسم **ابن مردنيش** في **الموحدين**؛ في حرف الميم؛ بحول الله تعالى.

---

[1] في ج: ((بقربة))، وفي الملكية: ((وهو بقربة من)).
[2] في ك: ((عوده)).
[3] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((وتلقوا))؛ وصوبها عنان.
[4] سقطت في ك.
[5] Dilar بالإسبانية. وهي من قرى غرناطة؛ وبقيت إلى الآن.
[6] في ج: ((أمره بنفسه))، وفي ك: ((أمره لنفسه)).

إنخلاعه للموحدين

عما بيده، وجوازه للعدوة، ووفاته بها

قالوا: ولما فسد ما بينه وبين **ابن مردنيش**؛ بسبب بنته التي كانت تحت الأمير **أبي محمد بن مردنيش** إلى أن طلقها، وانصرفت إلى أبيها، وأسلمت إليه ابنها منه، مختارة كنف أبيها **إبراهيم**، نازعة في انصرامه إلى عروقها. فلقد حكي أنها سئلت عن ولدها، وإمكان صبرها عنه؛ فقالت: جرو كلبٍ، جرو سوءٍ، من كلب سوءٍ؛ لا حاجة لي به، فأرسلت كلمتها في نساء **الأندلس** مثلاً، فاشتدت بينهما الوحشة والفتنة، وعظمت المحنة، وهلك بينهما من الرعايا المرورين، المضطرين، بقنينه الثوار[1]؛ ممن شاء الله بهلاكه؛ إلى أن كان أقوى الأسباب في تدمير[2] ملكه. ولما صرف **ابن سعد** عزمه إلى بلاده، وتغلب على كثير منها، خدم **ابن همشك الموحدين** [ولاذ بهم][3] واستجارهم؛ فأجاز البحر، فقدم على الخليفة عام

---

[1] أي حضيرة الثوار.

[2] حرفت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فكتبت: ((تدبير)).

[3] سقطت هذه العبارة في ك.

خمسة وستين وخمسمائة[1]، وأقره بمواضعه، إلى أوائل عام أحد وسبعين[2]؛ فطولب بالانصراف إلى **العدوة** بأهله وولده، وأسكن **مكناسة**، وأقطع بها سآماً[3] لها خطر، واتصلت تحت عنايته إلى أن هلك.

وفاتــه

قالوا: واستمر[4] مقام **ابن همشك بمكناسة**؛ غير كبير، وابتلاه الله بفالج غريب الأغراض، شديد سوء المزاج، إلى أن هلك؛ فكان يدخل الحمام الحار؛ فيشكو حرَّه بأعلى صراخه؛ فيخرج فيشكو البرد كذلك؛ إلى أن مضى سبيله[5].

***

[1] الموافق لـ 1169م.
[2] الموافق لـ 1175م.
[3] أي إقطع بها إبلاً؛ لأن السوام والسائمة هي الإبل الراعية.
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وأسمرت)).
[5] حدثت وفاة ابن همشك في 572هـ/1176م.

إبراهيم

ابن أمير المسلمين أبي الحسن ابن أمير المسلمين أبي سعيد
عثمان ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق؛
يكنى أبا سالم.

أوليته

الشمس تخبر[1] عن حلًى[2] وعن حُلَلِ. فهو البيت الشهير، والجلال الخطير، والملك الكبير، والفلك الأثير ملاك المسلمين، وحماة الدين، وأمراء **المغرب** الأقصى **من بني مرين**[3]، غيوث المواهب، وليوث العرين[4]، ومعتمد الصريخ، وسهام الكافرين. أبوه السلطان **أبو الحسن**، الملك الكبير، البعيد[5] شأو الصيت والهمة والعزيمة، والتحلّي بحُلَى السنة، والإقامة لرسوم الملك، والاضطلاع بالهمة، والصبر عند الشدة. وأخوه أمير المسلمين؛ فَذْلَكَة

---

[1] في المخطوطين: ((تتكر))، وفي الملكية: ((يمكن))؛ وصوبت من: ت، والزيتونة.
[2] في الملكية: ((حال)).
[3] بنو مرين قبيلة أمازيغية؛ من فرع البتر الزناتيين؛ توصلوا إلى إقامة دولتهم في المغرب الأقصى؛ على أنقاض الدولة الموحدية سنة 669هـ/1269م؛ فاتخذوا مدينة فاس عاصمة لدولتهم. وقد سبق الإشارة إليهم.
[4] حرفت في ك؛ فكتبت: ((الغر)).
[5] في ك: ((المعتد)).

الحسب، ونير النَّصَبة، وبدرة المعدن، وبيت القصيد، **أبو عنان فارس** الملك الكبير، العالم المتحبر، العامل النظار الجواد، الشجاع، القَسْوَر، الفصيح، مدد السعادة، الذي خرق الله [به][1] سياج العادة، فما عسى أن يطلب اللسان، وأين تقع العبارة، وماذا يحصر الوصف، عين هذا المجد فوارة، وحسب هذا الحسب اشتهاره، قولا بالحق، وبعداً عن الإطراء، ونشراً للواء النصفة، حفظ الله [على][2] الإسلام ظلهم، وزين ببدور الدين والدنيا هالتهم، وأبقى الكلمة فيمن اختاره منهم.

حالــه

كان شاباً[3] كما تطلع وجهه، حسن الهيئة، ظاهر الحياء والوقار، قليل الكلام، صليفة عن اللفظ، آدم اللون[4]، ظاهر السكون والحيرية والحشمة، فاضلاً، متخلقاً، قدمه أبوه، أمير الرتبة، موفي الألقاب، بوطن

---

[1] هذه الكلمة أضافها عنان.
[2] سقطت في ج.
[3] في المخطوطين: ((شبا)).
[4] أي لونه أسمر.

سجلماسة، وهي عمالة ملكهم[1]، فاستحق الرتبة في هذا الباب بمزيد هذه الرتبة المشترط لأول تأليفه. ولما قبضه الله عليه، واختار له ما عنده، أحوج ما كانت الحال إلى من ينظم الشّت، ويجمع الكلمة، ويصون الدما سبحانه[2] أحوج ما كانت الدنيا إليه، وصير [إلى وارثه طواعية][3] وقسراً ومستحقاً وغلاباً، وسلماً، وذاتاً وكسباً، السلطان أخيه، تحصل هو [وأخ له][4] اسمه **محمد**، وكنيته **أبو الفضل**، يأتي التعريف بحاله في مكانه إن شاء الله، فأبقى[5]، وأغضى، واجتنب الهوى، وأجاب داعي البر والشفقة والتقوى، فصرفهما إلى **الأندلس**، باشرت إركابها البحر بمدينة **سلا** ثاني اليوم الذي انصرفت من بابه، وصدرت عن بحر جوده، وأفضت بإمامة عنايته، مصحباً بما يعرض[6] لسان الثناء من صنوف كرامته، في

---

[1] في المخطوطين: ((ملك)).
[2] وردت في ج؛ بينما بقي في موضعها بياض في ك.
[3] حرفت هذه العبارة في ج؛ فكتبت: ((إلى وازنه طواعية))؛ بينما وجد مكانها بيض في ك.
[4] في ت: ((أخوه)).
[5] في المخطوطين: ((فأنفى))؛ وصوبت من ت.
[6] في ك: ((يخرس)).

غرض السفارة عن السلطان **بالأندلس**، تغمده الله برحمته، ونزل **مربلة**[1] من **بلاد الأندلس** المصروفة إلى نظره، واصلاً السير إلى **غرناطة**.

دخوله غرناطة

قدم هو وأخوه عليها، يوم عشرين من جمادى الأولى، من عام اثنين وخمسين وسبعمائة[2]. وبرز السلطان إلى لقائهما، إبلاغاً في التَّجلة، وانحطاطاً في ذمة[3] التخلق، فسعياً إلى مرتجلين، وفاوضهما[4]، حتى قضيت الحقوق، واستفرجت[5] تفقده وجرايته، وخلا بأحظى الأمكنة، واحتفيا[6] في سرير مجلسه مقسومٌ بينهما الحظ، من هشته ولحظته. فأما **محمد** فسولت له نفسه الأطماع، واستفزته الأهواء، أمراً كان قاطع أجله، وسعد

---

[1] حرف اسم هذ البلدة في النسخ الأربع: ففي ك: ((جربلة))، وفي ج: ((جذبلة))، وفي ت، والملكية: ((جرية)). والمقصودة في الغالب هي بلدة مربلة؛ وهي ثغر في جنوب الأندلس؛ وكانت آنئذ من الثغور الأندلسية الواقعة تحت سلطة المرينيين. وقد سبقت الإشارة إليها.

[2] الموافق لـ 1351م.

[3] حرفت في ت؛ فكتبت: ((نعمة))، وفي ك: ((دست)).

[4] في ك: ((قارضهما)).

[5] في ج: ((واستقرحت))، وفي ك: ((استقرج))؛ وصوبت من ت، والملكية.

[6] في ت، ج: ((واختفيا))، وفي المخطوطين: ((اختفى)).

أخيه اختاره الله من دونه. وأما **إبراهيم** المترجم به؛ فجنح إلى أهل[1] العافية، بعد أن ناله اعتقال، بسبب إرضاء أخيه أمير المسلمين **فارس**، في الأخريات لشهر ذي الحجة؛ من عام تسعة وخمسين وسبعمائة[2]، وتقديم ولده الصبي، المكنى **بأبي بكر**، المسمى **بسعيد**؛ لنظر وزيره في الحزم والكفاية، حركه الاستدعاء، وأقلقته[3] الأطماع وهبّ به السائل[4]. وعرض بغرضه إلى صاحب [الأمر][5] **بالأندلس**، **بالأندلس**، ورفق عن صبوحه، فشكا إلى غير مصمت؛ فخرج من الحضرة ليلا من بعض مجاري المياه، راكباً للخطر، في أخريات جمادى الأولى؛ من العام؛ بالحضرة المكتبة الجوار، من ثغور العدو، ولحق **بملك قشتالة**، وهو يومئذ **بإشبيلية**؛ قد شرع في تجريةٍ إلى عدوه من **برجلونه**[6]، فطرح عليه نفسه، وعرض عليه مخاطبات استدعائه، ودس له المطامع المرتبطة بحصول غايته؛ فقبل

---

[1] في النسخ الثلاث: ((أصل))؛ وصوبها عنان.
[2] الموافق لـ 1357م.
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((قلقه))، وفي ت: ((وقلعت)).
[4] في ج، والملكية: ((الرسائل)).
[5] سقطت هذه الكلمة في ك.
[6] وهي برشلونة؛ عاصمة مملكة أراغون. سبق التعريف بها.

سعايته، وجهز له جفناً من أساطيله، أركب فيه، في طائفة تحريكه، وطعن بحر **المغرب** إلى **ساحل أزمور**[1]؛ وأقام به منتظراً إلى إنجاز المواعد، ممن **بمراكش**؛ ، فألفى [الناس][2] قد حطبوا في حبل **منصور بن سليمان**، وبايعوه بجملتهم؛ فأخفق مسعاه، وأخلف ظنه، وقد أخذ **منصور** بمخنق **البلد الجديد؛ دار ملك فاس**[3]، واستوثق له الأمر، فانصرف الجفن أدراجه. ولما حاذى **لبلاد غمارة** من **أحواز أصيلاً**[4]؛ تنادوا به[5] قومٌ منهم. وانحدروا إليه، ووعدوه الوفاء له؛ فنزل إليهم، واحتملوه فوق أكتادهم، وأحدقوا[6] به في سفح[7] جبلهم، وتنافسوا في الذب عنه، عنه، ثم كبسوا[8] **أصيلاً**؛ فملكوها [وضيق **بطنجة]**[9]، فدخلت في أمره، واقتدت بها **سبتة**، **وجبل الفتح**؛

---

[1] أزمور بلدة في المغرب الأقصى تطل على المحيط الأطلسي شمال مراكش.
[2] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين، ووردت في ت.
[3] حرفت في ج؛ فكتبت: ((دار ملك فارس)).
[4] هي مدينة مغربية تقع جنوب طنجة على ساحل المحيط الأطلسي.
[5] في ج: ((تنادر)).
[6] في المخطوطين: ((وأحزنوا))؛ وصوبت من ت.
[7] في ك: ((سطح)).
[8] حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((كسبوا)).
[9] في المخطوطين: ((وصينوا لطنجة))؛ وهذا تحريف.

واتصل به بعض الخاصة، وخاطبة الوزير المحصور، وتخاذل أشياع **منصور**؛ فخذلوه[1]، وفروا عنه جهاراً، بغير بغير علة، وانصرفت الوجوه إلى السلطان **أبي سالم**؛ فأخذ بيعاتهم عفوا[2]، ودخل البلد المحصور، وقد تردد بينه بينه وبين الوزير المحصور، مخاطبات في رد الدعوة إليه. فدخل البلد يوم الخميس خامس عشرة[3] شعبان من عام التاريخ، واستقر[4] وجدد الله عليه أمره، وأعاد ملكه، وصرف عليه حقه، وبلى[5] هذا الأمير من سير الناس إلى إلى تجديد عهد أبيه، وطاعتهم إلى أمره، وجنوحهم إلى طاعته، وتمني مدته، حال غريبة، صارت عن كثبٍ إلى أضدادها؛ فصرف ولده إلى اجتثاث شجرة أبيه، فالتقط من الصبية بين مراهق ومحتلم ومستجمع، طائفة تناهز العشرين، غلماناً رَدَنَة، قتلوا إغراقاً من غير شُفْعَة[6] توجب إباحة قطرة من دمائهم، ورأى أن قد] خلا له

---

[1] في ك: ((فغدروه)).
[2] نفسه: ((عنوا)).
[3] صححها د. طويل؛ فجعلها: ((عشر)).
[4] في ت: ((واستنقد)).
[5] نفسه: ((وأخذ)).
[6] في ج، و ت: ((شفقة)).

الجو][1]؛ فتواكل، وآثر الحجبة، وأشرك الأيدي في ملكه، فاستبيحت أموال الرعايا، وضاقت[2] الجبايات، [وكثرت الظلامات][3]، وأخذ الناس حرمان العطاء، وانفتحت أبواب الإرجاف، وحدت أبواب القواطع، إلى أن كل من أمره ما هو معروف. وفي أول من شهر رجب؛ عام واحد وستين وسبعمائة[4]، تحرك الحركة العظمى إلى **تلمسان**؛ وقد استدعى الجهات، وبعض البلاد، ونهد في جيوش؛ تجر الشوك والحجر؛ ففر سلطانها أمام عزمه[5]، وطار الذعر بين يدي الضلالة، وكنا قد استغثنا القرار في إيالته[6]، وانتهى بنا الإزعاج إلى ساحل **سلا**؛ من ساحل مملكته، فخاطبته وأنا يومئذٍ مقيم بتربة أبيه؛ متذممٌ بها؛ في سبيل استخلاص أملاكي **بالأندلس**؛ في غرض التهنئة والتوسل: ((مولاي فتاح الأقطار والأمصار، فائدة الزمان

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((حلا له الحق)).
[2] في ج: ((وضويقت))، وفي ك: ((وصربقت)).
[3] حرفت هذه العبارة في المخطوطين؛ فكتبت: ((وكثر الظلمات)).
[4] الموافق لـ 1359م.
[5] في ت: ((العزم)).
[6] نفسه: ((أظلته)).

والأعصار، أثير هبات الله الآمنة من الاعتصار، قدوة أولى الأيدي والأبصار)).

وفاتــه

وفي ليلة العشرين من شهر ذي قعدة؛ من عام اثنين وستين وسبعمائة[1]، ثار عليه بدار الملك، وبلد الإمارة المعروف **بالبلد الجديد**[2]، من **مدينة فاس**؛ الغادر[3] مخلفه عليها **عمر بن عبد الله بن علي**؛ نسمة السوء، وجملة الشؤم، المثل البعيد في الجرأة على قدر، اهتبل[4] غرة انتقاله، إلى القصر السلطاني، بالبلد القديم، مُحْتولاً إليه حَذِراً من قاطع فكليّ [الجدر منه][5]؛ استعجله ضعف نفسه، وأعانه على فرض صحته به، وسد الباب في وجهه، ودعا الناس إلى بيعة أخيه المعتوه، وأصبح حائراً

---

[1] الموافق لـ 1360م.

[2] هكذا في ت، أما في المخطوطين فكتب: ((البلد الجديد القديم))؛ وعلى كلمة القديم علامة تدل على الشك؛ لذا فقد رأى عنان أن الصواب ما أثبته في النص.

[3] في المخطوطين: ((العاد))، وفي ت: ((المعادي))، وفي الملكية: ((الغادي))؛ فصوبها عنان.

[4] أي احتال واغتنم الفرصة.

[5] في ت: ((الجد رقية)).

بنفسه، يروم استرجاع أمر ذهب من يده، ويطوف بالبلد، يلتمس وجهاً إلى نجاح حيلته[1]، فأعياه ذلك ورشقت من معه السهام، وفرت عنه الأجناد والوجوه، وأسلمه الدهر، وتبرأ منه الجد. وعندما جن عليه الليل، فرّ على وجهه، وقد التفت عليه الوزراء، وقد سُفِّهَت أحلامهم، وفالت آرائهم، ولو قصدوا به بعض الجبال المنيعة، لَوَلّوا وجوههم شطر مظنة الخلاص، واتصفوا بعذار الإقلاع[2]، ولكنهم نكلوا عنه، ورجعوا أدراجهم، وتسللوا راجعين إلى بَرِّ غادِرِ الجملة، وقد سلبهم الله لباس الحياء والرجلة[3]، وتأذن الله لهم بسوء العاقبة، وقصد بعض بيوت البادية، وقد فضحه نهار الغداة[4]، واقتفى البعث[5] أثره، حتى وقعوا عليه، وسيق إلى مصرعه، وقتل بظاهر البلد، ثاني اليوم الذي كان غدر فيها، جعلها الله له شهادة ونفعه بها[6]، فلقد كان بقية البيت، وآخر القوم،

---

[1] في المخطوطين: ((حليه)).
[2] في ج: ((بعذار الإبلاغ))، وفي ت: ((بعذر الإبلاغ)).
[3] في النسخ الثلاث: ((الرحلة)). ومعنى الرجلة هي: الرجولة.
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((العدو)).
[5] في ج: ((اتبعت))؛ بينما سقطت في ت، والملكية.
[6] **ذكرت في المخطوطين؛ وسقطت في ت.**

دماثة وحياء، وبعداً عن الشر، وركوناً للعافية. وأنشدت على قبره الذي ووريت به جثته **بالقلعة** من ظاهر المدينة، قصيدة أديت فيها بعض حقه[1]:

بـــني الدنيـــا بـــني لمـــع الســـراب
لُـــدُّوا للمـــوت وابنـــوا للخـــراب

***

[1] هذا البيت من بحر الوافر.

إبراهيم بن يحيى

ابن عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي؛ أبو إسحاق

أمير المؤمنين **بتونس وبلاد إفريقية**؛ ابن الأمير **أبي زكريا**؛ **أمير إفريقية**، وأصل الملوك المتأثلين العز بها، والفرع الذي دوح بها، من فروع **الموحدين بالمغرب**، واستجلابه بها **أبا محمد عبد المؤمن بن علي**، أبا الملوك من قومه؛ وتغلب ذريته على **المغرب وإفريقية والأندلس** معروف كله؛ يفتقر بسطه[1] إلى إطالة كثيرة، تخرج عن الغرض. وكان جد هؤلاء الملوك من أصحاب **المهدي**، في العشرة الذين [هبوا لبيعته][2] وصحبوه في غربته، **أبو حفص، عمر بن يحيى**، ولم يزل هو وولده[3] من بعده مرفوع القدر معروف الحق. ولما صار الأمر **للناصر**[4] **أبي**

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((سبطة)).

[2] في ج: ((هبوا لليعته))، وفي ت: ((هيوه البيعة))، وفي الملكية: ((هبة البيعة))؛ وكله تحريف.

[3] حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((ووالده)).

[4] هو أمير المؤمنين الناصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي حكم الدولة الموحدين من سنة 595هـ/1198م إلى سنة 610هـ/1213م.

عبد الله بن المنصور أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي؛ صرف وجهه إلى **إفريقية** ونزل **بالمهدية**، وتلوك[1] إليه **ابن غانية**[2] فيمن لفه من **العرب** والأوباش، في جيش يسوق الشجر والمدر، فجهز إلى لقائه عسكراً لنظر الشيخ **أبي محمد عبد الواحد**[3]، **بن أبي حفص**، جدهم الأقرب؛ فخرج من ظاهر **المهدية** في أهبة ضخمة، وتعبية[4] محكمة، والتقى الجمعان فكانت على **بن غانية**، الدايرة، ونصر الشيخ **محمد** نصراً لا كفاء له، وفي ذلك يقول **أحمد بن خالد** من شِعْر عندهم[5]:

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وقلول))، وفي ت، والملكيو: ((وأتى)).
[2] هو يحيى بن إسحاق بن محمد بن علي بن غانية المسوفي؛ المعروف بابن غانية الميورقي توفي سنة 633هـ/1236م. هو أحد أمراء بني غانية المرابطين الحاكمين في مايورقة وما يليها من جزر البليار. وبعد قيام الدولة الموحدية، وتغلبها على ملكهم؛ رفع لواء المقاومة ضدهم في المغرب الأوسط وإفريقية.
[3] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((أبي محمد بن عبد الواحد))؛ وفي ت: ((عبد المؤمن)) وهو تحريف أيضاً. أما أبو محمد؛ فهو عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي؛ أرسله الخليفة الموحدي الناصر إلى إفريقية والياً عليها؛ بغرض القضاء على ثورة ابن غانية في تلك الديار؛ ولما توفي سنة 618هـ/1221م؛ خلفه ابنه أبو زكرياء؛ فجاهر بالانفصال عن الدولة الموحدية، وأسس الدولة الحفصية.
[4] في المخطوطين، والملكية: ((وتبعية)).
[5] هذا البيت من البحر الطويل.

فتوحٌ بها شدت عرى الملك والديـــن
تراقـــب منـــا منكـــم غيـــر ممنـــون

وفتحت **المهدية** على هيئة ذلك الفتح، وانصرف **الناصر** إلى **تونس**، ثم تفقد البلاد، وأحكم ثقافها[1]، وشرع في الإياب إلى **المغرب**، وترجج عنده تقديم **أبي محمد بن أبي حفص** المصنوع له **بإفريقية**، على ملكها، مستظهراً منه بمضاء وسابقة وحزم، بسط يده في الأموال وجعل إليه النظر في جميع الأمور، سنة ثلاث وستمائة[2]، ثم كان اللقاء بينه وبين **ابن غانية** في سنة ست[3] بعدها، فهزم **ابن غانية**، واستولى على محلته، فاتصل سعده، وتوالى ظهره، إلى أن هلك مشايعاً لقومه من **بني عبد المؤمن**، مظاهراً بدعوتهم عام تسعة وعشرين وستمائة[4]. وولي أمره بعده، كبير ولده، **عبد الله**، على عهد

[1] أي تحصينها.
[2] الموافق لـ 1206م.
[3] 606هـ/1209م.
[4] الموافق لـ 1231م. في الحقيقة؛ حدثت وفاة أبي محمد عبد الواحد في سنة 618هـ/ 1221م. وليس كما ذكر ابن الخطيب.

المستنصر بالله بن الناصر من ملوكهم، وقد كان الشيخ **أبو محمد** زوحم، عند اختلال الدولة، **بالسيد أبي العلاء** الكبير، عم **أبي المستنصر** على أن يكون له اسم الإمارة **بقصبة تونس**، **والشيخ أبو محمد** على ما لسائر نظره، فبقي ولده **عبد الله** على ذلك بعد، إلى أن كان ما هو أيضاً معروف من تصير الأمر إلى **المأمون أبي العلاء إدريس**، ووقعه السيف في وجوه الدولة **بمراكش**، وأخذه بثَرَّة[1] أخيه وعمه منهم. وثار **أهل الأندلس** على **السيد أبي الربيع** بعده **بإشبيلية**؛ وجعجعوا[2] بهم، وأخذوا في التشريد بهم، وتبديد دعوتهم، واضطربت الأمور، وكثر الخلاف، ولحق الأمير **أبو زكريا** بأخيه **بإفريقية**، وعرض عليه الاستبداد، فأنف من ذلك، وأنكره عليه إنكاراً شديداً؛ خاف منه على نفسه، فلحق **بقابس** فاراً؛ واستجمع بها مع شيخها **مكي**، وسلف شيوخها اليوم من **بني مكي**؛ فمهد له، وتلقاه بالرحب، وخاطب له

[1] في ك: ((بترة)). والثرة؛ هي: الطعنة الواسعة، وجريان دمها كثير. يقصد بها هنا: الثأر لجريان دم أخيه الغزير.
[2] في ج، والملكية: ((وجمعوا)).

الموحدين سراً؛ فوعدوه بذلك، عند خروج **عبد الله** من **تونس** ؛إلى الحركة من جهة **القيروان**. فلما تحرك [نحوا عليه][1]، وطلبوا منه المال؛ وتلكأ فاستدعوا أخاه الأمير **أبا زكريا**؛ فلم يرُعه وهو قاعد في خبائه آمنٌ في سربه، إلا ثورة الجند به، والقبض عليه؛ ثم طردوه إلى **مراكش**، وقعد أخوه **الأمير أبو زكريا** مقعده، وأخذ بيعة الجند والخاصة لنفسه، مستبداً بأمره، ورحل إلى **تونس**؛ فأخذ بيعة العامة، وقتل **السيد** الذي كان بقصبتها؛ وقبض أهل **بجاية** ـ حين بلغهم الخبر ـ على واليها **السيد أبي عمران**، فقتلوه تغريقاً، وانتظمت الدولة[2]، وتأثل الأمر. وكان حازماً[3]، داهية مشاركا في الطلب أديباً راجح العقل، أصيل الرأي، حسن السياسة، مصنوعاً له، موفقاً في تدبيره، جبي الأموال[4]، واقتنى العدد، واصطنع الرجال، واستكثر من الجيش، وهزم **العرب**، وافتتح البلاد، وعظمت الأمنة بينه وبين الخليفة **بمراكش** الملقب **بالسعيد**؛

[1] في ك: ((نحوا عنه)).
[2] في ك: ((الدعوة)).
[3] أي الأمير أبو زكرياء الحفصي.
[4] في المخطوطين: ((مجبي)).؛ وصوبها عنان.

وعزم كل منهما على ملاقاة صاحبه، فأبى القدر ذلك، فكان من مهلك **السعيد** بظاهر **تلمسان**، ما هو معروف، واتصل **بأبي زكريا** هلك ولده ولي العهد **أبي يحيى ببجاية**؛ فعظم عليه حزنه، وأفرط جزعه، واشتهر من رثائه فيه قوله[1]:

ألا جــازعٌ يبــكي لفقــد حبيبــه
فإني لعمري قد أضـــر بي الثكــل
لقد كــان لي مــالٌ وأهــل فقدتهــم
فهأنـــا لا مالٌ لدي أهل ولا أهــل[2]
سأبــكي وأرثي حســرةً لفراقهــم
بكــاء قريــحٍ لا يمــل ولا يســل[3]
فلهفي[4] ليــوم فــرق الدهــر بيننــا
ألا فــرجٌ يرجى فينتظــم الشمــل

---

[1] هذه الأبيات من البحر الطويل.
[2] جعلها د. طويل: ((فها أنا لا مال لدَيّ ولا أهل))؛ وهذا أسلم.
[3] جعلها د. طويل: ((ولا يسلو))؛ وهو أسلم.
[4] في ج: ((فلهجي))؛ وصوبت من الملكية.

وإني لأرضـــى بالقضـــاء وحكمـــه
وأعلـــم ربي أنـــه حاكـــم[1] عـــدل

نسبه[2] **ابن عذاري ((المراكشي))** في **البيان المغرب**[3].

واعتل بطريقه فمات **ببلد العناب**؛ لانقضاء أربعة من مهلك **السعيد**؛ وكان موت **السعيد**، يوم الثلاثاء منسلخ صفر؛ سنة ست وأربعين وستمائة[4]. وبويع ولده **الأمير أبو عبد الله بتونس**؛ وسنه إحدى وعشرين سنة؛ فوجد ملكاً مؤسساً، وجنداً مجنداً، وسلطاناً قاهراً، ومالاً[5] وافراً؛ فبلغ الغاية في الجبروت والتيه والنخوة والصلف، وتسمى بأمير المؤمنين. وتلقب **بالمستنصر بالله**، ونقم[6] عليه أرباب دولته أموراً، أوجبت مداخلة عمه **أبي عبد الله بن عبد الواحد؛ المعروف باللحياني**؛ ومبايعته سراً

---

[1] في ج: ((حكم))؛ وما جاء في النص أسلم.
[2] في المخطوطين: ((نسب))، وفي الملكية: ((نسب ذا))؛ فصوبها عنان.
[3] نسب أبي عبد الله الناصر لدين الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي في البيان المغرب (القسم الخاص بالموحدين).
[4] الموافق لـ 1248 م.
[5] في المخطوطين: ((وآمالا)).
[6] في المخطوطين والملكية: ((ونظم))؛ والتصويب من ت.

بداره؛ وانتهى الخبر **للمستنصر**؛ فعاجل الأمر قبل انتشاره؛ برأي الحزمة من خاصته، **كابن أبي الحسين، وأبي جميل بن أبي الحملات بن مردنيش، وظافر الكبير**؛ وقصدوا دار عمه فكبسوها[1]، فقتلوا من كان بها، وعدتهم تناهز خمسين؛ منهم عمه؛ فسكن الإرجاف، وسلم المنازع، وأعطت مقادها[2]، واستمرت أيامه، وأخباره في الجود والجرأة، والتعاظم على ملوك زمانه، مشهورة. وكانت وفاته سنة أربع وسبعين وستمائة[3]. [وولي أمره][4] بعده؛ ابنه الملقب **بالواثق بالله**، وكان مضعوفاً؛ ولم تطل مدته.

عاد الحديث: وكان عمه المترجم، لما اتصل به مهلك أخيه **المستنصر**، قد أجاز البحر من **الأندلس**، ولحق **بتلمسان**، وداخل كثيراً[5]، من **الموحدين** بها، **كأبي هلال**، **هلال**، فهيأ له **أبو هلال** تملك **بجاية**، ثم تحرك إلى

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فجا مكسبوها)).
[2] في ك: ((مقالدها)).
[3] الموافق لـ 1275م.
[4] حرفت في ك؛ فكتبت: ((وأوامره)).
[5] في المخطوطين: ((كثير)).

تونس؛ فتغلب عليها، فقتل **الواثق**، وطائفة من إخوته وبنيه، منهم صبيٌ؛ يسمى **الفضل**، وكان أنهضهم[1]؛ واستبد بالأمر، وتمت بيعته **بإفريقية**، وكان من الأمر ما يذكر.

حاله

كان أيِّداً[2]، جميلاً وسيماً، ربعة بادنا، آدم اللون، شجاعاً بهمةً، عجلاً غير مراخٍ[3]، ولا حازم، منحطاً في هوى نفسه، منقاداً للذته، بريئاً من التشمت في جميع أمره. وولي الخلافة في[4] حال كبره، ووخطه الشيب، وآثر اللهو، حتى زعموا أنه فُقِد؛ [فَوُجِد][5] في مزرعة باقلاً مزهرةٍ؛ أُلْفِيَ فيها ـ بعد جهد ـ نائماً بينها، نشوان يتناثر[6] عليه سقطها، واحتجب عن مباشرة سلطانه، فزعموا أن

---

[1] ترك بياض في موضعها في ك.

[2] **يقصد: قوياً.**

[3] في ج: ((**مراحاً**))، وفي ك: ((**مرحاً**))، وصوبت من الملكية.

[4] في المخطوطين؛ كتب كلمة ((كل)) بعد ((في))؛ ولكونها زائدة؛ فقد تخلى عنها عنان؛ وخاصة وأنها سقطت أصلا في الملكية.

[5] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضيفت من ت.

[6] حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((يناثر)).

خالصته[1] [**أبا الحسن بن سهل**، داخل الناس بولده **أبي فارس**][2]، في خلعه، والقيام مكانه؛ وبلغه ذلك؛ فاستعد وتأهب، واستركب الجند، ودعا ولده، فأحضره ينتظر الموت من يمينه وشماله، وأمر للحين؛ فقتل وطرح بأزقة المدينة، وعجل بإزعاج ولده إلى **بجاية**، وعاد إلى حاله.

دخوله غرناطة

قالوا، ولما أوقع الأمير **المستنصر** بعمه **أبي عبد الله**؛ كان أخوه **أبو إسحاق**، ممن فرّ بنفسه إلى **الأندلس**، ولجأ إلى أميرها **أبي عبد الله بن الغالب بالله أبي عبد الله [بن]**[3] **نصر**، ثاني ملوكهم[4]؛ فنوه به، وأكرم نَزْله[5]، نَزْله[5]، وبوأه بحال عنايته، وجعل دار ضيافته لأول نزوله القصر المنسوب إلى **السيد**[6] خارج حضرته، وهو آثر

---

[1] في ت: ((خاصة)). والمقصود هو الصفي الخالص محلة الثقة.

[2] بين الحاصرتين؛ كتب في الملكية هكذا: ((أبا الحسن بن سهل الناس داخل ولده أبا فارس)).

[3] سقطت هذه الكلمة في النسخ الثلاث؛ فأضافها عنان.

[4] وهو السلطان محمد بن محمد بن نصر (ابن الأحمر)؛ الذي حكم من سنة 671هـ/1272م إلى سنة 701هـ/1302م. وهو معروف بلقب الفقيه؛ لمكانته في العلم، وتقواه. له ترجمة في اللمحة وأخرى في الإحاطة.

[5] في الملكية: ((مثواه)).

[6] ما زالت بقية من هذا القصر قائمة في غرناطة الحديثة؛ ويسميه الأسبان بقصر شنيل Alcazar Genil. بناه السيد أبو إسحاق الموحدي

قصوره لديه، وحضر غزوات أغزاها **ببلاد الروم**، فظهر منه في نكاية العدو وصدامه [سهولة وغناء][1].

ولما اتصل به موت أخيه؛ تعجل الانصراف، ولحق **بتلمسان**، وداخل منها كبيراً من **الموحدين**؛ يعرف **بأبي هلال بباجة**[2] كما تقدم، فملكه **أبو هلال** منها **بجاية**، ثم صعد[3] **تونس؛** فملكها، فاستولى على ملك ابن أخيه [وما ثم من ذمه][4]، وارتكب الوزر[5] الأعظم فيمن قتل معه، وكان من أمره ما يأتي ذكره إن شاء الله.

إدبار أمره

بهلاكه على يد **الدعي** الذي قيضه الله [لهلاك حينه][6] قالوا، واتهم بعد استيلائه على الأمر فتًى من أخِصَّاء[7] فتيان **المستنصر**، اسمه **نصير**، بمال وذخيرة،

ابن يوسف؛ الذي أسندت إليه ولاية غرناطة سنة 610هـ1213م. وفي أيام الدولة النصرية؛ أصبح هذا القصر ـ المتواجد خارج مدينة غرناطة ـ قصراً للضيافة.

[1] حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((وسهولة عنا)).

[2] في الملكية: ((وداخل منها كثيرا من الموحدين كأبي هلال ببجاية)). وكلمة باجة في النص هنا حرفت؛ فكتبت: ((بجاية)).

[3] في المخطوطين: ((صمد)). وهو تحريف.

[4] في ج، والملكية: ((وما ثم من دمه)).

[5] حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((الوزير)).

[6] في ت: ((بهلاك حينه)).

[7] في ت: ((خصيات)).

وتوجه إليه طلبه، ونال منه. وانتهز الفتى فرصةً لحق فيها **بالمغرب** واستقر [**بحلال المراعمة**[1] من **عرب دباب**؛ وشارع الفساد عليه، بجملة جهده، حريصاً على إفساد أمره، وعثر لقضاء الله وقدره بدَعِيٍّ[2] من **أهل بجاية** يعرف **بابن أبي عمارة**. حدثني الشيخ المسن الحاج **أبو عثمان اللواتي** من عدول المياسين[3] متأخر الحياة إلى هذا العهد، قال: خضت[4] مع **ابن أبي عمارة** ببعض الدكاكين **بتونس**، وهو وهو يتكهن لنفسه ما آل إليه أمره، ويعد بعض ما جرى به القدر، وكان أشبه الخلق بأحد الصبية الذين ماتوا[5] ذبحاً، بالأمير **أبي إسحاق**، وهو **الفضل**؛ فلاحت **لنصير** وجه حيلته[6]؛ فبكى حين رآه، وأخبره بشبهه بمولده، ووعده الخلافة؛ فحرك نفساً مهيأة[7] في عالم الغيب المحجوب إلى ما أبرزته المقادر[8]، فوجده منقاداً لهواه،

---

[1] في ت: ((بحلال المراعة)).
[2] في المخطوطين: ((يعمي))، وف ت: ((بد))؛ وكله تحريف.
[3] يرجح عنان؛ أن هذا الاسم هو لموضع ما؛ وذكر أن بمراكش حي يسمى ((المواسين)).
[4] في المخطوطين: ((حطت))، وفي ت: ((خطت))؛ وصوبها عنان.
[5] في المخطوطين، والملكية: ((توا))؛ ويبدو أنه سهو.
[6] في ج: ((حيلمة))، وفي ((حيلة))، وفي ت: ((حليته))،
[7] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ميهات)).
[8] حرفت في ت؛ فكتبت: ((المقابر)).

فأخذ في تلقينه ألقاب الملك، وأسماء رجاله، وعوايده، وصفة قصوره، وأطلعه على إماراتٍ جرت من **المستنصر** لأمراء **العرب**، سراً كان يعالجها **نصير**. وعرضه على **العرب**، بعد أن أظهر العويل، ولبس الحداد، وأركبه، وسار بين يديه حافياً حزناً لما ألفاه عليه من المضيعة، وأسفاً لما جرى عليه، فبايعته **العرب** النافرة، وأشادوا بذكره، وتقووا بما قرره من إمارته فعظم أمره، واتصل **بأبي إسحاق** نبأه؛ فبرز إليه ـ بعد استدعاء ولده من **بجاية** ـ فالتقى الفريقان، وتمت على **الأمير أبي إسحاق** الهزيمة، واستلحم الكثير ممن كان معه، وهلك ولده، ولجأ أخوه الأمير **أبو حفص لقلعة سنان**، وفرّ هو لوجهه؛ حتى لحق **ببجاية**، وعاجله **ابن أبي عمارة**؛ فبعث جريدة من الجند[1] لنظر أشياخ من **الموحدين**، وأغرت[2] إليهم الإيقاع؛ فوصلت[3] إلى **بجاية**؛ فظن من رآه من الفل المنهزم، فلم يعترضه معترض عن **القصبة**. وقبض على الأمير **أبي**

---

[1] حرفت في ت؛ فكتبت: ((الحبر))،

[2] في المخطوطين: ((أوغرت))؛ وصوبت من ت.

[3] نفسه: ((فوصل))؛ فصوبت من ت.

إسحاق؛ فطوقه الحمام، واحتز رأسه، وبعث إلى **ابن أبي عمارة** به، وقد دخل **تونس**، واستولى على ملكها، وأقام سنين ثلاثة، أو نحوها؛ [في][1] نعماء لا كفاء له، واضطلع بالأمر، وعاث في بيوت أمواله، وأجرى العظائم على نسائه ورجاله؛ إلى أن فشا أمره، واستقال[2] الوطن من تمرُّته[3] فيه، وراجع[4] أرباب الدولة بصايرهم في شأنه، ونَهَدَ[5] إليه الأمير **أبو حفص**؛ طالباً بثأر أخيه؛ فاستولى، ودحض عاره، واستأصل شأفته، ومثل به، والملك لله، الذي لا تزن الدنيا جناح بعوضة عنده. وفي هذا قلت عند ذكر **أبي حفص**؛ في **الرجز** المسمى **بنظم الملوك**[6]؛ المشتمل على دول الإسلام أجمع؛ على اختلافها إلى عهدنا. فمنه في ذكر **بني حفص**[7]:

---

[1] ذكرت في ت، وأغفلت في الملكية، ؛ بينما كتب في موضعها في المخطوطين: ((سك)).
[2] في ت: ((استقل)).
[3] في النسخ الثلاث: ((ثمرته))؛ فصوبها عنان.
[4] في ت: ((وراجعت)).
[5] في ت، وفي الملكية: ((نهض)).
[6] عنوان هذا الكتاب: رقم الحلل في نظم الدول؛ لابن الخطيب.
[7] هذه المنظومة من بحر الرجز.

أولهـــم يحيى بن عبـــد الواحـــد
وفضلهـــم ليـــس له من جاحـــد
وهـــو الـــذي استبـــد بالأمـــور
وحازهـــا ببيعـــة   الجمهـــــور
وعظمـــت في صقعـــه آثـــاره
ونـــال ملكـــاً عاليـــاً مقـــداره
ثـــم تـــولى ابنـــه المستنصـــر
وهو الـــذي عليـــاه لا تنحصـــر
أصـــاب ملكا رايســـاً[1] أوطانـــه
وافـــق عـــزاً سامياً سلطانـــه
ودولـــةً أموالهـــا مجموعـــــة
وطاعـــةً أقوالهـــا مسموعـــــة
فلم تخـــف من عهدهـــا انتكاثـــاً
وعـــاث فـــي أموالهـــا عياثـــا
هبـــت بنصـــر عـــزه الريـــاح
وسقيـــت بسعـــــده الرمـــــاح

[1] في ك: ((رايساً)).

حتى إذا أدركـــه شَرَك الـــرَّدى

وانتحـــب النـــادي عليه والنـــدا

قـــام ابنـــه الواثـــق بالتدبيـــــر

ثـــم مـــضى في زمـــن يسيـــر

سطـــا عليـــه العـــم إبراهيـــم

والملـــك فـــي أربابـــه عقيـــم

وعـــن قريـــبٍ سلـــب الإمـــارة

عنه الـــدعي[1] ابن أبي عمـــارة

عجيبـــةٌ مـــن لعـــب الليـــالي

مـــا خطـــرت[2] لعاقـــل ببـــال

واختـــرم السيـــف أبا إسحاقـــا

أبـــا هـــلال لـــقي المحاقـــــا

واضطربت على الدعي الأحوال

والحـــق لا يغلبـــه المحـــــال

[1] في المخطوطين: ((الداعي)).
[2] في المخطوطين: ((خاطرت)).

ثم أبو حفص سمـــا عن قـــرب
وصير الدعي رهيــن[1] التـــرب
ورجـــع الحـــق إلـــى أهليـــه
وبعـــــده محمـــــد يليـــــه

وهذه الأمور تستدعي الإطالة، مخلةٌ بالغرض، ومقصدي أن أستوفي ما أمكن من التواريخ التي لم يتضمنها ديوان، وأختصر ما ليس بقريب[2]، والله ولي الإعانة [بمنه][3].

***

[1] حرفت ف ك؛ فكتبت: ((وهق)).
[2] في المخطوطين: ((بغريب))؛ فصوبها عنان.
[3] وردت هذه الكلمة في ج فقط

إبراهيم بن محمد

ابن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد ابن إبراهيم بن مالك الأزدي؛ يكنى أبا إسحاق.

أوليته

منزل جدهم الداخل إلى **الأندلس قرية شون**[1] من عمل، أو قيل من **إقليم إلبيرة**. قال [**ابن البستي**][2]: بيتهم في **الأزد**[3]، ومجدهم ما مثله مجد، حازوا الكمال[4]، وانفردوا بالأصالة والجلال، مع عفة وصيانة ووقار، وصلاح وديانة، نشأ على ذلك سلفهم، وتبعهم الآن خلفهم. وذكرهم **مطرف بن عيسى**[5]، في **تاريخه** في **رجال الأندلس**.

---

[1] أو شور؛ وتسمى بالإسبانية Jun؛ وتقع شمال غرناطة.

[2] في المخطوطين: ((ابن البسر))؛ والراجح أنه ابن البستي؛ وهو أحد أدباء الأندلس؛ وقد عاش في القرن الثالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي.

[3] الأزد: قبيلة من أكبر قبائل العرب القحطانية؛ تنسب إلى الأزد بن الغوث ابن نبت بن مالك بن كهلان.

[4] في ج: ((الكلام)).

[5] هو أبو القاسم مُطَرِّف بن عيسى بن لبيب بن محمد بن مطرف الغساني الإلبيري الغرناطي؛ توفي بقرطبة ودفن في غرناطة سنة 356هـ/967م؛ من أدباء الأندلس ومؤرخيها وقضاتها. من مؤلفاته: كتاب فقهاء إلبيرة، وكتاب شعراء إلبيرة، وكتاب أنساب العرب النازلين في إلبيرة وأخبارهم.

وقال **ابن مسعدة**[1]: وقفت على عقد قديم لسلفي؛ فيه ذكر **محمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي**، وقد حُلِّي فيه بالوزير الفقيه **أبي أحمد بن الوزير الفقيه أبي عمرو إبراهيم**؛ وتاريخ العقد سنة ثلاث وأربعمائة[2]، فناهيك من رجال تحلوا[3] بالجلالة والطهارة منذ أزيد من أربعمائة سنة؛ ويوصفون في عقودهم بالفقه والوزارة منذ ثلاثمائة [سنة][4]؛ في وقت كان فيه هذا المنصب في تحلية الناس، ووصفهم، في نهاية من الضبط والحرز[5]؛ بحيث لا لا يتهم فيه بالتجاوز لأحد، لا سيما في العقود؛ فكانوا لا يصفون فيه الشخص إلا بما هو [الحق فيه][6] والصدق. وما كان قصدي في هذا؛ إلا أن شرفهم غير واقف عليه، أو مستندٌ في الظهور إليه؛ بل ذكرهم على قديم الزمان شهير وقدرهم خطير.

---

[1] مرت ترجمته في هذا المجلد من الإحاطة؛ مع قائمة مؤلفاته.
[2] الموافق لـ 1012م.
[3] في المخطوطين: ((تجلوا))؛ فصوبها عنان.
[4] سقطت في ك.
[5] في ك: ((الحوز)).
[6] في ت: ((حق به))، وفي الملكية: ((أحق به)).

قلت: ولما عقد لولدي **عبد الله** أسعده الله، على بنت الوزير **أبي الحسن ابن الوزير أبي الحسن القاسم**[1] **ابن الوزير أبي عبد الله ابن** الفقيه العالم الوزير حزم فخارهم، ومجدد آثارهم، **أبي الحسن سهل بن مالك**؛ خاطبت شيخنا **أبا البركات بن الحاج**؛ أعرض ذلك عليه؛ فكان من نص مراجعته[2]؛ فسبحان الذي أرشدك لبيت الستر والعافية والأصالة، وشحوب[3] الأبرار، قاتلك الله ما أجل اختيارك. [وخلف][4] هذا البيت الآن على سنن سلفهم؛ من التحلي بالوزارة، والاقتياد من العظمة الزاكية، والاستناد القديم الكريم، واغتنام العمر بالنسك، عناية من الله أطرد[5] لهم قانونها، واتصلت عادتها والله ذو الفضل العظيم.

---

[1] ذكرت بعد هذه الكلمة ـ سهواً ـ لمرات عديدة ـ كلمة وزير؛ ولما كانت زائدة؛ فقد استغنى عنها عنان.
[2] في المخطوطين: ((فراجعته))؛ وصوبت من ت.
[3] في ت: ((سحوب)).
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وخف))، وكذلك في ت كتبت: ((وحق))؛ وقد صوبها عنان.
[5] هكذا في المخطوطين؛ ويقصد بها: اضطرد.

حالـه

كـل مـن أهـل السـر[1] والخصوصيـة، والصمـت والوقـار، ذا حظ وافـر مـن المعرفـة، **بلسـان العـرب**، ذكـي الذهـن، متوقـد الخاطـر، مليـح النـادرة، شنشنتـه معروفـة فيهـم. سـار بسيـرة أبيـه، وأهـل بيتـه، فـي الطهـارة والعدالـة، والعفـاف والنزاهـة.

وفاتـه

(وجـد هنـا بيـاض منـع مـن معرفـة تاريـخ وفاتـه)[2].

***

[1] ((أهل السـر)) مصطلـح صـوفي معنـاه: أهل القلـب؛ لأن السـر هـو "القلـب مـن حيـث كونـه محـلاً لأنـوار المشاهـدة والمعرفـة" أنظـر: شفـاء السالـك لتهذيـب المسالـك؛ للعلامـة عبـد الرحمـن بـن خلـدون؛ ص: 42.

[2] تعليـق لعنـان.

إبراهيم بن فرج

ابن عبد البر الخولاني؛ من أهل قرطبة؛ يكنى أبا إسحاق؛
ويعرف بابن حرة[1].

أوليته

من أهل البيوتات بالحضرة؛ ولي أبوه **القهرمة**[2]؛ لثاني الملوك من **بني نصر**؛ فتأثل مالاً ونباهةً.

حاله

هذا الرجل من أعيان القطر، ووزراء الصُقع[3]، وشيوخ الحضرة، أغنى هذه المدرة يداً، وأشغلهم بالعرض[4] الأدنى نفساً، تحرف بالتجر المربوب في حجر الجاه، ونما ماله؛ تحاط به الجدات، وتنمو الأموال، ففار تنورها، وفهق[5] حوضها، كثير الخوض في التصاريف الوقتية، والأداة الزمانية، وأثمان السلع، وعوارض

---

[1] في ت: ((ابن جرة))، وفي الملكية: ((ابن جده)).
[2] حرفت في ج؛ فكتبت: ((فهرمة)). والقهرمان: وظيفة من وظائف البلاط السلطاني؛ يتكفل صاحبها بأعمال الدخل والخرج.
[3] في ك: ((السقع)).
[4] في ج: ((بالفرض))، وفي ت: ((بالحضرة)).
[5] **أي امتلأ. يقال: فَهِقَ الإناء: إذا امتلأ.**

الأسعار، متبجح[1] بما ظهرت به يده من علق مضنة[2] هرى المدينة، الذي ينفق على أسواقها، عند ارتفاع القيم، وتمييز الأسعار، وبلوغها الحد الذي يراه كفؤ حبته، ومنتهى ثمن غلته، غَرِقُ الفكر، يخاطب الحيطان والشجر والأساطين، محاسباً إياها على معاملات وأغراض فنية، يرى من التلبس شيئاً من المعارف والآداب والصنائع، وحجة من الحجج [في][3] الرزق، تغلب عليه السذاجة والصحة، دمثٌ، متخلق، متنزل، مختصر الملبس والمطعم، كثير التبذل، يعظم الانتفاع به في باب التوسعة، بالتسلف[4] والمداينة، حسن الخلق[5] كثير التجمل [مبتلى بالموقب والطانز][6]: يسمع ذي القحة، ويصم على ذوي المسألة[7].

[1] في ت: ((فنجح)).
[2] في ج: ((مطنة))، وفي ك: ((مظنة)).
[3] ((في)) أضافها عنان.
[4] في ك، وت: ((بالسلف)).
[5] في المخطوطين: ((الحق))؛ وصوبت من ت.
[6] سقطت هذه العبارة في ت، والملكية. ويقصد بالموقب والطانز؛ هما: القادح؛ المولع بذم الآخرين، ثم الساخر؛ الذي ينشغل بذم غيره.
[7] في ك، و ت، و ج: ((المتبلة))؛ وهو تحريف.

ظهـوره وحظوتـه

لبس الحظوة شملة، لـم يفـارق طرقهـا رقبتـه، إذ كـان صهـراً للمتغلـب علـى الدولـة **أبـي عبـد اللـه بـن المحـروق**[1]، صـار بسهـم فـي جـذور خطتـه، وألـقى فـي مرقـه حظوتـه، مشتمـلا علـى حالـه، بعبـاءة[2] جاهـه، ثـم صاهـر المصيـر الأمـر إليـه بعـده القائـد الحاجـب **أبـا النعيـم رضـوان**، مـولى **الدولـة النصريـة**، وهلـم جـرا، بعـد أن استعمـل فـي السفـارة إلـى **العـدوة وقشتالـة**، فـي أغـراض تليـق بمبعثـه، ممـا يوجـب فيـه المياسيـر والوجـوه، مشرفيـن معززيـن بمـن يقـوم بوظيفـة المخاطبـة والجـواب، والـرد والقبـول، وولـي وزارة السلطـان، لأول ملكـه فـي طريـق مـن ظاهـر **جبـل الفتـح** إلـى حضرتـه، وأيامـاً يسيـرة مـن أيـام اختلالـه، [إلـى][3] أن رغـب الخاصـة مـن **الأندلسييـن** فـي إزالتـه، وصـرف الأمـر إلـى الحاجـب

[1] حرفـت فـي ت؛ فكتبـت: ((ابـن محـروق))؛ والصحيـح هـو محمـد أحمـد بـن محمـد بـن المحـروق (بألـف ولام التعريـف)؛ وكـان وزيـراً لـدى السلطـان محمـد بـن إسماعيـل بـن فـرج، بـن إسماعيـل سلطـان بـني لأحمـر؛ ولكنـه قتلـه في سنـة 729هـ/1328م.

[2] في ت: ((بعبـادة)).

[3] ((إلى)) أضافهـا عنـان.

المذكور، الذي تسقط مع رياسته المنافسة، وترضي به الجملة.

محنتـه

وامتحن هو وأخوه، بالتغريب إلى **تونس**، عن وطنهما، على عهد السلطان الثالث من **بني نصر**[1]. ثم آب[2] عن عهد غير بعيد، ثم أسن واسْتَسَرَّ أديمه، وضجر عن الركوب إلى فلاحته التي هي قرة عينه، وحظ سعادته، يتطارح[3] في سكة المترددين[4] بإزاء بابه، مباشرٌ الثرى بثوبه، قد سدكت[5] به شكايةٌ شائنة، قلما يفلت منها الشيوخ، ولا من شركها، فهي تزفه[6] بولاء، بحال تقتحمها العين شعثاً[7]، وبعداً عن النظر، فلم يطلق[8] الله

---

[1] وهو هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ الملقب بالمخلوع؛ الذي حكم من سنة 701هـ/1301م إلى 708هـ/1308م سنة خلعه.
[2] أب أوباً ومآباً: رجع. وآب إلى الله: تاب.
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((يتطاح)).
[4] في المخطوطين وفي الملكية: ((المرتدين))؛ فصوبها عنان.
[5] يقصد: علقت به ولزمته.
[6] في ج: ((تتزفه)).
[7] نفسه: ((شعة)).
[8] نفسه: ((يطل)).

الله يده من جدته على يده، فليس في سبيل دواء ولا غذاء إلى أن هلك.

وفاتـه

في وسط شوال؛ عام سبعة وخمسين وسبعمائة[1].

مولـده

في سنة خمس وسبعين وستمائة[2].

***

[1] الموافق لـ 1356م. في المخطوطين: ((وسبعمائة))، وفي الملكية: ((خمس وثمانين وستمائة)).
[2] الموافق لـ 1276م.

إبراهيم بن يوسف

ابن محمد بن دهّاق الأوسي[1]؛ يكنى أبا إسحاق، ويعرف بابن المرأة.

حاله

سكن **مالقة** دهراً طويلاً، ثم انتقل إلى **مرسية**؛ باستدعاء المحدث **أبي الفضل المرسي والقاضي أبي بكر بن محرز**. وكان متقدماً في علم الكلام، حافظا ذاكراً للحديث والتفسير، والفقه والتاريخ، وغير ذلك. وكان الكلام أغلب عليه، فصيح اللسان والقلم، ذاكراً لكلام أهل التصوف، يطرز مجالسه بأخبارهم. وكان بحراً[2] للجمهور **بمالقة ومرسية**، بارعاً في ذلك متفنناً له، متقدماً فيه، حسن الفهم لما يلقيه، له وثوب على التمثيل والتشبيه، فيما يقرب للفهم، مؤثراً للخمول، قريباً من كل أحد، حسن العشرة، مؤثراً بما لديه. وكان **بمالقة** يتجر بسوق الغزل.

---

[1] توجد ترجمة إبراهيم بن يوسف بن دهاق الأوسي في: التكملة، والوافي بالوفيات، والديباج المذهب.

[2] في ج: ((بحر))، وفي ك: ((لحق)).

قال الأستاذ **أبو جعفر**: وقد وصمه، وكان صاحب حيل [ونوادر][1] مستظرفة، يُلهي بها أصحابه، ويؤنسهم، ومتطلعاً على أشياء غريبة من الخواص وغيرها، فتن بها بعض الحلبة، واطلع كثير ممن شاهده على بعض ذلك، وشاهد منه بعضهم ما يمنعه الشرع من المرتكبات الشنيعة، فنافره وباعده بعد الاختلاف إليه؛ منهم شيخنا القاضي العدل المسمى الفاضل **أبو بكر**[2] **بن المرابط** رحمه الله؛ أخبرني من ذلك بما شاهد [3] مما يقبح ذكره، وتبرأ منه من كان سعى في انتقاله إلى **مرسية**، والله أعلم بغيبه وضميره.

توالیفه[4]

منها شرحه **كتاب الإرشاد لأبي المعالي**، وكان يعلقه من حفظه؛ من غير زيادة وامتداد، **وشرح الأسماء الحسنى، وألف جزءا في إجماع الفقهاء، وشرح محاسن**

---

[1] في المخطوطين: ((ونوارج))؛ وصوبت من ت.
[2] في ج: ((أبو البركات))؛ وهو تحريف.
[3] في ك: ((بأشهاده)).
[4] في ك: ((تآليفه)).

المجالس لأبي العباس أحمد بن العريف. وألف غير ذلك.

وتواليفه نافعة في أبوابها، حسنة الرصف والمباني.

من روى عنه

أبو عبد الله بن أحلى، وأبو محمد عبد الرحمن بن وصلة.

وفاتـه

توفي **بمرسية** سنة أحد عشر وستمائة[1].

***

[1] الموافق لـ 1214م. وقد صوب د. طويل كتابة التاريخ؛ فجعله هكذا: إحدى عشر وستمائة.

إبراهيم بن أبي بكر

ابن عبد الله بن موسى الأنصاري؛ تلمساني وقرشي الأصل؛ نزل بسبتة؛ يكنى أبا إسحاق؛ ويعرف بالتلمساني.

حاله

كان فقهياً عارفاً بعقد الشروط، مبرزاً في العدد[1] والفرايض، أديباً، شاعراً، محسناً، ماهراً في كل ما يحاول. نظم في الفرايض - وهو ابن ثمانية[2] وعشرين سنة[3] - أرجوزة محكمة بعلمها، ضابطة، عجيبة الوضع.

قال **ابن عبد الملك**: وخبرت منه في تكراري عليه، تيقظاً وحضور ذهن، وتواضعاً، وحسن إقبال وبر، وجميل لقاء ومعاشرة، وتوسطاً صالحاً فيما يناظر[4] فيه من التواليف، واشتغالاً بما يعنيه من أمر معاشه، وتخاملاً[5] في هيئته ولباسه، يكاد ينحط عن الاقتصاد، حسب

---

[1] في ك: ((القدر)).
[2] صوبها د. طويل فجعلها: ((ثمانٍ)).
[3] في الملكية: ((ثمانية عشر)). وقد صححها د. طويل؛ فكتبها: ((ابن ثمانٍ وعشرين سنة)).
[4] في ج، والملكية: ((يناط فيه)).
[5] في المخطوطين: ((وتتحاملا))؛ فصوبها عنان.

المألـوف والمعـروف **بسبتـة**. قـال **ابـن الزبيـر**: كـان أديبـاً لغويـاً، فاضـلا، إمامـاً فـي الفرائـض.

مشيختـه

تـلا **بمالقـة** علـى **أبـي بكـر بـن دسمـان، وأبـي صالـح محمـد بـن محمـد الزاهـد، وأبـي عبـد الله بـن حفيـد،** وروي بهـا عـن **أبـي الحسـن سهـل بـن مالـك،** ولقـي **أبـا بكـر بـن محـرز**، وأجـاز لـه، وكتـب إليـه مجيـزاً، **أبـو الحسـن بـن طاهـر الدبـاج، وأبـو علـي الشلوبيـن**، ولقـي **بسبتـة**، **الحسـن أبـا العبـاس بـن علـي بـن عصفـور الهـواري**، **وأبـا المطـرف أحمـد ابـن عبـد الله بـن عفيـرة**، فأجـازوا لـه، وسمـع علـى **أبـي يعقـوب بـن مـوسى الحسـاني الغمـاري**.

مـن روى عنـه

روي عنـه الكثيـر ممـن عاصـره؛ **كأبـي عبـد الله بـن عبـد الملـك،** وغيـره.

توالیفـه

من ذلك: **الأرجوزة الشهيرة في الفرائض**؛ لم يصنف في فنها أحسن منها. **ومنظوماته في السير**، **وأمداح النبي**، صلى الله عليه وسلم؛ من ذلك **المعشرات على أوزان العرب**، **وقصيدة في المولد الكريم**؛ وله **مقالة**[1] **في علم العروض الدوبيتي**.

شعره

وشعره كثير، مبرِّز[2] الطبقة بين العالي والوسط، منحازاً أكثر إلى الإجادة جمة، وتقع له الأمور العجيبة فيه كقوله[3]:

الغـــدر في النـــاس شيمـــة سلفـــت
قـــد طال بيـــن الـــورى تصرفهـــا

[1] في ج، والملكية: ((مقام)).
[2] في المخطوطين: ((مبرد)).
[3] هذه الأبيات من بحر المنسرح.

مـــا كـــل مـــن سَـــرَت[1] لـــه نِعـــمٌ

منـــك يـــرى قدرهـــــا ويعرفهـــــا

بـــل ربمـــا أعقـــب الجـــزاء بهـــا

مضـــرةٌ عنـــك عـــز مصرفهـــــا

أما تـــرى الشمـــس تعطـــف بالنُّـــ

ـــورِ عـــلى البـــدر وهـــو يكسفهـــا

دخولـه غرناطـة

أخبر عن نفسه: أن أباه انتقل به إلى **الأندلس**، وهو ابن تسعة أعوام؛ فاستوطن به **غرناطة** ثلاثة أعوام، ثم رحل إلى **مالقة**؛ فسكن بها مدة، وبها قرأ معظم قراءته. ثم انتقل إلى **سبتة**، وتزوج بها أخت الشيخ **أبي الحكم مالك بن المرحل**. وهذا الشيخ جد صاحبنا وشيخنا **أبي الحسين التلمساني** لأبيه، وهو ممن يطرز به التأليف، ويشار[2] إليه في فنون لشهرته. ومن شعره، وهو صاحب

[1] جعلها د. طويل: ((**سَرَّبتْ**))؛ وهو أسلم.
[2] في المخطوطين: ((ويشر)).

مطولات مجيدة، وأمادح مبدية في الإحسان معيدة[1]، فمن قوله يمدح الفقيه **أبا القاسم العزفي** أمير **سبتة**[2]:

أرأيت من رحلـــوا وزمـــوا العيســـا[3]
ولا نزلـــوا على الطلـــول حسيســـاً

أحسبت سوف يعود نســـف ترابهـــا
[يومـــاً][4] بما يشـــفي لديـــك نسيســـاً

هل من[5] مؤنسٍ ناراً بجانب طورهـــا
لأنيسهـــا أم هـــل تحـــس حسيســـاً

---

[1] في المخطوطين: ((بعيدة))؛ فصوبها عنان.

[2] هذه الأبيات من بحر الكامل.

[3] زموا: ربطوا بالخطام؛ وهو الحبل الذي يربط به عنق البعير ويشد إلى أنفه ليقاد. ويقصد هنا: ربطوا خطام الإبل بغرض الرحيل.

[4] أضيفت هذه الكلمة من الملكية.

[5] أسقط د. طويل كلمة ((من))؛ ليستقيم الوزن.

مولده

قال **ابن عبد الملك**: أخبرني أن مولده **بتلمسان** سنة تسع وستمائة [1].

وفاته

في عام تسعين وستمائة[2] **بسبتة** ؛ على سن عالية ؛ فسحت مدى الانتفاع به.

***

[1] الموافق لـ 1212م.
[2] الموافق لـ 1291م.

إبراهيم بن محمد

ابن إبراهيم الأنصاري الساحلي، المشهور بالطُّوَيْجِن[1]؛ من غرناطة

حالـه

من **كتاب عائد الصلة**: كان رحمه الله، نسيج وحده في الأدب، نظماً ونثراً، لا يشق فيهما غباره، كلام[2] صافي الأديم، [غزير المائية][3]، أنيق الديباجة، موفور المادة، كثير الحلاوة، جامعٌ بين الجزالة والرقة، إلى خط بديع، ومشاركة في فنون، وكرم نفس، واقتدار على كل محاولة. رحل بعد أن اشتهر فضله، وذاع أوجه، فشرق، وجال في البلاد. ثم دخل إلى **بلد السودان**؛ فاتصل بملكها، واستوطنها زماناً طويلاً، بالغاً فيها أقصى مبالغ المكنة، والحظوة، والشهرة، والجلالة، واقتنى مالاً دثراً[4]، ثم آب إلى **المغرب**، وحوم على وطنه؛ فصرفه القدر إلى مستقره من **بلاد السودان**؛ مستزيداً من المال.

---

[1] يكنى أبا إسحاق؛ وتوجد ترجمته في الكتيبة الكامنة، ونثير فرائد الجمان، ونفح الطيب.
[2] في ج: ((الكلام)).
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((عزيز المانعة))، وفي الملكية: ((المادة)).
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((**دبراً**))، والملكية: ((**تبراً**)).

وأهدى إلى **ملك المغرب** [هدية][1] تشتمل على طرف، فأثابه عليها مالاً خطيراً، ومدحه بشعر بديع كتبناه عنه. وجرى ذكره في **كتاب التاج** بما نصه: ((جواب الآفاق، ومحالف الإباق[2]، ومنفق سعد[3] الشعر كل الإنفاق، رفع ببلده[4] للأدب راية لا تحجم، وأصبح فيها يسوِّي ويلجم، فإن نسب، جرى ونظم نظم الجمان الحامد، وإن ابَّـنَ ورَثَى، غبَّر في وجوه السوابق، وحثا، ولما اتفق كساد سوقه، وضياق حقوقه، أخذ بالحزم، وأدخل على حروف علايه عوامل الجزم، يسقط على الدول سقوط الغيث، ويحل كناس الظبا وغاب الليث، شيع العجائب، وركض النجائب، فاستضاف بصرام، وشاهد البرابي[5] والأهرام. ورمى بعزمته الشأم[6]، فاحتل ثغوره المحوطة، ودخل **دمشق**، وتوجه **الغوطة**، ثم عاجلها **بالعراق**، فحيا

---

[1] **سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فأضافها عنان.**

[2] **في الكتيبة الكامنة: ((الرفاق)).**

[3] **في الكتيبة: ((سعر)).**

[4] كلمة ببلده سقطت في الكتيبة.

[5] كتبت في المخطوطين: ((الفرابني))؛ ولما كانت قد ذكرت إلى جانب الأهرام؛ فقد رجح عنان أنها يمكن أن تكون ((البرابي))؛ وهي كلمة تطلق على التواريخ الإسلامية على المعابد الفرعونية.

[6] ترسم أيضاً ((الشام)).

بالسلام **مدينة السلام**، وأورد **بالرافدين**[1] رواحله، ورأى **اليمن** وسواحله، ثم عدل إلى الحقيقة عن المجاز، وتوجه إلى شأنه **الحجاز**، فاستلم الركن والحجر، وزار القبر الكريم لما صدر، وتعرف بمجتمع الوفود بملك السود[2]، فغمره بإرفاده، وصحبه إلى بلاده، فاستقر بأول أقاليم العرض، وأقصى ما يعمر من الأرض، فحل بها محل [الحمر في الغار][3]، والنور في سواد الأبصار، وتقيد بالإحسان، وإن كان غريب الوجه واليد واللسان، وصدرت عنه رسائل أثناء إغرابه، تشهد بجلالة آدابه، وتعلق الإحسان بأهدابه[4])).

نثره

فمن ذلك ما خاطب به **أهل غرناطة** بلده، وقد وصل إلى **مراكش**: ((سلام ليس دارين شعاره، وحلق

[1] كتبت في المخطوطين: ((بالرفدس))؛ وعليه فقد رجح عنان أنها: ((بالرافدين))؛ أي دجلة والفرات؛ وهذا ينسجم مع سياق الكلام.
[2] حرفت في ج؛ فكتبت: ((بلد)).
[3] في ك، و ت: ((الخمر في القار)).
[4] حرفت في ك؛ فكتبت: ناهوايه)).

الروض والنضير به صداره، وأنسى نجداً شمه[1] الزكي وعراره[2]، جر ذيله على الشجر فتعطر، وناجى غصن البان فاهتز لحديثه وتأطر، وارتشف الندى من ثغور الشقائق، وحيا خدود الورد تحت أردية الحدائق، طربت له النجدية المستهامة، فهجرت صباها ببطن **تهامة**، وحن **ابن دهمان** لصباه، وسلا به **التميمي** عن رياه[3]، وأنسى **النميري** ما تضوع برقيب من بطن نعمايه، واستشرف السمر والبان، وتخلق بخلوقة الآس والظيَّان[4]، حتى إذا راقت أنفاس تحياته ورقت، وملكت نفائس النفوس، واسترقت، ولبست دارين في ملائها، ونظمت الجوزاء في عقد ثنائها، واشتغل بها الأعشى عن روضه ولهى، وشهد **ابن برد** شهادة أطراف المساويك لها، خيمت في ربع الجود **بغرناطة** ورقت، وملأت دلوها إلى عقد ركبه[5]، وأقبلت منابت شرقها عن غربه، لا عن عرفه، هناك تترى

---

[1] في المخطوطين: ((شجه)).
[2] نفسه: ((وعزاره)).؛ فصوبها عنان.
[3] في ك: ((زيادة))، وفي ج: ((ديانة)).
[4] في ج، و ت: ((الضيان))، وفي ك: ((والعنان))؛ وهو تحريف. والظيان هو نبات بري؛ من النباتات الزاحفة الملتفة؛ ويسمى ياسمين البر.
[5] في ج، و ت: ((ركبت)).

لها صدور المجالس تحمل صدوراً، وترايب المعالي تحلى عقوداً نفيسة وجذوراً[1]، ومحاسن الشرف تحاسن البروج في زهرها، والأفنية في إيوانها، والأندية في شعب بوانها[2]، لو رآها **النعمان** لهجر **سديره**، أو **كسرى** لنبذ **إيوانه وسريره**، أو **سيف** لقصر عن **غمدانه**، أو **حسان جلق لغسانه**[3]:

بـــلاد بهـــا نيطـــت عـــلى تمائـــمي
وأول أرض مـــس جلـــدي ترابهـــا

فإذا قضيت من فرض السلام ختما، وقضت من فاره[4] الثناء حتما، ونفضت طيب عرارها[5] على تلك الأنداء، واقتطفت أزاهر محامدها أهل الود القديم والإخاء، وعمت من هنالك من الفضلاء، وتلت سور[6]

---

[1] في ت: ((**وجدوراً**)).
[2] يطلق اسم ((شعب بوان))؛ على موضع في بلاد فارس؛ بالقرب من أرجان. وقيل أنها كانت من منتزهات الدنيا.
[3] جلق: اسم من أسماء دمشق. وهذا البيت من البحر الطويل.
[4] في الملكية: ((فارط)).
[5] في ج: ((غرايرها))، وفي ك: ((عرايرها))، وفي ت: ((غابرها))؛ وكل ذلك محرف.
[6] في ج، و ت: ((سر)).

آلائها على منبر ثنائها، وقصت وعطفت على من تحمل من الطلبة بشارتهم، وصدرت[1] عن إشارتهم، وأنارت[2] نجماً حول هالتهم المنيرة ودارتهم، فهناك تقص أحاديث وجدي على تلك المناهج، لا إلى صلة عالج، وشوقي إلى تلك العليا، **لا** إلى **عبلة**، والجزا[3] إلى ذلك الشريف الجليل، فسقى الله تلك المعاهد غيداقاً[4] يهمي دعاؤها[5]، دعاؤها[5]، ويغرق روضها إغراقاً[6]، حتى تتكلل منه نحور زندها دراً، وترنو عيون أطراف نرجسها إلى أهلها سرراً[7]، سرراً[7]، وتتعانق قدود أغصانها طرباً، وتعطف خصور مذانبها على أطراف كثبانها لعباً، وتضحك ثغور أقاحها عند رقص أدواحها عجباً، وتحمر خدود وردها حياءً، وتشرق حدائق وردها سناء، وتهدي إلى ألسنة صباها [

---

[1] في النسخ الثلاث: ((صدر))؛ فصوبها عنان.
[2] في النسخ الثلاث: ((وأنار))؛ فصوبها عنان.
[3] في الملكية و ت: ((وانجر)).
[4] في المخطوطين: ((**غيداناً**))، وفي ت: ((**غيوثاً**)). والغيداق: هو الشاب الناعم. الناعم.
[5] في ج: ((دعاوا))، وفي ك: ((دعافا)).
[6] في ك: ((اغترقا)).
[7] في ت: ((شرزاً))، وفي ج: ((برزاً)).

خبر طيبة][1]، وإنباء حتى تشتغل المطرية عن روضتها المردودة، والمُتَكَلِّىء[2]، عن مشاويه المجودة، والبكرى عن شقائق رياض روضته الندية، **والأخطل** عن خلع [بيعته الموشية][3]. فما **الخورنق[4] وسُراد والرصافة وبغداد**، وما لف **النيل** في ملأته كرماً إلى أفدين سقايته، وحارته **غمدان** عن محراب، وقصر وابرية[5] **البلقاء** عن غوطة ونهر، بأحسن من تلك المشاهد التي تساوي في حسنها الغائب والشاهد، وما **لمصر** تفخر[6] بنيلها، والألف[7] منها منها في **شنيلها[8]**، وإنما زيدت الشين هنالك [ليعد بذلك][9]:

---

[1] هذه العبارة وردت هكذا في النسخ الأربع. وطيبة هي يثرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[2] في المخطوطين، والملكية: ((والمكلى))؛ وصوبت من ت.
[3] في ج، وك: ((بيعة الموشية))، وفي ت: ((بيعة المرسية)).
[4] الخورنق: قصر أسطوري كان في ظاهر الحيرة.
[5] في ك: ((وقصر وابدره))، وفي ج: (برريه))، وفي ت: ((برأيه)).
[6] في ج: ((نفحر))، وفي ك: ((تهجر))؛ وهو تحريف.
[7] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((اللف)).
[8] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((شيلها ـ شلها)).
[9] في ت، والملكية: ((ليعن بذلك))، وفي ج: ((ليعن ذلك)). وهذان البيتان من بحر الوافر.

ويـــا للـــه مـــن شـــوق حثيـــث
ومـــن وجـــدٍ تنَشَّـــط[1] بالصميـــم
إذا مـــا هاجـــه وجـــدٌ حديـــث
صبـــا منهـــا إلى عهـــدٍ قديـــم

أجنح إنساني[2] في كل جانحة. وأنطق لساني من كل جارحة، وأهيم وقلبي رهين الأنين، وصريع البين، تهفق[3] به الرياح البليلة إذا ثارت، وتطير به أجنحة البروق البروق الخافقة أينما طارت، وقد كنت أستنزل قربهم براحة الأجل، وأقول عسى وطن يدنيهم[4] ولعل، وما أقدر الله أن يدني على الشحط، ويبري[5] جراح البين بعد بعد اليأس والقنط، هذا شوقي يستعيره البركان لناره، ووجدي لا يجري قيس في مضماره، فما ظنك وقد حمت حول المورد الخصر، ونسمت ريح المنبت الخضر،

---

[1] **في المخطوطين: ((نشبط))، وفي ت: ((نشيط)).**
[2] المصادر نفسها: ((أساي)).
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: تهفو؛ وهو أصوب.
[4] في ت: ((يدنوا بهم)).
[5] في ت: ((ويبرا))، وفي المخطوطين: ((ويأمر)).

ونظرت إلى تلك المعاهد من أمم، وهمست باهتصار ثمار ذلك المجد اليانع والكرم، وإن المحب مع القرب لأعظم هما، وأشد في مقاساة الغرام غماً[1]:

وأبـــرح[2] ما يكـــون الشـــوق يومـــاً

إذا دنـــت الديـــــار مـــن الديـــار

وقربت مسافة الدوَّار، لكن الدهر ذو غِيَر[3]، ومن ذا[4] يحكم على القدر، وما ضره لو غفل قليلا، وشفى بلقاء الأحبة غليلا، وسمح لنا بساعة اتفاق ووصل ذلك الأمل القصير بباع، وروى مسافة أيام، كما[5] طوى مراحل أعوام. [لدّ **إبليس]**[6]؛ أفلا أشفقت من عذابي، وسمحت ولو بسلام أحبابي: أسلمتني إلى ذرع البيد، ومحالفة [الذميل والوخيد][7]، والتنقل في **المشارق والمغارب**،

---

[1] هذا البيت من بحر الوافر.

[2] في الملكية: ((وأشد)).

[3] في ج: ((أغير))، وفي ت: ((غيار)).

[4] في المخطوطين والملكية: ((وماذا)).

[5] في المخطوطين: ((كيما))؛ وصوبت من ت.

[6] نفسه: ((لذا يليس))، وفي ك: ((لك إبليس)).

[7] كتبت هذه العبارة في ج، و ت: ((الدميل الوحيد))، وفي ك: ((الوصيل والوحيد))؛ وقد صوبت من الملكية. ومعنى الذميل هو: السير المتوسط؛ أما الوخيد؛ فهو: السير الواسع الخطى.

والتمطي في الصهوات والغوارب، يا سابق البين دع محمله، وما بقي في الجسم ما يحمله، ويا بنات جديل، ما لكن وللذميل، ليت سقمي عقيم فلم يلد ذات البين، المشتتة ما بين المحبين، ثم ما للزاجر الكاذب، وللغراب الناعب، تجعله نذير[1] الجلا، ورايد الخلا، ما أبعد من زاجر، عن رأي الزاجر. إنما فعل ما ترى، ذات الغارب والقرى، المحتالة في الأزمة والبرى، المترددة بين التأويب والسرى، طالما باكرت النوى، وصدعت صدع الثوى،[2] وتركت الهايم بين ربعٍ محيل، ورسم مستحيل، يقفو[3] الأثر نحوه، ويسئل الطلل عن عهده، وإن أنصفت فما لعين معقودة[4]، وإبل مطرودة، مالت عن الحوض والشوط، وأسلمت إلى الحبل[5] والعصا والسوط، ولو خير النائي لأقام، ولو ترك القطا ليلا لنام، لكن الدهر أبو براقش[6]، وسهمٌ بينه وبين بنيه غير طائش، فهو الذي

[1] في المخطوطين: ((قدير))؛ وصوبها عنان.
[2] نفسه: ((النوى))؛ وصوبت من ت.
[3] في ك: ((ينبو)).
[4] في ج: ((مصفوه)).
[5] في ك: ((الجبل)).
[6] أبو براقش طائر بري؛ له ريش ينتفش؛ إذا ما هيج؛ فيتحول لونه إلى أشكال عديدة.

الذي شتت الشمل وصدعه، وما رفع سيفٌ بعماده إلا[1] وضعه، ولا بل غليلاً أحرقه بنار وجده ولا نفعه. فأقسم ما ذات[2] خضاب وطوق، شاكية غرام وشوق، برزت[3] في منصتها، وترجمت عن قضيتها، أو غربت عن بيتها، ونفضت شرارة زفرتها عن عينها، ميلا حكت الميلا والغريض، وعجماء ساجلت بسجعها القريض، وكصَّت الفود[4] فكأنما نقرت العود، ورددت العويل، كأنما سمعت النقيل، نبهت الواله فثاب، وناحت بأشواقها فأجاب. حتى إذا افتر بريقها[5]، استراب في أَنَّتِها، فنادى يا حصيبة الساق، مالك والأشواق، أباكيةٌ ودموعك[6] راقيةٌ، ومحررة ومحررة وأعطافك حالية، عطلت الخوافي، وحليت القوادم، وخضبت الأرجل، وحضرت[7] المأتم[8]. أما أنت

---

[1] في النسخ الثلاث والملكية: ((من))؛ وصوبها عنان.
[2] في النسخ الثلاث: ((ماذا))، وفي الملكية: ((ماذا خطاب))؛ وصوبها عنان.
[3] في ك، و ت: ((بررت)).
[4] كصت الفود: أي دقته. والفود هو معظم الشعر. والمقصود هنا ليس الشعر في حد ذاته؛ بل المراد هو الرأس.
[5] في ج، والملكية: ((بربتها))، وفي ت: ((بريتها)).
[6] في ك: ((دموع)).
[7] في المخطوطين: ((حضرت))، وفي الملكية((خضرت)).
[8] في ك: ((المأثم)).

أنت فَنَزيعة خمار، وحليفة أنوار وأشجار، ترددين بين منبر وسرير، وتتهادين بين روضة وغدير، أسرفت في الغناء، وإنما حكيت خرير الماء، وولعت بتكرير الراء، فقالت أعد نظر البقير[1]، ولأمر ما جدع أنفه قصير، أنا التي أغرقت في الرُّزء، فكنيت[2] عن الكل بالجزء، كنت أربع بالفيافي ما ألافي، وآنس مع مقيلي، بكرته وأصيلي، تحتال من غدير إلى شَرْج[3]، وتنتقل من سرير إلى سرج، آونة تلتقط الحَبّ، وحيناً تتعاطى الحُبّ، وطوراً تتراكض الفَنن، وتارة تتجاذب الشجن[4]، حتى إذا رماه الدهر بالشتات، وطرفة بالآفات، فهأنا بعده دامية العين، دائمة الأين، أتعلل بالأثر بعد العين، فإن صعدت مناري[5]، ألهبت منقاري، أو نكأت أحشائي، خضبت رجلي بدمائي. فأقسم لا خلعت طوق عهده، حتى أردى[6] أردى[6] من بعده، بل ذات خفض وترف، وجمال باهر

---

[1] في المخطوطين والملكية: ((البهير)).
[2] في ك: ((وتكشف))، وفي ت: ((ونسكت))، وفي الملكية: ((ونكست)).
[3] في المخطوطين: ((سرج))، والشرج هنا هو مسيل الماء.
[4] في المخطوطين والملكية: ((الشجر)).
[5] في ك: ((ناري)).
[6] في النسخ الأربع: ((أردموه)).

وشرف، بسط الدهر يدها، وقبض ولدها، فهي إذا عقدت التمايم على تريب، أو لفت[1] العمائم على نجيب، حثت المفؤود[2]، وأدارت عين الحسود، حتى إذا أينعت فسالها، وقضى حملها وفصالها، عمر لحدها بوحيد كان عندها وسطى، وفريد أضحى في نحر[3] عشيرتها سمطا، استحثت له مَهَبَّات النسيم الطارق، وخافت عليه من خطرات اللحظ الراشق، فحين هش للجياد، ووهب التمائم للنجاد ونادى الصريم، يا لآل والحريم، فشد الأناة، واعتقل القناة، وبرز يختال في عيون لامه، ويتعرف منه رمحه بألفه ولامه، فعارضه شَثْن[4] الكفين، عاري الشعر والمنكبين، فأسلمه لحتفه، وترك حاشية ردائه على عطفه، فحين انبهم لشاكلته ما جرى [برزت لترى][5]:

---

[1] في المخطوطين: ((ليف))، وفي ت: ((أقف)).
[2] في ت: ((المقتودة)).
[3] في النسخ الأربع: ((نحره)).
[4] في ت: ((شنن)). والشثن؛ معناه: الخشن.
[5] وردت هذه العبارة في ك؛ هكذا: ((أبرزت الثرى)). وهذان البيتان من البحر الطويل.

فلـــم تلـــق[1] غيـــر خمـــس قوايـــــم
وأشــــلاء لحـــم تحت ليـــثٍ سخايـــل[2]
يحـــط عـــلى أعطافـــه وترايبـــــه
بكـــفٍ حديد الناب صلب المفاصـــل

أعظم من وجد إلى تلك الآفاق، التي أطلعت وجوه الحسن والإحسان، وسفرت عن كمال الشرف، وشرف الكمال عن كل وجه[3] حسان، وأبرزت من ذوي الهمم المنيفة، والسير الشريفة، ما أقر عين العلياء، وحلى جيد الزمان، فتقوا[4] للعلم أزهاراً أربت على الروض المجود، وأداروا للأدب هالةً استدارت حولها بدور السعود، نظم الدهر محاسنهم حلياً في جيده ونحره، [واستعار لهم][5] الأفق ضياء شمسه وبدره، وأعرب بهم الفخر عن صميمه، وفسح لهم المجد عن مصدره، فهم إنسان عين

---

[1] أضاف د. طويل كلمة فيها بعد ((تلق))؛ وذلك أسلم.
[2] في ك: ((مخاتل)).
[3] في ت؛ وردت بعد كلمة ((وجه))؛ كلمة ((وجوه))؛ ويبدو هذا من باب السهو لا غير.
[4] في ك: و ت: ((فتقوى)).
[5] نفسه: ((واستعلاهم)).

الزمان، وملتقى طريقي[1] الحسن والإحسان، نظمت الجوزاء مفاخرهم، ونثرت النثرة مآثرهم، واجتلبت الشِّعرى[2] من أشعارهم، وطلع النور من أزرارهم[3]، واجتمعت الثريا لمعاطاة أخبارهم، وود الدلو لو كرع في حوضهم، والأسد لو ربض حول ربضهم، والنعايم[4] لو غذيت بنعيمهم، والمجرة لو استمدت من فيض كرمهم، عشق[5] المسك محاسنهم فرق، وطرب الصبح لأخبارهم فخرق جبينه وشق، وحام النسر حول حمامهم وحلق، وقدَّ الفخار جدار[6] محامدهم وخلق، إلى بلاغة أخرست لسان **لبيد**، وتركت **عبد الحميد** غير حميد، أهل **ابن هلال** لمحاسنهم وكبر، وأعطى القاري[7] ما زجر به قلمه وسطر، وأيس **إياس** من لحاقهم[8] فأقصر لما قصر)).

---

[1] في ت: ((طريق)).
[2] في النسخ الثلاث: ((الشعر))؛ فصوبها عنان.
[3] في ج: ((أزنارهم)).
[4] في ت، والملكية: ((والنعيم)) مفردة؛ وحرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((والتعليم)).
[5] هكذا في ك، وفي ج.
[6] حرفت في ك؛ فكتبت: ((مدار)).
[7] **في المخطوطين**: ((**الغاري**)).
[8] **في المخطوطين، والملكية**: ((**وحاقهم**)).

ومنها: ((فما للوشي تألق ناصعه، وتأنق يانعه[1]، بأحسن مما وشته أنفاسهم، ورسمته أطراسهم، فكم لهم من خريدة غذاها العلم ببره[2]، وفريدة حلاها البيان بدره، واستضاءت المعارف بأنوارهم، وباهت الفضايل بسناء منارهم، وجليت المشكلات بأنوار عقولهم وأفكارهم، جلوا عروس المجد وحلوا، وحلوا[3] في ميدان السيادة ونشأوا، وزاحموا السُّهى[4] بالمناكب، واختطوا الترب فوق فوق الكواكب، لزم محلهم التكبير، كما لزمت الياء التصغير، وتقدموا في رتبة الأفهام، كما تقدمت همزة الاستفهام، ونزلوا من مراتب العلياء، منزلة حروف الاستعلاء، وما عسى أن أقول ودون النهاية مدى نازح، وما أغنى الشمس عن مدح المادح، وحسبي أن أصف ما أعانيه من الشوق، وما أجده من التوق، وأعلل نفسي بلقائهم، وأتعلل بالنسيم الوارد من تلقائهم، وإن جلاني الدهر عن ورود حوضهم، وأقعدني الزمان عن اجتناء

---

[1] في المخطوطين: ((أنعه))؛ وهو تحريف.
[2] نفسه: ((بـرره)).
[3] في ك: ((وحذوا)).
[4] في النسخ الثلاث: ((السهر))؛ فصوبها عنان،

روضهم، فما ذهب ودادي، ولا تغير اعتقادي، ولا جفّت أقلامي عن مدادهم ولا مدادي، وأنا ابن جَلاَ في وجدهم، وطَلاَّع الثنايا إلى كرم عهدهم، إن دعوا إلى ودٍ صميم وجدوني، أضع[1] العمامة عن ذوي[2] عهد قديم عرفوني[3]، ولو شرعوا نحوي قلم مكاتبتهم[4]، وأسَحُّوا[5] بالعلق الثمين من مخاطبتهم، لكفوا من قلبي العاني قيد[6] إساره، وبلوا صدى وجدي المتحرق بناره، ففي الكتابة بلغة الوطر، وقد يغني عن العين الأثر، والسلام الأثير الكريم الطيب الرّيا[7]، الجميل المحيا، [يحضر محلهم][8] الأثير، وكبيرهم إذ ليس فيهم صغير، ويعود على من هناك من ذوي الود الصميم، والعهد القديم، من أخٍ برٍ وصاحب حميم، ورحمة الله وبركاته)).

---

[1] في المخطوطين: ((أوضع)).
[2] في ك: ((ذدي)).
[3] وردت هذه الكلمة في المخطوطين، وسقطت في ت.
[4] في ت: ((كتابتهم)).
[5] في المخطوطين: ((أوسحوا)).
[6] في ك: ((قد)).
[7] في ك: ((الثريا))، وفي ج: ((الرياي)).
[8] في الملكية: ((يخص علاهم)).

ولا خفاء ببراعة هذه الرسالة[1] على طولها، وكثرة أصولها، وما اشتملت عليه من وصف وعارضة، وإشارة وإحالة، وحلاوة وجزالة.

شعـره

ثبت لديّ من متأخر شعره قوله من قصيدة، يمدح بها ملك **المغرب**[2]، أمير المسلمين، عند دنو ركابه من ظاهر **تلمسان** ببابه أولها[3]:

خطــرت كميــاس[4] القنـــا المتأطــر[5]

ورنـــت بألحـــاظ الغــزال الأعفــر

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الرياسة)).

[2] هو السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني. حكم من سنة 731هـ/1330م إلى سنة 749هـ/1348م؛ السنة التي اغتصب فيها الحكم منه ابنه أبو عنان فارس، وكانت وفاة أبي الحسن في جبل هنتاتة سنة 752هـ/1351م.

[3] قال هذه القصيدة مادحاً السلطان أبي الحسن، ومحرضاً إياه على حرب حرب أبي تاشفين عبد الرحمن الأول؛ ذلك السلطان الزياني الذي تآمر على والده وقتله. أما القصيدة المذكورة؛ فقد اكتفى ابن الخطيب بمطلعها المتمثل في البيت الأول؛ وهي من البحر الكامل. أما ابن الأحمر ـ في نثير فرائد الجمان؛ فقد نشر القصيدة كاملة في خمسين بيتاً.

[4] في المخطوطين: ((كمياد)).

[5] في ت: ((المتناظر))، وفي المخطوطين: ((الناظر))؛ وهو تحريف.

ومن شعره في النسيب[1]:

زارت وفي كل لحظ طرف[2] محترس

وحـــول كل كنـــاس كـــف مفتـــرس

يشكو لها الجيد ما بالحلي من هـــدر

ويشتكي الزند ما بالقلب من خـــرس

متى[3] تلا خدها الزاهي الضحى نطقت

سيـــوف ألحاظهـــا من آية الحـــرس

في لحظهـــا سحر فرعون ورقتهـــا[4]

آيات[5] موسى وقلبي موضـــع القبـــس

تخفي النموميـــن من حلي ومبتســـم

تحت الكتومين من شعر ومن غلـــس

وترسل اللحظ نحوي ثم تهـــزأ بـــي

تقول بعد نفـــوذ[6] الزَّمْيـــة احتـــرس

---

[1] هذه القصيدة من بحر البسيط.

[2] سقطت كلمة ((طرف))في المخطوطين، والملكية أيضاً .

[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت في ك: ((معنى))، وفي ج: ((معي)).

[4] في المخطوطين: ((ورمتها)).

[5] نفسه: ((آية))؛ وصوبت من ت.

[6] ذكرت في ج، و ت؛ بينما سقطت في ك.

أشكـــو إليها فـــؤاداً واجـــلاً[1] أبـــداً

في النازعات وما تنفــك من عبـــس

يا شقـــة النفس إن النفـــس قد تلفـــت

إلا بقيـــة رجـــع الصـــوت والنفـــس

هذا فـــؤادي وجفني فيـــك قد جمعـــا

ضدين فاعتبري إن شئت واقتبـــسي

ويـــا لطـــارق[2] نـــومٍ منـــكِ أرقـــني

ليـــلا ونبهـــني للوجـــد ثـــم نـــسي

ما زال يشرب من ماء القلوب فلـــم

أبصرته ذابـــلاً يشكـــو من اليبـــس

مـــلأتِ طرفي عن وردٍ تفتـــح فـــي

ريـــاض خديك صلاًّ[3] غير مفتـــرس

وقلت للّحـــظ والصّدغ أحرسا فهمـــا

ما بين مُصْـــمٍ وفتّـــاك[4] ومنتكـــس

---

[1] في المخطوطين: ((ووجه))؛ وصوبت من ت، والملكية.

[2] في، وت: ((ويا لطرف))، وفي ك: ((وبالطرف)).

[3] في المخطوطين: ((ضلا))، وف ت، والملكية: ((بالأصيل)).

[4] في المخطوطين: ((ومایاه)).

وليلـــة جئتهـــا سحراً[1] أجـــوس بهـــا

شبا العوالي وخيس الأخنف الشرس

أستفهـــم الليـــل عن أمثـــال أنجمـــه

وأسأل[2]العيس[3] عن سرب المها الأنس

وأهتـــك الستر لا أخـــشى بـــوادره

ما بيـــن منتهـــزٍ طـــوراً ومنتهـــس

بتنا نعاطي بها ممزوجـــةً مزجـــت

حلـــو[4] الفكاهـــة بين اللين والشـــرس

أنكحتهـــا من أبيهـــا وهـــي آيســـةٌ

فثـــار أبناؤهـــا في ساعة العـــرس

نـــورٌ ونـــارٌ أضاءا في زجاجتهـــا

فـــذاك خـــدُّكِ يـــا ليـــلى وذا نَفَـــسِ[5]

---

[1] في النسخ الأربع: ((ليلاً)).
[2] غير د. طويل ألف القطع في بداية كلمة: ((أسأل))؛ وجعلها ألف وصل؛ وهو أسلم.
[3] في ك: ((العبس)).
[4] في النسخ الأربع: ((حال.
[5] جعلها د. طويل ((نفسي))؛ وهو أسلم.

حتى إذا آب نور[1] الفجر في وضـــح[2]

معـــرك جال بين الفجـــر والغلـــس

وهيمنت بالضنا تحت الصباح صبـــاً

قد أنذرتها ببـــرد القلـــب واللَّعْـــس

قامت تجـــر فضـــول الريط آنســـة[3]

كريمة الذيـــل لم تجنـــح إلى دنـــس

تلـــوث فوق كثيب الرمل مطرفهـــا

وتمســـح النوم عن أجفانهـــا النعـــس

فظـــل قلـــبي يقفوهـــا بملتهـــــب

طـــوراً ودمـــعي يتلوهـــا بمنبجـــس

دهـــر يلـــون لونيـــــه كعادتـــــه

فالصبح في مأتـــمٍ والليل في عـــرس

وإحسانه كثير، مقداره كبير. ثم آب إلى **بلاد السودان**، وجرت عليه في طريقه محنة، ممن يعترض الرفاق ويفسد السبيل. واستقر بها على حاله من الجاه

---

[1] في النسخ الثلاث: ((الليل)).

[2] سقطت في النسخ الأربع.

[3] سقطت في المخطوطين؛ وفي الملكية: ((من طهر)).

والشهرة، وقد اتخذ[1] أماء للتسري من الزنجيات، [ورزق][2] من الجوالك أولاداً كالخنافسة، ثم لم يلبث أن اتصلت الأخبار بوفاته **بتنبكتو**[3]؛ وكان حياً في أوائل تسعة وثلاثين وسبعمائة[4].

***

[1] في ك: ((أخذ)).

[2] هذه الكلمة سقطت في المخطوطين، وفي الملكية أيضاً؛ فأضافها عنان.

[3] تنبكتو كانت عاصمة لمملكة شهيرة في جنوب الصحراء؛ وموقعها الآن في مالي، وتربض على ضفاف نهر النيجر.

[4] الموافق لـ 1338م. في فرائد نثير الجمان ونفح الطيب: توفي بمالي من أرض جناوة (قناوة) سنة 744هـ1343م.

إبراهيم بن عبد الله

ابن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا إسحاق؛ ويعرف بابن الحاج[1].

أوليته

بيت نبيهٌ، يزعم من يُعنى بالأخبار، أن جدهم الداخل إلى **الأندلس ثوابة بن حمزة النميري**، ويشركهم[2] فيه **بنو أرقم الوادي شيون**[3]. وكان سكناه بجهة **وادي آش**، ولقومه اختصاصٌ وانتقال ببعض جهاتها، وهي: **شَوْظَر، والمنظر، وقرسيس، وقطرش**[4]. تغلب العدو عليها على عهد **عبد العزيز**[5]، وآوى جميعهم، إلى كنف **الدولة النصرية**؛ فانخرطوا في سلك الخدمة، وتمحض خلفهم بالعمل. وكان جده الأقرب **إبراهيم**، رجلا خيراً [من أهل

---

[1] توجد ترجمة ابن الحاج النميري أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج، والمنهل الصافي، ونثير فرائد الجمان، ونفح الطيب.
[2] في ك: ((ويشكرهم)).
[3] يقصد الوادي آشيون؛ نسبة إلى مدينة وادي آش بالأندلس؛ وقد سبق التعريف بها.
[4] لا يعرف من هذه البلدان سوى شوظر؛ التي تسمى الآن Jodar؛ وهي في أعمال جيان؛ وفي الجهة الجنوبية من مدينة أبدة. ويبدو أن المواقع الأخرى ـ حتى وإن كانت غير معروفة ـ فلا تخرج من نطاق جيان ووادي آش.
[5] جد المترجم له.

الدين] والفضل والطهارة والذكاء، كتب للرؤساء من **بني إشقيلولة،** عند انفرادهم **بوادي آش**. واختص بهم، وحصل منهم على صهر بأم ولد بعضهم، وضبط المهم من أعمالهم. ثم رابته منهم سجايا، أوجبت انصرافه عنهم، وجنوحه[1] إلى خالهم السلطان الذي كاشفوه بالثورة، فعرف حقه، وأكرم وفادته، وقبل بيانه، فقلده ديوان جنده، واستمرت أيام عمره تحت رعيه، وكنف عنايته، وكان ولده **عبد الله أبو صاحبنا المترجم به،** صدراً من صدور المستخدمين في كبار الأعمال، على سنن[2] رؤسائهم، مكسباً متلافاً[3]، سرى النفس، [غاض الحواز][4]. ولي الأشغال **بغرناطة وسبتة**، عند تصيرها إلى إيالة **بني نصر**، وجرى طلاقه هذا، في صلِّ دنيا عريضة، تغلبت عليه بآخرة، ومضى لسبيله، مصدوقاً بالكفاية، وبراعة الخط، وطيب النفس، وحسن المعاملة.

---

[1] حرفت في ك؛ فكتبت: ((وجنوحهم)).
[2] في ك: ((سر)).
[3] في ج: ((متلافافا)).
[4] في المخطوطين: ((غاص الحواز))، وفي ت: ((غاص للحوار))، وفي الملكية: ((غاضا للحواز)).

حالـه

هـذا الرجـل؛ نشـأ عـلى عفـاف وطهـارة، امتهـك صبابة تـرف من بقايا عافية، أعانته عـلى الاستظهار ببزة، وصابته مـن التحـرف بمهنة. ثـم شـد وبهـرت خصالـه، فبطـح بالشعـر، وبلـغ الغاية في إجادة[1] الخـط، وحاضـر بالأبيـات، وأرسـم[2] في كتابة الإنشـاء، عـام أربعـة وثلاثيـن وسبعمائة[3]، مستحقاً حسـن سمـة وبراعـة خـط، وجـودة أدب[4]، وإطـلاق يـد، وظهـور كفاية، وفـي أثنـاء هـذا الحـال، يقيـد ولا يفتـر، ويـروي الحديـث، ويعلـق[5] الأناشيـد، ولا يغـب النظـم والنثـر، ولا يعفـي القريحة، معمـي، مخـولا فـي العنايـة، مشتمـلا عـلى الطهـارة، بعيـداً فـي زمـان الشبيبة عـن الريبـة، نزيهـاً عـلى الوسامـة عـن الصبـوة[6] والرقيـة، أعانـه عـلى ذلـك، نخـوة في طبعـه وشفـوفٌ وهمـة[7]. كـان مليـح الدعابـة،

---

[1] في نفح الطيـب: ((جـودة)).
[2] نفسـه: ((وارتسـم في كتـاب الإنشـاء)).
[3] الموافـق لـ 1333م.
[4] في النفـح: ((سمـت، وجـودة أدب وخـط))
[5] في المخطوطيـن والملكيـة: ((ويغلـق)).
[6] في ج: ((الكبـوة))، وفي ك: ((الطبـوة)).
[7] في ك، وت: ((ووهمـه)).

الدعابة، طيب الفكاهة، [آثر **المشرق**][1]؛ فانصرف عن[2] **الأندلس** في محرم عام سبعة وثلاثين وسبعمائة[3]، وألم بالدول، محركاً إياها بشعره، هازاً أعطافها بأمداحه، فعرف قدره، وأعين على طيته، فحج وتطوف، وقيد، واستكثر، ودون في رحلة سفره، وناهيك بها طرفة، وقفل إلى **إفريقية**، وكان علق بخدمة بعض ملوكها، فاستقر **ببجاية** لديه، مضطلعاً بالكتابة والإنشاء. ثم انتقل إلى خدمة سلطان **المغرب**، أمير المسلمين **أبي الحسن**، ولم ينشب أن عاد إلى **البلاد المشرقية**؛ فحج، وفصل إلى **إفريقية**، وقد دالت الدولة بها بالسلطان[4] المذكور، فتقاعد فتقاعد عن الخدمة، وآثر الانقباض، ثم ضرب الدهر ضرباته، وآل حال السلطان إلى ما هو معروف، وثابت **للموحدين** برملة **بجاية** بارقة لم [تكد تتقد][5] حتى خنت فعاد إلى ديوانه من الكتابة عن صاحب **بجاية**. [ثم][6] أبى

---

[1] ذكت هذه العبرة في النسخ الأربع هكذا: ((إلى أثر المشرق))؛ فصوبها عنان.
[2] في المخطوطين: ((إلى))؛ فصوبها عنان.
[3] الموافق لـ 1336م.
[4] في المخطوطين: ((السلطان)).
[5] نفسهما: ((تكن تقد))؛ فصوبها عنان.
[6] كلمة ((ثم)) أضافها عنان.

مؤثراً للدعة في كنف **الدولة الفارسية**[1]، ونفض عن الخدمة يده، لا أحقق مضطراً أم اختياراً، وحجة كليهما قائمة لديه، وانقطع إلى تربة الشيخ **أبي مدين بعباد**[2] **تلمسان**، مؤثراً للخمول، عزيزاً به، ذاهباً مذهب التجلة من التجريد والعكوف بباب الله، مفْخَراً، لأهل نحلته[3]، وحجة على أهل الحرص والتهافت، من ذوي طبقته، راجع الله بنا إليه بفضله، ثم جبرته **الدولة الفارسية** على الخدمة، وأبْرَته بزة النسك، فعاد إلى ديدنه من الكتابة، رئيساً ومرؤوساً. ثم أفلت نفيه موت السلطان **أبي عنان**؛ فلحق **بالأندلس**، وتلقى ببر وجراية، وتنويه وعناية، واستعمل في السفارة إلى الملوك، وولى القضاء في الأحكام الشرعية **بالقليم** بقرب الحضرة. وهو الآن بحاله الموصوفة، صدراً من صدور القطر وأعيانه، يحضر[4] مجلس مجلس السلطان، ويعد من نبهاء من ينتاب بابه، وقد

---

[1] نسبة إلى سلطان بني مرين أبي عنان فارس.

[2] العباد قرية ملاصقة لتلمسان؛ أصبحت الآن حياً من أحيائها؛ بها قبر الولي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسين؛ المتوفي سنة 594هـ/1197م..

[3] في ك: ((نخلته)).

[4] في ج، والملكية: ((بحضرة)).

توسط من الاكتهال، مقيماً لرسم الكتابة والظرف مع الترخيص للباس الحرير، والخضاب بالسواد، ومصاحبة الأبهة، والحرص على التجلة. وجرى ذكره في **التاج المحلي** بما نصه[1]: ((طلع شهاباً ثاقباً، وأصبح بشعره للشعرى مصاقباً، فنجم وبرع، وتمم المعاني واخترع، إلى خط يستوقف الأبصار رايقه، وتقيد الأحداق حدايقه، وتفتن الألباب فنونه البديعة وطرايقه، من بليغ يطارد[2] أسراب المعاني البعيدة فيقتنصها، ويغوص على الدرر الفريدة فيخرجها، ويستخلصها بطبع مذاهبه دافقة، وتأييد رايته خافقة، نبه في عصره شرف البيان من بعد الكرى، وانتدب بالنشاط إلى تجديد ذلك البساط وانبرى، فدارت الأكواس[3]، وتضوع الورد والآس، وطاب الصبوح، وتبدل الروح المروح، ولم تزل نفحاته تتأرج، وعقائل بناته تتبرج، حتى دعي إلى الكتابة، وخطب إلى تلك المثابة[4]، فطرز المفارق برقوم أقلامه، وشنف المسامع بدر كلامه. ثم

---

[1] هذا النص موجود أيضاً في الكتيبة الكامنة؛ ولكنه يختلف عما هو في النص أعلاه.

[2] في المخطوطين والملكية: ((يطارب))؛ فصوبها عنان.

[3] المصادر نفسها: ((الكباس))؛ وصوبت من الملكية.

[4] في ج: ((المثوبة)).

أجاب داعي نفسه التي ضاق عنها جثمانه، لا بل زمانه، وعظم لها فكره وغمه، وتعب [في][1] مداراتها، وكما قال **أبو الطيب المتنبي**: (وأتعب خلق الله من راد محمده). فارتحل لطيته، واقتعد غارب[2]، مطيته، فحج وزار، وشد للطواف الإزار. ثم هبا إلى **المغرب** وحوم، وقفل قفول النسيم عن الروض بعد ما تلوم، وحط **بإفريقية** على نار القرى، وحمد[3] بها صباح السرى، ولم يلبث أن تنقل، ووحر الحميم شفافه وتنغل، ثم بدا له أخرى فشرق، وكان عزمه أن يجتمع فتفرق.

مشيخته

روى عن مشيخة بلده وأشجر، وقيد واستكثر، وأخذ في رحلته عن أناس شتى بشق إحصاؤهم[4].

---

[1] ((في)) أضافها عنان.
[2] في المخطوطين: ((غاب))؛ وهو تحريف.
[3] في ج: (وحم))، وفي ك: ((وحمل))؛ فصوبها عنان.
[4] في ج: ((احصارهم)).

توالیفـه

منها كتاب ((**المساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة**))، و((**إيقاظ[1] الكرام بأخبار المنام، وتنعيم الأشباح بمحادثة[2] الأرواح**))، و((**كتاب الوسائل ونزهة المناظر والخمائل**))، و((**الزهرات وإجالة النظرات**))، وكتاب في ((**التورية**)) على حروف المعجم؛ أكثره مروي بالأسانيد عن خلق كثير، والله تعالى يخره، و((**جزءٌ في تبيين المشكلات الحديثة الواصلة من زبيد اليمن[3] إلى مكة**))، و((**جزء في بيان اسم الله الأعظم[4]**))، وهو كبير الفائدة، و((**نزهة الحَدَق في ذكر الفِرَق**))، و((**كتاب الأربعين حديثاً البلدانية**))، و((**المستدرك عليها من البلاد التي دخلتها، ورويت فيها**))؛ زيادة على الأربعين، و((**روضة العباد المستخرجة من الإرشاد**))؛ وهو من تأليف شيخنا القطب **أبي محمد**

---

[1] في المخطوطين: ((إيقاض)).
[2] في المخطوطين: ((محادثة)).
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((زبيد المن)).
[4] في نفح الطيب: ((الاسم الأعظم؛ كثير الفائدة)).

الشافعي، و((**الأربعون حديثاً التي رويتها عن الأمراء والشيوخ**))؛ الذين [رووا][1] عن الملوك والأمراء، والشيوخ الذين رووا عن الملوك والخلفاء القريب عهدهم، ووصلت بها خاتمة ذكرت فيها فوائد مما رويته عن الملوك والأمراء، وعن الشيوخ الذين رووا عن الملوك والأمراء، و((**كتاب اللباس والصحبة**))؛ وهو الذي جمعت فيه طرق المتصوفة، المدعى أنه لم يجمع مثله، و((**كتاب فيه شطر الحماسة**))؛ لحبيب؛ وهو غير مُكْمَل، و((**رجز**[2] **في الفرائض**))؛ على الطريقة البديعة التي ظهرت ببلاد[3] الشرق، و((**رجز صغير في الحَجْب والسلاح**))، و((**رجز في الجدل**))، **ورجز**[4] **في الأحكام الشرعية** سماه[5]، ((**بالفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة**))، وكتاب سماه ((**بمثاليث**[6] **القوانين، في التورية والاستخدام والتضمين**))؛ **والتضمين**))؛ وهو كله من نظمه، وله تأليف سماه بـ((

---

[1] سقطت هذه الكلمة في ك.
[2] في نفح الطيب: ((وجزء)).
[3] نفسه: ((بالمشرق)).
[4] نفسه: ((جزء)).
[5] في المخطوطين: ((سميته))؛ فصوبها عنان.
[6] في النفح: ((مثالب)).

فيض العباب، وإجالة قداح الآداب، في الحركة إلى قسنطينة والزاب[1])).

شعـره

ومـن شعـره فـي المقطوعـات[2]:

طاب العذيـــب بماء[3] ذكرك وانثـــنى

فكأنمـــا مـــاء العذيـــب سلافـــــه

واهتـــز من طربٍ للقيـــاك الحـــمى

فكأنمـــــا بأناتـــــه[4] أعطافـــــه

ومـن ذلـك[5]:

لي المـــدح يروى منذ كنـــت كأنمـــا

تصـــورت مدحـــاً للـــورى وثنـــاء

---

[1] في المخطوطيـن: ((الذبـاب))؛ وهـو تحريـف. وقسنطينـة مدينـة عريقـة؛ كانـت تـسمى قبل العهد الرومـاني ((سيرتـا)) أو قرتـا))؛ وتعتبـر الآن عاصمة الشرق الجزائري. أما الزاب؛ فهي المنطقة الجنوبية لقسنطينة؛ تشتهر بنخيلها وبساتينها الواسعة، وتمورها الجيدة؛ وعاصمة الزاب الآن هي مدينة بسكرة.

[2] هذان البيتـان يوجـدان أيضـاً في الكتيبـة الكامنـة. وهمـا مـن بحـر الكامـل.

[3] في الكتيبـة الكامنـة: ((بطيـب)).

[4] نفسـه: ((باناثـهً))؛ وهي أصلـح.

[5] هذان البيتـان يوجـدان أيضـاً في الكتيبـة الكامنـة، ونثيـر فرائـد الجمـان، ونفـح ونفـح الطيـب. وهمـا مـن البحـر الطويـل.

ومـــالي هجـــاء فأعجبـــن لشاعـــر
وكاتـــب ســـرٍ لا يقيـــــم هجـــاء

ومـن ذلـك[1]:

ولـي فرسٌ من علية الشهب سابـــق
أصرفـــه يوم الوغى كيـــف أطلـــب

عدوت[2] له في حلبـــة القـــوم مالكـــا
يتابعني[3] ما شئت في [السبق][4] أشهب[5]

وقـال: وقـد وقـف حاجـب السلطـان علـى عيـن مـاء ((فيـض الثغـور[6]))، وشـرب منهـا[7]:

تعجبـــت مـــن ثغـــر هـــذي البـــلاد
وهـــا أنـــت مـــن [عينـــه شـــارب][8]

---

[1] هـذان البيتـان يوجـدان أيضـاً في الكتيبـة الكامنـة. وهمـا مـن البحـر الطويـل.
[2] في الكتيبـة الكامنـة: ((غـدوت))؛ بالغيـن المعجمـة.
[3] في ك: ((فـتى يعـني)).
[4] هـذه الإضافـة مـن الملكيـة؛ بينمـا بـقي في موضعهـا بيـاض في ج.
[5] ورد هـذا الشطـر في الكتيبة الكامنة هكذا: ((فتابعـني منـه كمـا شـاء أشهـر)).
[6] في نفـح الطيـب: ((ببعـض الثغـور)).
[7] هذان البيتـان يوجـدان أيضـاً في نفـح الطيـب. وهمـا مـن بحـر المتقـارب.
[8] في الملكيـة: ((عينهـا تشـرب)). وورد عجـز هـذا البيـت في نفـح الطيـب هكـذا: ((ومـولاي مـن عينهـا شـاربُ)).

فللـــه ثغــــر أرى شاربـــاً

وعيــنٌ بــدا فوقهـــا حاجــــب

ومن ذلك :[1]

وحمــراء فـــي الكـــأس مشمولـــة

تحـــث على العَــوْد[2] فـــي كل بيـــت

فـــلا غَــرْوَ أن جـــاءني سابقـــا

إلى الأنس خـــلٌّ[3] يحـــثُّ الكميـــت

وقال مُضَمِّنا ؛ وقد تذكّر **حمراء غرناطة**، وبابها الأحفل ؛ المعروف بـ((باب الفرج))[4]:

أقــول وحمـــراء غرناطـــة تشـــوق

النفـــــوس وتســــبي المهـــــج

ألا ليــت شعــري بطــول السُّــرى

أرتنـــا الـــوجى واشتكـــت[5] العـــرج

---

[1] هذان البيتان يوجدان أيضاً في الكتيبة الكامنة ونفح الطيب. وهما من بحر المتقارب.
[2] سقطت في المخطوطين؛ وأضيفت من الملكية، ونفح الطيب.
[3] في المخطوطين: ((حل))؛ وفي الكتيبة: ((حب)). وفي نفح الطيب: ((خل)).
[4] كان آنذاك باب الفرج؛ هو الباب الرئيس لقصر الحمراء؛ وهو يلي باب باب الشريعة. ويعتبر المدخل الحالي لقصر الحمراء هو المكان الذي كان قائماً فيه باب الفرج. أما الأبيات التالية؛ فهي من بحر المتقارب.
[5] في ك: ((واستكتب))، وفي ج: ((واستكتبه)).

ومـــا لـــي فـــي عـــرجٍ رغبـــةٌ

ولكـــن لأقـــــرع بـــاب الفـــــرج

وقال مُلْغزاً في قلم وهر ظريف[1]:

أحاجيـــك[2] مـــا واشٍ يـــراد حديثـــه

ويهوى الغريب النازح الدار إفصاحه

تـــراه مع الأحيـــان أصفـــر ناحـــلا

كمثل مريض وهو قد لازم الراحـــة[3]

وقال[4]:

وقالوا رمى في الكأس ورداً فهل ترى

لذلك وجهـــاً قلت أحســـن به قصـــدا

ألـــم تجد اللـــذات في الكـــأس حلبـــة

فلا تنكروا فيها الكميث ولا الـــوردا

---

[1] هذان البيتان وردا أيضاً في الكتيبة الكامنة ونفح الطيب. وهما من البحر الطويل.

[2] في نفح الطيب: ((سألتك)).

[3] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا:

((تراه مدى الأيام أصفر ناحلاً * كمثل عليل وهو قد لازم الراحة)).

[4] هذان البيتان من البحر الطويل.

وقال[1]:

[كمـــاة تلاقــت تحت نقع سيوفهــم
وللهــام رقــصٌ كلما طلــب الثــأر
فلا غــرو أن غنت وتلك رواقــص
...[2] فيهــم في مارد الحرب أوتـــار][3]

وقـال[4]:

وعـــارضٌ فـــي خـــده نباتـــه
فحسنـــه بين الـــورى يسحرنـــا
أجرى دموعي إذ جرت شوقا له
فقلـــت هذا عـــارضٌ ممطرنـــا

وقال وقد توفي السلطان **أبو يحيى بن أبي بكر** صاحب **تونس**، وولي ابنه **أبو حفص**[5]؛ بعد قتله لإخوته[6]:

---

[1] هذان البيتـان يوجـدان في الكتبـة الكامنـة. وهمـا مـن البحـر الطويـل.
[2] هنـا بيـاض؛ ولكـن د. طويـل؛ وضـع كلمـة: ((لهـا))؛ ليستقيـم الكـلام. بينمـا كتـب في الكتيبـة الكامنـة: ((فبينهـم في مـازق الحـرب أوتـار)).
[3] هذان البيتـان وردا بنصهمـا في ك؛ بينمـا أغفـلا في ج، والملكيـة.
[4] هذان البيتـان مـن بحـر الرجـز.
[5] في ج: ((أبـو جعفـر)).
[6] هذان البيتـان مـن البحـر الطويـل.

وقالوا أبو حفص حوى الملك غاصبـــاً

وإخوتـــه أولى وقــد جــاء بالنكــر

فقلت لهم كفـــوا فما رضي الـــورى

ســـوى عمر من بعد موت أبي بكـــر

وقال مُضَمِّناً ؛ وقد حضر الفتى الكبير عنبر قتالاً ؛ وكان فارساً مذكوراً عند **بني مرين**[1]:

ولقــد أقـــول وعنبـــرٌ ذاك الفـــتى

يلقى الفوارس في العجـــاج الأكـــور

يا عاثريـــن لدى الجـــلاد لعـــاً فقــد

بسقـــت[2] لكـــم ريـــح الجلاد بعنبـــر

وقال وقد اشتاق إلى **السبيكة**[3] خارج **حمراء غرناطة**[4]:

---

[1] هذان البيتان من بحر الكامل.

[2] في ج: ((تبعت)).

[3] السبيكة: هي الساحة المتسعة النضرة في الجنوب الشرقي من الحمراء.

[4] هذان البيتان من مجزوء الرمل.

وإن[1] إفـــــراط بكــــائي
لــم يَــرُعْ مــني عريكــــة
قــــد أذاب العيـــن لمــــا
زاد شـــــــوقي للسبيكـــة[2]

وقال[3]:

لما نزلت من السبيكة صـــادني
ظبيٌ وددت لديه أن لم أنزل
فاعجب لظبي صاد ليثاً لم يكن
من قبلها متخبطاً[4] في أحبــل

وقال وهو ظريف[5]:

قد قـــارب العشرين ظـــبيٌ لم يكـــن
ليـــرى الـــورى عن حبـــه سلوانـــا
وبـــدا الربيــــع بخـــده فكأنمـــا
وافـــى الربيـــع ينـــادم النعمانـــا

---

[1] حذف د. طويل حرف الواو، واكتفى بكلمة: ((إنَّ))، وهذا أسلم.
[2] تم دمج هذين البيتين ضمن بيت واحد في المخطوطين، بينما هما ساقطان في الملكية.
[3] هذان البيتان من بحر الكامل.
[4] في ج: ((**متحصناً**)).
[5] هذان البيتان من بحر الكامل.

وقال[1]:

أتـــوني فعابـــوا من أحـــب جمالـــه
وذاك على سمـــع المحـــب خفيـــف
فما فيـــه عيـــبٌ غيـــر أن جفونـــه
مـــراضٌ وأن الخصر منه ضعيـــف

وقال[2]:

أيا عجبـــاً كيف تهوى الملـــوك
محـــلي وموطن أهلي ونـــاسي
وتحســـدني وهـــي مخدومـــــة
ومـــا أنـــا إلا خديـــم بفـــــاس

نثـره

ونثره تِلْوَ نظمه في الإجادة؛ وقد تضمن الكتاب المسمى **بنفاضة الجراب**[3]؛ منه ذكر كل بديع؛ فمما ثبت

[1] هذان البيتان يوجدان أيضاً في الكتيبة الكامنة. وهما من البحر الطويل.
[2] هذان البيتان من بحر المتقارب.
[3] كتاب لابن الخطيب؛ وعنوانه بالكامل: ((نفاضة الجراب في علالة الإغترب)) . تمت الإشارة إليه في المقدمة.

فيه؛ مما خاطبته به. وقد ولي خطة القضاء بالإقليم؛ أداعبه، وأثير ما تستحويه عجائبه[1]:

أيا[2] قاضي العدل[3] الذي لم تزل
تمتار شهب الفضل من شمسك
قعدت للإنصاف[4] بين الورى
فاطلب لنا الإنصاف من نفسك

((ما للقاضي، أبقاه الله، ضاق ذرع عدله الرحيب، عن العجيب، وهم عن العتب، وضَنَّ[5] على صديقه حتى بالكتب، أمن المدونة الكبرى ركب هذا التحريج، أم من المبسوطة ذهب إلى هذا الأمر المريج، أم من الواضحة امتنع عن الإمام ببديع الوفاء والتعريج، من أمثالهم إرضَ من أخيك بعشر وده إذا وُليّ، وقد قنعنا والحمد لله بحبة من مده، وإشارة من درجه، وبُرَّة وصاعةٍ[6]، معتدلة، من زمان بلوغ أشده، فما باله يمطل مع الغِنى، ويحوج إلى

[1] البيتان التاليان من البحر السريع.
[2] حذف د. طويل ((الألف)) قبل الياء؛ فأضحت: ((يا قاضي))؛ وهو أسلم.
[3] في المخطوطين: ((أعدل)).
[4] في المخطوطين: ((للانصراف))؛ فصوبها عنان.
[5] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وطر)).
[6] في ك: ((واسعة)).

العنا، مع قرب الجَنَى، المحلة حلة ضالع، ومطمعٍ وطامع، ومرأى[1] ورأى، ومستمع وسامع، والكنف الواسع، والمكان لا ناءٍ ولا شاسع، والضرع حافل، والزرع كافٍ كافل، والقريحة وارية الزند، والإمامة خافقة البند، وهب أن البخل يقع بها في الخوان على الإخوان. فما باله يسمح بالبيان، وليس الخبر كالعيان، ويتعدى حظ الجنان، لا خط البنان، أعيذ سيدي من ارتكاب رأيٍ ذميم، ينقل إلى نميرها بيت تميم، ويقصد معناه بتميم، وهلا تلاحم، وعهدي بالسياسة القاضوية[2]، وقد نامت [في مهاد أهل الظرف][3]، نوم أهل الكهف، ولم تبال بمردد الويل واللهف، أو شربة لحفظ الصحة بخَتْجا، ودقت لإعادة الشبيبة عَفْصَا وَرْدٍ سَخْتَجا، وغطت الصبح بالليل إذا سجا، ومدت[4] على ضاحي البياض صلاً[5] سَجْسجا، سَجْسجا، وردت سوسن العارض بنفسجاً[6]، ولبس بحرها

---

[1] في ك: ((مراء)).
[2] في ك: ((العاطوية))، وفي ج: ((الفاطوية))، وفي الملكية: ((الفاطرية)).
[3] في ج: ((في مهاد الترف)).
[4] في ك: ((ومرت)).
[5] نفسه: ((هلا)).
[6] نفسه: ((سفسجا)).

الزاخر من طحلب البحر منتسجا، وأحكام العامة، ومزين[1] المرأة ينصح ويرشد، ويطوي المحاسن وينشد، حتى حسنت الدارة، وصحت الاستدارة، وأعجبه الوجه الجميل، والقد الذي يميد في دكة الدار ويميل، وأغرى بالسواك السميم والتكميل، وولج بين شفرتي سيد الميل، وقيل لو صاح اليمين خاب فيك التأميل، وامتد جناح برنس السرق، واحتفل[2] الغصن الرطيب في الورق، ورش الورد بمائه عند رشح العرق، وتهيأ لمنطلق، فقرأت عليه نساء أعوانه، وكتبة ديوانه، سورة الفلق، من بعد ما وقف الإمليق[3] حجابه على إقدامهم، وسحبهم جلاوزته من أقوامهم، فمثلوا واصطفوا، وتألفوا والتفوا، وداروا وحفوا، وما تسللوا ولا خفوا[4]، كأنما أسمعتهم صيحة النشر، وأخْرجوا لأول الحشر. فعيونهم بملتقى المصراع معقودة، وأذهانهم لمكان الهيبة مفقودة، وحبالتهم قبل الطلب بها منقودة، فبعد ما فرش الوساد، وارتفع بالنفاق

---

[1] في ج، وفي الملكية، وك: ((ومدين)).
[2] في ك: ((واحتمل)).
[3] في ج: ((الأملين)).
[4] في المخطوطين، والملكية: ((وحفوا)).

الكساد، وذارع[1] البكا وتأرج الحساد، واستقام الكون وارتفع الفساد، وراجعت أرواحها الأجساد، جاءت السادة القاضوية فجلست، وتنعمت الأحداق بالنظر فيها واختلست، وسجت الأكف حتى أفلست، وزانت شمسها ذلك الفلك، وجلت[2] الأنوار ذلك الحلك، وفتحت الأبواب وقالت هيت لك، ووقفت الأعوان سماطين، ومثلوا خطين، وتشكلوا مجرة تنتهي منك إلى البطين، يعلنون بالهدية ويجهرون، و﴿لَا[3] يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4]، من كل شهاب ثاقب وطائفٍ غاسق واقب، وملاحظ مراقب، كميش الإزار، بعيد المزار، حامل للأوبار[5]، خصيم[6] مبين، وراثٌ سوفسطائياً[7] سوفسطائياً[7] عن رثين، مضطلع بفقه البين[8] وحريمها،

---

[1] في ج، وفي الملكية: ((ودارع)).

[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وجلب)).

[3] ((ولا)) سقطت في المخطوطين؛ بينما ورد في ت، والملكية.

[4] الآية كاملة هكذا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾. سورة التحريم؛ الآية: 6.

[5] في المخطوطين: ((للأوربار)).

[6] في ج: ((خيم)).

[7] في المخطوطين: ((سوفطائياً)).

[8] في ج: ((البيق)).

فضلا عن تلقين الخصوم [وتعليمها][1]، يرأسهم العريف المقرب، والمقدم المدرب، والمشافه المباشر، والنابح الشاكر، والنهج العاشر، الذي يقتضي خلاص العقد، ويقطع الكالي والنقد، ويزكي ويجرح، ويمسك ويسرح ويطرح، ويحمل من شاء أو يشرح، والمسيطر الذي بيده ميزان الرزق[2]، وجميع أجزاء المفترق، وكافة[3] قابلة، وحم الدواة الفاغرة، ورشا بلالة الصدور الواغرة. فإذا وقف الخصمان بأقصى مطرح الشعاع، أيان[4] يجتمع الرعاع، وأعلنا الندا، وطلب الأعداء. وصاحا جعل الله أنفسنا لك الفدا، ورفع الأمر إلى مقطع الحق، والأولى بالمثوبة الأحق، أخذتهما الأيدي دفعاً في القُفِيّ، ورفعا الستر اللطيف الخَفِيّ، وأمسكا[5] بالحجر والأكمام، ومنعا المباشرة والإلمام، فإذا أدلى بحجته من أدلى، وسمعها دينه

---

[1] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.
[2] في ك: ((الورق)).
[3] في ك: ((كفة)).
[4] في ج، والملكية: ((أمان))، وفي ك: (وأماي))؛ فصوبها عنان.
[5] نفسه: ((وإمساكا))، وفي ك: ((وإمسا))؛ وهو تحريف.

عدلا، وحق القول[1]، واستقر[2] الهول، ووجبت اليمين، أو الأداء الذي يفوت له الذخر[3] الثمين، أو الرهن أو الضمين، أو الاعتقال الذي هو على أحدهما كالأمين، نهش الصِّل[4]، الذي سليمه لأهل، ولسبت[5] العقارب، التي لا يفلتها الهارب، ولا تَخفَى منها المشارب، وكم تحت ظلام الليل من غرارة يحملها غرّ، وصده ريح فيها صرّ[6]، ويهدي ارتقاب قلة شهد، وكبش يجر بقرنيه، ويدفع بعد رفع ساقيه، ومعزى وجدي وقلائد، [وسرب][7] دجاج، ذوات بجاج،

---

[1] إحالة إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ** ﴾. سورة السجدة؛ الآية: 13. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَى أكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾. سورة ياسين؛ الآية: 7. لآيات أخرى كذلك.

[2] في المخطوطين: ((استنفر)).

[3] نفسه: ((الزخر)).

[4] الصل: جنس خبيث من الحيات؛ يتواجد منه نوعان: يميل أحدهما إلى الخضرة، وفي جسمه بقع قاتمة؛ وتعيش هذه الحية في إفريقيا؛ لا سيما في مصر. أما النوع الآخر فهو أصفر اللون؛ ويعيش في الهند وإيران. والصل أيضاً معناه: الداهية.

[5] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت في ك: ((ألبست))، وفي ج: ((البيت في)). ولسب العقرب: أي لدغ؛ لأن هذه الكلمة الأخيرة تختص بالأفاعي؛ فيقال: لسبت العقرب، ولدغت الأفعى. ولكن شاع عكس ذلك.

[6] ريحٌ صرٌ: شديدة الصوت.

[7] في المخطوطين: ((وهو درب)).

يفضحـــن[1] الطـــارق، ويشعثـــن[2] المفـــارق. فمـتى يستفيــق سيـدي مع هـذا اللغط العائـد بالصلـة، واللهـو المتصلـة، وتفـرغ يـده البيضـا لأعمـال ارتيـاض، وخـط سـوادٍ في بيـاض، أو حنيـنٍ لـدوحٍ أو ريـاض، أو إمتـاع طـرف، باكتشـاف حـرف، أو إعمـال عـدل لرسـول فـي صـرف، أو حشـو طـرف، بتحفـة ظـرف، شأنـه أشـد استغراقاً، ومثـواه أكثـر طراقـاً، مـن ذكـرى حبيـبٍ ومنـزل[3]، وأم معـدل، وكيـف وكيـف يستخـدم القلـم الـذي يصـرف مـاء الحبـر[4]، بـذوب التبـر، فـي ترهـاتٍ عـدم جناهـا، وأقطـع جانـب الخيبـة لفظهـا ومعناهـا، اللهـم إلا أن تحصـل النفـس عـلى كفايـة تحتـم لهـا الصـدر، ويشـام مـن خلالهـا اللجيـن [الرفيـع][5] القـدر، أو أو يحيى للفكاهـة والأنـس، أو ينفـق لديهـا ذمـامٌ عـلى الجنـس. فربمـا تقـع المخاطبـة المبـرورة، وتبيـح هـذا المرتكـب الصعـب

---

[1] في ج: ((بمحصـر)).

[2] في ج: ((يشتعـن)).

[3] في هـذا إشـارة إلي بيـت امـرئ القيـس الـذي استهـل بـه معلقتـه؛ وهـو:
((قفـا نبـك من حبيـب ومنـزل * بسقـط اللـوى بين الدخول فحومـل)).

[4] في ك: ((البحـر)).

[5] سقطـت هـذه الكلمـة في المخطوطيـن؛ ووردت في ت.

الضرورة، والمرغوب من سيدنا القاضي أن يذكرنا[1] يوماً بالإغفال فى نعيمه، ولا يخيب آمالنا المتعلقة بأذيال زعيمه، ويسهمنا حظاً من فرائد خطه، لا من فوايد خطته، ويجعل لنا كفلا من فضل بريته وحنطته[2]؛ لا من فضل هرته وقطته[3]، فقد غنينا عن الحلاوات بحلاوات لفظه، وعن الطرف المجموعة، بفنون حفظه، وعن قصب السكر، بقصب أقلامه، وعن جنى الرَّوْم بروامه، وبهديه، عن جديه، وبمجاجته، عن دجاجته، وبدلجه عن أترجه، وعن البر ببره، وعن الحب بحبه ولا نأمل إلا طلوع بطاقته، وقد رضينا بوسع طاقته، وإلا فلا بد أن يجيش جيش الكلام إلى عتبه، ونوالي عليه ضرايب الكتايب، حتى يتقى بضريبة كتبه. والسلام[4])).

فراجعني بما نصه[5]:

---

[1] في المخطوطين: ((يذكر))؛ فصوبها عنان.

[2] نفسهما: ((بريته ومظنه))؛ وصوبت من الملكية.

[3] نفسهما: ((وقطعته))؛ فصوبها عنان.

[4] ذكرت هذه الكلمة في ك؛ وسقطت في ج، وفي الملكية.

[5] هذان البيتان من البحر الطويل.

فنيـــت عن الإنصـــاف مني لأنـــني

كما قلـــت لكم من فراقكـــم قـــاض

فمن سمعنـــا أو من بعينـــك إنـــني[1]

بكل الذي ترضـــاه يا سيـــدي راض

((عَمَرَكَ الله أيها الإمام الفذ، ومن بمدحه تطرب الأسماع وتلذ، أوحد الدنيا وحائز الرتبة العليا، ولولا أنك فوق ما يقال، والزلة إن لم تظهر العجز عن وصفك لا تقال، لأطلت في القول، وهدرت هدير[2] قرع الشول، لكن تحصيل، الحاصل محال، ولكل من تهيب كمالك مقال، ومقامٌ وحال، ولولا أن الدعاء مأمول، وهو يظهر الغيب مقبول، والزيادة من فضل الله لا تنتهي، والنعم قد توافيك، فوق ما تشتهي، لأُريت[3] أن ذلك [أمرٌ][4] كفى، وأمرٌ ظهر [فيه ما خفى][5]:

---

[1] ورد هذا الشطر في المخطوطين هكذا: ((فمن سمعنا أو بعتك إني)).

[2] في المخطوطين: ((هديع))؛ فصوبها عنان.

[3] في ك: ((لرأيتك)).

[4] سقطت هذه الكلمة في كل النسخ ما عدى: ك.

[5] ذكرت هذه العبارة في ج، بينما أغفلت في ك. وهذا البيت من البحر البسيط

[إن قلت لازلت مرفوعــاً فأنت كــذا
أو قلــت زانــك ربي فهو قد فعــلا][1]

إيه يا سيدي؛ ما هذه الكلمات السحرية والأنفاس النفيسة الشجرية، والألفاظ التي أنالت المرغوب وخالطت بشاشتها القلوب، والنزعات الرائقة، والأساليب الفائقة، والفصاحة التي سلبت العقول، والبلاغة التي أوجبت الذهول، والبيان الذي لا يضيق صحيفه[2]، ولا يبلغ أحد مده ونصيفه، يميناً بما احتوى من المحاسن، واللطائف التي لم يكن ماؤها بالآسن، وقسماً ببراعتك التي هي الواسي المطاع، وطرسك الذي أبهجت به الأبصار والأسماع، لقد عاد لي بكتابتك عيد الشوق، وجاد لي بخطابك جد التوق، ولعهدي بنفسي رهن أشجاني[3]، غير محلولة عقدة [لساني][4]، أشد من الصخرة جلدا، وأغلظ من

---

[1] هذا البيت ورد في ج، وفي الملكية؛ بينما سقط في ك.
[2] في ك: ((حصبفة)).
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: الشحاني.
[4] ذكرت في ك، والملكية؛ بينما أغفلت في ج.

الإبل كبداً. حتى إذا بدت حقيدة[1] القلب وهب نسيمه الرطب، وأفيح مورده العذب، وأضاء بنوره الشرق والغرب، ولم يبق لي بثٌ ولا شجن، ولا شاقني أهل ولا وطن، ومضى سيف اللسان بعد النبو، ونهض طرف الفكر بعد البكر، وهزني الطرب المثير[2] للأفراح، ومشى الجذل[3] في أطرافي وأعطافي مشي الراح، بيد أني خجلت ولا خجلة ربة الخدر[4]، وتضاءلت نفسي لجلالة ذلك القدر، وقلت ما لي بشربةٍ من كأس بيانه، وقطرة من بحور إحسانه، حتى أؤدي، ولو بعض حقك، وأكتب عقد ملك رقي لرقك، إنني على ما وليت من الصدقة والصداقة وبعد طلاقك، لكني أقوم في حقك مستغفراً، ولا أرضى أن أكون لذمة المخدوم خفراً، على أنني أقول، قد كتبت فلم يرد جوابي، وجرمت فهاج الجوى بي، ولعمري قد لزمت فيه خطة الأدب، ولم أر التثقيل على المولى الرفيع الرتب. فأما وقد نفقت عندك بضاعتي

[1] في ج: ((حقيرة))، وفي ك: ((حرقة)).
[2] في ج: ((المتين)).
[3] في المخطوطين: ((الجزل)).
[4] نفسه: ((الحذر)).

المزجاة، وشملني من لدنك الحلم والأناة، وشرفتني بالخطاب الكريم، والرسالة التي عرفت في وجهها نضرة[1] النعيم، فما أبغي إلا إيرادها[2] عليك وكلها خراج، ولبردها في الإجادة إنهاج، ولعلك ترضى التخريج من مدونة الأخبار، والمبسوطة والواضحة، لكن من الأعذار. وأما الولاية التي يقنع بسببها من الود بالعشر، أو بحبة من المد إلى يوم النشر، فلا بد أن يكون القانع محتاجاً للوالي، ومفتقراً إلى التفقد[3] المتوالي، وأما إذا كان القانع هو الذي تولى الخطة، وأكسب الهرّ[4] الذي أشار إليه والقطة، فهو قياسٌ عكسه كان أقيس، بل تعليمٌ لمن وجد في نفسه خيفةً وأوجس. وهأنا قد فهمت وعلمت، من حسن تأديبك ما علمت، وعلى ما فرطت في جنبك ندمت، وإلى المعذرة[5] والحمد لله ألهمت، ومع ذلك أعيد حديث الشيخ [القاضي][6]، وذكر عهدك به في الزمان الماضي،

---

[1] هذه الكلمة سقطت في ج.
[2] في المخطوطين، والملكية: ((أيراها)).
[3] نفسهما: ((تفقد)).
[4] في المخطوطين: ((الهند)).
[5] نفسهما: ((العذرة)).
[6] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين، والملكية؛ بينما وردت في ت.

فلقد أجاد، في الخضاب[1] بالسواد، واعتمد على قول المالكي الذي هدى [إلى الرشاد][2]، وأوجبه بعضهم في بلاد الجهاد، وبين عمر منافع الخضاب[3] الصادقة الإشهاد، وخضب بالسواد جماعة من الصحابة الأمجاد، وكان ذلك ترخيصاً لم يعد شرعاً، لكنه دفع شراً وجلب نفعاً، لا كأخيه الذي أبكى عين الحميم، وأنشد قول الرضي[4] يوم السقيم، وفجع قلوب أترابه، ولم يأت بيت النصف من بابه، وإلا فقد علم أن في الخير مشروع[5]، وتعجل الشيء قبل أوانه ممنوع، وستغبط أخاك ولو بعد حين، وما كل صاحب يحمد[6] في إيضاح وتبيين، وإني لأرجو أن تتزوجها بكراً، تلاعبها وتلاعبك، أو ثيباً تقصر عن حبها مآربك، فلا جرم ترجع إلى الخضاب، وحينئذ تمتع برشف الرضاب، وإلا قالت سيدي، لا تعظم المُنى، ولا

---

[1] في المخطوطين: ((بالخطاب))؛ فصوبها عنان.
[2] في ك: ((للرشاد)).
[3] في المخطوطين أيضاً: ((الخطاب)).
[4] الشريف الرضي: هو: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى. ولد ببغداد سنة 359هـ/970م وتوفي بها سنة 406هـ/1015م؛ تولى نقابة الأشراف الطالبيين.
[5] الأصح: ((مشروعاً)) لأنها اسم إنّ.
[6] في ك: ((يحمل)).

تجعل القطر قبل أن يموت[1] عمر، لعمر الله إن هذا الموقف صعب، قد ملأ الروح منه روعٌ ورعب، وإن أضاف إلى ذلك غلبة الأوهام، وظن الشيخوخة الصادرة عن نيل المرام، سكن المتحرك المصلوب، وتنغص عند ذلك المحبوب، والله يعينك أيها المولى، ويواليك من بسطه أضعاف ما ولي. وأما الأوصاف التي حسبتها[2] أوصافي، وأوجبت حكمها بالقياس على خلافي[3]، فهي لعمري أوصاف لا تراد، ومراعٍ لا شك أنها تراد، غير أني بعيد العهد بهذه البلاد، [لا أمت لها][4] إلاّ بالانتساب والميلاد لا لا كالقضاة الذين ذكرت[5]، لهم عهداً، ونظمت حلاهم[6] في جيد الدهر عقداً، ولو أنك [بسرك][7] بصرتني بشروط بشروط القضاء وسجايا أهل الصرامة والمضاء، لحققت المناط، وأظهرت الزهد والاغتباط، لكني جهلت [والآن

[1] في المخطوطين والملكية: ((أموت)).
[2] في المخطوطين: ((حبستها)).
[3] نفسهما: ((خلاف)).
[4] في ك: ((لا أمتثلها)).
[5] في ج: ((يذكر)).
[6] في ك: ((حالهم)).
[7] هذه الكلمة وردت في الملكية، وسقطت في باقي المخطوطات.

ألهمت][1]، وما علم الإنسان إلا ليعلم، والله يهدينا إلى الذي يكون أحسن وأقوم، وإني لأعلم سيدي بخبري[2]، وأطلع جلاله على عُجَري وبُجَري[3]، ولكني رحلت عن تلك الحضرة، وعدمت النظرة في تلك النظرة، لبست الإهمال، واطعلت في السفر والاعتمال، فأقيم بادي الكآبة، مهتاج الصبابة، قد فارقت السكن، وخلفت الدار مثيرة الشجن[4]:

وكانــت جنــتي فخرجــت منهــا
كــآدم حيــن أخرجــه الضِّــرار

حتى إذا حططت رحلي بالقرى، وقنعت بالزاد الذي كفى معياراً والقرى، أدخلت إلى دار ضيقة المسالك، شديدة[5] الظلمة كالليل الحالك، تذكرني القبر وأهواله [وتنسيني الذي أهواه][6]، بل تزيد على

---

[1] هكذا كتبت هذه العبارة في الملكية؛ بينما وردت في ج؛ هكذا: ((وإلى الآن أمهلت)).
[2] في المخطوطين: ((بخبر)).
[3] العُجَر هي: العيوب.والبُجَر هي: الأحزان.
[4] هذا البيت من بحر الوافر.
[5] في ج: ((الشديدة)).
[6] ذكرت هذه العبارة في الملكية، وفي ج؛ بينما سقطت في ك.

القبـــر برفـل[1] لا يتخلص، وبراغيث كزريعة الكتان حين تمحص، وبعوضٍ يطيل اللَّهْز[2]، ولا تغني حتى تشرب، وبوق يسقط سقوط الندى، ويزحف إلى فراشي زحف العدا، وأراقم خارجة من الكوى[3]، وحيات بلدغها نزاعة للشوى، وجنون يسمع عزيفها[4]، وسراق لا يعدم تخويفها، هذا ولا قرق[5] لمن بالقهر حبس، إلا حصيرٌ قد اسود من طول ما لبس، لا يُجْتزى[6] في طهارته بالنَّضْح، بالنَّضْح، ولا يحشد من جلس عليه إلا بالجُرح. حتى إذا سجا الليل، وامتد منه على الآفاق الذيل، فارقني العون فراق الكرى، ورأيت الدمع لما جرى قد جرى، فأتوسد والله ذراعي، ولأحمد والله اضطجاعي، فكلا لَيْلَيَّ محمومين[7]، والوجع والسهر محمولان على الرأس والعين، والعين، حتى إذا طلع الصبح، وآن لبالي وعيون الخصوم

---

[1] في ج: ((بزيل)).
[2] في ج، والملكية: ((المنى)). واللّهز هو: الطّعن؛ ويقولون: لهزه بالرمح: أي طعنه به.
[3] في ج: ((الكرى)).
[4] في المخطوطين: ((عزيعها))، وفي الملكية: ((عزفها))؛ فصوبها عنان.
[5] أي الموضع المستوي.
[6] في ك: ((يجن)).
[7] الأصح: ((محمومان)).

الفتح، أتاني عونٌ قد انحنى ظهره ظهره، ونيف عن المائة عمره لا يشعر[1] بالجون الصيب، ولا تسمعه كلمات **أبي الطيب**، **بربري** الأصل، غير عارف بالفصل، حتى إذا أذنت للخصوم، وأردت إحياء الرسوم، دخل علي غولان عاقلان[2]، وأثقل كتفي منهما مايلان، قد أكلا الثوم النيء والبصل، وعرقا في الزنانير عرقاً اتصل، يهديان إلى تلك الروائح، ويظهران لي المخازي والفضائح، فإذا حكمت لأحدهما على خصمه، وأردت الفصل الذي لا مطمع في فصمه، هرب العون هربا، وقضى من النجاة بنفسه أربا، واجتمع إلى النصحاء، وجاء المرضى والأصحاء، كل يقول أتريد تعجيل المنايا، وإثكال الولايا، وإتعاب صديقك السيد العماد، بمرتبةٍ كما فعل مع القاضي الحداد، فأقول هذا جهاد، وما لي في الحياة مراد، فأرتكب الخطر، وأقضي في الحكم الوطر. والله يسلم، ويكمل اللطف ويتمم. وأما إذا جاء أحدكم لكتب عقد، وطمعت في نسيئةٍ أو نقد، قطعت يومي في تفهم

---

[1] في الملكية: ((يسمع)).

[2] في ج، والملكية: ((غافلان)).

مقصده، مستعيذاً بالله من غضبه وحرده، حتى إذا ما تخلصت منه، وملأت السجل بما أثبته عنه، كشف عن أنياب عضل، وعبس عبوس المحب لانقطاع وصل، وقال لقد[1] أخطأت فيما كتبت، ورسمت ما أردت وأحببت، فأكتب عقداً ثانياً وثالثاً، وأرتقب مع كل كلام حادثٍ حادثاً، فإذا رضي، فأسأله كيف، وسن السالي[2] الذي أظهره، أو اسمه[3] أو السيف، أخرج من فمه درهماً نتناً، قد لزم ضرساً عفناً، فأعاجله في البخور، وأحكه في الصخور، حتى إذا حمل لمن يبيع خبز الذرة منتناً، ويرى أنه قد فضل بذلك أنساً وحسناً، وجده ناقصاً زايفاً، فيرجع حامله وجلاً خايفاً، ويبقى القاضي فقيد الهجوع، يشد الحجر على بطنه من الجوع. على أنني أحمد خلاء البطن، وما بجسمي لا يحكى من الوهن، لتعذر[4] المرحاض، وبعد ماء الحياض، وكمون السباع في الغياض، وتعلق الأفاعي بالرداء الفضفاض، ونجاسة

---

[1] في المخطوطين: ((ولو)).
[2] في ج: ((البسالي)).
[3] في المخطوطين: ((اسم))؛ فصوبها عنان.
[4] في المخطوطين: ((لتعد))؛ فصوبها عنان.

الحجارة، وكثرة تردد السيارة، والانكشاف للريح العقيم، والمطر المنصب إلى الموضع الذميم. هذه الحال وعلى شرحها مجال[1]، وقد صدقتك سنن فكري، وأعلمتك بذات صدري، فتجلى الغرارة غرور، وشهود الشهد زور، والطمع في الصرة إصرار ودون التبر[2] يعلم الله تيار. وأما الكبش فحظي منه غباره إذا خطر، والثور بقرنه إذا العيد حضر، كما أن حظي من الجدي التأذي بمسلكه، وإن جدي السماء لأقرب لي من تملكه. وأنا من الحلاوة سالم ابن حلاوة، ولا أعهده من طرف الطرف الدماوة، ودون الدجاج كل مدجج، وعوض الأترج رجة بكل معرج، ولو عرفت أنك تقبل على علاتها الهدايا، وتوجب المزيد لأصحابك المزايا[3]، لبعثت بالقماش، وأنفذت الرياش، وأظهرت الغنى، والوقوف بمبنى المنى، وأوردتها عليك من غير هلع، مطلعة في الجوف بعد بلع، من كل ساحلية تقرب إلى البحر، وعدوية لا تعد،

---

[1] في ك: ((محال)).

[2] في ج، والملكية: ((البر)).

[3] في المخطوطين: ((المرايا))؛ وهو تحريف.

وصدر مجلس الصدر، حتى أجمع بين [الفاكهة][1] والفكاهة، ويبدو لي بعد الشقف وجوه الوجاهة، وأتبرأ من الصد المذموم، ولا أكون أهدأ من القطا لطرق[2] اللوم، لأنك زهدت في الدنيا زهد ابن أدهم، وألهمك الله من ذلك أكرم ما ألهم، فيدك من أموال الناس مقبوضة، وأحاديث اللُّها الفاتحة لِلُها مرفوضة. وإذا كان المرء على دين خليله، ومن شأنه سلوك نهجه وسبيله، فالأليق أن أزهد في الصفراء والبيضاء، وأقابل زخرف الدنيا بالبغضاء، وأحقق وأرجو على يدك حسن التخلي، والاطلاع على أسرار التجلي، حتى أسعد بك في آخرتي ودنياي، وأجد بركة خاطرك في مماتي ومحياي، أبقاك الله بقاء يسر، وأمتع بمناقبك التي يحسدها الياقوت والدر، ولا زلت في سيادة تروق نعتاً، وسعادةٍ لا ترى فيها عوجا ولا أمتاً[3]، وأقرأ عليك سلاماً عاطر العرف، كريم التأكيد

---

[1] هذه الكلمة وردت في ك، والملكية؛ بينما سقطت في ج.
[2] في ك: ((**لطوق**)).
[3] إحالة إلى قوله تعالى: ﴿ **لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً** ﴾. سورة طه؛ الآية: 107.

والعطف [ما رثى لحالي راث، وذكرت أدّاية حراث][1]، ورحمة الله وبركاته. وكتبه أخوك ومملوكك، وشيعة مجدك، في الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام أربعة وستين وسبعمائة))[2].

مولـده

بغرناطة؛ عام ثلاثة عشر وسبعمائة[3].

محنتـه

توجه رسولاً عن السلطان إلى صاحب **تلمسان السلطان [أحمد بن][4] موسى بن يوسف بن عبد الرحمن ابن يحيى بن [يغمراسن بن زيان][5]**؛ وظفر بالجَفْن الذي ركبه العدو، **بأحواز جزيرة حبيبة[6]**؛ من جهة **وهران**؛

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في ت، وفي الملكية؛ بينما هو وارد في المخطوطين؛ ولكن بشيء من الاختلاف.
[2] الموافق لـ 1362م.
[3] الموافق لـ 1313م.
[4] عبارة ((أحمد بن)) محشوة خطأً هنا؛ ويمكن أن تكون من الناسخ. والاسم الحقيقي لصاحب تلمسان آنذاك هو السلطان أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان. حكم من سنة 760هـ/1359م إلى سنة 791هـ/1388م.
[5] حرف هذان الاسمان في المخطوطين؛ حيث كتبا هكذا: ((عمرسان بن زياد))؛ وصوبا من اللمحة البدرية.
[6] غربي وهران.

فأسر هو ومن بأسطول سفره من المسلمين. وبلغ الخبر[1]؛ فعظم الفجع، وبين[2] نحن نروم سفر أسطول يأخذ الثأر، ويستقري[3] الآثار، فيقيل العثار؛ إذا[4] اتصل الخبر بمهادنة[5] بمهادنة[5] السلطان المذكور؛ ففدي[6] من أسر بذلك المال الذي ينيف على سبعة آلاف من العين في ذلك؛ فتخلص من المحنة لأيام قلائل، وعاد، فتولى السلطان إرضاءه عما فقد، وضاعف له الاستغناء وجدد، وكان حديثه من أحاديث الفرج بعد الشدة محسوباً، وإلى سعادة السلطان منسوباً؛ وأنشدته [شعراً في مصابه، بعدها][7]، وقد قضيت له من برّ السلطان على عادتي، ما جبر[8] الكسر، وخفض الأمر[9]:

---

[1] في النسخ الثلاث: ((البحر))؛ فصوبها عنان.

[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((بينا)). وهو صحيح.

[3] في ك: ((ويستغرقي)).

[4] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((إذْ)). وهذا صحيح.

[5] في المخطوطين: ((بمهادة))، وفي ت: ((بمهادات))؛ وهو تحريف.

[6] في، وفي الملكية: ((وفك)).

[7] كتبت هذه العبارة في النسخ الثلاث، بالإضافة إلى الملكية هكذا: ((سعة أصابه بعدها))؛ وهو تحريف؛ فصوبها عنان.

[8] في النسخ الثلاث: ((يجبر))؛ فصوبها عنان.

[9] هذان البيتان من بحر المتقارب.

خَلُصْــت كما خَلُص الزَّبْرَقـــان
وقد مَحَــق النّــور عنه السّـــرا[1]
وفـــي السّيِّـــق والــــرّار
في هــذا ســرٌ وفي ذا أســرار[2]

((وكان تاريخ هذه المحنة[3] المردفة المنحة، حسبما نقلته من خطه؛ قال: اعلموا يا سيدي أبقاكم الله تعالى، أن سفرنا من **ألمرية**، كان في يوم الخميس السادس لشهر ربيع الآخر؛ من عام ثمانية وستين وسبعمائة[4]، وتغلب علينا العدو في عشية يوم الجمعة الثاني منه، بعد قتال شديد، وكان خروجنا من الأسر في يوم السبت الثاني والعشرين لربيع الثاني المذكور، وكان وصولي إلى **الأندلس** في أسطول مولانا نصره الله، في جمادى الآخرة من العام المذكور، بعد أن وصلوا **قرطاجنة**،

[1] جعلها د. طويل: ((**السِّرارْ**)).
[2] هذا البيت غير سليم في الوزن والمعنى.
[3] في ك: كتبت ((المحنة)) للمرة الثانية؛ وهو تحريف.
[4] الموافق لـ 1366م.

وأخذوا أجفاناً ثلاثة من أجفان العدو، وعمل المسلمون[1] الأعمال الكريمة)).

***

---

[1] في المخطوطين: ((المسلمين))؛ فصوبها عنان.

إبراهيم بن خلف

ابن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر
ابن فَرْتَد القُرَشي العامري[1].

قال: **ابن عبد الملك**[2]**:** كذا وقفت على نسبه بخطه في غير ما موضع؛ من **أهل مُورَة**[3]**؛** وسكن **إشبيلية**.

حاله

كانت متفنناً في معارفه، محدثاً، راوية [4]، عدلاً فقيها، حافظاً، شاعراً، كاتباً، بارعاً، حسن الأخلاق، وطيء الأكناف، جميل المشاركة لإخوانه وأصحابه، كتب بخطه الكثير من كبار الدواوين وصغارها، وكان من أصح الناس كتباً، وأتقنهم ضبطاً وتقييداً، لا تكاد تلقى فيما تولى تصحيحه خللا، وكان رؤوفاً شديد الحنان على الضعفاء والمساكين واليتامى، صليباً في ذات الله تعالى،

---

[1] توجد له أيضاً ترجمة في التكملة.

[2] صاحب الذيل والتكملة.

[3] في ج: ((مرده))، وفي الملكية: ((بدرة))؛ وهو تحريف. أما مورة فتسمى بالإسبانية Mora؛ وتتبع لأعمال طليطلة؛ وموقعها ليس بعيداً عنها؛ في اتجاه الجنوب الشرقي.

[4] في ج: ((راوياً)).

يعقد الشروط محتسباً، لا يقبل ثواباً عليها إلا من الله تعالى.

مشيخته

تلا - بالسبع - على **أبي عمران موسى بن حبيب**، وحدث عن **أبي الحسن بن سليمان بن عبد الرحمن المقري**، **وعبد الرحمن بن بقي**، **وأبي عمرو ميمون بن ياسين**، **وأبي محمد بن عتاب**، وتفقه بأبوي: **عبد الله بن أحمد**[1] **بن الحاج**، **وابن حميد**؛ **وأبي الوليد بن رشد**، وأجاز له **أبو الأصبغ بن مناصف**، **وأبو بكر بن قزمان**، **وأبو الوليد بن طريف**.

من روى عنه

روى عنه: **أبو جعفر**، **وأبو إسحاق بن علي المزدالي**، **وأبو أمية إسماعيل بن سعد السعود بن عفير**، **وأبو بكر بن حكم الشرمسي**، **وابن خير**، **وابن تسع**، **وابن عبد العزيز الصدفي**، **وأبو الحجاج إبراهيم بن**

---

[1] هكذا في النسخ الثلاث؛ أما الملكية فكتب فيها: ((بأبي عبد الله بن محمد بن الحاج)).

يعقوب، وأبو علي بن وزير، وأبو الحسن بن أحمد بن خالص، وأبو زيد محمد الأنصاري، وأبو عبد الله بن عبد العزيز الذهبي، وأبو العباس بن سلمة، وأبو القاسم ابن محمد بن إبراهيم المراعي، وأبو محمد بن أحمد بن جمهور، وعبد الله بن أحمد الأطلس.

توالیفه[1]

دوّن **برنامجاً** ممتعاً؛ ذكر فيه شيوخه، وكيفية أخذه عنهم، وله **رجزٌ في الفرائض** مشهور، **ومنظومٌ كثير**، **وترسل منوع**، **وخطب** مختلفة المقاصد، **ومجموعٌ في العروض**.

دخوله غرناطة

قال المؤرخ: وفي عام أربعة وخمسين وخمسمائة[2]، عند تغيب الخليفة[3] **بالمهدية**؛ استدعى **السيد أبو سعيد** الوالي **بغرناطة**، عند استقراره بها، الحافظ **أبا بكر بن**

---

[1] هكذا في النسخ الثلاث؛ وأحياناً يكتب: ((تآليفه)).
[2] الموافق لـ 1159م.
[3] يقصد الخليفة عبد المؤمن بن علي المؤسس الفعلي للدولة الموحدية.

الجد، والحافظ **أبا بكر بن حبيش**، والكاتب **أبا القاسم**[1] **ابن المراعي**، **والكاتب أبا إسحاق بن فرقد**؛ وهو هذا المترجم به ؛ فأقاموا معه مدة تقرب عن عامين اثنين بها.

شعره

مما ينقل عنه قصيدة شهيرة في رثاء **الأندلس**[2]:

ألا مسعدٌ منجزٌ ذو فطن

يبكي بدمعٍ معين هتن

جزيرة أندلسٍ حسرةً[3]

لا غالب[4] من حقود الزمن

ويندب أطلالها آسفاً

ويرثى من الشعر ما قد وهن

ويبكي الأيام ويبكي اليتامى

ويحكي الحمام ذوات الشجن

[1] في المخطوطين: ((**ابن القاسم**))؛ والتصويب من ت.
[2] هذه القصيدة من البحر المتقارب.
[3] في ج، و ت: ((**حسرت**)).
[4] في المخطوطين: ((**عالياً**))؛ وصوبت من ت.

ويشكــو إلى الله شكــوى شــجٍ[1]

ويدعــوه في الســر ثم العلــن

وكانــت رباطــاً لأهــل التُّــقَى

فعــادت مناطــاً لأهــل الوثــن

وكانــت معــاذاً لأهــل التُّــقَى

فصــارت ملاذاً لمن لمن يــدن

وكانت شجى في حلــوق العــدا

فأضــحى لهم مالهــا محتجــن

وهي طويلة، ولديّ خلاف فيمن أفرط في استحسانها. وشعره عندي وسط. ومن شعره وهو حجة في عمره عند الخلاف في ميلاده ووفاته.

قال[2]:

ثمانون عاماً مع ست عمرت وليتني[3]

أرقــت دموعي بالبكــاء على ذنــب

---

[1] في المخطوطين: ((**شجم**))؛ وصوبت من ت.

[2] هذه الأبيات من البحر الطويل.

[3] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((**ثمانون مَعْ سِتٍّ عَمَرْتُ وليتني**)).

فلا الدمـــع في محو الخطيئة غنيـــةٌ

إذا هاج من قلـــبٍ منيب إلى الـــرب

فيا سامع الأصوات رحماك أرتـــجي

فَهَبْ لي انسكاب[1] الدمع من رقة القلب

وزك الـــذي تدريـــه مـــن شيمـــةٍ[2]

تعلـــق بالمظلـــوم من شدة الكـــرب

وزكٍّ مثـــابي[3] في العقـــود وكتبهـــا

لوجهـــك لم أقبـــل ثواباً على كتـــب

ولا تحرمني أجـــر ما كنت فاعـــلاً

فحق اليتامى عندي من لِذِي صعـــب

ولا تَخْـــزِني يوم الحســـاب وهولـــه

إذا جئت مذعوراً من الهول والرعب

---

[1] جعلها د. طويل: ((**فهب إنْسِكابَ**...)) وهو أسلم.

[2] في ك: ((شيمتي)).

[3] في المخطوطين: ((منابي))؛ وهو تحريف.

مولـده

حسبما نقل من خط ابنه **أبي جعفر؛** ولد ـ يعني أباه ـ سنة أربع وثمانين وأربعمائة[1].

وفاتـه

بعد صلاة المغرب من ليلة الثلاثاء [الثامن عشر][2] من محرم عام اثنين وسبعين وخمسمائة. ونقل غير ذلك.

***

[1] الموافق لـ 1091م. جاء في التكملة: ((ومولده بعد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة)).

[2] في ك: ((الثامن والعشرين عشر)). وهذا اضطراب وخلط

إبراهيم بن محمد

ابن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزي، أُبّدي[1] الأصل، غرناطي الإستقرار، ويكنى أبا إسحاق.

حالـه

خاتمة الرُّحّال[2] **بالأندلس**، وشيخ المجاهدات وأرباب المعاملات، صادق الأحوال، شريف المقامات، مأثور الإخلاص مشهور الكرامات، أصبر الناس على مجاهداته، وأدومهم على عمل وذكرٍ وصلاة وصوم، ولا يفتر عن ذلك ولا ينام، آية الله في الإيثار، لا يدخر شيئاً لغد، ولا يتحرف بشيء، وكان فقيهاً حافظاً، ذاكراً للغة[3] والأدب، نحوياً ماهراً، درس ذلك كله أول أمره، كريم الأخلاق، غلب عليه التصوف فشهر به، وبمعرفة طريقه الذي نَدَّ[4] فيها أهل زمانه، وصنف فيها التصانيف المفيدة.

---

[1] نسبة إلى مدينة أبدة Ubeda. سبقت الإشارة إليها.
[2] حرفت في النسخ الأربع، فكتبت: ((الرجال)).
[3] في المخطوطين والملكية: ((اللغات))، وهو تحريف.
[4] في ك: ((ندب)).

ترتيب زمانه

كان يجلس إثر صلاة الصبح لمن يقصده من الصالحين، فيتكلم لهم بما يجريه الله على لسانه، وييسر من تفسير، وحديث وعظة، إلى طلوع الشمس، فيتنفل صلاة الضحى، وينفصل إلى منزله، ويأخذ في أوراده، [من قراءة][1] القرآن والذكر والصلاة إلى صلاة الظهر، فيبكر في رواحه، ويوالي التنفل إلى إقامة الصلاة، ثم كذلك في كل صلاة، ويصل ما بين العشاءين بالتنفل، هذا دأبه أبدا. وكان أمره في التوكل عجباً، لا يلوي على سبب، وكانت تجبى إليه ثمرات كل شيء، فيدفع ذلك بجملته، وربما كان الطعام بين يديه، وهو محتاجٌ، فيعرض من يسأله، فيدفعه جملة، ويبقى طاوياً، فكان الضعفاء والمساكين له لياذاً ينسلون من كل حدب، فلا يرد أحداً منهم خائباً، ونفع الله بخدمته وصحبته، واستخرج بين يديه عالماً كثيراً.

---

[1] في ك: ((وقراءة)).

مشيختـه

أخذ القراءة عن: **أبي عبد الله الحضرمي**، **وأبي الكوم جودي بن عبد الرحمن**، والحديث عن: **أبي الحسن بن عمر الوادي آشي**، [**وأبي محمد عبد الله بن سليمان**][1] **بن حوط الله**، والنحو واللغة عن: **ابن يربوع**، وغيره. ورحل وحج، وجاور وتكرر. ولقي هناك غير واحد، من صدور العلماء وأكابر الصوفيه، فأخذ **صحيح البخاري** سماعاً منه سنة خمس وستمائة[2] عن: **الشريف أبي محمد بن يونس**، **وأبي الحسن علي بن عبد الله بن المغرباني**، **ونصر بن أبي الفرج الحضرمي**، **وسنن أبي داود وجامع الترمذي** على: **أبي الحسن بن أبي المكارم نصر بن أبي المكارم البغدادي**؛ أحد السامعين على: **أبي الفتح الكروخي**، **وأبي عبد الله محمد بن مسترى الحمة**[3]،

[1] في ك: ((أبـو سليمان))؛ وفي ج، والملكية: ((وأبي سليمـان محمد))؛ فصوبها عنان.
[2] الموافـق لـ 1208م.
[3] هكـذا في المخطوطيـن. وقـد تكـون ((الحمـة)) يقصـد بهـا البلـد المعـروف بهـذا الاسـم في الأندلـس.

وأبي المعالي[1] بن وهب ابن البنا، **وببجاية**: عن **أبي الحسن علي بن عمر ابن عطية**.

من روى عنه

روى عنه خلق لا يحصون كثرة[2]، منهم: **أحمد بن عبد المجيد بن هذيل الغساني، وأبو جعفر بن الزبير**، وغيره.

تواليفه

صنف في طريقه التصوف وغيرها تصانيف مفيدة، منها: **((مواهب العقول[3] وحقائق المعقول))**، و**((الغيرة المذهلة، عن الحيرة والتفرقة والجمع))**، و**((الرحلة العنوية))**، ومنها **((الرسائل في الفقه والمسائل))**، وغير ذلك.

---

[1] في المخطوطين: ((ابن المعالي))؛ وهو تحريف.
[2] في المخطوطين، والملكية: ((كثير)). وهو تحريف.
[3] هكذا في ك؛ أما في ج؛ فكتب: ((مواهب القلوب)).

شعـره

لـه أشعـار فـي التصـوف بارعـة، فمـن ذلـك مـا نقلتـه مـن خط الكاتـب[1] **أبـي إسحـاق بـن زكريـا** فـي مجمـوع جمـع فيـه الكثيـر مـن القـول[2]:

يضيــق علي من وجــدي الفضـــاء
ويقلقــني[3] مــن النـــاس العنــــاء

وأرض اللــه واسعــــة ولكــــن
أبــت نفــسي تحيــط بها السمــاء

رأينــا العــرش والكــرسي أعــلا
فواليناهمـــا حـــرم الـــولاء

فأيــن الأيــن منــا أو زمــــانٌ
بحيــث لنــا عــلى الكــل استــواء

شهدنــــا للإلـــه بكــل حكــم
فغــاب القلــب وانكشــف الغطــاء

---

[1] في ك: ((الكتـاب))، وهـو تحريـف.
[2] هـذه القصيـدة مـن بحـر الوافـر.
[3] في ج: ((ويسليـني)).

ويدعـــوني الإلـــه إليــه حقـــاً

فيؤنســني مــن الخــوف الرجــاء

ويقبضــني ويبسطــني ويقـــضي

بتفريــقي وجمــعي مــا يشـــاء

ويــعي في وجــود الخلــق نحــواً

ينعـــت[1] مــن تـــولاه الفنـــاء

فكم أخــفي وجــودي وقت فقــدي

كــأن الفقــد والإحيـــا[2] ســـواء

فسكــرٌ ثــم صحــوٌ ثــم سكـــر

كــذاك الدهــر ليــس له انقضــاء

فوصــفي حال[3] من وصــفي ولكــن

ظهــور الحــق ليــس لــه خفــاء

إذا شمــس النهــار بــدت تولـــت

نجــوم الليــل ليــس لهــا انجــلاء

---

[1] في ك: ((نيعت)).
[2] في المخطوطين: ((أو حياً)).
[3] في المخطوطين: ((حلى)).

و[من][1] شعره :

كم عارف سرحـــت في العلم همتـــه

فعقلـــه لحجـــاب العقـــل هتـــــاك

كســـاه نـــور الهـــدى بـــرداً وقلـــده

دراً فـــفي قلبـــه للعلـــم أســــــلاك

كسب ابن آدم في التحقيـــق كسوتـــه

إن القلـــــوب لأنـــوار وأحـــــلاك

كَلِّـــف فـــؤادك ما يبـــدي عجائبـــه

إن ابـــن آدم للأســــــرار درّاك

كيـــف وكم ومتى والأيـــن منسلـــب

عن وصف باريها والجهـــل تبّـــاك

كبر وقدس [ونَـــزِّه][2] ما أطقت فلـــم

يصـــل إلى ملك الأمـــلاك أمـــلاك

كرسيه ذَلَّ والعـــرش [استكان][3] لـــه

ونـــزه اللـــه أمـــلاك وأفـــــلاك

---

[1] كلمة ((من)) سقطت في المخطوطين والملكية. وهذه الأبيات من البحر البسيط

[2] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين، والملكية؛ بينما ذكرت في ت.

[3] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وذكرت في ت.

كــل يقــر بــأن العجــز قيّـــــده

والعجز [عــن دَرْك][1] الإدراك دراك

وقال: وهو ما اشتهر عنه، وأنشدها بعض المشارقة في رحلته في غرض اقتضى ذلك، يقتضي ذكره طولا[2]:

يــا مــن أناملــه كالمــزن هاميــةٌ

وجــود كفيــه أجرى من يجاريهــا

بحــق من خلــق الإنسان من علــقٍ

أنظــر إلى رقعتي وافهــم معانيهــا

أنــي فقيــرٌ ومسكيــن بــلا سبــب

ســوى حروف من القــرآن أتلوهــا

سفينة الفقر في بحر الرَّجا[3] غرقــت

فامنن عليها بريــحٍ منــك يجريهــا

---

[1] في ك: ((دون))، وفي ج: ((در))؛ وهو تحريف.

[2] هذه الأبيات من البحر البسيط.

[3] في المخطوطين: ((الدجا)).

لا يعــرف الشــوق إلا من يكابــده
ولا الصبابــة إلا مــن يعانيهــــا

وقال القاضي **أبو عبد الله بن عبد الملك**: وقد ذكره، على الجملة؛ فبه ختم جلة أهل هذا الشأن بصقع **الأندلس**، نفعه الله ونفع به.

مولـده

ولد **بجيان** سنة اثنتين وستين وخمسمائة أو ثلاث وستين[1].

***

[1] الموافق لـ 1166م أو 1167م.

إبراهيــم

ابـن عبـد الرحمـن بـن أبـي بكـر التسـولي[1]؛ مـن أهـل تـازى[2]؛
يكنـى أبـا سالـم[3]؛ ويعـرف بابـن أبـي يحيـى.

حالــه

من [أهـل][4] **الكتـاب المؤتمـن**[5]، كـان هـذا الرجـل قيّمـاً على **التهذيـب**[6]، **ورسالـة ابـن أبـي زيـد**[7]، حسـن الإقـراء لهمـا، ولـه عليهمـا تقييـدان نبيـلان، قيدهمـا أيـام قراءتـه

---

[1] توجـد ترجمـة إبراهيـم بـن عبـد الرحمـن التسـولي أيضـاً في: تاريـخ قضـاة الأندلـس، ونفـح الطيـب، وأزهـار الريـاض؛ حيـث كنـاه أبـا إسحـاق..

[2] في المخطوطيـن: ((تيـزي))، وفي الملكيـة: ((تيزيـن))؛ وهـو تحريـف. وتـازى، أو تـازة: وهي مدينـة في المغـرب الأقـصى؛ تتواجـد شـرق فـاس بـ 100كلـم تقريبـاً؛ بيـن الريـف والأطلـس الأوسـط.

[3] يكـنى أيضـاً أبـا إسحـاق.

[4] سقطـت هـذه الكلمـة في المخطوطيـن وفي الملكيـة؛ بينمـا وردت في ت.

[5] كتـاب المؤتمـن عنوانـه بالكامـل هـو: الكتـاب المؤتمـن في أنبـاء أبنـاء الزمـن؛ ومؤلفـه هـو ابـن الحـاج البلفيـقي؛ أحـد شيـوخ ابـن الخطيـب؛ وتوجـد في الإحاطـة ترجمـة لهـذا الأخيـر.

[6] هـو كتـاب تهذيـب مسائـل المدونـة: المسمى أيضـاً كتـاب التهذيـب في اختصـار المدونـة؛ صنفـه أبـو سعيـد خلـف بـن أبي القاسـم القيـرواني البـراذعي (عـاش في القـرن الرابـع الهجـري).

[7] رسالـة ابـن أبي زيـد: تبحـث في مسائـل وقضايـا في الفقـه المالـكي؛ وصاحبهـا هـو أبـو محمـد عبـد اللـه بـن عبـد الرحمـن بـن أبي زيـد القيـرواني؛ ولـد في القيـروان سنـة 310هـ/922م وتـوفي بهـا سنـة 386هـ/996م. يعتبـر مـن أقطـاب المذهـب المالـكي؛ حيـث كـان يلقـب بمالـك الصغيـر.

إياهما على **أبي الحسن الصغير**. حضرت مجالسه بمدرسة **عدوة الأندلس** من **فاس**، ولم أرَ في متصدري بلده أحسن تدريباً[1] منه. كان فصيح اللسان، سهل الألفاظ، موفياً حقوقها، وذلك لمشاركته الحضر فيما في أيديهم[2] من الأدوات، وكان مجلسه وقفاً على **التهذيب والرسالة**، وكان مع ذلك شيخاً[3] فاضلاً، حسن اللقاء، على خلق بائنة من[4] أخلاق أهل مصره[5]. امتحن بصبحة السلطان؛ السلطان؛ فصار يستعمله[6] في الرسايل، فمر في ذلك حظٌ كبير من عمره ضايعاً، لا في راحة دنيا، ولا في نصيب[7] آخرة، ثم قال: هذه[8] سنة الله فيمن خدم الملوك، ملتفتاً إلى ما يعطونه، لا إلى ما يأخذون من عمره[9] وراحته، أن يبوؤا[10] بالصفقة الخاسرة، لطف الله

---

[1] في نفح الطيب: ((تدريساً)).
[2] نفسه: ((بأيديهم)).
[3] نفسه: ((سمحاً)).
[4] نفسه: ((على)).
[5] في ج: ((عصره)).
[6] في المخطوطين: ((يتعلمه))؛ وهو تحريف.
[7] في النفح: ((نصب)).
[8] نفسه: ((وهذه)).
[9] في ج، والملكية: ((غيره)).
[10] في ك: ((تبوأ)). وفي نفح الطيب: ((يبوء)).

بمن ابتلي بذلك، وخلصنا خلاصاً جميلاً. ومن **كتاب عائد الصلة**[1]**:** الشيخ، الحافظ، الفقيه، القاضي، من صدور **المغرب**، مشاركاً[2] في العلم، متبحراً[3] في الفقه، كان وجيهاً عند الملوك؛ صحبهم، وحضر مجالسهم، واستعمل في السفارة، فلقيناه **بغرناطة**، وأخذنا بها عنه، تام السراوة[4]، حسن العهد، مليح المجالس، أنيق المحاضرة، المحاضرة، كريم الطبع، صحيح المذهب.

تصانيفه

قيد على **المدونة**[5]، بمجلس شيخه القاضي **أبي الحسن**، كتاباً مفيداً، وضم أجوبته على **المسائل في سفر**، وشرح كتاب **الرسالة** شرحاً عظيم الفائدة.

---

[1] عائد الصلة: كتاب لابن الخطيب. والنص الموالي موجود في نفح الطيب.

[2] في نفح الطيب: ((مشاركة)).

[3] نفسه: ((وتبحرا)).

[4] في ك: ((السرارة)). والسراوة هي: السخاء والمروءة، والسيادة.

[5] اشتهرت باسم مدونة سحنون؛ تجمع المسائل الفقهية المالكية؛ سواء التي وضعها عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي؛ الملقب بسحنون (ولد سنة 160هـ/777م وتوفي سنة 240هـ/854م). أو التي أضيفت إليها في شكل شروح وتعاليق وحواشي من قبل علماء آخرين؛ فغدت موسوعة ضخمة لمسائل المذهب المالكي؛ شارك فيها أجل العلماء من المالكية.

مشيختـه

لازم **أبا الحسن الصغير**، وهـو كـان قـارئ **كتب الفقه** عليه، وجل انتفاعه في التفقه به، وروى عـن **أبي زكريا ابن أبي ياسين**[1]، قرأ عليه كتاب ((**الموطأ**))؛ إلا كتاب ((**المكاتب**)) وكتاب ((**المدبّر**))[2]؛ فإنه سمعه بقراءة الغير، وعن **أبي عبد الله بن رشد**، قرأ عليه **((الموطأ))**، **وشفاء، عياض**، وعن **أبي الحسن بن عبد الجليل السداري**[3]، قرأ عليه **((الأحكام الصغرى)) لعبد الحق**[4]، **وأبي الحسن بن سليمان**، قرأ عليه **رسالة ابن أبي زيد**[5]، وعن غيرهم.

---

[1] في نفح الطيب: ((زكرياء بن ياسين)).

[2] هكذا في ج، بينما كتب في ك: ((المدر)).

[3] في نفح الطيب: ((السدراتي)).

[4] هو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الأسدي؛ المعروف بابن الخراط الأشبيلي المالكي؛ ولد سنة 510هـ/1116م. وتوفي سنة 582/1186م. من مؤلفاته: لأحكام الصغرى؛ في الحديث. الأحكام الكبرى؛ في الحديث أيضاً. تلقين المبتدي. تهذيب المطالب. الجمع بين الصحيحين (البخاري ومسلم). الجمع بين الكتب الستة. كتاب التهجد. كتاب الرقائق. كتاب العاقبة في ذكر الموت. المختصر في الحديث. الواعي في حديث علي كرم الله وجهه.

[5] أثبت عنان هذه الكتب ـ وهي كلها في الحديث والفقه ـ في ملحق بآخر الكتاب.

وفاتـه

فُلِـج[1] بآخـرة؛ فالتـزم منزلـه **بفـاس**، يـزوره السلطـان فمـن[2] دونـه، وتـوفي بعـد عـام ثمانيـة وأربعيـن وسبعمائـة[3].

***

---

[1] أي أصيـب بـداء الفالـج. والفالـج: هـو مـرض يشـل شـق مـن شـقي الجسـم؛ فيبطـل أحسـاس الشـق المصـاب، وتنعدم حركته. ويعرف الآن بالشلل النصفي.

[2] في نفـح الطيـب: ((ومـن)).

[3] الموافـق لـ 1347م. جـاء في كتـاب تاريـخ قضـاة الأندلـس أنـه تـوفي في حـدود سنـة 749هـ؛ (وتوافقهـا سنـة 1348م).

إبراهيم بن محمد

ابن علي بن محمد بن أبي العاصي التنوخي[1]؛ أصله من جزيرة طريف[2]؛ ونشأ بغرناطة واشتهر.

حالـه

من **عائد الصلة**: كان نسيج وحده حياءً، وصدقة وتَخَلُّقاً، ومشاركة، وإيثاراً. رحل عند استيلاء العدو على **جزيرة طريف**، عام أحد وسبعين وستمائة[3]، متحولاً إلى **مدينة سبتة**، فقرأ بها واستفاد. وورد **الأندلس** [فاستوطن][4] **مدينة غرناطة**، وكتب في الجملة عن سلطانها، وترقى معارج الرتب، حالاً محالا، من غير اختلاف على فضله، ولا نزاع في استحقاقه، وأقرأ فنوناً من العلم، بعد مهلك أستاذ الجماعة، **أبي جعفر بن الزبير**[5]، بإشارة منه به،

---

[1] توجد ترجمة إبراهيم بن محمد التنوخي أيضاً في الكتيبة الكامنة، وبغية الوعاة؛ (وذكر فيها أنه حوالي سنة سبع وسبعين وستمائة؛ بينما توفي سنة 726هـ. والنص الموالي موجود كذلك في نفح الطيب.

[2] تسمى الآن Tarifa؛ سميت بهذا الاسم نسبة إلى طريف بن مالك؛ وهو أول من عبر إلى شبه جزيرة أيبريا؛ بقصد الاستطلاع والإغارة على النصارى قبل فتح الأندلس بعام تقريباً.

[3] الموافق لـ 1272م.

[4] وردت في ك، وسقطت في ج، والملكية.

[5] سبق ذكر ترجمته في هذا المجلد من الإحاطة.

وولي الخطابة والإمامة بجامعها منتصف صفر عام ستة عشر وسبعمائة[1]، وجمع بين القراءة والتدريس، فكان مقرئاً للقرآن، مبرزاً في تجويده، مدرساً للعربية والفقه، آخذاً في الأدب، متكلماً في التفسير، ظريف الخط، ثبتاً محققاً لما ينقله، وألقى الله عليه من المحبة والقبول، وتعظيم الخلق له، ما لا عهد بمثله لأحد، بلغ من ذلك مبلغاً عظيماً، حتى كان أحب إلى الجمهور من أوصل أهلهم وآبائهم، يتزاحمون عليه في طريقه، يتمسحون به، ويسعون بين يديه، ومن خلفه، ويتزاحم مساكينهم على بابه، قد عودهم طلاقة وجهه، ومواساته لهم بقوته، يفرقه عليهم متى وجدوه، وربما أعجلوه قبل استواء خبزه، فيفرقه[2] عليهم عجيناً. له في ذلك أخبار غريبة. وكان صادعاً بالحق، غيوراً على الدين، مخالفاً لأهل البدع، ملازماً للسنة، كثير الخشوع والتخلق على علو الهمة، مبذول المشاركة للناس والجد في حاجاتهم،

[1] الموافق لـ 1316م.
[2] في ك: ((ففرقه)).

مبتلي[1] بوسواس في وضوئه، يتحمل الناس من أجله مضضاً في تأخير الصلوت ومضايقة أوقاتها.

مشيخته

قرأ ببلده على الخطيب القاضي المقرئ **أبي الحسن عبيد الله بن عبد العزيز القرشي**؛ المعروف **بابن القارئ**، من أهل **إشبيلية**، وقرأ **بسبتة** على الأستاذ إمام المقرئين لكتاب الله، **أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الطيب ابن زرقون القيسي الضرير**، نزيل **سبتة**، والأستاذ **أبي إسحاق الغافقي المريوني**، وقرأ على الشيخ الوزير **أبي الحكم بن منظور القيسي الإشبيلي**، وعلى الشيخ الراوية، **الحاج أبي عبد الله محمد بن الكتامي التلمساني ابن الخضار**، وقرأ **بغرناطة** على الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**، وأخذ عن **أبي الحسن بن مستقور**[2].

---

[1] جعلها د. طويل: ((**مبتلياً**)) بالنصب وهو أصح.

[2] حرفت ـ كما جرت العادة ـ في المخطوطين؛ فكتبت: ((مسمفور)).

شعــره

كـان يقـرض شعـراً وسطـاً، قريبـاً مـن الانحطـاط. قـال شيخنـا **أبـو بكـر بـن الحكيـم**[1] فـي كتابـه المسمى **بالفوائد المنتخبـة، والمـوارد المستعذبـة**، كتـب إليـه شيخنـا وبركتنـا **أبـو جعفـر بـن الزيـات** فـي شـأن شخـص مـن أهـل البيـت النبـوي بمـا نصـه[2]:

رجــل يدعي القرابــة للــبَيْــ
ــتِ وإن الثريـــا[3] منه بمعـــزل
ســـأل[4] مني خطابكم وهو هـــذا
ولكم في القلـــوب أرفع منـــزل
فهبـــوه دعاءكـــم وامنحـــوني
منه حظا يُنْمي الثواب ويجـــزل
وعليكـــم تحيـــة اللـــه مـــا دا
م أميـــر الهـــدى يولي ويعـــزل

---

[1] هـو محمـد بـن محمـد بـن عبـد الرحمـن اللخمـي. لـه ترجمـة في الإحاطـة.
[2] هـذه الأبيـات مـن بحـر الخفيـف.
[3] في المخطوطيـن والملكيـة: ((الثـرى))؛ وصوبـت مـن ت.
[4] جعلهـا د. طويـل: ((سـال)) بـدون الألـف والهمـزة.

فأجابه[1]:

يــا إمــامي ومــن بــه قطركــم ذا
ك وحــادي البــلاد أطيــب منــزل

لم أضــع ما نظمتم من يدي حــتى
أنيــل الشريــف تحفــــة منــزل

وحبــــاه بكــل منــــح جزيــــل
من غــدا يمنــح الثــواب ويجــزل

دمتــم تنشــرون علماً ثــواب اللــ
ــه فيــه لكــم أعــــز وأجــــزل

[تذكــرون اللــه ذكــــراً كثيــراً][2]
وعليكــم سكينــــة اللــه تنــــزل

وطلبتـــــمُ مِــني الدعــــاء وإنــي
عند نفــسي من الشــروط بمعــزل

لكن ادعــو ولتــدع لي برضا اللــ
ــه وأبــدى فهــم ذكــر قد انــزل

[1] هذه القصيدة من البحر الخفيف.
[2] حرف هذا الشطر في المخطوطين والملكية؛ إذ كتب: ((ولذكر الله كثيرا)).

وحديث الرسول صلى عليه
كل وقت ورب لنا الغيث يزل
وعليكم تحيتي كل حين
ما اطمأنت بمكة أم معزل

قال: ومما أنشدني من نظمه أيضاً في معرض الوصية للطلبة[1]:

إعمل بعلمك تؤت علماً إنما
عدوي علوم المرء منح[2] الأقوم[3]
وإذا الفتى قد نال علماً ثم لم
يعمل به فكأنما[4] لم يعلم

---

[1] هذان البيتان يوجدان في الكتيبة الكامنة وفي بغية الوعاة. وهما من بحر الكامل.
[2] في المخطوطين: ((تمنح)).
[3] جاء هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:
((إعمل بعلم تؤت حكماً إنما * جدوى علوم المرء نهج الأقوم)). وفي بغية الوعاة:
((إعمل بعلم تؤت حكمة إنما * جدوى علوم المرء نهج الأقوم)).
[4] في الكتيبة الكامنة وبغية الوعاة: ((فكأنه)).

وقال موطئاً على البيت الأخير[1]:

أمــولاي أنــت الغفــور الكريـــــم
لبــذل النــــوال مــع المعـــــذرة[2]
عــليّ ذنـــــوبٌ وتصحيفهـــــا
ومــن عنــدك الجــود والمغفــرة

***

[1] هذان البيتان يوجـدان أيضـاً في الكتيبـة الكامنـة. وهمـا من البحـر المتقـارب.
[2] في ج: ((لبـذول النـوال والمعـذرة)).؛ وصوبت من الملكية. أما الكتيبة الكامنة فجاء هذا البيت فها هكذا: ((أمولاي أنت الكريم العفو لبذل النوال وللمعذرة)).

إسماعيل بن فرج [1]

ابن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس ابن نصر [بن][2] قيس الأنصاري الخزرجي، أمير المؤمنين[3] بالأندلس؛ رحمه الله.

أوليتــه

تقرر عند ذكر الملوك من قومه في اسم صنو جده، أمير المسلمين **أبي عبد الله الغالب بالله**.

حالـه

من كتاب **طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر**[4]؛ من تصنيفنا[5]: ((كان رحمه الله، حسن الخلق، جميل الرواء[6]، رجل جد، سليم الصدر، كثير الحياء، صحيح العقل[7]، ثبتاً في المواقف، عفيف الإزار، ناشئاً في حجر

---

[1] له ترجمة أيضاً في اللمحة البدرية.

[2] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ ووردت في الملكية.

[3] اللقب الحقيقي لسلاطين بني نصر هو: أمير المسلمين. وهذا ما كتبه ابن الخطيب نفسه في اللمحة البدرية.

[4] طرفة العصر هذا؛ كتاب لابن الخطيب في تاريخ بني الأحمر؛ وقد ألفه قبل اللمحة البدرية؛ لأنه أشار إليه في هذا الكتاب الأخير. ويعتبر من بين كتب ابن الخطيب المفقودة.

[5] النص الآتي موجود في اللمحة البدرية.

[6] في اللمحة البدرية: ((جميل الخلق حسن الرواء)).

[7] نفسه: ((صحيح العقد)).

الطهارة، بعيداً عن[1] الصبوة، بريأً من المعاقرة[2]، نشأ مشتغلا بشأنه مُتَبَنِّكاً[3] نعمة أبيه، مختصاً بإيثار السلطان جده أبي أمه، وابن عم والده، منقطعاً إلى الصيد، معروف[4] اللذة إلى استجادة سلاحه، وانتقاء مراكبه، واستفراه[5] جوارحه، إلى أن أفضى إليه الأمر، وساعدته الأيام. وخدمه الجد، وتنقل[6] إلى بيته الملك به، وثوى في في عقبه الذكر، فبذلك العدل في رعيته، واقتصد في جبايته، واجتهد في مدافعة عدو الله[7]، وسَدِّ[8] ثَلْم ثغوره[9]، فكان غرة في قومه، ودرة في بيته، وحسنةً من حسنات دهره. وسيرد نبذٌ من أحواله، مما يدل على فضل جلاله)).

---

[1] في اللمحة البدرية: ((من)).

[2] في المخطوطين والملكية: ((المعاقدة))؛ وصوبت من اللمحة البدرية.

[3] أي متمكناً ومؤهلاً. وتبنك بالمكان: أقام به وتأهل؛ ويقولون: تبنك في عزه؛ أي تمكن.

[4] في اللمحة البدرية: ((مصروف))؛ وهو أصح.

[5] في ج، والملكية: ((استفراء))؛ وهو تحريف.

[6] في اللمحة البدرية: ((وانتقل به إلى بيت الملك)).

[7] نفسه: ((عدوه الله وعدوه)).

[8] في المخطوطين: ((وتسد))؛ وصوبت من الملكية.

[9] في اللمحة ((ثغره)).

صفتـه

كان معتدل القد، وسيم الصورة، عبل اليدين، أبيض اللون، كثير اللحية، بين السواد والصهوبة[1] أنجل أعين أفوه مليح العين، أقنى الأنف، جهير الصوت، أمه الحرة الجليلة، العريقة في الملوك، **فاطمة بنت أمير المؤمنين، أبي عبد الله** نخبة الملك، وواسطة العقد، وفخر الحرم، البعيدة الشأو في العز والحرمة، وصلة الرعي، وذكر التراث[2]. واتصلت حياتها، ملتمسة الرأي، برنامجا للفوائد، تاريخاً للأنساب، إلى أن توفيت في عهد حفيدها السلطان **أبي الحجاج**، رحمها[3] الله، وقد أنفت على تسعين من السنين؛ فكان الحفل في جنازتها، موازياً لمنصبها، ومتروكها، المفضي إليه خطيره، وقلت في رثائها[4]:

---

[1] الصهوبة: هي احمرار الشعر.
[2] في ج: ((الثمرات)).
[3] في ك: ((رحمه)).
[4] هذه الأبيات من البحر الطويل.

نبيــت عــلى علــم بغائلـــه الدهــر
ونعلم أن الخلق في قبضـــة الدهــر
ونركــن للدنيــا [اغتراراً بقهرهــا][1]
وحسبك من يرجو الوفاء من الغـــدر
ونمطــل بالعــزم الزمــان سفاهــةً
فيــومٌ إلى يــوم وشهــرٌ إلى شهــر
وتغري بها نفسي المطامع والهــوى
ونرفض ما يبقى فيا ضيعــةً العمــر
هــو الدهــر لا يبقى على حدثانــه
جديــدٌ[2] ولا ينفــك من حادث نكــر
وبين الخطوب الطارقــات تفاضــل
كفضل من اغتالتــه في رفعة القــدر
ألم تــر أن المجد أقــوت ربوعــه
وصــوّح من أدواحــه كل مخضــر

[1] في ك: ((**اغتراراً بفقرها**)).
[2] في ج، والملكية: ((حديث)).

ولاحـــت على وجه العـــلاء كآبـــة
فقطّـــب من بعد الطلاقـــة والبشـــر

وثبت اسمها في الوفيات من الكتاب المذكور بما نصه: ((السلطانة الحرة الطاهرة، **فاطمة بنت أمير المسلمين، أبي عبد الله بن أمير المسلمين الغالب بالله**، بقية نساء الملوك، الحافظة لنظام الإمارة، رعيا للمتات[1]، وصلة للحرمة، وإسداء للمعروف، وستراً للبيوتات[2]، واقتداء بسلفها [الصالح][3]، في نزاهة النفس، وعلو الهمة، ومتانة الدين، وكشف الحجاب، ونفاذ العزم، واستشعار الصبر. توفيت في كفالة حفيدها، **أمير المسلمين أبي الحجاج**، مواصلا برها، ملتمساً دعاءها، مستفيداً تجربتها وتاريخها، مباشراً مواراتها **بمقبرة الجنان**، **داخل الحمراء**؛ سحر يوم الأحد السابع لذي حجة؛ من عام تسعة[4] وأربعين وسبعمائة))[5].

---

[1] متات:من متا متاً :بمعنى وصل، أي رعياً للصلة، والقرابة.
[2] في ج: ((للبيوت)).
[3] وردت هذه الكلمة في ج؛ بينما سقطت في ك.
[4] في الملكية: ((سبع)).
[5] الموافق لـ 1348م.

أولاده

تخلف[1] من الولد أربعة، أكبرهم **محمد**، ولي الأمر[2] من بعده، **وفرج** شقيقه التالي له بالسن، المنصرف عن **الأندلس** بعد مهلك أخيه المذكور، المتقلب في الإيالات، الهالك أخيراً في سجن **قصبة[3] ألمرية** عام أحد وخمسين وسبعمائة[4]، مظنونا به الاغتيال، ثم أخوه **[أمير المسلمين]**[5]، **أبو الحجاج**، تغمده الله برحمته، أقعد القوم في الملك[6]، وأبعدهم أمداً في السعادة، [ثم][7] **إسماعيل** أصغرهم سناً، المبتلي في زمان[8] الشبيبة في الثقاف[9]، المخيف مدة أخيه، المستقر الآن موادعاً مرفودا، **بقصر المستخلص**[10] من ظاهر

---

[1] هكذا في المخطوطين، وفي اللمحة البدرية.
[2] في اللمحة: ((وليّ عهده والأمير من بعده)).
[3] في المخطوطين: ((قصبات)).
[4] الموافق لـ 1350م.
[5] وردت هذه العبارة في ك؛ بينما سقطت في ج.
[6] في المخطوطين: ((الملوك))؛ وصوبت من اللمحة البدرية.
[7] ذكرت في ج، والملكية؛ بينما سقطت في ك.
[8] في اللمحة: ((المبتلي زمن شبيبته بالاعتقال)).
[9] الثقاف: هو الاعتقال.
[10] المقصود بالمستخلص: هو مفهم الخاصة الملكية كما يعرف في بعض الممالك الآن؛ أي أملاك السلطان.

شالوبانيـــة[1]، وبنتين اثنتين من حظيته **علوة**، عقد عليهما عليهما أخوهما **أبو الحجاج**، لرجلين من قرابته.

وزراؤه

وزر له أول أمره القائد البهمة[2]، **أبو عبد الله محمد ابن أبي الفتح الفهري**، وبيت هؤلاء القواد شهير، ومكانتهم من **الملوك النصريين** مكينة، أشرك معه في الوزارة الفقيه الوزير **أبا الحسن علي بن مسعود بن علي ابن مسعود المحاربي**، من أعيان الحضرة، وذوي النباهة، فجاذب[3] رفيقه حبل الخطة، ونازعه لباس الحظوة، حتى ذهب باسمها ومسماها، وهلك القائد **أبو عبد الله بن أبي الفتح**، فخلص له شربها، وسيأتي التعريف بكل على انفراد.

---

[1] بالإسبانية Salobrena؛ وقد سبقت الإشارة إليها.
[2] أي القائد الشجاع الذي يعرف عدوه نيته وخطته. وكلمة: ((البهمة))؛ لم ترد في اللمحة.
[3] في المخطوطين: ((فجاذف)).؛ فصوبها عنان.

كتابـه

كتـب عنـه لأول أمـره **بمالقـة**، ثـم بطريقـه إلـى **غرناطـة**، وأياماً يسيرة بهـا، الفقيـه الكاتـب **أبـو جعفـر ابـن صفـوان** المتقـدم ذكـره، [ثـم ألـقى المقـادة][1] إلـى كاتـب الدولـة قبـل، شيخنـا **أبـي الحسـن بـن الجيـاب**، فاصـل الخطـة، وبـاري القـوس[2]، واقتصـر عليـه إلـى آخـر أيامـه.

قضاتـه

استقـضى أخـا وزيـره، الشيـخ الفقيـه **أبـا بكـر بـن يحيـى ابـن مسعـود بـن علـي**، رجـل الجزالـة، وفيصـل[3] الحكـم، فاشتـد فـي إقامـة الحكـم[4]، وغلـظ بالشـرع، واستعـان بالجـاه، فخيـف[5] سطوتـه، واستمـر قاضيـاً إلـى آخـر أيامـه.

---

[1] سقطـت هـذه العبـارة في المخطوطيـن، والملكيـة؛ أمـا في اللمحـة البدريـة؛ فقـد كتـب فيهـا: ((الحـق)).

[2] حرفـت في المخطوطيـن؛ فكتبـت: ((القـدس)).

[3] في المخطوطيـن: ((وفصـل))؛ فصوبـت مـن اللمحـة البدريـة.

[4] في اللمحـة البدريـة: ((الحـق)).

[5] نفسـه: ((فخيفـت))؛ وهـو أصـح.

رئيـس جنـده الغـربي

الشيـخ البهمـة، لبـاب قومـه، وكبيـر بيتـه، **أبـو سعيـد عثمـان بـن أبي العـلاء**[1] **إدريـس بـن عبـد الله**[2] **بـن عبـد الحـق**[3]؛ مشاركـا لـه فـي النعمـة، ضاربـاً بسهـم فـي المنحـة، كثيـر التجنـي[4] والدالـة، إلـى أن هلـك المخلـوع، وخـلا الجـو؛ فكـان منـه بعـض الإقصـار.

الملـوك علـى عهـده

وأولاً **بعـدوة المغـرب**، كـان علـى عهـده مـن **ملـوك المغـرب** السلطـان الشهيـر، جـواد الملـوك، الرحـب الجنـاب[5]، الكثيـر الأمـل، خـدن العافيـة، ومحالـف الترفيـة، مفحـم النعيـم[6]، السعيـد علـى [خاصتـه وعامتـه][7]، **أبـو سعيـد عثمـان عثمـان ابـن** السلطـان الكبيـر، المجاهـد المرابـط، **أبي يوسـف**[8]

---

[1] في اللمحـة البدريـة: ((العلـى)).
[2] نفسـه: ((عبـد اللـه بـن يعقـوب بـن عبـد الحـق)).
[3] نفسـه: ((...عبـد اللـه بـن يعقـوب بـن عبـد الحـق))؛ وهـو الأصـح.
[4] في المخطوطيـن: ((التحـني))، وفي الملكيـة: ((التهـني)).
[5] في اللمحـة، والمخطوطيـن والملكيـة: ((الجنـان)).
[6] نفسـه: ((متبحبـح النعيـم)).
[7] في المخطوطيـن: ((خاصـة وعامـة))؛ وصوبـت مـن اللمحـة.
[8] في اللمحـة: ((أبي يوسـف يعقـوب بـن عبـد الحـق)).

بن عبد الحق. وجرت بينه وبينه[1] المراسلات، واتصلت أيامه **بالمغرب** بعد مهلكه، وصدراً من أيام ولده **أبي عبد الله** حسبما مَرَّ[2] عند ذكره.

وبمدينة تلمسان، وطن القبلة، الأمير **أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان**، ثم توفي قتيلاً على عهده بأمر ولده[3] المذكور، واستغرقت أيام ولده المذكور الوالي بعده، إلى أن هلك في صدر أيام **أبي الحجاج**، وجرت بينه وبين الأمير مراسلات وهدايات.

وبمدينة تونس، الشيخ المتلقب[4] بأمير المؤمنين **أبو يحيى زكريا بن أبي حفص المدعو باللحياني**، المتوثب[5] بها بها على الأمير **أبي البقاء خالد [بن أبي زكريا][6] بن أبي حفص**، وهو كبير، إلا أن **أبا حفص** أكبر سناً وقدراً، وقد تملك **تونس** تاسع جمادى الآخرة؛ من عام ظهـر

---

[1] في اللمحة البدرية: ((وجرت بينهما)).
[2] نفسه: ((يمر)).
[3] في اللمحة: ((**قتيلاً بأمر ولده على عهده سادس عشر جمادى الثانية من عام ثمانية عشر وسبعمائة**)).
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((المتقلب)).
[5] في ج: ((الموثب))، وفي ك: ((المثوب))
[6] هذه الإضافة من الملكية.

لــه [اضطرب من بها][1]، أحد عشر وسبعمائة[2]، وتم له الأمر، واعتقل **أبا البقاء** بعد خلعه، ثم اغتاله في شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة[3]، ثم رحل عن **تونس** ؛ لما ظهر له من اضطراب أمره بها، وتوجه إلى **طرابلس**[4] في وسط وسط عام خمسة عشر[5]، واستناب صهره الشيخ **أبا عبد الله بن أبي عمر**[6]، ولم يعد بعد إليها، ثم اضطرب أمر **إفريقية**، وتنوّبه عدة من **الملوك الحفصيين**، منهم: الأمير **أبو عبد الله بن أبي عمر** المذكور، **وأبو عبد الله بن**[7] **اللحياني**، والسلطان **أبو بكر بن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحاق**، لبنة تمامهم، وآخر رجالهم، واستمرت أيامه إلى أيام ولده الأمير **بالأندلس** ومعظم أيامه ولديه ؛ رحم الله الجميع.

---

[1] في المخطوطين: ((من اضطراب بها))؛ فصوبها عنان.
[2] الموافق لـ 1311م. في الملكية: ((ثلاثة عشر))؛ فصوبها عنان.
[3] الموافق لـ 1313م.
[4] في اللمحة البدرية: أطرابلس)). وطرابلس هي عاصمة ليبيا؛ كما أنها أكبر المدن بتلك الديار؛ وتقع في الشمال الغربي لليبيا؛ وتحتل المدينة رأس صخري مطل على البحر الأبيض المتوسط
[5] في اللمحة البدرية: ((سبعمائة))؛ وهذا يوافق: 1315م.
[6] نفسه: ((عمران)). أما ابن خلدون؛ في كتاب العبر فقد قال: ((واستخلف ((واستخلف بالحضرة أبا الحسن بن وانديـن...)).
[7] سقطت كلمة: ((ابن)) في اللمحة.

ومن **ملوك الروم بقشتاله**، كان على عهده مقروناً بالعهد القريب من ولايته، **الطاغية هراندة**[1] **ابن شانجه بن ألهنشة**[2] **بن هراندة** المجتمع له ملك **قشتالة وليون**[3]، وهو المتغلب على **إشبيلية، وقرطبة، ومرسية، وجيان**؛ ابن **ألهنشة**[4]، الذي جرت له وعليه هزيمة **الأرك والعقاب**[5]، **ابن شانجه**[6] **بن ألهنشة** المسمى **إنبرذور**[7]، وهو الذي أفرد

---

[1] من عادة أهل الأندلس تسمية ملوك النصارى أعدائهم بلقب الطاغية. واسم هذا الملك هو فرناندو بن ألفونسو التاسع؛ أعظم ملوك النصارى آنئذ؛ تربع على عرش قشتالة في ليون سنة 611هـ/1214م؛ وهو الذي استولى على المدن الكبرى في الأندلس: كقرطبة، وإشبيلية، وجيان؛ ويعتبره النصارى في اسبانيا بمثابة القديس؛ فلقبوه بالقديس فرناندو San Fernando؛ ووفاته كانت في سنة 650هـ/1252م.

[2] في اللمحة: ((ألفونش)).

[3] نفسه: ((ملك ليون وقشتالة)).

[4] وفي اللمحة: ((الهونش)). هذا حسب النطق العربي آنذاك؛ بينما اسمه الصحيح هو ألفونسو الثاني؛ ملك قشتالة أيام الموحدين؛ وهو الذي هزمته جيوشهم في موقعة الأرك Alarcos سنة 591هـ/1195م.

[5] ليست معركة العقاب؛ كما بدا لابن الخطيب؛ وإنما هي معركة الأرك الواقعة سنة 591هـ/1194م؛ بقيادة الخليفة الموحدي المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي. لأن معركة العقاب؛ انتصر فيها النصارى بقيادة ملكهم ألفونسو الثامن على الموحدين؛ بقيادة الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي؛ وذلك سنة 609هـ/1212م.

[6] أي سونشو Sancho.

[7] إنبرذور بلهجته هو الأمبراطور. وكتبت في المخطوطين: ((أشردون))؛ وهو تحريف لكلمة ((إنبرذور)).

صهره وزوج بنته **بملك برتقال**[1]؛ إلى أجداد، يخرجنا تقصي ذكرهم عن الغرض.

ومن **ملوك رغون**[2] من **شرق الأندلس**، **الطاغية جايمش بن بطره بن جايمش**[3]؛ الذي تغلب على **بلنسية**، **ابن بطره بن ألهنشة**[4]، إلى أجداد عدة كذلك. ثم هلك في أخريات أيامه، فولي **ملك أرغون** بعده **ألهنشة بن جايمش** إلى أخريات أيامه.

وببرتقال ألهنشة[5] **بن يومس**[6] **بن ألهنشة بن شانجة ابن ألهنشة بن شانجه بن ألهونشة**، ويسمو[7] أولا دوقاً.

---

[1] حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((برطال)).

[2] أي أراغون.

[3] جايمش بلهجة الأندلسيين هو خايمي (يعقوب) Jaime؛ أما بطرة فهو بطرس Pedro؛ حكم هذا الملك مملكة أراغون من سنة 625هـ/1227م إلى سنة 673هـ/1274م. وهذا الملك هو الذي تغلب على بلنسية وشاطبة وجزائر البليار.

[4] في اللمحة: ((الهونش)).

[5] أي ألفونسو الثالث؛ الذي امتلك البرتغال من سنة 646هـ/1248م وحتى سنة 677هـ/1278م.

[6] في اللمحة: ((ذونيش)).

[7] نفسه: ((وتسمَّى))؛ وهو أصح.

ذكر تصير الأمر إليه

لما ولي الأمر **بالأندلس**، حرسها الله، السلطان **أبو الجيوش نصر ابن السلطان أبي عبد الله محمد ابن السلطان الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر**، يوم عيد الفطر؛ من عام ثمانية[1] وسبعمائة[2]، بالهجوم على أخيه **أبي عبد الله** الزَّمِن المُقْعد، الآمن في ركن بيته، واغتيال **ابن الحكيم** وزيره ببابه، والإشادة بخلعه؛ حسبما يأتي في موضعه، استقر الأمر على ضعف أخيه، وسارع دِخْلته؛ فساءت السيرة لمنافسة الخاصة. وكان الرئيس الكبير عميد القرابة، وعلم الدولة **أبو سعيد فرج**، ابن عم السلطان المخلوع، وأخيه الوالي بعده، راسخاً قدمه وعرفه، بمثوبة الوارث، ولنظره عن أبيه المسوغ عن جده **مالقة** وما إليها، ولنظره مدينة **سبتة**، المضافة إلى إيالة المخلوع عن عهد قريب، قد أفرد بها ولده المترجم به، وجميعهم تحت طاعته، وفي زمان انقياد سوغ مديد[3] الدولة، بل

---

[1] ترك في موضع هذه الكلمة بياض في المخطوطين والملكية.
[2] الموافق لـ 1308م.
[3] في ج: ((مدين)).

مَـــدِّ سَرْوِهـا[1] لما شاء عز وجل من احتوائهم في حبل هـذا الدايـل، يتعقبون عـلى الرئيس الكبير أمـوراً تثر مخيمـة[2] الصـدور، وتستـدعي فـرض الطاعـة، وتحتـوي عـلى مظنـات مُخلـة[3]، واحترسـوا صافيـات منافعـه، وأوعـزوا[4] إلـى ولاة الأعمـال بالتضييـق عـلى رجالـه، وصرفـوا سننـه عـن نظـره. ولما بـادر إلـى الحضـرة لإعطـاء صفقـة البيعـة وتهنئـة **السلطـان نصـر**، عـن روحـه[5]، وابـن عمـه، عـلى عادتـه، داخلـه بعـض أربـاب الأمـر، محـذراً، ومشيـراً بالامتنـاع ببلـده، والدعـاء لنفسـه، ووعـده بمـا وسعـه، فاستعجـل الانصـراف إلـى بلـده، ولـم تمـر إلا برهـة، واشتعلـت[6] نـار الفتنـة، وهاجـت مراجـل الحفيظـة، فتلاحـق بـه ولـده، وأظهـر الانفـراد والاستعـداد فـي سابـع عشـر رمضـان؛ مـن هـذا العـام. وأقـام ولـده **إسماعيـل**، برسـم الملـك والسلطـان، ورتـب لـه ألقـاب الملـك، ودون

---

[1] في المخطوطيـن: ((سرورهـا))؛ فصوبهـا عنـان.
[2] هكـذا في المخطوطيـن والملكيـة.
[3] في ج، والملكيـة: ((جملـة)).
[4] في المخطوطيـن: ((وأوغـروا)).
[5] هكـذا في المخطوطيـن، والملكيـة. والمقصـود هـو: عـن نفسـه.
[6] حرفـت في المخطوطيـن والملكيـة؛ فكتبـت: ((واستعملـت)).

ديوان الملك بحسبه[1]، ونازل حَضْرَةَ[2] **أنتقيرة**[3]، وناصبها القتال، فتملكها، ودخلت **مربلة**[4] في طاعته، وتحرك إلى إلى **بلش**[5] فنازلها، ونصب عليها المجانيق فدانت، فضخمت[6] الدعوة، ومكنت الجباية، والتف إليه من مساعير الحروب ومن أجاب. وتحرك إلى **غرناطة** في أول شهر محرم؛ عام اثني عشر وسبعمائة[7]، ونزل بقرية **العَطْشا** من مرجها[8]. وبرز **السلطان نصر** في جيش خشن، خشن، مستجاد[9] العدة، وافر الرَّجْل[10]، فكان اللقاء ثالث عشر الشهر، فأظهر الله[11] أقل الفئتين، وانجرت[12] على الجيش **الغرناطي** الهزيمة، وكبا **بالسلطان نصر** فرسه

---

[1] في المخطوطين: ((بجبسه))؛ وصوبت من الملكية.
[2] في ك: ((حضر))، وفي ج: ((صر))؛ فصوبها عنان.
[3] انتقيرة: مدينة حصينة وتسمى بالإسبانية Antaquera؛ وتتواجد في الشمال الغربي من مالقة.
[4] سبق التعريف بها.
[5] تم التعريف بها من قبل.
[6] حرفت في ك؛ فكتبت: ((فطمخت)).
[7] الموافق لـ 1312م.
[8] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((جها))؛ وصوبت من اللمحة.
[9] في ج: ((مستجد))، وفي ك: ((مستتجد))؛ فصوبت من اللمحة؛ الذي كتب فيها: ((وبرز السلطان نصر في جيش أخشن مستجاد)).
[10] يقصد بالرجل: المقاتلين المشاة.
[11] أضيفت هذه الكلمة من اللمحة.
[12] في الملكية: ((أقل الطائفتين، وجرت)).

في مجرى سقي لبعض الفدن، فنجا بعد لأي ودخل البلد مفلولا، وانصرف الجيش **المالقي** ظاهراً إلى بلده، وطال بالرئيس وولده الأمر وضرستها الفتنة، وعظم احتياجه إلى المال، وكادت تفضحه المطاولة، وزاحمه الملك بمكلف ضخم، فاقتضى ذلك إذعانه إلى الصلح، وإصغاره المهادنة، على سبيله من المقام ببلده، مسلماً للسلطان في جبايته، جاريةً وطايفةً في رياسته، وأرزاق جنده، فتم ذلك في ربيع الأول من العام المذكور. ثم لقحت فتنة في العام المذكور هاتفين بخلعان السلطان وطاعة مخلوعهم، وطالبين منه إسلام وزيره خدن[1] **الروم**، المتهم[2] على الإسلام **أبي عبد الله بن الحاج**[3]. ثم لحق زعماؤهم **بمالقة بمالقة** عند اختلال ما أبرموه، فكانت الحركة الثانية **لغرناطة** بعد أمور اختصرتها، من استبداد **[السلطان أبي الوليد]**[4] بأمره، والانحطاط في القبض على أبيه، إلى

---

[1] في المخطوطين: ((جذل))؛ فصوبت من اللمحة. ومعنى الخدن: هو الصديق.

[2] في المخطوطين: ((المبهم)).؛ وصوبت من اللمحة.

[3] في اللمحة البدرية: ((على الإسلام محمد ابن الحاج)).

[4] أضيفت العبارة المحصورة بين حاصرتين من اللمحة؛ وكتبت بالكامل هكذا: ((السلطان أبي الوليد بنفسه)).

هوى جنده، والتصميم في طلب حقه، فاتصل سيره، واحتل **بلوشة** سرار شوال فتملكها[1]، ورحل قافلا إلى وطنه، طريد كلب الشتاء، وافر الخزانة، واقتضى الرأي القائل ممن له النظر الجاش من زعيم شيوخ جندها، اتهاماً له **بالطاغية**[2]، فسجنه. ثم بدا له في أمره؛ ثم سرحه بعد استدعاء يمينه، فوغرت صدور حاشيته، وتبعهم من كان على مثل رأيهم، وهو شوكة حادة، فصرفوا الوجوه إلى السلطان المقبل الحظ، المحبوب إليه هوى الملك، بما راعه، ثانياً من عنانه بأحواز **أرجدونة**[3]، إلا تثويب داعيهم، فكر إلى المدينة وبزر إليه جيشها، ملتفا على **عبد الحق بن عثمان**، فأبلى وصدق الحملة، فكادت تكون الدائرة، فلولا ثبوت[4] السلطان لما استقبلت بأسفلهم الحملة، فولوا منهزمين، وتبعهم إلى سور المدينة، وقد خَفَتَ اللَّفيف والغوغاء، الناعقون بالخُلعان، الشرهون إلى تبديل

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فتملها))؛ وصوبت من اللمحة.
[2] في المخطوطين: ((بالصفاغية))؛ فصوبها عنان.
[3] يرجح عنان أن تكون هي مدينة أرشدونة Archedona؛ الواقعة شمال مالقة، القريبة من أنتقيرة.
[4] في اللمحة: ((وأبلى في الدفاع؛ فكادت تقع به الدبرة؛ لولا ثبوت...)).

الدعوات، وإلى تسنم المآذن والمنارات والرُّبا. وبرز أهل **ربض البيازين**[1]، الهافون إلى مثل هذه البوارق، إلى شرف ربوتهم، كل يشير مستدعيا، إعلاناً بسوء الجوار، وملل الإيالات، والانحطاط، وبعد التلون والتقلب، وسآمة العافية، شنشنة معروفة في الخلق مألوفة. وبودر غلق **باب إلبيرة**، ففض قفله، ودخلت المدينة، وجاء[2] السلطان إلى معقل **الحمراء** بأهله وذخيرته وخاصته، وبزر **السلطان أبو الوليد بالقصبة** القُدْمى تجاهها، بالدار الكبرى المنسوبة **لابن المَوْل**، ينفذ الصكوك، ويذيع[3] العفو، ويؤلف الشارد، وضعفت بصاير المحصورين، وفشلوا على وجود الطعمة، ووفور المال، وتمكن المنعة. فالتمسوا لهم ولسلطانهم عهداً نزلوا به، منتقلين إلى **مدينة وادي آش**، في سبيل العوض بمال معروف، وذخيرة موصوفة، وتم ذلك، وخرج السلطان رحمه الله مخلوعاً، ساء به القرار،

---

[1] وهو أحد أحياء غرناطة المهمة؛ ما زال قائماً إلى الآن؛ ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من هضبة الحمراء. يسمى بالإسبانية Albaicin.

[2] في اللمحة البدرية: ((لجأ)).

[3] في ك: ((ويدفع)).

جانياً على ملكه الأخابيث[1] والأغمار، ليلة الثامن والعشرين من شوال؛ عام ثلاثة عشر وسبعمائة[2]، واستقر بها موادعاً مرة ومحارباً أخرى، إلى أن هلك حسبما يأتي ذكره. وخلا للسلطان[3] الجو، وصرفت[4] إليه المقادة وأطاعة القاصي والداني، ولم يختلف عليه اثنان، والبقاء الخُلص لله وحده.

مناقبه

اشتد رحمه الله على أهل البدع، وقصر الخوض على ما تضطر إليه الملة، ولقد تُذوكر بين يديه [أهل][5] البيت، فبذل في فدية بعضهم ما يعز بذله، ونقل منهم بعضاً من [حرف خبيثة][6]، فزعموا أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فشكر له ذلك. واشتد في إقامة الحدود، وإراقة المسكرات، وحظر[7] تجلى القينات

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الأجانيث)).
[2] الموافق لـ 1313م.
[3] في اللمحة: ((وخلا للسلطان أبي الوليد)).
[4] في اللمحة: ((وضربت)).
[5] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فأضافها عنان.
[6] في المخطوطين: ((من صروف جيشه))؛ وصوبت من اللمحة.
[7] في ج: ((حضر)).

القينات للرجال في الولائم، وقصر طربهن على أجناسهن من الناس، وأخذ **يهود**[1] الذمة بالتزام سمةٍ تشهرهم، وشارة[2] تميزهم، وليوفَّى[3] حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الخطاب والطرق، وهي **شواشي صفر**. ولقد حدث من يخف حديثه، من الشيوخ أولي المجانة والدعابة، قال: كنا عاكفين على راح[4]، وبرأسي شاشية ملف حمراء، فحاول أصحابي إنامتي، حتى أمكن ذلك، وبادروا إلى رقاع من ثوب أصفر، فصنعوا منها شاشية، ووضعوها في رأسي، مكان شاشيتي، وأيقظوني، فقمت لشأني، وقد هيئوا ثمناً لشراء بقل وفاكهة، وجهزوني لشرائه، فخرجت حتى أتيت دكان السوق، فساومته، فلما نظر إلي قال لصاحبه: جزى الله هذا السلطان خيراً، والله لقد كنت أبادر هذا اللعين بالسلام عند لقائه أظنه مسلماً، وبصق علي، فهممت أن أوقع به، ثم فطنت للحيلة، فانتزعتها وبادرت فأوسعتهم ذماً، وعظم

---

[1] في ك: ((اليهود))؛ بينما سقطت هذه الكلمة في ج.
[2] في المخطوطين: ((وإشارة))، وصوبت من اللمحة.
[3] في اللمحة: ((ليوقّوا)).
[4] في المخطوطين: ((راحة)).

خجلي، وسبقني إليهم عين لهم علي، فكاد الضحك يهلكهم عند دخولي. ومناقبه كثيرة.

جهاده وبعض الأحداث في مدته

والْتَأَثت[1] الأمور، لأول مدته، فجرت على جيشه بمظاهرة [جيش][2] المخلوع لجيش **الروم**، الهزيمة الشنيعة، **بوادي فرتونه**، أوقع بهم **الطاغية بطره**[3]، كافل **ملك الروم**، المملك صغيرا على عهد أبيه، وعمه الذّاب عنه، ففشا في الأعلام القتل، وذلك في صفر؛ من عام ستة عشر وسبعمائة[4]، وظهر العدو بعدها فغلب[5] على **حصن شتمانس**[6] **شتمانس**[6] **وحصن بجيج**[7]، **وحصن طشكر، وثغر رُوط**[8].

---

[1] أساءت.

[2] هذه الإضافة من الملكية.

[3] اسمه هو الدون بيدرو Don Pedro؛ الوصي على ملك قشتالة الصغير ألفونسو الحادي عشر.

[4] الموافق لـ 1316م.

[5] سقطت هذه الكلمة في ج.

[6] هذا الحصن كان على مقربة من غرناطة؛ ويعرف بالإسبانية Sietemanos؛ ومعناه الأيدي السبعة. وكتب في اللمحة البدرية: ((وظهر العدو بعدها على حصن قنبل وحصن متمانس)).

[7] في اللمحة: ((وحصن نجيج)).

[8] نفسه: ((وحصن روط)).

ثـم صرفـت[1] المطامع عزمه إلى الحضرة، فقصـد مرجهـا[2]، وكف الله عاديته، وقمعه، ونصر الإسلام عليه، ودالت للدين عليه الهزيمة العظمى بالمرج من ظاهر **غرناطة** على بريد منها، واستولى على محلته النهب، وعلى فرسانه ورجاله القتل، وعظم الفتح، وبهر الصنع وطار الذكر، وثاب السعد. وكانت الوقيعة سادس جمادى الأولى؛ من عام تسعة عشر وسبعمائة[3]، وفي ذلك يقول كاتبه شيخنا **أبو الحسن ابن الجياب**[4]:

الحمـــد حـــق الحمـــد للرحمـــن
كـــافي العدو وناصـــر الإيمـــان
ومكيف الصنع الكريم ودافع الـــ
ـــخطب العظيم وواهب الإحسان

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((صفرت)).
[2] أي مرج غرناطة الذائع الصيت: La Vega.
[3] الموافق لـ 1319م. ثمة بعض التحريف في تاريخ هذه الموقعة؛ لأن ابن خلدون يجعل تاريخها في 718هـ الموافق 1318م.
[4] هذه الأبيات من بحر السريع.

في كل أمـــر للمهيمـــن حكمـــة
أعيت على الأفكـــار والأذهـــان

واستقر ملكهم[1] القتيل بأيدي المسلمين بعد فرارهم، فجعل في تابوت خشب، ونصب بالسور المنازل من **الحمراء** يسار الداخل **بباب يعقوب** من أبوابها، إذاعةً للشهرة، وتثبتاً لتخليد الفخر. ومن الغريب أنني في هذه الأيام بعد خمسين سنة تماماً[2]. تفقدت ذلك المكان في بعض ما أباشره، أيام نيابتي عن السلطان بدار ملكه على عادتي، فألفيته قد علا عليه كوم من الحجارة، رجم الصبيان إياه، فظهر لي تجديد الإشادة به، والاستفتاح بوقوع مثله، ولما كشف عن الرمة لتنقل إلى وعاء ثان، ألفى بعَظْم[3] القَطَن[4] العريض منها، سنانٌ مرهب ثبت في

---

[1] الذي قتل في هذه الموقعة هو ((دون بيدرو))؛ وكان وصياً على الملك الصبي؛ وليس ألفونسو الحادي عشر.
[2] ويوافق هذا: سنة 769هـ/1367م. يقصد: بعد مرور خمسين سنة عن السنة التي وقعت فيها معركة وادي فرتون (أي في عام 719هـ/1319م). وبذلك تكون السنة التي ذكر فيها هذا هي سنة: 769هـ/1367م.
[3] في المخطوطين: ((بعظن)).
[4] القطن هو الجزء المنحدر من الظهر؛ ثم استوى.

العظم، انتزع منه، وقد غالبتني الرقة والإجهاش، وقلت اللهم ادخر رضوانك لمن ودع [1] في هذه الرمة الطاغية، سنان جهادك إلى اليوم، وأثبه وارفع درجته، إنك أهل لذلك.

((**رجعٌ**)): واستقامت الأيام، وهلك المخلوع، فصفا الجو، واتحدت الكلمة، وأمكن الجهاد. فتحرك في شهر[2] رجب؛ من عام أربعة وعشرين وسبعمائة[3]، وأعمل القصد[4] إلى بلاد العدو، ونازل **حصن إشكر**[5]، الشَّجى المعترض[6] في حلق **بسطة**، فأخذ بمُخَنَّقِه[7]، ونشر الحرب عليه[8]، ورمى بالآله العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة طاق[9] البرج المنيع من معقله، فاندفعت يتطاير يتطاير شررها، واستقرت بين محصوريه[10]، فعاثت عيات

---

[1] في ج، والملكية: ((وضع)).
[2] سقطت كلمة: ((شهر)) في اللمحة البدرية.
[3] الموافق لـ 1323م.
[4] في اللمحة: ((وأعمل الحركة)).
[5] يسمى هذا الحصن بالإسبانية Huescar؛ ويتواجد شمال شرق بلدة بسطة.
[6] في اللمحة: ((المتعرض)).
[7] في اللمحة ((بمخنقها)).
[8] نفسه: ((عليها)).
[9] نفسه: ((طاقة)).
[10] في المخطوطين: ((محصوبه)).

الصواعق السماوية، فألقى الله الرعب في قلوبهم، وأتوا بأيديهم، ونزلوا قسراً على حكمه في الرابع والعشرين من الشهر، وأقام بظاهره، فصيره دار جهاد، وعمل في خندقه بيده، وانصرف، فكانت غزاة جمة البركة عظمت بها على الشرق الجَدْوى، وأنشد الشعراء في هذه الوجهة قصائد أشادت بفضلها، وشهرت من ذكرها، فمن ذلك عن كاتب سرّه[1] قوله[2]:

أما مداك فغايــة لــم تُلْحَــقْ[3]

أعيت على غر الجيــاد السُّبَّــقْ[4]

ورفع إليه شيخنا الحكيم **أبو زكريا ابن هذيل**، قصيدة أولها[5]:

---

[1] حرفت في ج؛ فكتبت: ((كتاب بيره)). والمقصود هنا هو: الحكيم أبو زكريا بن هذيل. وهذا كما جاء في اللمحة البدرية.

[2] هذا البيت موجود أيضاً في اللمحة البدرية. وهو من البحر الكامل.

[3] في اللمحة: ((لم تسبق)).

[4] وورد في اللمحة بيت آخر بعد هذا البيت جاء فيه:

((فاشرح بسعدك كل معنى مشكلْ ۞افتح بسيفك كل باب مُغْلَقْ)).

[5] هي من البحر الطويل.

بحيث القباب[1] الحمر والأسد الــورد

كتائب سكان السمــاء لها جنــد

أنشــدني منهــا فــي وصــف النفــط قولــه:

وظنوا بأن الصعق والرعد في السما[2]

فحاق بهم من دونها الصعق والرعد

غرائب أشكال سمــا هُرْمُــسٌ بهــا

مهنــدةٌ[3] تــأتي الجبــال فتنهــــد

ألا إنهــا الدنيــا تريــك عجائبــاً

وما في القوى منها فلا بد أن يبـــدو

وفي العاشر لشهر رجب؛ من عام خمسة وعشرين وسبعمائة[4]، تحرك للغزو بعد أخذ الأهبة[5] والاستكثار والاجتهاد للمطوعة، وقصد **مدينة مَرتُش**[6] العظيمة

---

[1] في اللمحة: ((البنود)).
[2] في اللمحة: ((بأن الرعد والصعق في السما)).
[3] في اللمحة: ((مهندمة)).
[4] الموافق لـ 1324م.
[5] في اللمحة البدرية: ((تحرك إلى الغزو، وأخذ الأهبة)).
[6] تسمى بالإسبانية Martos؛ وهي بلدة حصينة؛ تتواجد إلى الجنوب الغربي من جيان.
جيان.

الساحـــة، الطيبـــة البقعـــة، فأضـــرب[1] بهـــا المحـــلات[2] و[كـان][3] القصـد[4] إجمـام النـاس، فصـوب[5] الحشـود ووجهها إلـى مـا بهـا[6] مـن بحـر[7] الكـروم والملتفـات، وأدواح وأدواح الأشجـار، فأمعنـوا فـي إفسادهـا، وبـزر حاميتهـا [فناشبـت النـاس][8] القتـال، فحميـت النفـوس، وأريـد منـع النـاس، فأعيـا أمرهـم وسـال[9] منهـم البحـر، فتعلقـوا بالأسـوار وقيـل السلطـان بـادر بالركـوب، فقـد دخـل الربـض[10]، فركـب ووقـف بإزائهـا، فدخـل البلـد[11] عنـوة، واعتصـم أهلـه **بالقصبة**؛ فدُخلـت أيضـاً **القصبة** عنـوة، وانطلقـت أيـدي الغوغـاء علـى مـن بهـا مـن ذكـر وأنثـى كبيـراً أو صغيـراً[12]، فسـاءت القتلـة، وقبحـت الأحدوثـة. ورفعـت

---

[1] في المخطوطين والملكية: ((فاضطـرب))، وصوبـت مـن اللمحـة.
[2] في المخطوطيـن: ((المحـالات؛ وصوبـت مـن الملكيـة.
[3] هذه الكلمـة أضيفـت مـن اللمحـة. إذ كتـب فيهـا: ((وكـان قصـده)).
[4] في اللمحـة: قصـده)).
[5] نفسـه: ((فصرفـت)).
[6] حرفـت في المخطوطيـن؛ فكتبـت: ((بابهـا)).
[7] في اللمحـة: ((شكـر)).
[8] حرفـت في المخطوطيـن والملكيـة؛ فكتبـت: ((فناشـب النـاس)).
[9] في المخطوطيـن والملكيـة: ((وهـال)).
[10] في اللمحـة: ((البلـد)).
[11] نفسـه: ((الحصـن)).
[12] نفسـه: ((صغيـر أو كبيـر)).

من الغد آكام من الجثث، صعدت ذراها المؤذنون، وقفل إلى **غرناطة** بنصر [لا كفاً له، فكان][1] دخوله من هذه الغزاة في الرابع والعشرين لرجب المذكور.

وفاته

ولما فصل من **مرتش** نقم على أحد الرؤساء من قرابته، وهو ابن عمه **محمد ابن إسماعيل** المعروف **بصاحب الجزيرة**، أمراً تقرعه عليه، وبالغ في الإهمال له؛ وتوعده[2] بما أثار حفيظته، فأقدم عليه بالفتكة الشنعاء الشنعاء التي ارتكبها منه بباب قصره، بين عبيده [وأرباب دولته][3]، آمن ما كان سرباً، [وأعز سلطاناً وجنداً، وذلك وذلك اليوم الإثنين ثالث يوم من دخوله][4] من **مرتش**، بعد أن عاهد في الأمر جملة من القرابة والخدام، فوثب به، وهو مجتاز بين السماطين من ناسه إلى مجلس كان

---

[1] كتبت العبارة ما بين الحاصرتين في اللمحة البدرية هكذا: ((لا كفاء له وكان)).
[2] في اللمحة: ((وبالغ في تأنيبه، وتوعده...)).
[3] ما بين الحاصرتين سقط في اللمحة البدرية.
[4] ما بين حاصرتين ورد في اللمحة البدرية هكذا: ((وأعز نفراً وأمكن امتناعاً؛ غدوة يوم الإثنين الثالث من يوم دخوله...)).

يجلس فيه للناس، فاعتنقه وانتضى خنجراً[1] كان ملصقاً في ذراعه، فأصابه بجراحات ثلاث، إحداهن في عنقه، بأعلى ترقوته، فخر صريعاً. وصاح **بكرٌ** وزيره، فعمته سيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك، ووقعت الرجة، وسلت السيوف، وتشاغل كل بمن يليه، واستخلص السلطان من يديه، وحيل بينه وبينه. وحين[2] تشاغل القوم بالوزير، رفع السلطان وظن أنه قد أفلت جريحاً، فرقع البهت، وبادروا الفرار، فسدت المذاهب، فقتلوا حيث وجدوا، وأخذت الظنة قوماً من أبريائهم، فامتحنوا[3]، ونهب[4] الغوغاء دورهم، وعلقت بالجدرات أشلاؤهم، وكان يوماً عصيباً، وموقفاً صعباً، واحتمل السلطان إلى بعض دور قصره، وبه صبابة روح، أشبه شيء بالعدم، للزوق العمامة بفوهة[5] شريانه المبتور، ففاض لحينه بنفس زوال العمامة، رحمه الله. وكان من أخذ البيعة لولده

---

[1] في اللمحة البدرية: ((إلى مجلس القعود الخاص؛ فاعتنفه، وسل خنجراً ..)).
[2] في ك: ((وعند)).
[3] في اللمحة البدرية: ((فاستحلفوا)).
[4] نفسه: ((ونهبت)).
[5] في ج: ((يغهو))، وفي ك: ((يعهو))؛ وصوبت من اللمحة.

الأمير **أبي عبد الله** من بعده، ما هو معروف في موضعه. ودفن غلس ليلة الثلاثاء[1]؛ ثاني يوم وفاته، بروضة الجنة[2] من قصره، إلى جانب جده، وتنوهي الاحتفال بقبره نقشاً، وتخريماً[3]، وإحكاماً، وحلياً، وتمويهاً، يشق على الوصف[4]، وكتب بإزاء رأسه في لوح الرخام ما نصه، من كلام شيخنا[5]، بعد سطر الافتتاح: ((هذا قبر السلطان السلطان الشهيد[6] فتَّاح الأمصار، وناصر ملة **المصطفى المختار** ومحيي سبيل آبائه **الأنصار**، الإمام العادل، الهمام الباسل، صاحب الحرب والمحراب الطاهر الأنساب والأثواب، أسعد الملوك دولة، وأمضاهم في ذات الله صولة، سيف الجهاد، ونور البلاد، ذي الحسام[7] المسلول في نصرة الإيمان، والفؤاد المعمور بخشية الرحمن، المجاهد في سبيل الله، المنصور بفضل الله، أمير المسلمين **أبي**

---

[1] في اللمحة: ((ليلة يوم الثلاثاء)).
[2] نفسه: ((الجنان)).
[3] في ك: ((تحميراً))، وفي اللمحة: ((تجيداً)).
[4] في اللمحة: يشذ عن الوصف)).
[5] يقصد أبو الحسن بن الجياب.
[6] في المخطوطين: ((الشهير)).
[7] في اللمحة: ((ونور البلاد الحسام المسلول...))؛ وهو الأصوب.

الوليد إسماعيل ابن الهمام الأعلى، الطاهر الذات والفخار[1]، الكريم المآثر والآثار، كبير الإمامة **النصرية**، وعماد الدولة الغالبية، المقدس، المرحوم **أبي سعيد فرج**، **ابن** علم الأعلام وحامي حمى الإسلام، صنوا الإمام الغالب، وظهيره [المقدس] العلي[2] المراتب، المقدس، المرحوم **أبي الوليد إسماعيل بن نصر**، قدس الله روحه الطيب، وأفاض عليها [غيث][3] رحمته الصيب، ونفعه بالجهاد والشهادة، وحياه بالحسنى[4] والزيادة، جاهد في سبيل الله حق الجهاد، وصنع الله له في فتح البلاد، وقتل كبار الأعاد[5]، ما يجده مذخوراً يوم التناد، إلى أن قضى الله بحضور أجله، فحتم عمره بخير عمله، وقبضه إلى ما أعد له من كرامته وثوابه، وغبار الجهاد طي

---

[1] في الملكية: ((المفاخر))، وفي اللمحة: ((والنجار)).
[2] هذه الكلمة وردت في ج فقط. أما في اللمحة البدرية فكتب: ((وظهيره المقدس العلي)).
[3] هذه الكلمة سقطت في المخطوطين والملكية؛ بينما وردت في اللمحة. ووردت العبارة هكذا: ((وأفاض عليها غيث...))
[4] في اللمحة: ((وحباه بالحسنى)).
[5] نفسه: ((وقتل كبار ملوك الأعاد)).

أثوابه، فاستشهد رحمه الله شهادةً أثبتت له في الشهداء من الملوك قدماً، ورفعت له في أعلام السعادة علماً.

ولد رضي الله عنه في الساعة المباركة بين يدي الصبح من يوم الجمعة سابع عشر شوال[1]؛ عام سبعة وسبعين وستمائة[2]، وبويع يوم الخميس السابع والعشرين لشوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة[3]، واستشهد في يوم الإثنين السادس والعشرين لشهر رجب[4]؛ عام خمسة وعشرين وسبعمائة[5]. فسبحان الملك الحق، الباقي بعد فناء فناء الخلق)). وبعده من جهة اللوح الأخير[6]:

تخـــصُّ قبرك يا خيـــر السلاطيـــن

تحيـــةٌ كالصبـــا مـــرت بداريـــن

---

[1] في اللمحة: ((شهر شوال)).
[2] الموافق لـ 1278م.
[3] الموافق لـ 1313م.
[4] في اللمحة: ((لشهر رجب الفرد)).
[5] الموافق لـ 1324م.
[6] هذه القصيدة موجودة أيضاً في اللمحة البدرية. وهي من البحر البسيط.

قبـــر به من بني نصـــر [إمام هـــدى][1]

عالي المراتب في الدنيا وفي الديــن

أبـــو الوليـــد ومـــا أدراك من ملـــكٍ

مستنصــــرٍ واثـــقٍ باللـــه مأمـــــون

سلطـــان عدلٍ وبأسٍ غالبٍ ونـــدىً

وفضـــل تقـــوى وأخـــلاقٍ ميامـيــن

للـــه ما قد طواه الموت من شـــرف

وســـر مجـــدٍ بهذا اللحــد مدفــون

ومن لســـان بذكـــر اللـــه منطلـــق

ومن فـــؤادٍ بحـــب اللـــه مسكـــون

أمـــا الجهـــاد فقـــد أحيـــا معالمـــه

وقـــام منـــه بمفـــروض ومسنـــون

فكم فتـــوحٍ له تزهـــو[2] المنابر مـــن

عُجـــبٍ بهـــن وأوراق الدواويــــن

---

[1] ما بين، الحاصرتين سقط في ك؛ بينما ورد في ج، والملكية.

[2] في اللمحة: (تُزْهَى)).

مجاهــدٌ نال من فضل الشهادة مـــا
يجـــبى[1] عليه بأجـــر غيـــر ممنـــون
قضى كعثمان في الشهر الحرام ضـــحىً
وفـــاة مستشهـــد[2] في الدار مطعـــون
في عارضيه غبار الغـــزو تمسحـــه
في جنـــة الخلد أيدي حورها العيـــن
يُسْــقى بهـــا عين تسلــمٍ[3] وقاتلـــه
مـــردد بيـــن زقـــوم وغلسيـــن
تبكي البـــلاد عليـــه والعبـــاد معـــاً
فالخلـــق ما بيـــن أحـــزان أفانيـــن
لكنـــه حُكْـــم ربٍّ لا مـــردً لـــه
[فأمْرُه][4] الجـــزم بين الكاف والنـــون
فرحمة اللـــه رب العالميـــن عـــلى
سلطان عـــدلٍ بهذا القبـــر مدفـــون

---

[1] في المخطوطين: ((يجـري))؛ وصوبـت مـن اللمحـة.
[2] في المخطوطين والملكيـة: ((مشتهـر))، وصوبـت مـن اللمحـة.
[3] في اللمحـة البدريـة: ((عيـن تسنيـم)).
[4] هـذه الكلمـة سقطـت في المخطوطيـن والملكيـة؛ بينمـا وردت في اللمحـة.

بعـض مـا رثي بـه

[وعظمـت فيـه][1] فجيعـة المسلمين لما ثكلـوا مـن جهـاده وعزمـه، وبلـوه مـن سعـده وعـز[2] نصـره، فكثـرت[3] فيـه المراثي، وتراهنـت[4] فـي شجـوه القرائـح، وبكـاه الغـادي والرائـح. فمـن المراثي الـتي أنشدت علـى قبـره، قـول كاتبـه شخنا [5] **أبي الحسن بن الجياب[6]**:

أيا عبرة العين امزجي الدمع بالـــدم
ويا زفـــرة الحزن احكمي وتحكـــمي
ويا قلـــب ذب وجدا وغماً ولوعـــةً
فإن الأسى فـــرضٌ على كل مسلـــم
ويا سلـــوة الأيام لا كنـــت فابعـــدي
إلى [حيث ألقـــت][7] رحلها أم قشعـــم

---

[1] مـا بيـن الحاصرتيـن سقـط في المخطوطيـن والملكيـة؛ وواد في اللمحـة.
[2] في اللمحـة: ((وعـزة)).
[3] في المخطوطيـن: ((فكثـر)).
[4] في اللمحـة: ((وتراهقت)).
[5] وردت في اللمحـة؛ بينمـا سقطـت في المخطوطيـن.
[6] هـذه القصيـدة مـن البحـر الطويـل.
[7] مـا بيـن، الحاصرتيـن وارد في ك، والملكيـة؛ بينمـا سقـط في ج.

وصح بأناة الصبر سحقـاً تأخـري

وقـل لشكـاة الحـزن أهلا تقـدمي

ولم لا وشمس الملك والمجد والهدى

وفتـاح أبـواب النـدى والتكـرم

ثوى[1] بين أطباق الثرى رهن غربـة

وحيـداً وأصمتـه الليـالي بأسهـم

على ملك الإسـلام فاسمـح بزفـرةٍ

تساقـط دراً بيـن فـذ وتـوأم

على علم الأعـلام والقمـر الـذي

تجلى بوجـه العصـر غـرة أدهـم

على أوحـد الأمـلاك غير منـازع

أصالـة أعـراق وفضـل تقـدم

ومن مثـل إسماعيـل نـورٌ لمهتـدٍ

وبشـرى لمكروبٍ وعفـوٌ لمجـرم

وما مثل إسماعيل للبـأس والنـدى

لأصراخ مذعـور وإغنـاء معـدم

---

[1] في المخطوطين: ((ترى)).

وما مثل إسماعيل للحــرب يجتــني

به الفتح من غرس القنـــا المتحطــم

وما مثـــل إسماعيل سهــم سعـــادةٍ

أصــــاب به الإســـلام شاكلـــة الـــدم

شهيـــدٌ سعيـــدٌ صبحتـــه شهـــادة

تبـــوَّأ منهـــا فـــي الخلـــود التنعـــم

أتـــت وغبـــار الغـــزو طي ثيابـــه

ظهيـــر أمـــانٍ مـــن دخـــان جهنـــم

فتبـــاً لـــدارٍ لا يـــــدوم نعيمهـــــا

فمـــا عرسهـــا إلا طليعـــة مأتــــم

ولا أنسهـــا إلا رهيـــنٌ بوحشـــــة

ولا شهدهـــا إلا مشـــوبٌ بعلقـــــم

فيا من يرى الدنيـــا مجاجـــة نحلـــة

ألا فاعتبرهـــا فـــهي نبتـــة أرقـــــم

فمن شام منها اليـــوم بـــرق تبســـم

فـــفي الغـــد تلقـــاه بوجـــه جهنـــــم

فضاحكهـــا بـــاكٍ وجذلانهـــا شـــجٍ

وطالعهـــا[1] هـــاوٍ ومبصرهـــا عـــم

وسرَّاؤهـــا تفنى[2] وضراؤهـــا معـــاً

فكلتاهمـــا طيـــف الخيـــال المسلـــم

سطـــت بملـــوك الأرض من بعد آدم

تبـــدد منهـــم كـــل شمـــلٍ منظـــــم

فكم من قصير قصرت شأو عمـــره

فخـــر صريعـــاً لليديـــن وللفـــــم

وكم كسرت كسرى وفضت جيوشـــه

فلـــم تحمـــه منهـــا كتائـــب رستـــم

ولو أنها ترعى إمام هدايـــةٍ لأعْفَـــت

علياً[3] مـــن حســـام ابـــن ملجـــم[4]

وما قتلـــت عثمان في جـــوف داره

فقـــدس مـــن مستسلـــم ومسلّـــــم

---

[1] في ج: ((وطالقها)).

[2] في المخطوطين: ((تفي)).

[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((علينا)).

[4] يقصد عبد الرحمن بن ملجم المرادي؛ الذي اغتال علياً ابن أبي طالب كرم الله وجهه.

وما أمكنت فيروز[1] من عُمَرِ الرِّضَى

فهــدت من الإســلام أرفــع معلــم

إلى آخرها. وتضمن إجمال ما ذكر من ذلك، التاريخ المسمى بـ**((قطع السلوك المنظوم))**[2] رجزاً من تأليفي بما نصه:

وعندمــا خيف انتشــار السلــك

ووزر الــروم وزيــر الملــك

تــدارك الأمر الإمــام الطاهــر

فعالــج الــدار طبيــب ماهــر

وهــو أبــو الوليــد إسماعيــل

والشمــس لا يفقدهــا دليـــل

ابن الرئيــس الماجــد الهمــام

فــرد العــلا وعلــم الأعــلام

[1] فيروز هو أبو لؤلؤة الذي اغتال عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[2] هذا هو العنوان الثاني لكتاب ابن الخطيب: ((رقم الحلل في نظم الدول)).

وجــده صنــو الإمــام الغالــب
مناقــب كالشهــب الثواقــــب

فقــاد مــن مالقــة الجنــــودا
ونشــر الأعــلام والبنــــودا

وعاد نصــر بمــدى حمرائــه
أتــى وأمــر اللــه من ورائــه

فخلــع الأمــر وألــقى باليــــد
من بعــد عهــد موثــق مؤكــد

وسار[1] في الليل إلى وادي الأشى[2]
والملــك للــه يعــز مــن يشــا

ولــم يــزل فيهــا إلى أن ماتــا
وطلــق الدنيــــا بهــا بتاتــــا

واتســق الأمــر وقــر الملــك
وربمــا جــر الحيــاة[3] الهلـــك

---

[1] في المخطوطين: ((وصار)).
[2] أي مدينة وادي آش.
[3] في المخطوطين: ((المهلك)).

ومـــن **الرجـــز المذكـــور** فـــي وصـــف جهـــاده ومقتلـــه:

وكان يـــوم المـــرج في دولتـــه
ففـــرق الأعـــداء من صولتـــه

وفتـــــح المعاقـــــل المنيعـــــة
وابتهجـــت[1] بعدلـــــه الشريعـــة

وانتبـــه الدهـــر لـــه من نومـــه
على يـــدي طائفـــة من قومـــه

بكى عليه الحـــرب والمحـــراب
وندبتـــه الضُّمَّـــــرُ العُـــــرَّاب

***

[1] في ك: ((وانبهجـت)).

إسماعيل بن يوسف[1]

ابن إسماعيل بن فرج بن نصر؛
السلطان الذي احتال[2] على أخيه، المتوثب على ملكه،
يكنى أبا الوليد.

حالـه

كان صبياً كما اجتمع وجهه، بادناً[3]، دمث الخلق، لين الجانب، شديد البياض كثيف الحاشية، متصلا بالجفوة، لطول الحجبة، وبعد التمرن والحنكة غراً، فاقداً لحسن الأدب، عريقةً ألفاظه في العجمة. تصير الأمر إلى أخيه السلطان؛ خيرتهم ولباب بيتهم، يوم قتل أبوهما، وله مزية السن والرجاحة[4]، والسكنى بمحل وفاة الأب، فأبقى عليه، وأسكنه بعض القصور لصقه[5]، ولم يضايق أمه فيما استأثرت به من بيت المال، إذ كان إقليده في يدها، وبيضاؤه وصفراؤه[6] في حكمها، ورفه متبوأه،

[1] له أيضاً ترجمة مختصرة في اللمحة البدرية.
[2] في ك: ((اختال)).
[3] في اللمحة البدرية: ((بيناً)).
[4] حرفت في ك؛ فكتبت: ((الرحاجة))، وفي ج: ((الزجاجة)).
[5] في ج: ((لصقعه))؛ وهو تحريف.
[6] في ج: ((وصفراؤها)). و(بيضاؤه وصفراؤه)؛ يقصد بها: الذهب والفضة.

واستدعى له ولأخيه المعلم الذي كان السبب في إفاتة إرماقهما، وإعدام حياتهما؛ الشيخ السِّفْلَة[1] **محمد البطروجي** البائس، [قرد ذلك السرب][2] فاستمرت أيام احتجابه وانتظاره على قصره، إلى رمضان؛ من عام ستين وسبعمائة[3]. وحرك سماسرة[4] الفتنة له ولأمه جواز الطمع في الملك، ودندنوا لها حتى رقصت على إيقاعهم، وخفت إلى مواعدهم، وشمروا إلى خلاص الأمر، وأحام الوثبة صهره الرئيس **أبو عبد الله**[5]، حلف الشؤم زوج أخته، **محمد بن إسماعيل**، الشهير الكائنة، المذكور في موضعه من حرف الميم. فسيرت إليه أمه المال، فبثه في الدعرة والشرار، حتى تم غرضه، واقتحم **القلعة** من بعض أسوارها عند البالية، وقد هدم منها شيء في سبيل إصلاحه، ليلة الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان؛

---

[1] في ج: ((السلفة))؛ وهو تحريف.

[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((حدد ذلك السر))، وكذلك في الملكية؛ حيث كتب: ((فرد ذلك السرفا)).

[3] الموافق لـ 1358م.

[4] في المخطوطين، والملكية: ((سمسارة)).

[5] في المخطوطين، والملكية: ((أبا هو)).

من عام ستين وسبعمائة[1]، والسلطان ليلتئذ غير حالٍ بها، فملؤوها لجباً ولغطاً[2]، وصراخاً وهولا وتنويراً، في جملة تناهز المائة، وانضاف إليهم أخوان رأيهم من حراسها وسكانها، فألبس الناس، وسقط في أيديهم. وأهدى الليل فتكته[3] هائلة، وأداها شنيعة. فاقتصر كل على النظر لنفسه، وانقسموا فرقتين، قصدت إحداهما دار كبير الدولة، وقيوم التفويض، وشيخ رجال الملك **رضوان**، المستبد بإحالة كورتها، الشيخ الذهول، معزوز القدر [ورائب النكتة][4]، ومعود الإقامة، وجرَّار رَسَن[5] الأطواد، وطول الإملا، الماشي على خد الدنيا، المغضوض البصر عن النظر، المستهين بكل سبة[6]، وحية تسعى، المعول على نظره، وقوة سعده[7] وإجابة دعوته، مع كونه نسيج وحده في عفافه وديانته، ورضي الناس

---

[1] الموافق لـ 1358م.
[2] في ج: ((وغلطاً)).
[3] في ج: ((فتكة)).
[4] في المخطوطين: ((ورييب النكثة ـ النكنه)).
[5] الرسن: هو الحبل.
[6] في المخطوطين: ((سبتا)).
[7] في ج: ((سعادته)).

بـه، وسقـوط منافستهـم مـن أجلـه، ومأويهـم عـلى مـول لفظـه، وبسـاط معاملتـه، وصحـة عقـده، فعالجـوا بابـه طويـلاً وتولجـوا داره، وقتلـوه بيـن أهلـه وولـده. قصـدت الأخـرى دار الأمير المترجـم بـه؛ ومعهـا صهـره، فأخرجـوه[1] وأركبـوه عـلى فـرس، راعـدٍ الفرائـض، منتقـع اللـون، مختلـط القـول، تحف بـه داياتـه بيـن مولولـةٍ[2]، وتافلـةٍ ومعـوذة، قـد جعلـوا بـه سيفـاً مصلتـاً عـلى سبيـل اللواعـب بالنصـول والرواقـص، فـي مـدارج اللهـو، واستخرجـت طبـول الملـك فقرعـت، وقيـدت الخيـل مـن مرابطهـا فركبـت، وقصـدت الخزائـن السلاحيـة[3] ففرقـت، وتـم الأمـر. وحـل مـن الريـب عـلى دار الإمـارة القصـد، وخرجـت الكتـب إلـى البـلاد والقواعـد، فالتفـت باليـد أمهاتهـا لقطـع مـن بهـا مـن أولـى الأمانـة، بتمـام الأمـر، وهـلاك السلطـان، فتـم لـه الأمـر. وبـادر أخـوه السلطـان لحينـه[4] لظهـر سابـق كـان مرتبطـاً عنـد مَجـرٍّ[5] لـه مـن الجنـة

---

[1] في المخطوطين: ((فأرجـوه)).

[2] في ك: ((ملولـة)).

[3] في ج: ((وقصـرت الخزائـن عـن الأسلحـة)).

[4] في ج: ((لحبـر))؛ بينمـا بـقي في مكانهـا بيـاض في ك؛ فصوبهـا عنـان.

[5] في المخطوطيـن، والملكيـة: ((بمتجـرا))؛ فصوبهـا عنـان.

لصق **القلعة**، فاستأجر الليل، ووافق الحزم، فاستقر **بوادي آش**. وكان أملك بها، ونازلته المحلات، وأخذ بمخنقه الحصص، واستنصرت لمنازلته الناس، وأعملت الحيل، وتأذن الله بثبوت قدمه، وانتقاله إلى **ملك المغرب** صبح عيد النحر من العام المذكور، إلى أن أعاد الله إليه أمره ورد عليه حقه، وتولى بعد اليأس جبره، حسبما يذكر في موضعه إن شاء الله. وخلا الجو لهذا الأمير المضعوف، واستولى على أريكة الملك الأغمار وأولو البطالة، وأولياء صهره الرئيس، خاطبها له ابتداءً ثم ناقلها[1] إلى نفسه انتهاءً، وحاملها إلى غايته درجاً، وإلى إعاقته سلماً، وهو ما هو من غش الحبيب، وسوء العقد، ودخل السريرة، واستيطان المكروه، فأغرى منه بالعهد نفساً مطاوعةً للشهوة، متبرمة بالامتحان والخلوة، بريـة [من][2] نور العلم وتهذيب الحكمة، ناشئة بين أخابيث القسوة، جانيةً أماني الشهوة والمخالفة، مضادة

---

[1] في المخطوطين: ((نقلها)).؛ فصوبها عنان.

[2] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين والملكية؛ فأضافها عنان.

للفلاح[1]، حايدة عن سبيل النجاة، بمحل اغتراب عن النصحاء، وانتباذ عن مقاعد الأحرار، فجرى طلق الجموح في التخلف، حتى كبا لفيه ويديه، وأعان نسمة السوء الرئيس على نفسه. وقد كان اصطنع الرجال، واستركب أولى البسالة، وأسالف الدعرة، واختص في سبيل خدمته والذب عنه، بالبؤساء والمساعير، يشركهم في الأكلة. ويصافيهم النعمة. واظلم ما بينهما، فحذر كل جانب أخيه، [إلا أن المهين كان أضعف من أن يستأثر بخطة المعالجة، ويهتدي إلى سبيل الحزم][2]. وفي عشي يوم الأربعاء [السابع والعشرين][3] من شهر شعبان؛ شارفه من مكمن غدره الرحب بجوار قصره، وارتبط به الخيل واستكثر من الحاشية، وأخفى المساعير. وداخل **الموروري**[4] المشئوم على الدولة، فبادر رجاله سد الأبواب، وانخرط في جملة أوباشه من باب السلطان، من الرجل لنظر ممالئه

---

[1] أغفلت هذه الكلمة في ج، والملكية؛ بينما وردت في ك.

[2] هكذا في المخطوطين والملكية.

[3] تاريخ اليوم سقط في النسخ الثلاث؛ وقد استكمل من اللمحة البدرية.

[4] نسبة إلى بلدة مورور (Moron بالإسبانية)؛ الواقعة جنوب شرق إشبيلية. والموروري ـ كما ورد في اللمحة البدرية ـ هو وزير الرئيس الثائر ابن عم السلطان الذي اغتصب الحكم (إسماعيل بن يوسف).

في العنا، وعونه على الهول **المورُوري**، فأحاط به، وقد بادر الاعتصام بالمصنع ثاني؛ الصرح المنسوب إلى **هامان**[1] سموا ونفالاً في السُّكاك[2] وسعة ذرع. وبعد ما رقى وصرخ بالناس، يناشدهم الذِّمام؛ فخف إليه منهم الكثير، وتراكموا بالطريق تحته، وتولى استنزاله عن سِوِيِّه مملوك أبيه، **العلج** المخذول **عباد**؛ وقد تحصل في قبضته الغادر، ففتل له في الغارب والذِّروة، ووعده الحياة؛ فنزل عن أمان فُسحة الغدر الصَّراح، والوفاءُ المُسْتباح؛ ولحين استهاله أمر نقله[3] إلى **المُطْبَق**[4]، فقيد ـ مُخْتبلاً كثير الضراعة ـ إلى الأرِيّ[5]؛ لصق قصره، وتَعاوَرَتْهُ السُّيوف، وأُلْحِق به صغيره **قيس**؛ استُخْرِج من بعض الخزاين؛ وقد

---

[1] إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَونُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ** ﴾. سورة غافر؛ الآية: 36. وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَاوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ** ﴾. سورة القصص؛ الآية: 38.

[2] أي الجو المرتفع ـ والسماء.

[3] في ج: ((نبله))،. وفي ك: ((تبله)).

[4] هو سجن تحت الأرض.

[5] أي الموضع الذي يحبس فيه الدواب.

جهدت[1] أمُّه في إخفائه؛ فمضى لسبيله، وطرح رأسه على الرّعاع المجيبين لندائه؛ فانفضوا لحينه؛ وبقي مطروحاً مواري، بجِلْسٍ[2] دابة من دواب الظهر، إلى يوم بعده. فووري هو وأخوه بمقربة من مدفن أبيهم؛ فكان من أمرهما عبرة. وقد استوفى [ذلك][3] الكتاب المسمى **بنفاضة الجراب**[4]؛ من تأليفنا.

وزراء دولته

قدم للوزارة عشية[5] يوم ولايته، **محمد بن إبراهيم بن بن أبي الفتح الفهري**؛ بطالع الشؤم، ونَعْبَة النحس. عهدي **بالطبيب الإسرائيلي** الحبري العظيم المهارة [في **الفن النجومي**][6]، **إبراهيم بن زَرْزار**، يتطاير بتلك الولاية؛ الولاية؛ بكون النحس الأعظم في درجة طالعها، جِذْواً انفرد بِنَحْزِ أديمِه الجهَّالةُ، المعدودون في البَهْم والهَمَج[7]؛

---

[1] في المخطوطين: ((جهد)).
[2] الحلس: هو الكساء الذي يوضع على ظهر الدابة.
[3] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضيفت من الملكية.
[4] وهو نفاضة الجراب في علالة الاغتراب؛ سبقت الإشارة إليه.
[5] في ج: ((عشيّ)).
[6] سقطت هذه العبارة في ج؛ بينما هي واردة في ك.
[7] في المخطوطين والملكية: ((المهج))؛ وهو تحريف.

الذين لا يعبأ الله بهم، فكان الخبر وفوق الخبر، فلم يُرَ في **الأندلس** وزارةٌ أثقل وطأة، ولا أخبث عهداً، ولا أعظم شرهاً، ولا أكثر حجراً منها، ثم كان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها، وذلك جزاء الظالمين من رجل حَبْركة[1]، كَمِدِ اللّون، تنِطف سحْنَتُه مرّةً وسُماً، غائر العين مطأطئ الرأس، طَرِفٌ في الحقد والطمع، وعيٍّ المنطق، وجمود الكف، معدنٌ من معادن الجهل، مثلٌ في الخيانة، تناول الأمر مزاحماً فيه بالرئيس المتوثب، وابن عم نفسه، الغادر الضخم الجرارة، بالوعث المهين، وثور النقل، وثعيان الفواكه، وصاعقة الأخْوِنَه[2]، ووكيل الدولة المنحط عن خلالهم بالأبوة والنشأة. فجرت أمورها أسوأ مجاريها، إلى أن كان ما أذن الله به، من مداخلة الرئيس الغادر، على قتل أميره المسكين المهين، مقلده [أنْوَه الرتب][3]، وتاركه وخطة الخيانة، ثم أخذه الأخذة الرابية بيد من أمده في الغي، وظاهره في الخزي، فجعله نكالاً

---

[1] تكتب ـ في المشهور ـ ((حبركي)). ويقصد بالحبركي؛ ذلك الرجل الذي له ظهر طويل ورقبة غليظة؛ بينما تكون له رجلان قصيران. ويعتبر من المعوقين.
[2] جمع خوان؛ أي المائدة.
[3] في ج، والملكية: ((أبوه الرتب)).

لما بين يديه وما خلفه، وموعظةً للمتقين[1]، حسبما يأتي في اسمه بحول الله تعالى.

كاتبه

واستعمل في الكتابة صاحبنا الرجل الأخرق، الطوال، الأهوج البري من الخلال الحميدة، إلا ما كان من وسط الخط وسوقي السجع، والدرك الأسفل من النظم، **عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي**[2]، الآتي ذكره. وهو الذي أفرده الله جل جلاله، بالغاية البعيدة من مجال سوء العهد، وقلة الوفاء. وتولى القضاء، **أبو جعفر أحمد بن أبي القاسم بن جزي**[3] أياماً، ثم شهر به قوم

---

[1] إحالة إلى آيات عديدة في الذكر الحكيم؛ مثل: ﴿ **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وُهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾. سورة آل عمران؛ الآية: 138. وقوله سبحانه: ﴿ **فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ سورة البقرة؛ الآية:66. وقوله سبحانه: ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾. سورة المائدة؛ الآية: 46. وقوله سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمَتَّقِينَ** ﴾. سورة النور؛ الآية: 34.

[2] في اللمحة البدرية: ((الفقيه أبو محمد عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية المحاربي)). له ترجمة في الإحاطة.

[3] في اللمحة البدرية: ((الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد أحمد بن محمد بن جزي)).

من الفقهاء منافسيه، ورشقوه بما أوجب صرفه، وقدم للقضاء الشيخ المسن[1]، الطويل السباحة في بحر الأحكام، المفرى الودجين والحلقوم بسكين القضاء، المنبوز[2] بالموبقات فيه، تجاوز الله عنه، **سلمون بن علي بن سلمون**. وشيخ الغزاة ـ على عهده ـ **يحيى بن عمر بن عبد الله بن عبد الحق**، شيخ الغزاة لأخيه، أصبح يوم الكائنة في قياده، ونصح له فأمر له، وضاعف بره.[3]

مولده

في يوم الإثنين الثامن والعشرين لربيع الأول؛ من عام أربعين وسبعمائة[4].

---

[1] في المخطوطين: ((الحسن)).

[2] يقصد: المعروف والمشهور.

[3] بعد هذا الفصل ورد عنوان: ((الملوك على عهده))؛ وهو موجود في المخطوطين والملكية؛ ولكن دون نص يتبع؛ لذا فقد اكتفينا بالإشارة إلى ذلك في الهامش.

[4] الموافق لـ 1339 م.

وفاتـه

حسبمـــا تقـــرر آنفـــاً فـــي يـــوم الأربعـــاء [السابـــع والعشريـــن][1] لشعبـــان؛ مـــن عـــام أحـــد وستيـــن وسبعمائـــة[2].

***

[1] سقط تاريخ اليوم في النسخ الأربع.
[2] الموافق لـ 1359م.

أبـو بكـر ابـن إبراهيـم [1]

الأميـر أبـو يحيـى المسـوفي[2] الصحـراوي؛ مـن أمـراء المرابطيـن؛ صِهْـرُ علي بـن يوسف بـن تاشفيـن؛ زوج أُختـه؛ وأبـو[3] ولـده منهـا يحيـى، المشهـور بالكـرم.

أوليتـه

معروفـة ؛ تستقـرأ[4] عنـد ذكـر ملوكهـم.

حالـه

كـان مثلاً فـي الكـرم، وآيـةً فـي الجـود[5]، أنْسَى أجـواد الإسـلام والجاهلية؛ إلـى الغايـة، فـي الحيـاء والشجاعـة والتبريـز فـي ميـدان الفضائـل. استـوزر الوزيـر الحكيـم الشهيـر **أبـا بكـر بـن الصائـغ**، واختصـه ؛فتجملـت دولتـه، ونبـه قـدره. وأخبـاره معـه شهيـرة.

---

[1] وردت أخبـار أبي بكـر بـن إبراهيـم المسـوفي في: البيـان المغـرب، والمغـرب في حـلى المغـرب، والحلـة السيـراء.

[2] حرفـت في النسـخ الثـلاث؛ فكتبـت: ((الميسـوفي)). والمسـوفي نسبـة إلى قبيلـة مسوفـة الصنهاجيـة؛ المنضويـة في حلـف صنهاجـة الصحـراء بقيـادة قبيلة لمتونة.وتعرف هذه القبائل الصنهاجية الصحراوية أيضاً باسم المرابطين.

[3] في المخطوطيـن والملكيـة: ((فبنـو)).

[4] نفسهمـا: ((تستقـر)).

[5] حرفـت في المخطوطيـن؛ فكتبـت: ((أجـود ـ جـود)).

ولايتـه

ولـي **غرناطـة** سنـة خمسمائـة[1]**.** ثـم انتقـل منهـا إلـى **سرقسطـة**. عنـد خـروج **المستعيـن بـن هـود** [إلـى] **روطـة**[2]**.** فأقـام بهـا مراسـم الملـك، وانهمـك فـي اللـذات، وعكـف علـى المعاقـرة؛ وكـان يجعـل التـاج بيـن ندمائـه، ويتزيـا بـزي الملـوك[3]**،** إلـى أن هلـك بهـا تحـت مضايقـة **طاغيـة الـروم** المستـولي عليهـا بعـد.

خروجه من الصحـراء

قـال المـؤرخ: كـان **أبـو بكـر ـ** هـذا ـ رئيسـاً علـى بعـض قبيلـه فـي **الصحـراء**، وكـان ابـن عمـه منفـرداً بالتدبيـر، فاتفـق يومـاً أن دخـل علـى ابـن عمـه فـي خبائـه[4]**؛** وزوج ابـن عمـه تمتشـط[5] فـي موضـع قريـب مـن الخبـاء؛ فاشتغلـت نفـس **أبـو**[6] **أبـو**[6] **بكـر** بالمـرأة لحسنهـا وجمالهـا؛ فحيـن دخـل قـال لابـن

---

[1] الموافـق لـ 1106م.

[2] روطـة حصـن منيـع يتخـذه بنـو هـود ملجـأ لهـم بيـن الحيـن والآخـر. ويسـمى بالاسبانيـة Rueda؛؛ وهـو بالقـرب من نهـر خالون المتواجد غربي سرقسطة.

[3] في الملكيـة: ((الملـك)).

[4] في المخطوطيـن: ((خبـاء)).

[5] في ج، والملكيـة: ((تمشـط)).

[6] صـوبهـا د. طويـل؛ فجعلهـا: ((أبي)). وهـو أصـح.

عمه: فلانة تريد الوصول إليك؛ وإنما قصد الاستئذان لرجل من أصحابه؛ فنطق باسم المرأة لشغل باله بها: فقال له ابن عمه بعد طول صمت وفكرة، وقد أنكر ذلك: عهدي بهذا الشخص لا يستأذن علينا. فرجع عقله، وثاب لبه، وعلم قدر ما من القبيح وقع فيه[1]، فخرج من ذلك المجلس، وركب جمله، وهان عليه مفارقة وطنه من أجل العار، واستصحب نفراً قليلاً من أصحابه على حال استعجال، ورحل ليلاً ونهاراً، حتى وصل **سجلماسة**[2] أولى عمالات **علي بن يوسف** ابن عمه، واتصل به قدومه، فأوجب حقه، وعرف قدره، وعقد له على أخته، وولاه على **سرقسطة** دار ملك **بني هود بشرق الأندلس**، بعد ولاية **غرناطة**.

[1] في الملكية: ((صار إليه)).
[2] سجلماسة مدينة مغربية قديمة أسسها المكناسيون الصفرية سنة 140هـ/757م. أين شيدوا دولتهم بها المعروفة بدولة بني واسول أو دولة بني مدرار. وقد اندثرت هذه المدينة الآن؛ وآثارها متواجدة بالقرب من تافيلالت الحالية جنوب شرقي المغرب الأقصى.

نبذة من أخباره في الكرم

قالوا، لما حلّ بظاهر **سجلماسة**، مجهول الوفادة، خافي الأمر، نزل بظل نخلة بظاهرها؛ لا يعرف أحداً ولا يقصده، فجاء في ذلك الموضع رجل حدادٌ فقراه بعنز[1]؛ كان عنده، وتعرف له؛ **وأبو بكر** يستغرب أمره. فلما فرغوا من أكلهم، قال للحداد: ألا تصحبنا لموضع أملنا، وتكون أحد إخواننا، حتى تحمد لقاءنا، فأجابه، وصحبه الحداد، وخدمه. فلما قربوا من **مراكش**؛ استأذن **أبو بكر**، **علي بن يوسف بن تاشفين**، وأعلمه بنفسه؛ فأخرج له **علي بن يوسف** فرساً من عتاق خيله، وكسوة من ثيابه وألف دينار؛ فأمر **أبو بكر** بدفعها للحداد؛ فبهت الحداد؛ وانصرف الرسول موجهاً إلى مرسله؛ فأخبره بما عاين من كرمه وفعله، فأعاده إليه في الحين بفرسٍ أخرى، وكسي كثيرة، وآلاف من المال؛ فلما دخل **مراكش**، ولقي **علي ابن يوسف** وأنزله، أنزل الحداد مع نفسه في بيت واحد،

[1] القرى هي الضيافة والإكرام؛ أي أضافه بعنز. وحرفت كلمة (عنز) في المخطوطين؛ فكتبت: ((لعمر)).

وشاركه في الأموال التي توجه بها[1] فانصرف يجر وراءه دنيا عريضة. ولما ملك **سرقسطة**[2]، احتضن الوزير **الحكيم أبا بكر بن الصائغ**[3]، ولطف منه محله. ذكر أنه غاب يوماً عنه وعن حضور مجلسه **بسرقسطة**، ثم بَكَّر من الغد؛ فلما دخل قال له: أين غبت يا حكيم عنا؟ فقال يا مولاي أصابتني سوداء واغتتمت؛ فأشار إلى الفتى الذي كان يقف على رأسه، وخاطبه بلسان عجميّة[4]؛ فأحضره طبقاً مملوءاً مثاقيل مُحْشَمة[5]، وعليها نوادير ياسمين؛ [فدفعه][6] كله إليه؛ فقال **ابن باجة**: يا مولاي

---

[1] في ج: ((توجب بها)).
[2] تأمر على سرقسطة سنة 510هـ/1116م.
[3] هو أبو بكر محمد بن يحيى بن باجة التجيبي السرقسطي المعروف بابن الصائغ؛ توفي بفاس سنة 533هـ/1139م. من مشاهير فلاسفة الأندلس وحكمائها. اشتغل بالعلوم الطبيعية والفلك والرياضيات والموسيقى والطب. وله شعر جيد؛ وأنجز مؤلفات عديدة بقي منها: مجموعة في الفلسفة والطب والطبيعيات، ورسالة الوداع. له ترجمة في: قلائد العقيان، والمغرب؛ (أين سمي بحمد بن الحسين بن باجة؛ وترجمته كذلك موجودة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ووفيات الأعيان، وخريدة القصر (قسم شعراء المغرب)، والوافي بالوفيات، ومطمح الأنفس، ومعجم الأدباء؛ ضمن ترجمة ابن خاقان.
[4] جعلها د. طويل: ((عجمي))؛ بالتذكير؛ وهو خطأ؛ لأن اللسان عندما يقصد بها اللغة تؤنث؛ ولا يجوز فيها التذكير؛ بينما يصح التذكير عندما يقصد العضو المسمى اللسان.
[5] في ك: ((محشيمة)).
[6] **سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضافها عنان.**

لـم يعـرف **جالينـوس** مـن هـذا الطـب؛ فضحـك. وذكـر أنـه أنشـد شعـراً فـي مدحـه؛ وقـد قعـد يشـرب؛ فاستفـزه الطـرب؛ وحلـف أن لا يمـشي إلا مـن فـوق المـال إلـى منزلـه فـي طريقـه؛ فالتمـس الخـدام برنسـه؛ بـأن كانـوا يطرحـون مـن المـال شيئـاً لـه خطـر، علـى أوعيتـه حتـى يغمرهـا، فيمـشي خطـواً إلـى أن وصـل إلـى منزلـه. وحسـد الحكيـم أصحابُـه، ولـم يقـدروا علـى مطالبتـه. واتفـق أن سـار الأميـر **أبـو بكـر**، وأمـر أصحابـه بالتأهـب والاستعـداد، فاستعـد **ابـن باجـة**، واتخـذ الأقبيـة والأخبيـة، واسْتَفْـرَه[1] الجيـاد مـن بغـال الحمولـة؛ فكانـت لـه منهـا[2] سبعـة صفـر الألـوان، حمـل عليهـا الثيـاب والفـرش والمـال. فلمـا نـزل الأميـر بمقـره؛ مـرت عليـه البغـال المذكـورة فـي أجمـل الهيئـات؛ فقـال لجلسائـه: لمـن هـذه البغـال، ومـن يكـون مـن رجالنـا هـذا؛ فأصابـوا العـزّة؛ فقالـوا: هـي **للحكيـم ابـن الصائـغ** صاحـب **سرقسطـة**؛ وليعلـم مولانـا أن فـي وسـط كـل حمـل منهـا ألـف دينـار ذهبـاً؛ سـوى المتـاع والعـدة؛ فاستحسـن ذلـك؛ وقـال:

---

[1] في المخطوطين: ((واستفر)).
[2] نفسه: ((منه)).

أهذا حق؟ قالوا: نعم. فدعا الخازن على المال؛ وقال له: ادفع **لابن باجة** خمسة آلاف دينار؛ ليكمل له ذلك اثني عشر ألفاً؛ فقد سمعته غير ما مرة يتمنى أن يكون له ذلك؛ ثم بعث عنه ـ في الحين ـ وقال له: يا حكيم؛ ما هذا الاستعداد؛ فقال: يا مولاي؛ كل ذلك من هباتكم، وأعطياتكم؛ ولما علمت أن إظهار ذلك يسركم. فسر بذلك. وأخباره رحمه الله كثيرة.

محنته

قالوا: ولما ولي **غرناطة** سنة خمسمائة[1]. ثار بها، وانبرى على قومه لأمر رابه[2]؛ فانتبذ عنه قومه[3]، وناصبوه الحرب؛ حتى استنزلوه عنوة، وقبضوا عليه، ووجهوه إلى **علي بن يوسف**؛ فآثر الإبقاء عليه، وعفا عنه، واستعمله[4] **بسرقسطة**؛ كذا ذكره **الملاحي**، وأشار إليه.

---

[1] الموافق لـ 1106م.
[2] في المخطوطين: ((أربه)).
[3] في ك، والملكية: ((أهله)).
[4] في ج: ((واستعملوه)).

وعندي أن الأمر ليس[1] كذلك؛ وأن الذي جرى له ذلك، **أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين ؛** فَيُتَحَقَّق.

وفاتـه

توفي **بسرقسطة** في سنة عشر وخمسمائة[2]؛ بعد أن ضاق ذرعه **بطاغية الروم**؛ الذي أناخ عليه بكلكله. وعندما تُعرّف[3] خبر وفاته، واتصلت بالأمير **أبي إسحاق إبراهيم بن تاشفين**، وهو يومئذ والي **مرسية**؛ بادر إلى **سرقسطة**؛ فضبطها، ونظر في ساير أمورها ثم صدر إلى **مرسية**.

رثـاؤه

ورثاه **الحكيم أبو بكر بن الصائغ** بمراث اشتهر عنه منها قوله[4]:

---

[1] سقطت هذه الكلمة في ج؛ بينما وردت في ك.

[2] الموافق لـ 1116م.

[3] في الملكية: ((تقرر)).

[4] توجد هذه الأبيات أيضاً في المغرب، وقلائد العقيان. وهي من البحر الطويل.

سـلام وإلمـام ووسـمـيٌّ مُزْنَـةٍ

على الجدث[1] الثاني[2] الذي لا أزوره[3]

أحـقٌ أبو بكـر تقضى فـلا تـرى[4]

تـرد جماهيـر الوفـود ستـوره

لئـن أنسـت تلك اللحـود بلحـده[5]

لقـد أوحشـت أقصاره[6] وقصـوره

ومن ذلك قوله[7]:

أيهـا الملـك المفـدى لعمـري

نعى المجـد ناعيك يوم قمنا فَنُحْنـا[8]

كمـا تقارعـت والخطـوب إلى أن

غادرتـك الخطوب في الترب وهَنـا[9]

---

[1] في المخطوطين: ((الحدث))، وفي المغرب ((الجسد)).

[2] في المغرب: ((النائي)).

[3] جاء هذا البيت في المغرب هكذا:

((**سلام وإلمام ورَوْحٌ ورحمة * على الجسد النائي الذي لا أزوره**))

[4] ورد هذا الشطر في المغرب والقلائد هكذا: ((أحقاً أبا بكر تقضّى فما يُرى)).

[5] جاء هذا الشطر في القلائد هكذا: ((لئن أنست تلك القبور بلحده)).

[6] في القلائد: ((أقطاره))، وفي المغرب: ((أمصاره)).

[7] هذه الأبيات توجد أيضاً في قلائد العقيان. وهي من البحر الخفيف.

[8] في ك: ((فبحنا)). وجاء هذا البيت في القلائد بشكل أفضل هكذا:

((أيها الملك قد لعمري نعى المجـدُ نواعيك يوم قمنا فنحنا)).

[9] في ت: ((رهنا)). وفي القلائد: ((رهنا))؛ وهو أصوب.

غيــر أنـــي إذا ذكرتــك والدَّهْــ

ــر أخـــال اليقيــن فـــي ذاك ظَنَّـــا[1]

وسألنـــا متى اللقـــاء فقيـــل[2] الحَشْــ

ــر قلنـــا صبـــراً إليـــه وحُزْنــــــا

***

[1] في المخطوطين: ((ضناً)).
[2] في القلائد: ((فقالوا)).

إدريس بن يعقوب

ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي؛ أمير المؤمنين؛
الملقب بالمأمون؛ مأمون الموحدين[1].

أوليته

جدّه[2] **عبد المؤمن**؛ جذع الشجرة، وينبوع الجداول، هو **ابن علي بن علوي بن يَعْلى بن موار بن نصر بن علي بن عامر بن موسى بن عون الله بن يحيى بن ورجايغ بن سطفور بن نفور بن مطماط بن هزرج بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان**.

وكان طالباً **بربرياً** ضعيفاً؛ خرج مع عمه يؤم **للشرق**، وكان رأى رؤيا هالته تدل على ملك[3]؛ إذ كانت صفحته من طعام على ركبتيه، يأكل منها الناس. وكانت أمه رأت وهي حاملٌ، كأن ناراً خرجت منها؛ أحرقت **المشرق والمغرب**، فكانت في نفسه حركة، لأجل هذه الرؤيا؛

---

[1] توجد ترجمة أبي العلاء إدريس المأمون الموحدي أيضاً في البيان المغرب (قسم الموحدين)، والحلل الموشية، ورايات المبرزين، والاستقصا.
[2] في ك: ((جدهم)).
[3] في الملكية: (الملك)).

فلما حلّ **بسجلماسة**[1]؛ سمع بها عن **المهدي**؛ وكان رجلاً يعرف **بأبي عبد الله السوسي**، ووصف له بالعلم؛ فتشوف إلى لقائه، ليرى ما عنده في تأويل رؤياه؛ فانصرف إليه مع بعض الطلبة؛ فلقي رجلا ـ قد وسمه؛ على ما يزعم الناس ـ حدثان من **أبي حامد الغزالي**[2]، وعلقت به دعوة منه، في إذهاب ملك **أهل اللثام**[3]؛ لحرق كتابه[4] على أيديهم؛ فهو مُغْرًى بالخروج عليهم، مهيأً[5] في عالم الغيب إلى تخريب دعوتهم؛ ((فوافق شن طبقه))[6]؛ ((وما اجتمع[7] الدَّاآن إلاّ

---

[1] سبق التعريف بهذه المدينة.

[2] أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي؛ ولد بمدينة طوس بخراسان سنة 450هـ/1059م، وتوفي بطوس سنة 505هـ/1111م. يلقب ((بحجة الإسلام))؛ وتصدر المتكلمين المسلمين؛ وله كتب عديدة أهمها: إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال، ومقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، ومعيار العلم، ومحك النظر. وسلك في آخر مسيرته في طريق التصوف والعزلة.

[3] يقصد بأهل اللثام: المرابطين؛ من صنهاجة الصحراء.

[4] أشار هنا إلى إحراق كتاب (إحياء علوم الدين) الذي ألفه الغزالي؛ وذلك بأمر من سلطان المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين؛ بعد أن صدرت فتوى بتكفيره. حدث هذا سنة 503هـ/1109م.

[5] في ك: ((**مهيناً**)).

[6] هذا المثل يطلق على التوافق بين اثنين؛ وله قصة طويلة يضيق المجال بذكرها.

[7] **في المخطوطين والملكية: ((أجمع))؛ فصوبها عنان.**

ليقتـلا))[1]؛ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾[2]. فأجلسه، وسأله عن اسمه، وبلده وسنه، ونسبه، بالتعريف، وأمره أن يخفي من أمره، وعبر له رؤياه، بأنه يملك الأرض، فاهتزت الآمال وتعاضدت، ونفذت مشيئة الله، بأن دالت الدولة، وهلك **محمد ابن تومرت المهدي**[3]؛ فأفضى الأمر إلى [**عبد المؤمن**][4]، واستولى على ملك **اللمتونيين**، فأباد خضراءهم، واستأصل شأفتهم، واستولى على ملك **المغرب**؛ فأقام به رسماً عظيماً، وأمراً جسيماً، وأورثه بنيه من بعده، والله يؤتي ملكه من يشاء.

---

[1] معناه أن اجتماع مرضان في جسم واحد يؤديان به حتماً إلى الموت. وكتبت الكلمة الأخيرة في ك: ((ليلتقيا))؛ وهو تحريف.

[2] الآية كاملة هكذا: ﴿ **وَقَالَ الذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَي أنْ يَنْفَعَنَا أو نَتّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكّنّا لَيُوسُفَ فِي الأرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أمْرِهِ وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾. سورة يوسف؛ الآية: 21.

[3] في المخطوطين: ((تامرت))؛ وبهذا يسمى أيضاً المهدي؛ وهو محمد بن بن عبد الله بن عبد الرحمن الهرغي؛ (يلقب بالإمام المعصوم المعلوم). ولد في إيكلين ببلاد السوس بالمغرب الأقصى في سنة لم تحدد بالضبط؛ وربما كانت بين سنتي: (469هـ/1076م ـ و474هـ/1081م) وتوفي سنة 524هـ/1130م.

[4] في ج، والملكية: ((لعبد المؤمن)). وهو أبو محمد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان الكومي؛ مؤسس الدولة الموحدية ببلاد المغرب كلها. ولد في تاجرارت القريبة من تلمسان سنة 487هـ/1094م، وتوفي برباط سلا سنة 558هـ/1163م.

حالــه

كـان رحمـه الله شهمـاً شجاعـاً، جريئـاً[1]، بعيـد الهمـة، نافـذ العزيمـة، قـوي الشكيمـة، لبيبـاً، كاتبـاً أديبـاً، فصيحـاً، بليغـاً، أبيـاً، جـواداً، حازمـاً. وذكـره **ابـن عسكـر المالقـي**، فـي تاريـخ بلـده، قـال: [دخـل][2] **مالقـة** مـن قبـل أخيـه؛ فوصـل إليهـا فـي الحـادي عشـر مـن محـرم؛ وهـو شـاب حـدث؛ فكـان منـه مـن نباهـة القـدر وجلالـة النفـس، وأبهـة الملـك، مـا يعجـز عنـه كثيـر مـن الملـوك. ولحيـن وصولـه عقـد مجلـس مذاكـرة، استظهـر[3] لـه نبهـاء الطلبـة، وكـان الشيـخ **علـي بـن عبـد المجيـد**[4] يحضـره. وكـان يبـدو منـه مـع [حداثـة سنـة][5]، مـن الذكـاء والنبـل والتفطـن، مـا كـان يبهـت الحاضريـن، وكانـوا ينظـرون منـه إلـى بَـدْرِيِّ الحُسـن، وأسَـدِيِّ الهَيْبـة، وكَهْلـيِّ الوقـار والتـؤدة، واشتغـل بمـا يشتغـل بـه الملـوك مـن تفخيـم

---

[1] في المخطوطيـن والملكيـة: ((**جريـاً**)).
[2] سقطـت هـذه الكلمـة في المخطوطيـن؛ وأضافهـا عنـان.
[3] في ك: ((استحضـر)).
[4] في الملكيـة: ((عبـد الحميـد)).
[5] هكـذا كتبـت في ج؛ بينمـا كتبـت في الملكيـة: ((حاثتـه)).

البناء، كبنيان **رياض السيد** الذي على ضفة الوادي[1] **بمالقة**؛ المعروف باسمه، لله ورسوله، وكان عرفاء البنائين لا يتصرفون إلا بنظره، واستمرت ولايته مفخم الأمر، عظيم الولاية، إلى أن نقل منها إلى **قرطبة**، ثم نقل إلى **إشبيلية** وفيها[2] بويع الخلافة[3].

تصيير الأمر إليه، وجوازه إلى العدوة

قام على أخيه **العادل** بين يدي مقلعة، بممالأة أخيه **السيد أبي زيد**، أمير **بلنسية** وتحريكه إياه، فتم له ذلك، وعقدت له البيعة **بمراكش والأندلس**. ثم إن **الموحدين** في **مراكش** بدا لهم في أمره، وعدلوا عنه إلى ابن عمه **أبي زكريا بن الناصر**، [واتصل به خبر خلعهم؛ إياه][4] فهاجت نفسه، ووقدت جمرته، واستعد لأخذ ثأره، ورحل من **إشبيلية**، واستصحب جمعاً من **فرسان الروم**،

---

[1] يقصد نهر وادي المدينة المسمى بالإسبانية Guadalmedina. وهذا النهر يشق مالقة. أما اليوم فقد أصيب بالجدب والجفاف. ويقصد برياض السيد: القصر الذي بناه المأمون بمالقة عندما كان والياً عليها. وقد أتى ذكره في الحلل الموشية.
[2] في ك: ((وبها)).
[3] جاء في البيان المغرب (قسم الموحدين): ((بويع بإشبيلية يوم الخميس ثاني شهر شوّال من سنة أربع وعشرين وستمائة)).
[4] كتبت هذه العبارة في الملكية كما يلي: ((واتصل به خبرهم بما أرادوا من إخلاعه)).

واستجاز البحر سنة ست وعشرين وستمائة[1]، قاصداً **مراكش**. وبرز ابن عمه إلى مدافعته، والتقى الجمعان؛ فكانت الهزيمة على **يحيى بن الناصر**، وفر إلى الجبال، واستولى القتل على جيشه، ودخل **المأمون مراكش**؛ فأمر بتقليد شرفاتها بالرؤوس؛ فعمتها على اتساع الساحة، واستحضر الناكثين لبيعته وبيعة أخيه؛ وهم كبار الدولة، واستفتى قاضيه[2] بمرأى[3] منهم، واستحضر خطوطهم وبيعاتهم، فأفتى بقتلهم؛ فقتل جماعتهم، وهم نحو مائة رجل[4]؛ واتصل البحث عمن أفلت منهم، وصرف عزمه إلى محو آثار **دولة الموحدين**، وتغيير رسمها؛ فأزال اسم **مهديها** عن الخطبة والسكة والمآذن، وقطع النداء عند الصلاة ((تاصليت الإسلام))، وكذلك ((منسوب رب))، و((بادرى))[5]، وغير ذلك، مما جرى عليه عمل

---

[1] الموافق لـ 1228م.
[2] هو القاضي المكيدي؛ كما جاء في الحلل الموشية، والبيان المغرب.
[3] في ك: ((برى)).
[4] ويقول ابن عذاري أن الذين قتلوا أمم لا تحصى. أما صاحب الحلل الموشية؛ فيقدر عددهم بأربعة عشر ألف فارس، وأكثر.
[5] يعتقد عنان أن هذه العبارات ليست عربية؛ وقال أنها ((فيما يبدو بربرية الأصل)). وهو صحيح.

الموحدين، وأصدر[1] في ذلك رسالة حسنة، من إنشائه، يأتي ذكرها في موضعه. وعند انصرافه من **الأندلس**؛ خلا للأمير **أبي عبد الله بن هود** الجو؛ بعد وقائع خلت بينهما؛ وانتهز **النصارى** الفرصة؛ فعظمت الفتنة، وجلت المحنة.

دخوله غرناطة

لم يصح عندي أنه دخل **غرناطة**، مع غلبة الظن القريب من العلم بذلك، إلا طريقه إلى مدافعته **المتوكل ابن هود** بجهة **مرسية**؛ فإنه تحرك لمعالجة أمره في جيش **إشبيلية** باستدعاء أخيه **السيد أبي زيد** والي[2] **بلنسية**؛ بعد هزائم جرت بصقع[3] الشرق **لابن هود**. فتحرك **المأمون** إليه، واحتل **غرناطة**، في رمضان؛ من عام خمسة وعشرين وستمائة[4]، وأنفذ منها كتابه إلى أخيه، يقوي بصيرته، ويعلمه بنفوذه إليه، والتف عليه جيش **غرناطة**

---

[1] في ج: ((وأصدل)).
[2] نفسه: ((إلى))؛ وصوبها عنان.
[3] في ك: ((بسقع)).
[4] الموافق لـ 1227م.

وما والاها، واتصل سيره إلى الشرق، فبرز **ابن هود** إلى لقائه، فكان اللقاء بخارج **لورقة**[1]**،** فانهزم **ابن هود**، وفر إلى **مرسية**، وعساكر **الموحدين** في عقبه، واستقصاء مثل هذا يخرج عن الغرض. وخاطب لأول أمره، وأخذ الناس ببيعته. من بأقطار **الأندلس**، صادعاً بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحض على الصلوات وإيتاء الزكاة، وإيتاء الصدقات، والنهي عن شرب الخمر والمسكرات[2] والتحريض على الرعاية فمن كتابه:((الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلين يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين، وأمر بالعدل والإحسان، إرشاداً إلى الحق المبين، والصلاة [والسلام][3] على سيدنا **محمد** [النبي][4] الكريم، المبعوث بالشريعة التي طهرت الجيوب من الأدران، واستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان، طوراً بالشدة، وتارة باللين، القائل، ولا عدول

---

[1] لورقة بالإسبانية Lorca؛ وهي قاعدة قديمة في الأندلس؛ وتتواجد في الجنوب الغربي من مرسية؛ في الطريق الواصل بينها وبين غرناطة.

[2] في ك: ((المسكر)).

[3] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين والملكية.

[4] سقطت هذه الكلمة في ك؛ بينما وردت في ج.

عن قوله: **"ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه"** تنبيهاً على ترك الشك لليقين، وعلى آله أعلام[1] الإسلام، الملقين راية الإسلام باليمين، (الذين مكنهم الله في الأرض، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)[2]، وفاء بالواجب لذلك التمكين)). ومن فصل: ((وإذا كنا نوفي الأمة تمهيد دنياها، ونعنى بحماية أقصاها وأدناها، فالدين أهم وأولى، والتَّهَمُّم، [بإقامة الشريعة وإحياء شعائرها][3]، أحق أن يقدم[4] وأحرى، وعلينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع وندع، ونتبع السنن المشروعة ونذر البدع. ولنا أن لا ندخر عنها نصيحة، ولا نغبنها أداة[5] من الأدوات مريحة، ولنا عليها أن تطيع وتسمع)). ومن فصل: ((وأول ما يتناول[6]

---

[1] في ك: ((الأعلام)).

[2] إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **الذِينَ إنْ مَكّنّاهُمْ فِي الأرْض، أقامُوا الصّلاة، وَآتَوُا الزّكَاة، وَأمَرُوا بالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَر وَلِلّهِ عَاقِبَةُ الأمُور** ﴾. سورة الحج؛ الآية: 41.

[3] وردت هذه العبارة المحصورة بين حاصرتين في ك؛ كما يلي: ((بإحياء الشريعة وإقامة شعائرها)).

[4] في ك: ((يقوم)).

[5] في المخطوطين: ((إدارة)).

[6] في ج: ((تناول)).

به الأمر النافذ، الصلاة لأوقاتها، والأداء لها على أكمل صفاتها، وشهودها إظهاراً لشرائع الإيمان في جماعتها. فقد قال عليه الصلاة[1] والسلام: **"أحب الأعمال إليّ[2] الصلاة لأوقاتها"**. وقال: **"أول ما ينظر فيه من أعمال العيد الصلاة"**. وقال **عمر**: إن أهم أموركم عندي الصلاة؛ فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وقال: لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة وهي الركن الأعظم من أركان الإيمان، والسور الأوثق لأعمال الإنسان، والمواظبة على حضورها في المساجد، وإيثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد، أمرٌ لا يضيعه المفلحون، ولا يحافظ عليها إلا المؤمنون. قال **ابن مسعود** رضي الله عنه: لقد رأينا، وما يتخلف عنها إلا المنافق[3]، معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى يتهادى بين الرجلين، حتى يقام[4] في الصف. وشهود الصبح،

[1] سقطت هذه الكلمة في ك؛ بينما وردت في ج.
[2] هكذا. ويبدو أن كلمة ((الله)) سها عنها الناسخ.
[3] في ج: ((المنافقون))؛ وصوبت من الملكية.
[4] في ك: ((يقوم)).

وعشاء[1] الآخرة شاهد بمحضر الإيمان. ولقد جاء: حضور[2] الصبح في جماعة يعدل قيام ليلة، وحسبكم بهذا الرجحان. ومن الواجب أن يعتنى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين، ويأخذ[3] بها في جميع الأمصار الصغيرُ والكبيرُ من المسلمين، ونيط في إلزامها قوله عليه الصلاة والسلام: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر سنين")). وهي طويلة في معاني متعددة.

نثره ونظمه

ولما غير رسوم **الموحدين**، وأوقع بأرباب دولتهم خبر النكث ببيعته، وبيعتي أخيه وعمه، كتب إلى الأقطار عن نفسه، ولم يكمل إنشاءه بكتابة رسالة بديعة، اشتملت على فصول كثيرة تنظر في **كتاب المغرب والبيان المغرب** وغير ذلك. وكتاباً بخطه إلى **أهل انْدُوجَر[4]:** ((إلى الجماعة

---

[1] في ك: ((العشاء)).

[2] نفسه: **((شهود)).**

[3] في المخطوطين: ((ويؤخذ))؛ وصوبها عنان.

[4] اندوجر: بلدة في الأندلس تسمى بالإسبانية Andujar؛ تتواجد شمال شرقي قرطبة؛ على ضفاف النهر الكبير. والرسالة المذكورة موجودة أيضاً في البيان المغرب (قسم الموحدين).

والكافة من أهل فلانة، وقاهم الله عثرات الألسنة، وأرشدهم إلى محو السيئة بالحسنة، أما بعد؛ فإنه قد وصل من قبلكم كتابكم الذي[1] جدد لكم أسهم الانتقاد، ورماكم من السهاد[2]، بالداهية السّاد[3]، أتعتذرون[4] من المحال بضعف الحال، وقلة[5] الرجال؛ إذاً نلحقكم[6] بربّات الحجال، كأنّا لا نعرف مناحي أقوالكم، وسوء منقلبكم وأحوالكم، لا جرم أنكم سمتعم بالعدو قصمه الله، وقصده [إلى][7] ذلك الموضع عصمه الله، فطاشت قلوبكم قلوبكم خوراً، وعاد صفوكم كدراً، وشممتم ريح الموت ورداً وصدراً، وظننتم أنكم أحيط بكم من كل جانب[8]، وأن الفضاء قد غص بالتفاف القنا واصطفاف المناكب[9]، ورأيتم غير شيء فتخيلتموه[10] طلائع الكتائب،

---

[1] ((الذي)) سقطت في ك. وفي البيان المغرب: ((كتاب جدد)).
[2] في ك: ((الساد))، وفي البيان المغرب: ((من العناد)).
[3] في البيان المغرب: ((بالداهية التّاد)).
[4] في المخطوطين: ((أتعتدون))، وصوبت من البيان المغرب.
[5] في البيان المغرب: ((وبقلة الرجال)).
[6] في ك: ((أنحقكم)).
[7] كلمة: ((إلى))؛ سقطت في البيان المغرب.
[8] في البيان المغرب: ((الجوانب)).
[9] نفسه: ((المقانب)).
[10] نفسه: ((فحسبتموه)).

تبـــاً لهمتكـــم[1] المنحطـــة، وشيمتكـــم[2] الراضيـــة، بِـــأَدْوَن خطـــة، أحيـــن[3] ندبتم إلى حماية إخوانكم، [والذب عن كلمة إيمانكم][4] نسقتم الأقوال وهي مكذوبة، ولفقتم الأعذار وهي بالباطل مشوبة. لقد آن لكم أن تتبدلوا جِلَّ الخُرْصَان[5]، إلى مغازل النسوان، وما لكم ولصهوات الخيول؛ وإنما على الغانيات جر الذيول. أتظهرون [العناد تخريصاً، بل تصريحاً وتلويحاً، ونظن أن لا يجمع لكم شتًّا، ولا يدني][6] منكم نزوحاً. أين المفر وأمر الله يدرككم، وطلبنا الحثيث [لا][7] يترككم، فأزيلوا هذه النزعة النفاقية من خواطركم، [قبل أن نمحو بالسيف أقوالكم وأفعالكم، ونستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا

---

[1] في البيـان المغـرب: ((لهممكـم.

[2] نفسـه: ((شيمكـم)).

[3] في البيـان المغـرب: ((حيـن)).

[4] وردت هذه العبارة في البيان المغرب هكذا: ((والذبّ بالكلمة عن مقتضى إيمانكم)).
إيمانكم)).

[5] الخرصـان: هي الرمـاح الدقيقة والقصيـرة السنـان. وفي البيـان المغـرب؛ كتـب: ((أن تمـدوا ذيـل الحرمـان)).

[6] مـا بيـن الحاصرتيـن ورد في البيـان المغـرب هكـذا: ((الغـاد تصريحـاً وتلويحـاً، وتظنـون أنكـم إذا تفرّقتـم لا نجمـع لكـم شتاتـاً، ولا نـدني...)).

[7] سقطـت كلمـة(لا) في المخطوطيـن، والملكيـة؛ فأضافهـا عنـان.

أمثالكم. ونحن نقسم بالله لو اعتسفتم كل بيداء سملق[1]، واعتصمتم بأمنع معقل، وأحفل فيلق، ما ونينا عنكم زماناً، ولا ثنينا عن استيصال العزم منكم عناناً][2] فلا يغرنكم الإمهال، أيها الجهال)). وهي طويلة؛ وقال عند الإيقاع بالأشياخ أولي الفساد على الدول؛ وصلبهم في الأشجار والأسوار[3]؛ مما كلف السلمي بحفظها واستظرافها[4]:

أهلُ الحرابــة والفَســاد مِنَ الــوَرَى
يعــزون فــي التَّشْبيــه بالذُّكــار[5]
ففســادُه[6] فيــه الصَّــلاح لغيــره
بالقَطْــعِ والتَّعْليــقِ فــي الأشْجــار
ذُكَّارُهُــمْ ذِكْــرَي إذا مــا أُبْصِــروا
فوقَ الجُــذوعِ وفي ذُرَى الأسْــوار

---

[1] السملق: القاع الصفصف، والأرض المستوية.
[2] ما بين، الحاصرتين نقل من البيان المغرب.
[3] في المخطوطين: ((الصور)).
[4] هذه الأبيات موجودة أيضاً في الحلل الموشية، والبيان المغرب. وهي من البحر الكامل.
[5] في البيان، والحلل: ((للذكار)).
[6] في ك: ((ففاسدة)).

لوْ عَـمَّ عَفْـوُ[1] الله سائِــرَ[2] خَلْقِــه
ما كــان أكْثَرُهــم من أهْــلِ النَّــار

توقيعـه

قال **ابن عسكر**: وكانت تصدر منه توقيعات نبيلة. فمنها أن امرأة رفعت[3] رقعتها بأحد من الأجناد ممن نزل دارها، وصدر لها أمر يُنْكر؛ فوقع على رقعتها: ((يُخْرج هذا النازل، ولا يعوض بشيء من المنازل)). وغير ذلك مما اختصرناه.

بنـوه

أبو محمد عبد الواحد ولي عهده، وأمير المؤمنين بعد وفاته، الملقب **بالرشيد**، **وعبد العزيز**، ومان، **وأبو الحسن علي**، الملقب **بالسعيد**، الوالي بعد أخيه **الرشيد**.

[1] في الحلل: ((حكم))، في البيان: ((حلم)).
[2] في البيان: ((كافة)).
[3] كلمة (رفعت) سقطت في ك؛ بينما وردت في ج.

بناتـه

ابنة العزيـز، وصفيـة، ونجمـة، وعائشـة، وفتحونـة، وأمهـات الجميـع **روميـات، وسريـات مغربيـات.**

وزراؤه

وزر لـه الشيـخ **أبـو زكريا بـن أبـي الغمـر**، وغيـره.

كتابـه

كتـب لـه جملـة مـن مشاهيـر الكتـاب، منهـم[1]: **أبـو زكريا الفـازازي، وأبـو المطرف بـن عميـرة. وأبـا الحسـن الرعيـني، وأبـوعبـد الله بن عيـاش وأبـو العبـاس بـن عمـران**، وغيرهـم. ومـا منهـم إلاّ شهيـر كبيـر.

وفاتـه

تـوفي رحمـه الله **بـوادي أم الربيـع**[2]، وقـد طـوى المراحـل مـن ظاهـر **سبتـة**؛ مقلعـاً عـن حصارهـا، مبـادراً إلـى **مراكـش**، وقـد اتصـل بـه دخـول **يحيى ابـن الناصـر** إياهـا؛ فأعـد السيـر

[1] في المخطوطيـن: ((مـن)).

[2] في ك: ((أم ربيـع)).

وقد اشتد حنقه[1] على أهلها، وأقسم أن يبيح حماها **للروم**، ويذهب اسمها ومسماها، فهلك عند دنوه منها فجأة، فكانت عند **أهل مركش** من غرر الفرج بعد الشدة.

وكتمت زَوْجُهُ **حبابة الرومية**، **أم الرشيد** ولده، خبر وفاته؛ إلاّ عن الأفراد من **قواد**[2] **النصارى**، وبعض الأشياخ، واتفق القول على مبايعة ابنها المذكور، بيعةً خاصة ثاني يوم وفاته، ثم جعل في هودج، وأشيع أنه مريض، وزحفت الجيوش على تعبيته، وبرز **يحيى بن الناصر** من **مراكش** إلى لقائه، والتقى الجمعان فانهزم **يحيى**، واستولى **الرشيد** عليه، ودخل **مراكش**؛ فاستقام الأمر، وكانت وفاة **المأمون أبي العلا** رحمه الله، ليلة الخامس عشر لمحرم؛ عام ثلاثين وستمائة[3]. وجرى ذكر **المأمون والمهدي**؛ وأوليتهم في **الرجز**[4] **المتضمن ذكر المسلمة؛** من نظمي بما نصه؛ بعد ذكر **الدولة اللمتونية**:

---

[1] حرفت في ك؛ فكتبت: ((خنقه)).

[2] في المخطوطين: ((عواد))، وفي الملكية: ((عوايد))؛ وهو تحريف.

[3] الموافق لـ 1232م. ورد في البيان المغرب (قسم الموحدين): ((توفي يوم السبت منسلخ ذي الحجة من سنة تسع وعشرين وستمائة؛ فكانت دولته خمسة أعوام وثلاثة أشهر)). ويتفق صاحب الحلل الموشية مع هذا القول.

[4] هو كتاب رقم الحلل في نظم الدول الذي ألفه ابن الخطيب.

ونَجَـمَ المهـدي وهو الدَّاهيـة
فأصبحت تلك المبـاني واهيـة
وانحَكَـم الأمْـرُ لـه وانجمعـا
فـي خبـر نذكـر منـه لُمَعـا
لـم يأل فيهـا أن دعـا لنفسـه
وكان في الحزم فريـد جنسـه
أغـرب في ناموسـه ومذهبـه
وفي الـذي سطـره من نسبـه
وعنـده سياسـةٌ وعلـمٌ
وجـرأةٌ وكـرم وحلـمٌ[1]
ووافقـت أيامـه فـي النـاس
لدولـة المُسْتَرْشِـد العبَّـاسي
ثـم انقضـت أيامـه المنيفـة
وكان عبـد المؤمـن الخليفـة

[1] في ج: ((وحـزم)).

فضـــاء لون سعـــده ووضحـــا

ولاح مثل الشمس في وقت الضحى

ثـــم تِلِمْســـان وفاســـاً فتحـــــا

ومُلْك أصحاب اللثـــام قد محـــا

ولما انتهى القول إلى **المأمون**؛ المترجم به، بعد ذكر من يليه؛ **وعبد المؤمن**[1] جده، قلت:

ثم تـــولى أمرهـــم أبـــو العَـــلا

فسلَّطَ البِيض على بيض الطِّـــلا

وهو الذي أركب جيـــش الـــروم

وجـــدّ فـــي إزالـــة الرســـوم

***

[1] في ك: ((وعبد الرحمن))؛ وهذا سهو.

أُسْباط بن جعفر

ابن سليمان بن أيوب بن سعد السعدي سعد بن بكر بن عفان الإلبيري؛ هذا هو جد سعيد بن جودي، بن سَوادة، بن جودي، ابن أُسْباط، أمير المغرب. وقدرهم بهذه المدينة شهير.

حالـه

وكان من أهل العلم والفقه، والدين المتين، والورع الشديد، والصلاح الشهير.

نباهتـه

ولاه **الأمير عبد الرحمن** قضاء **إلبيرة؛** حين بلغه زهده وورعه، وأنه لم يشرك إخوته في شيء من ميراث أبيه، إذ كان لم يحضر الفتح، فبرئ به إليهم وابتاع موئلاً بوطنه؛ أنيط به ماءٌ، وانفرد به للعبادة والتبتل، فاستقدمه **هشام**؛ فركب حماره وقدم عليه في هيئة رثة بذلة؛ فتوسم فيه الخير، وقدمه ووسع له في الرزق، ووهب له ضياعاً كثيرة، تعرف اليوم باسمه، وتوفي **هشام** وهو

قاض **بإلبيرة**؛ فأقره ابنه **الحكم**؛ ثم ولاه شرطته، إلى أن توفي **أسباط**. قلت: انظر حال الشرطة عند الخلفاء؛ من كان يُختار لها لولايتها[1].

***

[1] في المخطوطين: ((لولاية)).

أسلم بن عبد العزيز

ابن هشام بن خالد بن عبد الله بن خالد بن حسين بن جعفر بن
أسلم بن أبان؛ مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه؛
يكنى أبا الجَعْد.

أوليته

من أهل **شرق الأندلس**، أصلهم من **لوشة**[1] فتية **غرناطة** وموضعهم بها معروف، وإلى جدهم ينسب جبل **أبي خالد** المطل عليها، وكان لهم ظهور هنالك، وفيهم أعلام وفضلاء.

حاله

كان **أسلم** من خيار **أهل إلبيرة**، شريف البيت، كريم الأبوة، من كبار أهل العلم، وكانت فيه دعابة، لم ينسب إليه قط بسببها خزية[2] في دين ولا زلة. قال **أبو الفضل عياض**[3]: كان **أسلم** من خيار **أهل إلبيرة**، رفيع

---

[1] لوشة؛ Loja؛ هي المدينة التي ولد بها لسان ابن الخطيب؛ وقد سبقت الإشارة إليها. وكان يسميها ((بنت غرناطة)) أو ((فتية غرناطة)).
[2] في ك: ((مرية)).
[3] هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي؛ توفي سنة 544هـ/1149م؛ له ترجمة في الإحاطة.

الدرجة في العلم، وعلو الهمة في الإدراك، والرواية والديانة، والصحبة، وبعد الرحلة في طلب العلم، معروف النصيحة والإخلاص للأمراء.

مشيخته

لقي **بمصر**، **المدني**، **ومحمد بن عبد الحكم**، **ويونس**، **والربيع بن سليمان المؤذن**، **وأحمد بن عبد الرحيم البرقي**. وسمع من **علي بن عبد العزيز، وسليمان بن عمران بالقيروان**.

من روى عنه

سمع منه **عثمان بن عبد الرحمن، وعبد الله بن يونس، ومحمد بن قاسم**، وغير واحد، وانصرف إلى **الأندلس** من رحلته، فنال الوجاهة العظيمة.

ولايتـه

ولاه قضاء الجماعة[1] **بغرناطة**، **الناصر لدين الله**، أول ولايته، وسط[2] سنة ثلاثمائة، إلى أن استعفى سنة تسع وثلاثمائة[3] فأعفاه، ثم أعاده. وكان في قضائه صارماً؛ لا هوادة عنده. قال المؤرخ: كان **الناصر** يستخلفه في **سطح القصر؛** إذا خرج إلى مغازيه. وحكى **ابن حارث**: أن **ابن معاذ وابن صالح** أتيا يوماً؛ فلما أخذا مجلسهما نظر إليهما، وقال ألقوا[4] ما أنتم ملقون فأبهتهما. ودخل عليه **محمد بن وليد** يوماً؛ فكلمه في شيء؛ فقال **أسلم**: سمعنا وعصينا؛ فقال **ابن وليد**: ونحن قلنا واحتسبنا. وأتاه في بعض مجالسه شهود، بعضهم من أهل المدينة **بقرطبة**، وبعضهم من **شُلار** من **الربض الشرقي**، يشهدون في ترشيد امرأة من **الربض الغربي**؛ فلما أخذوا مجالسهم، فتح باب الخوخة التي في المجلس الذي يجلس

[1] قضاء الجماعة في المغرب والأندلس هي: أعلى مرتبة في خطة القضاء؛ فهي رئاسة القضاة. وتساويها في المشرق مرتبة قاضي القضاة.
[2] سقطت هذه الكلمة في ج؛ بينما وردت في ك.
[3] الموافق لـ 921م.
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((أقوا)).

بدهليزه، ونادى من بخارجه فاجتمعوا، اسمعوا عجباً، لله در الشاعر حيث يقول[1]:

راحـــت مشرقـــة ورحـــت مغربـــاً
شتـــان بيـــن مشـــرق ومغـــــرب

هـؤلاء مـن أهـل المدينة، **وشـلار**؛ يشهـدون فـي ترشيـد امـرأة[2] مـن ساكنـات آخـر **بلاط مغيث**، ثـم سكـت؛ فدهـش القـوم وتسللـوا[3]. وبلغـه عـن بعـض الشهـود المتهمين أنه أرشـي فـي شهادتـه ببسـاط، فلمـا أتـى ليؤديهـا، ودخـل عـلى **أسلـم**؛ جعـل يخلـع نعليه عنـد المشي على بسـاط القـاضي؛ فنـاداه أبـا فـلان البسـاط، اللـه اللـه؛ فتنبـه بـأن أمـره عنـد القـاضي، ولـم يجسر عـلى أداء شهادتـه تلـك. وخاصـم فقيـه عنـد **أسلـم** رجـلاً؛ فـي خـادم أغربهـا[4] وجـاء بشاهـد أتـى بـه مـن **إشبيلية**؛ فقـال: يـا قـاضي؛ هـذا شاهـدي؛ فاسمـع منـه؛ فصعـد **أسلـم** فـي الشاهـد، وصـوب؛ وقـال:

---

[1] هـذا البيـت مـن بحـر الكامـل.
[2] في المخطوطيـن: ((امرأتيـن)).
[3] نفسهمـا: ((وتسـلا)).
[4] نفسهمـا: ((أعربهـا)).

أمحتسب[1]، أو مكتسبٌ[2] أصلحك الله؛ فقال الشاهد: أحسن الظن أيها القاضي؛ فليس هذا إليك، هذا إلى الله المطلع على ما في القلوب؛ ولم تقعد هذا المقعد لتسأل عن هذا وشبهه؛ وإنما عليك الظاهر، وتكل الباطن إلى الله، فإن شئت، فاسمع الشهادة كما يلزمني أداؤها، ثم أقبلها أو اضرب بها الحائط. وفي رواية أخرى، وليس لك أن تكشف الستر المنسدل بينك وبيني؛ فإن هذا التفسير للشهود يوقف عن الشهادة عندك، ويعرض لإهانتك أهل لائقةٍ، وفي ذلك من ضياع الحقوق ما لا يخفى؛ فأخجل **أسلم** كلامه؛ وقال له: لك ما قلت؛ فأد شهادتك يرحمك الله. قال: فأين الخادم؛ تحضر حتى أشهد على عينها؛ قال **أسلم**: وفقيه أيضاً؟ هاتوا الخادم، فجاءت من عند الأمين؛ فلما مثلت بين يديه، نظر منها ملياً، ثم قال: أعرفُ هذه[3] الخادم ملكا لهذا الرجل؛ لا أعرف ملكه زال عنها بوجه من الوجوه، إلى حين شهادتي

[1] أي ترك أمره لله سبحانه وتعالى.
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((مستكب)).
[3] في المخطوطين: ((هذا)).

هذه؛ سلامٌ على القاضي، ثم خرج؛ فبقي **أسلم** متعجباً منه.

محنته

كفّ بصره في أخريات أيامه؛ فطلب لأجل ذلك الإعفاء فأعفي، ولزم بيته صابراً محتسباً إلى حين وفاته.

مولده

سنة إحدى وثلاثين ومائتين[1].

***

[1] الموافق لـ 845م.

أسد بن الفرات

ابن بشر بن أسد المرّي، من أهل قرية الصير مورتة[1] من إقليم البساط، من قرى غرناطة.

حالـه

كان عظيم القدر والشرف والشهرة، أصيل المعرفة والدين.

مشيخته

خرج إلى **المشرق**، ولقي **مالك بن أنس** رضي الله عنه، روى عنه **سحنون بن سعيد**.

[1] تتواجد قرية (الصير مورتة) بالقرب من غرناطة؛ وتسمى بالإسبانية Sierra Murada. أما أسد بن الفرات؛ فثمة اختلاف في التعريف به؛ إذ يخالف آخرون هذا الرأي؛ ويرون أن اسمه أبو عبد الله أسد بن الفرات ابن سنان؛ مولى بني سليم؛ ولد بحرّان أو بنجران سنة 142هـ/759م وتوفي سنة 213هـ/828م. وأصله من خراسان؛ قدم مع والده إلى إفريقية في جيش ابن الأشعث. وهو صاحب المدونة المسماة بالأسدية في الفقه؛ والتي تحولت وتطورت مع الشيخ سحنون.

تآليفـه

ألـف كتـاب **المختلطـة**، وولـى القضـاء **بالقيـروان** أجمـل ما كانـت وأكثـر علمـاً، وولاه **زيـادة الله**[1] غـزو **صقليـة**؛ ففتحهـا وأبـلى بـلاء حسنـاً.

وفاتـه[2]

تـوفي رحمـه الله محاصـراً **سرقوسـة**[3] منهـا سنـة ثـلاث عشـر ومائتيـن[4]. هـذا مـا وقـع فـي كتـاب **أبـي القاسـم الملاحي**. وذكره **عياض**؛ فذكر خلافاً في اسمه وفـي أوليتـه.

***

---

[1] أبـو محمـد زيـادة اللـه بـن إبراهيـم بـن الأغلـب؛ انتصـب أميـراً عـلى إفريقيـة مـن سنـة 201هـ/816م إلى سنـة 223هـ/837م.

[2] سقطـت في المخطوطيـن.

[3] كتبـت في النسـخ الأربـع ((سرقسطـة))؛ ويبـدو أن التباسـاً حـدث لـدى الناسـخ أو المؤلـف؛ لأن وفـاة أسـد بـن الفـرات حدثـت في ثغـر سرقوسـة (Syracusa) المتواجد في الجنوب الشرقي مـن جزيـرة صقلية. أما سرقسطة فهي مدينة أندلسية؛ كانت قاعدة للثغر الأعلى؛ وتتواجد في شمال إسبانية.

[4] 828م. وقـد صـوب د. طويـل كتابـة التاريـخ؛ فجعلـه: ((ثـلاث عشـرة ومائتيـن)). وهـذا أصـح.

أبو بكر المخزومي[1]

الأعمى المـوروري [المدوَّري][2]

حالـه

كـان أعـمى، شديـد القُحَّة[3] والشر، معروفاً بالهجاء، مسلطاً على الأعـراض، سريـع الجـواب، ذكـي الذهـن، فطنـاً للمعاريـض[4]، سابقاً في ديـوان الهجاء[5]؛ فإذا مـدح ضعـف شعـره.

دخوله غرناطة

وذكـر شـيء مـن شعـره، ومهاترتـه مـع[6] **نزهـون بنـت القـلاعي**. قـال **أبـو الحسـن بـن سعيـد**، فـي كتابـه المسمى **بالطالـع السعيـد**: قـدم علـى **غرناطـة** أيـام ولايـة **أبـي بكـر بـن**

---

[1] ترجمة المـوروري المخـزومي الأعـمى توجـد أيضـاً في المغـرب، ونفح الطيـب، وروايـات المبرزيـن.

[2] الكلمـة الواقعـة مـا بيـن الحاصرتيـن؛ كتبـت في هامـش ج؛ مضافـة إلى المـوروري.والمـروري؛ نسبـة إلى بلـدة مـورور الـتي أشرنـا إليهـا سابقـاً. أمـا ألمـدور فـهي Almodovar بالإسبانيـة؛ وتقع في الشمال الشرقي من قرطبة.

[3] أي الجفـاء.

[4] أي التوريـة.والمِعْـراض مـن الكـلام: فحـواه.

[5] في نفـح الطيـب: ((ميـدان)).

[6] قبـل أن تكتـب كلمـة نزهـون وردت في هـذا المكـان كلمـة: ((الأسمـه)). ولمـا كانـت غامضـة ولـم يعـرف مدلولهـا؛ فقـد أغفلهـا عنـان.

سعيد عمل[1] **غرناطة**، ونزل قريباً منه، وكان يسمع به، فقال صاعقةٌ يرسلها الله عز وجل على من يشاء من عباده، ثم رأى أن يبدأه بالتأنيس والإحسان؛ فاستدعاه بهذه الأبيات[2]:

يـا ثانيـا للمعـري
في حسـن نظـمٍ ونثـر
وفـرط ظـرف ونبـلٍ
وغـوص فهـم وفكـر
صـل ثم واصـل حفيـاً
بكـل شكـر وبـر[3]
وليـس إلا حديـث
كمـا زهـا عقـد در
وشـادنٌ قـد تغـني[4]
عـلى ربـابٍ وزمـر

---

[1] في ك: ((على))؛ والمقصود بذلك هي ولاية غرناطة. كما يقولون الآن: ((عمالة كذا)).

[2] هذه الأبيات من بحر المجتث.

[3] في نفح الطيب: ((**بكل برّ وشكر**)).

[4] نفسه: ((وشادن يتغنى))

وما يسامـــح فيـــه الـــ

ـــغفـــور من كأس خمـــر

وبيننـــا عقـــد حلــــــف

لبـــان شـــركٍ وكفـــــر[1]

فقـــم نجـــــدده عهـــــداً

يطيـــب شكـــر وسكـــــر[2]

والكـــأس مثـــل رضـــاع

ومـــن كمثلـــك يـــــدري؟

ووجه له الوزير [**أبو بكر بن سعيد]**[3]، عبداً صغيراً قاده. فلما استقر به المجلس، وأفعمته روائح النَّدِّ[4] والعود والأزهار، وهزت عطفه الأوتار، قال[5]:

دار السُّعَيْـــديِّ ذي أم دار رِضْـــوانٍ[6]

ما تشتـــهي النفس فيها حاضـــرٌ دان

---

[1] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا: ((وبيننا عهد حلف * لياسر حلف كفر)).
[2] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا: ((نعم فجدده عهدا * بطيب شكر ويسر)).
[3] ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين؛ بينما ورد في ت.
[4] النَّدّ: هو الطيب.
[5] هذه الأبيات من البحر البسيط.
[6] رضوان؛ بكسر الراء وسكون الضاد: ملك من الملائكة؛ مهمته حراسة باب الجنة. والمقصود بعبارة؛ ((أم دار رضوان)): الجنة.

سقــت أبارقهــا للنــد سحب نــدًى
تحــدو برعــد لأوتــار والحــــان[1]

والبرق من كل دَنٍّ[2] ساكــبٌ مطــرا
يحيي[3] به ميــت أفكــار وأشجــان

هــذا النعيــم الــذي كنــا نحدثــه
ولا سبيــــل لــــه إلا بــــآذان

فقال **أبو بكر بن سعيد**: ((ولا سبيل له إلا بآذان[4]))، فقال: [حتى][5] يبعث الله[6] ولد زنا؛ كلما أنشدت هذه الأبيات، قال: وإن قائلها أعمى، فقال: أما أنا فلا أنطق بحرف في ذلك. فقال: من صمت نجا. وكانت **نزهون بنت القلاعي** الآتي ذكرها[7] حاضرة؛ فقالت: ونراك[8] يا أستاذ قديم النغمة[9]، بند وغناء وطيب

---

[1] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا:
((سقطت أباريقها للنَّدِّ سحب الندى * تُحْدى برعدٍ لأوتار وعيدان)).
[2] الدن: هو الزير؛ ويسمى في المشرق الراقود.
[3] ((يحيي)) سقطت في ك؛ بينما وردت في ج.
[4] يريد بهذا التعريض: أن المخاطب أعمى.
[5] في ك: ((يحدا)).
[6] هتان الكلمتان سقطتا في المخطوطين؛ ووردتا في ت.
[7] في المخطوطين: ((الآتية)).
[8] في ك: ((وزيك)).
[9] في نفح الطيب: ((النعمة)) بالعين المهملة.

وطيب شراب، تتعجب من تأتيه، وتشبهه بنعيم الجنة، وتقول ما كان يلم إلا بالسماع، ولا يبلغ إليه إلا بالعيان، لكن من يجيء من حصن المُدَوَّر، وينشأ بين تيوس وبقر، من أين له معرفةٌ بمجالس النغم[1]. فلما استوفت كلامها تنحنح الأعمى، فقالت له: دعه[2]، فقال: من هذه الفاعلة؟ فقالت: عجوز مقام أمك، فقال: كذبت ما هذا صوت عجوز، إنما هذه نغمة (.......)[3] محترقة تشم روائح كذا منها على فرسخ[4]؛ فقال له **أبو بكر**: يا أستاذ هذه **نزهون** بنت القلاعي الشاعرة الأديبة؛ فقال: سمعت بها؛ لا أسمعها الله خيراً، ولا أراها إلاّ....[5] فقالت له: يا شيخ شيخ سوءٍ تناقضت، وأي خير أفضل للمرأة؟[6] ففكر المخزومي ساعة ثم قال[7]:

---

[1] في نفح الطيب: ((النعيم))؛ بالعين المهملة.

[2] نفسه: ((ذبحة)).

[3] كلمة نابية في هذا الحيز.

[4] نفسه: ((فراسخ)).

[5] حذف عنان هذه الكلمة؛ ووضع بدلاً منها نقاط؛ لأنها ـ كما قال ـ كلمة نابية. بينما تجاهل ما سبق، وما سيأتي.

[6] في نفح الطيب زيادة هي: ((مما ذكرت)).

[7] هذن البيتان من البحر الطويل.

على وجه نزهون من الحسن مسحـــة

وإن كان قد أمـــسى من الضـــوء عاريـــا

قواصـــد نزهـــون تـــدارك[1] غيرهـــا

ومن قصد البحـــر استقـــل السواقيـــا

فأعملت فكرها وقالت[2]:

قـــل للوضيـــع مقـــــالاً

يتـــلى إلى حيـــن يحشـــر

مـــن المـــدور أنْشئْـــ

ـــتَ والخرا منه أعطـــر

حيـــث البـــداوة أمســـت

فـــي أهلهـــا[3] تتبختـــــر

لذلـــك[4] أمسيـــت صبـــــا

بكـــل شـــيء مـــــدور[5]

---

[1] في نفح الطيب: ((تَوارِك)).
[2] هذه الأبيات من بحر المجتث.
[3] في نفح الطيب: ((مشيها))، وفي المغرب: ((جهلها)).
[4] في المغرب والنفح: ((لذاك))؛ وهو أسلم.
[5] ورد هذا البيت في المغرب هكذا:
((لذلك أمسيت تهوى * حلول كل مدور)).

خلقــت أعــمى ولكـــــن

تهيــم فـــي كــل أعــور

جازيـــت شعــراً بشعــر

فقل لعمـــري منَ اْشعــر[1]

إن كنت في الخلق أنـــثى

فـــإن شعـــري مذكـــــر

فقال لها اسمعي[2]:

ألا قـــل لنزهونـــة مـــا لهـــا

تجــر مـــن التيـــه أذيالهــــــا

ولـــو أبصرت بَشَّـــةً[3] شمـــرت

كمـــا عودتـــــني سربالهــــــا

فحلف **أبو بكر بن سعيد** ألاّ يزيد أحدهما على الآخر في هجوه كلمة؛ فقال **المخزومي**: أكون هجاء **الأندلس**، وأكفّ عنها دون شيء؛ فقال: أنا أشتري منك عرضها؛ فاطلب؛ فقال: بالعبد الذي أرسلته فقادني إلى

---

[1] جاء هذا البيت في المغرب هكذا:
((**جاوَبْت هَجْواً بهَجْوٍ * فقلْ لُعِنْتَ مَن اشْعَرْ**)).

[2] هذان البيتان من بحر المتقارب.

[3] في المغرب والنفح: ((فَيْشَـة)).

منزلك؛ [فإنه لين القدّ، رقيق الملمس][1]. فقال **أبو بكر**: لولا أنه صغير؛ كنت أبلغك فيه مرادك، وأهبه لك؛ ففطن لقصده؛ وقال أصبر عليه، حتى يكبر؛ ولو كان كبيراً ما آثرتني على نفسك؛ فضحك **أبو بكر**؛ وقال: قد هجوت نثراً، وإن لم تهج نظماً، فقال: أيها الوزير؛ لا تبديل لخلق الله؛ وانفصل **المخزومي** بالعبد؛ بعد ما أصلح بينه وبين **نزهون**. وقال يمدح القاضي **بغرناطة أبا الحسن بن أضحى**[2] رحمهما الله[3]:

عجبــاً للزمـــان يطلـــب هضـــمي[4]
ومـــلاذي منه عـــلي بـــن أضـــحى
جـــاره قد سمـــا على النطـــح عـــزاً
ليس يخشى من حادث الدهر[5] نطحـــا

---

[1] في نفح الطيب: ((فإنه لين اليد، رقيق المشي)).
[2] هو الوزير أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى؛ ثار أيام المرابطين بغرناطة، ودعى لنفسه؛ بعد أن قتل تاشفين بن يوسف بن تاشفين سنة 539هـ/1144م. وتوفي بعدها في سنة 540هـ/1145م. وقد خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.
[3] هذه الأبيات موجودة أيضاً في المغرب. وهي من البحر الخفيف.
[4] في المغرب: ((ثاري)).
[5] نفسه: ((من طالب الثأر)).

فكـــأني [علَــوْتُ] قـــرن [فــــلان][1]
أي تيـــس مطـــول القـــرن ألـــحى

فقال له **ابن أضحى**: هلاًّ اقتصرت على ما أنت بسبيله؛ فكم تقع في الناس؛ فقال: أنا أعمى؛ وهم حُفَرٌ؛ فلا أزال أقع فيها؛ فقال: فأعجبني كلامه على قبحه؛ وحديث مقامه **بغرناطة** يقتضي طويلا.

وفاتـه

قال **أبو القاسم بن خلف**: كان حياً بعد الأربعين وخمسمائة[2].

***

[1] ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين، وأضيف من المغرب.
[2] الموافق لـ 1145م.

أصبغ بن محمد

ابن الشيخ المهدي؛ يكنى أبا القاسم، عالم مشهور.

حالـه

كان محققاً بعلم العدد والهندسة، مقدماً في علم الهيئة والفلك وعلم النجوم، وكانت له مع ذلك عناية بالطب.

تواليفـه

حسان، وموضوعاته مفيدة، منها ((**كتاب المدخل إلى الهندسة**))؛ في تفسير كتاب **إقليدس**، ومنها ((**كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات**)). ومنها **((كتابه الكبير في الهندسة))** تقصَّى فيه أجزاءها. ومنها ((**كتاب**[1] **في الآلة المعروفة بالأسطرلاب**)). ومنها **تاريخه** الذي ألفه وهو تاريخ كبير.

---

[1] في ك: ((كتابان)).

وفاتــه

قال **ابن جماعة** في **تاريخه**: أخبرني **أبو مروان، سليمان بن عيسى الناشي المهندس**: أنه توفي بمدينة **غرناطة**؛ قاعدة **الأمير حبوس**[1]؛ ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب؛ سنة ست وعشرين وأربعمائة[2]، وهو ابن ست وخمسين سنة[3] شمسية[4]. وعده من **مفاخر الأندلس**.

***

[1] هو حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي؛ سبق التعريف به؛ وتوجد في الإحاطة ترجمة له.

[2] الموافق لـ 1034م.

[3] في الملكية: ((خمس وستين)).

[4] كتب في المخطوطين: ((شمية))؛ فصوبها عنان.

أبو علي ابن هدية

من أهل غرناطة.

حالـه

قال **أبو القاسم الملاحي** فيه: من أهل الدين، والفضل، والأمانة، والعدالة، والمعرفة بالتكسير والأعمال السلطانية، وولي ((**المستخلص**)) **بغرناطة**[1]؛ فثقب وأجاد النظر.

قال **ابن الصيرفي**: ولما ولي الوزير **أبو علي ابن هدية المستخلص**، وباشر جلائل الأمور ودقائقها بنفسه، حَمَى المناصِفين، ورفع المُؤَن والكُلَف[2]، عنهم، ووسع بسَليف البذر[3] عليهم، وآثرهم بالنَّصَفة بالتزام حصة بيت المال، ولم يكن له حجاب ولا بواب، فكان القوي والضعيف، والمشروف والشريف، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، شرعاً سواءً في الوصول إليه، والتكلم في مجلسه، فلم يهتضم جانب، ولا دحضت حجة، إلا أنه ارتفعت

[1] أي الأملاك السلطانية بغرناطة.
[2] في المخطوطين: ((الكف)).
[3] في ك: ((الزرع)).

الرقبة، وزالت الهيبة، وأمحق نور الخطة، وخص أحباس[1] **جامع غرناطة** بنظره، بفضل مال كثير من غلَّتِه[2]، ونُبه باجتماعه؛ ليزيد به بلاطين في مَسقفه من شرقه وغربه؛ فأكمل الله ذلك بسعيه وعلى يديه، ورام ربع المستخلص، وزاد به في حماماته، ورَمَّ[3] حوانيته، واستحدث منيحة[4] سماها المستحدثة. وغرس قضبان الجوز في مواضع المياه، وعوض بما ذهب، وشمر في جمع المال، ووالى الحفز على العمل، ونصح بمقتضى جهده، ومنتهى وسعه، ولم تمد يده في مصانعة، ولا مالت إلى مداخلة، ولكنه لم يحمل في حق ولا نوقش في باطل.

***

---

[1] الأحباس هي الأوقاف.
[2] في ك: ((خلته)).
[3] في ج: ((ردم)).
[4] هكذا في المخطوطين والملكية.

أم الحســن

بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي؛ من أهل لوشة.

نبيلةٌ حسيبةٌ، تجيد قراءة القرآن، وتشارك في فنون من الطلب، من مبادئ غريبة، وخلف وإقراء مسائل الطب، وتنظم أبياتاً من الشعر. وذكرتها [في][1] **خاتمة الإكليل**[2] بما نصه: ((ثالثة **حَمْدَة وَوَلاَّدَة**[3]، وفاضلة الأدب والمجادة، تقلدت المحاسن من قبل **ولادة**، وأولدت أبكار الأفكار قبل سن الولادة. نشأت في حجر أبيها، لا يدخر عنها تدريجاً ولا سهماً، حتى نهض إدراكها وظهر في المعرفة حراكها، ودرسها الطب ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه وأعراضه)).

---

[1] ((في)) سقطت في الإكليل.

[2] هوكتاب ألفه ابن الخطيب؛ عنوانه بالكامل هو ((الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر)). سبق ذكره من قبل.

[3] حمدة هي: حمدة أو (حمدونة) بنت زياد بن تقيّ العوفي المؤدب؛ توفيت في حدود سنة 600هـ/1204م. شاعرة وكاتبة؛ وهي من شاعرات غرناطة في عصر ملوك الطوائف. لها ترجمة في الإحاطة. أما ولادة فهي: ولادة بنت الأمير الأموي المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن؛ توفيت بقرطبة سنة 484هـ/1091م. شاعرة وأديبة؛ ولع بها ابن زيدون الشاعر الوزير.

وفي ذكر شعرها

((ولما قدم أبوها من **المغرب**، وحَدَّث بخبرها **المُغْرب**، توجّه بعض الصدور إلى اختبارها، ومطالعة أخبارها، فاستنبل أغراضها واستحسنها، واستطرف[1] لَسْنها، وسألها عن الخط، وهو أكسد بضاعة جلبت، وأشح درة حلبت. فأنشدته من نظمها[2]:

الخــط ليــس له في العلــم فائــدة
وإنمــا هــو تزييــنٌ بقرطــاس
والــدرس سؤلي لا أبغي بــه بــدلاً
بقدر علم الفتى يسمــو على النــاس

وراجعها بعض المُجَّان[3] يغفر الله له[4]:

إنْ فــرطَ الــدَّرس [يا أمّي سحــق][5]
وهــذا هــو المشهــور في النــاس

---

[1] في ج: ((واستطرب)).
[2] هذان البيتان من البحر البسيط
[3] في ك: ((المجاز)).والمُجَّان مفردها ماجن: وهو من غلظ وجهه وقل حياءه.
[4] هذان البيتان من مجزوء البسيط.
[5] في المخطوطين: ((يا أملي سحقا)).

فخـــذ مـــن الـــدرس شيئـــاً تافهـــا

خطـــاً وبالفهـــم يحـــيى كل النـــاس[1]

ومن شعرها في غرض المدح[2]:

إن قيـــل من النـــاس[3] رب فضيلـــةٍ

حـــاز العـــلا والمجـــد منه أصيـــل

فأقـــول رضـــوان وحيـــد زمـــــانٍ

إن الزمـــــان بمثلـــــه لبخيـــــل

***

[1] هذا الشطرة مختل.

[2] هذان البيتان من البحر الكامل.

[3] جعلها د. طويل: ((للناس)).

بلكين[1] بن باديس

ابن حَبُّوس بن ماكْسَنْ بن زيري بن مَنَّادْ الصِّنْهاجي؛ الأمير الملقب بسيف الدولة؛ صاحب أمر والده والمرشح للولاية بعده.

حاله

قال المؤرخ: كان **زيري بن مناد**، ممن ظهر في حرب **ابن يزيد**[2] **بإفريقية**، واتسم هو وقومه بطاعة **العبيديين**[3] **أمراء الشيعة**. فكانوا حرباً لأضدادهم من **زنانة** الموالين **لأملاك المراونة**[4]؛ لتحقق جدهم **خزر**[5] بولايته **عثمان بن عفان** رضي الله عنه، فلما صار الأمر إلى **بني مناد** بعد انتقال **ملك الشيعة** إلى **المشرق**، وولي الأمر **باديس بن منصور بن بلكين بن زيري**؛ ذهب أعمامه وأعمام أبيه إلى استضعافه؛ فلم يعطهم ذلك من نفسه، ووقعت

---

[1] بلكين أو بلقين؛ بالجيم المصرية. وهو أقرب إلى النطق الأمازيغي. ولي في البداية من قبل والده على مالقة؛ بعد أن تغلب عليها وضمها إلى مملكته سنة 449هـ/1057م. وبقي والياً على مالقة إلى سنة 456 هـ/1063م.وهي السنة التي مات فيها مسموماً .

[2] هكذا. وهو تحريف قد يكون من الناسخ. واسمه هو أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي الملقب بصاحب الحمار؛ توفي سنة 336هـ/947م؛ زعيم الخوارج الثائرين على الدولة الفاطمية.

[3] نسبة إلى عبيد الله مؤسس الدولة الفاطمية.

[4] يقصد بني مروان (الأمويين)؛ ملوك الأندلس.

[5] حرفت في ج؛ فكتبت: ((خوز)).

بينهم الحرب؛ التي قتل فيها عم أبيه **ماكسن بن زيري**؛ فرهب[1] الباقون منهم صولة **باديس**، وخافوا عاديته على أنفسهم؛ على صغر سنه؛ فخاطب شيخ بيته ـ يومئذ ـ **زاوي بن زيري**؛ ومعه أبناء أخيه، **المظفر بن أبي عامر**[2] ليجوز إليه إلى **الأندلس**[3]؛ رغبة في الجهاد، فألفى همَّه بعيدة، وملكاً شامخاً، يذهب إلى استخدام الأشراف واصطناع الملوك، فأذن في ذلك، فدخل منهم جماعةٌ **الأندلس** مع أميرهم **زاوي بن زيري**، ومعه أبناء أخيه: **حباسة وحبوس وماكسن**؛ فأنزلهم **المظفر** وأكرمهم، إلاّ أنهم كابدوا مشقة من دهرهم الذي أصارهم يخدمون بأبواب الملوك من أعدائهم غيرهم. فلما انهدمت الإمامة، وانشقت عصا الجماعة، سعوا في الفتنة سعي غيرهم، من سائر **قبائل البرابرة**[4]، عند تشديد **أهل الأندلس للبربر**،

---

[1] في المخطوطين: ((فذهب))؛ وصوبها عنان.

[2] المظفر هو عبد الملك بن محمد المنصور بن عبد الله بن أبي عامر أمير الأندلس؛ توفي سنة 399هـ/1008م؛ تولى السلطة العامرية بعد وفاة والده الوصي على عرش الدولة الأموية؛ وذلك سنة 392هـ/1001م.

[3] اتصلوا ـ كما يقول ابن خلدون ـ بأبيه محمد المنصور بن أبي عامر؛ وجازوا للأندلس في عهده، وقبل وفاته؛ سنة 391هـ/1000م.

[4] كلمة بربر أو برابرة أو برابر؛ تستعمل لدى مؤرخي الأندلس بكثرة؛ ويقصد بها الأمازيغ.

وانحازوا عند ظهورهم على **أهل الأندلس**، بملوك **بني حمود**[1]، إلى بلاد تضمهم؛ فانحازت صنهاجة مع شيخهم ورئيسهم **زاوي بن زيري** إلى مدينة **غرناطة**. ثم آثر **زاوي** العودة إلى وطنه **إفريقية**؛ فخرج عن **الأندلس** حسبما يتفسر في موضعه. والتف قومه على **ابن أخيه حبوس بن ماكسن**، في جماعة عظيمة تحمي حوزته، وأقام بها ملكاً، وغلب على ما اتصل بمدينته من الكور، فتملك **قبرة، وجيان**[2]، واتسع نظره، وحمى وطنه ورعيته ممن جاوره من **البرابر**، وكان داهية شجاعاً، فدامت رياسته، واتصل ملكه، إلى أن هلك. فولي بعده ابنه **باديس**. وسيأتي التعريف به، وولد له ابنه **بلكين** هذا المترجم به؛ فرشحه إلى ملكه، وأخذ له بيعة قومه، وأهَّلَه [3] للأمر من بعده.

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بني حميد)). وبنو حمود من الأدارسة العلويين؛ تمكنوا من التربع على عرش غرناطة بعد سقوط الدولة الأموية.
[2] سبق التعريف بجيان Jaen، وقبرة Cabra القريبة منها.
[3] في ك: ((**وملّكه**)).

قال المؤرخ: ونشأ **لباديس بن حبوس**، ولد اسمه **بلكين**، وكان عاقلاً نبيلاً، فرشحه للأمر من بعده، وسماه **سيف الدولة**، وقال: ولي **مالقة** في حياة أبيه، وكان نبيلاً جليلاً، ووقعت على كتاب بخطه نصه بعد البسملة: ((هذا ما التزمه واعتقد العمل به، **بلكين بن باديس**، للوزير القاضي **أبي عبد الله بن الحسن الجذامي**[1] سلّمه الله. أعتقد به إقراره على خطة الوزارة، والقضاء في جميع كُوَرِه[2]، وأن يجري من الترفيع والإكرام له، إلى أقصى غاية، وأن يحمل[3] على الجراية في جميع أملاكه بالكُوَر[4] المذكورة، حاضرتها وباديتها، الموروثة منها، والمكتسبة، القديمة الاكتساب والحديثة، وما ابتاع منها من العالي[5] رحمة الله وغيره، لا يلزمها وظيفٌ بوجه، ولا يكلف منها كلفة، على كل حال، وأن يجري في قرابته،

---

[1] حرفت في ك؛ فكتبت: ((الحراص)).
[2] في تاريخ قضاة الأندلس: ((جميع كور ريّة)).
[3] نفسه: ((**وأن يُجْري على الجزية**)).
[4] نفسه: ((بكورة ريَّة)).
[5] في ك: المعالي. أما العالي؛ فهو الخليفة إدريس بن يحيى المعتلي؛ أحد خلفاء بني حمود؛ حكم من غرناطة وقرمونة لمدة أربع سنين؛ حيث خلع في سنة 438هـ/1046م.

وخوله وحاشيته وعامري ضيعه، على المحافظة والبر والحرية. وأقسم على ذلك كله **بلكين بن باديس** بالله العظيم، والقرآن[1] الحكيم، وأشهد الله على نفسه وعلى التزامه له، وكفى بالله شهيداً. وكتب بخط يده مستهل شهر رمضان العظيم سنة ثمان[2] وأربعين وأربعمائة[3]، والله المستعان)). ولا شك أن هذا المقدار يدل على نبل، ويعرف عن كفاية.

سبب وفاته

قال صاحب **البيان المغرب**[4]، وغيره: وأمضى **باديس** كاتب أبيه ووزيره[5] **إسماعيل بن نغرالة[6] اليهودي** على وزارته وكتابته وسائر أعماله، ورفعه فوق كل منزلة؛

---

[1] في تاريخ قضاة الأندلس: ((وبالقرآن)).
[2] نفسه: ((434هـ)).
[3] الموافق لـ 1056م.
[4] صاحب كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عذاري المراكشي؛ توفي في حدود 695هـ/1295م.
[5] في البيان المغرب: ((**فأمضى باديس وزيراً له وكاتباً، وزير أبيه إسماعيل..**)).
[6] حرف في المخطوطين؛ فكتب: ((ابن نعراله))؛ بينما سماه صاحب الذخيرة: ((ابن النغريل)). وسماه ابن حزم مرة: ((ابن النغرال))، ومرة أخرى: ((ابن النغريلة))؛ وقال عنه صاعد الأندلسي: ((ابن الغزال))... وثمة شواهد أخرى عديدة تفيد باختلاف المؤرخين في اسم هذا الوزير اليهودي.

وكان لولده **بلكين**، خاصة من المسلمين يخدمونه، وكان مبغضاً في **اليهودي**[1]، فبلغه أنه تكلم في[2] ذلك لأبيه، فبلغ منه كل مبلغ، فدبر[3] الحيلة، فذكروا أنه دخل عليه يوماً فقبل الأرض بين يديه، فقال له الغلام: ولم ذلك، فقال: يرغب العبد[4] أن تدخل داره مع من أحببت من عبيدك ورجالك، فدخل إليه بعد ذلك، فقدم له ولرجاله طعاماً وشراباً، ثم جعل السم في الكأس **لابن باديس**، فرام القيء[5] فلم يقدر عليه، فحمل إلى قصره وقضى[6] نحبه في يومه. وبلغ الخبر إلى أبيه ولم يعلم السبب، فقرر **اليهودي** عنده أن أصحابه وبعض جواريه سموه. فقتل **باديس** جواري ولده[7]، ومن فتيانه وبني عمّه [جماعة كبيرة][8]، وخافه[9] سائرهم ففروا عنه.

---

[1] في البيان المغرب: ((**مبغضاً في هذا اليهودي**)).
[2] نفسه: ((فيه عند أبيه؛ فبلغ ذلك من اليهودي كل مبلغ)).
[3] في ك: ((فدفن)). وفي البيان المغرب: ((ودبر الحيلة عليه؛ فدخل اللعين يوماً على الفتى وقبل...)).
[4] في البيان المغرب: ((عبدك منك أن...))
[5] في ك: ((القبر))؛ وفي ج: الفلى أو البلى؛ وهي غير واضحة؛ وقد صوبت من البيان المغرب.
[6] في البيان المغرب: ((فقضى نحبه في غد يومه)).
[7] في البيان المغرب: ((من جواري ولده)).
[8] هذه الإضافة من البيان المغرب؛ وهي ضرورية.
[9] في المخطوطين: ((وخافوه)).

وكانت وفاته سنة ست وخمسين وأربعمائة[1]. وبعده قتل **اليهودي** في سنة تسع وخمسين[2].

***

[1] الموافق لـ 1063م.

[2] الموافق لـ 1066م. في ك: ((ثمان))، وفي ج: والمكلية: ((ثمانين))؛ وهذا خطأ؛ وقد صوبه عنان؛ تبعاً لما سيرد في الإحاطة لاحقاً في الفصل المعنون بـ((ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل)).

باديس بن حبوس[1]

ابن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي؛ كنيته أبو مناد؛
ولقبه الحاجب المظفر بالله، الناصر لدين الله.

أوليتـه

قد تقدم الإلماع بذلك؛ عند ذكر ابنه **بلكين**.

حالـه

كان رئيساً يبساً، طاغيةً، جباراً، شجاعاً، داهية، حازماً، جلداً، شديد الأمر، سديد الرأي، بعيد الهمة، مأثور الإقدام، شره السيف، واري زناد[2] الشر، جماعة للمال، ضخمت به الدولة، ونبهت الألقاب، وأمنت لحمايته[3] الرعايا، وطم تحت جناح سيفه العمران، واتسع بطاعته المرهبة الجوانب بأسه النظر، وانفسخ الملك، وكان ميمون الطائر، مُطْعَمَ الظَّفر[4]، مصنوعاً له في الأعداء،

---

[1] توجد ترجمة باديس أيضاً في المغرب، وفي البيان المغرب، واللمحة البدرية، وكتاب العبر، وإعمال الأعلام (القسم الثاني). وقد تربع على عرش غرناطة من سنة 429هـ/1037م إلى سنة 467هـ/1074م.

[2] في المخطوطين: بزناد)).

[3] في ك: ((لحميته)).

[4] أي كثير الظفر.

يقنـع أقتالـه[1] بسلمه، ولا يطمع أعداؤه في حربه. قال **ابن عسكر**[2]: يكنى **أبا مسعود**، وكان من أهل الحزم وحماية الجانب، وكان يخطب ويدعو **للعلويين بمالقة**[3]؛ فلما توفي **إدريس بن يحيى العالي**[4]، ملك **مالقة** سنة ثمان وأربعين وأربعمائة[5].

وقال **الفتح في قلائده**[6]: كان **باديس بن حبوس بغرناطة**[7] عاثياً في فريقه، عادلاً عن سنن العدل وطريقه، وطريقه، يجترئ على الله غير مراقب، ويسري[8] إلى ما شاء [غير ملتفت][9] للعواقب، قد حجب سنانه لسانه، وسبقت إساءته إحسانه، [ناهيك][10] من رجل لم يبت

---

[1] في ك: ((أمثاله)).
[2] راجع هذا النص في تاريخ قضاة الأندلس.
[3] يقصد الحموديين ملوك مالقة والجزيرة الخضراء آنذاك.
[4] ثمة من يقول أن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود الملقب بـ (العالي) بويع ملكاً على مالقة سنة 434هـ/1042م؛ بينما يقول آخرون أنه بويع سنة 439هـ/1057م.
[5] الموافق لـ 1056م.
[6] أي الفتح بن خاقان في كتابه قلائد العقيان.
[7] في المخطوطين: ((غرناطة))؛ وصوبت من القلائد
[8] في قلائد العقيان: ((يجري)).
[9] في المخطوطين والملكية: ((لا ملتفتاً))؛ وصوبت من القلائد.
[10] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين والملكية؛ بينما وردت في القلائد.

من ذنبٍ على ندم، ولم يشرب[1] الماء إلا من قليب[2] دم، أحزم[3] من كاد ومكر، وأجرم[4] من راح وابتكر؛ وما وما زال متقداً[5] في مناحيه، متفقداً لنواحيه، لا يرام بريث[6] ولا عجل، ولا يبيت له جار إلا على وجل.

أخباره في وقائعه

ينظر إيقاعه **بزهير**[7] **العامري** ومن معه في اسم **زهير**. [فقد ثبت منه هنالك][8] نبذة، وإيقاعه بجيش **ابن عباد بمالقة** عندما طرق **مالقة** وتملكها، واستصرخ من استمسك بقصبتها من أساودتها، وغير ذلك مما هو معلوم، وشهرته مغنية عن الإطالة. ومن أخباره في الجبرية والقسوة،

---

[1] في قلائد العقيان: ((ولا شرب)).
[2] القليب؛ جمعها: قُلب وأقلبة: البئر القديمة؛ سميت بذلك لأن ترابها قلب.
[3] في المخطوطين والملكية: ((أجرم))، وصوبت من القلائد.
[4] نفسه: ((أفجر))؛ وصوبت من القلائد.
[5] نفسه: ((**ممتداً**))؛ وصوبت من القلائد.
[6] أي ببطء.
[7] حرفت في ك؛ فكتبت: ((ابن مقيم)).
[8] وردت هذه العبارة في ك هكذا: ((وثبت في ذلك منه)).

قال **ابن حيان**: عندما استوعب الفتكة **بأبي نصر بن أبي نور اليفرني**[1]؛ **أمير رندة**؛ المنتزي[2] بها وقتله، ورجوعها إلى **ابن عباد**، حكى **أبو بكر الوسنشاني**[3] الفقيه الفقيه عن ثقة عنده من أصادقة التجار، أنه حضر **مدينة غرناطة**، حضرة **باديس بن حبوس** الجبار، أيام حدث على **أبي نصر** صاحب **تَاكُرُنَّا** ما حدث، وأن أميرها **باديس** قام للحادثة[4]، وقعد، وهاج من داء عصبيته ما قد سكن، وشق أثوابه، وأعلن أعواله، وهجر شرابه الذي لا صبر له عنه، وجفا ملاذه، وأوهمته نفسه الخبيثة تمالؤ رعيته من أهل **الأندلس**، على الذي دهى **أبا نصر**؛ فسولت له نفسه حمل السيف على أهل حضرته جميعاً، مستحضراً[5] لهم، وكيما ينبرهم[6]، ويخلص **برابرته** وعبيده وعبيده فيريح نفسه. ودبر أن يأتي ذلك إليهم عند اجتماعهم بمسجدهم الجامع الأقرب أيام الجمعة، من قوة

---

[1] في ج، والملكية: ((السفري))، وفي ك: ((الأسفري))؛ وكله تحريف.
[2] في ك: ((المشتري)).
[3] في ك: ((الرسنلشاني))، والملكية: ((الوساشي)).
[4] في المخطوطين، والملكية: ((بالحادثة))؛ فصوبها عنان.
[5] في ك: ((مستعرضاً)).
[6] في ج، والملكية: ((ينفدهم)).

همومه، وشاور وزيره **اليهودي يوسف بن إسماعيل**، مدبر دولته الذي لا يقطع أمراً دونه، مستخلياً مستكتماً بسره، مصمماً في عزمه، إن هو لم يوافقه عليه، فنهاه عن ذلك وخطأ رأيه فيه، وسأله الأناة ومحض الروية، وقال له هبك وصلت إلى إرادتك ممن بحضرتك، على ما في استباحتهم من الخطر، فأنى تقدر على الإحاطة بجميعهم من أهل حضرتك، وبسائط أعمالك؟ أتراهم يطمئنون إلى الذهول عن مصائبهم، والاستقرار في موضعهم؟ ما أراهم إلا سيوفاً ينتظمون عليك في جموعٍ، يغرقونك في لججها أنت وجندك، فرد نصيحته، وأخذ الكتمان عليه، وتقدم إلى عارضه باعتراض الجند في السلاح، والتعبية لركوبه يوم الفتكة، يوم تلك الجمعة، فارتج البلد. وذكر أن **اليهودي** دس نسواناً إلى معارف لهن من زعماء المسلمين **بغرناطة**، ينهاهم عن حضور المسجد يومهم، ويأمرهم بإخفاء أنفسهم، وفشا الخبر فتخلف الناس عن شهود الجمعة، ولم يأته إلاّ نفر من عامتهم،

اقتدوا بمن أتاه[1] من مشيخة **البربر** وأغفال القادمين، وجاء إلى **باديس** الخبر، والجيش في السلاح حوالي قصره، فساءه وفتّ في عضده، ولم يشك في فشو سره، وأحضر وزيره وقلّده البوح بسرّه فأنكر ما قرفه[2] به، وقال ومن أين ينكر على الناس الحذر، وأنت قد استركبت جندك وجميع جيشك في التعبية، لا لسفرٍ ذكرته، ولا لعدو وثب إليك، فمن هناك حدس القوم على أنك تريدهم، وقد أجمل[3] الله لك الصنع في نفارهم، وقادك إصارهم، فأعد نظرك يا سيدي، فسوف تحمد عاقبة رأيي وغبطة نصحي. فنصح وزيره شيخٌ من موالي **صنهاجه**، فانعطف لذلك بعد لأي، وشرح الله صدره. ويجري[4] التعريف بشيء من أمور وزيره.

قال **ابن عذاري المراكشي** في كتابه المسمى **بالبيان المغرب**: أمضى **باديس** كاتب أبيه ووزيره **ابن نغرالة اليهودي**، وعمالاً متصرفين من أهل ملته، فاكتسبوا الجاه

[1] في ج: ((أتاهم)).
[2] في ك: ((قربه)).
[3] في المخطوطين والملكية: ((أجمع))؛ وصوبها عنان.
[4] في ك: ((ويجي)).

في أيامه واستطالوا على **المسلمين**. قال **ابن حيان**: وكان هذا اللعين في ذاته، على ما زوى الله عنه من هدايته، من أكمل الرجال علماً وحلماً وفهماً، وذكاء، ودماثة، وركانة، ودهاء، ومكراً، وملكا لنفسه، وبسطاً من خلقه، ومعرفةً بزمانه، ومداراة لعدوه، واستسلالاً لحقودهم بحلمه، [ناهيك][1] من رجل كتب بالقلمين، واعتنى بالعلمين، وشغف **باللسان العربي**، ونظر فيه، وقرأ كتبه، وطالع أصوله، فانطلقت يده ولسانه، وصار يكتب عنه وعن صاحبه **بالعربي**، فيما احتاج إليه من فصول التحميد لله تعالى، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، والتزكية لدين الإسلام، وذكر فضائله، ما يريده، ولا يقصر فيما ينشئه عن أوسط كتاب الإسلام. فجمع لذلك، السجيج[2] في علوم الأوائل الرياضية وتقدم منتحليها[3] بالتدقيق[4] للمعرفة النجومية، ويشارك في الهندسة والمنطق، ويفوق في الجدل كل مستول منه على

---

[1] هذه الكلمة أضافها عنان.
[2] أي الكثير.
[3] في المخطوطين: ((منتجليها)).
[4] في ج: ((بالتدين)).

غاية، قليل الكلام مع ذكائه، ماقتاً للسباب[1]، دائم التفكر، جماعةٌ للكتب؛ هلك في العشر الثاني لمحرم؛ سنة تسع وخمسين وأربعمائة[2]. فجلل **اليهود** نعشه، ونكسوا لها أعناقهم خاضعين، وتعاقدوه جازعين، وبكوه معلنين، وكان قد حمل ولده **يوسف** المكنى **بأبي حسين** على مطالعة الكتب، وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية، يعلمونه ويدارسونه، وأعلقه بصناعة الكتابة، ورشحه لأول حركته، لكتابة ابن مخدومه **بلكين** برتبة[3] المترشح لمكانه، تمهيداً لقواعد خدمته. فلما هلك **إسماعيل** في هذا الوقت، أدناه **باديس** إليه، وأظهر الاغتباط به، والاستعاضة بخدمته عن أبيه.

***

---

[1] في ك: ((للأسباب)).

[2] الموافق لـ 1166م. يسير هنا دز طيل إلى خلط وقع فيه ابن الخطيب؛ حين التبس عليه الأمر بين إسماعيل بن النغرالة وابنه يوسف بن إسماعيل؛ إذ جعل وفاة الأول سنة 459هـ/ بينما هي سنة وفاة ابنه يوسف. ثم ذكر أن هذا الخلط والوهم وقع فيه أيضاً النباهي في تاريخ المراقبة العليا، وابن خلدون في كتاب العبر. غير أن د. طويل لم يذكر المصدر الذي استند إليه في رأيه.

[3] في المخطوطين: ((بربه)).

مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل ابن نغرالة[1] الإسرائيلي

قال صاحب **البيان**: وترك[2] ابناً له يسمى[3] **يوسف** لم يعرف [ذُلّ[4] الذِّمَّة، ولا قذر **اليهودية**][5]. وكان جميل الوجه، حادّ الذّهن[6]، فأخذ في الاجتهاد[7] في الأحوال، [وجمع المال][8]، واستخراج الأموال، واستعمال **اليهود**[9] على الأعمال، فزادت منزلته عند أميره[10]، وكانت له عليه[11] عيون في قصره من نساءٍ وفتيانٍ، يشملهم[12] بالإحسان، فلا يكاد **باديس** يتنفس،

---

[1] هكذا جاءت هذه المرة في ك.
[2] في المخطوطين: ((وتحرك)).
[3] في البيان المغرب: ((اسمه)).
[4] نفسه: ((**ذلّة**)).
[5] في المخطوطين: ((ذل اليهودية ولا قدر الذمة))؛ وصوبت من البيان المغرب.
[6] في ج: ((الزهد)).
[7] في البيان المغرب: ((فأخذ نفسه بالاجتهاد)).
[8] العبارة الواردة ما بين الحاصرتين سقطت من البيان المغرب.
[9] في البيان المغرب: ((واستعمل اليهود إخوانه على...)).
[10] نفسه: ((أميره باديس)).
[11] نفسه: ((له عيون عليه)).
[12] في المخطوطين: ((يشغلهم))، وفي البيان المغرب: ((شغلهم الملعون...))؛ فصوبها عنان.

إلا وهو يعلم ذلك[1]. ووقع ما تقدم ذكره، في ذكر **بلكين بلكين** من اتهامه بسَمِّهِ[2]، وتوليه التهمة به عند أبيه، للكثير من جواريه وخدامه، وفَتْك هذا بقريب له - تِلْوٍ له في الخدمة والوجاهة - يدعى بالقائد؛ شعر منه بمزاحمته إياه فَتْكة شهيرة، واسْتَهْدَف للناس فَشَغُلت به ألسنتهم، وملئت غيظاً عليه صدورهم؛ وذاعت قصيدة الزاهد **أبي إسحاق الإلبيري**، في الإغراء بهم. واتفق أن أغارت على **غرناطة** بعوثٌ **صُمادحية**[3]؛ تقول: إنها باستدعائه، ليصير الأمر **الصنهاجيّ** إلى مجهزها[4] الأمير بمدينة **ألمرية**. **وباديس** في هذه الحال منغمسٌ في بطالته، عاكفٌ على شرابه. ونمي هذا الأمر إلى رهطه من **صنهاجة**؛ فراحوا[5] إلى دار دار **اليهودي** مع العامة، فدخلوا عليه، فاختفى - زعموا في بيت فحم، وسَوَّد وجهه؛ يروم التنكير - فقتلوه لما عرفوه، وصلبوه على باب **مدينة غرناطة**؛ وقتل من

---

[1] هنا ينتهي النص في البيان المغرب.
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بنسمه)).
[3] يقصد بصمداحية؛ أنها تنتمي للمعتصم بن صمادح أمير المرية في ذلك الوقت.
[4] في المخطوطين: ((مجهدها)).
[5] في ك: ((فوجوا)).

اليهود في يومه، مقتلةٌ عظيمة، ونهبت دورهم، وذلك سنة تسع وخمسين وأربعمائة[1].

وقبره اليوم، وقبر أبيه يعرف أصلاً من **اليهود** ينقلونه بتواترٍ عندهم، أمام **باب إلبيرة**، على غلوة، يعترض الطريق، على لحده [2] حجارة كدان جافية الجرم، ومكانه من الترفه والترف والظرف والأدب معروفٌ، وإنما أتينا ببعض أخباره لكونه ممن لا يمنع ذكره في أعلام الأدباء والأفراد إلا نحلته[3].

***

مكان باديس من الذكاء وتولعه بالقضايا الآتية

قال **ابن الصّيرفي**: حدثني **أبو الفضل جعفر الفتى**؛ وكان له صدقٌ. وفي نفسه عزة وشهامة وكرم، وأثنى عليه، وعرف به، حسبما يأتي في اسم جعفر المذكور.

---

[1] الموافق لـ 1066م. في إعمال الأعلام لابن الخطيب: ((قتلوه وصلبوه سنة 469هـ، وقيل سنة 465هـ)).

[2] في المخطوطين: ((الحدة)).

[3] في المخطوطية: ((محلة)).

قال، خاض **باديس** مع أصحابه في المجلس العلي، من دار الشَّراب بقصره، واصطفت الصقاليب[1] والعبيد بالبَرْطَل[2] المتصل به لتخدم إرادته، فورد عليه نبأ؛ قام لتعرفه عن مجلسه، ثم عاد إلى موضعه؛ وقد تجهم وجهه، وخبثت نفسه، فحذر ندماؤه على أنفسهم، وتخيلوا وقوع الشر بهم؛ ثم قال: أعلمتم ما حدث؛ قالوا: لا والله يطلع على خير. قال: دخل **المرابط**[3] **الدِّمنة**، فسُري عن القوم، وانطلقت ألسنتهم بالدّعاء بِنَصْره، وفُسْحة عمره، ودوام دولته؛ ثم وَجَمُوا لِوُجُومِه. فلما رأى تكدر صَفْوهم؛ قال: أقبلوا على شأنكم؛ ما نحن وذاك؛ ((اليوم خمر وغداً أمر[4]))؛ بيننا وبينه أمداد الفَجْو، والنشور الجبال وأمواج البحار؛ ولكن لا بد له أن يتملك بلدي، ويقعد

[1] يقصد بالصقاليب: الصقالبة؛ وهم الفتيان المماليك من الصرب أو من جنسيات أوروبية مختلفة.

[2] البرطل: هي البهو المبني بالأعمدة والشرفات؛ وقد استمدت من اللغة القشتالية Portal. ومازالت هذه الكلمة مستعملة في بعض مناطق الجزائر؛ حيث يسمى البهو: ((برطال)).

[3] أي عبر أمير المرابطين يوسف بن تاشفين إلى الأندلس.

[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت كلمة (أمر): ((آخر)). وهذا القول المأثور قاله الشاعر الجاهلي امرؤ القيس؛ عندما وصله خبر مقتل أبيه؛ بينما كان يلهو بشرب الخمر.

منه مقعدي، وهذا أمر لا يلحقه أحد منا، وإنما يشقى أحفادنا.

قال **جعفر**: فلما دخل الأمير القصر، عند خلعه حفيد **باديس برحبة مُؤَمِّل**[1]؛ طاف بكل ركن ومكان منه، وأنا في جملته حتى انتهى إلى ذلك المجلس؛ فبسط له ما قعد عليه؛ فتذكرت قول **باديس**، وتعجبت منه تعجباً ظهر علي؛ فالتفت إليّ أمير المسلمين منكراً، وسألني ما بي؛ فأخبرته وصدقته، وقصصت عليه قول **باديس**؛ فتعجب، وقام إلى المسجد بمن معه، فصلى فيه ركعات، وأقبل يترحم على قبره.

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((برعبة مؤمل)). أما رحبة مؤمل: فهي ساحة جميلة ومتنزها رائعاً بغرناطة؛ تقع جنوب غربي الحمراء. وسميت هذه الساحة أو الرحبة بذلك؛ نسبة إلى أحد خدام باديس بن باديس سلطان غرناطة؛ وكان يسمى ((مؤمل)).

وفاتـه

قال **أبو القاسم بن خلف**: توفي **باديس** ليلة الأحد الموفي عشرين من شوال؛ سنة خمسة وستين وأربعمائة[1]، ودفن **بمسجد القصر**. قلت: وقد ذهب أثر المسجد، وبقي القبر؛ يحف به حلقٌ له باب، كل ذلك على سبيل من الخمول. وجدث القبر رخام، إلى جانب قبر **الأمير المجاهد أبي زكريا يحيى بن غانية**[2]؛ المدفون في **دولة**[3] **الموحدين** به. وقد أدال اعتقاد الخليفة في **باديس** بعد وفاته، قدم العهد بتعرف أخبار جبروته وعتوه على الله سبحانه، لما جبلهم عليه من الانقياد للأوهام [والانصياع للأضاليل][4]، فعلى حفرته اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج والمستشفين من

---

[1] الموافق لـ 1072م. ذكر هذا التاريخ أيضاً في اللمحة البدرية؛ غير أن ابن خلدون يرى ـ في كتاب العبر ـ أن باديس توفي سنة 467هـ؛ بينما يضطرب القلقشندي في صبح الأعشى؛ إذ يقول ـ مرة ـ أن باديس توفي سنة 467هـ، ومرة أخرى يقول أنه مات سنة 477هـ.

[2] سبقت الإشارة إليه.

[3] في ك: ((بدولة)).

[4] حرفت هذه العبارة في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((وانقطاع الأصاليل)).

الأسقام، حتى أولو الدواب الوجيعة، ما ليس على قبر **معروف الكرخي، وأبي يزيد البسطامي**[1].

ومن أغرب ما وقفت عليه رقعة؛ رفعها إلى السلطان على يدي، رجل من أهل الخبر مُكَتِّب[2] يَؤُمُّ في مسجد القصبة القُدْمَى من دار **باديس**، يعرف **بابن باق**، وهو يتوسل إلى السلطان، ويسأل منه الإذن في دفنه [مجاوراً لقبره][3]. وعفو الله أوسع من أن يضيق على مثله، ممن أسرف على نفسه، وضيع حق ربه. ودايره اليوم طلول؛ قد تغيرت أشكالها، وقسم التملك جناتها؛ ومع ذلك فمعاهدها إليه منسوبةٌ، وأخباره متداولة.

وقد ألمعت في بعض مشاهده بقولي من قصيدة، غريبة الأغراض، تشتمل على فنون[4] أثبتها إحماضاً

---

[1] هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي (نسبة إلى الكرخ وهي القسم الغربي من بغداد)؛ توفي ببغداد سنة 200هـ/815م. أما البسطامي فهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البِسطامِي، من مدينة بسطام بفارس؛ توفي سنة 264هـ/877م. وهو أيضا كمن أقطاب الصوفية.

[2] أي الذي يعلم الكتابة.

[3] وردت هذه العبارة في ك؛ هكذا: ((وبجوار القبر)).

[4] في المخطوطين: ((فتوق)).

وفكاهة، لمن يطالع هذا الكتاب، وإن لم يكن جلبها ضرورياً فيه فمنها[1]:

عسى خطرة[2] بالركب يا حادي العيــس
على الهضبة الشَمَّاء من قصر باديــس

***

[1] ورد هذا البيت مطلعاً لقصيدة في 36 بيتاً؛ وذلك في كتاب نثير فرائد الجمان))، وهي من البحر الطويل.

[2] في نثير الجمان: ((خطوة)).

بُحْرونُ بنُ أُبي تَمْر

ابنِ الأشْقَر الحَضْرَمي؛ يكنى أبا يحيى

حالـه

كان من ذوي الأصالة ومشايخ الجند، فارساً نجداً حازماً سديد الرأي، مسموع القول، شديد العُضْلة[1] أيِّداً[2]، فحلاً وسيماً، قائداً عند الجند الأندلسي، في أيام السلطان ثاني **ملوك بني نصر**، من[3] أحفل ما كان الأمر، يجر وراءه دنيا عريضة، وجبى الجيش على عهده مغانم كثيرة.

[1] أي الدهاء.
[2] أي القوي.
[3] في ك: ((بين)).

قال شيخنا **ابن شبرين**[1] في **تذكرة ألفيتها بخطه**: كان له في الخدمة مكانٌ كبير، وجاهٌ عريض، ثم صرفه الأمر عن رسمه، وأنزله الدهر عن حكمه، تغمدنا الله وإياه برحمته.

وفاته

في عام أربعة عشر وسبعمائة[2]، ودفن بمقبرة قومه **بباب إلبيرة**.

***

[1] وفي ج: ((ابن شيرين))؛ وهو تحريف.
[2] الموافق لـ 1314م.

بـــدر

مولى عبد الرحمن بن معاوية، الداخل؛ يكنى أبا النصر، رومي الأصل.

حالـه

كان شجاعاً داهية، حازماً فاضلاً، مصمماً تقياً، علماً[1] من أعلام الوفاء. لازم مولاه في أعقاب النكبة، وصحبه إلى **المغرب الأقصى**، مختصاً به ذابا عنه، مشتملا عليه، وخطب له الأمر **بالأندلس**، فتم له بما هو مذكور.

قال **أبو مروان**[2] **في المقتبس**: إن **عبد الرحمن** لما شرده الخوف إلى قاصية **المغرب**، وتنقل بين **قبائل البربر**، ودنا من **ساحل الأندلس** وكان بها همه يستخبر من قرب، فعرف أن بلادها مفترقةٌ بفرقتي **المضرية واليمانية**، فزاد ذلك في أطماعه، فأدخل إليهم **بدراً** مولاه يحسس[3] عن خبرهم، فأتى القوم ويلي ما عندهم، فداخل **اليمانيين** منهم، وقد عصفت ريح **المضريين** بظهور **بني**

---

[1] في المخطوطين والملكية: ((**عالماً**))؛ وهو تحريف.
[2] هو ابن حيان؛ مؤرخ الأندلس. سبقت الإشارة إليه.
[3] في ك: ((**يجسس**)).

العباس بالمشرق؛ فقال لهم: ما رأيكم في رجل من أهل الخلافة يطلب الدولة بكم، فيقيم أودكم ويدرككم آمالكم. فقالوا: ومن لنا به في هذه الديار، فقال **بدرٌ**: ما أدناه منكم، وأنا الكفيل لكم به، هذا فلان بمكان كذا وكذا يقدمن نفسه [فقالوا: فجئ به أهلاً][1]؛ إنا سراعٌ إلى طاعته، وأرسلوا **بدراً** بكتبهم[2] يستدعونه، فدخل إليه بأيمن طائر، واستجمع إليه خلق كثير[3] من أنصاره قاتل بهم **يوسف الفهري**، فقهره لأول وقائعه، وأخذ **الأندلس** منه وأورثها عقبه.

محنته

قال الراوي: وكان من أكبر من أمضى عليه **عبد الرحمن بن معاوية** حكم سياسته وقومه معدلته[4]، مولاه **بدر** المعتق منه بكل ذمة محفوظة، الخائض معه لكل غمرة مرهوبة، وكل ذلك لم يغن عنه نقيراً لما أسلف في إدلاله

---

[1] في ك: ((فقال يجي أهلا به)).
[2] في المخطوطين: ((بتبكم)).
[3] أضيفت هذه الكلمة من الملكية.
[4] في ك: ((معتدلة)).

عليه، وكثير من الانبساط لحرمته [فجمح مركب تحامله][1] حتى أورده ألماً يضيق[2] الصدر عنه، وآسف أميره ومولاه، حتى كبح عنانه عن نفسه بعد ذلك كبحة أقعى بها أو شارف حمامه، لولا أن أبقى الأمير على نفسه التي لم يزل مسرفاً عليها. قال: فانتهى في عقابه[3] لما سخط عليه أن سلب نعمته، وانتزع دوره وأملاكه وأغرمه على ذلك كله أربعين ألفاً من صامته، ونفاه إلى **الثغر**، فأقصاه عن قربه، ولم يقله العثرة[4] إلى أن هلك، فرفع طمع الهوادة عن جميع ثقله وخدمته، وصير خبره مثلا في الناس بعده.



[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فجمع به مركب بحامله))؛ فصوبها عنان.
[2] في ك: ((يطيق)).
[3] في ك: ((أعقابه)).
[4] في ك: ((العشرة)).

تاشفين بن علي[1]

ابن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة؛
صالي[2] حروب الموحدين

أوليتـه

فيما يختص به التعريف بأولية قومه، ينظر في اسم أبيه وجده إن شاء الله. قال **ابن الوراق في كتاب المقياس** وغيره: وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة[3]، ولى الأمير[4] **علي بن يوسف أمير لمتونة**، الشهير **بالمرابط**[5] ولده الأمير المسمى **بسير** عهده من بعده، وجعل له الأمر في بقية حياته، ورأى أن يولي ابنه **تاشفين الأندلس**، فولاه مدينة **غرناطة**[6]، **وألمرية** ثم **قرطبة** مضافة إلى ما بيده، قلت، وفي قولهم: رأي أن يولى **الأندلس** فولاه **مدينة غرناطة**، شاهد كبير على ما وصفناه[7] من شرف هذه

---

[1] ترجمة تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين موجودة أيضاً في الحلل الموشية، والبيان المغرب، والذخيرة.
[2] في ك: ((طالي))، أو ((كالي)).
[3] الموافق لـ 1128م.
[4] هذه الإضافة من الملكية.
[5] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالمرابطين)).
[6] في البيان المغرب: ((فولاه إمارة أغرناطة)).
[7] في المخطوطين: ((أوصلنا))؛ وصوبت من مخطوط رواق المغاربة.

المدينة، فنظر في مصالحها، وظهر له بركة[1] في النصر على العدو، وخدمه الجَدُّ الذي أسلمه، وتبرأ منه في حروبه مع **الموحدين** حسبما يتقرر في موضعه، فكانت له على **النصارى** وقائع عظيمة بعد لها الصيت، وشاع الذكر حسبما يأتي في موضعه.

قال: فكبر ذلك على أخيه **سير** ولي عهد أبيه، وفاوض أباه في ذلك وقال له: إن الأمر الذي أهلتني إليه لا يحسن لي مع **تاشفين**، فإنه قد حمل الذكر والثناء دوني، وغطى على اسمي، وأمال إليه جميع أهل[2] المملكة، فليس لي معه اسمٌ ولا ذكرٌ. فأرضاه بأن عزله عن **الأندلس** وأمره بالوصول إلى حضرته، فرحل عن **الأندلس** في أواسط سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة[3]؛ ووصل **مراكش**، وصار من جملة[4] من يتصرف بأمر أخيه أخيه **سير** ويقف ببابه كأحد حجابه، فقضى الله وفاة الأمير **سير** على الصورة القبيحة؛ حسبما يذكر في اسمه،

---

[1] وفي (ر. م): ((بارقة)).
[2] ((أهل)) سقطت في البيان المغرب.
[3] الموافق لـ 1136م.
[4] في ك والملكية: ((الجملة)).

وثكله أبوه واشتد جزعه عليه، وكان عظيم الإيثار والإرضاء لأمه **قمر**، وهي التي تسببت في عزل **تاشفين،** وإخماله؛ نظراً إلى ابنها، فقطع لمقدار بها عن أملها بهلاكه. ولما توفي الأمير[1] **سير**، أشارت الأم المذكورة على أبيه بتقديم ولده **إسحاق**؛ وكان رؤوماً لها؛ قد تولت تربيته عند هلاك أمه وتبنته؛ فقال لها، هو صغير السن لم يبلغ الحلم، ولكن حتى[2] أجمع الناس في المسجد خاصة وعامة، وأخبرهم فإن صرفوا الخيار إليَّ فعلت ما أشرت به. فجمع الناس وعرض عليهم الأمر؛ فقالوا كلهم في صوت واحد: **تاشفين**؛ فلم توسعه السياسة مخالفتهم؛ فعقد له الولاية بعده، ونقش اسمه في الدنانير والدراهم مع اسمه، وقلده النظر في الأمور السلطانية؛ فاستقر بذلك. وكتب إلى **العدوة والأندلس وبلاد المغرب** ببيعته[3]، فوصلت البيعات من كل جهة. ثم رمى به جيوش

---

[1] وردت في الملكية، و (ر. م)؛ بينما سقطت في المخطوطين.
[2] سقطت في المخطوطين والملكية؛ ووردت في (ر. م).
[3] في المخطوطين والملكية: ((في بيعته)).

الموحدين الخارجين عليه، فنبا جده ومرضت أيامه، وكان الأمر عليه؛ لا له بخلاف ما صنع الله له **بالأندلس**.

قال **أبو مروان الوراق:** [وكان[1] **أمير المسلمين]**[2]، **علي بن يوسف بن تاشفين** قد أمّل في ابنه **تاشفين** ما لم تكن الأقدار تساعده به؛ فتشاءم به وعزم على خلعه، وصرف عهده[3]، إلى **إسحاق**[4] ولده الأصغر؛ ووجه إلى عامله على **إشبيلية أغمار**[5]، أن يصل إليه ليجعله شيخ ابنه، إلى أن وافاه خبرٌ أمضَّه وأقلقه ولم يمهله، فأزعج **تاشفين** إلى عدوه على غير أهبة بتفويضه إياه، وصرف المدد في إثره، وتوفي لسبع خلون من رجب؛ سنة سبع وثلاثين[6]؛ لفعله ذلك[7].

---

[1] في البيان المغرب: ((وكان)).

[2] في المخطوطين والملكية: ((الأمير)).

[3] في المخطوطين والملكية: وصرفه وعده)).

[4] كلمة (إسحاق) سقطت في البيان المغرب.

[5] في البيان المغرب: ((عمر)).

[6] سنة 537هـ/1142م.

[7] في الملكية وفي ك: ((تفعله ذلك)). بينما أغفلت في (ر. م).

ملكـه ووصـف حالـه

فأفضى إليه ملك أبيه، بتفويضه إياه في حياته، لسبع خلون من رجب؛ سنة سبع وثلاثين وخمسمائة[1]، وكان بطلاً شجاعاً حسن الركبة والهيئة. سالكاً ناموس الشريعة، مائلاً إلى طريقة المستقيمين، وكتب المريدين، قيل إنه لم يشرب قط مسكراً ولا استمع إلى قينة[2]، ولا اشتغل بلذة[3] مما يلهو به الملوك.

الثنـاء عليـه

قال **ابن الصيرفي**: وكان بطلاً شجاعاً، أحبه الناس، خواصهم وعوامهم، وحسنت سياسته فيهم، وسد الثغور، [أذكى على العدو العيون][4]، وآثر الجند، ولم يكن منه إلا الجد، ولم تنل عنده الحظوة[5] إلا بالعناء والنجدة. وبذلك حمل على الخيل، وقلد الأسلحة،

[1] الموافق لـ 1142م.
[2] حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((غنية. عينة)).
[3] في ج: ((بمرة)).
[4] في الحلل الموشية: ((وأذكى العيون على العدو)).
[5] في المخطوطين: ((حظوة))، وفي الحلل الموشية: ((الخطوة)).

وأوسع الأرزاق، واستكثر من الرماة[1]، وأركبهم، وأقام همّتهم[2] [للاعتناء بالثغور ومباشرة الحرب، ففتح الحصون وهزم الجيوش وهابه العدو][3]، ولم ينهض إلا ظاهراً[4] ولا صدر إلا ظافراً[5]، وملك الملك ومهد بالحزم وتملك[6] نفوس نفوس الرعية بالعدل[7]. وقلوب الجند بالنصفة. ثم قال: ولولا الاختصار الذي اشترطناه لأوردنا من سنى[8] خلاله ما يضيق عنه الرحب، ولا يسعه الكتب.

دينـه

قال المؤرخ: عكف على زيارة قبر **أبي وهب الزاهد بقرطبة**، وصاحب أهل الإرادة، وكان وطيء الأكناف[9]، سهل الحجاب. يجالس الأعيان ويذاكرهم. قال **ابن الصيرفي**، ولما قدم **غرناطة** أقبل على صيام النهار، وقيام

---

[1] في الحلل الموشية: ((الرمات)).
[2] في الحلل الموشية: ((هممهم)).
[3] ما جاء بين حاصرتين؛ وارد في (ر. م) فقط
[4] في الملكية، (ر. م): ((ظهر)).
[5] نفسه، وفي (ر. م)): ظفر.
[6] في الحلل الموشية: ((وملك)).
[7] نفسه: ((بالمعدلة)).
[8] في ك: ((من سنن خلاله)).
[9] يقصد بالأكناف: النواحي.

الليل، وتلاوة القرآن، وإخفاء الصدقة، [وإنشاء العدل][1]،
العدل][1]، وإيثار الحق.

دعابتـه

قالوا: مَرَّ يوماً **بمرج القرون**، من **أحواز قلعة يحصب**[2]؛ فقال لزمال من عبيده كان يمازحه هذا مرجك، مرجك، فقال الزمال ما هو إلا مرجك ومرج أبيك، وأما أنا فمن أنا؟ فضحك وأعرض عنه.

دخوله غرناطـة

قالوا: وفي عام ثلاثة وعشرين وخمسمائة[3]، ولي الأمير **أبو محمد تاشفين بن أمير المسلمين علي بن أمير المسلمين يوسف**، ووافاها في السابع عشر[4] لذي حجة، فقوى الحصون وسد الثغور وأذكى العيون[5]، وعمد إلى رحبة القصر، فأقام بها السقائف والبيوت، واتخذها لخزن

---

[1] ما بين الحاصرتين؛ وارد فقط في: (ر. م).
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((يصعب)). وقلعة يحصب سبقت الإشارة إليها.
[3] الموافق لـ 1128م.
[4] في البيان المغرب: ((في السابع والعشرين)).
[5] نفسه: ((العيون على العدو)).

السلاح ومقاعد الرجال، وضرب السهام[1]، وأنشأ السقي، وعمل التراس، ونسج الدروع، وصقل البيضات والسيوف، وارتبط الخيل، وأقام المساجد في الثغور، وبنى لنفسه مسجداً بالقصر، وواصل الجلوس للنظر في الظلامات[2]، وقراءة الرقاع، ورد الجواب، وكتب التوقيعات، وأكرم الفقهاء والطلبة، وكان له يوم في كل جمعة، يتفرغ فيه للمناظرة.

وزراؤه

قال **أبو بكر**: وقرن الله به ممن ورد معه، **الزبير بن عمر اللمتوني**، ندرة[3] الزمان كرماً وبسالة، وحزماً وأصالة. فكان كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من ولي شيئاً من أمور المسلمين فأراد الله به خيراً، جعل الله له بطانة خيرٍ، وجعل له وزيراً صالحاً، إن نسي شيئاً ذكره، وإن ذكره أعانه)**.

---

[1] في المخطوطين: ((الهام)).
[2] نفسه: ((الظلمات))؛ وصوبت من (ر. م).
[3] في ج: ((نورة)).

عمالـه

الوزير **أبو محمد الحسين بن زيد بن أيوب بن حامد ابن منحل**[1] **[بن يزيد]**[2].

كتابـه

الرئيس العالم **أبو عبد الله بن أبي الخصال**، والكاتب المؤرخ **أبو بكر الصيرفي**، وغيرهم[3].

من أخبار [جهاده][4]

خرج **الأمير تاشفين** في رمضان؛ عام أربعة وعشرين وخمسمائة[5] بجيش **غرناطة** ومطوعتها، واتصل به جيش **قرطبة** إلى **حصن السكة** من **عمل طليطلة**، وقد اتخذه العدو ركاباً لإضراره بالمسلمين، وشحنه وجم به شوكة حادة **بقومس**[6] مشهور، فأحدق به، ونشر الحرب

---

[1] في ك: ((محمد)).
[2] ما بين، حاصرتين موجود فقط في: (ر. م).
[3] هذه الكلمة واردة فقط في: (ر. م)). وجعلها د. طويل: ((غيرهما))؛ وهو أصح.
[4] ما بين حاصرتين واردة فقط في (ر. م)). وفي المخطوطين والملكية: ((ومن أخباره)).
[5] الموافق لـ 1129م.
[6] القومس هنا من ألقاب الشرف؛ وهو باللاتينية: Comes؛ ا، الكونت.

عليه، فافتتحه عنوة وقتل من كان به، وأحيا[1] قائده **فرند**[2]؛ ومن معه من الفرسان، وصدر إلى **غرناطة**، فبرز له الناس بروزاً لم يعهد مثله.

وفي شهر صفر؛ من عام خمسة وعشرين[3] أوقع بالعدو المضيق على أوليته. وفي ربيع الأول؛ من عام ستة وعشرين[4]، تعرف خروج عدو **طليطلة** إلى **قرطبة**؛ فبادر **الأمير تاشفين** إلى **قرطبة**، ثم نَهدَ[5] إلى العدو في خَفٍّ، وترك السيقة والثقل **بأرجونة**. وقد اكتسح [العدو][6] **بشنت بشنت إشطيبن**[7] **والوادي الأحمر**. وأسرى الليل، وواصل الركض، وتلاحق بالعدو **بقرية براشة**. فتراءى الجمعان صبحاً، وافتضح الجيش، ونشرت الرماح والرايات، وهدرت الطبول، وضاقت المسافة، وانتبذ العدو عن

---

[1] في (ر. م): ((واستحى)).

[2] في الملكية: ((فرنك)). وفرناندو Fernando.

[3] الموافق لـ 1130م.

[4] الموافق لـ 1131م.

[5] أي وبرز إليه.

[6] وردت هذه الكلمة في (ر. م) فقط

[7] هكذا في (ر. م) وهو الصواب لهذا الاسم. وفي المخطوطين: ((بشط أشطن)) وهو تحريف. وشنت أشطيبن، أو (شنت إشتيبن) هو حصن حصين يقع في أعمال جيان؛ يسمى بالإسبانية San Esteban.

الغنيمة، والتف الجمع، فتقصرت الرماح، ووقعت المسابقة، ودارت الحرب على العدو، وأخذ السيف مأخذه، فأتى القتل على آخرهم، وصدر إلى **غرناطة** ظافراً[1].

وفي آخر هذا العام خرج العدو **للنمط** وقد احتفل في جيشه إلى بلاد الإسلام، فصبح **إشبيلية** يوم النصف من رجب، وبرز إليه **الأمير أبو حفص عمر بن علي بن الحاج**[2]، فكانت به الدبرة[3] في نفر من المسلمين استشهد جميعهم، ونزل العدو على فرسخين من المدينة فجللها[4] نهباً وغارةً، فقتل عظيماً، وسبى عظيماً، وبلغ الخبر **الأمير تاشفين**، فطوى المراحل، ودخل **إشبيلية**، وقد أسرها، واستؤصلت باديتها، وكثر بها التأديب والتنكيل[5] فأخذ أعقاب العدو، وقد قصد ناحية **بطليوس وباجة**

[1] في المخطوطين: ((**ظاهراً**)).
[2] في الملكية: ((**أبو جعفر محمد بن الحاج**)).
[3] أي الهزيمة.
[4] في ج: ((**فحللها**)).
[5] في المخطوطين: ((**التأكل**)).

ويابرة[1]؛ في ألف[2] عديدة من أنجاد الرجال، ومشهور الأبطال، [فراش جَوْلاً عَهْداً بالرَّوْع][3]؛ فظفر بما لا يحصيه أحد، ولا يقع عليه عدد، وانثنى على رسل انتقل[4] السيقة، وثقته ببعد الصارخ[5]، وتجشمت بالأمير **تاشفين** الأدلاء كل ذروة وثنية، وأفضى به الإعداد[6] إلى فلاة بقرب **الزلاقة**، وهو المهيع الذي يضطر العدو إليه، ولم يكن إلا كلا ولا، حتى أقبلت الطلائع منذرةً بإقبال العدو، والغنيمة في يده قد ملأت الأرض. فلما تراءى الجمعان، واضطربت[7] المحلات، ورتبت المراكب، فأخذت فأخذت مصافها، ولزمت الرجال مراكبها[8]، فكان القلب مع الأمير ووجوه **المرابطين** وأصحاب الطاعات، وعليه

---

[1] باجة: سبق التعريف بها. أما بطليوس Badajoz : فهي من القواعد الهامة في الأندلس؛ تقع في الحدود مع البرتغال؛ في الجنوب الغربي من إسبانيا. أما يابرة Evora: فتقع شمال باجة؛ بالبرتغال.

[2] في الحلل الموشية: ((**آلاف**)).

[3] في المخطوطين والملكية: ((**فراس حوالاً عهد بالروع**))؛ فصوبها عنان.

[4] في البيان المغرب: ((**لثقل**)).

[5] نفسه: ((**وثقتهم ببعد الصارخ منهم...**)).

[6] نفسه: ((**الإغذاذ به إلى فدان بقرب**)).

[7] نفسه: ((**واضطربت المحلتان وترتبت المواكب**..)).

[8] في البيان: ((**مراكزها فكان في قلب**...)).

البنود الباسقات، مكتَّبَة[1] بالآيات، وفي المجتبين[2] كبار الدولة من أبطال **الأندلس**، عليهم حمر الرايات بالصور الهائلة[3]، وفي الجناحين أهل الثغر والأوشاب من أهل الجلادة، عليهم الرايات المرقعات[4]، بالعذبات المجزعات[5]. وفي المقدمة مشاهير **زناتة**[6] **ولفيف الحشم** بالرايات المصبغات المُنَبَّقات[7]. والتقى الجمعان، ونزل الصبر، وحميت النفوس، واشتد الضرب والضراب وكثرت الحملات، فهزم الله الكافرين، وأعطوا رقابهم مدبرين، فوقع القتل، واستلحم العدو السيف، واستأصله الهلاك والأسار، وكان فتحاً جليلا لا كفاء له، وصدر **الأمير تاشفين** ظافراً إلى بلده[8] في جمادى من هذا العام. ولو

---

[1] في الحلل الموشية: ((مكتوبة)).

[2] في ج: ((المجتبين)) بينما بقي في مكانها بياض في ك؛ فصوبت من المكية. وفي وفي البيان والحلل: ((وفي الجانبين كفاة الدولة وحماة الدعوة من أبطال...)).

[3] في البيان والحلل: ((الهائلات)).

[4] أي خرق الألوية.

[5] في الملكية: ((بالمعذبات المشرعات)).

[6] زناته من أكبر وأشه القبائل البترية الأمازيغة. وقد سبقت الإشارة إليها.

[7] أي المزركشة. وفي البيان المغرب: ((بالرايات المصنفة)).

[8] في الحلل الموشية: ((إلى قرطبةعزيزاً ظافراً؛ وكان ذلك سنة ثمان وعشرين وخمسمائة. وفي البيان المغرب: ((إلى قرطبة ثم إلى أغرناطة؛ وذلك في جمادى الأولى من سنة ثمان وعشرين...)).

ذهبنا لاستقصاء حركات **الأمير تاشفين** وظهوره لاستدعى ذلك طولا كثيراً.

بعض ما مدح به

فمن ذلك[1]:

أمـــا وبيـــض الهنـــد عنك خصـــوم
فالـــروم تبـــذل مـــا ظبـــاك تـــروم
تمـــضي سيوفك في العـــدا ويردهـــا[2]
عـــن نفســـه حيـــث الكـــلام وخيـــم[3]

وهذه القصائد قد اشتملت على أغراضها الحماسية.

والملك سوقٌ يجلب إليها ما ينفق عندها.

---

[1] هذان البيتان في البيان المغرب. وهما من البحر الكامل.
[2] في المخطوطين: ((وبردها)).
[3] في البيان المغرب: ((رحيم)).

وفاتـه

قد تقـدم انصرافه عـن **الأندلـس** سنـة إحـدى وثلاثيـن وخمسماية[1]، وقيـل سنـة اثنيـن[2]، واستقـراره **بمراكـش** مرؤوساً لأخيه **سير**، إلى أن أفضى إليه الأمر بعد أبيه. قـال: واستقبـل **تاشفيـن** مدافعة جيـش [أميـر][3] **الموحديـن**، **أبـي محمـد عبـد المؤمـن بـن علـي خليفـة مهديهـم**، ومقاومة أمر قضى الله ظهوره، والدفاع عن ملك بلغ مداه، وتمت أيامه. كتب[4] الله عليه، فالتأث سعده، وفل جده، ولم تقـم لـه قائمـةٌ إلـى أن هـزم، وتبـدد عسكـره، ولجـأ إلـى **وهـران**، فأحاط به الجيش، وأخذ الحصار، قالوا فكان من تدبيره أن يلحق ببعض السواحل، وقد تقدم به وصول **ابـن ميمـون** قائد أسطولـه، ليرفعـه إلـى **الأندلـس**، فخـرج ليـلا فـي نفـر مـن خاصتـه فرقهـم الليـل، وأضلهـم الـروع، وبددتهـم الأوعـار، فمنهـم مـن قتـل، ومنهـم مـن لحـق

---

[1] الموافق لـ 1136م.
[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((اثنتين)).
[3] هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين.
[4] في ج: ((كتاب)).

بالقطائع البحرية، وتردى **بتاشفين** فرسه من بعض الحافات، ووجد ميتاً في الغد، وذلك ليلة سبع[1] وعشرين لرمضان؛ سنة تسع وثلاثين وخمسمائة[2]، وصلبه **الموحدون**، واستولوا على الأمر من بعده، والبقاء لله تعالى[3].

***

---

[1] في ت: ((تسع)) وهو تحريف.
[2] الموافق لـ 1144م.
[3] راجع عنان هذه الترجمة بالكامل من مخطوط رواق المغاربة بالأزهر.

ثابت بن محمد

الجرجاني[1]؛ ثم الإستراباذي[2]؛ يكنى أبا الفتوح

حاله

قال **ابن بسام**[3]: كان الغالب على أدواته **علم اللسان**، وحفظ الغريب، والشعر الجاهلي والإسلامي، إلى المشاركة في أنواع التعاليم، والتصرف في حمل السلاح، والحذق بأنواع[4] الجندية، والنفاذ في أنواع[5] الفروسية، فكان الكامل في خلال جمة. قال **أبو مروان**: ولم يدخل **الأندلس** أكمل من **أبي الفتوح** في علمه وأدبه. قال **ابن زيدون** لقيته **بغرناطة**: فأخذت عنه أخبار المشارقة، وحكايات كثيرة، وكان غزير الأدب، قوي الحفظ في اللغة، نازغا إلى علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة، له بذلك قوة ظاهرة.

---

[1] وتوجد أيضاً ترجمة ثابت بن محمد الجرجاني في بغية الوعاة، وجذوة المقتبس، والذخيرة، وبغية الملتمس، والصلة، ومعجم الأدباء.
[2] في النسخ الثلاث: ((الإستريادي))؛ وهو تحريف. وصوابه الإستربادي نسبة إلى استراباذ الفارسية؛ من أعمال طبرستان.
[3] في كتاب الذخيرة.
[4] في الذخيرة: ((بالآلات)).
[5] نفسه: ((معاني)).

طـروؤه علـى الأندلـس

قـال **صاحـب الذخيـرة**: طرأ علـى الحاجـب[1] منـذ صـدر الفتنـة للذائـع مـن كرمـه فأكرمـه[2] ورفـع شـأنـه، وأصحبـه ابنـه[3]، المرشـح لمكانـه[4]، فلـم يـزل لـه بهمـا المكـان المكيـن، إلـى أن تغيـر عليـه **يحيـى**؛ لتغيـر الزمـان، وتقلـب الليـالـي والأيـام بالإنسـان[5]، ولحـق[6] **بغرناطـة بعسكـر البرابـرة**، فحلـت بـه مـن مـن أميرهـم **باديـس** الفاقـرة[7].

مـن روى عنـه

قـال **أبـو الوليـد**: قـرأت عليـه بالحضـرة[8]، **الحماسـة** فـي اختيـار أشعـار **العـرب**، يحملهـا عـن **أحمـد بـن عبـد السـلام ابـن الحسيـن البصـري**، ولقيـه **ببغـداد** سنـة ثمـان وسبعيـن

---

[1] في الذخيـرة: ((الجانـب)).في الحقيقـة لـم يكـن عـلي بـن حمـود حاجبـاً عندمـا طـرأ عليـه الجرجـاني؛ بـل كـان خليفـة في قرطبـة.

[2] في الذخيـرة: ((فأكـرم نزلـه ورفـع مـن شأنـه)).

[3] هـو ابنـه يحـيى بـن عـلي بـن حمـود.

[4] في الذخيـرة: ((المرشـح ـ كـان ـ لسلطانـه)).

[5] في ك: ((بالأسـن)).

[6] في الذخيـرة: ((ففارقـه ولحـق في غرناطـة...)).

[7] الفاقـرة: هي الداهيـة.

[8] حرفـت في المخطوطيـن؛ فكتبـت: ((بحضـرتي ـ بحضـرة)). والحضـرة هنـا هي العاصمـة غرناطـة.

وثلاثمائة[1]، عن **أبي رياش أحمد بن أبي هشام بن شبل العبسي بالبصرة** سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة[2]، وله في الفضائل أخبار كثيرة.

محنته ووفاته

لحقه عند **باديس** مع عمه **يدير بن حباسه** تهمةٌ في التدبير عليه، والتسور على سلطانه، دعتهما إلى الفرار عن **غرناطة**، واللحاق **بإشبيلية**. قال **أبو يحيى الوراق**: واشتد شوق **أبي الفتوح** إلى أهله عند هربه مع **يدير** إلى **إشبيلية** لما بلغه أن **باديس** قبض على زوجته وبنيه وحبسهم بالمنكب عند العبد **قداح** صاحب عذابه، وكان لها من نفسه موقعٌ عظيمٌ[3]، وكانت **أندلسية** جميلة جداً لها طفلان ذكرٌ وأنثى، لم يطق عنهما صبراً وعمل على الرجوع إلى **باديس** طمعاً في أن يصفح عنه، كما عمل مع عمه **أبي ريش**، فاستأمن إلى **باديس** يوم نزوله على **باب إستجه** إثر انهزام **عسكر ابن عباد**، وفارق صاحبه

---

[1] الموافق لـ 988م.
[2] الموافق لـ 959م.
[3] في المخطوطين: ((عظيمة))، وصوبت من الملكية.

يدير، ورمى هو[1] بنفسه إلى **باديس** من غير توثق بأمان أو مراسلة. فلما أدخل[2] عليه وسلم، قال له ابتدي، بأي وجهٍ جئتني يا نمام[3] ما أجرأك على خلقك، وأشد اغترارك[4] بسحرك، فرقت بين **بني ماكسن**، ثم جئت تخدعني كأنك لم تصنع شيئاً، فلاطفه، وقال اتق الله يا سيدي، وارع ذمامي، وارحم غربتي وسوء مقامي، ولا تلزمني ذنب ابن عمك، فما لي سبب فيه، وما حملني على الفرار معه إلا الخوف على نفسي لسابق خلطته، ولقد لفظتني البلاد إليك مقراً بما لم أجنه رغبة في صفحك، فافعل أفعال الملوك الذين يجلون عن الحقد على مثلي من الصعاليك، قال بل أفعل ما تستحقه إن شاء الله، أن تنطلق إلى **غرناطة**، فدم على[5] حالك، والق أهلك إلى [أن][6] أقبل، فأصلح من شأنك. فاطمأن إلى قوله، وخرج إلى **غرناطة** وقد وكل به فارسان، وقد

---

[1] أثبتت في ج، وأغفلت في ك.
[2] في ج: ((دخل)).
[3] في المخطوطين: ((إتمام)).
[4] نفسه: ((اعتراك))؛ وهو تحريف.
[5] سقطت في المخطوطين؛ وأضافها عنان.
[6] كلمة ((أن)) أضافها عنان.

كتب إلى **قداح** بحبسه، فلما شارف إلى **غرناطة** قبض عليه، وحلق رأسه، وأركب على بعير، وجعل خلفه أسود فظٌ ضخم يوالي صفعه، فأدخل البلد مشهراً، ثم أودع حبساً ضيقاً، ومعه رجل من أصحاب **يدير** أسر في الوقعة من **صنهاجة**، فأقاما في الحبس معاً إلى أن قفل **باديس**.

مقتلـه

قال **أبو مروان في الكتاب المسمى بالمتيـن**[1]:

واستـراح [**باديس**][2] أياماً في **غرناطة**؛ يهيـم[3] بذكر **الجرجاني**، ويعض أنامله، فيعارضه فيه أخوه **بلكين**، ويكذب الظنون وسعى في تخليصه، فارتبك **باديس** في أمره أياماً، ثم غافض[4] أخاه **بلكين**[5] فقتله وقتاً أمن فيه

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالتين)). وكتاب المتين؛ مثل كتاب المقتبس؛ من أشهر مؤلفات أبي مروان ابن حيان. لم يصل إلينا من المتين شيء يذكر.
[2] وردت في ت؛ بينما سقطت في المخطوطين.
[3] في ج: ((يهم)).
[4] في ك: و((عافصة)). وغافضة أخاه: تعني: فاجأه، وأخذه على غرة.
[5] أي فاجأه.

أمر معارضته، لاشتغاله بشرابٍ وآلة[1]، وكانت من عادته، فأحضر **باديس الجرجاني** إلى مجلسه، وأقبل يشتمه ويسبه ويبكته، ويطلق الشماتة ويقول، لم تغن عنك نجومك يا كذاب، ألم يعد أميرك الجاهل، يعني **يدير**، أنه سوف يظفر بي ويملك بلدي ثلاثين سنة، لِمَ لمْ تدقق[2] النظر لنفسك وتحذر ورطتك، قد أباح الله لي دمك. فأيقن[3] **أبو الفتوح** بالموت، وأطرق ينظر إلى الأرض، لا يكلمه ولا ينظر إليه، فزاد ذلك في غيظ **باديس**، فوثب من مجلسه والسيف في يده، فخبط به **الجرجاني** حتى جدله، وأمر بحز رأسه.

قال: وقدم **الصنهاجي** الذي كان محبوساً معه إلى السيف؛ فاشتد جزعه، وجعل يعتذر من خطيئته، ويلح في ضراعته[4]، فقال له **باديس** أما تستحي يا ابن الفاعلة، يصبر المعلم الضعيف القلب على الموت مثل هذا الصبر، ويملك نفسه عن كلامه لي واستعطافي، وأنت تجزع مثل

---

[1] في ك: ((والآلة))، وفي ج: ((ولاه)).
[2] حرفت في ج؛ فكتبت: ((تدقن))، وفي ك، والملكية: ((تتقن)).
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فايق)).
[4] في المخطوطين: ((غراصته)).

هذا الجزع، وطال ما أعددت نفسك في أشداء الرجال، لا أقال الله مقيلك، فضرب عنقه، وانقضى المجلس.

ومن تمام الحكاية مما جلبه **ابن حيان**. قال: وكلم **الصنهاجيون باديس** في جثة **صنهاجهم**[1] المقتول مع **أبي الفتوح**، فأمرني بإسلامها إليهم، فخرجوا بها من فورهم إلى المقبرة على نعش، فأصابوا قبرا قد احتفر لميت من أهل البلد، فصبوا صاحبهم **الصنهاجي** فيهن ووراوه من غير غسل ولا كفن ولا صلاة، فعجب الناس من تسَحِّيهم[2] في الاغتصاب حتى الموتى في قبورهم.

---

[1] في ك: ((صنهاهم)).
[2] في ك، والملكية: تسحبهم)).

مولــده

سنة خمسين وثلاثمائة[1].

وفاتــه

كما ذكر ليلة السبت لاثنتين بقيتا من محرم؛ سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة[2]. قال **برهون**: من خدام **باديس**: أمرني بمواراة **أبي الفتوح**؛ إلى جانب قبر[3] **أحمد ابن عباس** وزير **زهير العامري**؛ فقبراهما في تلك البقعة، متجاوران. وقال اجعل قبر عدو إلى جانب عدو؛ إلى يوم القصاص، فيا لهما قبران أجما[4] أدبا؛ لا كفاء له، والبقاء لله سبحانه.

***

[1] الموافق لـ: 961م. يبدو أنه وقع تحريف في هذا التاريخ؛ لأن ابن الخطيب ذكر ـ من قبل ـ أنه أخذ عن أبي رياش أحمد بن أبي هشام بن شبل العبسي ـ بالبصرة ـ سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة؛ الذي يوافق لـ: 959م. فكيف يتفق هذا؟

[2] الموافق لـ 1039م.

[3] هذه الكلمة سقطت في ك.

[4] في ج: ((أحما))، وفي ك: ((أحبا)).

جعفر بن أحمد

ابن علي الخزاعي؛ من أهل غرناطة؛ ويعسوب[1] الثاغية والراغية[2] من أهل ربض البيازين[3]؛ يكنى أبا أحمد

الشهير ذكره **بشرق الأندلس**، المعروف بكرامة الناس، المقصود الحفرة، المحترم التربة حتى من العدو، والرائق بغير هذه الملة. خرج قومه من وطنهم عند تغلب العدو على **الشرق**، فنزلوا **ربض البيازين** جوفي[4] المدينة، وارتاشوا، وتلثموا[5]، وبنوا المسجد العتيق، وأقاموا رسم الإرادة، يرون أنهم تمسكوا من طريق **الشيخ أبي أحمد** بآثاره، فلا يغبون بيته، ولا يقطعون اجتماعاً، على حالهم المعروفة من تلاوة حسنة، وإيثار ركعات، ثم ذكر، ثم ترجيع أبياتٍ في طريق التصوف، مما ينسب

---

[1] اليعسوب: أمير النحل؛ والرئيس الكبير..

[2] يقولون: ((ليس له ثاغية ولا راغية))؛ أي لا يملك شاة ولا ناقة؛ لأن كلمة (ثاغية) تطلق على صوت الشاة، أما كلمة (راغية) فتطلق على صوت البعير. والمقصود في هذا النص أنجعفر هذا؛ هو رئيس الجمع في حي البيازين، وكبير كل من رُفِع له صوت من المشاغبين فيه.

[3] ربض البيازين. وسبق التعريف بهذا الربض.

[4] الجوف لدى أهل المغرب والأندلس هو الشمال، والقبة: هي الجنوب.

[5] أي أنهم اختاروا وضع اللثام على وجوههم؛ واتبعوا طريقة أهل اللثام من المرابطين.

للحسين بن منصور الحلاج[1] وأمثاله، يعرفونها منهم مشيخةٌ، قوالون هم [فحول][2] الأجمة وضرائك[3] تلك القطيعة، يهيجون بلابلهم، فلا ينشبون أن يحمى وطيسهم، ويخلط مَريعُهم بالهمل[4]، فيرقصون رقصا غير مساوق للإيقاع الموزون، دون العجال[5] الغالبة منهم، بإفراد كلمات من بعض المقول، ويكر بعضهم على بعض، وقد خلعوا خشن ثيابهم، ومرقوعات قَباطيهم ودرانيكهم[6]، فيدوم حالهم حتى يتصببوا عرقاً، وقوالهم يحركون فتورهم، ويزمرون روحهم، يخرجون بهم من

---

[1] الحلاج هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج؛ أصله من بيضاء فارس؛ ولكنه نشأ في واسط بالعراق. تاريخ ولادته مجهول؛ أما وفاته فقد حدثت في سنة 309هـ/922م؛ إذ قتل في بغداد بطريقة بشعة؛ بقيت مثلاً في التاريخ. اتبع طريق التصوف؛ ولكنه غالى في آرائه وما يدعيه. اتهم بالاعتقاد في مذهب الحلول؛ ولذلك أمر الخليفة المقتدر العباسي بالقبض عليه؛ فأودع السجن وعذب عذاباً شنيعاً؛ ولكنه لم يظهر أي تأثر أو تألم؛ ولم يستجر أو يتأوه؛ فضاعف جلادوه أساليب العذاب؛ حتى أنهم قطعوا أطرافه الأربعة؛ ثم حزوا رأسه، وأحرقوا جثته حتى غدت رماداً، ورميت في نهر دجلة.

[2] في المخطوطين والملكية: ((فحل))؛ فصوبها عنان.

[3] في المخطوطين: ((صراديك))؛ والضرائك مفردها ضريك: وهو: النسر الذكر.

[4] مَريعهم: تعني أكابرهم. أما الهمل: فهم الأصاغر والرعاع.

[5] في ج: ((الجعال)).

[6] القباطي مفردها قبطية: وهي لباس علوي رقيق يوضع على الكتف، وكذلك الدَّرانيك؛ فمفردها:دُرْنوق، ودِرْنيك؛ وهي لباس خشن يشبع الطنافس يستر الجزء العلوي من جسم الإنسان.

قول إلى آخر، ويصلون الشيء بمثله، فربما أخذت نوبة رقصهم بطرفي الليل التمام، ولا تزال المشيعة لهم يدعونهم، ويحاجونهم[1] إلى منازلهم. وربما استدعاهم السلطان إلى قصره محمضاً في لطايف نعيمه باخشيشانهم، مبدياً التبرك بألويتهم[2]، ولهم في **الشيخ أبي أحمد** والد نحلتهم، وشحنة قلوبهم، عصبية له وتقليد بإيثاره، أنفجت[3] لعقده أيمانهم، وشرطٌ في صحة دينهم، وارتكبوا في النفور عن سماع المزمار القصبي المسمى **بالشبابة** الذي أرخص في حضور الولائم، مع نفخٍ بَرَعه العدد[4] الكثير من الجلة الصلحاء القدوة مرتكباً، حتى ألحقوه بالكبائر المربقة، وتعدوا اجتنابه جبلة وكراهةً طباعية، فتزوى عند ذكره الوجوه، وتقتحم عند الاتهام به الدور، وتسقط فيما بينهم بفلتة سماعه أخوة الطريق، وهم أهل سذاجة وسلامة، أولو اقتصاد في ملبس وطعمة

---

[1] في ك: ((ويحاجون بهم)).
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بالوميهم ـ بالوليهم))؛ بينما سقطت في الملكية.
[3] أي أثارت وأخرجت.
[4] في ج: ((العود)).

واقتيات بأدنى بلغة، ولهم في التعصب نزعة خارجية[1]، وأعظمهم ما بين مكتسب[2] متسبب، وبين معالج مدرة، ومريع حياكة، وبين أظهرهم من الذعرة[3] والصعاليك كثير، والطرق إلى الله عدد أنفاس الخلايق جعلنا الله ممن قبل سعيه، وارتضى ما عنده، ويسره لليسرى.

حالـه

قام هذا الرجل مقام **الشيخ أبي تمام** قريبه على هيئة مهلكه، فسد مسده، على حال فتور وغرارة[4] حتى لان متن الخطة، وخف عليه بالمران ثقل الوظيفة، فأم وخطب، وقاد الجماعة من أهل الإرادة. وقضى في الأمور الشرعية بالربض، تحت ضِبْنِ[5] قاضي الجماعة وهو الآن بعده على حاله، حسن السجية، دمث الأخلاق، لين العريكة، سهل الجانب، مقترن الصدق والعفة، ظاهر الجدة، محمود الطريقة، تطأه أقدام الكلف، وتطرح به

---

[1] أي نزعة تنسب إلى مذهب الخوارج.
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((مكسب)).
[3] في ج: ((الزرعة)).
[4] في المخطوطين والملكية: ((وعرارة))؛ فصوبها عنان.
[5] أي تحت كنف ورعاية...

المطارح القاصية، حوا على الشفاعات، مستور الكفاية في لفق الضعف، متوالي شعلة الإدراك في حجر الغفلة، وجهٌ من وجوه الحضرة في الجمهورية، مرعيٌّ الجانب، مخفف الوظايف، مقصوداً من مُنْتامي[1] أهل طريقه بالهدايا، مستدعي إلى من بالجهات منهم في كثير من الفصول، ظاهر الجدوى في نفير الجهاد، رحمه الله، ونفع بأهل الخير.

مولده

عام تسعة وسبعمائة[2].

وفاته

[يوم الإثنين التاسع والعشرين لرمضان خمسة وستين وسبعمائة][3].

***

[1] في: ((منتافي))؛ والمقصود هم أنصار الطريقة.

[2] الوافق لـ 1309م.

[3] الموافق لـ 1363م. ما بين الحاصرتين سقط في ك، والملكية؛ بينما وردت ـ في ج ـ الوفاة قبل المولد.

جعفر بن عبد الله

ابن محمد بن سير بُونة الخزاعي[1]؛ من أهل شرق الأندلس؛ من نظر[2] دانية؛ يكنى أبا أحمد؛ الولي الشهير.

حالـه

كان أحد الأعلام المنقطعي[3] القرين في [طريق][4] كتاب الله، وأولي الهداية الحقة، فذ، شهير، شائع الخلة، كثير الأتباع، بعيد الصيت، توجب حقه حتى الأمم الداينة بغير دين الإسلام، عند التغلب على قرية[5] مدفنه بما يقضى منه بالعجب. قال الأستاذ **أبو جعفر بن الزبير**؛ عند ذكره **في الصلة**[6]**:** أحد أعلام المشاهير[7] فضلاً فضلاً وصلاحاً، قرأ **ببلنسية**، وكان يحفظ نصف ((**المدونة**))[8] وأقرأها، ويؤثر الحديث والتفسير والفقه، على غير ذلك من العلوم.

---

[1] ترجمة سيد بونة الخزاعي توجد أيضاً في التكملة، والوافي في الوفيات، ونفح الطيب.
[2] في ك: ((سفر)). ومعنى((نظر)) هو أنها من تحت إشراف ونظر عامل أو والي دانية.
[3] في نفح الطيب: ((المنقطعين المقرّبين)).
[4] هذه الكلمة سقطت في ج، والملكية؛ بينما وردت في ك.
[5] في المخطوطين: ((قراءة))؛ فصوبها عنان.
[6] كتاب ابن الزبير يسمى (صلة الصلة)، أما كتاب (الصلة)؛ فهو لابن بشكوال.
[7] في ج: ((الشهيرة)).
[8] أي كتاب المدونة. وقد سبق التعريف به.

مشيختـه[1]

أخذ القراءات السبع عن المقرئ **أبي الحسن ابن هذيل، وأبي الحسن بن النعمة**، ورحل إلى **المشـرق**، فلـقي في رحلتـه جلـة، أشهرهـم وأكبرهـم في باب الزهـد وأنـواع سَنى الأحـوال، ورفيـع المقامـات، الشيـخ الجليـل، الـولي لله[2] تعـالى، العـارف[3]، **أبو مدين شعيب شعيب ابن الحسين**[4] المقيم **ببجاية**، صحبه وانتفع به، ورجع من عنده بعجايب دينية، ورفيع أحوال إيمانية، وغلبت عليه العبادة، فشهر بها حتى رحل إليه الناس

---

[1] هذه الكلمة سقطت في المخطوطين؛ بينما وردت في الملكية.
[2] في المخطوطين: الـوالي.
[3] هذه الكلمة وردت في ك فقط.
[4] هو الشيخ الـولي شعيب بـن الحسين الأندلسي التلمسـاني. ويعتبـر مـن مشاهيـر الصوفيـة؛ إذ يعد الرجل الثـاني ـ بعد عبـد القـادر الجيـلاني ـ في تسلسـل الطريقة القادريـة. ولـد بالأندلـس سنـة 520هـ/1126م؛ في حصـن يتواجـد في الشمـال الشـرقي مـن إشبيليـة يسـمى قطنيانـة Cantillana؛ ثـم تنقـل بيـن بعـض البلـدان؛ حيـث أقـام بعـض الوقـت في فـاس، وبعدهـا سكـن في بجايـة شـرق الجزائـر؛ أيـن كثـر أتباعـه؛ الأمـر الـذي أخـاف السلطـان الموحـدي؛ يعقـوب المنصـور؛ فطلـب بإحضـاره إلى المغـرب الأقصى ليتبـرك بـه. ولمـا وصـل إلى تلمسـان قـال: مـا لنـا للسلطـان، الليلـة نـزور الإخـوان، ثـم ذهـب إلى المسجـد الجامـع، واستقبـل القبلـة وتشهـد، وقـال: هـا قـد جئـت، هـا قـد جئـت، وعجلـت إليـك رب لتـرضى، ثـم قـال: الله الـحي؛ وبعدهـا فاضـت روحـه إلى بارئهـا؛ قبـل أن يـرى السلطـان. وتـوفي بتلمسـان بعـد أن ناهـز سنـه الثمانيـن؛ وذلـك عـام 594هـ/1297م.

للتبرك بدعائه، والتيمن برؤيته ولقائه، فظهرت بركته على القليل والكثير [منهم][1]، وارتوروا زلالا من ذلك العذب النمير، وحظه من العلم مع عمله الجليل موفور، وعلمه نورٌ على نور[2]. لقيت قريبه **الشيخ أبا تمام**[3] **غالب بن حسين ابن سيد بونة** حين ورد **غرناطة**، فكان يحدث عنه بعجائب.

دخوله غرناطة

وذكر المعتنون بأخباره بالحضرة إلى طريقه، أنه دخل الحضرة وصلى في رابطة الربط من باب....[4] وأقام بها أياماً، فلذلك المسجد المزية عندهم إلى اليوم. وانتقل الكثير من أهله وأذياله عند تغلب العدو على الشرق على بلدهم، إلى هذه الحضرة، فسكنوا منها **ربض البيازين**،

[1] ذكرت هذه الكلمة ـ في المخوطين ـ بعد كلمة (بركته).

[2] إحالة إلى قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾. سورة النور، الآية: 35.

[3] في المخطوطين: ((أبو تمام))؛ فصوبها عنان.

[4] بياض موجود هنا في النسخ الأربع.

على دين وانقباض وصلاح، فيحجون بكنوز من أسراره، ومبشراته مضنونٌ[1] بها على الناس، وبالحضرة اليوم منهم بقية تقدم الإلماع بذكرهم.

وفاته

توفي رحمه الله بالموضع المعروف **بزناتة**؛ في شوال؛ سنة أربع وعشرين وستمائة[2]، وقد نيف على الثمانين[3].

***

[1] في المخطوطين والملكية: (((مظنون)).

[2] الموافق لـ 1226م.

[3] في التكملة: ((وتوفي عن سن عالية تقارب المائة)).

الحسين بن عبد العزيز

ابن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري؛ نشأ بغرناطة؛ يكنى أبا علي؛ ويعرف بابن الناظر[1].

حالـه

كان متفنناً في جملة معارف، أخذ من كل علم سنى بحظ وافر، [حافظاً][2] للحديث والتفسير، ذاكراً للأدب واللغة والتواريخ، شديد العناية بالعلم، مكباً على استفادته وإفادته، حسن اللقاء لطلبة العلم، حريصاً على نفعهم، جميل المشاركة لهم.

وقال الأستاذ[3]: كان من بقايا أهل الضبط والإتقان لما رواه، وآخر مقرئي القرآن، ممن يعتبر[4] في الأسانيد ومعرفة الطرق والروايات، متقدماً في ذلك على أهل وقته، وهو أوفر من كان **بالأندلس** في ذلك، [أقرأ][5] القرآن والعربية **بغرناطة** مدة، ثم انتقل إلى **مالقة** فأقرأ بها

[1] ترجمة الحسين بن عبد العزيز بن الناظر موجودة أيضاً في تاريخ قضاة الأندلس.
[2] وردت هذه الكلمة في ك، والملكية.
[3] يقصد بالأستاذ: أبا جعفر أحمد بن الزبير صاحب صلة الصلة.
[4] في المخطوطين: ((يعبد))؛ وصوبها عنان.
[5] هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين والملكية؛ وأضافها عنان.

يسيراً[1]، ثم انقبض عن الإقراء، وبقي خطيباً بقصبة **مالقة** نحواً من خمسة[2] وعشرين سنة، ثم كرّ منتقلا إلى **غرناطة**[3]، فولي قضاء **ألمرية**، ثم قضاء **بسطة**، ثم قضاء **مالقة**.

وصمته

قال الأستاذ: إلاّ أنه كان فيه خُلُق[4] أخلت به، وحملته على إعداء ما ليس من شأنه، عفا الله عنه، فكان ذلك مما يُزْهد فيه.

مشيخته

روي عن **الأستاذ المقرئ أبي محمد عبد الله بن حسين الكواب**، أخذ عنه قراءة السبع وغير ذلك، وعن **أبي علي، وأبي الحسن بن سهل بن مالك الأزدي، وأبي عبد الله محمد بن يحيى** المعروف **بالحلبى**، وجماعة غير

---

[1] جاء في كتاب تاريخ قضاة الأندلس أن ابن الناظر هذا: ((ارتحل عن غرناطة؛ لغرض عنَّ له بها؛ فلم يُقْضَ ؛ فأنف من ذلك؛ فاستقر بمالقة)).
[2] صوبها د. طويل فجعلها: ((خمس)).
[3] قال النباهي مؤلف كتاب تاريخ قضاة الأندلس: ((أنّ ابن الناظر فرَّ من مالقة إلى غرناطو؛ لتغيير كان سببه فتنة الخلاف بها)).
[4] في ت: ((خلة)).

هؤلاء، ورحل إلى **إشبيلية** فروى بها عن **الشيخ الأستاذ أبي علي**[1] أكثر **كتاب سيبويه** تفقهاً، وغير ذلك. وأخذ عن جماعة كثيرة من أهلها، وقدم عليها إذ ذاك القاضي **أبو القاسم بن بقي** فلقيه بها وأخذ عنه، ورحل إلى **بلنسية**، فأخذ بها عن **الحاج [أبي الحسن]**[2] **بن خيرة، وأبي الربيع بن سالم**، وسمع عليه جملةٌ صالحة: **كأبي عامر بن يزيد بن أبي العطاء بن يزيد**، وغيرهم؛ **وبجزيرة شقر** عن **أبي بكر بن وضاح، وبمرسية** عن جماعة من أهلها، **وبأوريولة** عن **أبي الحسن بن بقي، وبمالقة** عن آخرين، وتحصل له جماعة نيفوا على الستين.

تصانيفه

منها: ((**المسلسلات**))، و((**الأربعون حديثاً**))، و((**الترشيد في صناعة التجويد**))، و((**برنامج رواياته**))؛ وهو نبيل.

---

[1] سماه صاحب كتاب تاريخ قضاة الأندلس أبا علي الشلوبيني.
[2] ما بين حاصرتين هنا سقط في ك.

شعــره

كـان يقـرض شعـراً لا يُـرْضَى لمثلـه ؛ ممـن بـرّز تبريـزه فـي المعـارف.

مولــده

يـوم الخميس لإثـني [عشـر][1] ليلـة بقيـت مـن شـوال ؛ سنـة خمسيـن وستمائـة[2].

وفاتــه

تـوفي **بغرناطـة** ؛ لأربـع عشـر[3] ليلـة خلـت مـن جمـادى الآخـرة[4]؛ سنـة [تسـع وتسعيـن][5] وستمائـة[6].

***

[1] هـذه الكلمـة سقطـت في النسـخ الثـلاث؛ ووضعهـا عنـان؛ ولكـن د. طويـل صححهـا فجعلهـا: ((عشـرة))، وهـو الأصـح.
[2] الموافـق لـ 1252م.
[3] صوبهـا د. طويـل فجعلهـا: ((عشـرة)).
[4] في كتـاب تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((جمـادى الأولى)).
[5] في المخطوطيـن: ثمانيـن))؛ وصوبـت مـن كتـاب تاريـخ قضـاة الأندلـس.
[6] الموافـق لـ 1296م.

فهرس الموضوعات والتراجم

(القسم الأول)

تذكير

هذا ختام المجلد الأول من كتاب الإحاطة في
أخبار غرناطة للكاتب المعجزة والشاعر
المبدع ذي الوزارتين لسان الدين ابن
الخطيب. ويلي هذا المجلد الأول،
المجلد الثاني الذي يبدأ بترجمة
الحسين بن محمد بن الحسين
ابن النباهي
الجذامي